

تيسير
القرآن الكريم
للقراءة والفهم المستقيم

ولقد سبنا القرآن للذكر قبل من ذكرنا
مدونة العظم

من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة

الجزء الأول

لفضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الجليل عيسى

شيخ كلية اللغة العربية

بالأزهر الشريف (سابقاً)



عيسى عبد الجليل.

تفسير القرآن الكريم للقراءة والفهم
المستقيم / عبد الجليل عيسى - القاهرة :
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٦٠٤ ص : ٢٨ سم .

تدملك ١ ٥٢٩ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القرآن :

(١) العنوان :

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧١٣٥ / ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 529 - 1

ديوى ٢٢٠

- الكتاب: تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم
- المؤلف: فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى - شيخ كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف سابقا.
- الطبعة الأولى: ١٩٥٨.
- الطبعة الثانية: ١٩٨٠.
- الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩.
- طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخلاف والإخراج الفني: أميمة علي أحمد.
- تصحيح: محمد صابر - أحمد حسن
- مراجعة: سمير عبدالفتاح - أميمة علي

مقدمة الطبعة الأولى (عام ١٩٥٨م، ١٣٧٦هـ)



والصلاة والسلام على خاتم النبيين: سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإن القرآن هو كتاب الله الكريم الذي أنزله على رسوله الأمين مهيمنا على جميع ما أنزل
قبله على الرسل أجمعين، فيه شفاء لما في الصدور، وهدى للسارى ونور. فلذا عني العلماء
قديمًا وحديثًا بشأنه، ووضعوا العلوم المختلفة لخدمته، وكان شأن المسلمين في كل عصر
وبدء، الرغبة الملحة في حفظه وتلاوته، ومداومة النظر فيه، لاستنباط ما حواء من الأحكام
والعبر، ولما اتسعت رفعة الإسلام، ودخله أمم تختلف في لغاتها وطرق كتابتها، وتمذر على
كثير من متعلميها قراءة القرآن، وهي على رسم المصحف الإمام، فلم ينتفع بتلاوته على الوجه
الصحيح إلا النذر اليسير، ممن انقطع لتعلم طريقته، أو أمضى زمانًا ليس بالقصير في معالجة
قراءته، لذلك رغب كثير من المسلمين في كتابته على طريقة الإملاء الحديثة، فتصدى
لمحاربة هذه الرغبة، مؤمنون بصيرون بالمواقب، غيورون على قدسية الكتاب الكريم، وكان
الصواب حليضهم في محاربة هذه الرغبة الطائشة، لأن القرآن هو عمدة هذا الدين، وطرق
الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر
الواحد، فإذا فتح باب كتابته بالإملاء الحديث تصرب له ما تصرب للكتب السابقة من التحريف
والتغيير، ونال من قدسيته ما قد نال من قدسيته، فأثر في قيمتها الدينية والعلمية.

لما كان كل هذا، وكنا ذات يوم في مجلس، دار فيه الحديث حول الدين وطرق خدمته،
فتطرق البحث إلى هذه الناحية المذكورة آنفاً. وكان ممن ضمهم هذا المجلس الرجل المؤمن
الذي أغدق الله عليه الكثير من نعمه، وتوَّجها بنعمة التوفيق لكل ما يقربه إلى ربه، هو
السيد أحمد حامد سراج الدين فسألني: وهل من حل لهذه العقبة التي لو ذلت، لانتفع بقراءة
كتاب الله خلق كثير؟ فقلت: إنه قد عرض لي حل يجمع بين المصلحتين: مصلحة القارئ في

التسهيل عليه، ومصلحة المحافظة على الرسم العثماني الذي توارثه المسلمون هذه القرون الطويلة. ولما شرحتها له أعجب بها. وألح في سرعة إبرازها للوجود، وأعداً في سبيل تحقيقها ببذل كل مجهود. ولما صممنا العزم على الإنجاز، رغب بعض الإخوان أن ينضم إلى تسهيل قراءة القرآن تيسير فهمه على القارئ العادي، ولو باختيار تفسير مختصر من التفاسير الكثيرة يوضع على هامش المصحف، فاستعرضنا كل التفاسير، فلم نجد من بينها ما يفي بالمقصود، إذ وجدنا منها ما وضع للخاصة من العلماء، كتفسير البيضاوي، والفخر الرازي، ومنها ما حاول صاحبه الارتقاء بعبارة عن مستوى القارئ العادي، وجعل أبحاثه كلها تدور حول إثبات إعجاز القرآن، كتفسير الكشاف، ومنها ما أطل صاحبه فيه تطويلاً مملاً كتفسير الطبري أو اختصره اختصاراً مغلاً كتفسير الجلالين، ومنها ما حشاه صاحبه بالأبحاث النحوية والصرفية أو الفقهية، وغير ذلك، كتفسير أبي حيان والقرطبي. ومنها ما ملأه صاحبه بفرائب الحكايات وأباطيل الإسرائيليات التي دسها اليهود الذين استقروا وراء إظهارهم الإسلام، وكادوا لكتابه الكريم، ونسبوا لكبار الصحابة في فهمه آراء باطلة، شوهت جماله، وكانت مادة خصبة لأعداء الإسلام. ومن هؤلاء اليهود: (كعب الأحبار) و(وهب بن منبه) بعد ذلك استقر الرأي على أن يعهد إلينا بوضع تفسير مختصر يوضح معنى اللفظ الغريب، وما لا بد منه في فهم التركيب، على أن تبعد عنه ما استطعنا العبارات الاصطلاحية، والخلافات الطائفية والمذهبية، وإذا اضطررنا لذكر بعض الاصطلاحات فإننا لا نذكرها إلا في مقدمة الصفحة بين تفسير المفردات، ولكن عندما نقول (المعنى): فإننا حرمانا على أنفسنا ذكر شيء من ذلك مطلقاً وقد تجنبنا أيضاً زخرفة العبارة، محافظة على محاكاة المعاني التي تضمنتها الحروف، أو أشارت إليها الأساليب حتى يتجلى المعنى الأصلي بارزاً ليس عليه حجاب، فإذا رأينا نفسير قوله تعالى «إياك نعبد» صفحة (٢) بقولنا (لا نعبد غيرك) تعلم أننا فهمنا هذا الحصر من تقديم المفعول «إياك». وإذا فسرنا قوله تعالى: «ثم في النار يسجرون» الآية (٧٢) من سورة غافر صفحة ٦٢٧ بقولنا (ثم يدخلون في النار لتعرق ظاهريهم وباطنيهم) تعلم أننا أخذنا إدخالهم النار من الحرف (في) وإحراق باطنهم من قوله (يسجرون). وإذا قلنا في تفسير قوله تعالى «وانت حل بهذا البلد» الآية (٢) من سورة البلد صفحة ٨٠٨ (والحال أن الكفار من أهله استحلوا إيذاءك أيها النبي.. إلخ) تعلم أن الواو في «وانت حل» تدل على أن الجملة التي بعدها حال مما قبلها.. وهكذا في كل ما كان في هذا النوع.

وقد رأينا لدواعي الاختصار. وضيق حيز الصفحات مع الرغبة في إبقاء بعض المقامات حقها، بتدعيمها بالأدلة من القرآن نفسه، أن تكفى بذكر رقم الآية وسورتها أو صفحتها من المصحف نفسه بدل ذكر الفاظ الآيات كلها. ولما كان من المقرر عند العلماء أن خير تفسير لكلامه تعالى هو كلامه نفسه، فإننا لم نال جهداً في الإحالة على كل ما يوضح معنى الكلمة، أو يعين المراد منها. وقد نتوسع في ذلك أحياناً لئلا يمكن من يريد تكوين فكرة في موضوع معين

من تحقيق رغبته، فإذا رأيت كثرة الإحالات في موضوع تعتبره في نظرك واضعاً، فلا تشغل نفسك بتتبع الإحالات، وامض في سبيلك، وأعلم أن المقصود بها غيرك.

وقد تفسر المفرد في مكان بغير ما تفسره به في مكان آخر، نشير بذلك إلى أن لعلماء السلف في هذا اللفظ رأيين، ونترك للمطلع حرية اختيار ما تلمتن إليه نفسه منهما.

وينبغي أن يعلم أن كل الذي حاولناه في هذا المختصر هو أننا أعدنا مصباحاً صغيراً يكشف بعض معالم الطريق لمن أراد استجلاء بعض أسرار كتاب الله تعالى. وذلك أنا نعلم أن القرآن قد تعرض لعلوم شتى، من: تشريعية، واجتماعية، وخلقية، وتاريخية، وطبية، وزراعية، وفلكية، وغير ذلك.

كما نعلم أن لهذه العلوم رجالاً تخصصوا فيها، ومن المؤكد أن يكون من بينهم من إذا وضعنا أمامه هذا المصباح الذي يبرز له المعاني الأصلية من ثانياً العبارات المعجزة واضحة ليس دونها حجاب. من قد يخرج من أسرار القرآن ومعجزاته ما خفى على كثير غيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد بذلنا في الوصول إلى ذلك جهد المقلين، راجين من الله العلي القدير أن يفر لنا خطايانا، وأن يدخلنا في زمرة من شملهم عفوه، إنه واسع المغفرة جواد كريم.

وقد وضعنا كل كلمة تخالف في الرسم الإملاء المعاصر رقماً، ووضعنا أمام هذا الرقم في أدنى الصفحة رسمها الموافق للإملاء الحديث، وفيما يلي هذا نموذج لبعض الكلمات بالرسم الوارد في المصحف الإمام وما يقابلها بالرسم الحديث.

وبهذا نكون قد جمعنا بين المحافظة على رسم المصحف الإمام، وبين تسهيل قراءته على القارئ، وإذا رأيت بعض كلمات القرآن في أثناء الشرح مكتوبة بالإملاء الحديث، فاعلم أن هذا خاص بالكتابة في أثناء التفسير فقط، ولا يجوز أن يعمل ذلك في صلب المصحف نفسه وإلا نكون قد وقعنا في الخطر المشار إليه سابقاً.

وقد وضعنا الشرح بالهامش مبدؤاً ببيان معاني المفردات اللفظية، وبعد الفراغ منها، نبداً في بيان المعنى بقولنا: (المعنى)..

والله الموفق للصواب.

عبد الجليل عيسى

نموذج من الكلمات المكتوبة بالرسم العثماني مع مقابلتها بالرسم العثماني يبين صعوبة صحة التعلق بالكلمة على وجهها الصحيح

الكلمة بالإملاء المصحف	رقم الصفحة	رقم الآية	الكلمة بالإملاء المعاصر	الكلمة بالإملاء المصحف	رقم الصفحة	رقم الآية	الكلمة بالإملاء المعاصر
إسرائيل	٩	١٠	إسرائيل	وملايه	٢٩٩	٩٧	وملئه
الصلوة	٩	٢٣	الصلوة	التي	٣١٠	٥٠	اللاتي
الزكاة	٩	٤٣	الزكاة	نبؤا	٣٢٠	٩	نبأ
الحيوة	١٧	٨٥	الحيوة	الضعفوا	٣٣٢	٢١	الضعفاء
الليل	٢١	١٦٢	الليل	ونأ	٣٧٦	٨٢	ونأى
التوراة	٦٣	٣	التوراة	بينؤم	٤١٤	٩٤	يابن أم
وماوه	٩٠	١٦٢	وماواه	هسكوا	٤٢١	٧	فاسألوا
الربوا	١٣٠	١٦١	الربوا	افاين	٤٢٤	٢٤	افان
واتاكم	١٤٠	٢٠	واتاكم	مناوركم	٤٢٤	٢٧	ساركم
واتينه	١٤٦	٤٦	واتينه	آية	٤٦٢	٢١	أيها
علم	١٥٩	١٠٩	علم	مال هذا	٤٧١	٧	مالهذا
أنبؤا	١٦٢	٥	أنباء	لااذبحته	٤٩٦	٢١	لاذبحته
وينثون	١٦٦	٣٦	وينثون	المثؤا	٤٩٧	٢٩	المثأ
طير	١٦٨	٣٨	طائر	شركاءى	٥١٦	٦٢	شركائى
بالغدوة	١٧٠	٥٢	بالغدوة	أسوا	٥٣٢	١٠	أساءوا
أرك	١٧٤	٧٤	أراك	السواى	٥٣٢	١٠	السوء
هذين	١٧٥	٨٠	هذان	يبدؤا	٥٣٢	١١	يبدأ
شركؤا	١٧٨	٩٤	شركاء	شفعؤا	٥٣٢	١٣	شفعاء
دعؤهم	١٩٢	٥	دعواهم	ولقأى	٥٣٢	١٦	ولقاء
بينى آدم	١٩٥	٣٦	يا بنى آدم	اليلؤا	٥٩٢	١٠٦	اليلاء
مايتى	١٩٧	٢٥	آياتى	يىداود	٦٠٠	٢٦	ياداود
بسيمهم	١٩٩	٤٦	يسيمهم	النحؤة	٦٣٣	٤١	النحاة
نشؤا	٢٩٧	٨٧	نشاء	دعؤا	٦٢٤	٥٠	دعاء

مقدمة الطبعة الثانية

(عام ١٩٨٠م، ١٤٠٠هـ)



والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن هو كتاب الله الكريم، الذي أنزله على رسوله الأمين، مهيمنا على جميع ما أنزل
قبله على الرسل أجمعين، فيه شفاء لما في الصدور، وهدى للسارى وتور، فلذا على العلماء
قديمًا وحديثًا بشأته، ووضعوا العلوم المختلفة لخدمته، وكان شأن المسلمين في كل عصر
وبلد، الرغبة الملحة في حفظه وتلاوته، ومداومة النظر فيه، لاستنباط ما حواء من الأحكام
والعبر. ولما اتسعت رقعة الإسلام، ودخلته أمم تختلف في لغاتها وطرق كتابتها، وتمدر على
كثير من متعلميها قراءة القرآن، وهو على رسم المصحف الإمام، فلم ينتفع بتلاوته على الوجه
الصحيح إلا النزر اليسير، ممن اتقطع لتعلم طريقته، أو أمضى زمنًا ليس بالقصير في معالجة
قراءته. لذلك حاول بعض المسلمين كتابته على طريقة الإملاء العادية. فتصدى لمحااربة هذه
الفكرة مؤمنون بصيرون بالعواقب، غيرون على قدسية الكتاب الكريم. وكان الصواب حلقتهم
في محااربة هذه الرغبة الطائشة. لأن القرآن هو عمدة هذا الدين، وطرق الإملاء العادية
تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد، فإذا فتح
باب كتابته بالإملاء المعتاد عند كل طائفة من طوائف المسلمين، تسرب إليه ما تسرب للكتب
السابقة من التحريف والتغيير، ونال من قدسيته ما نال من قدسيته، وأثر في قيمته الدينية
والعلمية.

لما كان كل هذا، رأينا أن نجتمع بين الأمرين: التسهيل على القارئ، والمحافظة على أصل
رسم المصحف الإمام؛ فوضعنا على كل كلمة تخالف الرسم المعتاد رقمًا، ووضعنا أمام هذا
الرقم في هامش المصحف الكلمة بالرسم المعتاد.

ومما جاء موافقا للرسم العادي تارة، ومخالفا أخرى، تبعاً لاختلاف كتاب الوحي كما سيأتي، كلمات هي آخرها تاء القانيث التي تكتب في المعتاد تاء مربوطة فقد وردت في المصحف أحيانا تاء مربوطة، وفقا للإملاء المعتاد، وأحيانا تاء مفتوحة من ذلك كلمات:

نعمة: وردت بتاء مربوطة هي آيتي ١٧١ صفحة ٩١ و ٩ صفحة ٥٥٠ وبتاء مفتوحة. كما هي آيتي ١٠٢ صفحة ٧٩، ٢١ صفحة ٥٤٢.

رحمة: وردت بتاء مربوطة هي آية ٥٢ صفحة ٢٠٠، وبتاء مفتوحة كما هي آيات ٥٦ صفحة ٢٠١، ٧٢ صفحة ٢٩٥، ٥٠ صفحة ٥٢٧، ٢٢ صفحة ٦٥٠.

امراة: وردت بتاء مربوطة هي آية ١٥٨ صفحة ١٢٤، وبتاء مفتوحة كما هي آيتي ٢٥ صفحة ٦٨، ٢٠ صفحة ٢٠٧.

سنة: وردت مربوطة هي آية ٧٧ صفحة ٢٧٥، وبتاء مفتوحة كما هي آيتي ٢٨ صفحة ٢٢٢، ٤٢ صفحة ٥٧٨.

لعة: وردت بتاء مربوطة هي آية ١٦١ صفحة ٢١، وبتاء مفتوحة كما هي آيتي ٦١ صفحة ٧٢، ٧ صفحة ٤٥٧.

ومنها كلمة (مما) فقد وردت في آية ٢ صفحة ٢٢٧ (مما رزقناهم) وجاءت (من ما) في آية ١٠ صفحة ٧٤٤.

شجرة: وردت بتاء مربوطة هي آية ٣٥ صفحة ٨، وبتاء مفتوحة كما هي آية ٤٢ صفحة ٦٥٩.

ومما جاء مضطربا أيضا كتابة الحروف المبتدئة بها بعض السور فهبتما نرى في سورة مريم (كهيمص) متصلا بمعنىها ببعض وعليها رقم آية، نجد أول سورة الشورى (حم) (عسق) آيتين.

رسم المصحف

لماذا خالف الرسم المعتاد في بعض كلماته؟

يسأل كثيرون عن سبب مخالفة الرسم المعتاد في بعض كلمات المصحف.

وقد تعرض لبيان ذلك جمهرة كبيرة من العلماء، وحاصل ما ثبت من طريق صحيح أن النبي ﷺ عندما كان ينزل عليه شيء من القرآن يدعو برجل ممن يعرفون الكتابة من العرب، وكانوا قلة بين أمة أمية، عولت في المحافظة على تراثها على قوة الذاكرة، فكانت صدورهم هي دواوينهم. يدعوه ﷺ ويعلم عليه ما نزل، ويقول له اكتب هذه الآيات، في مكان كذا من السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فيكتب على ما تيسر له من جلد حيوان أو عظمه، أو كتفه، أو قشرة

حريد، أو حجر رفيق أُمس، إلى غير ذلك. ولما هاجر ﷺ إلى المدينة كانت كل هذه الصحف محفوظة عند عائشة، أم المؤمنين رضي الله عنها.

وبعد أن جاور ﷺ ربه، وتولى أبو بكر الخلافة، ووقعت بين المسلمين وبين الكفار حروب شديدة، كان منها حرب (اليمامة) المشهورة التي قتل فيها كثير ممن يحفظون القرآن، عند ذلك جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وقال له: إن القتل قد امتد في حفاظ القرآن، وإني أخشى أن يشتد القتل فيهم في موطن أخرى، فيقتل أشياخ الحفاظ، فأرى أن تجمع من بقي منهم، وتجمع معهم كتاب الوحي، ويراجعوا ما كتب على ما هو محفوظ في الصدور: ثم يحفظ وعند ذلك نأمن على القرآن من الضياع. فدعا أبو بكر زيد بن ثابت، وقال له: إنك شاب عاقل، لا تهملك، وكنت ممن يكتب الوحي للنبي ﷺ، فتنبع القرآن واجمعه، قال زيد: فجمعت أجمعه مما كتب عليه في زمن النبي ﷺ وأقاربه بما في صدور الحفاظ، فلما فرغت قدمته لأبي بكر رضي الله عنه، فأودع هذه الصحف عند ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتسمى هذه (الكتبة الأولى).

ولما مات أبو بكر، وتولى عمر بن الخطاب نقلت تلك الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولما ولي عثمان بن عفان الخلافة - وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في حرب (أرمينية)، وكان معه جند من الشام، والمراق، والحجاز، واختلفوا في قراءاتهم، وتعصب كل فريق منهم لما يقرأ، حتى إن الرجل منهم ليقول للآخر: إن قراءتي خير من قراءتك، وكفر بعضهم بعضاً وتلاعنوا - فأنزعج لذلك حذيفة، وبمجرد وصوله المدينة راجعاً، توجه إلى عثمان قبل أن يذهب إلى بيته، وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك، ثم وصف له ما حدث، وقال: إنني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى.

فجمع عثمان وجوه الصحابة، وكان من بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعرض عليهم الأمر: فاتفقوا جميعاً على أن يجمع ما سجل في عهد أبي بكر ويكون هو المرجع الوحيد، فأرسل عثمان إلى حفصة، وقال لها: أرسلنا لنا الصحف ننسخها في مصاحف ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن جابر، وعبد الرحمن بن العارث بن هشام، فنسخوها كما هي في مصاحف، قال الطبري: إن الصحف التي كانت عند حفصة جمعت إماماً في هذا الجمع، وتسمى هذه (الكتبة الثانية). وأرسل عثمان إلى كل قطر نسخة من هذه النسخ، كما هو مبين في آخر هذا المصحف تحت عنوان (تعريف بهذا المصحف) صفحة ج، وأمر بحرق كل ما كتب من القرآن خلاف ذلك فأحرقت جميعها. هذا ما حصل في سبب كتابة القرآن في تلك الصحف.

وقبل أن تغادر هذا المقام، تری أن من الواجب علينا لمناسبة ما بذل من المحافظة على كتاب الله، إتصافاً للعاملين، وتشجيعاً للمصلحين، أن نسجل هنا ذلك العمل الجيد الذي تم في

عهد وزير الأوقاف السابق (السيد أحمد عبد الله طعيمة)، وهو تسجيل القرآن الكريم مرتلا، كما أمره الله تعالى على رسوله محافظا فيه على الأصل وعلى كيمية الأداء من عطاء الحروف حقها، كما كان يطقها العرب الذين برز القرون لمساتهم فكان في ذلك حفظ له من اختلاف القراء، وتلاعب الصهيونية التي حاولت بل وإلى الآن تحاول أن تسترب إفسادها إلى أعرشيه عند المسلمين بمدونه بأرواحهم فحاراه الله خير الحراء.

والآن وبعد مضي زمن على هذا العمل الطيب برحو من الصائمين على تسجيل القرآن ولعثولهم توريعة أن يراجعوا التسجيل بكل دقة والا يكون التسجيل إلا على أسطوانات جيدة سليمة حتى لا تتعرض للفساد بسرعة وأن يرشدوا من يحصل على نسخة من هذه الأسطوانات أن يتنبه دائما لأي فساد يطرأ عليها فيبطل العمل بها حالا والا كانت شمر تسببا لتسربه لكتاب الله من حيث لا يشعر وهانا الله وإناهم شر ذلك

ملاحظة قد لاحظ القارى عند تفسير كلمة إنا قد سجل على مسيرها في مكان آخر وسبب ذلك: سبق خير الصفحة عن ذكر كل ما نريد

وفقا الله لانتعاشنا بكتابه الكريم.

٣ ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ

١٩ فبراير ١٩٨٠

عبد الجليل عيسى

فهرس بعض مبادئ مهمة تعرض لها القرآن

لم يتوهم القرآن الأدلة على وجوده مختلفة، هناك ما يؤم في أدلة الأصول الثلاثة:

- (أ) وجود الله، ووحدانيته
- (ب) بعث الملائق يوم القيامة للكتاب والجرأ
- (ج) صدق الرسول حتى أنه لا تكاد تخلو منها
- سورة من السور المكية التي نزلت في غضون ثلاث عشرة سنة من سنوات الرسالة المصممة البالغ عددها ثلاثاً وعشرين سنة. -
- ١ - الوجود والوحدانية: آيات ٦٦، ٦٢، من ٥٢٩، ٢٥، ٢٦، من ٦٩٩، ٥١ من ٣٥٢، ٧٣-٧٦ من ٢٥٥، ٤٢ وما بعدها من ٦٣، ٤٤٤، ١٨، ١٩ من ٤٧٢ و١٦ وما بعدها من ٥٢٢ و١١ من ٥٤٠، ٤٠ من ٥٧٧، ٢٨ من ٦١١.
- ٢ - البعث، آيات ٥٧ من ٢٠٢، ٦٦، ٦٧ من ٤٠٣، ٥ من ٤٢٣، ٥٠ من ٦٢٤، ١١ من ٦٤٨، ٢٣ من ٦٧١، ٢، ٤، من ٦٨٨، ١١، ١٥ من ٦٨٩ ومن ٢٦-٤٠ من ٧٨٠.
- ٣ - صدق الرسول ﷺ، من أدلته أنه قطع بأسر في المستقبل وقعت كما أخبر، وأنه أخبر بأن الكفار سيمجرون عما نصحهم به ولبت مجزهم. انظر الآيات ١٩ من ٢٢٩، ١٥، ١٦ من ٢٦١، ١٠٧، ١٠٢ من ٤٨، ٥٢٧، ٥٧ من ٦٤٦، ٢٢، ٢٤ من ٦٩٩، وآيات ٢-٤ من ٥٣٠، ٢٢، ٢٤ من ٢٩، ٦ من ٧٨٥، ١٥، ١٦ من ٨٠٢، ٤٥ من ٧٠٧، ١٠ من ٦٨٠ و٢٧ من ٦٨٣، ١١ وما بعدها من ٧٧٦ و٦٧ من ١٥١.
- ٧٤ من ٢٥٤، ٨٨ من ٢٧٦، ٢ من ٧٥٢، ٢٨ من ٢٤٤، وآية ٤٠ صفحة ٥٥٦ فقد قال فاطما إنه ليس بعده نبي في وقت كانوا يعلمون أن الرسل قبله كانوا ينزل بعضهم بعضا انظر آية ٤٤ صفحة ٤٤٩ وما هو قد مضى على العالم بحر ١٤ قريبا ولم يأت نبي. فصدق الله وصدق رسوله.
- ١ - لا عذر لأحد في عدم معرفة الخالق المعبود لهذا الكون ولو نشأ في شاطئ جبل ولم تصل إليه رسالة. انظر آية ١٧٢ صفحة ٢٢١.
- ٥ - إقرار الإنسان بوجود الله لا ينفعه ما دام يحالطه شيء من الشرك انظر آيتي ٨٢ صفحة ١٧٥، ١٠٦ صفحة ٢١٩.
- ٦ - إذا آمن الشخص بالله وببعض رسله وببعض كتبه دون بعض فهو كافر، وحكم الكافر الضلوع في النار انظر آيات ٩١ صفحة ١٢٦، ٧٧، ١٢٦، ٢٤، ١٦٧، ١٦، ١٧ صفحة ٧٢٢ وانظر كيف سمي القرآن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد كفارا في آية ١ صفحة ٨١٦.
- ٧ - أصل عبادة الأصنام أنها كانت صورة أعيان صائعين ماتوا انظر آية ٢٢ صفحة ٧٦٩.
- ٨ - الاستعانة بلهم الله من أكبر الجرائم آية ٦ صفحات ٧٧٠.
- ٩ - أهل الكتاب لم يؤمنوا بالأخرة على الوجه الصحيح آية ٢٩ صفحة ٢٤٥.
- ١٠ - مما امتازت به أمة محمد ﷺ أنها تؤمن بكل رسل الله، ولا تضيق بين أحد منهم آية ٢٨٥ صفحة ٦١.
- ١١ - فرعون يقول: إنه هو الرب الأعلى مع أن له آلهة. انظر بيان ذلك في آية ١٢٧ صفحة ٢١١.
- ١٢ - لم كان الكافر بالله أشد ضللا من الضلوا انظر شرح آية ١٧٩ صفحة ٢٢٢.
- ١٣ - الإيمان بعد مباشرة أمارات الموت المحقق لا يجمع انظر الآيات ١٥٨ صفحة ١٩٠ و٩٠، ٩١ صفحة ٢٨٠، ٨٥، ٢٢٩، ١٨، ١٧٥، ١٧، ١٨، ١٠١.
- ١٤ - طغاء أهل الكتاب يعلمون أن القرآن حق

٢٥ - إحصاء المصنفات أفضل من إحصائها آية ٢٧١
صفحة ٥٧.

٢٦ - خلق باب تلابب الشيطان بضماف النصوص
حيث أمر بكتابة الديون، والإشهاد عليها آية
٢٨٢ صفحة ٦٠.

٢٧ - يعلمنا الله سبحانه كيف تتفاضل عن ذكر
سيئات المير عند الاجتماع به في وقت الصماء
انظر ذلك في آية ١٠٠ ص ٢١٨. وتأمل كيف
أعفل يوسف عليه السلام حادث الحب المذكور
في آيتي ١٠ و ١٥ صفحة ٣٠٤ لتلا يؤذي
إحوته.

٢٨ - المؤمن الصادق يستعبد بالله من أن يكون
فتنة للقوم الظالمين، انظر آية ٨٥ ص ٢٧٩.

٢٩ - المأوى يطلق على الذي يصل السبيل الحق،
وعلى الذي يصل غيره، آيتا ٩١ و ٩٦ ص ١٨٥.

٣٠ - متى يزين الله للمبد ما فيه هلاكه آية ١ ص
١٩٤.

٣١ - لماذا يظن الكافرون عند مشاهدة المذاب
أنهم لم يمكثوا في القبور إلا زمنا يسيرا، آيتا
٤٥ صفحة ٣٧٢، ٣٥ ص ٦٧٢.

٣٢ - شروط قبول التوبة، وأنها ليست مجرد
التعلق بلفظ التوبة، انظر آيات ٣٩ صفحة ١١٤
و ٥ صفحة ٢٤٠، ١١ صفحة ٢٤١ و ١١٩
صفحة ٣٦٢ و ٥ صفحة ١٥٧ و ٧٠ و ٧١ صفحة
٤٧٨ و ٨٢ ص ١١٣.

٣٣ - تسبيح الجبال وغيرها وسجودها انظر آية
٧٩ صفحة ٤٧٨.

٣٤ - اختلاف أحوال وجود الكفار وأبصارهم يوم
القيامة باختلاف المواقف انظر آية ٤٥ صفحة
٦١٥.

٣٥ - لا يصلح الله حلال أسمة إلا إذا أصلحت
صنائرها وأصغت نفسها للتقوى، آية ١١ ص
٣٢٢.

٣٦ - كل ما في الأرض والسماء مسخر لمصلحة
الإنسان، انظر آيات ٢٩ صفحة ٢٧، ٢٢ و ٣٣
و ٢٤ صفحة ٣٢٤ و ٥ وما بعدها صفحتي ٢١٦
و ٢٤٧ وآية ٦٥ صفحة ٤١٢.

٣٧ - لماذا كانت أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت
للناس؟ انظر الصفات التي استحققت بها ذلك،

ولكنهم يكابرون انظر آيات ٤١ و ٤٢ صفحة ٩،
٨٩ صفحة ١٧، ١١٤ صفحة ١٨١.

١٥ - علماء أهل الكتاب كانوا يعلمون أن الرسول
صادق، ولكنهم كانوا يحسون ذلك محافظة على
رياستهم من الضواخ آية ١٤٦ صفحة ٢٨.

١٦ - فرعون كان يعتقد أن موسى رسول الله ولكنه
كان يكابر خوفا على سلطانه من الذهاب آيتا
١٠٢ صفحة ٣٧٨، ١٤ صفحة ٤٩٥.

١٧ - المشركون كانوا يعتقدون أن الخالق لهم
ولجميع العالم هو الله وحده، ومنشأ كفرهم
أنهم اتخذوا من المخلوقات شعما يقرّبونهم له
سبحانه، انظر الآيات ٦١ و ٦٢ صفحة ٥٢٩،
٨٧ صفحة ٦٥٥، ١٨ صفحة ٣٦٨ و ٣ صفحة
٦٠٦ وشرح آية ٢٣ صفحة ٣٦٩.

١٨ - متى يشاء الله إهلاك الناس أو هدائيتهم
وبهان سنته سبحانه في ذلك انظر آيات ٧٨،
٧٩ ص ١١٤، ٤٨ ص ١٢٦، ١٤٨ ص ١٨٨، ٢٥
ص ١٦٧، ٩٩ ص ٢٨١ و ٢٥ ص ٣٤٩، ٥٣ ص
٤٤١، ٥٠ ص ٥٧٠، من ٥ إلى ١٠ ص ٨١٠.

١٩ - معاني الضلال في القرآن آية ٢٤ ص ١٦٥.
٢٠ - التمسير من التقليد، والبحث على استحصال
المقل آية ٥٢ وما بعدها صفحة ١٢٦، ٢١
صفحة ٥١٢.

٢١ - القرآن يورثنا كيف نعبّر عما يستحق من
التصريح به بكتابات لطيفة، آيات ١٨٧ صفحة
٢٦، ١٩٦ صفحة ٣٨ (أو به أنى من رأسه)
كتابة صما يصيب الرأس من أمراض أو
حشرات وآيات ٢٣٦ صفحة ٤٨، ٦ صفحة
١٢٧، ٧٥ صفحة ١٥٢ (كلنا يأكلان الطعام)،
كتابة صما يستلزمه أكل الطعام من إخراج
المصليات وآية ١٨٩ صفحة ٣٢٤.

٢٢ - كيف يري الله تعالى المسلم على تعمل
الشذال حتى يكون قوى المريمة معدا لتعمل
كل خطر آية ٧١٤ صفحة ٤٢.

٢٣ - ينبغي لقائد الجيش أن يعتبر قوة عرائم
جده قبل خوض المعركة، ويحذر منه ضعيف
المريمة آية ٢٤٩ صفحة ٥١.

٢٤ - أروع تمثيل للترعيب في الإنفاق في سبيل
الله، آيتا ٣٦١ صفحة ٥٥، ٢٦٥ صفحة ٥٦.

في آية ١١٠ صفحة ٨٠ وانظر لم لعن غيرها
في آيتي ٧٨ و ٧٩ صفحة ١٥٢.

٣٨ - إذا وقعت الخطيئة في قرية فما هي طريقة
المجاعة من آثارها؟ انظر آية ١٦٢ وما بعدها
ص ٢١٩.

٣٩ - تسمى الكافر عند مشاهدة المذاب الرجوع
إلى الدنيا ليكمل مصالحها، انظر آيتي ١٠٠
صفحة ١٥٤، ١١ صفحة ٣٢٦.

٤٠ - معنى إحكام آيات القرآن ومعنى تفصيلها
انظر آية ١ ص ٢٨٢.

٤١ - متى فضل الله بني إسرائيل على العالمين،
وما سبب ذلك؟ وكيف انقضى هذا التفصيل؟
انظر آية ٣٢ ص ٦٥٨.

٤٢ - من هم الشهداء يوم القيامة الذين يشهدون
على شهورهم انظر آية ٦٩ ص ٦١٦.

٤٣ - معنى العيب والشهادة في القرآن، انظر آية
٧٣ ص ١٧٤.

٤٤ - مقدار اليوم عند الله في الدنيا والآخرة
انظر آية ٤٨ ص ٤٤٠.

٤٥ - قد يوسع الله العهد استكراجاً له ثم ينزل به
مقابله الشديد انظر آيات ١٧٨ صفحة ٩٢،
و ١٨٢ و ١٨٣ صفحة ٢٢٢، ٤٤ صفحة ١٦٨،
٥٥ و ٥٦ صفحة ٤٥٠.

٤٦ - جاء في القرآن (علم اليقين) و(حق اليقين)
و(عين اليقين) فما الفرق بينهما؟ انظر ذلك في
صفحة ٧١٨.

٤٧ - هل يطلق (خالق) و(رايق) على غير الله
سبحانه؟ انظر صحتي ٤٤٢ و ٤٤٦.

٤٨ - (الصيحة) جاءت لمعلن في القرآن، انظر
ذلك في صفحة ٤٤٩.

٤٩ - استعمالات القرآن لكلمة (كتاب) انظر ذلك
في صفحة ٧٩٧.

٥٠ - أسماء يوم القيامة التي جاءت في القرآن،
بيان ذلك في صفحة ٧٦١.

٥١ - (المرّة) جاءت في القرآن حقيقية وكاذبة
انظر ذلك في صفحة ٥٩٧.

٥٢ - لم أمر الله سبحانه النبي ﷺ بالاستقفار،
انظر السبب في آية ٥٥ صفحة ٦٢٥.

٥٣ - القدوة في الشر عليه وورى صفة: وورى من
قلده إلى يوم القيامة انظر صفحة ٥١٢.

٥٤ - المجرمون يهرمون بالمؤمنين في الدنيا وفي

الآخرة تتمكن العمال؛ انظر آيات ٧٩ وما
بعدها صفحة ٧٩٨.

٥٥ - النهي عن الإصغاء للإشاعات أيام الحرب
انظر آية ٨٢ صفحة ١١٥.

٥٦ - لماذا قيل عن نوح إنه آدم الصنبر، مع أنه
ركب صفة في الصنمية أهله والمؤمنون من
غيرهم؟ كما في آية ٤٠ صفحة ٢٩٠، انظر
بيان ذلك في شرح آية ٧٧ صفحة ٥٩١.

٥٧ - لا تكثر المصائب إلا عند طسار أخلاق
البشر، انظر آيتي ٤١ صفحة ٥٣٦، و ٢٠
صفحة ٦١٣.

٥٨ - مضالمة أولسر قائد الجيش أثناء المعركة
تسبب النكبات انظر ١٥٢ صفحة ٨٧.

٥٩ - الرهبانية أول من ابتدعها رهبان مصر، انظر
آية ٢٧ صفحة ٧٢٢.

٦٠ - من هم الذين إذا تكبروا لا تقبل توبتهم، انظر
آيتي ٩٠ صفحة ٧٧، ١٨ صفحة ١٠١.

٦١ - معنى الإيمان، وقوة العزيمة تقاوم تسعة جنود
من الخصوم، لأن القرآن جعل المقاتل من
المؤمنين يقف في وجه عشرة، فتخصصه يقابل
شخصاً من خصومه، وقوة إيمانه وهريمته
تقاوم تسعة، آية ٦٥ صفحة ٢٢٧.

٦٢ - حال كثر من تبار المسلمين الآن أشد
هضاراً من حال هضار التجار في عهد التنزيل
انظر شرح آيتي ٢، ٣ ص ٧٩٦.

٦٣ - أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد يمتهمهم
القرآن كفاراً في آية ١ صفحة ٨١٦.

٦٤ - معنى كلمة مثلث في القرآن وأنها تطلق
على المائحة، وعلى القرائ كله، صفحة ٣٤٤.

٦٥ - مولف صبرها في هذا القرآن، معنى
التصريف صفحة ٢٦٩.

٦٦ - الإسلام يشدد في المحافظة على اليهود بما
ليس له مثل، الآيات ٩٠ صفحة ١١٦، ٧٢، ٧٣
صفحة ٢٢٨، ٤٠ صفحة ٧٤٠، ٩١، ٩٢ صفحة
٢٥٨.

٦٧ - الإسلام يحث أبايعه على السير في الأرض
للاعتبار بما حصل للأمم التي نصرته عن
الاستقامة الآيات ٩ صفحة ٥٣١ ومن ١٥ إلى
١٩ صفحة ٦٥١، من ٤٧ إلى ٤٤ صفحة ٥٧٨.

انظر آيات ٢٠٠، ٢٠١ صفحة ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٥٥،
٢٦٤ من ٢٦

٧٩ - شدة أهوال القيامة تفقد الكافر عقله فيقدم
على الحلف بالله كذباً وهو واقف بين يديه
مبطلته. انظر آية ٢٢ من ١٦٥.

٨٠ - قد ينطق الله على الأمة الظالمة الظهير
ليحذر بها حتى لا أحدعها فجأة كانت مصيبتها
أشد. آية ١٧٨ من ٩٢، ٤٤ من ١٦٨ وآية ١٢
وما بعدها من ٧٧٦.

٨١ - الصائد لا تتفع منه الحصة مهما تكن
واحدة آية ٧ من ١٦٢، ١١١ من ١٨١، ٢١ من
٢٢٦.

٨٢ - كل الرسل السابقون مرسلين إلى أمم معينة
وارسل خاتم الرسل إلى الناس كافة آية ١٥٨
من ٢١٨، ١٠٧ من ٤٢٢، ١ من ٤٧٠، ٢٨ من
٥٦٦، ٥٦ من ٧٦١.

٨٢ - غاية الإسلام بإحراج العرب من الأمية
وجعلهم أمة متعلمة انظر ذلك في شرح آية ٢
من ٧٤٩.

٨٤ - لا يجوز أن يطلب العبد من ربه شيئاً إلا بعد
تعطفه من أنه أمر جليل أن يطلب فإذا علم
حرمته، أو جهل جوازها فلا يجوز، انظر شرح
آية ٤٦ من ٢٩٠.

٨٥ - قد يبتلى الله العبد الفاسق بما يسبب زيادة
عباده، آية ١٦٢ من ٢١٩.

٨٦ - الصل يسبب الطغيان إلا من عصم الله،
الآيات ٧٦ إلى ٨٢ من ٥١٨، ٦، ٧ من ٨١٤.

٨٧ - معنى كون المرأة والأولاد أهداء الأزواج أو
الأباء، آية ١٤ صفحة ٧٤٧.

٨٨ - القرآن هو معجزة الرسول الخاتمة، آيات ٥٠،
٥١ من ٥٢٨.

٨٩ - شروط قبول الشفاعة: رضا الله عن
المشعوم له، وإذنه للشفيع انظر ٢٨ من ٤٢٢،
١٠٩ من ٤١٦، ٢٥٥ من ٥٢

٩٠ - مما يدل على أن الإنسان هو أفضل هذه
المخلوقات أن الله خلق ما في هذا الكون
لمصلحته، وسخره له، انظر الآيات ٢٩ من ٧،
١٢، ١٣ من ٦٦١، ٣٢، ٣٣ من ٣٣٤.

٩١ - تأخير التوبة إلى حصول مقدمات الموت

٣١ صفحة ٦٢٠، من ٨٢ إلى ٨٥ صفحة ٦٢٩
٦٨ - معنى الفتح في القرآن، آية ١١٨ صفحة
٤٨٧

٦٩ - كلمة (وراء) معانيها في القرآن آية ١٦
صفحة ٣٢٢.

٧٠ - شرح صحيح لكلمة جاءت في القرآن لم يتبه
له أحد ممن ملغوا انظر لفظ (التتار) في آية
٩ صفحة ٧١٦.

٧١ - أخبرت مكة للإسلام دبرها اليهود فأحبها
الله سبحانه وفضيعهم انظر آية ٧٢ صفحة
٧٤

٧٢ - المتقرب إلى الله بعبادة خالطتها بدعة أشد
لمرصاً للعطر من العاصي الذي يعرف أنه في
محصنة، لأن الأول قد يداخه الموت قبل أن
يعرف أنه مبتدع، بخلاف الثاني فإنه دائماً
يشعر بتأنيب ضميره فهو أقرب إلى التوبة
والندم، انظر آيات ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥ صفحة
٢٩١، ٣٠ صفحة ١٩٦، ٨ صفحة ٥٧٢، ٣٧
صفحة ٦٥١

٧٢ - لم خلق الله الإنسان والجن آية ٥٦ صفحة
٦٩٦.

٧٤ - حكمة بحث الصلائق يوم القيامة، لتجرى كل
نفس بما تسعى، انظر آية ١٥ صفحة ٤٠٧،
١١٥ صفحة ٤٥٦، ١٨، ١٩، ٢٠ صفحة ٥٤٦.

٧٥ - لم يصور القرآن طائفة بأشنع الصور مثل ما
صور الصائغين، انظر بعضاً من ذلك في آيات
٨ إلى ٣٠ من ٥٥٠، من ١ إلى ٨
صفحة ٧٤٢.

٧٦ - قد يصيب الله العبد بالمصائب ليخيق من
خلفته ويرجع صادقاً في توبته انظر آيات ٤٢،
٤٣ صفحة ١٦٨، ٩٤ صفحة ٢٠٨، ٧٦، ٧٧ من
٤٥٢، ٤١ صفحة ٥٣٦، ٢١ من ٥٤٧، ١٨ من
٦٥٢.

٧٧ - إذا رجع العبد إلى ربه بعد المصيبة لم
تكس بعد روالها فهو من سرار الخلق انظر
آيات ١٢٥ - ١٢٦ من ٢١٣، ٢١، ٢٢، ٢٣ من
٣٦٩، ٥٢، ٥٤، ٥٥ من ٢٥٢، ٦٥، ٦٦ من ٥٢٠،
٣٢، ٣٤ من ٥٢٥

٧٨ - علاج همزات الشياطين ونسفس النفوس.

بصدقها فالتفتها، انظر الآيات ٩٠، ٩١ من ٢٨٥، ٥٤ إلى ٥٩ من ٦١٤، ٨٥ من ٦٢٩.

٩٢ - يهتلي الله العبد بالشدائد، والشر، والظير. لتظهر طبيعته على حقيقتها. انظر ٤٥ من ١٢٤، ١٢٤ من ١٢٤، ٢٤ من ١٨٦، ٩٤ من ١٥٥، ٣٠ من ٤٠ من ١٢٤، ٤٩٩ من ١٢٤ صفحة ٢٤.

٩٣ - يطلق القراء السابعة على القصة الكبرى التي تكون للعلائق أجمع، وعلى القصة الصفري التي تكون عند نهاية عمر كل فرد، أو أمة وعلى لحظة من الزمن مهما قلت، فمن الأول ما في آية ١٨٧ صفحة ٢٢٢ و ٥٥ صفحة ٥٢٨، ومن الثاني ما في آية ٢١ صفحة ١٦٦ و ٧٥ صفحة ١٠٤ ومن الثالث ما في آية ٣٤ صفحة ١٩٧ و ٣٥ صفحة ٦٧٢ وأما السابعة المتضمنة الآن بمعنى جزء من ٢٤ المتقسم إليه الليل والنهار فهذا حرف طائري لا يعرفه العرب القدماء.

٩٤ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿ولا يسأل عن ديورهم المجرمون﴾ آية ٧٨ صفحة ٥١٨ وقوله تعالى: ﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ آية ٢٩ صفحة ٧١١، وبين ﴿فتنصّل الذين أرسل إليهم ولنصّل المرسلين﴾ آية ٦ من ١٩٢ و ﴿ليسأل يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ آية ١٣ صفحة ٥٢٢.

٩٥ - الجمع بين مثل قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ آية ١١١ صفحة ٣٦١ وقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ آيتي ٣٥ و ٣٦ صفحة ٧٨٥.

٩٦ - خطأ من يقول: إن ذا القربين المذكور في آية ٨٢ صفحة ٢٩٢ هو الإسكندر المقدوني لأسباب كثيرة، منها: أن الإسكندر كان كافرا، جبارا، سكيرا مات بهابا، هتب حملة شراب، والمذكور في القراء كان فيه من صفات الصالحين المصلحين ما حمل بعض العلماء على ترجيح أن يكون نبيا، انظر قوله تعالى ﴿فلنا يا ذا القربين﴾ آية ٨٦، وإيمانه بالأخرة في آيتي ٨٧، ٩٨ ورفضه أحد الأجر على عمل الصير في آيتي ٩٤ و ٩٥ من ٢٩٢.

٩٧ - الجمع بين المعنى عن الإسراف في آيتي ٢٩ من ٣٦٨، ٦٧ من ٤٧٨. ويهين مؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، آية ٩ من ٧٣١. ٩٨ - لا يمنع إمام عدالة الله سبحانه حسب ولا حسب، إنما يمع الإيثار والتقوى انظر الآيات من ٤٢ إلى ٤٩ صفحة ٢٩٠ و ١٠ و ١١ من ٧٥٢. ٩٩ - ما اشتهر عن العرب من قتل أولادهم كما في آيات ١٢٧ صفحة ١٨٥ و ١٥١ صفحة ١٨٩ و ٥٩ صفحة ٢٥٢ لم يكن علما في كل القبائل. بل كان في قبيلة واحدة فقط وحدث قبيل البعثة بسنة يسيرة ولم يلبث أن انقطع وأسلم أول من فعله.

١٠٠ - يطلق القراء الذليل على الصغير ماديا ولو كان مؤمنا كما في آية ١٢٢ من ٨٢ وعلى المتواضع لإخوانه المؤمنين كما في آية ٥٤ من ١١٨.

١٠١ - قد يأتي القراء بملخص القصة أولا، ثم يوصلها، أو يذكر نتائجها، انظر آيات ١١٥ وما بعده إلى آية ١٢٢ من ٤١٧ وآيتي ٢٤ و ٢٨ من ٧٠٧ وآية ١٠٢ مع آيات ١٠٤ وما بعدها صفحة ٢٠٩ وآية ١١ مع ١٢ صفحة ٤٢١.

١٠٢ - يستجيب الله تعالى دعاء المضطر ولو كان مشركا آية ٦٢ من ٢٧٢، ٥٢ و ٥٤ من ٣٥٢ و ٢٢ و ٢٢ من ٢٦٩ و ٦٥ من ٥٢٠.

١٠٣ - أرق خطب مع المشركين. آيتا ﴿وإنا أو إياكم لحلى هدى..﴾ إلخ آية ٢٤ من ٥٦٦ و ﴿ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ آية ٩ من ٦٦٧.

١٠٤ - قد يكون الرجل إماما لكن في الشر لا في الخير آية ٤١ صفحة ٥١٢ و ١٢ صفحة ٢٤١.

١٠٥ - حكمة خلق إبليس في هذه الدنيا آية ٢١ صفحة ٥٦٥.

١٠٦ - لو سابر سبحانه طيش السفهاء لأمرع إليهم الماء. ولكنه يعلم أنه سيضطرج من أصلاهم من هم خير منهم آيات ٢٧ صفحة ٣٢١، ٨، ٧٧٦، ٥٢ صفحة ٥٢٨.

١٠٧ - ثم أوجب الله على المؤمنين الدفاع عن عشيقتهم، ولو بالقتال، مع قدرته على إيداء أعدائهم بدون قتال؟ آية ٥٢ صفحة ٦٨٢.

١٠٨ - إذا طمست المطرة بسبب ما، ومضى على فسادها فترة تكفى لتجمدها على ما هي عليه، فلا يمنع معها تهديد ولا تعذيب أية ٣١ من ٣٢٦، ١١١ من ٢٨، ٢٧، ١٨١ من ٢٨، ١٦٦، ١٢٥ من ١٣٥ و ٢٢ و ٢٣ من ٢٣٠، ٥٠ من ٦٥٢.

١٠٩ - كان بنو إسرائيل يكرهون للمصريين أية ٢٥ من ١٨٢، ٥٥ من ١٨٢.

١١٠ - رضاه النبي ﷺ عن أحد لا يدل على رضاه الله عنه، ولا حبه له لأن الله سبحانه يعلم من حال عباده حال لا يعلمه أحسن البشر، انظر أية ٩٦ صفحة ٢٥٨، ٥٦ صفحة ٥١٥.

١١١ - القرآن يسمى الدعاء عبادة، وسماء ﷻ مع العبادة انظر أية ٦٠ صفحة ٦٣٦.

١١٢ - في طاعة الله سبحانه وتعالى سمادة الدنيا بمرور العهد بالشكر على النعمة والرضا بالقضاء، كما أنها سبب للسعادة الخالدة في الآخرة، انظر آيات ٦٦ من ١٥٠، ٩٦ من ٢٠٨، ٩٧ من ٢٥٩، ٥٥ من ١٦٧، ١١ من ٧٤٦ ومن ١٠ إلى ٢٢ من ٧٤٨ ومن ١٥ إلى ٢١ من ٥٤٦ وغير ذلك كثير.

١١٣ - إقرار الإنسان بوجود الله لا ينفعه، ما دام يحاوله شيء من الشرك انظر آيتي ٨٢ صفحة ١٧٥، ١٠٦ صفحة ٣١٩.

١١٤ - المكافآت مطاطيون بفروع الشرائع، يشاقون على ما طلبته من الخير، ويقاقبون على ما نهت عنه عقابا رائدا على عذاب الكفر آيات ١٧٨ صفحة ٩٢، ٢١ صفحة ٣٢١ و ٢٥ صفحة ٢٤٨، ٨٨ صفحة ٣٥٧، ٦٨، ٦٩ صفحة ١٧٨، ١٢، ١٣ صفحة ٥٢٢، ١٧، ٦٨ صفحة ٥٦١، ٦، ٧ صفحة ٦٣٠، ٢٠ صفحة ٦٦٩ و ٤٣ وما بعدها صفحة ٧٧٧، ٢١ صفحة ٧٨٠ وثابون على الخير انظر أية ٧ صفحة ٨١٨.

١١٥ - أظن جريمة بعد الكفر بالله أبرق القرآن وأرعد في عقاب فاعلها هي، قتل النفس المؤمنة بدون حق، انظر الآيات ٩٢ من ١١٧، ٢٠، ٢٢ من ١٤٢.

١١٦ - يبقى ذكر الأمة عاليا ما بقيت لعنتها حية قوية، انظر آيات ١٠ صفحة ٤٢١، ١١ صفحة

٦٥١، ولهذا كان أقوى سلاح لضعوم الإسلام والصرب هو إيقاظ الأمة العاصية في كل أمة حتى تحتل مكنى الفصحى، فيبذل ذكر العرب، وتتطلع صلة المسلمين كافة بكتابهم.

١١٧ - يستشهد بعض المسلمين بآيات في غير موضعها نتيجة لحطأ صريح أو رأي مرجوح رفضه المحققون انظر الآيات ١٠٥ صفحة ١٥٨ و ١٢٢ صفحة ٢٦٢، ٢٤ صفحة ٦١١ ومنها (الوسيلة) هي أية ٢٥ صفحة ١١٢ إذ لم يقل أحد من المفسرين مطلقا إنها خبر العمل الصالح و(المودة في القربى) أية ٧٢ من ٦١٢. ١١٨ - يجب على رئيس الدولة ألا يجعل للأغنياء ودوى الجاه منزلة فوق منزلة الأتقياء مهما يكونوا من الفقراء أو الضعفاء انظر الآيات ١ وما بعدها صفحة ٧٩١، ٢٧ إلى ٢١ صفحة ٢٨٨، ١١١ إلى ١١١ صفحة ١٨٦، ٧٨ صفحة ٢٨١، ٥٢، ٥٢ صفحة ١٧٠.

١١٩ - شروط الصلاة المقبولة أية ١ من ١١٥، ١٢٠ وما هي علامة قبولها انظر أية ٤٥ صفحة ٥٢٧.

١٢١ - حطأ شائع لم ينتبه له من قال: إن الزكاة ثم تدرس إلا بعد الهجرة إلى المدينة، مع أنها هوصت مع الصلاة بمكة بدون تعديد مقاديرها ولا مضارقتها، فإن هذا هو الذي نهى في المدينة، هي أية ٦٠ صفحة ٢٥١، بل أثبت القرآن أن الزكاة مفروضة على الأمم السابقة كما سيأتي انظر الزكاة في السور المكية، هي آيات ١ صفحة ٤١٥، ١٥٦ صفحة ٧١٧، ٢ صفحة ١٩٤، ١ صفحة ٥٢٩، ٧ صفحة ٦٣٠، ٢٠ صفحة ٧٧٥.

وانظر الزكاة في الأمم السابقة في آيات ٢١ صفحة ٢٩٩، ٥٥ صفحة ١٠١، ٧٢ صفحة ٤٧٨.

١٢٢ - كيف عد سبحانه التصدير من المعصية والتبويه لما سيلاقه العاص من المذابح بعمدة مستوجب الشكر، انظر شرح أية ٥٥ صفحة ٧٠٤، ٢٥ إلى ٤٥ صفحة ٧١٠.

١٢٣ - سورة من قصار السور عالجبت ثلاثة عشر عهدا من عيوب الجاهلية العنقية والاجتماعية حتى نقلت أجساد العرب من الفوضى

والحشونة إلى مصاف أرفى الأعم أدنا وروحة
شعور، انظر سورة العجرات، صفحة ٦٨٤.
١٢٤ - الإسلام يعتمد على الإقناع لا على الإكراه
انظر آيات ٢٥٦ من ٢٩، ٥٢، صفحة ٢٨٤، ١٨
صفحة ٦٤٥، ٢١ وما بعدها، صفحة ٨٠٥، ٤٥
صفحة ٦٩٢
١٢٥ - صفة عباد الرحمن انظر الآيات من ٦٢ إلى
٧٧، صفحة ٤٧٧، من ١٥ إلى ١٩ من ٦٩٢، من

٢ إلى ١ من ٢٢٧.
١٢٦ - يطلق القرآن لفظ قوم وهو يريد الرعماء
والصود ضط، انظر ذلك في آية ٥١ مع آية ٥٥
من ٦٥٢ فتبين أن الذين أعرفوا هو هرعون
والجيش الذي كل يفوده لا جميع قومه
١٢٧ - يمسب القرآن لقوم أموراً صدرت منهم أو
حلت بهم وهو يريد أصولهم انظر الآيات ٥٠
وما بعدها، صفحة ١٠.

مقدمة الطبعة الثالثة

(عام ٢٠٠٧ م. ١٤٢٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله أحمدوه واستعينوه وأصلوا على خاتم رسله ورحمته للعالمين سيدنا محمد ﷺ وبعد فقد شاء الله تعالى أن يكرمنا بكتابة مقدمة كتاب الله الكريم تيسر الصمم دقيق الانصار هي غير العار يهم الألباب هي غير إطناب هذا هو كتاب (تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم) لعلم من أعلام الاسلام الدين ربوا دعاء الدين له ومهدوا لمن بعدهم الدعوة إلى الله تعالى.. فوصف مؤلفه.. رضى الله تعالى عنه استناد أجهالنا..

فصيلة لشيخ / عبد الحليل عيسى بانه ناصر السنة وقاهر البدعة ومفسر كتاب الله وسنة رسول الله للماضي والدارس والمذكر ذلك الرجل الذي شاء الله تعالى أن يجعل حياته المباركة ممتدة في تراثه القيم إلى أن تقوم الساعة وتلك المصداقة سبقتها مقدمة للمقدمة وهي الكتاب نفسه، والذي سجدوا مقدمته الآن وسبحكم قارئ الكتاب فلي على صدقي في تكريم كانه واسأل الله سبحانه كما يارب فيه ن يبارك في تراثه وأن ييسر البركة على يد كل أبناء الشيخ برضا الله وخمسين في تكريم شيعنا أن كتابه (تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم) نعم لله أنه أول من رحى لأنه عرهن كيف أجمع شتات الأثبات جمعاً يستوعب كل ما قيل بعلاوه كل ما يقول

نص الله كل قارئ به وأحرج للشيخ عظيم الثواب ووهر الرسواي وبارك الله في كل من يعمل على اشاعة هذا التراث والبلاغ منه لكل من يقرأه

والله ولي التوفيق

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ رَافِعُ
الْيَدَيْنِ ۝ أَعِدْنَا الصِّرَاطَ النَّاسِمْ ۝
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ﴾ حَالِقِ وَمُورِسِ، ﴿الَّذِينَ﴾

الْحَسَابِ، ﴿الصِّرَاطِ﴾ الطَّرِيقِ

المعنى اقرأ مستمعين باسم الله واسع
الرحمة دائمة، المستحق لجميع الثناء الحميل
لأنه صاحب كل النعم، وهو وحده المتصرف يوم
الحساب والجزاء، ولما فرغ سبحانه من ذكر

الصفات لدالة على أن مصدر كل اسم هو الله وحده، و به الحاق لجميع العالم ومربيهم وأنه
وسع الرحمة وسبغها على خلقه و به التصرف وحده من مصدر الحلال يوم الحساب كان
طبيعي لم تمر على خاطره تلك نصيب العظيمة من يستعصر صاحبها وبره كانه حاصر معه
فيصح أن يعاطيه بقوته

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ لا يبعد إلا بك ما رب ولا يستعين إلا بك فوقف بطريق الموصل للحير
من اقرب وقت طريق محمداك الذي انعم عليهم من الميسر والصددين وشهداء
وصالحين و بعدا عن طريق المغضوب عليهم الذي اعرضوا عن الحق بعد العلم به كسر
وحسداً، والصالين المعبدن عن الصواب خيرة وجهلاً

(١) بفتح

(٢) بفتح

(٣) بفتح

(٤) بفتح

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾. حروف مفردة لإقامة الحجة على الذين قالوا إن القرآن من كلام البشر، بأنه كلام منطوق من هذه الحروف التي تنظمون منها كلامكم، فلماذا مجبرتم عن الإنشائي بمثله. ﴿الكتاب﴾: القرآن. ﴿الريب﴾: الشك. ﴿هدى﴾: هاد ومرشد للظهير. ﴿المتقين﴾

الذين حملوا بينهم وبين ما يعصب الله وقاية فلا يقربونه. ﴿العيب﴾: كل ما عاب عما واحببنا الله ورسوله به كالملائكة والحن والبعث وتقدير الأرقاق والأعمار وغير ذلك

﴿بقيمون الصلاة﴾: أي يأتون بها كاملة الأركان حسبا ومعنى

﴿ما أمر إيت﴾ أي القرآن ﴿وما أمر من قبلك﴾ أي التوراة والإنجيل الصحيحين و﴿الأخرة﴾: الدار الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب ﴿يوقنون﴾: الإيقان الإيمان بالشئ مع الاحساس به كأنه براء وأفراد الآخرة بالذكر مع دخولها في لعب لأهميتها ولحظها بكارها ﴿الهدى﴾: هذا صمد الصلال. ﴿الملاح﴾: المور. ﴿الانذار﴾: الاعلام مع تحوير. ﴿الحنم﴾

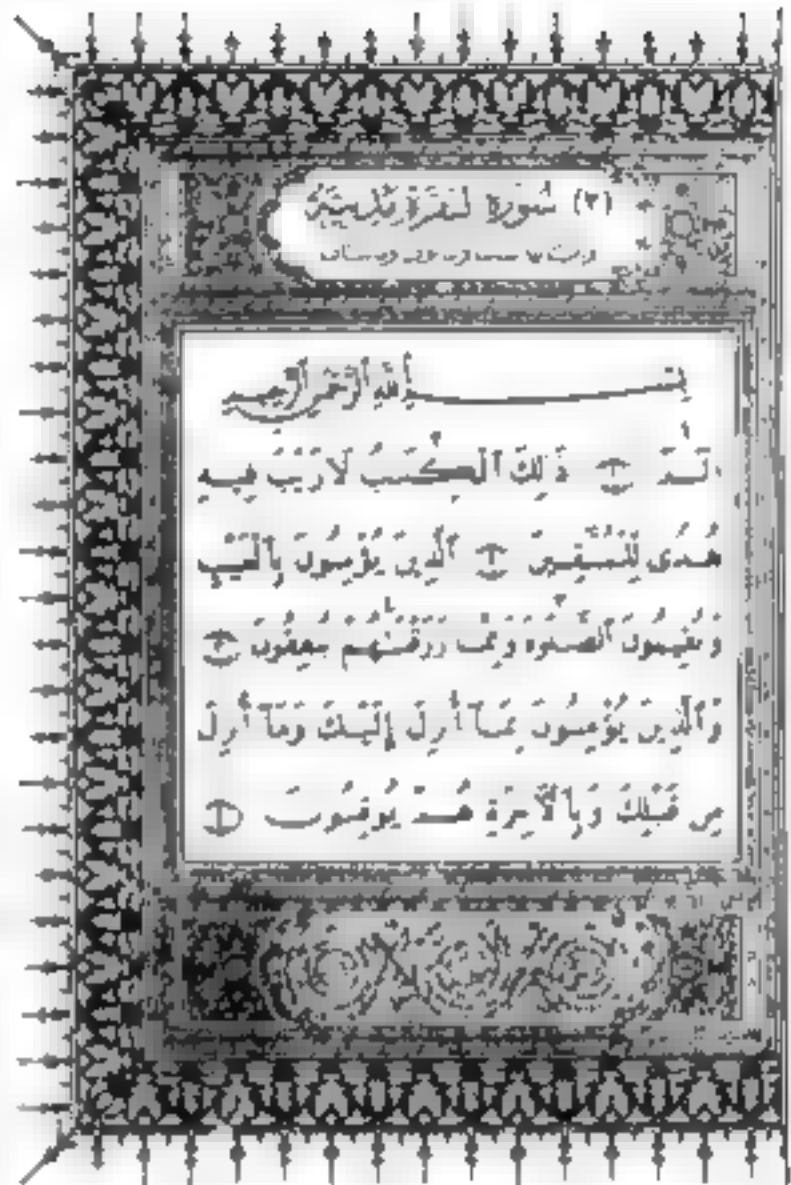
الطبع والتعطية. ﴿لمشاورة﴾: العطاء

(١) الم لا ميم

(٢) الكتاب

(٣) الصلاة

(٤) رزقناهم



لَوْلَيْكَ عَلَى هَدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ هَكَتُمْ سِرًّا عَظِيمًا وَأَلْفَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْدِرْهُمْ
 لَا يُزِمُونَ ﴿٢﴾ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
 أَبْصَارِهِمْ غِشًّا وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَن يَقُولُ إِنَّمَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾
 يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
 وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمُوتُونَ كَاثِرِينَ كَذِبُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٧﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٩﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿الخداع﴾. إظهار غير ما في النص
 للتمويه والعتل. والمراد بالمرض هنا الخفاق.
 ﴿فرادهم الله مرضا﴾. بسبب تكذيبهم بكل
 ما يتحدد من وحى وبراهين أنظر الآيتين
 ﴿١٢٤﴾. ﴿١٢٥﴾ من سورة النوبة صفحة

٢٦١

﴿لسمه﴾ طيش وحمه في العقل.

المعنى. إن هؤلاء المؤمنين منعكون من
 هداية ربهم. هاترون بكل ما ياملون أما كصار
 مكة الذين جاھروا بالعماد فقد أصبحوا
 بحالة لا يصح معها إندرك لهم لأن قلوبهم

واسماعهم وأبصارهم عطيت بعشاء كثيف من طينة الكفر فلا يسعد إلى ما وراءه إيمان ومن
 الناس من يظهرون الإيمان ويحسون الكفر وعمين أنهم يعلمهم هذا يحادعون الله
 وللمؤمنين ليبحوا منهم ولكنهم من الحقيقة إنما حادعوا أنفسهم وأصدروها وإذا قال لهم
 بعض المؤمنين الذين يشكون فيهم لا تمسكوا في الأرض بالنفاق قالوا إنما نحن مصلحون
 والحقيقة بهم من كيار المصدين ولكن لا يشعرون لأن طباعهم حسدت فرأوا الحسن قبيحا
 ولقبيح حسنا.

و. قال لهم بعض المؤمنين أيضا اموا إيماننا صحيحا كإيمان الناس اظهروا القبول وقالوا
 سراً بينهم وبين أنفسهم لا يؤمن كما آمن السفهاء يريدون قبحهم الله بالسفهاء اتباع الرسول
 والحقيقة أنهم هم السفهاء الذين فقدوا عقولهم.

(١) أبصارهم

(٢) عشاوة

(٣) يحادعون

وَإِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَأْذِنُوا خَلَوْا لَهُ شَيْطَانِهِمْ
قُلُوا إِنَّا نَسْتَعِذُّ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ ۚ إِنَّكَ بِشَرِّهِمْ
يَوْمَ وَتَعْلَمُ فِي طَائِفَتِهِمْ مُنْهَكُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوْا الضَّلَاطَةَ وَالضَّلَاطَةُ لَا رِيحَ بِجَنَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا
مُعْتَبِرِينَ ۚ تَتْلُوهُمْ كَقَوْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا
أُتِيََتْ نَاقُورَةٌ نَقَبَ أَفْئِدَهُمْ وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ ۚ هُمْ يَكْفُرُونَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَاحِظٌ
أَوْ مَحْشُوبٌ مِنَ الْمَلَأَةِ فِي ظُلُمَاتٍ دَرَقَدَ وَرَقَدَ يَمْشُونَ
أَصْبَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْءِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَأَفْئِدُهُمْ
خِطْبٌ ۚ إِنَّكَ بَازِغٌ بَيْنَ أَبْصَارِهِمْ ۚ تَتْلُوهُمْ كَقَوْلِ
الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أُتِيََتْ نَاقُورَةٌ نَقَبَ أَفْئِدَهُمْ وَرَزَقَهُمْ
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۚ هُمْ يَكْفُرُونَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَاحِظٌ
أَوْ مَحْشُوبٌ مِنَ الْمَلَأَةِ فِي ظُلُمَاتٍ دَرَقَدَ وَرَقَدَ يَمْشُونَ

﴿شياطينهم﴾: المراد بهم زعمائهم.
﴿يعدهم﴾: يمهلهم. ﴿الطفيان﴾: تجاوز.
الحد. ﴿يعميهون﴾: يترددون تحييراً.
﴿استوفد﴾: أوفد. ﴿الصمب﴾: المطر.
الشديد. ﴿الصاعقة﴾: قصفلة الرعد.
المصعوبة بنار.

المعنى: إن هؤلاء المنافقين إذا اجتمعوا
بالمؤمنين اظهروا أنهم منهم، وإذا انفردوا مع
رؤسائهم قالوا لهم إننا معكم في الباطن وما
قلناه للمؤمنين فصدقنا به الاستهزاء بهم،
والله سبحانه يمهلهم على استهزائهم هذا، ولكنه
يمهلهم ليزدادوا طغياناً وحيرة فيزيد هذابهم
أولئك المنافقون هم الذين اختاروا الضلال

لخائفة عاجلة زائلة وتركوا هدى الله الموصل لنعيم دائم. وفاعل ذلك خاسر في تجارتهم. وحال
بعض هؤلاء المنافقين كحال فريق من الناس أوفد نارا ليستضيءه ويأمن المخاوف فلما اشتد
نورها اذهب الله وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقد استولى عليهم الرعب، فهم صم لا
يسمعون الحق سمعاً قبول ولا ينطقون به عن عفيفة، ولا يقولون خيراً، عصى عن طريق
الهداية، فهم لكل هذا لا يرجعون إلى الحق أبداً، وحال بعضهم الآخر كحال قوم أصابهم مطر
محبوب بظلمات ورعد وبرق بلغ من دهشتهم أنهم توهموا أن سد آذانهم بأطراف أصابعهم
يحفظهم من الموت، وما هو بحافظ، لأن الله محيط بهم فلا يمكنهم من الخلاص، وبلغ من
شدة البرق عليهم أنه يكاد يخطف أبصارهم وكلما ظهر منه بعض الضوء الخاطف أسرعوا
يطلبون النجاة ولكن سرعان ما ينهب الضوء فيظلم الجو فيقفون وهذا منتهى الحيرة، ولو
شاء الله لأذهب سمعهم بنصف الرعد، وأبصارهم بلمعان البرق، لأنه قد ير لا يعجزه شيء عما
يريد.

﴿لأبداد﴾ جميع يد وهو المماثل
﴿الريب﴾: الشك. ﴿السورة﴾: القطعة من
لقرآن لها أول وآخر وأقلها ثلاث آيات مثل
(سورة الكوثر). ﴿شهداءكم﴾: الذين يشهدون
لكم يوم القيامة ﴿متشابهة﴾: متماثلة يشبه
بعضه بعضا.

المسمى: يأبى الناس من أهل مكة الذين
كفروا تركوا الكفر وأعبدوا ربكم وحده، لأنه
هو الذى أنعم عليكم وعلى آبائكم بمعممة
الوجود راجع من الله التوفيق للتقوى، وربكم
هو الذى جعل لكم الأرض ممهدة فيها
راحنكم، والسماء متعاسكة لا تقع على الأرض
فتسحقكم، وأنزل لكم من السماء ماء أخرج

نوحا ذريته ﴿يأتينا الناس أعبدا ربك الذى خلقكم﴾
والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿الذى خلقكم﴾
الأرض برزق وأنساء نساء وأنزل من السماء ماء
فأخرج به من الشرب برزقا لكم فلا تعلمون به أنداداً
وأنت تعلمون ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾
فأتوا بسورة من مثله، واذعروا شهداءكم من ذنوب الله
إن كنتم صبيحين ﴿فإن لم تعملوا ولن تعملوا فأتوا﴾
النار التي وقودها الناس والأحجاره أعطت لكم ﴿وأنزل من السماء ماء فخرجنا﴾
نبتة من السماء، أنموذعوا، الصلحيب أنتم خشب تجري
من تحت الأنهار كما زرعوها من ثمرة زرعوها فأتوا
الذين زرعوها من مثله وأنموذعوا، مثله، وهم ربهم
مظهره وهم ربهم حديدون ﴿إن الله لا يفتن﴾

به أزر فكم فلا تعملوا له من خلقه نظر. من استعطف لعبادة وأنت تعلمون به وحده الخالق
الزائق وهم لا يستطعون شيئا.

وإن كنتم في شك من القرآن فأتوا على عبدنا محمد ﷺ ورعنته أنه كلام بشر هذو
بسورة من رطل أم مثل محمد واستعبدوا باليتكم الذين رعنتهم أنهم يشهدون لصالحكم يوم
القيامة إن كنتم صادقين هي دعوى أنه كلام بشر أما وأنكم لا يمكنكم أن تعملوا ما عسر هو
بالحق ويحبوا، دخول بار بلع من شدتها أن وقودها لا يكون إلا من الناس والأحجاره قد عدت
وهيئت للكافرين أمثالكم

وبشر أيها السبي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعدت نحرى من تحت قصورها الأنهار
كلما زرعوها ثمرة من ثمارها وحدها كما يصنعها هي العودة والحسن لأنه متشابهة هي ذلك ولهم
فيها روحيات مظهرت من كل عيوب ساء الدنيا كالحيض والناس والمكر والكيد والحسد

أَنْ يَصْرَبَ مَثَلًا مَّصْرُوعَةً قَوْمَهَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الْمَوْتُ فَعَلُوا فِتْنَةً لِّهَاجِرٍ مِنْ رِجْسِهِمْ وَبَدَأَ مِنْهُمْ لَفْظًا لَمَنِ كَرِهُوا فَعَسَىٰ أَنَّ هَٰذَا إِلهٌ مِثْلًا لِّأُولَئِكَ وَجَعَلَ بِكُمُ الْفِتْنَةَ وَفَصَّلَ الْفُصُولَ هَٰذَا مَا فَعَلُوا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَفَعُوهُ وَتَقَدَّسَ عَنِ الْآثِمِ أَتَيْتُمْ مِنْ خَلْقٍ لَّيْسَ بِكُفْرًا وَلَكِنَّهُمُ اقْتَمَازُوا فِتْنَةً فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ خَلْقَهُمْ رُوحٌ مِنْ رَبِّهِمْ تَوَلَّوْا الْآثِمِينَ وَالْحَقُّ أَن رُّوحُ رَبِّهِمْ جَاءَ فِي جَنَّةٍ مِّنْ أَعْنَاقِهِمْ إِلَى الشَّعَاءِ فَوَسَّسَ فِي صُورِهِمْ وَوَعَزَّ بِكُلِّ نَفْسٍ مِّنْهُمْ قَوْلًا طَعْمًا إِنَّ هَٰذَا إِلَٰهٌ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِنِّي جَعَلْتُ فِي الْأَرْضِ حَبِيبًا فَإِنِّي أَعْمَلُ فِيهَا مَنْ يَفْتَدِي بِهَا نَفْسًا مِّنْ دَمَتِهِ وَفِي سَفْحٍ لِّمَنْ يَفْقَهُ

﴿مفروضة﴾ هي الحاضرة المروعة هي

عصر بالأموس، ﴿ميناة﴾ توثيقه وتوكيده

﴿سبح بحمده﴾ يقول سبحانه الله

وبحمده، ﴿تقدس لك﴾ بركك عما لا يليق

بك

المعنى لما قال الكفار اما يستحي رب

محمد أن يصرب مثلاً بالدينار والعكوت،

يريدون أن القرآن ليس من كلام الله ليصدقوا

الناموس، رد الله عليهم بقوله إن الله لا يترك

صرب مثل أي مثل كان بالشئ الحقيقي

كالمفروضة وما هوها هي المفس المراء وهو

الصبر متى كان المقام والحكمة تقتضي ذلك.

فما ليس هو فيعلمون أن هذا المثل حق وأما الذين كفروا فيقولون يشكك ما هذا؟ وهذا النوع من القرآن يكشف عن طبيعة السحس فيص به من فسد طمعه ويهدى به من سلمت فطرته فما يصل به إلا انحراف عن نظام المفطرة السليمة ادين يعودوا ببطال جهور الله التي اكدها على لسان رسله وبقطعون ما أمر به بوصيه من لارحام وماولاة المؤمنين والكتب المنيرة ويصدقون في لأرض بالمعاصي وسفست الدماء واندين يعملون ذلك هم الحاسرون لكل خير أنظر مثل ذلك هي الآية (٨٣) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٥ والآية (٤١) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦ وسيأتي تحقيق ذلك وأما هي الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ والآية (١٧٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢

كيف يكفرون بربكم وقد كنتم تتراب لا حياة فيه فصغ فيكم لروح ثم يميكم عند انصاء الآخر ثم يحييكم عند الموت ثم اليه ترجعون للحساب والجزاء وهو الذي خلق لكم جميع ما

في الأرض من جهرات، ثم توجهت إرادته إلى السماء فجعلها سبع سموات، واذكر أيها الرسول لهؤلاء الناس فضلى على الإنسان حين فلتت الملائكة إني جاعل منه في الأرض خليفة بخلصي في عمارتها، فقالوا هذا الإنسان من شأنه أن يفسد ويفسد السماء، أما نحن فنسبح بحمك ونسرهك.

ويجدر بنا هنا أن نذكر رأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده في هذه المسألة، قال الأستاذ الإمام: وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من وقفهم الله تعالى على هذا السر قتلوا، والذين إنما شرع للناس كرامة، فكان الصواب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق، ومن حصمه الله تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتاه من يشاء، فقد ورد في الصحيح عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في هذا العلم اللدني الخاص، وقد سئل (هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء من العلم؟ فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتى الله عهداً فيها في القرآن... إلخ).

وأما ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شئون الله تعالى مع ملائكته صوره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسؤال والجواب ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول ولكننا نعلم أنه ليس كما يكون منا، وأن هنالك مبادئ قصدت إظهارها بهذه العبارات وهي عبارة عن شأن من شؤونه تعالى قبل خلق آدم، وأنه كان يمد له الكون، وشأن مع الملائكة يتعلق بمخلق نوع الإنسان، وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله.. وأما القائمة فهما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه

أحدها.. أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعباده أن يسألوه عن حكمته في صممه، وما يخفى عليهم من أسرارهِ في خلقه، ولا سيما عند الحيرة، والمسؤال يكون بالمقال ويكون بالفعال، والتوجه إلى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من بتأنيبه التي جرت سببه تعالى بأن ينهض منها (كالبحث العلمي والاستدلال العقلي والإلهام الإلهي).. وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير معروفة لأحد من البشر، فيمكننا أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك..

ثانيها .. إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمه ما يحصى على الملائكة فمن أولى بأن يحصى عليها فلا مطمع للإنسان في أن يعرف جميع أسرار الحقيقة وحكمها لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً ..

ثالثها . أن الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم واجابهم عن سؤالاتهم لإقامة الدليل، بعد الإرشاد إلى الخسوع والتسليم، وذلك بعد أن أحبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون علم آدم الأسماء ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتى بهامه.

رابعها .. تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس، ومحتاجتهم في النبوة بفير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا، فإذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فهما لا يعلمون، فاجدر بالناس أن يكونوا معذورين، وبالأنبيا أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين، أى طعنهك أيها الرسول أن تصبر على هؤلاء المكذبين، وترشد المسترشدين، وتأتى أهل الدعوة بسلطان مبين، وهذا الوجه هو الذى يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وبما جاء خاصة في الآية (٢٦) من هذه السورة وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب وكونه لا ريب فيه، وفي الرسول وكونه يبلغ وحى الله تعالى ويهذى به عباده وفي اختلاف الناس فيها، ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال من مسألة إلى أخرى متباينة لها أو قريبة منها مع كون الجميع في سياق موضوع واحد ..

وبعد ما عرض الإمام إلى آراء كثيرة في حقيقة الملائكة، وحقيقة هذا الحوار، وما دار فيه من آراء حكموا فيها تقاليدهم وعوائدهم قال: ولست أحيط علماً بما فعلت المادة والتقاليد في أممى بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينصرون من هذه المماتى كما ينصر المرصى أو المخدجون^(١) من جيد الأعطمة التى لا تضرهم، وقد يتوقع عليها قوام بنيتهم، ويتشبهون بأوهام مألوفة لهم تشبث أولئك المرصى والمخدجين بأضر طمام بمسد الأجسام، ويريد المقام لا أعرف ما الذى فهموه من لفظ روح أو ملك، وما الذى يتحيلونه من لفظ قوة، ليس الروح في آدمى مثلاً هذا الذى يظهر لنا في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان

(١) المخدجون من خدجت الناقة تصدج بالكسر خدجاً فمن خدج وأبها خديج أى نطقن لم يتم أيام العمل.

والإرادة والمعل ويدا سلوه صلوا ما يسمى بالحياة؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الأثار
فبعض وهبت له فإذا سمي الروح لظهور أثر قوة أو سميت القوة لحما، خصيصها روحا فهو
بصر ذلك بالدين أو ينقص معتقده شيء من اليقين؟ ألا لا يسمى الإيمان إيماناً حتى يكون
إدعاءً، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الواحد، ويخشع الأركان لذلك السططان الذي يقول به
الإيمان ولا يكون كذلك حتى يلقى الوهم سلاحه وبيع العمل فلاحه وهل يستكمل هذا لمن لا
يعلم ما يمكنه فهمه، ولا يعلم ما لا يتيسر له علمه؟ كلا، بما يعرف الحق هله ولا يصل سله
ولا يعرف أهل العلة، لو أن معكياً من عبده لأصاط من أسدهم دكاء، و أنزهم لساناً، أحد
بما قيل له إن الملائكة أحسام بوراية قذلة للشكل^(١) ثم نطلع عمله إلى أن يفهم معنى بوراية
الأحسام، وهل الصور وخذة له قوام يكون به شخصاً معياراً بدون أن يفهم بحزم حر كيف تم
يمكس عنه كدبالة المصباح أو سلك للكهرباء؟ ومعنى فاسية الشكل وهل يمكن لتسوي،
الوحد أن يتقرب في أشكال من الصور محطمة جسمها يربد وكيف يكون ذلك؟ لا نوع هي
حيرة ولو سأل عما يفقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من تعمد ما لا يستطيع حله؟ ليس
مثل هذه الحيرة بعد شك؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقع دون بواب لميت بطرف بما
لا يستطيع النظر إليه، لكنها حيرة من أحد يقول لا يفهمه وكلف نفسه علم ما لا تعلمه فلا
بعد مثله ممن آمن بالملائكة إيماناً صحيحاً وطمأن بإيمانه نفسه وأرجع به فيه ونه سق
لوهمة سلاح سارع به عقله كما هو شأن صاحب الإيمان الصحيح فليرجع هؤلاء إلى أنفسهم
ليعلموا أن الذي وفر فيها تعابيد حمت بالمعاول لا علوم حمت بالنسكية والطمأنية هؤلاء
لم يشرق في نفوسهم ذلك السر الذي يعبر عنه بالنور الأنهي والضياء المتكوتى واللاذ
القدسى أو ما يماثل ذلك من العبادات لم يسبق لنفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ولم
تكتحل أعين بصائرهم بنظرة إلى مطلع الوجود منه على الحق ولو علموا أن لعالم بأسره
هاب في نفسه وأن ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجه الكريم وإن ما كسب في الكون
وما لطف وما ظهر منه وما بطن إنما هو فيض من حوده ومسبة إلى وجوده وليس لشريف

(١) هذا هو التعريف المشهور في كتب الكلام وغيرها وول ما يصرف من به عليه أنه لا يصح فيه مصر بحسم في لغة
ولكنه صائر مأخوفاً وإلى لم يكن معهوداً

إلا ما أعنى بذكره منزلته، ولا الحسب إلا ما بين لنا بالنظر إلى الأول سببه، فإن كل مظهر من مظاهر الوجود هي بمسح واقع موقعه، ليس شيء أعنى ولا أحط منه، فإن كان كذلك ولابد أن يكون كما قدره، لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لأعسهم أن تجول في تلك الشؤون حتى تصل إلى مستقر الطمأنينة حيث لا يمارع العقل شيء من وساوس الوهم، ولا تحد طائفا من لحوق ثم لا يتحرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ آخر هذه القوى التي يرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا وقد حميت حقائقها عما ولم يصل أدق الباحثين هي بعثه عنها إلا إلى آثار تجل إذا كشفت، ونقل بل تصمم إذا حجت وهي التي يدور عليها كمال الوجود وبها يشأ الماشي، وبها ينتهي إلى عايته الكامل، كما لا يحصى على بيته ولا حامل البست أشمة من صباه لحوق البست أجل مظهر من مظاهر سلطانه؟ ألا تعد بمسحها من عالم المعب وإن كانت آثارها من عائم لشهادة؟ ألا بغور أن يشعر الشاعر منها بصرب من الحياة والاختيار خاص بها، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما يتصوره من حياتنا واختيارنا؟ يستكثر من العبر بما يقع عليه من شؤونها، ومعرفة الطريق إلى استدار مناهها؟

اليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم المعب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة؟ ليس هو أبدى وهب تلك القوى خواصها وقدر لها آثارها؟ ثم لا نقول أيها المعامل إنه بذلك وهبها حياتها لعاصفة بها ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه هيك وهي حيون مثلك؟ مع أنت لو سئلت عن هذا الذي ترعم أنك همته وسمينه حياة لم نستطع له تعريفا ولا لعمه بصريفا؟ لم لا تقول كما قال الله وبه يقول (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)؟ أنظر قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (الآية ١١) من سورة هـ ص ٦٣٠، ٦٣١.

وقوله عز وجل ﴿لو أرسلنا هـد القراص على جبل لرأته حاشفاً منصداً من خشية الله وتلك الأمثال بصرها للبأس لطهم يتركرون﴾ (الآية ٢١) من سورة العنبر ص ٧٢٣
وقوله سبحانه ﴿واوحى ربك إلى النحل أن اتعدي من لعمال بيوتاً ومن الشجر ومنهم يفرشون﴾ (الآية ٦٨) من سورة النحل ص ٢٥٤.

وعبارة الألوسى هي تفسيره للآية (١١) من سورة فصلت لعبارة ﴿إلتها طوعا أو كرها﴾ قال: الأمر هنا في الإتيان عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل من غير أن يكون هناك أمر ومأمور. انظر الألوسى جزء ٢٤ صفحة ٩١..

وقوله سبحانه في الآية (٧٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٦١: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ والمراد التمثيل أيضا.

وقوله تعالى: ﴿ومضرننا مع داود الجبال يسبحن والطهر... الآية﴾ الآية (٧٩) من سورة الأنبياء صفحة ١٢٨.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطهر... الآية﴾ الآية (١٠) من سورة سبا صفحات ٥٦٢، ٥٦١ وأوبي معه أى رددى ورجعى وقدمى الله معه. أهلا نزع أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها، ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون منهم عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام، أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟

فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبهة فهما حولك، وما بين يديك وما خلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارات التي تلقفتها عنهم، كي لا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها. أهلا يكون ذلك أروح لنفسك، وأوحى إلى طمانينة عقلك؟ أهلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب، ووقفت على سر من أسرار الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق، وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول (أما به كل من عند ربنا) فلا تَرُم طلاب المعرفة بالريب ماداموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته، وهم في إيمانهم أعلى منك كمها، وأرضى منك بربهم نفعا، ألا إن مؤمنا لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة.

﴿رعدا﴾ واسما هينئا، ﴿ارلها﴾

وحرهما

المعنى ان الله سبحانه وتعالى رد على الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون من الحكم الحافية عليهم التي منها أنه سيكون من اولاد ادم سيون وصديقون وشهداء وصالحون، ثم اعد سبحانه ادم ليكون مستعدا ليعرف باحتشاده خصائص المخلوقات فيجتمع بها بحلاف الملائكة فانهم لا يعرفون إلا ما يطلعهم الله تعالى عليه ولذلك لما تبين بعد انه معكر مخترع قال الله للملائكة انم اقل لكم انى اعلم عيب كل شيء ثم صيرة اخرى للإنسان حين طلب من جميع المخلوقات وهى مقدمتهم

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَلَمْ يَأْتِ الْآتِهَا كُلَّهَا
ثُمَّ عَزَّيْزٌ قُلُ الْمَلَكَةِ صَلَّاءُ يُعْرَفُونَ بِاتِّحَادِهِمْ قَوْلَهُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا سَجَدَ لِأَدَمَ قَامَ
إِلَّا مَا عَلِمْتَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ
أَنْبِيَاكُمْ بِاتِّحَادِهِمْ قَوْلًا لِيُؤْمِنُوا بِكُمْ فَقَالَ أَتَرَأَوْهُ لَكَ
إِنْ أَعْلَمَ عَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمَ مَا تُدْرِكُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدْ لِأَدَمَ فَسَجَدَ
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾
وَقُلْنَا يَتَقَدَّمُ لَدَمَ سَكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ فَفَرَّغَا الشَّيْءَ قَبْلَ أَنْ يَنْفَخَنَّ الْفَخَّارَ
فِيهِ وَقَدْ أَقْبَضُوا بِصُكْرٍ لِيَتَجَسَّسَا عَلَى الْأَرْضِ

ملائكة وهم اشرهم الحصوص لآدم ودرينه فحضمو الا ايليس استكبر وكسر بأمر ربه وقتلنا بعد ذلك بكرهما لآدم سكر أنت وروحك الجنة وهى حنه لا يعلم حقيقتها إلا الله، وكلا منها كلا هينئا واسما لا حعر هيه إلا شجرة عيبها لهما وهو سبحانه اعلم بها فوسوس لهما اشيطان حتى كلا منها ما حرحهما من نعيمها، هفك لثلاثة اهلوا إلى الأرض، وسيكون ايليس ودرينه لآدم وأولاده اشد الأعداء كما فى الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨

(١) الملائكة

(٢) صادق

(٣) مستعد

(٤) يا آدم

(٥) حرم

(٦) الملائكة

(٧) الكافرين

(٨) يا آدم

(٩) الظالمين

(١٠) الشيطان

سَمِعْتُ وَمَنْعَ بَنِي حَبْرٍ ۝ قَتَلَ آدَمَ مِنْ رَجُلٍ يَكْتُمُ
قَاتِلَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ كَتُومٌ أَرْجَبُ ۝ فَلَمْ لَقِطُوا
مَنْ جَمَعَهُمْ بِأَيْتِكُمْ مَنِ هَدَى قَسْرَ بَيْعٍ هَدَى فَلَا
حَرْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا فَمَ يَحْمِلُونَ ۝ وَلَهُمْ كُفْرٌ وَكَذِبٌ
يُطِيبُ وَيُثَبِّتُ الْأَعْيُنَ لِمَنْ هُمْ فِيهَا حُلْدُونَ ۝
يَسِيئُ الْإِنْسَانُ أَلَّا عَصَرُوا بِمَنْزِلِ أَلَى شَعْنٍ عَلَيْكَ
وَأَوْفَى يَتَّبِعُونَ وَأَفْ يَهْدِيكَ وَيَسِيئُ فَاذْهَبْ ۝
وَيَسُو عَلَى رَأْسٍ مُنْفَعَةٍ يَتَّبِعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ وَلَا تَكُونُوا يَدْنِي كَمَا قَبِلُوا وَلَا يَسْمَعُونَ ۝ وَلَا
تَقْبَلُوا الْحَقَّ أَنْ تَقْبَلُوا الْحَقَّ وَتَسْمَعُونَ ۝
وَأَتَيْنَا النَّسْرَةَ وَهِيَ تَرْتَلُومُ وَأَرْكَمُوا أَرْضَ يَكُونُ ۝
وَأَتَيْنَا النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَهُمْ كَانُوا يَكُونُونَ ۝

﴿مستقر﴾: موضع قرار.

﴿متاع﴾: كل ما يتمتع به إلى حين هو قهيم

الساعة.

﴿عارهين﴾: ضاعفوني.

﴿تلبسوا﴾: تعللوا.

﴿البر﴾: كل ما فيه خير.

المعنى: اهبطوا إلى الأرض ولكم فيها

مكان استقرار وما تتمتعون به مما تخرجه

إلى انقضاء الدنيا. والهم الله تعالى آدم بعد

ذلك كلمات قالها إعلانا للتوبة، وهي ﴿ربها

فلاننا أرمسا﴾ الآية (٢٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٥. فلما قالها تاب الله تعالى عليه

لأنه كثير قبول التوبة رحيم بمعباده ثم كرر الأمر بالهبوط ليرتب عليه تحذيره بقوله فلان يا أياكم

(١) ومتاع

(٢) كلمات.

(٣) بارأنا.

(٤) اصحاب.

(٥) خالدون.

(٦) يابس.

(٧) إسرائيل.

(٨) وياي.

(٩) ياباس.

(١٠) وياي.

(١١) بالباطل.

(١٢) الصلاة.

(١٣) الزكاة.

(١٤) التواضع.

(١٥) الكتاب.

من هدى في كتاب أو على لسان رسول فمن سار عليه فلا يحاف يوم القيامة من سوء ولا يحزن لموات حيرو.

أما الذين كفروا وأعرضوا عن هذا الهدى محاللون في جهنم ثم حاطب اليهود بصوله يا بني إسرائيل أي بأولاد يعقوب اذكروا نعمتي على بانكم حين بعينهم من هرعون ومن العرق وطلبت عليهم نعمام هي إليه إلى غير ذلك واشكروها بطاعتني وأوهوا بعهدى الذي أحدثه عليكم هي التوراة من الإيمان بكل رسول يأتي مصدقا لما هي التوراة ومنهم محمد ﷺ أوف بعهديكم لدى وعدكم به من السعادة في الدنيا والآخرة ولا تحافوا عيرى و سوا بالقرآن المصدق للتوراة هي التوحيد وسوء وعير ذلك من مكارم الأخلاق ولا تصح أن يكونوا به ما هل الكتاب ول كاهر بهد بقرآن فينبعكم عيركم فيكون نعمه عيركم ولا تستبدلوا بسبب تعذيب يأتي في سورة من حذف صفة محمد ﷺ إنما قليلا هو حب الرياسة ورخرف الدين واحدرو عداي ولا تعلطوا الحق الذي أمر عليكم بالساطل لدى تصدرويه ولا يكفوا الحق وهو صدق محمد ﷺ وأنت تعلمون أنكم ملبون كاذبون فإد الله فافهموا الصلاة وأبو الزكاة واحصعوا لأوامر الله عز وجل مع الحاصمير لها من المسلمين بطر الآية (٦٥) من سورة النساء صفحة ١١١ والآية (٥٥) من سورة المائدة صفحة ١٥٨ وكان الأحبار يأمرهم أتباعهم بالعمل بما هي التوراة من لبر وبقوى وكانو هم لا يعملون إلا بما يوافق شهوتهم. فوبعهم لله بقوله أأمرؤ أساعك بالبحر وتركون نفسك مع بكم أنتم الدين تقرأون التوراة التي ليس لكم عقل بفنكم من هدى

﴿عدل﴾ فداء.

﴿يسومونكم﴾ يديقونكم.

المعنى واستعبو عني ما يلاهبك بالضر وعدم لصحر وبانصلاء لاها تربط لمرء بربه فلا سالى بشيء ور الصلاة لصحيحة الكاملة بشرى حدث هذا الأثر شافه عى لموس

أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ (١) وَاسْتَعِذُوا بِالْعَصَى وَالْأَسْوَءِ وَبِهَا تَكْفُرُونَ
إِلَّا عَلَى الْخَافِينَ ۝ (٢) الَّذِينَ يَطُوفُونَ سَبْعَ مَدَائِنَ
وَأَسْمَاءَ رِجَالِهِمْ ۝ (٣) يَدْعُونَ بِسْمِ اللَّهِ إِنْ كُنَّا مِنْكُمْ
أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَفِي صُلْبِكُمْ عَلَى الَّذِينَ ۝ (٤) وَآمُرُ
يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَمْعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدَدٌ وَلَا تُمْ يُصْرُونَ ۝ (٥) وَذَعَبَكُمْ
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُومُونَكُم بِسَوْتٍ مُّطَوِّعٍ مُّطَوِّعٍ مُّطَوِّعٍ مُّطَوِّعٍ
وَيَسْتَحْيُونَ بَنِيكُمْ ۝ (٦) وَبِذَلِكَ تَلَاةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ (٧)
وَإِذْ عَرَفَ بَنُو إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ قَدْ كُنُوا فِي فِرْعَوْنَ وَاسْتَكْبَرَتْ
نُفُوسُهُمْ ۝ (٨) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِيثَاقَهُمْ فَنَقَضْنَاهُمْ
أَلْفَاظَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ۝ (٩) وَأَنْتُمْ تَخْلِفُونَ ۝ (١٠) ثُمَّ عَمَّوْا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ (١١) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

اللاهية اللاعبة، دون النفوس الخاشعة
المطمئنة، لأنهم يوقنون أنهم سيلاقون ربهم
الذي يقفون بين يديه في الصلاة بدعوه
تصرعا وخيفة، يلاقوه بالبهت ويرجعون إليه
للحساب والجزاء، ثم أعاد تذكيرهم بنعمته
عليهم ليذكر منها تفضل آياتهم على عالمي
زمانهم. ثم أنذرهم بقوله: واتقوا يوما أي
خافوا يوم القيامة الذي لا تنفع فيه نفس
صالحة نعمًا عاصية بشيء، ولا يقبل فيها
شعاعة مطلقا إذا كانت كافرة، إلا بإذنه تعالى
إذا كانت مؤمنة عاصية، ولا يقبل من الجميع
فداء، ولا تجد نفس عاصية من ينصرها

فيمنع عنها العذاب، وأذكروا يا بني إسرائيل حين نحيبكم من فرعون وقومه لما كانوا يديقونكم
أشد العذاب من دبح الذكور من آبائكم وترك البنات أحياء. وفي هذا ابتلاء لكم عظيم لما فيه
من إهانة النساء وإذلال الرجال، وأذكروا نعمته عليكم حين خلق لكم البحر الذي دخلتموه فراراً
من فرعون فأنجاكم، وأغرق فرعون وقومه وأنتم تتظنون إليهم وهم يفرقون، وفي هذا سرور
عظيم بهلاك العدو. وأذكروا أيضاً حين صرنا لموسى موعداً أربعين ليلة يعطيه بعدها التوراة
التي فيها هدايتكم، وبعد ذهابه عبيدتم المجل، وظلمتم أنفسكم، وكان حقكم الهلاك، ولكن عموا
عنكم من بعد هذا الجرم لعلكم تشكرون نعمتنا فلا تعودون لمعصيتنا. وقد فصلت هذه القصة
الآخيرة في سورة الأعراف الآيات (١٤٢)، (١٤٨ - ١٥٢) صفحات ٢١٤، ٢١٥ - ٢١٦

(٣) ملاقو
(٦) العالمين
(٩) فنجيكم

(٢) الخاشعون.
(٥) يا بني إسرائيل.
(٨) نحيبكم.
(١١) ظالمون.

(١) الصلاة.
(٤) راجعون.
(٧) شعاعة.
(١٠) واعصا.

وَالْعَرَقَانِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَنْقُومُ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَادِكُمُ الصُّلَّ عَتُوبًا إِلَّ
بَارِكُمْ فَاذْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ حَيُّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَتَبَّ
عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسِي
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَاُحْدَثَكَ الْأُفْعُفَةَ
وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ نَعَّسْنَا مِنْ تَحْتِ يَدَيْكَ لَعَلَّكَ
تُشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَطَلَّ عَلَيْكَ الْقِمَامُ وَأَرْسَا عَلَيْكَ النَّسْ
وَالسَّلَوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشْتُمُونَ رَعْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ حَيْثُ أَوْفَرُوا
حِطَّةً نَعْفِرْكُمْ حَقَّ عَلَيْكُمْ وَنَسِيتُمْ الْبُيُوتَ الَّتِي كُنْتُمْ
فِيهَا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ

﴿الفرقان﴾: المارق بين الحق و الباطل.

(الصاعقة) صوت شديد مصحوب بنار.

﴿الن﴾: مادة حلوة تشبه العسل..

﴿السلوى﴾: الطير السمائي. ﴿رعدا﴾: كثيرا

طيبا. ﴿القرية﴾: هي أريحاء بالشام.

﴿حطة﴾: إسقاط.

المعنى: واذكروا يا بني إسرائيل حين أتينا

موسى النوراة المارقة بين الحق والباطل

لهدايتكم. واذكروا أيضا نعمتي عليكم بقبول

التوبة حين طلب منكم موسى أن تتوبوا عن

عبادة العجل بقتل أنفسكم، لأن القتل أهون

من العلود في النار. ولما أطعتم تاب عليكم

ربكم لأنه كثير قبول التوبة رحيم بعباده واذكروا حين تعتم وطلبتكم رؤية الله عز وجل عبادا

ليحبركم بصعقة ما جاء به موسى فأهلككم الصاعقة وأنتم تتظربوها تحل بكم فيرداد هرعكم.

ثم بعد ذلك أحييناكم لعلكم تشكرون ربكم. ومن نعمنا عليكم أننا حمضناكم من شدة حر التيه

مادة أربعين سنة كما هي الآية (٢٦) من سورة المائدة صفحة ١٤١. بتظليل العمام وإسراال المن

والسلوى لئلا يفتلكم الجوع في الصحاري القاحلة. وما ظلمنا هؤلاء اليهود حين عصوا ولكنهم

هم الذين ظلموا أنفسهم بنسبهم في العقاب واذكروا حين أقديناكم من التيه وقلنا لكم

ادخلوا قرية أريحاء متواضعين لله، وكلوا مما فيها من حيراتنا. وقولوا عند دحولكم بابها طلبنا

(١) يافوم

(٢) ياموسى

(٣) لصاعقة

(٤) بمشاكم

(٥) طيبات

(٦) رزقناكم

(٧) حمضناكم

الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ مَا كَانُوا يَعْتَفُونَ ﴿٥١﴾
 • وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ بِقَوْمِهِ ۖ فَقَدْ أَصْرَبَ بِقَبْلِكَ
 الْحَبَرَ فَانصَبْتَ مِنْهُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِئًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَّشْرِبَهُمْ كُفْرًا وَاشْرِبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ فِي الْأَرْضِ
 مَنصِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ظَلَمَ يَسُوفِينَ لَن تَصِيرَ عَلَىٰ مَعَارِ
 وَجِدٍ فَاذْعُكَ رَبُّكَ يُخْرِجُ لَكَ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضَيْنِ
 بَقِيَّةً وَفَنَاءً ۖ وَهُمَا وَعَظِيمٌ وَتَصْلِيَةٌ ۖ قَالَ اسْتَبِدُّونَ
 الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا ۖ هَلْ نَكْمُ مَا
 سَأَلْتُمْ وَصِرْتُمْ عَلَيْهِمُ الدِّيلُ وَالسَّكَنَةُ ۖ وَتَأَدُّو بِحُصْبٍ
 مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِفَنَيْتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
 النَّبِيَّ يَحْيَىٰ الْحَقُّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
 إِنَّا الَّذِينَ هَادُوا ۖ وَالَّذِينَ هَادُوا ۖ وَالنَّصَارَىٰ وَالصُّبُهَىٰ مِّنَ

ميك يا رب حمد وإسقاط خطاياها عنا. فتغفر
 للمعصية منكم، ونزيد المحسن إحسانا.
 فبدل الظالمون منكم كلمة (حطة) بكلمة
 (حنطة) يلثنون استهزاء بما قيل لهم كما يفعل
 السفهاء.

﴿رجزا﴾: عذابا..

﴿استسقى﴾: طلب المسقى أى الشرب.

﴿مشربهم﴾: موضع شربهم.

﴿تعثوا﴾: تفسدوا..

﴿بقليها﴾: ما تثبته الأرض من الخضضر

كالكرهض والكراث وكل ما يفرى بالأكل.

﴿فثانها﴾: تحت الخيار ويسميتها العامة هي مصر (قطة)

﴿هوما﴾: ثومها.

﴿مصر﴾: بلدا كبيرا هي الحضرة.

﴿ياموا﴾: رجموا.

﴿الذين هادوا﴾. أى دخلوا في اليهودية أى اليهود.. وقد تكلم الراغب الأصفهاني في كتابه

غريب القرآن صفحة ٥٦٩ عند قول الله تعالى ﴿والذين هادوا﴾ فقال: اليهود الرجوع برهق،

ومنه التهويد وهو معنى كالديب وصار اليهود في المتعارف التوبة من الذنب. قال تعالى ﴿إنا

(١) يا موسى.

(٢) بآيات

(٣) النبيين

(٤) النصارى.

(٥) والصابئين.

هدنا إليك» الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧ أى تينا إليك وقال بعض العلماء يهود فى الأصل قولهم (هدنا إليك) وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم اسما لازما لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح ويقال هاد هلال إذا تحرى طريق اليهود فى الدين. والمرب قد تشق من اسم العلم همل فتقول (من لفظ فرعون) تَقَرَّعَ أى صار جبارا كفرعون مصر، وتقول هلال تَطَلَّعَ إذا فَعَلَ فَعَلَّ الطفل الصغير وصار يحضر الموائد بدون دعوة من أصحابها، ومنه الطُمَيْلَى الذى يحضر بدون دعوة كما يفعل الأطفال.

﴿الصائبين﴾: قوم كانوا على دين نوح ثم حرفوا وعبدوا الكواكب.

المعنى: فلما بدلوا ما قيل لهم أنزلنا على الظالمين منهم عذابا بسبب فسقهم. واذكروا يا بنى إسرائيل حين طلب موسى من ربه الماء ليشرب قومه فى التيه فمعجرتنا لهم اثنتى عشرة عينا بعدد قبائل الأسباط المشار إليهم فى الآية (١٦٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٨. لتعلم كل قبيلة مكان شربها فلا يراحمها غيرها، وقتنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا مما رزقناكم، ولا تفسدوا فى الأرض فتعدوا فى عداد المفسدين فيلكم. واذكروا حين قتلتم وأنتم فى التيه لموسى لن يصبر على طعام واحد لا يتغير، هو المن والسلوى. فاطلب من ربك ما يعتج شهيتنا من البقول والقثاء . إلخ. فقال موسى: لا يصح أن تتركوا طعاما طيبا وتأخذوا بدله خسيسا لا يوجد إلا فى البلد الكبير فى الحضر، ثم بين سبحانه مآل أمرهم حتى بعد خروجهم من التيه فقال: وصريت عليهم الدلة أى لرمهم الذل والهوان والاستكانة وعدم القوة المادية، ورجعوا بقصب من الله بسبب كفرهم بآيات الله وتعديهم على أبيائهم بالقتل، وذلك بسبب ما تاصل فى طباعهم من الجرأة على المعاصى وتجاوز حدود الله. ومع كل هذا فياب التوبة مفتوح لكل الطوائف. فالدين امنوا بمحمد واليهود والنصارى والصائبون هم من امن منهم إيمانا صحيحا.

﴿ميثاقكم﴾: هو العهد على العمل بما فى التوراة.

﴿الطور﴾: الجبل المعروف الذى تاحى موسى ربه عليه.

لَسْ يَاقُوهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَنَحْمِلُ صِلَاحَهُمْ بِحِزْمِ غَدٍ
 رَيْبِهِمْ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
 مِيثَاقَكَ وَوَضَعْنَا فَوْقَكَ الطُّورَ حُدُودًا مِمَّا آتَيْنَاكَ بِقُوَّةٍ
 وَأَذْكُرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ سَمِعْتُمْ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ بَوَّلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨﴾
 وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِنْكُمْ الْبَيْعَ فَكَلَّمْنَا هُنَّ
 كُتُوبًا بِرَدِّهِنَّ حَبِيبِينَ ﴿٢٩﴾ فَعَمِلُوا كَعَمَلِ الْفَالِاسِ بِدِينِهَا
 وَمَا حَلَفْنَ وَمَوَعظَةُ الْمُسْعِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا قُرَّةَ ظُهُورِ أَنْبِيَائِهِمْ هَارُونَ
 قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا أَذْهَبَ لَكَ
 رَيْبٌ يَوْمَ الْمَعْيِ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ تَأْكُلُ خَشَاشًا
 وَذُرًّا مَذْكُورًا بَيْنَ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾

﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾: قال المرحوم

الشيخ محمد عبده في الجزء الأول من
 تفسيره صفحة ٢٤٠: ذكر لنا سبحانه دفع
 الطور فوق بني إسرائيل ولم يذكر لنا أنه أراد
 بذلك الإكراه على الإيمان وإنما حكى عنهم
 في آية أخرى أنهم ظلموا أنه وقع بهم فقد
 قال تعالى في سورة الأعراف في الآية ١٧١
 صفحة ٢٢٠ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ
 ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
 وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. والفتق
 الرغرة والهرز والحذب، والمرب تقول فتق

الشيء يفتقه، ويثقه من باب ضرب يضربُ وتثق يثقب ثقباً إذا حذبه واقتلعه، وقد يكون ذلك
 في الآية سوع من الرلزل كما يدل عليه تعبير التثقب وهو في الأصل بمعنى الرغرة، والمصنوع
 من أحد الميثاق منهم لإيمانهم وعاهدوا موسى عليه ورفع الطور وظنهم أنه وقع بهم من
 الآيات وأنها بعد أحد الميثاق، كان ذلك ليأخذوه بقوة واجتهاد، والله أعلم (السبت) هو اليوم
 المعروف بهذا الاسم من أيام الأسبوع.

(١) صالحي

(٢) ميثاقكم

(٣) آتيناكم

(٤) الحاسرين

(٥) حاسنين

(٦) جعلناهم

(٧) بكالا

(٨) الحاهين .

وتمصيل حادثته في الآية ١٦٣ من سورة الأعراف صفحة ٢١٩.

﴿حاسثين﴾ ادلاء حميرس ﴿نكالا﴾ عبرة مابعة من ارتكاب مثلها

﴿ما بين يديها﴾ هي الامم التي في زمانها ﴿ما حلمها﴾ الامم الآتية بعدها.

﴿مروا﴾ مهروءا بنا

﴿فارض﴾ - مسة كبيرة

﴿عوان﴾ : وسط.

المعنى من آمن من كل هذه الطوائف إيماننا صحيحا بالله إلخ فلا يصح أجره عند الله، ولا يحاف من مكروه يناله يوم القيامة، ولا يحزن على فوات مرغوب. واذكروا يا بني إسرائيل حين احدينا عليكم العهد على العمل بالتوراة وقد رخصنا فوق رموسكم الحبل لريكم قدرتنا وآياتنا وقتلنا لكم حدود التوراة بجد واجتهاد وتدبروا ما فيها واعملوا به لتموزوا بتقوى الله، ثم بعد هذا التشديد هي الميثاق أعرضتم عن الوفاء به، فلولا فضل الله بتوفيقكم للثوبة ورحمته بعموه عن ديوبيكم لكنتم من الهالكين ولقد عرفتم الدين تحاوزوا الحد منكم في يوم السبت بصيدهم الحيتان وقد نهوا عن ذلك كما هو مبين في الآية ١٦٣ من سورة الأعراف فمسخناهم قردة محقرة وجعلنا تلك العقوبة عبرة للأمم الموجودة في عصرها ولم يأتى بعدها وتذكيرا للمتقين ليردوا تقرر واذكروا حين قال موسى لقومه عندما احتلموا في قتل شعبس إن الله يأمركم أن تدعوا بفوه فقالوا أنهرا بنا قال اعود بالله أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون قالوا اسأل الله بين لنا ماسنها، قال إنه يقول إنها بقرة منوسطة السم لا مسة ولا صغيرة، بل وسط بين ذلك.

﴿ماقح﴾. شديد الصمرة..

﴿دلول﴾. سهولة القيادة متمرنة على العمل

﴿تشير الأرض﴾ تحرثها (الحرث): الأرض المهيأة للزراعة

قَالُوا أَدْعُكَ رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوَبَّ لَوْبَ سُورِ اسْتِطْرَبَ ①
 قَالُوا أَدْعُكَ رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْأَعْرَابَ عَابُوا
 وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِلهَهُ لَمُهَنْتُونَ ② قَالَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 لَا أَفْلَحُ بِنِعْمِ الْأَرْضِ وَلَا لِنَسْلِ الْخَرْتِ مُلْكُهُ لَا يَنْبَغُ
 قَالُوا أَتَقْتُلُونَنَا يَا لَئِيْلَ مَا نَحْكُمُونَ ③
 وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا وَأَلْفَ تُخْرِجُ مَا كُنتُمْ
 تَكْفُرُونَ ④ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ كَذَلِكَ يُخَوِّفُ
 الْغُفُورَ وَيُرِيكَ آيَاتِهِ تَعْلَمُونَ ⑤ ثُمَّ قَسَتْ
 قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَشَدُّ قَسْوَةً
 وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يُصْقَرُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا
 لَنَفْسٌ مَخْرُجَةٌ إِلَىٰ أُولَئِكَ وَمِنْهَا لَنُجُودٌ ⑥

﴿مسلمة﴾. حالية من الميوسب...

﴿الشبهة﴾: بقعة من لون يعاير اللون العام

للشيء. ﴿إداراتكم﴾: تعاصمتكم وصار كل يدرا

الشبهة عن نفسه.

المعنى قالوا اطلب من الله بيان لونها، قال

إنها صفراء شديدة الصغار تميز الناظر إليها،

قالوا بين لنا هل هي عاملة تحرث وتسقى أم

سائمة لم تعمل أبداً. قال: هي سائمة لمحت

سهلة القيادة ولم تعمل في حرث ولا سقى

وليس بها علامة من لون آخر غير الصفرة.

قالوا الآن جئت بالبيان الواهي. وبعثوا كثيرا

حتى وحدوها وأبحوها بعد مشقة هي العثور عليها وبما أنكم قتلتم نفسا واحتلمتم في معرفة
 القتال والله سيحرقه من بينكم فاصربوا القتل بجره من هذه البقرة، فصرىوه فأحياء الله
 تعالى وذكر لهم اسم قاتله ثم مات ثانياً فكما أحياء الله هذا الرجل أمام أعينكم هو قادر على
 إحياء الموتى يوم القيامة للحساب، فلا يصح إنكاره بعد أن رأيتم هذه الأدلة فاعقبوها ثم بعد
 كل هذا قست قلوبكم أيها اليهود وتصلبت عن قبول الحق، فهي كالحجارة في لقسوة أو أشد،
 لأن من الحجارة ما ينسج من الأنهار الواسعة، ومنها ما يشقق طولاً وعرضاً فيسيل منه الماء
 ومنها ما يهبط من أعلى الحبل طوع ما يريد الله لا يتأخر، فالحجارة أسمع من قلوبكم مع
 تنفيذها ما هيئت له، أما أنتم فتعملون بقصص ما طلقه الله منكم، وما الله بعاقل عما تعملون
 وسيحاريكم عليه.

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَصْنَعُونَ ﴿٢٣﴾ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
بِكُرِّهِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ تَسْمَعُونَ قَوْلَهُ ثُمَّ يَجْرُونَ
مِنْ بَيْنِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
آمَنُوا قَالُوا آمَنَ وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
أُتِينَا بِهِمْ مَا مَحَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يُبَاخِعُكُمْ بِهِ عَدُوُّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا
أُمِّيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَهْتُمُونَ ﴿٢٧﴾ قَوْلَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
الْكِتَابَ بِأَنَّهُمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ
لَيَكْفُرَنَّ قَوْلًا فَهِيَ كَأَنَّهُ كَتَبَتْ يَدِيهِمْ وَقِيلَ لَهُمْ قُلْ
يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا لَنْ نَحْمِلَ النَّارَ إِلَّا بِمَا نَعْدُوهُ
قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَكُمْ أَمْ تَقُولُونَ

﴿أمانى﴾ أكاذيب، كان النبي ﷺ وأصحابه

يظنون أن أقرب الناس إلى الإيمان هم اليهود
دون المشركين والمصلين، لأن أغلبهم موحدون
ولأن الإسلام خفف عنهم ما شددت عليه
التوراة، فقال سبحانه لنبيه وأصحابه: أبعد كل
ما سمعتموه من جرائمهم التي عذبناكم لکم
فيما سبق ما زلتهم تطعمون في أن يصدقوا
دينكم لأجل دعوتكم لهم إليه مع أنهم
مفهمون في شرور أخرى، فمهم أخبار
يعرهم التوراة ويضربونها تفسيراً فاسداً
ليحافظوا على شهواتهم وهم يعلمون أنهم
مفترون، ومنهم منافقون إذا لقوا المؤمنين

قَالُوا آمَنَّا مثلكم بصدق ما جاء به النبي، وإذا خلا بعض اليهود من هؤلاء المنافقين ببعض آخر
لم يهاق قال هذا الأخير محطنا المريق العفاق كيف تحبرون المسلمين بما أظلمكم الله عليه
في التوراة من صدق نبيهم هيقيموا عليكم الحجة يوم القيامة بأنكم كنتم تعرفون صدقه أفلا
تعقلون أنكم بعملكم هذا أصبتم حجة لنا كان يمكن أن يعتذر بها يوم القيامة، وهي أن يقولوا
كنا نجهل أنه نبي فسمه سبحانه عقولهم بقوله أولا يعلم هؤلاء السفهاء أن الله يعلم ما يصررون
وما يعلمون ومنهم فريق أميون لا يعلمون من التوراة إلا أكاذيب تلقوها عن رؤسائهم وليس عندهم
إلا ظن ووهم لا يعنى من الحق شيئاً، ومن أخبارهم فريق يكتب بيده كتاباً ويقول لأنساعه هذا من
التوراة ليتوسل بذلك إلى متاع رائل، فالحال ذلك والمذاب هؤلاء بسبب اعتراهم وبسبب كسبهم
الحديث ولما توعدهم القرآن بالنار قال رؤسائهم لعمامهم ليصرهم عن الخوف من النار إن
في التوراة أن النار لن تحس اليهود إلا أربعين يوماً، وهي المدة التي عيد فيها أجدادهم المعجل
هرد سبحانه بقوله هل اتخذتم بذلك وعداً من الله أم تفترون على الله بغير علم..

﴿الميثاق﴾ . العهد .

﴿وقولوا للناس حسنا﴾ . اى قولوا حسنا

هذا كانه هو الحسن نفسه .

﴿تظاهرون عليهم﴾ . تتعاونون .

﴿الائثم﴾ : المعصية

﴿العدوان﴾ : الظلم .

﴿تعادوهم﴾ : تفكوا اسراهم بالعداء .

المفسر يلى . اى ستمسككم النار حالدين

فيها . لان حكم الله العام فى كل الامم ان من

ارتكب سيئة واسترسل فى العطينة حتى

سدت عليه مفاخذ النجاة هبات على الشرك

فانه يحلده فى جهنم لا فرق بين يهودى وغيره . اما من آمن وعمل صالحا فانه يحلده فى الجنة

عَلَى أَهْلِ مَالِئُونِ ١) بَيْنَ مَنْ كَتَبَ سِئَةً ٢) وَاحْتَلَتْ
بِهَا حُلُمُهَا ٣) فَلَوْ تَكُنْ أَصْحَابُ الْبَرِّ ٤) هُمْ مِمَّا حُلِدُونَ ٥)
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٦) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ٧)
هُمْ مِمَّا حُلِدُونَ ٨) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ٩) وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ١٠) وَدَى الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى ١١) وَالْمَسْكِينِ ١٢) وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا ١٣) وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ ١٤)
وَأَتُوا الزَّكَاةَ ١٥) ثُمَّ وَبَّيْنا ١٦) إِلَّا قَلِيلًا ١٧) يَكْفُرُونَ ١٨) وَأَتِمُّوا صَوْمَ ١٩)
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ٢٠) لَا تَسْعَى ٢١) دِمَاءَكُمْ ٢٢) وَلَا تَخْرُجُونَ
أَعْيُنَكُمْ ٢٣) مِنْ دِينِكُمْ ٢٤) ثُمَّ أَقْرَبْتُمْ ٢٥) وَأَسْمَأْتُمْ ٢٦) تَسْبُحُونَ ٢٧) ثُمَّ أَسْمَأْتُمْ
هَؤُلَاءَ ٢٨) تَقُولُونَ نَفْسُكَ ٢٩) وَتَخْرُجُونَ ٣٠) فَرِيقًا يَكْفُرُونَ ٣١) مِنْ دِينِكُمْ
تُظَاهَرُونَ ٣٢) عَلَيْهِمُ الْآثِمُ ٣٣) وَالْعَدُو ٣٤) وَإِنْ يَأْتُواكُمْ ٣٥) مُسْرِئًا
مَقْتُولًا ٣٦) وَهُوَ مُحَرَّمٌ ٣٧) عَلَيْكُمْ ٣٨) إِتْرَاجَهُمْ ٣٩) أَصْرُومُونَ ٤٠) يَحْيَى

(١) وأحاطت

(٢) أصحاب .

(٣) حاللون

(٤) الصالحات

(٥) أصحاب .

(٦) حاللون

(٧) ميثاق

(٨) إسرائيل .

(٩) وبالوالدين

(١٠) واليتامى

(١١) والمسكين

(١٢) الصلاة

(١٣) زكاة

(١٤) ميثاقكم

(١٥) دياركم

(١٦) ديارهم

(١٧) تظاهرون

(١٨) والعدوان

(١٩) أسارى

(٢٠) تعادوهم

وأذكر حين شددنا عليهم العهد في التوراة بأن لا يعبدوا إلا الله ويحسنوا للوالدين ولدى القريبى
واليتامى والمساكين، وأن يقولوا القول الحسن كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في
الشهادة وغير ذلك، وأن يصلوا ويركوا على الوجه المشروع في التوراة ففبئس أبها لليهود هذا
العهد ثم انصرفتم عن الوفاء به وأنتم على عاداتكم من الإعراض عن كل خير إلا قليلا منكم
وهم من أحسنوا صنعا فيما مضى ومن آمنوا بمحمد الآن. وكان بالمدينة قبل الإسلام حروب
بين قبيلتين من العرب هما الأوس والخزرج وكان بعض اليهود حليفا للأوس، والبعض الآخر
حليفا للخزرج، وكان كل فريق من اليهود يقاتل اليهود الذين مع الفريق الآخر ويحرقونهم من
ديارهم ويأسروهم، وبعد انتهاء الحرب يمد كل فريق من اليهود أسرى اليهود من الفريق
الآخر، فإذا سئلوا كيف تعدونهم وقد كانوا يقاتلون مع أعدائكم؟ قالوا لأن الله أمرنا في التوراة
بعداء أسرى اليهود، فإذا قيل لهم ولم تقاتلهم وهم منكم؟ قالوا حياء من أن يقلب حلفاؤنا
العرب. وكان الله سبحانه قد أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يحرجه
من دياره، وأن يمديه إذا أسر وكانوا جميعا أقروا بهذا العهد وشهد كل منهم على الآخر به، ولما
حالفوا التوراة في عدم القتل وعدم الإحراج فأخرجوا إخوانهم من ديارهم وتعاونوا مع العرب
على العدو عليهم ومع ذلك حافظوا على المدا، وبخهم الله تعالى بقوله أفتؤمنون ببعض
التوراة وهو ما فيه الأمر بالمدا وتكفرون ببعضها وهو ما فيه تحريم القتل والإحراج من الديار،
ويظهر هذا الرد سياثي في الآية (٩١) من سورة البقرة صفحة ١٨.

﴿قمينا﴾ اتبعنا رسولا بعد رسول.

﴿روح القدس﴾ الروح المقدس الطاهر وهو جبريل

﴿عف﴾ جمع علف أى معلمة ومعلمة لا يصل إليها شيء.

﴿ستفتحون﴾ يطلون المتح وانصر.

المعنى هما حراء من يفعل هذه الحرائم إلا ذل هي الدنيا. وقد وقع ذلك بمثل بني قريظة
وطرد بني النضير من يهود المدينة إلى الشام وبوم الصيامة يلاقون أشد العذاب أو تلك الدين

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ مِثْقَلًا
فِي الْمِيزَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْكَ أُنْزِلَ
الْعَذَابُ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ عَنْ مُنْجِلِ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٨﴾ أَوْفَيْتُ الَّذِينَ
كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَجْعَلُ عَنْهُمْ عَذَابٌ
وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا
بِهِ رُوحَهُ بِإِذْنِ رَبِّكَ وَكُتِبَ فِي الْكِتَابِ لَأُنْزِلَنَّ مِنْ سَمَوَاتِنَا
رُوحَ الْقُدُّوسِ أَفْكَاهُ جَاءَكَ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُكَ
أَسْكَبْتُمْ هَؤُلَاءِ دِمَائِهِمْ وَلَمْ تُفِئُوا قُلُوبَهُمْ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
غُلْفٌ أَلْ لَّعَنَ اللَّهُ يَكْفُرُ بَكُفْرِهِمْ فَنُقَلِّبُ مَا يَزْمِرُونَ ﴿٦١﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّكَ يَقُولُ الْقَادِرُ لَهُمْ سَمْعُكُمْ
وَكُنُوتُكُمْ قُلُوبُكُمْ تَسْمَعُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَاعَزُوا كَفَرُوا بِهِمْ فَسَمِعَ اللَّهُ عَنْ أُنْكَامِهِمْ ﴿٦٢﴾

قتلوا أنفسهم إلى آخر ما تقدم، هم الذين
احتاروا بغير الحياة الدنيا الرائل على بغير
الاحرة الحالد، فلا يجمع عنهم عذاب جهنم
ولا يجدون من يدفعه عنهم، ولقد اتينا موسى
التوراة، وجفنا من بعده بالرسول رسولا بعد
رسول، واتينا عيسى بن مريم المعجرات
الواضحات كإحياء الموتى وبقية ما جاء في
الآية (٤٩) من سورة آل عمران وقولنا بجبريل
الظاهر من كل دس، يسير معه حيث سار،
هلم يستقم لكم معه حال، فهل يصح منكم أنه
كلما جاءكم رسول بما لا تحب بموسمكم الخبيثة

تجاربوه وتكذبوه وتقتلوه إن قدرتم على قتله؟ وقال هؤلاء اليهود لبنيها محمد ﷺ تبيسنا له
من إيمانهم بما جاء به قلوبنا مغلقة هي أعطية لا تعهم ما تقول يا محمد فلا تحاول أن تجعلنا
تسمعك والحقيقة أنهم محادعون وأن قلوبهم أصلا كقلوب غيرهم، يمكنها الوصول للحق لو
تركت لحسد وأخلصت ولكنها لم تخلص، فكان حراؤهم لمة الله والطرد من رحمته بسبب طول
عهدهم بالكفر بأسانئهم وكنهم فلا يؤمنون إلا بالقليل كإيمانهم بما يوافق شهواتهم مما ذكر في
التوراة كعداء الأسرى المتقدم، وهذا لا يدفع عنهم من الخلود في نار شيشا وكان اليهود هي
الجاهلية إذ قاتلوا المشركين بصولوهم إليهم بمحى، بنى آخر الرمن الذي بعد
صمته هي التوراة ولما جاء القرآن بصدق ما هي التوراة من أصول لعقائد وصمة لرسول
وحاءهم الرسول الذي عرفوه وكانوا يستصرون به على المشركين، كفروا به حسدا لأنهم كانوا

يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَلْ يَكْفُرُونَ إِنَّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا
أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَتَأْتُوا
بِفَضْلٍ عَلَى عَصَبٍ وَلِتُكْفِرُوا بِعَذَابٍ مُهِينٍ ﴿١﴾
وَإِذَا بَلَغَ لَكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَتَوَلَّوْا نَفْسُكُمْ إِنَّمَا أُنْزِلَ
عَلَيْكُمْ وَتَكْفُرُونَ إِنَّمَا وَرَآئَكُمْ مَوْلَى اللَّهِ فَتَوَلَّوْا لِمَا بَيْنَكُمْ
قُلْ لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَخَفَوْا عَلَى الْكُفْرِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا أَخَذْنَا مِنْ بُيُوتِكُمْ رَهَقًا فَقَرَّبْنَا
أَلْوَنًا خَلُّوا مَاءَ أَنْفُسِكُمْ غَوْرًا وَاتَّقُوا قُلُوبَكُمْ وَنَسُوا
وَأَنْتُمْ نَوَاسٍ قُلُوبُهُمْ أَلْيَسَ الْكُفْرُ بِكُمْ قُلْ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
إِسْمُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا
الْآخِرَةَ عِدَّةَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمُوتُوا أَلَمْ تَتَّقُوا

يظلمون أن يكون من بني إسرائيل. فلما جاء
من العرب الأعميين حسنة وجاريوه حرصا
على الحياء. فلعنة الله عليهم. لأنهم كفروا
برسوله وكتابه.

﴿اشترؤا به﴾ - باعوه. هاشمى وشري
كلاهما يستعمل في البيع والشراء.

﴿بعضيا﴾ - حسدا وطلبيا لما ليس لهم.
﴿ناموا﴾ - رجعوا.

﴿اشربوا في قلوبهم العجل﴾ - أى حاط
حبه قلوبهم.

المعنى. فبعتهم بمكة باعوا فيها بغير

الأجرة الذى كان معدا لهم لو آمنوا. فى مقابل كفرهم بالقرآن حسدا على أن ينزل الله من
فضله وحيا على من اختار من عباده وهو محمد ﷺ. فرجعوا بعصب من الله على كفرهم
بمحمد راشد على عصب استحقوه من قبل بالكفر بعيسى وبإصاعة التوراة. فهم على هذا
عذاب مهين مدل.

وإد قيل لليهود الموحدين فى عصره ﷺ آمنوا بالقرآن الذى أنزله الله كما أنزل التوراة
على موسى قالوا يكفينا الإيمان بالتوراة التى أنزلت علينا وهى الوقت الذى يرعمون فيه
الإيمان بالتوراة هم يكفون بالقرآن الذى أنزله الله بعدها مع انه حق مصدق لما فى التوراة.
فإذا كفروا بالتوراة نفسها.. قل لهم أيها النسي إذا كنتم صادقين فى دعوى إيمانكم بالتوراة
فلأى سبب قتل أناسكم أنبياء الله من قبل درول القرآن ورصيتهم بعملهم؟ وقد مضى بظير ما

كُنْتُمْ صَافِينَ ﴿١٦﴾ وَلَنْ يَتَمَوَّهُ أَهْلُهَا فَأَمَّا فَتَمَّتِ الْيَدِيمُ
وَأَلَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَىٰ حَيَوتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أُولَئِكَ لَوْ يُعْمَرُ النَّفْسُ
مَرَّةً وَفَرَسٌ مُّخْتَرَجٌ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُمْرَ وَأَلَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَحْسِلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْخَيْرِ بَلْ فَإِنَّ عَدُوًّا لِلَّهِ
عَلَىٰ قَلْبِكَ يَدْعِي اللَّهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٢١﴾
أَوْصَلْنَا عَصِيًّا عَهْدًا سَدْرَ قَرِينٍ يَسْمَعُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ سَدْرَ قَرِينٍ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الصَّكَّ كُنْتُ اللَّهُ

هنا في الآية (٨٥) صفحة ١٦ وقل لهم أيضا
قد جاءكم نبيكم موسى بالمعجرات الواضحة
كالعصا واليد وخلق البحر وتظليل العمام ثم
أخذتم العجل إلها بعد مجيء موسى بها
عظلمتم أنفسكم بذلك واذكروا إذ أخذنا
عليكم العهد ورفضنا الطور إلى آخر ما تقدم
في الآية (٦٣) وقلنا لكم اسمعوا ما تؤمرون
به سماع قبول، قالوا بلسانهم سمعنا قولك
وسنعمل، وقالوا في سرهم عصينا أمرك كما
يمل السفهاء، وامتزج بقلوبهم حب عبادة
العجل بسبب مرانهم على الكفر، قل لهم أيها

الناس قبح ما يجركم إليه هذا الإيمان الكاذب، لأن الإيمان الصحيح لا يدعو إلى الكفر، ولما
كانوا يقولون لن يدخل الجنة إلا اليهود كما في الآية (١١١) صفحة ٢٢ قال سبحانه قل لهم
أيها النبي إن كانت لكم الحجة ذات العيم العظيم كما ترعمون هتموا الموت الذي يوصلكم
إليها إن كنتم صادقين في أن الجنة خاصة بكم.

﴿يعمر﴾، يعيش طويلا.

العمى ولما كانوا كاديين ويعلمون أن الجنة للمتقين فإنه يستحيل عليهم أن يتموا الموت
بسبب ما ارتكبوا من الكفر وغيره، والله يعلم أنهم ظالمون لأنفسهم وللعق تتحجهم بالباطل
الواضح كالشمس، فلو تموا لأدخلهم جهنم. ومن إعجاز القرآن أنه لم يجرؤ أحد منهم أن
يتمنى الموت لعلمهم بظلمهم، وسبب ذلك أنهم أحرص الناس على حياة، أي حياة كانت ولو
حقيرة؛ وأحرص حتى من المشركين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، وقد روى البخاري أنه ﷺ

(١) الكتاب، (٢) بالظالمين (٣) حياة (٤) وملائكته، (٥) وميكل، (٦) للكافرين.

(٧) آيات، (٨) بيئات، (٩) الماسقون، (١٠) علموا، (١١) الكتاب كتاب.

قال: (والذي نفسي بيده لو تمناء أحدهم لمات غاصاً بريقه).. ولأنهم يعلمون في نفوسهم أن محمداً رسول الله حقاً وأنه صادق في كل ما يقول حاشوا جميعاً من هذا التحدي الصريح الذي لا يحوم حوله الشك. انظر المباشرة في الآية (٦١) من سورة آل عمران صفحة ٧٢ وكانوا يعرفون ذلك وصدقوه كما يعرفون أبناءهم.. انظر الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨. ولهذا يحب أحدهم لو يعيش ألف سنة حوفاً من عذاب ما بعد الموت، وليس تعمير أحدهم ألف سنة بمنجيه من العذاب، لأن الله تعالى عليم بعملهم وسيعاقبهم حتماً.

ولما كانوا تطلوا أولاً بأن إيمانهم بالتوراة يكفيهم ورد عليهم بما تقدم، وتطلوا ثانياً بأن الجنة خاصة بهم فلا خوف عليهم ورد عليهم، تطلوا ثالثاً بأنه كان يمكن أن يؤمنوا بمحمد لو كان الذي يأتيه بالوحي ميكائيل لأن جبريل كما زعموا عدوهم، فهو الذي أخبرهم بتخريب بيت المقدس على يد عدوهم باختصار، كما في أول سورة الإسراء، وهو الذي يطلع محمداً على أسرارهم، فقال الله عز وجل قل لهم أيها النبي من كان منكم عدواً لجبريل فهو عدو الله، لأن جبريل ما نزل القرآن على قلبك إلا بإذنه تعالى هذا القرآن المصدق لما تقدمه من التوراة والإنجيل، فكان حق جبريل الشكر لا الكراهية، والقرآن هادٍ من الضلال ومبشر للمؤمنين بالنعيم الخالد، فإن كنتم مؤمنين حقاً فكيف تكرهون البشرى، فاسمعوا القول المصلح: من كان عدواً لله بكفره بما أنزل، ولما لا تكرهه قيامهم بواجبهم، ولرسله بالكذب والقتل، ولجبريل بكرهتهم له لأنه ينزل بالإنذارات ولميكائيل وهو كجبريل، فمن عادى جبريل فقد عادى، ولهذا خصهما بالذكر مع دخولهم في عموم الملائكة، من عادى واحداً مما ذكر فإن الله تعالى يعامله معاملة الأعداء لأنه كافر فيخلده في النار، ولقد أنزلنا إليك أيها النبي على لسان جبريل هذا القرآن الواضح فلا يكفر به إلا الخارج عن طريق الحق. وكان اليهود عاهدوه بما على أن لا يعاينوا المشركين عليه وتقض هذا العهد أكثرهم على طريقتهم في نقض العهد، فويخهم سبحانه بقوله هل من هؤلاء على المصيق، وكلما عاهدوا لا يوفون ولذلك لا يؤمن منهم إلا قليل وقد صدق الله، فكان اليهود أقل الطوائف إيماناً بالإسلام، ولما جاء محمد رسولاً من الله يؤيد التوراة على الوجه المبين في الآيتين (٤١)، (٨٩) من سورة البقرة طرح فريق منهم التوراة وراء ظهره ولم يعملوا بما فيها من الإيمان بمحمد بما كأهم لا يعلمون شيئاً منها.

وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْمُونَ ﴿١١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا سَلَكَ
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَئِكَ
الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُجَادِلُونَ النَّاسَ السَّحَرَاءُ وَآرِلٌ عَلَى
الْمَلِكَيْنِ يَسِيلُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَمِّيَانِ مِنْ أَحَدٍ
حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا عَجْرُ قَسَةٍ فَلَا تَكْفُرْ بِمَا لَكُمْ مِنْهَا
مَا هِيَ قُوَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلَمْ تَرَ وَرُوحَهُ ۖ وَمَا هُمْ بِبَصِيرِينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَحْمِلُونَ مَا بُعِثُوا بِهِ وَلَا يَتَمَتَّهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ اشْتَرَتْهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَتَّىٰ وَلَّيَسَ
مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا
وَأَتَقُوا لَعَنَتُهُ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
يُنَادِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا رَجُلًا وَقُرْأُوا أَنْظَرْنَا وَأَنصَحْنَا
وَلَكِنِّي مِمَّنْ عَذَابُ إِلِيمٍ ﴿١٤﴾ مَا يَدْعُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

﴿واتبعوا ما تتلوا.... الآية﴾. هذا معطوف

على قوله سبحانه وتعالى ﴿بئذ فريق﴾.

﴿الشياطين﴾ يراد بهم الخبيثاء من الإنس

كما تقدم في الآية (١٤) من سورة البقرة

وكما سيأتي في الآية (١١٢) من سورة الأنعام

صفحة ١٨١.

﴿السحر﴾: المراد به هنا ما يزاوله بعض

خبيثاء الإنس من أعمال يكون لها أثر في

شخص آخر من غير اتصال..

﴿بابل﴾: بلد قديم بالعراق كان يكثر فيه

السحر.

﴿هاروت وماروت﴾: بيان للملكين المذكورين سابقاً، والمراد ما أنزل على الملكين اللذين هما

هاروت وماروت، أنزل الله عليهما وصف السحر وكيفية الاحتياض به ليعرفاه للناس ليتجنبوه

كما يعلم رجال الأمن أي رجال الشرطة حيل اللصوص في ارتكاب الجرائم ليتجنبوا من

مقاومتهم والقبض عليهم.

﴿فتنة﴾ أي سبب ابتلاء وامتحان لتمييز المطيع من العاصي.

﴿اشتراء﴾: أخذ.

(١) الشياطين.

(٢) سليمان.

(٣) سليمان.

(٤) الشياطين.

(٥) هاروت وماروت.

(٦) اشتراء.

(٧) حلاق.

(٨) راعا.

﴿حلاق﴾ - نصيب.

﴿شروا به أنفسهم﴾ - باعوها.

﴿انظروا﴾ - انتظروا. المعنى واتبع اليهود السحر الذي كانت تشيعه النصوص الخبيثة عن ملك سليمان من أن عهده راح فيه السحر، وأنه ما سحر الريح والجن إلا بالسحر، وقد دونهوا هذه الشرور والمعاسد في كتب يتلونونها على الناس ليضلوا عقولهم ويصرفوا عن الطريق المستقيم كما هي طبيعتهم دائماً، فرد سبحانه كل ذلك بقوله: وما كفر سليمان، أي لم يعمل بالسحر الذي يكفر من عمل به ولكن شياطين الإنس من اليهود هم الذين كمروا بالعمل به وتعليم الناس ما أنزل على الملكين هاروت وماروت ببابل، وذلك أن كثرة شيوخ السحر فيها اقتضت أن يرسل الله تعالى ملكين في صورة رجلين يهدين الإسمين هاروت وماروت يبصران الناس بحقيقة السحر وكيفية الاحتيال به ليعتمدوا عنه، وكانا لا يعلمان أحداً إلا ونصحا به أن تعليمنا هذا سبب هتنة واحتبار يظهر به الصالح من الطالح فلا يحدعك به أحد ولا تكمر بالعمل به، فالصالح ابتعد عن العمل به، والعاسق صار يفسد به العلاقة بين الزوجين. ولولا أن الله تعالى ترك الأسباب تنتج مسبباتها لمنع صرره كما منع النار عن حرق نبيه إبراهيم، هؤلاء الحبيثاء تعلموا ما صرهم ولم ينفعهم لمعاد طيعهم، ولقد علموا من الملكين أن من اختار العمل به لكسب متاع الدنيا فليس له في نعيم الآخرة نصيب، وقبح ما باعوا به ثواب أنفسهم لو كانوا يعلمون علماً باعماً، ولو أنهم آمنوا وحافظوا الله لعلموا أن رضا الله خير من متاع رائل. وكان المسلمون الذين يحضرون مجلسه ﷺ لسماع الوحي يقولون له عند تلاوته يا رسول الله راعنا أي راقب حالتنا وانتظربنا، حتى يتمكن من حفظ ما تلقاه علينا لئلا يفوتنا شيء فسمعهم اليهود وانتهزوها فرصة للسحرية منه ﷺ، فصاروا يقولون يا أبا القاسم راعنا، يوهمون أنهم يريدون المراجعة ولكنهم يريدون (أنت راعنا) من الرعونة والطيش، فتهدى الله المسلمين عنها وأمرهم أن يقولوا بدلها، انظرونا أي انتظرونا، وأن يحسنوا السماع حتى لا يحتاجوا إلى طلب الإمهال. وللكافرين من هؤلاء اليهود عذاب شديد.

﴿نسخ﴾ تقييد.

﴿من آية﴾ (من) تدل على النص على عموم
نص ما بعدها و﴿آية﴾ المراد بها هنا
المعجزة..

﴿نسها﴾: نذهبها من الذاكرة.. ﴿من ولي
ولا نصير﴾: ﴿من﴾ كالمابقة هي ﴿من آية﴾
و﴿الولي﴾: هو الصديق الذي يدفع الضر عن
صديقه بالحسن و﴿النصير﴾: هو الذي
يدفعه بالقوة. ﴿أم تريدون.. إلخ﴾: ﴿أم﴾
حرف متضمن معنى حرهين (بل) التي تفيد
الانتقال من كلام لآخر، وهمزة الاستفهام

أهل الكتاب ولا المشركين أن يرسل عليكم من غير من
رسلنا والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العليم ﴿٥﴾ ما نسخ من آية أو نسيب نأت غير منها
أو منها أن تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿٦﴾ أن تعلم
أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير ﴿٧﴾ أم تريدون أن تسفوا رسولكم
كما أسف ملأ من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان
قد سئل سواء السبيل ﴿٨﴾ وقد غير من أهل الكتاب
لورثتكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عبد أنفسهم
من بعد ما تبين لهم الحق فأعصوا وأطيعوا حتى يأمر الله
بأمرة إن الله على كل شيء قدير ﴿٩﴾ وأقيموا الصلوة
وآتوا الزكاة وما تؤمنوا لا يؤمنكم من حبر تحذوه

التي تميد التوبيخ، والخطاب في تريدون للكار من أهل مكة واليهود لأن لكل أمة دعوته ﷺ
أرسل لهم كما أرسل لغيرهم.

﴿من يتبدل الكفر بالإيمان﴾ يفصل الكفر على الإيمان

﴿سواء السبيل﴾: وسط الطريق^(١)..

﴿ود﴾: أحب

المعنى لا يحب الكافرون من اليهود والنصارى ولا المشركون عباد الأصنام أن ينزل الله
عليكم أيها المؤمنون خيراً من وحى ورحمة. والله يختص برحمته ورسائله من يشاء من عباده
كمحمد ﷺ بالرسالة والهداية وأمنه بالرحمة سواء أحب هؤلاء أم كرهوا^(٢). والله وحده هو ذو

(٥) الكتاب.

(٦) إيمانكم.

(٧) الصلاة

(٨) الزكاة

(١) الكتاب

(٢) السموات

(٣) تسالوا

(٤) بالإيمان

(١) انظر سواء السبيل في شرح آية (٢٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٩.

(٢) انظر الآية ٩٠ من سورة البقرة صفحة ١٨.

انقص والحبر ينصفه كما يشاء. ولما كان المشركون يقولون ان يؤمن لك حتى تعجز لنا من الارض يسوعا الح^{١٢} ويقولون لو جاء بمعجرات مثل معجرات موسى لآمنا به^(١١) وقالت اليهود انزل علينا يا محمد كتابا من السماء^(١٥) فلما حصل كل هذا رد سبحانه عليهم بقوله (ما نسبح الح) ان ما نترك نبيد نبي مشاخر بمعجزة كانت لبني سابق، أو نسي ناس هذه المعجزة السابقة لطول العهد بها الا واندا هذا الرسول المتأخر بمعجزة خير من السابقة في قوة الاقناع وانبات النسوة او مثلها في ذلك تكون مناسبة لعصر نبيها، وذلك لما عدا من لقدرة التي يمكن من عدم التميد بمعجزة واحدة لجميع الرسل

الم تعلم ايها المخاطب ان الله مالك السموات والارض يفعل فيهما ما يشاء، وليس لكم ايها الناس من دونه تعالى صديق يدفع عذاب الله عنكم بالشعاعة، ولا يصير يمنع عذابه عنكم ان عصيتم فهل تريدون باهل مكة باقتراحكم معجرات معينة ان تسألوا رسولكم محمدا ﷺ كما سأل اليهود موسى من قبل معجزة معينة ولم يكتفوا بمعجراته الكثيرة، وقالوا ان يؤمن لك حتى يرى الله حرة^{١٦} انكم ان فعلتم ذلك فقد احترتم الكفر، ومن يحتر الكفر ويترك الإيمان فقد انحرف في سيره عن وسط الطريق، فلا بد ان يخرج منه ويقع في الهاوية^(١٧) لقد احب كثير من اليهود والنصارى ان يردوكم ايها المؤمنون من بعد إيمانكم إلى الكفر، لا اعتقاد أنه صواب بل لحسدكم لكم من بعد ما تبين لهم في التوراة الحق من ان محمدا رسول الله حقا وان دينه صدق فاعموا عنهم الآن ولا تؤاخذوهم بجرمهم واصفحوا عنهم فلا تؤاخذوهم حتى يأتوا الله بقتالهم، وقد فعل سبحانه ماذن في قتال بني قريظة وطرده بني النضير، وهو قدير على نصركم وخذلانيهم. فاطلبوا نصره تعالى بالمداومة على طاعته السنية والمالية، فاقبوا الصلاة وادوا الزكاة لأصحابها، وما تقدموا من خير بعد ذلك ستجدون ثوابه عنده تعالى، لأنه يعلم اعمالكم ولن يصيب اخرها.

(٢) انظر آيات ٩٠ إلى ٩٢ من سورة الإسراء صفحتي ٢٧٦، ٢٧٧

(٤) انظر الآية ١٢٤ من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآية ٤٨ من سورة القصص صفحتي ٥١٢، ٥١٣

(٥) انظر الآية ١٥٢ من سورة النساء صفحة ١٢٩

(٦) انظر الآية ٥٥ من سورة النمره صفحة ١١

(٧) انظر الآية (١٥٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩

عند الله إن الله يمتحن عباده ① وقالوا لن يدخل
الجنة إلا من صعد هود أو نصري تلك أمانيهم
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ② بنى من أسلم
وآخيه فده وهو محبس فله أجره عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ③ وقالت اليهود نبي الأنصري
على نبي وقالت النصري نبي اليهود على نبي وهم
يتلون الكتب كذلك قال الذين لا يعقلون مثل فرهم
فله يحكم بينهم يوم القيمة يا كانوا به يستعصون ④
ومن أضل ممن مع مسجد الله أن يذكر بها اسمه ويسمى
في حرايبه أو يترك ما كان هم أن يدعوه إلا خاطئين
لهم في الدنيا عزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ⑤
وإن الشريق والمغرب قابضاً نوراً فم وجه الله إن الله

﴿هودا﴾: أي يهوداً، والمراد من كان يهودياً.
﴿أو نصارى﴾. (أو) هنا للتفصيل لا للترديد
لأن كلا منهما يكره الآخر ويرى أنه على باطل
كما سيأتي في الآية (١١٣) من هذه المسورة
الآتية في هذه الصفحة.

(بنى): حرف يفيد إبطال ما قبله وإثبات
ما بعده، وأنه هو الحق.

﴿أسلم وجهه.... إلخ﴾: جاء في لسان
العرب أسلم فلان فلانا إلى خصمه أي تركه
للهلاك ولم يعمه منه، ومنه حديث رسول الله
ﷺ «المسلم أحس المسلم لا يظلمه ولا
يسلمه... الحديث».

وأسلم فلان أمره لله، فالصعل في كل ذلك

متعد لمعمول. ويقال أيضاً أسلم الرجل أي انقاد، ومنه (يحكم بها التبيون الذين أسلموا) (١)
وقوله تعالى (وأتوبى مسلمين) (٢) وقوله سبحانه (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم
مسلمون) (٣). ويقال أيضاً أسلم الرجل أي دخل في الإسلام، والمعمل في ذلك لازم غير متعد،
وقد يكون أصله من المتعدي ولما حذف مفعوله كثيراً صار كاللزام، والأصل أسلم الرجل نفسه
لله، فتفسيره بأسلم (اللازم) تفسير لحاصل المعنى، وكذا يقال في أسلم بمعنى انقاد والأصل
أسلم قياده لغيره. و(الوجه) هو توجه القلب والنية (٤) وقال المرحوم الشيخ محمد عبده: إسلام
الوجه لله هو التوجه إليه وحده، وإفراد بالعبادة كما قال سبحانه وتعالى في سورة العاتحة
(إياك نعبد وإياك نستعين)، وقد عبر القرآن هنا عن إسلام القلب وصحة القصد إلى الشيء

(١) النصارى.

(٢) صديقين.

(٣) برهانكم.

(٤) النصارى.

(٥) عساجد.

(٦) القيامة.

(٧) الكتاب.

(٢) الآية (٢١) من سورة النمل صفحة ٤٩٧

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة صفحة ١٤٥

(٢) الآية (٨١) من سورة النمل صفحة ٥٠٤

(٤) أنظر معنى الوجه في شرح الآية (٤٧) من سورة النساء صفحة ١٠٨

القصد إلى الشيء بإسلام الوجه، كما عبّر عنه في مكان آخر بتوجيه الوجه حيث قال حكاية عن خليل الرحمن عليه السلام ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ (الآية^(٥)). وذلك لأن قاصد الشيء عادة يقل عليه بوجهه ولا يولييه ظهره، ولما كان توجيه الوجه إلى جهة الشيء يدل على قصده وإشغال القلب به عبّر سبحانه عن قصد إفراده بالعبادة بإسلام الوجه، (وهو محسن) أي مجيد لعمله بأن يكون متعقبا مع ما شرعه الله. ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ المراد من هذه الجملة هو توبيخ هؤلاء الناس على أنهم يعرفون ما في كتبهم ويخالفونها، ﴿الذين لا يعلمون﴾ المراد مشركوا العرب ومن مائلهم

﴿ومن أظلم﴾ أي لا أحد أشد ظلما، ﴿مساجد الله﴾ المراد من المساجد هنا أمكنة العبادة مطلقا، لا خصوص المساجد المعروفة الآن، ومثل هذا الاستعمال فقله سبحانه ﴿لمتحدث عليهم مسجدا﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾^(٧) ولم يكن الإسلام دخل فلسطين عند الإسراء، ﴿أن يذكر فيها اسمه﴾، هذا يدل استعمال من المساجد، وذلك لأن الذكر إذا حصل في المساجد فهي مشتملة عليه، فهو كقولهم يعجبني محمد علمه، والمراد منع ذكر الله في المساجد، وذكر الله كناية عن كل العبادات التي تحصل في المساجد من صلاة وتسيب وقرأة قرآن وغير ذلك مما أدن الشارع في حصوله في المساجد.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ هذا كناية عن الجهات كلها، ﴿فأينما تولوا﴾ المراد هي أي جهة توجهوا ووجهكم إليها، ﴿فثم﴾ أي فهناك.

﴿وجه الله﴾ الوجه هنا بمعنى الجهة، والمراد الجهة التي أمركم سبحانه بالتوجه إليها قال الصخر الرازي المعنى فأى مكان أمركم الله باستقباله هو القبلة التي يرصاها. وقال ابن عباس: وجه الله أي قبلة الله والمراد أن مكان التوجه إليه لا يختص بمسجد دون مسجد، ولا بمكان دون مكان.

المعنى وقال لليهود لن يدخل الحنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، وهذه كلها تعنيات ليس لها أصل، وإلا فهااتوا دليلكم إن كنتم صادقين، ولن

(٥) الآية (٧٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٥

(٦) الآية (٢١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٢

(٧) الآية (١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٤

يكون هذا بل الصحيح أن الذي يدخل الجنة هو كل من أخلص عبادته لله وحده، وأحسن عمله، فله أجره على ذلك عند ربّه يوم القيامة. ولا يحاف مكروها، ولا يحزن على فوات مرغوب قال ابن كثير أحادت هذه الآية أن للعمل المقبول شرطين الأول أن يكون خالصاً لله وحده والثاني أن يكون صواباً موافقاً لما شرعه الله سبحانه، فإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لا يقبله الله منه وهي هذا قال عليه السلام «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود عليه» روه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، فعمل الرهبان ومن شابههم من المبتدعين وإن حرص بهم فيه محتضرون لله، لأنه لا يقبل منهم إلا إذا كان موافقاً للشرعة التي جاء بها رسولهم لدى إرسال إليهم، من ذلك شريعة حاتم الرسل عليه السلام الذي أرسل للناس كافة بشريعة جديدة ناسخة لكل ما تقدمها فكل عمل بعد بعثة محمد عليه السلام جاء على خلاف ما هي شريعته فهو باطل، قال تعالى ﴿وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ (الآية ٢٣ من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢)

وقال سبحانه ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾^(٨) ثم ذكر بن كثير بعد ذلك حادثة بكاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رآه الشام وراى رايها منهمكا في العبادة^(٩) وقال سبحانه ﴿هل ينظرون إلا الأعمال الذين صل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(١٠) وأما إذا كان العمل موافقاً للشرعة في الصورة الظاهرة فقط ولم يكن خالصاً لوجه الله فهو أيضاً مردود على صاحبه، وهذا حال المرأين والمناهضين، لذلك هدد سبحانه المصلين رياء بالهلاك^(١١) وقالت اليهود ليست النصراني على شيء يعتد به لأن المسيح المبشر به في التوراة لم يأت إلى الآن فهم في تصديقهم بعيسى على باطل وقالت النصراني ليست اليهود على شيء يعتد به لأنهم كفروا بعيسى. وهكذا سابد الصريمان مع أن كلا منهما يتنوء كنانة، فاليهود يعلمون ما هي التوراة من صفات عيسى وأنه رسول الله، والنصارى يعلمون ما هي الإنجيل من أن عيسى متعم لتعاليم موسى، فكان اللائق بهم أن يكونوا متقنين صد المشركين، ولكن الشهوات مرفقتهم وجعلتهم مثل المشركين الذين يقولون لكل دي دين سماوي أنه ليس على شيء.

(٨) الآية (٣٩) من سورة النور صفحة ٤٦٤. (٩) انظر ذلك في شرح الآية (٢) من سورة العاشية صفحة ٨٠٥.

(١٠) انظر شرح الأيتين (١٠٢) و(١٠٤) من سورة الكهف صفحات ٢٩٤، ٢٩٥.

(١١) انظر الآية (٤) وما بعدها من سورة الماعون صفحة ٨٢٢.

كذلك قال الدين لا يعلمون . إلخ المراد بهذا التعصب البعوض الناتج عنه طعن في العير بلا دليل تعصب بجهة من مشركي العرب ومن على شاكلتهم فقالوا قولاً يطعنون فيه على أهل الأديان جميعاً بلا دليل بل لجرد التعصب لما عليه الأبناء، فقالوا في اليهود والنصارى إنهم ليسوا على شيء من الحق وأن من يرغمونهم رسلاً لهم إنما هم كهنة دجالون يتلون عليهم أساطير الأولين وقال المعبر الرازي وهذا توبيخ شديد لأهل الكتاب حيث وصفوا أنفسهم مع أنهم علماء مع من لا يعلم من جهة المشركين

فدعهم أيها النبي، وسيحكم الله تعالى بينهم بعدله يوم القيامة، ويجازي كل فريق على قدر جرمه، وكان اليهود حربوا معابد النصارى، والنصارى حاربوا بيت المقدس في عهد طيطس الروماني فذبخوا فيه الحبارير ورموا فيه الحيف، ونفى حراباً إلى أن بناء المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وامشركون معوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول البيت الحرام، فقال سبحانه ﴿هم أظلم﴾ إلخ أي لا أحد أظلم ممن منع الناس عن عبادة الله تعالى وذكره في المساحد أي أمكنة العبادة، وسعى في تحريبها، مع أن اللائق بهؤلاء المانعين أن يكونوا حاشعين لله فلا يدخلوا المعابد إلا حائمين منه لا هادمين لها مانعين الناس من عمارتها بالذكر والصلاة، هؤلاء حراؤهم، الأخرى هي الدنيا، وعذاب عظيم هي الأخرى وإذا منعكم هؤلاء المشركون من البيت الحرام فاعلموا أن الأرض كلها لله، فهي أي مكان منها وليتم وجوهكم الجهة التي أمركم بالتوجه إليها وهي ذلك إشارة إلى الإذن بإقامة الصلاة في أي مكان، كما قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً» قال ابن عباس لما حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أكر اليهود ذلك فقال سبحانه رداً عليهم ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ إلخ هي بطير قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(١٢) وقال المعبر الرازي أي أن المشرق والمغرب وجميع الجهات كلها مخلوقة ومملوكة لله سبحانه وتعالى، أي مكان أمركم الله باستقباله فهو القبلة التي أرادها لأن القبلة ليست قبة لدانها بل لأن الله سبحانه جعلها هبة، فإن جعل الكعبة قبة فلا تذكرها ذلك لأنه تعالى يدبر شئون عباده كما يريد وهو واسع العسل عليم بمصالحهم.

وَرَسَعَ عَالِمٌ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا
هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُشْكِرِينَ ﴿١٦﴾ تَدْبَعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُ اللَّهُ
أَوْ يَبْدَأُ آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن مَّبْلَغِهِمْ قَدِيمٌ
فَنَسِيَتْ فُلُوسُهُمْ فَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا يَنْتَظِرُونَ يُقِيمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَمَبْرُورًا وَلَا تَنْفُلْ عَن أَهْلِ
الْبَيْتِ ﴿١٩﴾ وَلَوْ رَضِيَ قَوْمُ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَىٰ حَقَّ
تَقْبِيعِ مَسْأَلَةٍ قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ فَرَادَىٰ رَبِّي أَنبَغَتْ
أَهْلَؤُهُمْ فَقَدْ هَدَىٰ هَذِهِ أُمَّةٌ مِّنْ أُمَّةٍ ۖ لَّكَ مِنَ اللَّهِ
وَلِيٌّ وَلَا يَصِيرُ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوا نَبِيَّكَ بِتَوْبَةٍ حَقٍّ
يَلَاؤِيَّةٍ لِّوَلِيِّكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَإِنَّكَ

﴿فانتور﴾ : خاضعون.

﴿تدبع السموات والأرض﴾ : موحودهما

على مثال لم يسبق..

﴿يقول له كن فيكون﴾ : لم يعلمها الله

سبحانه حقيقة هذا القول وإنما الذي يجب

علينا أن نعتقد أنه سبحانه إذا قضى أمرا

فقد يقدرته سريعا من غير توقف على شيء

آخر.

﴿الذين لا يعلمون﴾ : هم مشركوا العرب...

﴿لولا يكلمنا الله﴾ : (لولا) حرف يدل على

الرغبة في حصول ما بعده..

﴿آية﴾ : معجزة ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ : كهدا العباد الصادر عنه قول فاسد.

الذين من قبل العرب وهم اليهود والنصارى فقالوا أقوالا فاسدة ﴿من ولي ولا يصير﴾ : تقدم

في صفحة ٢١ السابقة.

المعنى وإنما كان المطلوب التوجه إلى الجهة التي يرصاها لأنه واسع لا بعد ولا يحصر

حتى يمكن التوجه إليه في مكان معين. عليم بالتوجه إليه أينما كان فلا يصح عليه أجره

وقال الألوسي المراد أنه واسع الفصل والرحمة. فلها لم يصيق عليكم في القبلة وقالت تلك

الطوائف لثلاث إن الله سبحانه جعل له ولدا، والولد يطلق على الذكر والأنثى والمرد

(١) واسع (٢) سبحانه

(٣) سموات (٤) فاسد

(٥) السموات (٦) مشابهة

(٧) آيات (٨) أرسلناك

(٩) سأل (١٠) أصحاب

(١١) النصارى (١٢) أتباعهم

(١٣) نكتب

والجمع هالنصارى قالوا المسيح ابن الله. وبعض اليهود قالوا العرير ابن الله. وبعض مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله انظر الآية (١٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩. والآية (١٤٩) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥ والآية (١٩) من سورة الرحرف صمحتى ٦٤٨، ٦٤٩. والآية (٢١) من سورة النجم صفحة ٧٠١ تتره سبحانه وتعالى عما يقولون. فإن له كل ما فى السموات والأرض خلقا وملكا وعبيدا. ولا يصح أن يكون من هذه ولد للحالق القديم الباقي. لأن الولد لابد أن يكون من جنس أبيه. وكل المخلوقات قاتنة له تعالى حاصصة مسخرة لما خلقت له. وهو سبحانه خالق السموات والأرض على نظام لم يسبق. وإذا أراد إيجاد أمر حصل بلا إبطاء. وقال جهلة المشركين عبادا أطلب يا محمد أن يكلمنا الله عيانا ويخبرنا بصدقك أو بربما حجة صدقتك عما اقترحناه عليك انظر الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صمحتى ٣٧٦، ٣٧٧. فلا تحزن أيها النبى فإن ما قالوه قالت مثله الأمم السابقة لأبيائهم. فقد قال اليهود لموسى «لن يؤمن لك حتى ترى الله حهرة». وقالت النصارى لعيسى «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء». فقد تشابهت قلوب الكفار من كل أمة فى الجحود والعناد.

وقد نبيا من الأدلة ما يكفى المصممين فيعتقدون الحق اعتقادا جارما فلم يتمتعوا.

إنا أرسلناك أيها النبى بالدين الحق مبشرا من أمر به بالجنة، ومنذرا من كمر به بالنار، فاعمل ما أمرت به، ولن يسألك أحد عما لم يؤمن من أصحاب الجحيم. لأنه ليس عليك إلا البلاغ. ولا تحاول إرضاءهم فإبهم لن يرضوا عنك إلا إذا اتبعت دسهم الباطل فقل لهم إن هدى الله الذى جاء به القرآن هو الهدى الصحيح. ولن اتبعت شهواتهم فرضا بعدما ظهر لك من العلم بالحق مما لك من صديق يحفظك ولا يصير يمنحك من العذاب. وتزل هيمر أسلم من اليهود والنصارى قول لله سبحانه «الذين آتيناهم الكتاب» أى النوراة والإنجيل. حال كونهم تلاوه حق تلاوته فلم يحرفوه. يؤمنون بكتابهم إيمانا صحيحا يستنتج إيمانهم بالقرآن. أما من يكمر بالكتب السابقة بالتجريب والإنكار فأوثلك هم الخاسرون.

ثُمَّ الْخَيْرُونَ ﴿١١٢﴾ يَتَّبِعُوا آيَاتِنَا وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَبِقُونَ ﴿١١٣﴾
 وَهُمْ أُولُوا حِمْلٍ ثَقِيلٍ ﴿١١٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ
 دَابَّةَ الْمَلَكِ فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً
 وَأَثْقَلُهَا لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١١٥﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ دَابَّةَ الْمَلَكِ
 فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً وَأَثْقَلُهَا
 لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١١٦﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ دَابَّةَ الْمَلَكِ
 فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً وَأَثْقَلُهَا
 لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١١٧﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ دَابَّةَ الْمَلَكِ
 فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً وَأَثْقَلُهَا
 لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١١٨﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ دَابَّةَ الْمَلَكِ
 فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً وَأَثْقَلُهَا
 لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١١٩﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى سُلَيْمَانُ دَابَّةَ الْمَلَكِ
 فَذُكِّرَ كَلِمًا كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَهَا مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ خِفَّةً وَأَثْقَلُهَا
 لَوْنًا وَثِقِيلًا كَثِيرًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ﴿١٢٠﴾

﴿عدل﴾ حد .

﴿ابتلى﴾ اختبار وامتحان.

﴿كَلِمَاتٌ﴾ : بَأْوَأَسْرُ وَمَوَءٌ عَنْهَا أَمْرٌ بِذِيحِ

ولده الوحيد .

﴿اتمهم﴾ قام بہن خبر قیام،

﴿مُشَابَهة﴾. موصفا يشوب أي يرجع إليه

المصروف عنه حياته.

➤ (أعيا) : موضوع أعيا.

﴿مقام إبراهيم﴾ قيل هو الحجر الذي

كان يقف عليه عند رفع قواعد البيت وقيل

هو المسجد حول الكعبة، ويقول بعض محققى

المقهاء، حيثما صليت من المسجد الحرام فمقام إبراهيم.

﴿عهدا﴾ يقول العربي عهد الملك إلى وزيره بكدا إذا أمره به بتطهير البيت

﴿العاكفين﴾. المقيمين في المسجد للعبادة.

(١) الخصاصات

(۳) یا ہی اسرار شیل

(٣) المذبح

$$\frac{1}{2} \left(\frac{1}{2} \right)$$

(۵) ایراد هفتم

(۶) بکلمات

(۷) لفظ علی

(A) $\{a, b, c\}$

(٢) زیر اہم

(٦) إسماعيل

(۶۶) و نماگویی

(٩٤) إبراهيم

۱۳۴۵ (۱۳۴۵)

﴿البلد﴾: المراد به مكة.

﴿أصطره﴾: الجاء.

المعنى: يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي إلى قوله تعالى ينصرون. تقدم بيانها في الآيتين (٤٧)، (٤٨) من هذه السورة صفحة ١٠. وأذكر حين امتحن الله تعالى نبيه إبراهيم بتكاليف شاقة كأمره بدبح ولده همام بها خير قيام. انظر الآيات من (١٠١) إلى (١١٢) من سورة الصافات صفحات ٥٩٢، ٥٩٣. فكان جزاؤه أن جعله ربه إماما للناس يقتدون به.. انظر الآية (٣٧) من سورة النجم صفحة ٧٠٣. قال إبراهيم وأجعل يا رب من دريتي أئمة فقال سبحانه لا ينال ويصل عهدي بالإمامة الظالمين من ذريتك بالكفر والمعصية مع عمدا وأصرار كما في الآية (١١٣) من سورة الصافات صفحة ٥٩٣. وأذكر حين جعلنا الكعبة مكانا تهوى إليه قلوب المؤمنين كلما فارقوه رغبوا في الرجوع إليه فلا يحلو من زائرين، وجعلنا ما حولها مكان آمن لا يصاب قاصده بما يصاب به غيره من ظلم ظالم أو عارة قوى على ضعيف، فكان الرجل في الجاهلية يلاقى فيه قاتل أبيه فلا يمه به سوء.

واتخذوا أيها المسلمون من مقام إبراهيم الذي حول الكعبة مصلى تصلون فيه بعد الطواف بالبيت وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بأن يحفظا البيت الحرام هيصوناه من خيانت الوثنية، للمنافقين حوله، والماكرين المقيمين حوله للمبادة، والراكمين الساحدين أي المصلين. وأذكر حين قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد الذي نشأ حول البيت أي مكة ذا أمن لأهله، وارزقهم من ثمرات الأرض وحيراتها ليقبلوا على طاعتك وشكرك، واجعل رزقك هذا للمؤمن منهم خاصة فقال سبحانه: لا تخصصي في رزق الدنيا بل وسارزق من كفر. لأن رزقي في الدنيا بمستوى فيه الطائع والماجر، والذي يخص المؤمن هو نعيم الآخرة فقط، أما من كفر فأمته في الدنيا رمنا يسيرا هو مدة حياته، ثم ألجئه وأسوقه في الآخرة إلى عذاب النار، وقبح المصير مصيره هذا.

(١) ماضي

حرف (بل) الذي يميز انقطاع الكلام الآتي بعدها عما قيل من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، وحرف نهي يميز النفي أي الإنكار وإبطال الكلام السابق عليهما وهو هنا كما سيأتي بيانه في الشرح أن اليهود قالوه للنبي ﷺ كذبا فالمعنى هنا إنكار ما قالوه وإثبات نقيضه ﴿شهداء﴾ بمعنى حاضرين.

المعنى وادكر حين بنى إبراهيم وإسماعيل البيت قائلين يا ربنا تقبل ما عملنا هذا إنك سميع لدعائنا عليم بنياتنا، ربنا وفقنا واجعلنا مستمرين على الانقياد لك، وأجعل من دريتنا طائفة متقدمة لك وعلمنا طرق عبادتك حتى لا نعطي الصواب، وتب علينا مما قد يكون حصل منا إنك كثير قبول التوبة رحيم بعبادك، ربنا اسمع دعائنا وابعث في دريتنا رسولا منهم يتلو عليهم ما تنزلنا عليه من آياتك، وقد استجاب الله تعالى وبعث محمداً ﷺ يتلو عليهم انقرا ويعلمهم الكتابة ليقلهم من الأمية للعلم فكان أول ما نزل على هذا الرسول قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي علم بالقلم﴾ ويعلمهم أسرار شريعتك حتى يسارعوا إلى العمل.

وهذا يميز أن العلم وحده لا يكفي في النجاة، ويظهرهم من دميمة الأخلاق، إنك العزير العال الذي لا يعجزه شيء، الحكيم الذي يدبر ما فيه المصلحة وإذا كانت هذه ملة إبراهيم فلا يرغب عنها ويتركها إلا من احتقر نفسه وامتهنها. ولقد احترق إبراهيم في الدنيا لرسالتنا وهو في الآخرة من الصالحين أصحاب الدرجات العلى اصطفيناه حين قلنا له اسم، أي ادع وأخلص دينك لله، فقال هورا قد انقذت وأخلصت لله رب العالمين ووصى بهذه ملة إبراهيم سبه بالمحافضة عليها وكذلك وصى بها يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم سبه قائلًا يا بني إن الله تعالى اختار لكم هذا الدين دين الإسلام هاشتوا عليه في كل لحظة حتى لا يدرككم الموت الذي قد يأتي فجأة إلا وأنتم مسلمون. ولما قالت اليهود للنبي ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية؟ رد عليهم بقوله «أم كنتم شهداء» إلخ، أي هل كنتم حاضرين وقت حضور الموت ليعقوب فسمعتم ما قال؟

﴿أمة﴾: جماعة

﴿حنيفاً﴾: مائلاً من الباطل إلى الحق.

﴿الأسباط﴾: أولاد يعقوب والمراد ما أنزل

إلى الأنبياء منهم.

﴿مسلمون﴾: منقادون خاضعون.

﴿هوداً﴾: أي يهوداً.

﴿شفاق﴾: خلاف ومعاذبة.

﴿صبغة الله﴾: أصلها الحال التي عليها

الثوب المصبوغ.

والمراد بها هنا دين الله الذي فطر الناس

عليه، فهو يخالط قلوب المؤمنين كما تخالط مادة الصبغة الثوب فلا تزول منه إلا بمسقة.

المعنى: أن الحق الذي وقع هو أن يعقوب حين حصره الموت قال لبنيه ليطمئن عليهم وليؤكد رسالته في آخر لحظة من حياته: مَنْ الذي تعبدونه من بعد موتي؟ قالوا: نعبد الله آلهك الواحد الذي هو آله آبائك إبراهيم إلخ. وعدوا إسماعيل من آبائهم مع أنه عنهم لأن العم بمنزلة الأب، ونحن منقادون له لا نخضع لغيره وإذا رأينا ما حصل من أولاد يعقوب عليه السلام عندما خرجوا مع موسى من مصر وطلبهم إلها غير الله وعبادتهم العجل إلى آخر ما

(١) إبراهيم.

(٢) إسماعيل.

(٣) إسحاق.

(٤) يثرب.

(٥) إبراهيم.

(٦) إبراهيم.

(٧) إسماعيل.

(٨) وإسحاق.

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا مَا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهُمْ وَرَبُّنَا وَنَحْنُ نَعْبُدُ آلَهُمْ قَدْ خَلَتْ لَنَا مَا كُنْتُمْ وَلَكُمْ مَا كُنْتُمْ وَلَا تَنْفَعُونَ عَنْ كَثْرَةِ يَعْبُدُونَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالُوا أَتُكُونُ هُودًا إِذْ تَبْسُرُ تَهْدُوا قُلُوبَ بَنِي إِسْرَافِيلَ حَبِيبٌ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٧﴾ قُولُوا إِنَّمَا أَكْفَرُوا بِاللهِ وَمَا أُرِكُوا إِلَهًا وَمَا أُرِكُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُرِكُوا سِوَى وَبِشْنٍ وَمَا أُرِكُوا الشُّيُوءَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾ فَإِنَّ أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَافِيلَ قَدْ آمَنُوا وَهُمْ يَرْجُونَ الْفَلَاحَ قُلْ هُمْ فِي شِقَاقٍ قَبِيحٍ كَيْفَ يُكْفَرُ بِاللهِ وَهُوَ السَّيِّعُ أَلْعَلَّكُمْ يَصْبَغُ اللهُ وَمَنْ أَحْسَنُ

هو مذكور في الآيات (١٢٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٣ و ١٤٨ من نفس السورة صفحة ٢١٥. يدرك ان يعقوب عليه السلام ساوره الحوف على اولاده من عفاف المصريين، فأراد أن يأخذ عليهم ليثاق بما فيه نجاتهم ولكن طبعهم غلب وقصوا العهد كما هي عادتهم تلك جماعة من يعقوب وأبنائه وبناته قد عصت لها حراء ما عملت لا تأخذ من حراء عمل غيرها شئت ولكم أيها اليهود الموحدون في عصر محمد ﷺ حراء ما عملتم لا تأخذون من حراء عمل غيركم شئت، ولا تسألون يوم القيامة عما كانوا يعملون كما لم يسألوا هم عما كنتم تعملون فلا تظنوا أنهم سيعفونكم. وقالوا كونوا هودا أو نصارى أو... للتعصيل ولأصل قالت اليهود لعيرهم من الأمم كونوا يهودا تهتدوا إلى الصواب. وقالت النصارى لعيرها كونوا نصارى تهتدوا إلى الصواب قل لهم جميعا أيها النسي لئ يكون كما تطلبون بل تتبع ملة إبراهيم البعيد عن الباطل، ولم يكن مشركا مثل السرب الذين يرفعون أنهم حماء على ملة إبراهيم وبعد أن أمر سبحانه نبيه بأن يعلن اتباعه لإبراهيم أمر سبحانه المؤمنين بذلك أيضا فقال قولوا أما بالله وما أنزل إلينا من القرآن وما أنزل إلى إبراهيم وأولاده وأحماده وهي الصحف المذكورة في آخر سورة الأعلى وما أوتى موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل ثم عمم ما يحب لإيمان به فقال، وما أوتى النبيون كلهم من ربهم من الآيات والوصايا، لا يفرق بين أحد من رسل الله كما تفرقون أنتم، ونحن لله خاضعون.

هنا من اليهود والنصارى بالله مثل إيمانكم أيها المسلمون على أنه واحد لا ولد له وليس حاء في عبره، مره عن تشبيه فقد اهدوا للصواب. وان تولوا عن ذلك فاعلم أيها النسي أنهم في مشاقة وعداوة لك فلا تأمهم ونحن لا نفرغ من عدوهم أي أي الله سأنوليكم شرهم حيث وفر لهم لا تحاولوا المسحيل فقد صبغنا لك أي فطربا على دمه الحق ولا تحسن من فطرة لله التي فطر الناس عليها إذ لم نصددها الشياطين

* نحاحوبنا في الله * نحن نوب في نصره (السمهاء) اسعه طيش وحة في العقل

* ولاهم * صرهم

﴿عن قبلتهم﴾: بيت المقدس.

﴿وسطا﴾: خيارا عدولا لا تعريض عندكم

ولا إغراء.

﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾. أنظر

شهادة الرسول في الآية (٤١) من سورة

النساء صفحة ١٠٧.

المعنى: ونحن لا نعبد إلا الله وحده. لما

قال كل من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة

غيرهم لأن الله تعالى خصهم بالأنبياء والكتب

ولم يعط العرب كتباً، ولم يكن فيهم نبي ولو

كان محمد نبيا لكنا منا، رد الله تعالى قولهم

مِنْ أَفْهٍ صِغَةٍ وَنَحْنُ لَهُ عَدُوٌّ ﴿٤٢﴾ قُلْ نَحْمَدُكَ يَا اللَّهُ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالٌ وَلَكُمْ أَعْمَالٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُخْلِصُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَظْلَمُ
أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴿٤٥﴾
• سَبِّحْهُمُ السَّمَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَلْفَى
كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ قَدْ أَشْرَقَ الشَّرْقُ وَآمَسَّ غَرْبُ يَدَيْ مَنْ بَنَى
لَكَ مِرْطَ مُتَجَبِّدٍ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ حَصَّنَا أُمَّةً وَسَطًا
لِتُكْرِمُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ بَدَّلَ

هقال قل أيها السبي لهؤلاء أنجادلونا في الله وتدعون أنه حصكم بكل المصائل دور العرب
وهو ربنا وربكم بل رب الناس كافة وله أن يختار من عباده من يشاء تبعاً لحكمته لا
لجسيتهم، ولنا أعمالنا تجاري بها ولكم أعمالكم تجارون بها وقد يكون هي أعمالنا ما نستحو
عليه الإكرام، ونحن له تعالى مخلصون هي العمل دويكم، فمن أولى بالاصطفاء أم ترعمون
أن إبراهيم وأولاده كانوا على اليهودية والنصرانية التي أنتم عليها، بل قالوا ذلك هقل لهم

(١) عبادون

(٢) أعمالنا

(٣) أعمالكم

(٤) إبراهيم وإسماعيل

(٥) نصاري

(٦) شهادة

(٧) بغافل

(٨) مولاهم

(٩) صرط

(١٠) حصاكم

انتم عليها ان قالوا ذلك فقل لهم انتم اعلم ام الله؟ الواقع ان الله هو الاعلم وقد برأ
 اسرائيل من اليهودية والنصرانية لأنهما لم يوجدوا إلا من بعده أنظر الآية (٦٥) من سورة
 ل عمران صفحة ٧٢ وتبعته درسه من الأنبياء. ولما كان أهل الكتاب يعلمون الحق قال مهددا
 لهم ومن أظلم أى لا أحد أشد ظلما ممن أحمى عن الناس شهادة من الله بصدق رسوله ﷺ
 وهى بعده هى كتابه الذى أنزله الله على نبيه (التوراة والإنجيل) قال تعالى «الدين» اتيناهم
 الكتاب يعرفونه كما يعرفون اباؤهم» انظر الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨ الثانية.
 وقال تعالى ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد﴾ انظر الآية (٦) من سورة الصف
 صفحة ٧٢٩ ثم هددهم بقوله وما الله بما فعل عما تعملون، أى سيجازيكم شر الجراء، وكرر
 رجزهم عن الطمع فى الانتفاع بعمل آباءهم لشدة اعتراضهم به فقال تلك أمة قد حلت إلخ ما
 تقدم فى الآية (١٣٤) من هذه الصورة، وكان اليهود يصلون إلى بيت المقدس، وقد صلى النبي
 ﷺ إليه رما ثم اشتاق إلى الكعبة كما سيأتى، فقبل أن يأذنه الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة
 أخبره سبحانه بما سيقوله خصومه، وكان عيبا لا يعلمه غيره سبحانه، تطمينا له ﷺ وإعدادا
 للجواب قبل وقوع السؤال لئلا يماجا بما يعرضه، فقال: سيقول السوءاء من المنافقين واليهود
 ومشركي قريش عندما بأديكم باستقبال الكعبة أى شيء صرف محمدا وأصحابه عن بيت
 المقدس الذى كانوا يصلون إليه؟ قل لهم أيها النسي المشرق والمغرب وكل الجهات لله، لا فصل
 لجهة بداتها على أخرى، وأن لله أن يحتص ما يشاء بما شاء وهو وحده الذى يهدى من يشاء
 من عباده إلى الصراط المستقيم، أى الدين الحق الذى يقضى بتسليم الأمر كله لله تعالى بلا
 انحراف مع الشهوات الماسدة وكما هدياكم أيها المؤمنون إلى الحق جعلناكم حيار، عدولا لا
 ماديين كاليهود والمشركين، ولا مسرهمين فى الروحانيات مهملين حقوق الجسم كرهبان
 النصراني، بل جمع لكم دينكم بين حق العبد وحق الروح لتكونوا شهودا عدولا يوم القيامة
 على الأمم قبلكم بأن رسلكم قد بلغتهم لعلمكم هذا القرآن، ويكون رسولكم شاهدا عليكم بأنكم
 حافظتم على الوسط ولم تنحروا وما جعلنا القلة هيما مصى هى الجهة التى كنت عليها
 وهى بيت المقدس ثم أمركم بالتحول عنها إلى الكعبة إلا لتعلم علم ظهور وتحقق بعد أن كان
 علم عيب ويتبين لكم من يسمع الرسول ويثبت على إيمانه..

الرُّسُولَ عَمَّ يُقَبِّبُ عَلَى عَقِبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَوَعَدَ اللَّهُ لِيُصِيعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَعَافٌ رَحِيمٌ ﴿١١٢﴾ قَدْ تَرَى قُلُوبَ رَحْمَتِكَ
وَالسَّلَامَةَ طَرِيقَكَ قَلِيلَةً تَرْتَبُّهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَرُودُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِفَعِلٍ عَمَّا يُعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَيْسَ اثْبَتْ الَّذِينَ أُوْتُوا
الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا بُعِثُوا قَبْلَكَ وَمَا أَنْتَ بِبَارِعٍ فِي لَتْمِهِمْ
وَمَا بِمَعْصِيَتِهِمْ شَارِعٌ قَبْلَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلَيْسَ أَتْبَعَتْ أَفْوَاهُهُمْ
مِمَّنْ قَبْلَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَيْسَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾
الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ الْكِتَابُ بِمَعْصِيَتِهِمْ كَمَا يَرْجُونَ أَتْبَعَتْهُمْ
وَإِنْ فَرَّقْنَا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾

﴿ينقلب على عقبيه﴾: يرجع إلى الكفر.

﴿لكبيرة﴾: شاقة في فهم حكمتها

﴿بصريح إيمانكم﴾: أي ثواب إيمانكم.

﴿رموف﴾: يرفع كل بلاء ومشقة. ﴿رحيم﴾:

يضم إلى رفع البلاء الإحسان إلى عباده.

﴿نقلب وجهك في السماء﴾: تطلعك إلى

السماء راجعاً من ربك بلمعان الحال جميل

قبلتك الكعبة.

﴿شطر المسجد﴾: جهته ﴿بكل آية﴾:

حجة.

المعنى: نميز من يثبت على اتباع الرسول

ممن يرجع إلى الكفر فلما منه لضعف إيمانه أن النبي ﷺ في حيرة من أمر ديه. وقد ارتد
فعلا بعض ضعفاء الإيمان وظهر الله المؤمنين منهم، وأن هذه التحويلة من قبله إلى قبله
لشاقة في فهم حكمتها على ضعيف الإيمان، لكن أصحاب الإيمان الكامل والهداية يعلمون أن
هذا منه تعالى لحكمة، وهؤلاء لا يصيح الله عليهم ثواب ثباتهم على الإيمان، بل يجازيهم
أحسن الجزاء لأنه رموف بمبادء المحصلين، هينقنهم من البلاء، رحيم كثير الإحسان فيجزل

لهم الثواب.

(١) إيمانكم

(٢) ترصاها

(٣) الكتاب

(٤) بما قل

(٥) الكتاب

(٦) آية.

(٧) الظالمين.

(٨) اتينهم.

(٩) الكتاب.

وكان سبحانه أمره ﷺ وهو بمكة أن يصلى إلى بيت المقدس فكان ﷺ يصلى إليه وهو قائم بحوار الكعبة يجعلها بينه وبين المقدس لحشيتها من استدبارها فيشتد بغور قريش منه لشدة تعظيمهم لها لأنها قبلة أبيهم إبراهيم. ولما هاجر ﷺ إلى المدينة تدر عليه الجمع بينهما، لأن الكعبة في الجنوب وبيت المقدس في الشمال، فصار في صلاته يستدير الكعبة، ومكث على ذلك بضعة عشر شهرا، فاستهزئ المشركون ذلك في التفسير منه لأنه ترك قبلة أبيه إبراهيم واستقبل قبلة اليهود، وقالوا لو كان على دين جديد لما استقبل قبلتنا، فتعنت بفسه الشريعة استقبال قبلة أبيه إبراهيم الذي جاء لإحياء ملته، فتوجه بقلبه الطاهر إلى ربه طالبا بلسان حاله متطلعا بوجهه إلى السماء راجيا أن يجيب الله عز وجل أمنيته ليسهل إيمان قومه، هو عده الله تعالى بقوله: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾. ثم أردف الوعد بالإجابة فقال تعالى هول وحك حجة المسجد الحرام الذي به الكعبة، وهي أي مكان وجدتم أيها المسلمون فاتحوا جهته، ثم وبغ مثيري الفتنة وهدد بقوله وإن الدين أتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى يعمون أن تحويل القبلة هو الحق الموجود في كتبهم من أن النبي المبشر به يحيى ملة إبراهيم ويصلى إلى قبلته، وما الله بعاقل عن تصليلهم وسيجاريهم عليه، ثم بين سبحانه حال هؤلاء المعاندين بمد معرفتهم الحق فقال ولئن أتيت إلخ أي ولئن حثتهم بكل حجة دالة على صدقك ما تبعوا قبلك ثم قطع أطماعهم بقول ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ ومع اتعادهم في محاصرتك بهم فيما بينهم محتلمون فلا يتبع بعضهم قبلة بعض. فاليهود لا يتركون بيت المقدس والنصارى لا يتركون مطلع الشمس. ولئن اتبعت شهواتهم فرضا من بعد ما علمت لحق هانت من الظالمين أنفسهم. والكلام تنبيه لقريب العهد بالإيمان الذي يحشى عليه من الحداغ لمرحرف. وكل علماء أهل الكتاب يعرفونه ﷺ من صفته في كتبهم التي لا تنطبق عسى غيره كما يعرفون أبناءهم الذين لا يعلمون من أمرهم شيئا، وأن فريقا منهم وهم علماءهم الذين فصلوا الدنيا على الآخرة يحفون الحق على اتباعهم مع علمهم بأنه الحق أما المتصنف منهم كعبد الله بن سلام فقد أسرع إلى الإيمان به ﷺ.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿١٧٠﴾
 وَجْهَهُ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَقُوا الْحَكِيمَاتِ أَيُّ مَا تُصْنَعُونَ
 بَآتٍ بِكَ اللَّهُ جَمِيعًا إِنْ أَفْهَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧١﴾
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَإِنَّمَا لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ فَعَلُونَ ﴿١٧٢﴾
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ بِنَاءً بِكُونِ النَّاسِ
 عَلَيْكَ جِهَةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فِيهِمْ فَلَا يُخْشَوْنَ وَأَخْشَوْنِي
 وَلَا تُؤْمِرُ بِعَنِّي عَلَيْهِمْ وَقُلُوبُكَ تَهْتَدُونَ ﴿١٧٣﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا
 فِيكَ رَسُولًا بِمَا لَا تَكُونُ فِيهِ أَشْيَاءٌ وَيُحْكَمُ عَلَيْكُمْ وَيُحْكَمُ
 الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَيُحْكَمُ مَا لَا تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٤﴾
 فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا إِلَيَّ وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٧٥﴾

﴿الممتريين﴾. الشاكين

﴿أرسلنا فيكم﴾ أي إليكم

﴿الكتاب والحكمة﴾ الكتابة وأنسار

الشريعة. أنظر الآية (٤٨) من سورة آل

عمران صفحة ٧٠

المعنى أن الحق هو ما يأتيك من ربك.

فلا تلتفت أيها السامع لأوهامهم فتكون من

الشاكين. وكل أمة وهريق من الناس قبله هو

موليها وجهه في عبادته. ولم يكن لكل الأمم

قبله واحدة كما تقدم في الآية (١٤٥) من

سورة البقرة صفحة ٢٨ فلا معنى لتثبتكم

بقبله معينة وإذا كان الأمر كذلك فالحير في اتباع ما أمر به الله وعدم العناد، هادروا إلى

العمل الصالح الذي اختاره الله لكم. ثم هدد الله سبحانه المعاندين بقوله ﴿أيما تكونوا يأت

بكم الله جميعاً﴾ يوم القيامة فيجاريكم على أيمانكم من طاعة أو معصية فهو سبحانه قدير

لا يمحوه جميعكم للحساب والجزاء. ومن حيث خرجت تسمر هول وحك أي فالحكم في

القبلة واحد سمرا أو حصرا.

ثم راد في طمأنينته ﴿وأيما﴾ وأصحابه فقال ﴿وأيما﴾ وسيفكاهكم على تباعه

ثم أعاد الأمر ثالثاً موحها الحطاب له ﴿وأيما﴾ ولأمتيه لئلا ياب القته التي أثارها الخشاة في

(١) لعبات.

(٢) أيما

(٣) بعاقل

(٤) أيما

(٥) الكتاب

مسألة القبلة، فقد كانت شديدة لدقة فهمها على كثير من البسطاء، ولزحرفة ما عرصوه من الشبه، فقال تعالى ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم ألح﴾ ولهذا رتب على هذا الأمر الأخير ثلاث حكم.

الأولى: لئلا يكون للناس عليكم حجة، أى ليبطل ما برعموه حجة يعادلونكم بها، فاليهود قالوا بترك ديسا ويتبع قبلتنا، والمشركون قالوا يدعى اتاع إبراهيم ويحالف قبلته، فباتجاهك إلى الكعبة تنقطع حجة الناس ما عدا الظالمين منهم بالعناد فإنه لا يمكن إسكاتهم، هؤلاء لا قيمة لهم، فلا تغشوههم لأن الباطل راهق، وأحشوني فإني قادر على العذاب إذا توعدت.

وأشار للحكمة الثانية بقوله - ﴿ولأنتم نعمتى عليكم﴾ لأنه ﷺ عريس من ولد إبراهيم عليه السلام، وكتابه عيسى، وقومه الذين امتدت بهم دعوته عرب يحبون إبراهيم وإسماعيل، فتعظيم الكعبة التى بناها إبراهيم بالتوجه إليها نعمة على الجميع.

وأشار للحكمة الثالثة بقوله - ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى ليهيئكم بذلك للثبات على الهداية إلى الحق، ثم خاطب العرب جميعا فقال: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم﴾ أى يتم نعمته عليكم بنعظيم بيته الذى تحبونه وتطهیره من مظاهر الوثنية كما أتمها عليكم بإرسال رسول منكم يتلو عليكم آياتنا أى القرآن الذى فيه سمادتكم، وطهركم من الشرك ويعلمكم الكتاب والحكمة، أى الكتابة وأسرار الشريعة ويعلمكم ما لم تعلموه من استنباط الأحكام وطرق الانتفاع بحيرات الأرض، هاذكرونى باستحضار عظمتى ونعمتى عليكم، أذكركم أى أجازيكم بالمر فى الدنيا والنعيم فى الآخرة واشكروا لى نعمتى عليكم بالطاعة، ولا تجحدوها بعصيانى فيحل عليكم غضبى، وهذا إنذار قصد به تأكيد الأمر بالشكر.

﴿يلوكنكم﴾ أى نحتبرنكم والمراد بعاملكم معاملة المختبر ليتبين للناس القوى الإيمان والصعيف أنظر الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ والآية (١٨٦) من سورة آل عمران

يُنَاقِهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِيبُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَا يَأْتِي بِقُلُوبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْرًا بَلْ أَحْبَبَ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَسَوْسَكُم
رِشْقٌ مِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ • إِذْ أَسْعَدْنَا مَرْيَمَ بِشِعَارِ اللَّهِ
فَرَجَّحَ النَّبْتَ إِذْ أَخْتَمَرْنَا جَنَاحَ عَزَىٰ وَأَخْلَفْنَا
وَمِنْ ظَرْفٍ إِذْ جَاءَهَا إِلَهُهَا مُشِيرَةً عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنْ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَاهْتَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَأْتِيهِ
الْبَيِّنُ وَالْيَكْتُمُ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

(ونقص من الأموال): التي تركها المسلمون وراهم بمكة والمراد بالأموال هنا الأنعام خاصة التي هي الإبل والبقر والعم لأبها كانت معظم ما يتموله العرب. و«نقص»: معطوف على الخوف، وما بعده يشير به إلى بعض أسباب الجوع والخوف.

«والأنفس»: بالقتل في الحروب أو المرض في جو المدينة لما فيه من حمى لم يألّفها أهل مكة.

«والثمرات»: المراد بها ثمرات التحمل والأغاب وغيرها.

«صلوات»: تعطف واحسان.

«المروة»: جبلان صغيران قريبان من الكعبة. «شعائر الله»: الشعيرة تطلق في الشرع على مكان العبادة وعلى العبادة نفسها.

«حج البيت»: أي قصده للحج وأعماله من إحرام وطواف حول الكعبة وسمى بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة.

«اعتصم»: أي أتى بعمره. وأعمالها هي أعمال الحج ما عدا الوقوف بعرفة، وليس لها وقت معين. «جناح»: إثم. «يطوف بهما»: يسمى بينهما «الدين يكتمون» هم أحبار اليهود.

«ما أنزلنا»: في التوراة. «البيئات»: الآيات الواضحات الدالة على صفته ﷺ.

«الهدى»: الإرشاد للحق.. «الكتاب»: التوراة.

(٢) أموات.

(٦) الصابرين

(٩) صلوات .

(١٢) الكتاب

(٢) الصابرين.

(٥) والثمرات

(٨) راجعون

(١١) بيته.

(١) والصلاة.

(٤) الأموال.

(٧) أصابتهن.

(١٠) البيئات.

المعنى لما استولى العيظ على اليهود والكفار لعجزهم عن الحجة، وصمموا على إبدائه ﷺ وأصحابه، سبهم سبحانه على ما يستعمون به على دفع كيدهم، وهو الصبر والصلاة كما تقدم في الآية (١٥) فإنهما حصار لا يهرم متحصن بهما، بدليل قوله تعالى ﴿إن الله مع الصابرين﴾ أي بالمساعدة ومن كان الله تعالى معه لا يهرم. ولما كانت الدعوة تفرص أهلها لأن يحاربهم عدوها ولا تصان عالياً إلا بدفعه بقتاله وكان المنافقون يشبطون بعض المؤمنين عن القتال رعب فيه سبحانه بقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات، بل هم أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم لأنها حياة برحمة تحامع الموت ولا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل. ثم سه سبحانه المؤمنين لبعض مصائب ستلاقيهم فقال ولبلونكم أي بتحريككم بشيء من لحوف من العدو لقلنكم في وسط كمار كثيرين والجوع الناشئ عن إخراج كثير منكم من ديارهم وأموالهم التي تركوها وراءهم بمكة والمراد بها الأصنام التي كانت تنال منها معظم أموالهم والأنفس بالقتل في الحرب والمرص، والثمرات من المعيل والعيب وغيرهما وقد حصل شيء من ذلك في عروة لأحزاب الأنبياء في سورة الأحزاب وهي عروة العسرة الأنبياء في الآية (١١٧) من سورة التوبة صفحة ٢٦٢ ثم رعب سبحانه في الصبر فقال «وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة، من هذه المذكورات قالوا إنا لله يفعل بنا ما يشاء وإنا إليه راجعون بالموت ويوم القيامة ففرحو إحسانه. هؤلاء عليهم صلوات أي تعظيماً وحب من ربهم وإحسان، وهم المهتدون للصواب إن الصفا والمروة من أمكنة عبادة شرعها الله وهي السعى الآتي، هم حج أو اعتمر فلا إثم عليه في أن يسعى بينهما وإنما قال لا إثم مع أنه ركن لأن المسلمين كانوا يتحرجون منه لوحد صمب عليهما وضعهما كمار مكة فقال سبحانه لا حرج في السعى ما دمتم عاحرين عن إزاله الأصنام أي كما أنه لا حرج في الموحه إلى الكعبة قبل تمتح والمسلمون بالمدينة مع إياها في ذلك الوقت محاطة بالأصنام ومن تطوع حيراً بأن يأتي بحجة وعمره بعد المرض فإن الله شاكر عمله أي يحاربه أحسن الحراء. عليم بيته وعمله فلا بصيع عنه شيئاً من ثوانه إن أحبار اليهود الذين أحصوا عن الناس ما أنزلنا في التوراة من آيات الدالة على صدقه ﷺ بلعهم الله ويلعهم اللاعنون الآتي ذكرهم في الآية (١٦١) من سورة البقرة صفحة ٢١. أي يظلمون منه تعالى طردهم من رحمته

الْمُتَعَمِّدُونَ ﴿١٥٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّ قَوْلُكَ لَكَ
 أَنْتَ عَلِيمٌ وَأَنَا أَتُوبُ لِلرَّحِيمِ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
 وَالنَّاسِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
 الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَكَذَلِكَ نَكْتُبُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي الْآرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَأَخْلَصُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْغَيْرِ
 بِمَا بَغَوْا اللَّهَ وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا فَاجَبَهُ
 الْآرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ كُلٌّ فِي غَرَابٍ مُخْتَلِفٍ ﴿١٥٤﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ
 عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نَكْتُبُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي الْآرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَأَخْلَصُوا أَنْفُسَهُمْ فِي
 الْغَيْرِ بِمَا بَغَوْا اللَّهَ وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
 فَاجَبَهُ الْآرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ كُلٌّ فِي غَرَابٍ مُخْتَلِفٍ

﴿أبداداً﴾ جمع بد بالكسر وهو المعامل.

أي معاتلين له سبحانه وتعالى عن ذلك علواً
 كبيراً.

المعنى: جميع من ذكروا ملعونون إلا الذين
 تابوا منهم عن الكتمان وأصلحوا أعمالهم
 بالاحلاص والإتقان، وبيَّنوا لاتباعهم رجوعهم
 إلى الحق ليتبعوهم فيه كما تبعوهم في
 لباطل. هؤلاء أتوب عليهم أي أقبل توبتهم
 لأنني كثير قبول توبة عبيدي إذا رجع إلي
 وندمك على ما عرط منه، الرحيم الذي لا
 يعجل بالعقوبة ليفصح المجال للتوبة، ثم بين

سبحانه من هم الملعونون ومن هم اللاعنون وأن الملعونين من غير الناصبين صرحت عليهم
 اللعنة الأبدية فقال تعالى ﴿إِنَّ الدِّمَاسَ كُفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي يسعهم الله
 والملائكة والناس أجمعون، خالدين في آثامهم وهو جهنم لا يخفف عنهم
 العذاب ولا يمهلون عنه لحظة وإلهم المعبود بحق إله واحد، فمن عبد غيره خلد في النار،
 الرحمن الرحيم، فيجب المبادرة إلى أسباب رحمته ثم بين سبحانه دليل وحدانيته بقوله إن

(١) تلامعون

(٢) والملائكة

(٣) خالدين

(٤) واحد

(٥) السموات

(٦) واختلاف

(٧) البيل

(٨) الرياح

(٩) لأيات

والأرض وما فيهما من عجائب، واختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلمة والنور بنظام لا يتحلف، والفلك وهي العظيم من السفن، ويطلق على الواحد والجمع، التي تجري في البحر بما ينفع الناس من طعام ومتاع، ومن وجوه العبرة فيها أن يجعل الله سبحانه هذا الماء السائل يحمل هذه الأجسام الصغمة، وفيما أنزل الله من السحاب من ماء. انظر الآية (٤٢) من سورة النور صفحة ١٦٥، فأحيا به الأرض باظهار ما أودع فيها من نبات وأشجار بعد موتها أي خلوها من ذلك كما هي الآية (٥) من سورة الحج صفحات ٤٢٢، ٤٢٤ والآية (٢٩) من سورة فصلت صفحة ٦٣٥، وبث فيها أي فرق هي جهاتها من كل دابة، وهي كل ما دب على وجه الأرض، وتصريف الرياح أي قلبها من جهة إلى أخرى وتحويلها من شدة إلى لين ومن برودة إلى حر وبالعكس، والسحاب المسخر المذلل بين السماء والأرض فلا يسقط منه شيء إلا في المكان والزمان المقدر له كما هي الآية (٤٢) من سورة النور صفحة ١٦٥؛ في كل ما ذكر آيات وبراهين على وجوده تعالى وحكمته لقوم يعقلون ويتدبرون في أن هذا النظام البديع لا يمكن أن يكون بدون خالق مدبر حكيم، ومع هذه البراهين القاطعة تجد من الناس من يتخذ لنفسه من المخلوقات آلهة ويجعلها معادلة له تعالى فيخضع لها كما يخضع له ويحبها كعبه مع أن الله وحده هو خالقهم ورازقهم، وهذه الآلهة لا تملك حتى لنفسها نقما ولا تدفع ضررا. والذين آمنوا أشد حبا لله من حب الكافر لمعبوده الباطل، لأن المؤمن لا يلجأ إلا لله في الرخاء والشدة وأما الكافر فإنه في الشدة ينسى آلهته ويلجأ لله كما هي الآيات (٥٢) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢، (٨) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧، فلو تنبه المسكين لهذا العلم أنه جانب الصواب حين قدس من لا يستحق تقديسا.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: هم أئمة الكفر الذين قادوا الضعفاء إلى اتباعهم..

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: هم الاتباع المقلدون.

﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾: تنككت الروابط التي كانت بينهم في الدنيا..

انظر الآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨.

﴿كرة﴾: رحمة للدينا

﴿عدو مبين﴾: أى واضح أنظر معانى كلمة

مبين هي الآية (٢) من سورة القصص صفحة

٥٠٦.

﴿يا مكرم﴾: أى يوسوس ويزين.

﴿بالسوء﴾: ما يسوء فى الآخرة وهو

المعصية.

﴿المحشاء﴾: أجمع أنواع المعاصى كالقتل

والزنا.

﴿يمتق﴾: يصيح. ﴿ما لا يسمع﴾: هي

البهائم.

﴿دعاء﴾ يريد الصياح على القريب منها لتأتى مثلاً ﴿دعاء﴾ هو الصياح على البعيد

منها.

المعنى أراد سبحانه أن يبين سوء عاقبة المتحدين أمداداً فقال ولو يرى الدين ظلموا إلى
أحره، أى لو يرى الظالمون أنفسهم بالكفر حين يشاهدون العذاب المعد لهم فى الآخرة أن
القدره كلها لله وحده وأن عذابه شديد لرأوا ما لا يوصف من شدة هوله وهى هذا الحين
ينصل أئمة الكفر من اتباعهم عندما يعلمون أن عليهم فوق حراء كمرهم حراء كمر اتباعهم

(١) أعمالهم

(٢) حصرات

(٣) معارجهم

(٤) محلاً

(٥) خطوات

(٦) شيطان

ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله
جميعاً وإن الله شديد العقاب ﴿١٥﴾ إذ تبرا الذين
أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب ونقطعت بهم
الأسباب ﴿١٦﴾ وقال الذين أتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ
منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرت
عليهم وما هم بخبرين من النار ﴿١٧﴾ يتأبها الناس ظنوا
بمجي الأرض حسلاً طيباً ولا يتبرأ حسرت الشيطان
إنه لكم عدو مبين ﴿١٨﴾ إنما يأمر آل بأسه والمعشاة
وإن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴿١٩﴾ وإذا قيل لهم أتبعوا
ما أنزل الله قاروا بل خيع ما بينا عليه وآياتنا ولو
كان آياتهم لا يفتنون شيك ولا يهدون ﴿٢٠﴾ ومثل الذين
كفروا كمثل الذى يبيع بى لا يسمع إلا دعاءاً ونداءاً

كما هي الآيتين (٦٧) (٦٨) من سورة الأحزاب صمحتي ٥٦٠، ٥٦١ والآيات (٢١)، (٢٢)، (٢٣) من سورة سب صمحة ٥٦٧ ورأى المريضان النافع والمتنوع العذاب، وتمكنت روائطهم حتى قال الأساغ لو منحنا الله رحمةً للدينا لتبرأنا من الرؤساء كما تبرأوا منا في هذا اليوم العصيب . كهد المنظر المتعيل العظيغ يريهم الله أعمالهم مثار حسرات لهم، وفي النهاية يخلدون في النار ولما كان من صغر جرائم هؤلاء الكافرين تحريم ما أحل الله، فالمشركون حرموا ما هي الآية (١٠٢) من سورة المائدة صمحة ١٥٧، والآيتين (١٢٨)، (١٢٩) من سورة الأنعام صمحة ١٨٦، واليهود حرموا ما أشارت إليه الآية (٩٢) من سورة آل عمران صمحة ٧٨، رد سبحانه على رعم الجميع بقوله كلوا من طيبات إلخ والطيبات ما تقبله النفس الطاهرة، ولا تتبعوا وساوس الشيطان لأنه عدو لكم واصح العداوة، والعدو لا يأمر بعير، وإنما يأمر بالمعاصي وبأقبحها عند الله، ومنها أن تقولوا حرم الله كذا وأحل كذا بدون علم، وإذا قيل لهم اتركوا الشيطان واتبعوا ما أنزل الله من توحيد الله وتحليل الطيبات وتحريم الخائث قالوا، كلا بل تتبع ما وحدنا عليه أباءنا، فسمعه سبحانه عقولهم بقوله أو لو كان إلخ أي أيتبعون آباءهم ولو كان باؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين عن دليل ولا يهتدون إلى الصواب فمثل هؤلاء الكفار ومن يدعوهم إلى الهدى والتوحيد كمثّل البهائم وراعيها الذي يصيح بها لتقبل أو تدبر فلا تسمع من الراعي إلا صوتاً سادحاً ولا تعقل للكلام المركب معنى، لاشتغال قلوبهم بتقليد الآباء فلا تنمت عقولهم للنظر في القول الصحيح انظر الآية (٢٢) من سورة الأنعام صمحتي ٢٢٩، ٢٣٠

﴿صم﴾: لا يسمعون.

﴿كم﴾: لا يطقون

﴿هلّ به لعير الله﴾ يقال هلّ الرجل أي رفع صوته، ومعنى التركيب وما رفع الصوت لاسم غير اسم الله مفترئاً ذلك الرفع بدبجه، والمراد ما ذكر عند دبجه اسم غير الله

﴿اصطر﴾: ألحّاته ضرورة إلى ارتكاب المحظور.

وَمَنْ يَكْفُرْ عَمَّا هُوَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَاءَ مَا يَكْسِبُ الْحَقِيرَ ١٦٦
 كَلَّا مِنْ مَّوَدِّعٍ مَارِدٍ يَمُرُّ لَكُمْ وَيَعُودُ أَتَاهُ إِنْ نُكُتُمْ بِهِ
 تَعْبُونَ ١٦٧ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِ
 وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضَلُّ عِرْصَ وَجْهٍ وَلَا عَادَ
 عَلَّائِمٌ عَلَيْهِ إِذْ أَتَاهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ١٦٨ إِنِ الدِّينُ
 يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ وَهُوَ
 قَلِيلٌ أُولَئِكَ مَا يَأْتُونَ فِي طُغْيَانٍ إِلَّا أُنْزِلَ وَلَا يَكْتُمُهُمُ
 اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٦٩
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْغَفْوَةِ
 فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ١٧٠ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَزَّ الْكِتَابَ
 بِأَحْقَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَشِقَاقٌ
 بَعِيدٌ ١٧١ لَيْسَ إِلَهُهُنَّ أَنْ تُرْوَا وَخَوْعَكُمْ قَبْلَ انْتِزَاقِ

﴿باع﴾. أى طالب له. راعب فيه، محب له
 لداته كسفن الناس الماسدى الطمع الدين
 يحسون اكل الميتة. وقال كثير من
 المصريين..

﴿غير باع﴾ أى على مصطر آخر بان
 يأخذ منه ما كان لو ترك له لأنقده هو أيضا
 من الهلاك

﴿عاد﴾ متجاوز حد الضرورة إلى حد
 تشيع..

﴿بن الله غفور﴾. يعفر لعباده الخطا
 اليسير من تحديد المقدار الذى يدفع
 الضرر

﴿رحيم﴾: حيث حرم عليهم ما يصرفهم.

﴿الدين يكتمون﴾ المراد بهم هنا أحبار اليهود.

﴿الكتاب﴾ هنا التوراة

﴿يشترون﴾ يأخذون

﴿يركبههم﴾. يظهرهم من الحيث

﴿فما صبرهم على النار﴾ (ما) هذه معناها شيء عجيب. والمعنى شيء عجيب جعلهم

يصبرون لح ويقول علماء العربية إن هذا التركيب من صيغ التعجب، ومثله صيغة (أسمع بهم)

(١) طيب

(٢) رزقناكم

(٣) كتاب

(٤) لعيمة

(٥) لصلاته

(٦، ٧) الكتاب

﴿فما أصبرهم على النار﴾: (ما) هذه معناها شيء عجيب. والمعنى شيء عجيب جعلهم يصبرون الخ. ويقول علماء العربية إن هذا التركيب من صيغ التعجب، ومثله صيغة (أسمع بهم) الآتية في الآية (٢٨) من سورة مريم صفحات ٢٩٩، ٤٠٠.

ولما كان التعجب هو انفعال النفس عند شعورهم بشيء يحفى عليها سببه، ولذا يقولون: إذا ظهر السبب بطل التعجب، ولما كان التعجب لا يتأتى منه تعالى لأنه سبحانه لا يحفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لدفع هذا قال العلماء: إن المراد بهذا التركيب إذا صدر منه سبحانه وتعالى هو تعجب الناس من شأن هؤلاء. فهو تعجب للمؤمنين من صبر هؤلاء الكفار على ارتكاب المعاصي الموجبة لدخول النار من غير مبالاة. وليس المراد أن لهم على النار صبراً، بدليل أنهم يستغيثون منها^(١) وبدليل صراخهم من عذابها^(٢)، وأمثال ذلك كثير^(٣)، ولهذا قال الحسن وقتادة والله ما لهم على النار من صبر، ولكن المعنى: ما أجراهم على العمل الذي يقربهم من النار، وقال ابن كثير: ما أدومهم على عمل أهل المعاصي التي تنصى بهم إلى النار. ومن هذا القبيل في صدوره عنه سبحانه وتعالى ﴿قتل الإنسان ما أكرم﴾^(٤) وهو تعجب للخلق من شدة كفر الإنسان وفي هذا الموضوع قال القرافي في كتابه الفروق^(٥): إن علماء العربية نصبوا على أن (إن) بكسر فمكون لا تدخل إلا على الفعل المشكوك في وقوعه، فلا تقول إن غربت الشمس فأتيتي، بل تقول إذا غربت.. الخ لأن (إذا) هي التي تدخل على الفعل المحقق الوقوع، أو المظنون على الأقل. ومقتضى قولهم هذا أن (إن) لا ترد في كتاب الله تعالى صادرة منه سبحانه. لأنه سبحانه بكل شيء عليم. فلا يعتريه شك ولا ظن. لكنها وردت في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾^(٦).

(١) كما في الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٥.

(٢) كما في الآيتين (٢٦)، (٢٧) من سورة فاطر صفحات ٥٧٦، ٥٧٧.

(٣) انظر الآية (١٢) من سورة النساء صفحة ١٠٧ والآيتين (١٠٦)، (١٠٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥، والآية (٤٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٨..

(٤) انظر الآية (١٧) من سورة هود صفحة ٧٩٢.

(٥) صفحة ٩٢ الجزء الأول.

(٦) الآية (٢٢) من سورة البقرة صفحة ٦.

بلمتهم وعلى أسلوب كلامهم، فكل ما كان في أساليبهم حمسا جاء في القرآن، وما كان قبيحا في أساليبهم لم يأت في القرآن، تحقيقا لكونه عربيا على أتم وجه، فالصابط أن كل فعل من شأنه أن يكون في المادة مشكوكا فيه بين الناس يحسن تعليقه بـ (إن) من جهته تعالى ومن جهة غيره، سواء أكان معلوما للمتكلم أو السامع أم لا. ولذلك يحسن لمن يسمع حركة في بيت أهله مسافرون، ويتيقن أنها من لمن أن يقول: إن كانت هذه حركة لمن يجب أن نقبض عليه.. لأن وجود رجل غريب في بيت غيره من شأنه أن يكون قبيحا مشكوكا فيه. وجاء على هذه القاعدة في القرآن قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ الآية (٢١) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠. فهو جار على أسلوب كلام العرب. وإلا فالحق سبحانه لا يشغله شيء عن شيء حتى يحتاج للنفرغ لبعض خلقه.

﴿الكتاب﴾: المراد جنسه، فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن. (شقاق بعيد): خلاف وتنافر بعيد المدى لا يمكن تلافيه.

﴿البر﴾: الخير الواسع.

المعنى فهم كالصم والبكم الذين لا يعقلون شيئا، لأنهم اتلفوا عقولهم بإهمال النظر في الأدلة والركون إلى التقليد. ثم أعاد سبحانه الأمر بأكل الطيبات ليرتب عليه الأمر بالشكر وما بعده، فقال: واشكروا الله بصرف نعمه فيما يرضيه إن كنتم حقا تخلصونه بالعبادة، واعلموا أنه لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم المصفوح، وهو ما يخرج من الحيوان عند ذبحه وقبل خروج الروح، وكذا حرم أجزاء الخنزير، وخص اللحم بالذكر لأنه المقصود بالأكل غالبا وغيره تبعاً له، وحرم ما ذكر غير اسم الله عليه أو يقصد بذبحه التقرب لغيره سبحانه، فمن الجاهل بالضرورة لأكل شيء من تلك المحرمات كأن كان مسافرا ولم يجد ما يقتات به وخاف على نفسه الهلاك فأكل منها وكان غير طالب لما ينقذ غيره كما تقدم ولا متجاوز حد دفع الضرورة إلى حد الشبع، فهذا المضطر بهذه الشروط لا ذنب عليه في الأكل منها، إن الله غفور لمن سبق له شيء يخالف قبل التحريم، رحيم بهم فلا يشق عليهم، ورؤساء اليهود والنصارى الذين

يكتُمون الحق، يدعى ابنه الله تعالى في التوراة والانجيل، انظر الآية (١٥٧) من سورة الاعراف
 صصحتي ٢١٧ ٢١٨ : يا حذرون بدل هذا الكتمان من اتساعهم وجهلتهم ثَمًا قليلا هو الأموال
 التي يا حذونها بحكم رباسهم تصير تلك الأموال نارا بعد الموت، ولا يكلمهم الله يوم القيامة
 كلاما بسرهم، ولا يظهرهم من التدبؤ والحساث، ولهم في الآخرة عذاب شديد الألم هؤلاء
 هم الذين فصلوا الصلابة أي الكسر والعصيان وبركوا الهدى وهو الإيمان والطاعة واحترأوا
 العذاب بدل المعصية فاعجبوا أيها الناس من مداومة هؤلاء الذين يكتُمون الحق على إجرامهم
 الذي سيوصلهم إلى النار حتما هذا العذاب حل بهم بسبب أن الله تعالى يرسل التوراة مقرونة
 بالحق هبدلوها وحاربوه، وأن هؤلاء اليهود والنصارى هم الذين احتموا في كتب الله، فاليهود
 رفضوا ما عد التوراة والنصارى رفضوا القرآن أما المؤمنون الصادقون كالمسلمين فإنهم
 يؤمنون بكتب الله الصادقة كلها كما تقدم في الآية (٤) من سورة البقرة صصحة ٢ وما سيأتي
 في الآية ٢٨٥ من نصي السورة صصحتي ٦١، ٦٢، هؤلاء المحتمون بالباطل في خلاف وتناهر
 بعيد المدى لا يمكن إصلاحهم لتعصب كل لما عنده ولما استغل الكفار جميعا تحويل القبلة في
 أحداث جدل باطل حتى به ضعيف الإيمان، كرر سبحانه الكلام فيه ليريل كل أثر نعمتهم مبينا
 لهم أنه لا يصح الجدل في شيء ليس في ذاته براء، فقال ليس البر إلخ أي ليس البر مجرد أن
 تولوا وحوكم جهة المشرق والمغرب.

﴿من أمر﴾ المراد عمل من أمر، حتى يصح الإخبار به عن البر يقول العربي يعصبي
 هالان يريد يعصبي عمله.

﴿لكتاب﴾ المراد حسن الكتاب، فيشمل جميع الكتب المبجلة^(١).

﴿أنتي المال على حبه﴾ ﴿على﴾ حرف يصيد هنا معنى (مع) كما في قوله تعالى ﴿وإن ربك
 لدو معصرة للناس على ظلمهم﴾ أي مع ظلمهم^(٢) أي أنفق المال مع حبه له.

قال ابن مسعود وسعيد بن جبير وعبرهما من العلف واللف المعنى مع حبه للمال والرغبة

(١) انظر الآية (٢٨٥) من سورة البقرة صصحتي ٦١، ٦٢

(٢) انظر الآية (٦) من سورة الرعد صصحتي ٢٢١، ٢٢٢

فيه، ويؤيدهم قوله تعالى: «وإن تبالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»^(٣) فالبر ذكر في الآيتين. وحب المال المنفق ذكر فيهما، وكانت الثانية صريحة في حب المال، فتحمل عليها الأولى، وهذا لا يمنع أنهم أنفقوا هذا المال الذي يحبونه لوجه الله تعالى وطلباً لرضاء كما في قوله تعالى: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً» إلى قوله «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»^(٤). فجمع في هذه الآية بين حب المال وطلب رضاء الله.

ويؤيدهم أيضاً ما جاء في الصحيحين مرفوعاً قال ﷺ: (أفضل الصدقة أن تصدق

والمعرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والنبيك والكتاب والنبش وآتى المال على حبه
قوى الفرق واليتيم والمنكح وآتى السبي والسائلين
وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ونفقت
معيهم إذا عاهدوا والضييق في النساء والسر
وحين الأسى أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
المتقون ﴿١٢٢﴾ بآب البر أمر كتب عليكم الفصاح
في أنتم الحر بالخير والعبد بالعتق والأتى بالأسى
فمن لم من أجه شقة ما تباع بالمعروف وأداء إليه
بأحسن ذلك تخفيف من ربك ورحمة فمن أعندى
تعد ذلك لله عذاب اليم ﴿١٢٣﴾ وتكر في الفصاح
حبرة يتولى الأتسب تعلمك تنقون ﴿١٢٤﴾ كتب عليكم

وأنت صحيح شحيح، تأمل الفنى، وتغشى العفر). أى أن أفضل الصدقة ما يبذله المؤمن وهو يحرم عليها ويحبها لأنها ذات قيمة عنده، ولذا ذم سبحانه من يتصدق بما يكره فقال

(١) والملائكة.

(٢) الكتاب.

(٣) واليتيم.

(٤) واليتامى.

(٥) والمساكين.

(٦) الصلاة.

(٧) الزكاة.

(٨) عاهدوا.

(٩) والصابرين.

(١٠) ينجس.

(١١) حياة.

(١٢) الأتسب.

(٣) انظر الآية (٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨

(٤) انظر الآيتين (٨)، (٩) من سورة الإنسان صفحات ٧٨١، ٧٨٢.

سبعائه: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾^(٥) قال المرحوم الشيخ محمد عبده في تفسيره وهذا الإيتاء غير إيتاء الزكاة الآتى. وهو ركن من أركان البر الواجب كالزكاة، وهو مطلوب لسد حاجة المحتاج.

ولا يشترط فيه نصاب معين بل هو على حسب الاستطاعة، فإذا كان البادل لا يملك إلا رغيفا واحدا لم يكن محتاجا إليه لنفسه، ولا لمن تجب عليه نفقته، ورأى مضطرا لهذا الرغيف وجب عليه بدله له. ثم قال: وليس المضطر وحده هو الذى له حق فى ذلك بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة ذوى القربى، ولو كان غنيا، لأنها من صلة الرحم، وهم أحق الناس بالبر والصلة.

فمن قطع رحمه خصوصا المحتاجين، ورضى بأن ينعم وذوى قريبا بائسون فهو برئ من الدين، ويهيد من البر^(٦) وكل هذا يفيد أن فى المال حقا غير الزكاة المفروضة، ويؤيد هذا ما أخرجه الدارقطنى وابن ماجة فى سننه والترمذى فى جامعه عن فاطمة بنت قيس أن النبى ﷺ قال: إن فى المال حقا سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية (ليس البر.. إلخ) وما يتفق مع هذا الحديث مهما كانت درجته قول القرطبى: اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف الزكاة إليها وقال مالك يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم (ذوى القربى) قال المرحوم الشيخ عباس الجمل^(٧): ذوى القربى هنا هم كل قريب من الأصول والفروع وغيرهم، ولا يشترط أن يكونوا محتاجين، لأن فيها صلة رحم وهى تطلب للمحتاج كما تطلب للقنى منهم، لأن إيتاء المال هنا ليس هو الزكاة المفروضة، لأن نفقتهم واجبة على قريبتهم القنى، ولا تصح زكاته لمن تجب عليه نفقته، وليس هو صدقة التطوع لأن الأقربين الأغنياء من الأصول والفروع ليمسوا مصرفا لصدقة التطوع، ولأن القرآن عدد مصارف الزكاة المفروضة فى قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين

(٥) انظر الآية (٦٢) من سورة التعل صفحة ٢٥٢

(٦) انظر شيئا من هذا فى شرح الآية (٨) من سورة النساء صفحات ٩٨، ٩٩ وشرح الآية (١٤١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٦، والآيتين (٢٤)، (٢٥) من سورة الماعز صفحة ٧٦٦.

(٧) فى رسائله التى وضعها فى شرح هذه الآية (آية البر).

عليها (آية) (٨) ولم يذكر فيها دوى القربى أما الأعياء من دوى القربى فإنما يؤتون لمال نصبة الرحم، لا صدقة، لأنها لا تحل لى، فالمرق بين الصدقة، وصلة الرحم هي إعطاء دوى القربى هي النية فعلى من يؤتي المال لدى القربى أن يموى بذلك صلة الرحم، لا التصديق عليهم..

﴿اليتامى﴾ اليتيم هنا هو من مات أبوه وتركه صغيرا محتاجا للمداء والكساء

﴿المساكين﴾ المراد بالمساكين هنا المحتاج الذي لا يسأل الناس شيئا، فهو مستكين مبطو على نفسه ﴿بين السبيل﴾: هو المسافر المحتاج المنقطع عن أهله ولو كان غنيا في يده، ﴿السائلين﴾ هم الفقراء الذي يسألون الناس (٩) ﴿في الرقاب﴾ أى في فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم ﴿والصابرين﴾ معطوف على (مَنْ آمَن) الذي هو خير المبتدأ فكان حقه الرفع كما هي (لوقور بمهدهم) ولكن علماء العربية قالوا إنه يجوز للمتكلم أن يغير إعراب الكلمة ليأمت الأنظار إلى معناها (١٠) ويكون الأصل هنا، وأحص بالدكر من بين هذه الطوائف الصابرين، لأن أحرقهم يوهى بغير حساب، لما ثبت أن الصبر نصف الإيمان، ومن هذا النوع الالتفات في قوله تعالى ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا.. الآية﴾ (١١).

﴿النساء﴾ هي كل شدة تحمل للإنسان بسبب مصيبة تلحقه في غير نفسه مما يعز عليه كحقد ولد أو مال مثلا، ﴿المصراء﴾ هي الصبر الذي يصيب الإنسان في نفسه كالمرض.

﴿البأس﴾: المراد به هنا شدة القتال في سبيل الله.

﴿كتب عليكم﴾ أى حرص، والخطاب لجميع المؤمنين على أن يتولى القصاص ولئى الأمر منهم وذلك إذا طلب ولئى الدم المصاص فهذا يدل على أن لولى الدم حق العمو، فالوجوب بالنسبة للحكام فقط، فلا يحور لهم العمو إذا طلب صاحب الحق القصاص

(٨) الآية (٦٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١

(٩) السائل والمحروم في الآية (٢٥) من سورة المارج صفحة ٧٦٦

(١٠) أنظر شرح الآية (١٦٢) من سورة النساء صفحة ١٢٠، ١٢١

(١١) الآية (٩٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩

﴿القصاص﴾. قال صاحب الأسام تقول العرب قصصت أثر فلان يريدون تنعته، ومنه في القرآن الكريم (وقالت لأخته قصيه) (١٢).

وقال الرابع القصاص تتبع الدم بقتل القاتل، لهذا قال بعضهم إن القصاص يلزمه معنى (المساواة) قال المرحوم الشيخ محمد عبده. القصاص معناه هنا أن يقتل القاتل لأنه في نظر الشريعة مساو للمقتول.

﴿في القتل﴾ - (في) بمعنى باء السببية، كما في قوله ﷺ.. دخلت امرأة النار في هرة. أي دخلت النار بسبب حبسها هرة حتى ماتت جوعاً. والقتل جمع قتل كجرحى جمع جريح.. (الحر بالحر.. إلخ): أي الحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد إلخ وهذا بيان لحكم النوع إذا قتل نوع، ولم تتعرض الآية لحكم أحد النوعين إذا قتل الآخر، كما إذا قتل رجل امرأة أو بالعكس، فالآية مجملة، وبين هذا الأجمال أمور: الأول قوله تعالى في شأن بني إسرائيل ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين.. إلخ﴾ (١٣). قال أبو السموذ لأن شريعة من قبلنا إذا قصصها الله سبحانه علينا من غير قيام دليل على نسخها فهي شريعة لنا.. والثاني أن النبي ﷺ بينها بسنته، فقتل الرجل اليهودي الذي قتل امرأة.. والثالث أن القصاص ينطبق على المساواة في العصمة. والعصمة تكون بالمساواة في الدين، أو بالوجود في قطر واحد تحت حكومة واحدة، فالمعاهدون من غير المسلمين الذين يشاركوننا في الوطن لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

﴿ومن عصى له من أخيه﴾ أي فالقاتل الذي صدر له العفو من جهة أخيه أي ﴿ولي الدم﴾ شيء من العفو ولو قليلاً، فإنه بمنزلة العفو التام في إسقاط القصاص فإن عفا بعض أولياء الدم ولو كان واحداً من مائة سقط القصاص، والتميز بصفة الأحوه الثابتة بينهما فيه تحريك عوامل التراحم والعطف، وإشعار بأن الله سبحانه يحب العفو، ﴿هاتباع بمعروف﴾: أي فالأمر المطلوب اتباع إلخ والمراد فليكن من العاقب اتباع المعروف في استيفاء الدية من القاتل

(١٢) الآية (١١) من سورة القصص صفحة ٥٠٧ .

(١٣) الآية (٤٥) من سورة المائدة صفحات ١٤٥، ١٤٦.

من غير تعسف ولا إرهاب ﴿وَأَدَاءُ إِلَهٍ بِإِحْسَانٍ﴾ أى المطلوب من القاتل أداء الدية للمهاجر
بإحسان بأن لا يماطل ولا ينتقص منها شيئاً..

المعنى بل البر الصحيح هو عمل من آمن بالله، أى بوجوده ووحدانيته، واستحقاقه وحده
جميع صفات الكمال، وباليوم الآخر بأنه حاصل لأشك فيه وبوجود الملائكة، وأنهم عباد
مكرمون، وبحمى الكتب السماوية، وبالسيين الذين ذكرهم الله سبحانه تفضيلاً، والإيمان بأن
له رسلاً غيرهم وإن كنا لا نعلمهم^(١٤)، وأعطى المال مع حبه له دوى القريب واليتيم
واليتيم إلى آخر ما ذكر، وأدى الصلاة على وجهها، واتى الركاة المروضة، والموفون بمهمهم
مع الله ومع الناس، ومدح سبحانه من أصحاب صفات البر الصابرين فى تلك شدة،
لذكورة وخصوصاً فى ميدان الجهاد^(١٥) أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا،
فى إيمانهم وعيها عاهدوا الله عليه صدقاً قوياً حتى كأنه لا صادق غيرهم والذين اتقوا الله
تقوى تامة حتى كأنه لا اتقيا غيرهم^(١٦)، فرض عليكم أيها المؤمنون أن يقتض حكامكم من
القاتل بقتله، ولما كانت عوائد الحاهلية أن للأقوياء على الصغفاء امتيازات غير عادلة من ذلك
أنه إذا قتل عبداً حراً تركوا العبد وقتلوا سيده، وإذا قتل امرأة رجلاً تركوها وقتلوا من
أسرتها رجلاً، وإذا قتل رجل فقير رجلاً من الأغنياء يقتلون بدله رجلاً من الصغفاء، لما كان كل
هذا أراد سبحانه أن يبطله بهذه الآية، فالمعنى إذا قتل حراً بقتل هو به لا غيره من كبار
أسرة القاتل، ولا يقتل به أكثر من واحد، وإذا قتل عبد من عبيد الصغفاء عبداً ممنوكاً
لأقوياء يقتل هو به لا سيده ولا أحد الأحرار من أسياده وإذا قتل امرأة امرأة أخرى تقتل
هى، لا رجلاً من أفراد قبيلتها بدلها، فالقصاص على نفسه، لا على أحد من قبيلته كما كان
فى الحاهلية ومما يدل على أن المعنى الحرهى لما ذكر غير مراد أن قتل العبد بالعبد والأشئ
بالأشئ بعيد من باب أولى قتل العبد بالحر وقتل الأشئ بالأشئ نالذكر

قال البصاوى إن الآية لا تدل على أنه لا يقتل الحر بالعبد ولا الذكر بالأشئ لأن ما ذكر

(١٤) انظر الأيتين (١٦٣)، (١٦٤) من سورة النساء، صمعة ١٢١ والآيات (٨٢) حتى (٩٠) من سورة الأنعام

صمعات ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥

(١٥) انظر الأنين (٦٥)، (٦٦) من سورة الأنعام صمعة ٢٢٧

(١٦) أحد هـ الحصر فى الحملتين من تعريب طرفيهما ورياءه صمير المصل (هم) فى الثانية

فيها كان لحرد معارفة عاده جاهليه، فليس مقصودا ظاهره، وذلك لأن مفهوم المحالمة إنما يعبر حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر عرص سوى اختصاص الحكم به، وهنا ظهر أن له عرصاً غير التخصيص وهو ما ذكر من إبطال تلك العادة^(١٧)، فالمراد من كل ما تقدم أن حكم لشريعة أنه لا يقتل عبر القاتل مهما كان من الموارق بين القاتل والمقتول

ولما كانت الديانة اليهودية لا تحير العمو عن الجاني، والبصراية تطلب العمو وتشدد في طلبه، جاء الإسلام بالعدل الوسط محور العمو واحتساب الأحر عند الله وأحد الدية بدل القصاص فقال سبحانه في ذلك (فمن عمى له من أخيه.. إلخ)، أي الجاني الذي صدر له شيء من العمو عن حمايته من جهة أخيه ولي الدم حتى لو كان هذا العمو قليلاً كما تقدم في شرح المصردات بأن كل من بعض الورثة دون بعض فالمطلوب شرعاً من العاصي أن يتبع في مطالبته الدية الطريق المعروف حسبه وهو عدم إرهاقه بدفعها مرة واحدة إن كان ذلك بمجزء، ولا يأخذ أكثر مما ينبغي، والمطلوب من الجاني المعمو عنه أن يؤدي الدية إلى أولياء المقتول على الوجه الحسن، فلا يماطل ولا ينقص منها شيئاً، وأسلوب الآية يفيد بأن الله سبحانه يحب من عباده العمو ولذلك حرص اتباع العمو وإن لم يكن من جميع أولياء الدم، لأن في العمو إيقاف الصمائر لتغيب حاسب الأخوة الإنسانية والدينية فتقل الشرور وتنتشر المحبة^(١٨) وذلك الحكم من عدم وجوب القصاص، والعمو مع أحد الدية تسهيل ورحمة منه تعالى بكم حيث لم يحتم عليكم ما حتمه على من سبقكم، فمن اعتدى من أهل القتل بأن قتل القاتل بعد أخذ الدية فله عذاب أليم في الدنيا بالقصاص أو الدية، وهي الآخرة بالنار، ولكم في شرع هذه القصاص حياة أي بقاء وحفظ، لأن القاتل إذا علم أنه سيقتل امتنع عن القتل فأحيا نفسه وبص من كان يريد قتله.

﴿حينما﴾: عدولا عن الحق خطأ

﴿إنما﴾: عدولا عن الحق عمداً.

﴿فأصلح بينهم﴾ أي بين الموصى لهم بعضهم مع بعض أو مع الورثة.

(١٧) فهو من قبيل قوله تعالى ﴿وربناشكم اللاتي في حجوركم﴾ (إنج) (الآية ٢٢) من سورة النساء صفحتي

إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨١﴾ قَسَّ بَنَاهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّى إِنَّمَا يَهْدِي عَلَى الْغَيْبِ يَخْتُلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ قَسَّ حَافٍ مِنْ مَرْحَى حَقًّا وَإِنَّمَا
فَأَسْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ عَصَى رَحِيمٌ ﴿١٨٣﴾
بَنَاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكَ الْيَمِّ كَمَا كَتَبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨٤﴾ أَيُّهَا الْمُتَدَبِّرُونَ
قَسَّ كَذَلِكَ مِنْكُمْ مَرْحَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فَدِيَةً طَعَامٌ يَسْكِبُونَ قَسَّ تَطَوُّعٌ
خَيْرٌ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٥﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ قَسَّ شَهِدَ بَيْنَكُمْ

﴿أياماً معدودات﴾: اختصار المرحوم الشيخ محمد عبده أن هذه الأيام هي أيام رمضان، لأنه لم يثبت في المنة الصعبة السالبة من معارض أن الصوم كان واجباً على المسلمين قبل صوم رمضان، ولو ثبت ذلك لنقل إلينا متواتراً، لأنه من العبادات العملية التي تتكرر ولا ينساها الناس، والمراد من (معدودات) أي قليلات، فمن أساليب العرب أنهم إذا أرادوا تقليل عدد شيء يقولون: شيء معدود أي قليل ومنه في القرآن الكريم في الحديث من اليهود ﴿قالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ الآية (٢٤) من سورة آل عمران

صفحة ٦٦. وقوله تعالى في الحديث عن نبيه يوسف عليه السلام ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ الآية (٢٠) من سورة يوسف صفحة ٢٠٥.

وقوله سبحانه: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ الآية (٢٠٣) من سورة البقرة صفحة ٤٠ وهي أيام التشريق الثلاثة التي يقصدها الحاج في منى بعد يوم العيد الأكبر، والمراد تسهيل أمر الصيام عليهم. كما هي سنته تعالى في التدرج بعباده ليأخذهم باللطف إلى التشريع النهائي ولا يفاجئهم بما يشق عليهم، انظر كيف تدرج بالزكاة في شرح الآية (٤) من سورة لقمان صفحة ٥٣٩، وفي تحريم الخمر في شرح الآية (٢١٩) من سورة البقرة صفحة ٤٣، وفي الأمر بتقديم صدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ في الآية (١٢) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٧، ولا استشعروا أن للرسول ﷺ مقاماً خاصاً عند ربه يوجب عليهم عدم الإثقال عليه بما لا يفيد

(١) للوالدين.

(٢) معدودات.

(٣) ويسات.

ولما استشعروا أن للرسول ﷺ مقاما خاصا عند ربه يوجب عليهم عدم الإتيان عليه بما لا يبيد خصوصاً وهو الرحيم بهم، شديد الحياء. لما حصل هذا خفف عنهم بما في الآية (١٢) من نفس السورة صفحة ٧٢٧، وكذا يقال في قيامك الليل في الآيات (٢) وما بعدها من سورة المزمّل صفحة ٧٢٣ ثم الآية (٢٠) من نفس السورة صفحتي ٧٧٤، ٧٧٥. نقول لما تمودوا الصوم مع التحبير انتقل بهم إلى الوجوب.

﴿يطيقونه﴾ المراد بقوله (يطيقونه) أي يتحملونه بغاية المشقة. ولا يقال أطيع حمل هذه الورقة، أو السماء فوقنا، لأن من أركان تعريف الكلام العربي أن يكون مفيدا للسامع هائدة يجهلها. ولذا قالوا لا يقال السيف أمضى من العصا، أو أنا أطيع حمل عود الحطب لأنه قد ركن من أركان اعتياده كلاما عند العرب.

﴿هدى للناس﴾ إلخ. المراد هاديا للناس إلى الصواب هداية خاصة به لما فيه من الإعجاز ومصيب الأحكام مما ليس في غيره، ولهذا جعله الهدى نفسه.

﴿وبيات من الهدى﴾ أي حال كونه أدلة واصبغات من بين الكتب الإلهية الهادية إلى الصواب وهو هادٍ بواسطة أمرين، أمر مختص به وآخر غير مختص.

﴿المراق﴾ هو المارق بقوة بين الحق والباطل. ﴿عمن شهد منكم الشهر﴾، أدرك رمضان وهو حي..

التمنى فرض عليكم إذا حصر أحدكم مقدمات الموت وكان يملك خيرا أي مالا له قيمة وذلك يختلف تقديره باختلاف أحوال الناس في مشارلهم وأرمانهم الوصية، أي فرض عليكم أن يوصي من حضرته الوفاة للوالدين اللذين لا يرثان كالأجداد مع وجود الآباء، والوالدين الكافرين، لأنه من الشر المطلوب لهما شرعا، والأقربين من المقرء، فإن لم يكن في قرابته مقرء يوصي ندبا لمقرء المسلمين فإن مات ولم يوص وحب على الورثة أن يحرقوها عنه، فإن لم يحرقوها أخرجها الفاضل الثابت عن جماعة المسلمين وهذا هو سر توحية الخطاب لهم في قوله تعالى ﴿كتب عليكم﴾ ولم يقل (كتب على الواحد منكم) لأن فرضها ثابت بالآية. ويحدث المعاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي

فيه، بيت ثلثين^(١) إلا ووصيته مكتوبة عنه) فرحم الله امرا حافظ عليها ولم يفتخر بمن يقول
 إن الآية منسوخة فإن العلماء المحققين ابطالوا قوله هذا. بالمعروف أى يوصى لمن ذكروا
 بالمعارف بين الناس أنه يكفى صدقه فى مثل ماله، وحدده ﷺ بأن لا يريد على الثلث. ومما
 يؤكد وجوبها قوله (حقا) أى الإيصاء واجب وحبوا حقا فمن بدل الإيصاء وغيره من الأوصياء
 أو الشهود بالزيادة أو النقص أو الكتمان بعد ما علمه فإثم هذا التبديل على المبدل وحده لا
 يعتمد على الموصى ولا إلى غيره، لأن الله تعالى سمع لقول الموصى، عليم بما يفعل
 الأوصياء والشهود، ومحاربيهم خيرا أو شرا فمن حاف أى علم من الموصى بعدا عن الحق فى
 وصيته خطأ أو عمداً بأن راد فى الوصية عن الثلث لينتقص حق وارث، أو أوصى لغيره أو
 سبى أو غافق بأكثر من نصيب فقير، أو مريض أو صالح، فأصلح بين الموصى لهم بأن عدل
 الوصية وجعلها على وجه المصلحة فلا ذنب عليه فى تعديلها، أى فليس عمله من التبديل
 المنهى عنه فيما سبق، لأن الله واسع المعصية، فلا يؤاخذ بالهموات فصلا عما فيه إصلاح،
 رحيم بعباده يحب عدم إساءتهم.

يا أيها الذين آمنوا من أنواع محمد ﷺ فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم قبكم،
 وإن اختلف فى عدد أيامه ونعميين شهوره، لأنه بعد المؤمن ليكون تقيا بعيدا عن المعاصي.
 وجعله الله تعالى أياما قلائل تيسيرا عليكم، فمن كان مريضا فى أيام الصوم أو مسافرا
 فأفطر فعليه عدد ما أفطره من أيام أخر، فمن استطاع الصوم وأفطر ولم يكن مسافرا ولا
 مريضا فعليه فدية هى إطعام مسكين عداة وعشاء عن كل يوم أفطره من خمس طعام الممطر،
 فمن تطوع خيرا بأن أطعم المسكين أكثر من يوم أو أطعم عددا من المساكين عن اليوم الواحد
 فهو خير له عند الله يوم القيامة وإن تصوموا أى وصومكم عند القدرة خير لكم من المفطر
 والإطعام أن كنتم تعلمون وجه المصلحة فى الصوم، وهكذا كان أول شرع الصوم على التحجير
 بيه وبين الإطعام ليتدرج بهم إلى نحتيمه فلما تعودوا أوجب الصوم فقط كما سيأتى وتلك
 الأيام المعدودات هى شهر رمضان الذى أنزل فيه أول ما نزل من القرآن الهادى للخير
 والموضح المسين للحق، وهى بعض الهدى الإلهى الذى أنزله على الأنبياء من قبل هارفا بين
 الحق والباطل فرقا قويا.

(١) بيت ثلثين: أى بعد سماع الآية وعلمه بها.

الشهر فليصمه^(١) ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من
أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولذكروا
العدة وتكبروا الله على ما عبدكم ولعلكم تنكرون^(٢)
وَإِذْ سَأَلْنَا عَادِي عَمِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذْ دَعَانِ فَلَتَسْتَجِيبُوا لِي وَلْتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ^(٣)
أَحِلَّ لَكُمْ تَيْسَتُ الْيَمَامِ الرَّمْثُ إِلَى يَتَاكُمْ مِنْ يَأْسٍ
لَكُمْ وَتَمَّ يَأْسٌ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ أَسْرَكُمْ تَحَاوُونَ
أَنفُسَكُمْ فَهَبْ عَلَيْهِمْ ذَعَارَكُمْ فَافْتَنُ بَنِيكُمْ
وَأَخْرَجُوا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُفُّوا وَافْتَنُوا حَتَّى يَبَيِّنَ
لَكُمْ الْخَبْطَ الْأَيْمَنُ مِنَ الْخَبْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَعْرِ
فَمَآ يَكُونُ الْيَمَامُ إِلَى الْفِيلِ وَلَا يَنْبُرُوهمْ وَأَمَّ عَنْكُمُ
فِي السَّجْدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ

﴿فليصمتجيبوا لي﴾: أي فليجيبوا بإخلاص

ما طلبه منهم بالطاعة.

﴿يرشدون﴾: يهتدون.

﴿الرفث﴾: كل ما لا تجهز الآداب العامة

التصريح به مما يحصل بين الرجل وزوجته،

والمراد هنا المباشرة

﴿تفتنانون أنفسكم﴾: أي تخفونونها خيانة

شديدة وتظلمونها بعدم صبركم.

المعنى: فمن شهد منكم شهر رمضان بأن

كان حيا حاضرا غير مسافر فليصمه وجوبا

وبهذا الأمر انتهى حكم التخيير السابق

وأصبح لا يجوز إلا الصوم. فمن كان مريضا أو مسافرا فيجب عليه قضاء ما فاتته في أيام

أخر. أما الشيخ الكبير الذي يعجز عن الصوم لضعف الشيخوخة فحكمه الفطر دائما مع

الفدية، وهذا الحكم مأخوذ من عمل الصعابة، واستقر عليه الإجماع. والله حين جوز لكم

الفطر في السمر والمرص يريد لكم التيسير ولا يريد لكم ما فيه عسر ومشقة ويريد منكم

إكمال عدة الأيام التي فرضها عليكم إما أداء أو قضاء، ولتكبروا الله أي تعظموه شكرا لنعمته

بهدايته لكم. ولما سأل جماعة النبي ﷺ كيف تدعوا الله أرفع الصوت أم بخفته نزل: وإذا

(١) هداكم.

(٢) فالآن.

(٣) بأشروهم.

(٤) الليل.

(٥) بأشروهم.

(٦) عاكفون.

(٧) المساجد.

سألك عبادي أي المحبون عن كيفية صلاتي. فأحيرهم أي قريب منهم يعلمي أسمع كل ما يقولون واجيب دعوة أحدهم أما بمصاء ما طلب أو بحير منه، فليستحيوا دعوتي لهم إلى الطاعة وليؤمنوا بأني الإله الواحد المالك لكل شيء ليعدهم ذلك لكمال الهداية والرشد. وكان المسلمون أول ما فرض الصوم إذا دخل المغرب يأكلون ويمشون النساء إلى أن يأموا، فإذا نام أحدهم ثم استيقظ ولو في أول الليل أمسك عن كل معطر إلى غروب شمس اليوم التالي فغلب الطبع بعصمهم فلامس روحته بعد نوم، فندم وأسرع إلى النبي ﷺ يشكو ويستعمر، فمرل قوله تعالى ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث﴾ أي أحل لكم ملامسة سائكم في أي وقت من أوقات الليل ولو بعد النوم لأنهم ستر لكم تقصون حاجتكم معهن فيحفظن أعراضكم من أن تكشفن على غيرهم. وأنتم لهن كذلك، وسب هذا التيسير أنه سبحانه عزم أنكم كنتم تجوبون أنفسكم وتطلعونها بدم صبركم، فتاب عليكم أي قبل توبتكم، وعما عيكم برفع هذا التحريم طوال الليل.

فالآن بعد التحليل باشروا روجاتكم واطلبوا بذلك ما قدره الله لكم من الوثاق. وأبعت لكم أيضا الأكل والشرب طوّل الليل إلى أن يتبين لكم المحيط الأبيض، وهو بياض المجر، من المحيط الأسود وهو سواد الليل المجاور للبياض ومجموعهما يسمى فحرا فإذا رأيتم المجر فأمسكوا واتموا صومكم إلى دخول الليل بمروب الشمس ولا تباشروا النساء في مدة التي نويتم اعتكافها في المساجد والاعتكاف تقدم في الآية (١٢٥) صفحة ٢٤. وتلك الأحكام السابقة هي حدود الله، أي حواجز الماصلة بين الحلال والحرم، فلا تقربوها وابتعدوا من مخالفتها كذلك أي كهذا البيان الواضح بين الله بقية آيات الأحكام أي يأتي بها واضحة ليهدكم للنقوى.

﴿تدلوا بها إلى الحكام﴾ تدفعونها رشوة.

﴿فريقا من أموال الناس﴾ بعضا منها.

﴿السر﴾ الحير الواسع..

«حيث تقصصتموه» في كل مكان
وحددتموه فيه . يقال قصصه يثقفه بورن
سمعه يستمعه، ومعناه وجده وقدر عليه..

«الفتنة أشد من القتل»: الفتنة الاشلاء
الشديد والامتحان القاسي كما في الآيتين
(١١)، (٥٢) من سورة الحج صفحتي ٤٢٤،
٤٤١ والآية (٢) من سورة العنكبوت صفحة
٥٢٠.

المعنى بعد ان بين الله انه سبحانه يأتي
بأحكامه واصحة ليعدكم للتقوى ذكر سبحانه
بعض تلك الأحكام فقال: «ولا تأكلوا
أموالكم» إلخ. أي لا يأخذ بعضكم مال بعض

حراماً، كالسرفه والمصب، ولا تدفعوا الأموال رشوة للحكام الذين يفصلون في مشاكلكم
لتتوصلوا بأحكامهم الحائرة إلى أن تأخذوا بعضها من أموال غيركم أحذا مقارنا للدسب لأنه
حرام، وأنتم تعلمون أنكم على باطل، وهذا أشد قبحا من عمل الجاهل، ولما سأل بعض

الله فأبى الله للناس تعلمهم يتقون ﴿١٧﴾ ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بائبيل وتدوايب إلى الحكام ب كلوا مريقا
من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴿١٨﴾ • يستفلونك
عن الأهل من من موقب للناس والحج وليس أير
يان ت مؤ آلوت من طهورها ولكر أير من أن
وأور النبوت من أورا وأمو الله لعنكم فلهون ﴿١٩﴾
وقبوا في سبل الله الذين يقبلونكم ولا تقبوا
إل الله لأبب الثعير ﴿٢٠﴾ وأنتم حيث تقبسون
وأترحون من حيث أترحون وأبب أترحون
ولا تقبسون عبد السعيد الحرام من يقبلونكم فيه
فإن قتلونكم فاقبسون كذالك حرآ الكير ﴿٢١﴾
فإن أسروا فإن الله عفو رحيم ﴿٢٢﴾ وقبسون من

(١) آياته.

(٢) أموالكم

(٣) بالباطل

(٤) أموال

(٥) موقيت

(٦) أبو بها

(٧) وهانوا

(٨) معاتلونكم

(٩) معاتلونهم

(١٠) نقاتلونكم

(١١) قاتلونكم

(١٢) الكافرين

(١٣) وهانولهم

المسلمين النبي ﷺ عن الهلال لم يظهر أول الشهر صغيراً ثم يكبر ولم لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ أحابهم سبحانه عن الحكمة هي ذلك فقال: قل لهم أيها النبي جعل الله تعالى حالة الأهلة كما ترون لتكون مبينة لأوقات أعمال الناس الدينية كالصوم وعدة الطلاق والحج، والذنيوية كالإجارة والرهن وسداد الديون. انظر الآية (٥) من سورة يونس صمحة ٢٦٦. والآية (١٢) من سورة الإسراء صمحتي ٢٦٥، ٢٦٦.

وكان من عوائد العرب التي لا أصل لها أنهم كانوا إذا رجعوا من الحج لا يدخل الرجل بيته من بابه بل يدخل من خلف الحياء إن كان من أهل الخيام، ومن ثقب هي خلف البيت إن كان من أهل البقاء، فظاہر أن سقف الباب يحول بينهم وبين رحمة السماء ويعسبون معلهم هذا برا يقربهم إلى الله. وقد بقيت هذه العادة إلى ما بعد الإسلام، فقد روى البخاري أن بعض الأنصار كانوا إذا حجوا دخلوا البيوت من ظهورها، فابطل سبحانه هذا التحريم بأسلوب التوبيخ والإرشاد فقال (وليس البر) إلح أي ليس عمل الخير أن تدخلوا البيوت من خلف ولكن العمل المقرب لله هو عمل من اتقى الله وعمل ما تقدم بيبانه هي الآية (١٧٧) من هذه السورة صمحتي ٣٢، ٣٤.

فلا تعصوا أمره وكان مشركو مكة ممنهوه ﷺ وأصحابه من دخول مكة معتمراً هي السنة السادسة ثم صالحوه صلح الحديبية المشهور على أن يمكنوه من الدخول في العام القادم، فلما حل الموعد وطلب ﷺ من أصحابه أن يتجهروا بأدوات الحرب مخافة أن يفدر بهم الكفار، جرع بعضهم خوف القتال في الحرم وفي وقت الإحرام، فأمر الله تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ إلح، فأنس لهم في القتال دهاعا ليتمكنوا من عبادته التي هي سبيل رضاء، ولا يعتدوا بالمدء بالقتال فإذا بدعوا هم فاقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه من حل أو حرم وأخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها، والبادئ أظلم، وهتتهم لكم بمكة أمام ضعفكم بتعديكم ومحاولة إكراهكم على الكفر أشد قسوة على الحر من القتل. ثم استثنى من عموم الأمكة المصرح لهم بالقتال فيها المسجد الحرام فقال ﴿ولا تقاتلوهم عند لمسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ المراد أن من دخل منهم المسجد يكون امنا إلا إذا بدأ هو بالقتال فيه، فإن قاتلوكم فيه فاقتلوهم، لأن المدافع غير ملوم

﴿فلا عدوان﴾: المراد فلا مجازاة على
العدى.

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾: أى
انتهاك حرمة الشهر الحرام يكون بانتهاك
غيركم لحرمة، والأشهر الحرم أربعة كما فى
الآية (٢٦) من سورة التوبة صفحة ٢٤٦.

﴿والحرمان﴾: الحرمان كل ما يجب
احترامه والمحافظة عليه.

﴿قصاص﴾: أى يعزى فيها القصاص وهو
المقابلة بالمثل كما تقدم فى الآية (١٧٨) من
هذه السورة صفحة ٣٤.

﴿فاعتدوا عليه﴾: انظر ما قبل فى شرح

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ صفحة ٣٦٣. ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة﴾ أى لا تعرضوا أنفسكم إلى الهلاك بسبب بطلكم عن الإنفاق فى شراء عدة القتال.
لأن ذلك يمكن عدوكم من إهلاككم.

﴿التهلكة﴾ مصدر بمعنى الهلاك، والماء فى ﴿بأيديكم﴾ جاءت فى المفعول لتأكيد وقوع
العمل عليه، والأصل، لا تلقوا بأيديكم، والمراد أنفسكم، كما تقول لصاحبك لا تلق بمالك فى
ليبحر، ومثل الباء هنا الباء فى (يحدث المحلة) الآية (٢٥) من سورة مريم صفحة ٣٩٨، ومثلها
بصا الباء فى (يسبب) الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥.

﴿الحج والعمرة﴾: تقدم فى الآية (١٥٨) من هذه السورة صفحة ٣٠.

﴿أحصرتم﴾: منعتم عن إتمامهما بماع قهرى. ﴿أسفيسر﴾: تيسر لكم الحصول عليه.

﴿الهدى﴾: هى الدبائح التى يهديها الحاج لمقراء بيت الله وأقربها شاة.

لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَبِكُونِ الَّذِينَ فِيهِمْ أَنْتَوُا عَلَا عُدُوًّا
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَاتُ قِمَاصٌ فَمَنِ افْتَدَىٰ عَنكُم مَّا عُدْتُمْ عَلَيْهِ
يَمُتْلِ مَا عَفَىٰ عَنْكُم ۖ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ۝ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝
وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ وَلَا تَحْنُفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْغِيَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ
فَإِنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضٌ أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فِدْيَةٌ
مِّن مَّيْمَنٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ مُسْكٍ ۚ فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَلَمَّخُوا
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ يَوْمٍ بِالْحَجِّ وَنَحْوِهِ إِذَا رَحِمْتُمْ ۚ ذَٰلِكَ عَشْرَةٌ

﴿محلّه﴾ المكان الذي شرع ذبحه فيه وهو حوار الكعبة. ﴿سك﴾ حيوان يذبح واقفه شاة
﴿يمنع بالعمرة لي الحج﴾ أي جمع بينهما مقدما العمرة والتحلل عنها ثم يشرع بعد ذلك في
عمال الحج

المعنى وقتلوا هؤلاء المعتدين حتى تذهب قلوبهم التي يمتنون بها من أمن ويمعنونه من
إظهار عقيدته، وهذا يكون الدين الذي شرعه الله على لسان أنبيائه حالصا له تعالى ليس فيه
شيء من مظاهر الشرك فإن استهوا عن مقاتلتكم وصدكم عن دينكم هكموا عن قتالهم لأنه لا
عدوان لا على الظالم أي لا محاربة إلا على المعتدي الظالم هادا كموا فلا ظلم منهم فلا
محاربة منكم ثم كد محاربتهم هي أسلوب قاعدة عامة ليدفع تحرج المسلمين من القتال في
الأشهر الحرم فقال (الشهر الحرام) إلخ

أي انتهاك حرمة تكون سبب انتهاك غيركم لحرمة، وكذا كل ما يجب احترامه يجري فيه
القصاص، فمن أهدى عليكم محاروه بمثل ما فعل وانقوا الله فلا تعصوه ولا تتجاوزوا المثل
حتى تلقوا بأنفسكم هي الهلاك، لأن الله تعالى مع المتقين بالنصر والتأييد وإذا كن الكفار
فنبؤكم ولا يرون يفتنون أحوالكم فلا تسئلوا في الإنفاق هي طريق طاعة الله تعالى من
جهاد وعيره، وأحسنوا كل أعمالكم وأنقضوها فإن الله يحب المحسنين ويجاريهم بعمر الدنيا
وسيم الأحرار وأدوا الحج والعمرة لله تامين، وقد تقدم بيان أركانها هي الآية (١٥٨) من هذه
السورة صفحة ٣٠ فإن منكم عدو أو حيوان مفترس أو غير ذلك عن الإتمام فقدموا ما تيسر
لكم من الهدى إلى قصر بيت الله، ولا تحلقوا رؤوسكم، أي استمروا على إحرامكم حتى يبلغ
الهدى الكعبة وإذا كان المحرم الممنوع من حلق الرأس مريضا يصبره عدم الحلق أو به ما
يؤديه هي رأسه كحرج أو فعل يؤديه عدم الحلق أيضا أنه أن يحلق ويمدى بصيام ثلاثة أيام،
و صدقه مقدار إطعام ستة مساكين لكل مسكين مقدار عشر كيلة بالكيل المصري من قمح أو
تمر أو بديح سك مثل شاة مثلا فإذا امنم بنهاب سبب الخوف الذي منكم من الإنعام فمن
يمنع بالعمرة أي جاء بها أولا ثم تحلل منها ومكث مدة إحلاله ثم شرع في أعمال الحج قبيل
يوم عرفة فعليه بطير تمنعه بما يمنع به غير المحرم بين العمرة والحج أن يقدم لفقراء البيت
ما تيسر له من الهدى يذبحه يوم النحر، فمن لم يجد هديا فعليه أن يعجزه عن ثمنه فعليه
صيام ثلاثة أيام هي أيام الإحرام بالحج تمتد إلى نهايه يوم عرفة وسبعة أيام إذا رجع فيكون
الجميع عشرة كامله.

كَايِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَحْكُرْ أَهْلَهُ حَاصِرَى السَّجْدِ
 الْحَرَمِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦﴾
 الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لِمَنْ عَرَفَ مِنْ الْحَجِّ فَلَا رَفَثَ
 وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْ تَفَضَّلْ مِنْ خَيْرٍ
 يَحْتَسِبْهُ اللَّهُ وَرَوَدُوا فَإِنْ خَرَّ أَرَادَ السَّقْوَىٰ وَأَنْتَوْبُ
 يَقُولُ الْأَلْسِبِ ﴿٢٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَتَعَرَّوْا فَلَاحًا
 مِنْ رِيحِكُمْ فَإِذَا أَقَصَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ قَادُوا اللَّهَ عِندَ
 الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُمَا عَذَابُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
 لَيْسَ الْفُلَايِينَ ﴿٢٨﴾ لَمْ يُفْصِرُوا مِنْ حَيْثُ قَاصَّ النَّاسُ
 وَأَسْتَقْبِرُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا أَقَصَمْتُمْ
 مَسِيكُكُمْ قَادُوا اللَّهَ كَذِبًا كَرَاهًا تَا كَرَاهًا وَتَشْدِيدًا كَرَاهًا
 قِمَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَنَّتْ سَابِي الْغَيْبِ وَمَا لَهُ

﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد
 الحرام﴾ أي يكون من غير أهل الحرم
 المعنيين هي مكة أو فيما حولها داخل منطقة
 الحرم التي يحرم صيدها وقطع شجرها

﴿عرس فيهن الحج﴾ أوجبه على نفسه
 بالشروع فيه

﴿عرفت﴾ تقدم بيانه في الآية (١٨٧) من
 هذه السورة صفحتي ٢٦، ٢٧.

﴿فسوق﴾ مفعية.

﴿جدال﴾ خصام.

﴿حجاج﴾ إثم

﴿أقصمتم من عرفات﴾ أصل معنى هذه

إعادة (قاص) سأل الماء بكثرة يقال قاص الماء في الوادي أي سأل، واستعمل مجازاً في غير
 الماء، فيقال قاص العذر أي كثر في الناس، وأقاص الرجل الماء أي حمله يسيل ثم استعمل
 (قاص) محذراً في الدفع بقوة ومنه ما هنا ومفعوله محذوف وجوبا للعلم به والأصل إذا
 أقصمتم أنفسكم من عرفات أي إذا دفعتم أنفسكم والمراد إذا انصرفتم من عرفات

﴿المشعر الحرام﴾ حل بعد صلاة أنه يجزئ بعد أن صلى الصبح ركب بائنه ووقف فوقه
 مستقبلاً لمبلة وصار يدعو الله ويكبره ويحمده حتى طلعت الشمس ثم سار إلى منى
 ﴿مناسككم﴾ عبادات الحج ﴿واشد ذكراً﴾ (أو) بمعنى بل كما في الآية (١٤٧) من سورة
 الصافات صفحة ٥٩٥

المعنى ذلك الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام إنما يكون على الحاج المستمتع به،
 من غير مستوطن في الحرم ما إذا كان المستمتع من أهل الحرم فلا دم ولا صيام وبقوا

وتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، واعلموا أنه شديد العقاب لمن حاله. ثم بين سبحانه وقت الحج الذي لا يصح إلا فيه فقال (الحج أشهر معلومات) أي وقت الحج الذي يصح فيه هو أشهر معلومات عند الناس من عهد إبراهيم عليه السلام، وهي شوال ودو القعدة ودو الحجة، والمراد أن الإحرام يصح في أي وقت منها، وتنتهي أركانه وواجباته في أثناء آخرها، وأما العمرة فتصح في جميع أيام العام، فمن أوجب على نفسه الحج بالشروع فيه فيجب عليه وحوا مؤكدا أن يعتمد على ملامسة النساء وعن المعاصي والخصومات التي قد تغير القلوب في وقت يطلب فيه أن تكون صافية. وما فعلوا من خير غير ذلك كصدقة أو طواف بعينه الله فيحاربكم عليه أحسن الحراء، وترودوا بالأعمال الصالحة في موسم الطاعة العظمى لأن خير الراد التقوى لبقائه، وما عداه رائل، ومن كان له عقل فليحذر ما يعصب ربه، وليس عليكم مؤاحدة في أن تطلبوا رزقا حسنا من فصل ربكم بتجارة أو غيرها مادام قصدكم أولا هو الحج، لأن طلب الرزق لا ينافي الإخلاص في الحج، فإذا انصرفتم من عرفات بعد غروب الشمس ووصلتم مزدلفة فادكروا الله تعالى بالتلبية والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام، وادكروا حسنا كما هداكم هداية حسنة لأنكم كنتم قبل هذا الهدى الإلهي من الصالحين البعيدين عن الحق، ولما كان من عادة بعض أشرف العرب أنهم يقومون في بعض أماكن الحج وحدهم ويمسحون وحدهم قبل الناس استكبارا على غيرهم مع أن أعمال الحج تنادي بالمساواة في حرم الله، أنزل سبحانه تلك العادة بقوله ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا لله﴾ مما سلم فإذا فرغتم من عبادتكم في الحج فادكروا الله كذكركم آبائكم إلح. وقد كانت العرب في الحاضرية إذا فرغوا من أعمال الحج تجمعوا في منى للتصاحر بذكر محاسن الآباء شجرا وبشرا لينتشر في القبائل، فمع سبحانه ذلك وصرههم إلى ما بعيد وهو ذكر الله وحده بحماس وشباط مثلما كانوا يذكرون آبائهم عند التصاحر، بل يحب أن يكون ذكركم لله تعالى أقوى وأشد من ذكركم لأنفسهم، لأن فصله سبحانه لا يساويه فصل ثم بين سبحانه أن الناس في ذكركم له تعالى ودعائهم ينقسمون بحسب استعدادهم وما يشغل قلوبهم إلى قسمين، فمنهم من يقول في ذكره ربما آسا في الدنيا حظا منها، وهذا ليس له في الآخرة نصيب من الخير

فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَشْيٍ ۝ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَمِمَّا عَذَابَ الْآخِرِينَ ۝
لَوْ يَدْرُسُونَ كَيْفَ كُتِبَ عَلَيْهِ وَأَلْفُ سُرُجٍ مِّنَ الْجَنَابِ ۝
« رَأَى كُرُوهًا فِي يَدَيْهِ مَقْدُودَاتٍ مِّنْ لِّعَظْلِ يَوْمٍ ۚ
فَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ مَنٌّ وَنَافِلَةٌ ۚ لَئِنْ لَّمْ يَأْتِ أَتَى وَأَتَوْا
لَهُ وَأَعْتَسَوْا شُكْرًا إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ۚ » وَمِنْ أَلْسِنٍ
مَّنْ يُمَجِّدُ قَوْلَهُ فِي الْخَبَرِ اللَّهُ تَعَالَى وَشَهِدَ اللَّهُ عَلَى
نَافِ قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَامُ ۝ وَإِذَا تَوَلَّى سَمِعَ
فِي الْأَرْضِ يُقَرِّبُهَا وَيُبْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝ وَهُوَ جَمِلٌ لَهُ أَتَى اللَّهُ الْخَبْرَ الْخَبْرَ
وَالْإِنَّمِ حَسَرَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ لَهُمُ الْبَهْدَ ۝ وَمِنْ أَلْسِنٍ
مَّنْ يَشْرِي بَشْرًا آتِيعَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

﴿حلاق﴾ - نصيب

﴿أيام معدودات﴾ - هي الأيام الثلاثة بعد

يوم العيد.

﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ - نفي الإثم في

الحالين، ردا على ما كان يزعمه العرب في

الجاهلية، بعضهم يقول يأثم إذا تعجل،

واخرون يقولون يأثم إذا تأخر، فباطل كل

ذلك، وهذا نعلم أنه لا ينهى أصليا التأخير،

﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾، العرب

تستعمل هذا التعبير كناية عن الحلف بالله،

انظر الآيتين (١)، (٢) من سورة المنافقون

صمحتي ٧٤٢، ٧٤٣ ونصريحهم بالحلف في الآية (٧٤) من سورة التوبة صمحة ٢٥٤

﴿الد الخصام﴾ - أشد في المحاصمة.

﴿الحرث﴾ - ثمرات الأرض كالزرع.

﴿النسل﴾ - ما يتأمل من حيوان يشتق به.

﴿أخبره الخبر بالاثم﴾ - الخبر في الأصل حلال الدل، انظر الآية (١٨٠) من سورة ص

صمحة ٥٩٧ و «ريد بها» الكبر فالمعنى استولت عليه أمة الكبر مقرونة بالإثم أي الدسب.

﴿يسير المهاد﴾ - فتح المكان الذي أعد لإقامته وهو جهنم

﴿يشري﴾ - يبيع وشري تستعمل عند العرب في أخذ أو أعطى.

لمعنى ، أن هذا الذي شعلته ديباء عن أحرته ليس له في نعيم الآخرة نصيب لأنه جعل الدنيا كل همه، ومنهم صالحون يطلبون حيرى الدنيا والآخرة. وحسنة الدنيا هي الحياة الطيبة المذكورة في الآية (٩٧) من سورة النحل صفحة ٣٥٩ وحسنة الآخرة هي الجنة. ويطلبون مع كل ذلك البعد عن كل عمل يوصل النار أولئك الذين طلبوا الحسنيين لهم جراء طيب حسن من حسن أعمالهم الطيبة، والله سريع الحساب فيوهى كل عامل عمله عقب عمله ويحاسب الخلق جميعا يوم القيامة في أقصر وقت.

واذكروا الله أيها الحجاج بالتلبية والتكبير عند رمي الجمار وعقب الصلوات وكل عبادة في الأيام الثلاثة بعد العيد . فمن استعجل ورحل من متى بعد يومين فلا إثم عليه في التعجيل، ومن تأخر في متى حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره فلا حرج عليه كذلك، أي فهو محير، بشرط أن يكون في كل حال متقيا ربه، لأن تقواه أساس كل خير. ولذا أكدها بقوله سبحانه ﴿واتقوا الله﴾ إلخ في حال أداء المناسك فلا تعملوا محظورا، وفي جميع أحوالكم حتى لا تصيخوا ثمرة حجكم، لأنه سيجاريكم يوم القيامة بما يحصل منكم، ثم بين سبحانه أن الناس في دلالة أعمالهم على حقيقة ما في قلوبهم هريقان، فقال ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ إلخ أي يعجبك قوله وأنت في هذه الحياة الدنيا لأنك تأخذ فيها بالظاهر مع أنه مافق اللسان يظهر خلاف ما يبطن، ويبالغ في ذلك حتى تبلع به جرأته أنه يشهد الله تعالى على ما في قلبه، أي يحلف بالله على أن ما في قلبه موافق لما يقول، وهو في الحقيقة أشد في الحسومة والمداوة ممن لم يعمل فعله فاحذروا هذا النوع من الناس لأنه لو تولى من المجلس أو تولى أمرا من أمور الناس أقصد وأهلك الحرث والنسل وكل نافع، فهو مفصوب عليه من الله، لأنه سبحانه لا يحب المصاد. ومن شدة خطره أن مصاده عن تعمد لا عن خطأ. ولذا إذا قيل له (اتق الله) فلا تقصد استولت عليه أمة الجاهلية مصحوبة بدنب الإصرار، فهذا كافيه على جرمه عذاب جهنم وقبعت جهنم مكانا يأوى إليه ومن الناس هريق صالغ يبدل نفسه في الجهاد وفي كل حير، انظر الآية (١١١) من سورة التوبة صفحة ٢٦١ طالبا رضاء الله لا يطلب ثما غير، فهذا له عند الله الجنة كما في آية سورة التوبة المتقدمة؛ لأن الله رموف بعباده يرشدهم للخير، ويكافئهم على العمل المنقطع بالنعيم الدائم.

﴿يَأْيِهَاسَا الدِّينَ آمَنُوا﴾. المراد بهم هنا
 المباحقون الدين أظهروا الإيمان، وليس المراد
 بهم اليهود، لأن الكلام عنهم الذي ابتدأ بالآية
 (٤٠) انتهى بالآية (١٥٢) من هذه السورة.
 ﴿المسلم﴾: الإسلام.

﴿كافة﴾ هي الأصل صفة من (كف) بمعنى
 مع، استعمل بمعنى الجملة، شموله من
 شمول الكل للأجزاء، وهو هنا حال من الصمير
 هي (ادخلوا) أي أدخلوا بكلياتكم وجميع
 أحوالكم أي ظاهرها وباطنها، أي فلا تتأفكوا.
 ﴿رالم﴾: انصرفتم عن الدخول في السلم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا فِي تَزْوِجِكُمْ
 كَمَا تَفْعَلُونَ خُطُوبَاتٍ أُنصِتُوا لَهَا وَأَمَّا
 قَوْلُكُمْ مَن يَتَزَوَّجُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
 مِن رَّبِّكُمْ فَقَدْ أَفْسَدُوا لِلنَّاسِ سَبِيلَهُمْ
 وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَاطِرُونَ ۚ وَلَا تَأْسَ بِمِثْلِ
 هَذِهِ الْقَوْمِ ۚ هَؤُلَاءِ أَسْأَفُ الْاُمَمِ ۚ وَفِي
 تَزْوِجِ الْأُمُورِ ۚ سَلَّ نَبِيُّ إِسْرَءِيلَ يَدَّ يَدَيْهِ
 عَلَيْهِ يَتِيمٌ وَمَنْ يُقَدِّلْ خِصَّةً اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ رَبُّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْخَبِيرُ ۚ الَّذِينَ
 وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّعَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ ۚ وَاللَّهُ يَرَىٰ مِنْ إِسَاءَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ كَانَ
 النَّاسُ مَعَهُ وَاجِدَةً مَعَتَّ اللَّهُ الْبَيْتَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
 وَأَرْسَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ يَخْرُجُ مِنْ آدَمِ

﴿يَأْيِهَاسَا الدِّينَ﴾ أي عدايه.

﴿ظنن﴾ جمع ظنة وهي ما بطل عبره ويستتره انظر الآيات (١٧١) من سورة الأعراف
 صمحتي ٢٢٠ ٢٢١، (١٨٩) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١، (١٦) من سورة الزمر صفحة ٦٠٨.
 ﴿لعمركم﴾ السحاب جمع عمامة كسحاب وسحابة ورناً ومعنى. وسمو بذلك لأنه يعم
 لسماء أي يسترها

(١) خطوات

(٢) الشيطان

(٣) سيد

(٤) وعلاكم

(٥) سمريل

(٦) حياة

(٧) نبيهم

(٨) بيتي

(٩) لكن

﴿وَقَضَى الْأَمْرَ﴾ أي تم أمر اهلاكهم. ﴿كَمْ اتَّبَعْتَهُم﴾ (كم) اسم بمعنى كثير (من آية) (من) حرف يدل على أن ما بعده بيان لهذا الكثير.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي وجد الناس حال كونهم طائفة واحدة مشتبكة المصالح والمنافع يحتاج بعضها إلى بعض متميزة عن غيرها من بقية الحيوانات والطيور، انظر أصل (أمة) هي الآية (٨) من سورة هود صفحة ٢٨٥.

المعنى يا أيها الذين نطقوا بكلمة الإيمان ابتعدوا عن النفاق وادخلوا في الإسلام الصحيح بكل أحوالكم الظاهر منها والباطن ولا تجعلوا شيئاً من باطنكم يخالف ظاهركم، ولا تتبعوا سبيل الشيطان الذي يبعدكم عن الصواب لأنه عدو لكم ظاهر العداوة، والعدو لا يدل على خير، فإن انحرفتم عن طريق الإسلام الصحيح من بعد ما جامتكم الظاهرة الدالة على أن الله تعالى يرشدكم إلى الخير، والشيطان يدلكن على الهلاك، فاعلموا أن الله عزيز قوي عائب لا يعجزه شيء عن الانتقام منكم، حكيم لا يسمو بين مؤمن وهاسق، انظر الآية (١٨) من سورة السجدة صفحتي ٥٤٦، ٥٤٧ ثم بين سبحانه نهاية الوعيد بقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون كما هي الآية (١٨) من سورة محمد صفحة ٦٧٥، أي يجب ألا ينتظر هؤلاء الذين اتبعوا الشيطان إلا شراً هو أن يأتهم عذاب الله فجأة مستورا في قتل من العمام حتى تكون حسرتهم شديدة، انظر الآية (٢٤) من سورة الأحقاف ٦٦٩، ٦٧٠، وتأتيهم الملائكة المكلمون بعدائهم وعند ذلك يتم أمر إهلاكهم، وإليه سبحانه مرجع كل شيء، ومنه مرجعهم فيعاقبهم بعد الهلاك بأشد العذاب. وبعد ذلك أراد سبحانه أن يذكر هؤلاء العاقلين بما حل بمن قبلهم لما حالهم سبحانه فقال -سل بني إسرائيل- إلخ أي اسأل يا من نستمع بالسؤال بني إسرائيل عن الآيات الكثيرة التي أتياها لهم على لسان أنبيائهم وأصحة هي الدلالة على طريق الحق، فبدل أن بشكروا عليها كصروا بها، ومن يدل نعمة الله الدالة على الهدى والرشاد من بعد علمها وتيقنها فلا بد من عقابه عقاباً شديداً لأنه تعالى شديد العقاب لمن كفر نعمته ثم بين سبحانه سبب العملة عن الآيات فقال -ربن للذين كفروا- إلخ. أي ربن لهم الشيطان وحاربه

الدنيا فانصرفوا إلى طلبها، وغفلوا عن النظر في الدليل النافع حتى بلغ من غرورهم أنهم يسفرون من المؤمنين الفقراء لحرمانهم في زعمهم من نعم الدنيا الذي يحسبونه كل شيء، مع أن الذين آمنوا واتقوا سيكونون فوقهم يوم القيامة في جنة عالية وهم في الهاوية وهي النار الحامية. ثم بين سبحانه أن رزق الدنيا ليس خاصا بتقى دون شقى، بل هو مهذول لكل مظلوق، فقال: «والله يرزق من يشاء بغير حساب» أي رزقا واسما، بل قد يكون للكافر أوسع استدراجا له ليزداد كفرا فيزداد هذابا، انظر الآيات (٧٦) وحتى (٨٣) من سورة القصص صفحات ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩. والآيات (٣١)، (٣٥)، (٥٥) من سورة التوبة صفحات ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠. والآيات من (٣١) إلى (٣٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠. ولقد أوجد الله للناس أمة واحدة ذات طابع خاص لها مميزات تميزها عن بقية المخلوقات بالعقل والتفكير وتشابه مصالحهم في المعاش وتزاحمهم، وهذا مع قصر عقولهم عن معرفة ما فيه سعادتهم على الوجه الصحيح كان السبب في أن الله رحمهم، فأرسل إليهم رسلا ينظمون حياتهم ويبشرونهم بالنعيم الدائم إذا أطاعوا، ويخيفونهم من عذاب الله إذا عصوا، وأنزل مع الرسل الكتاب والمراد جنسه أي كتب مملوءة بالحق ليحكم الله بها على لسان رسله فيما يختلمون فيه تبعاً لاختلاف أغراضهم.

﴿أم حسبتم﴾: (أم) حرف متضمن معنى حرفين الأول (بل) التي تعيد الانتقال من كلام إلى آخر والثاني همزة الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي فيكون حاصل معنى (أم) بل ليس الأمر كما تظنون.

﴿مثل الذين خلوا من قبلكم﴾: المثل الوصف العظيم والحال التي تستلقت الأنظار حتى أصبحت يضرب بها المثل، أي حال الذين مضوا من الأمم قبلكم.

﴿البأساء﴾: ما يصيب الإنسان في غير نفسه كفقْد ولد أو مال.

﴿الضرأ﴾: ما يصيبه في نفسه كالمرض.

﴿زلزلوا﴾: أزعجوا إزعاجاً شديداً.

فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًا بِهِمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
كَانُوا لَنَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ
مَنْ يَتَّبِعُ الْيَأْسَ لَنْ يَرْجُوا مُتَعِيشِينَ ٢٦ ثُمَّ خَسَمَ أَنْ تَدْعُوهُ
الْحَيَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكِبِّينَ
الْبَاسَاءَ وَالضَّرَاءَ وَرَزَقُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ٢٧ يَسْأَلُونَكَ
عَلَىٰ يَمِينِهِمْ قُلْ مَا أَعْلَمُكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِذِي الْأَرْوَاحِ
وَالْأَنفُسِ وَالصُّنُوبِ وَأَبْنِ السَّيْلِ وَمَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ
فَلَمَّا أَفْقَاهُ عَلِيمٌ ٢٨ كُنِيَ عَلَيْكُمْ الْفِتْنَةُ وَهُوَ كَرِهٌ
لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ
يُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢٩

المعنى أنه لما كان وجود الكتاب يشعر بأنه
كان ينبغي ألا يقع خلاف، فكيف وقع خلاف
مع وجوده في كل عصر؟ بعد ذلك بين سبحانه
أن الكتاب نعمة لكل شيء نافع رزقه الله تعالى
للإنسان كالعقل والسمع والبصر، كلها نعم
يستفيد منها سليم الطبع البعيد عن البغى
والحسد فيما يعود عليه وعلى الناس بالخير،
أما فاسد الطبع المنطوى على الخبث والحسد
فإنه يتعد من كل نعمة سبب نقمة، فيفسد
عقله وحواسه لتكيد للناس والحق الشر

بهم، انظر الآية (٢٦) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠ لكن وجود هذا الشرير لا يمنع إيجاد كل
شئ نافع، إذ لو منع لما وجد في العالم شئ نافع، فلم يختلف في الكتاب النافع إلا الذين أعمى
الله به عليهم وحاسمهم بالحق الواضحة الدالة على أنه حق يجب الاتفاق على احترامه، تحت
تأثير البغى والحسد، وهدى الله لما فيه من الحق الذين آمنوا وأخلصوا في إيمانهم ببدنه
وتيسيره، لأن هدايته تعالى تعطى لمستحقها، وإصلاحه لمستحقه، انظر ما تقدم في الآية (٢٦) من
هذه السورة صفحتي ٦، ٧.

ولما أبطل المشركون بالمسلمين من الشدائد والمصائب ما كان يرلزل بعضهم، انظر الآيات من
(١٥٢) إلى (١٦٠) من سورة آل عمران صفحات ٨٧، ٨٨، ٨٩ والآيات من (٩) إلى (١٧) من
سورة الأحزاب صفحات ٥٥٠، ٥٥١.

حدث الله سبحانه المسلمين على الصبر بتذكيرهم بصبر المؤمنين من الأمم قبلهم، فقال «أم حسبت أن تدخلو الجنة» إلخ روى البخاري أن بعض أصحابه رضي الله عنه شكوا إليه ما يلقيه من المشركين وقالوا ألا تدعو الله لنا؟ فقال رضي الله عنه إن من كان قبلكم كان يوضع المشار على رأس أحدهم فيشتر حتى يصل إلى قدميه فلا يصرفه ذلك عن ديبه وقد ذكر سبحانه شيئاً من ذلك في أول سورة البروج صفحتي ٨٠٠، ٨٠١.

والمعنى هل طسبتم أيها المسلمون أنكم ستدخلون الجنة دون أن تلاقوا مثل ما لاقى المؤمنون قبلكم من الشدائد التي يصرب بمطاعتها المثل؟ فإن أردتم دخول الجنة فاصبروا كما صبروا.

ثم بين سبحانه ما أصاب السابقين فقال: مستهم البأساء والضراء وأرعجوا إرعاجاً شديداً جعل رسولهم والمؤمنين معه يقولون متى يأتينا نصر الله، فأجابهم سبحانه «ألا إن نصر الله قريب، أي أنه سبحانه نصرهم فعلاً وكف شر عدوهم.

ثم شرع سبحانه في بيان بعض الأحكام العملية في صورة أجوبة لأسئلة وقمت منهم، فمنها أنهم سألوه عن أحسن شيء يفيق تقرباً لله، وعن أحسن جهة يفيق هيها، فقال: المطلوب إتقائه هو الحير، أي الحلال يعطى للوالدين وما بعدهم، وقد تقدم في الآية (١٧٧) من هذه السورة صفحتي ٣٢، ٣٣؛ وما نصلوا من حير غير ما تقدم من كل أنواع الحير فإن الله يعلمه وسيجازيكم عليه ولما ملأ الإسلام قلوب المؤمنين رحمة بعد أن كانت كالحجارة، وأحبوا أن يصلوا إلى هداية قومهم بدون قتال، أعلمهم الله الذي يعلم ما لا يعلمون أن أغلب هؤلاء الكفار لا يحصون للحجة ولو عرضت عليهم ألف سنة، وأنهم إذا لم يعاملوا بمثل عملهم ويقاتلوا قل يكفوا عن قتالكم وإيدائكم ككل صاحب طبع لثيم، فقال «كتب عليكم القتال» إلخ، أي فرض الله عليكم القتال للدفاع عن الدين وهو يعلم أنه مكروه لكم لأنه لا يوافق ميولكم المبينة على غير الحق، إذ عسى أن تكرهوا شيئاً مثل قتال المشركين مع أنه خير لكم لأنه فيه القضاء على قسنتهم، وعسى أن تحبوا شيئاً مثل مسالمتهم وعدم قتالهم مع أنه شر لكم لأنه يقوى شوكتهم ويموق نجاح الدعوة، والله تعالى يعلم من طبائعهم وحشهم وأنتم لا تعلمون شيئاً من ذلك، لأنها من أسرار نفوسهم التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدَقَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِمَوَاسِدِ الْحَرَامِ وَالْأَعْرَاجِ
أَقْبَلُ بِهِ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْغَنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْفَقْرِ
وَلَا يَرَاوُنَّ يُغْنِيَنَّكَ عَنْ يَرْؤُكَ عَنْ دِينِكَ لَيْسَ
أَسْتَطْعَمُوا وَمَنْ يَرْثِ يَرْثُ عَنْ دِينِهِ فَهَيْتَ وَهُوَ كَافِرٌ
فَلَوْلَيْكَ فَهَيْتَ أَقْتَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَخَفَوْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ
النَّخْلِ وَالزَّيْتُونِ قُلْ لَيْسَ الْكَبِيرُ وَمَنْعُ النَّاسِ
وَالْأَمْرُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْسِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحْكُمُونَ قُلْ
أَمْرٌ كَذَلِكَ بِمَنْ لَكَ الْإِثْمُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾

﴿الفتنة﴾: الابتلاء الشديد والامتحان

القاسم.

﴿حبطت﴾: بطلت فلا تنفع صاحبها في

إنقاذه من الخلود في النار.

﴿الميسر﴾: القمار بكل أنواعه.

﴿العفو﴾: قال الراغب: العفو هو ما سهل

إنفاقه. وقال صاحب الأسام: يقول العربي:

هذا من عفو مالي أي من حلاله وطيبه،

واعطيته الشيء عفو أي من غير طلب منه.

وقال صاحب المنار: يطلق العفو في اللغة على

معان، على الجيد الخالص من الدخيل وعلى

الفاضل الزائد عن الحاجة، وعلى السهل

الذي لا كلمة فيه ولا مشقة في إنفاقه على النفوس وهذا هو المراد هنا كما سيأتي في الآية

(١٩٩) من سورة الاعتراف صفحة ٢٢٥. وله معنى سلبي ومنه عفت الريح آثار الديار أي

أزالتها. وعفا الله عن الذنب أي أزال أثره من العقاب. والمعاليب أنه ما راد على مقدار حاجة

الشخص وعياله.

المعنى: أرسل ﷺ سرية إلى مكة تستطلع أحوال قريش بعد واقعة بدر الأولى، فلقبت بعض

كفار قريش هتقاتلوا، وقتل المسلمون رجلا من المشركين، وكان ذلك في أول يوم من رجب وهم

(١) يقاتلونكم.

(٢) استطاعوا.

(٣) أعمالهم.

(٤) أصعاب.

(٥) حالهم.

(٦) وجاهدوا.

(٧) وصافح.

(٨) الآيات.

لا يعلمون أنهم دخلوا في شهر رجب، فأشاعت قريش في القبائل أن محمداً ينتهك حرمة الأشهر الحرام فسأل الناس من كفار ومسلمين، فأمر الله سبحانه «يسألونك عن الشهر الحرام» الخ، أي عن القتال في الشهر المحرم القتال فيه وهو رجب أحد الأشهر الأربعة الحرم، وبقيتها ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. قل لهم أيها النبي، حقا القتال في الشهر الحرام ذنب كبير، لكن هناك ما هو أكبر وأشنع جرما منه فينبغي أن تبتعدوا عنه إذا كنتم جادين في المحافظة على حرمانات الله، ذلك هو صدكم أي منعكم النبي ﷺ وأصحابه عن سبيل الله، أي إقامة دينه بقتلكم من يؤمن أو تعديبه بأقسى أنواع العذاب، وكفركم به تعالى وهو خالفكم ورافكم، ومنعكم المؤمنين عن دخول المسجد الحرام وإخراجكم أهل هذا المسجد، وهم النبي وأصحابه منه أي من بلده مكة، فكل ذلك من الصد عن سبيل الله والمسجد، والكفر به تعالى وإخراج المؤمنين من بلدهم أكبر عند الله، أي أعظم وزرا في حكم الله تعالى من قتل رجل في أول يوم من رجب خطأ لجهله بدخول رجب الشهر، وقد علمتم أن فتنة الناس عن دينهم أكبر وزرا من القتل في الشهر الحرام كما تقدم في الآية (١٩١) من هذه السورة صفحة ٢٧، ثم بين سبحانه للمؤمنين خطاهم في الطمع في إيمان هؤلاء المشركين وشدة عنادهم فقال ولا يزالون، أي سيستمر هؤلاء الذين تكرهون قتالهم يقاتلونكم في كل فرصة إلى أن يردوكم إلى الكفر إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ومن يرجع منكم إلى الكفر ويستمر حتى يموت كافرا فقد بطل كل ما عمله من خير، وحرم ثمرته في الدنيا، فلا يكون له ما للمسلمين من مزايا الإسلام، وهي الآخرة فلا يزال من نعيمها شيئا، بل سيكون من الخالدين في النار أما الذين آمنوا وحافظوا على إيمانهم والذين هاجروا من مكة وطنهم خوفا على دينهم وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله فإنهم يحق لهم أن يرجوا رحمة الله أي جنته، والله تبارك وتعالى غفور لهمواتهم رحيم لا يؤاخذ المخلص بما فعل خطأ، ولما كثر تساؤل المسلمين عن حكم الحمر والميسر وعندما تنهوا لشروعهما قال سبحانه: قل لهم أيها النبي إن في تعاطيهما دسا كبيرا، وهيهما أيضا منافع دنيوية للناس بالتجارة في الحمر وكسب المال دون مشقة في الميسر، ولكن ديهما أعظم ضررا من فائدتهما، فهي الآية ترعيب الترك، ثم جاءت بعد ذلك الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥ قاطعة في التحريم، وهما يحسن أن تقف على سر عظيم من أسرار رحمته تعالى بعباده وهو الذي خلقهم ويعلم مواطن الضعف منهم، ذلك أنه

سبحانه إذا أراد أن يوجههم إلى تشريع جديد لم يألوه يتلطف بهم فلا يحملهم عليه بعنف، بل يتدرج بهم حتى يصل بهم إلى النهاية التي قدرها، وقد بين ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم انظرها في شرح الآية (١٨٤) من هذه السورة صفحة ٢٥. وقال العلماء إنه لما كانت عادة شرب الخمر متأصلة في طبائع الناس أول العصر الإسلامي، وأراد سبحانه أن يقضهم من شرورها تدرج بهم في أربع مراحل فأشار أولا إلى كراهتها إشارة لطيفة في مكة في الآية (٦٧) من سورة النحل صفحة ٢٥٤، ولما تنبّهت بعض العقول لشرها وكثر التساؤل عنها نزلت الآية التي معنا هنا، وتركهم سبحانه يدركون بعقولهم أن الشيء الذي يكون ضرره أكبر من نفعه يكون ممنوعا، فلذا تركها كثير من أرباب المطنة حتى نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بعد سماع هذه الآية: (حرمت ورب الكعبة).

ولكن لما كان التحريم ليس بنص صريح، وكان شربها عادة مستحكمة، بقي على شربها قوم، بعد ذلك عالج سبحانه الأمر بالنص على تحريمها تحريما مؤقتا كما في الآية (٤٣) من سورة النساء صفحة ١٠٧ ولما تعود الجميع تركها أغلب الوقت ونهيات النفوس لحملها على التشريع النهائي وهو التحريم الصريح القاطع جاءت الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥.

فابتعد عنها الجميع وأقضهم الله سبحانه من شرها. ومن العجب أن يتضمن الشيطان السنة بمن شباب هذا الجيل من استرحت عزائمهم فصاروا يرددون أن الله تعالى لم يحرم الخمر وإنما قال (اجتنبوه) ولم يقل لا تشربوا، كما قال في القتل مثلا. وأنساهم الشيطان أن الأمر بالاجتناب أي البعد عن ساحته أقوى في النهي عنه من النهي عن فعله لأن النهي عن الشرب لا يفيد المنع عن لمسها باليد مثلا بخلاف الأمر بالبعد عن ساحتها فإنه يفيد عدم الدنو منها، تصال الله تعالى لأبائنا السلامة من حيائل عدوهم الأصيل الرابض لهم بالمرصاد كما في الآية (١١) من سورة المائدة صفحة ١٥٥. ولما سألوه ﷺ عن مقدار ما ينمقوه في سبيل الله أهو كل أموالهم أم بعضها؟ قال: يمعنون العفو أي السهل الذي يدفع بعشاء نفس، وهذا غير الزكاة المفروضة المبين مصارفها في الآية (٦٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١. كذلك أي مثل هذا النوع من البيان الواضح يبين الله لكم آياته في الأحكام المتعلقة بمصالحكم لعلكم تتفكرون في النافع والضار فتعملون الأول وتتركون الثاني.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَسْتَعِينُونَ عَنِ النَّسَى كُلِّ صَلَاحٍ
قَدْ خَيْرٌ وَأَنْ تَحْطُوا بِطُغْيَانِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُقِيدَ
مِنَ الْمُضْلِيحِ وَتَوَاضَعْنَا لِلَّهِ لَا تَعْتَكِرُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ① وَلَا تَتَّبِعُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةَ
مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكِيكُمْ وَلَوْ أَعْنَكُمُ وَلَا تَتَّبِعُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَتَعْبُدُوا مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْنَكُمُ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْبُرِّ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْحَيَةِ وَالْعَقِيمَةِ بِرَبِّهِمْ وَيَسْأَلُ عَائِيَهُمُ النَّاسُ لَعَنَهُمُ
يَسْأَلُونَ ② وَتَسْتَعِينُونَ عَنِ النَّسَى كُلِّ هُوَ ذِي
مَخَافَةٍ لِلنِّسَاءِ فِي الْحَيْضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ
إِذَا طَهَّرْنَ فَاْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ وَيُحِبُّ الْمُطْهُرِينَ ③ يَسْأَلُ حَرْثٌ نَكَرَ

﴿اعفكم﴾: حملكم مشقة.

﴿ولا تتكفوا المشركات.. ولا تنكحوا

المشركين﴾: انظر معنى الشرك والكفر في
شرح الآية (٤٨) من سورة النساء صفحة
١٠٨. وهذا الحكم وهو عدم نكاح المؤمنين
للمشركات، وعدم تزويج المشركين بالمؤمنات
هو الأصل، وينفق معه ما في الآية (١٠) من
سورة الممتحنة صفحتي ٧٢٦، ٧٢٧. حيث
منعت المؤمنة من الزواج بالكافر، ومنعت
المؤمن من أن يبقى في عصمته كاهنة، وبعد
ذلك جاءت الآية (٥) من سورة المائدة صفحة
١٢٦ وخصصت عدم زواج المؤمنين بالمشركات
والكاهنات بغير الكتابيات منهن، وأجازت أن

يتزوج المؤمن كتابية كما سيأتي

﴿أمة﴾ امرأة مملوكة للغير. ﴿عبد﴾: رفيق مملوك للغير.

﴿المحيض﴾ هو الحيض والمراد هنا هو مكانه أو زمانه، والمراد من حكم ملامسة المرأة
أثناء الحيض (هو أدى) أي مشأ ضرر «في المحيض» أي في وقت الحيض.

﴿يسأؤكم حرث لكم﴾ الحرث مكان البرع من الأرض، أي هن كمكان الزرع.

المعنى لعلكم تتذكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة فلا تفعلوا إلا الأصلح لكم فيها، ولما
برلت الآيات المشددة في حرمة مال اليتيم كالأية (١٠) من سورة النساء صفحة ٩٩ والآية
(١٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩ والآية (٣٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٩، تخرج كثير
من المسلمين الذين في حوزتهم يتيم، فكانوا يصممون لليتيم طعاما خاصا ويقصرونه عليه فلا
يقربه غيره حتى كان كثيرا ما يعتريه الفساد إذا مكث مدة طويلة، فسأل بعضهم عن حكم الله
في ذلك فنزلت الآية ﴿ويسألونك﴾ إلخ، أي عن كيفية المعيشة معهم مع هذا الحرج، فقال

سبحانه قل لهم أيها النبي: إصلاح لهم، أي مخالطة على وجه الإصلاح لهم بالتربية والتهذيب ولأموالهم بالحفظ والتنمية، خير من مجانيبتهم في المعيشة مع ترك ذلك، لأنكم إن تغالطوهم في المعاشرة والأكل معهم فهم إخوانكم في الدين، ومن حق الأخ أن يعالط أحاه على الوجه اللائق الذي فيه صلاحه ولا يقاطعه لما في ذلك من تعويده على الجموة، والله يعلم المفسد لهم ولأموالهم عند المخالطة من المصلح لهم ولها فيجازى كلا حسب عمله. ولو شاء الله تحميلكم المشقة بتحريم المخالطة لفضل وأخرجكم كما شدد على من قبلكم كما في آخر آية من هذه السورة، لأنه عزيز أي غالب يقدر على فعل ما يشاء، حكيم لا يكلف نفسه إلا ما فيه مصلحتها. ولما استأذن بعضهم في أن يتزوج مشركة بزل قوله تعالى: ولا تتكحوا أيها المؤمنون النساء المشركات أي الكافرات غير الكتابيات ووالله لامرأة رفيقة مؤمنة خير من مشركة حرة ولو أعجبكم المشركة لجمالها أو مالها، لأن بين المؤمنة وإن كانت أمة وبين المشركة غاية التباين فيما يجب لله عز وجل، وفي اعتقاد الرسل، وفي اليوم الآخر، بخلاف الكتابية فإنها تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر. ولا تتكحوا أي تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات حتى يؤمنوا بالله، ووالله إن العبد الرقيق المؤمن خير من مشرك حر ولو أعجبكم المشرك، ثم بين سبحانه بعض أسباب المنع فقال أولئك، أي أهل الشرك من شأنهم أنهم يدعون ويرغبون في أسباب دخول النار كعب الأصنام والتوسل بها، فمن الخطر معاشرتهم، والله تعالى يدعو على لسان رسله إلى أسباب دخول الجنة والمغفرة بإذنه وتوفيقه من يستحق ذلك أي فاطمعوها أوامرهم. ومن فصله سبحانه أنه يبين ويوضح دلائل حكمة شرعه للناس لعلمهم يتذكرون أن الحكمة فيما شرع، ولما رأى المسلمون أن اليهود لا يخالطون العائض مطلقاً حتى في المأكول والممكن، والمصارى يمسهن في الحيض كالطاهرات سألوا عن ذلك، فنزل: «يسألونك عن المحيض» إلخ، أي عن الحكم في ملامسة المرأة أثناء الحيض، قل هو منشأ أذى وفدارة فلا تقربوهن باللامسة حتى ينتهي الحيض ويفتسلن، أما غير اللامسة من أكل وغيره فلا حرج، فإذا تطهرن فلامسهن في المكان الذي أمر الله عز وجل بالإتيان فيه وهو موضع النسل، إن الله يحب التوابين الذين إذا أذنبوا تابوا، ويجب المتطهرين من الأقدار الحسية والمعنوية. ثم بين سبحانه ما أشار إليه في قوله: «من حيث أمركم» مع الإشعار بالحكمة فيما أمر به فقال: «نساؤكم حرث لكم» أي مكان تزرعون فيه الولد فلا تضيموا الحكمة وتتركوا مكان الزرع.

١ «عرضة»: قيل في المصباح تقول العرب:
لا تعرض لفلان بكسر الراء في (تعرض) أى
لا تعرض له فتمنعه بسبب اعتراضك من أن
يبلغ مراده. ويقال: سرت في الطريق فعرض
لى فيه عارض من جبل أو نحوه، أى مانع،
والمرب لم تستعمل وزن (فُعْلَة) بضم فسكون
إلا بمعنى المفعول فيقولون (غرفة) من ماء أى
مقدارا مفروفا منه، كما في الآية (٢٤٩) من
هذه السورة صمغتى ٥١، ٥٢. ويقولون
(مُصَغَّة) أى مقدار ما يمزج في المم انظر
الآية (٥) من سورة الحج صمغتى ٤٢٢، ٤٢٤.
(وَلُقْمَة) أى شيء يلقم، وهكذا. وعرضة هنا

فَأَنذَرْتُكُمْ إِنِّي سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ وَتَقِيُوا إِلَافِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَجْهَلُوا اللَّهَ عُرْسَةً لِابْنِيكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُفَصِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِتْنَةِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١٢﴾ لِلَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةٌ أَرْبَعَةٌ أَنْهَرُ فَأَمَّا وَاللَّهُ يَخُورُ رِجْسٌ ﴿١١٣﴾ وَمَا عَرَمُوا الظَّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُرْسِنُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١٥﴾ وَيَحْلِفْنَ أَصْحَابُ بَرَدِيقٍ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِسْلَامًا وَلَكِنْ يَسْئَلُ الَّذِي يَطْلُبُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ جَاءَ طَلِبُ

مأخوذة من قولهم، عرصت العود على الإباء أى وضعت عليه ليمنع دخول شيء فيه، فالعود (عرصة) أى مانع.

﴿لَا يَمْسَاكُمْ﴾: جمع يمين وهو يطلق على الحلف بالله عز وجل. وعلى المحلوف عليه، وقد جمع المفعليين الحديث الشريف وهو قوله ﷺ: (من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليُكْمَرْ عن يمينه وليصنع الذي هو خير) فاليمين الأولى بمعنى المحلوف عليه، والثانية بمعنى الحلف نفسه. والمراد في الآية هو المحلوف عليه.

(١) ملائقہ

(۶) لا یتعزبکم.

(۳) ایضاً،

(٤) الطلاق

(٥) والمطلقات

232 (7)

(٧) إصلاحاً .

﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ بيان لأيمانكم، أى للأمور المحلوف عليها بأنها هى البر والتقوى، والإصلاح بين الناس سيكون حاصل المعنى لا تجعلوا الله أى الحلف بالله سبحانه مانعاً لكم من فعل المحلوف عليه الذى هو البر والتقوى.. إلخ.

(والفرصة) معنى آخر، هو ما ينصب للشيء ويُفَرَّص له كالهدف للسهام يقال جعلته عرضة لكذا، أى نصيبته له، وكان معرضاً له، ومن ذلك قول الشاعر (إن النساء لمرصة للتطبيق) أى معرضات له، وإرادة هذا المعنى هنا فى الآية بعيد، والأسبب هو المعنى الأول.

﴿الْفَوْ فى أيمانكم﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد نحو لا والله.

﴿كسبت قلوبكم﴾: أى ما قصدتموه وعقدتم عليه النية.

﴿يُؤْلَوْنَ مِنْ سَائِهِمْ﴾: أى يحلفون ألا يلامسوا نسائهم. انظر تفصيل المادة فى الآية (٢٢)

من سورة النور صفحة ٤٦٠.

﴿تَرِيصٌ﴾: انتظار.

﴿هَابُوا﴾: رجعوا.

﴿عَرَمُوا الطَّلَاقَ﴾: صمموا عليه.

﴿قُرُوءٌ﴾. جمع قرء بضم أوله وفتححه، ويطلق على الطهر الواقع بين حيضتين، وعلى الحيضة، ويرجح أن المراد بالقرء هنا الأطهار، ويؤكد ذلك تأنيث ثلاثة لأنها تؤنث مع المذكر كما فى أربعة أشهر، وتذكر مع المؤنث كما فى سبع ليالٍ وثمانية أيام انظر الآية (٧) من سورة الحاقة صفحتى ٧٦١، ٧٦٢.. هلو كان المراد الحيضات لقال ثلاث قرء.

المعنى فأتوا ساءكم فى مكان النسل على أى وضع شئتم ما يمتن تتعرون النسل الذى به بقاء النوع الإنسانى، وقدموا لأنفسكم ما ينفعكم وهو طاعة الله وطلب الولد الصالح الذى يدعو لكم، واتقوا الله فلا تمصوه لأنكم ستلاقونه بعد البعث فيجاريكم. ويشر إليها النبى المؤمنين الطائعين بكل خير. وكان الرجل يقلب عليه الغضب فيحلف بالله ألا يفعل كذا من

الخير، أو أن يفعل كذا، من الشر، فإذا قيل له ثم لم يفعل هذا الخير؟ يقول أحاف من الحدث من يمين، فادبر الله «ولا تحفلوا الله عرصنة لأيمانكم». الخ، أى لا تحفلوا الحلف بالله ما ما من فعل المحلوف عليه من الخير بأن تحفلوه ما ما من ترككم بأرحامكم وبالمساكين، وما ما من أن تتقوا ما حرم عليكم، وما ما من أن تصلحوا بين الناس فيفسدهم الشقاق وقد بين ﷺ أن من حلف على شيء من ذلك لا يفعل المحلوف عليه بل يفعل الخير ويترك الشر ويكفر عن يمينه، والله سميع عليم فلا تعالموا أوامره، واعلموا أن رحمته سبحانه بكم أنه لا يؤاخذكم باللمو هي أيمانكم التي تجرى على ألسنتكم من غير قصد، فلم يعتبر يميناً يكفر عنه عند الحدث، وإنما يؤاخذكم باليمين المقصود بكم المصمم عليه من قلوبكم هيؤاخذكم عند الحدث فيه بالكفارة أو العقاب هي الأحرار إذا لم يكن له كفارة. كالأيمان الكاذبة أو على شهادة الزور، والله عز وجل عمود لعباده ما كان منهم من اللغو، حلیم فلا يعجل العقوبة ليتوب العبد.

يقول المفسر الرازي «لا يؤاخذك الله باللمو هي أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» هي الآية مسألتان المسألة الأولى «اللمو» الساقط الذي لا يعتد به سواء كان كلاماً أو غيره كقوله سبحانه «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله «لا تسمع فيها لأعية». أما المفسرين فقد ذكروا، وحوها الأول قول الشافعي أنه قول العرب (لا والله) و(بلى والله) مما يؤكدون به كلامهم ولا يحظر بمآلهم الحلف. والثاني قول أبي حنيفة أن اللغو هو أن يحلف على شيء يعتقده أنه كان ثم بان أنه لم يكن.

وأثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة والحجة الأولى قوله ﷺ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» الحديث دل على وجوب لكفاره عن الحدث مطلقاً من غير فصل بين المحدث والهارل. الحجة الثانية أن اليمين معنى لا يلحقه نسيح فلا يعتبر فيه القصد كالطلاء والعاق فهاتان الحجتان يوحسان الكفارة في قول لئس (لا والله) و(بلى والله) ما حصل، لحدث ثم الذي يدل على أن اللغو لا يمكن تفسيره بما قاله الشافعي وبما فسره بما قاله أبو حنيفة أن اليمين هي اللمة عمارة عن القوة قال

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عصابة باليمين

أي بالقوة والمقصود من اليمين التقوية أي تقوية جانب البر على جانب العنت بسبب اليمين وهذا يكون في الموضع الذي يكون قابلاً للتقوية وهذا إنما يكون إذا وقع اليمين على فعل في المستقبل أما إذا وقع اليمين على الماضي فذلك لا يقبل التقوية البتة. فعلى هذا اليمين على الماضي تكون خالية عن المائدة المطلوبة منها والغالي عن المطلوب يكون لفوا. فثبت أن اللغو هو اليمين على الماضي. والقول الثالث في تفسير يمين اللغو هو أنه إذا حلف على ترك طاعة أو فعل معصية فهذا هو يمين اللغو وهو المعصية قال تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ فبين أنه تعالى لا يؤخذ بترك هذه الأيمان ثم قال ﴿ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي بإقامتكم على ذلك الذي حلفتكم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية. قالوا هذا التفسير مضاف لقوله عليه السلام: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليعمل الذي هو خير. وهذا التأويل ضعيف من وجهين. الأول: أن المؤاخذة المذكورة في هذه الآية صارت معسرة في آية المائدة بقوله تعالى ﴿ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان فكمارته.. الآية﴾ ولما كان المراد بالمؤاخذة إيجاب الكفارة والكسرة مهنا وأجبة علمنا أن المراد من الآية ليس هو هذه الصورة. الثاني: أنه تعالى جعل المقابل للغو هو كسب القلب، ولا يمكن تفسيره بما ذكره من الإصرار على الشيء الذي حلفوا عليه. لأن كسب القلب مشعر بالشروع في فعل جديد. فأما الاستمرار على ما كان فذلك لا يسمى كسب القلب. الثالث: أنها اليمين المكفرة سميت لفوا لأن الكفارة أسقطت الإثم فكانه يقول لا يؤخذكم الله باللغو إذا كمرتم وهذا قول الصحاك. والقول الرابع وهو قول القاضي أن المراد به ما يقع سهواً غير مقصود إليه والدليل على قوله تعالى بعد ذلك ﴿ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي يؤخذكم إذا تعمدتم والمعلوم أن المقابل للعمد هو السهو. المسألة الثانية احتج الشافعي بهذه الآية على وجوب الكفارة في اليمين الفموس قال إنه تعالى ذكر هنا في آية سورة البقرة: ﴿ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ وفي آية سورة المائدة ﴿ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ وعقد اليمين محتمل لأن يكون المراد منه عقد القلب به، ولأن يكون المراد به العقد

الذي يصاد الحل، فلما ذكر هنا قوله ﴿بما كسبت قلوبكم﴾ علمنا أن المراد من هذا العقد هو عقد القلب، وأيضا ذكر المؤاخدة هنا ولم يبين تلك المؤاخدة ما هي؟ وبينها في آية سورة المائدة بقوله ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته... إلخ﴾ فبين أن المؤاخدة هي الكفارة، فكل واحدة من هاتين الآيتين مجعلة من وجه ومبينة من وجه آخر فصارت كل واحدة منهما مفسرة للأخرى من وجه، وحصل من كل واحدة منهما أن كل يمين ذكر على سبيل الجهد وربط القلب، فالكفارة واجبة فيها واليمين الفموس كذلك واجبة فيها.

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ قد ذكرنا أنه تعالى بين في هذا الموضع أنواعا من الشرائع والأحكام، بقي أن يقال: أي مناسبة بين هذا الحكم وبين ما قبله حتى يحسن ذكره عليه؟ فنقول قد ذكرنا أن سبب نزول الآية الأولى أن قوما من الصحابة حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا الرهبانية وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا أنزل الله هذه الآية وأعلم أن الكلام في أن يمين اللغو ما هو قد سبق على الاستقصاء في سورة البقرة في تفسير قوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ فلا وجه للإعادة ثم قال تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم لأيمان﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم (عقدتم) بتشديد القاف بغير الف، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (عَقَدْتُمْ) بتخفيف القاف بغير الف، وقرأ بن عامر (عاقدتهم) بالالف والتخفيف، قال الواحدي يقال: عقد فلان اليمين والعهد والحبل عقداً إذا وكده وأحكمه، ومثل ذلك أيضا عقد بالتشديد إذا وكده، ومثله أيضا عاقد بالالف.

إذا عرفت هذا فتقول: أما من قرأ بالتخفيف فإنه صالح للقليل والكثير، يقال: عقد زيد بيمينه، وعقدوا أيمانهم، وأما من قرأ بالتشديد فاعلم أن أبا عبيدة زيف هذه القراءة وقال: التشديد للتكرير مرة بعد مرة. فالقراءة بالتشديد توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحد لأنها لم تتكرر وأجاب الواحدي رحمه الله عنه من وجهين: الأول: أن بعضهم قال: عقد

بالتشديد والتحفيف واحد في المعنى. الثاني هب أنها صيد التكرير كما في قوله ﴿وعلقن الأبواب﴾ إلا أن هذا التكرير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه، ومنى جمع بين القلب واللسان، وقد حصل التكرير، أما لو عقد البعير بأحدهما دون الآخر لم يكن معقداً وما من قرأ بالآلف هاه من الماعلة التي نحتص بالواحد مثل عافاه الله ومثل ربنا لا تؤاخذنا إن سبينا أو اخطأنا.

وطارقت العل، وعافيت اللص فتكون هذه القراءة كقراءة من حصب المسألة لثانية (ما) مع العمل بمسئلة المصدر، والتقدير ولكن بواحدكم بمقدكم أو بتعقيدكم أو بمعافدتكم لأيمان المسألة الثالثة هي الآية محدوف والتقدير لكن بواحدكم بما عقدتم إذا حشتم محدوف وقت المؤاحدة لأنه كان معلوما عندهم أو بكثرة ما عقدتم، محدوف المصاف وأما عن كيفية استدلال الشافعي بهذه الآية على أن اليمين العموس توجب الكفارة فقد ذكرناها في سورة البقرة

بقول الرمخشري اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم، واحتج فيه من عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عنها فقالت هو قول الرجل (لا والله) و(بلى والله)، وهو مذهب الشافعي وعن معاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما طئ وهو مذهب أبي حنيفة (بما عقدتم الأيمان) بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده لمرردق فقال يا أبا سعيد دعني أجيب عنك فقال

ولست بماأخوذ بلغو تقوله إذا لم تُعقده عاهدات المرائم.

وقرى عقدتم بالتحصيف وعاهدتم و لمعنى ونكر بواحدكم بما عقدتم د حشتم محدوف وقت لمؤاحدة لأنه كان معلوما عندهم أو بكثرة ما عقدتم محدوف المصاف (كفارته) إلح

بعد ذلك يوضح سبحانه الأيلاء وكار الرجل يحلف على أن لا يلامس امرأته ويتركها معلومة لا هي مطلقة ولا روحة فوضع سبحانه حدا لهذا فقال للدبر يولون أي يحضون على البعد من سبائهم انتظار مدة ربعة أشهر ليتروى فيها أحدهم لعله يرجع إلى رشده، فإن

رجعوا في تلك المدة أو في آخرها بأن حثوا في اليمين ولا أمسوا روحاتهم وكفروا عن اليمين فإن الله تعالى يعمر لهم ما سبق من أصرار روحاتهم. رحيم بفتح باب النونة. وإن صمموا على الطلاق فليراقبوا الله لأنه سميع لآلاتهم. عليم ببياناتهم. هل هم معدورون أو يقصدون الأصرار بالمرأة

فالحاصل أن من حلف أن لا يلامس زوجته لا يجوز أن يهمل أكثر من أربعة أشهر. فإن تاب وعاد قبل انقضاءها فلا جناح عليه. وإن أنسى حتى انقضت تمين أحد أمرين إما الرجوع أو الطلاق. فإن لم يطلق ولا يراجع طلقها عليه الحاكم والمطلقات ينتظرن بأنفسهن عن الزواج مدة ثلاثة قروء. أي يجب أن ينتظرن ولا يتزوجن حتى تنتهي هذه المدة وهذا في المدخول بهن غير البائسات من الحيض لكرس أو لصغر هاتان عدتهن ثلاثة أشهر كما في الآية (٤) من سورة الطلاق صفحة ٧٤٩. وغير الحوامل لأن عدتهن وضع الحمل كما في الآية السابقة من سورة الطلاق. وغير المتوهى عنهن أرواحهن فعدتهن أربعة أشهر وعشر كما سيأتي في الآية (٢٢٤) من هذه السورة صفحة ٤٨. وغير الإمام فإن السنة بيت أن عدتهن قرءان. أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن كما في الآية (٤٩) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٧.

ولا يجعل للمطلقات أن يكتمن ما هي أرحامهن من الولد استمجالاً للزواج. ولا أن يكتمن الحيض لتطويل مدة العدة فتأخذ بمقعة بنون حق. فإن كن يؤمن بالله الذي لا يحصى عليه شيء. وباليوم الآخر الذي سيحاسن فيه فلا يفعل ما نهى الله عنه. وأرواج المطلقات أولى بردهن أي مراجعتهن في ذلك أي في مدة التريض والمراد أن الرجل إن أراد مراجعتها وأبت وحب تقديم رأيه على رأيها إن أراد بالمراجعة إصلاحاً لما بينهما. وأن لا يكون مريداً بالرجعة لإضرار بها كتطويل العدة حتى لا تتزوج في تلك الحالة يحرم عليه المراجعة ويجب لها من الحقوق في حال قيام الزوجية من مهر ونفقة وحسن معاشرة مثل الذي يجب عليهن للرجال مما يقتضيه العرف بين الناس في معاشرة الأرواح من حفظ عرصه وولده وماله وخدمته في ستة. فالمماثلة في الوحوب لا هي حسن ما يجب. ويريد الرجال عليهن درجة وسيأتي بيانها.

﴿درجة﴾ هي قوامتهم عليهن لأنهم هم الذين ينمقون. انظر الآية (٢٤) من سورة النساء

صمحتي ١٠٥، ١٠٦.

المعنى: الطلاق الذي يجوز المراجعة بعده لا يزيد عن مرتين، أى تطلقته بعد تطلقته. فإن طلقتم دون الثلاث فيجوز لكم إحصاكن أى مراجعتهن، بشرط أن تكون المراجعة مقرونة بالمعروف شرعاً من حسن العشرة والبعد عن الإضرار، أو تسريحهن أى تركهن مقروناً بإحسان كجبر خاطر وأداء حقوق بلا مماطلة من مؤخر صداق وغيره. ولا يعمل لكم أن تأخذوا في مقابل الطلاق مما آتيتموهن من صداق وغيره شيئاً، لنهاية ذلك للإحصان.

دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٥﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَهَذَا
مَعْرُوفٌ أَوْ تَرِيحٌ بِخَسِيٍّ وَلَا يَحِلُّ نِكَاحُ أَنْ تَأْخُذُوا
بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَحْتَمِيَ إِلَّا يُغَيَّرَ حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ حَضَمَ إِلَّا يُغَيَّرَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
أَقْبَدَتْ يَدَايَهُمَا بِمَا كَانَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهُمَا وَمَنْ يَعْصِ
حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُطَهَّرُونَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
يَحِلُّ لَهُمْ مَعَهُ حَتَّى يَسْكُنَ رَوْحاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاحَا وَتَكُونَ طَلِّقاً إِلَّا يُغَيَّرَ حُدُودَ اللَّهِ
وَبِمَا كَانَ حُدُودَ اللَّهِ سَبَبٌ يَقْرَرُ بِمَعْنَى ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ فَمِنْ أَهْلِهِنَّ مَسْكُوهٌ مَعْرُوفٌ وَسِرْجُوهٌ
مَعْرُوفٌ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ بِرُرٍ يَتَعَدُّنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَلَا تَكُنْ لَهُ بَرَكَةٌ وَلَا تَقْبَلُوا بِمَا بَيَّنَّ اللَّهُ مُرَدًّا

والخطاب في الآية للحاكم لتنظيم الصمائير الآتية، وإسناد الأحذ والإتيان إلى الحكام لأنهم هم
الأمرون بها عند التقاضي إليهم. ومحل ما تقدم إذا كان الزوج هو الذي اختار الطلاق، أما إذا
كانت المرأة هي التي طلبته فلا جناح أن يأخذ منها مالا لتحقيق رغبتها كما قال «إلا أن يخافها»
إنخ، أى الزوجان أو أحدهما، كأن تخاف المرأة أن تعصى الله في أمر زوجها أو تحونه، أو
يخاف هو أن يعرج عن الحد المشروع في مؤاخذتها إذا رأى منها كرها له، أو يخافها مما سوء
العشرة، وعندئذ فلا جناح عليهما فيما افتدت به نفسيهما من مال ليطلقها، فلا إثم على الرجل
فيما أخذ، ولا على المرأة فيما أعطت.

وتلك الأحكام المذكورة حدود الله التي حدد بها الحلال والحرام فلا تتجاوزوها بالمخالفة

(١) الطلاق

(٢) بإحصان

(٣) الظالمون

(٤) آيات

لأن من يتجاوزها فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد الثالثة إلا بعد أن تزوج رجلاً غيره ويعاشرها معاشرة الأزواج. فإن طلقها الروح الثاني بعد الملامسة فلا إثم على الروح الأول ولا على هذه المطلقة من الثاني هي أن يرجع كل منهما إلى صاحبه بعد انقضاء العدة من الثاني. إن ظنا أن يحافظا على أوامر الله بعد اعتبارهما بما سبق وتلك الأحكام السابقة هي حدود الله التي لا يجوز تعطيلها بوصفها سبحانه لقوم يفهمون ما يبين لهم. وإذا طلقتم النساء طلاقاً رجعياً وفارس انقضاء العدة فيجوز لكم بمساكنهن بالمراعاة. بشرط أن يكون الإمساك بقصد الإحسان لا الإصرار بهن. أو تسريحهن أي تركهن حتى تنقضي العدة، ولتمام العناية بهذا الموضوع الكثير الوقوع بين الناس وللتحذير من محالمة الله عز وجل فيه صرح سبحانه بما همم مما سبق فقال ولا تمسكوهن بالرجعة قبل انقضاء العدة صرارا أي بقصد الإصرار بإطالة العدة حتى يمنعها عن الزواج أطول مدة يستطيعها. وإذا قال «لنعتدوا» أي عليهم أي تظلموهن وتلجئوهن لدفع مال. ومن يمسكنهن بقصد الإصرار فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب. ولا تتحدوا آيات الله التي بينت تلك الأحكام هروا أي مهروا بها سبب محالمتها فإن هذا لا يليق بمؤمن

﴿الكتاب﴾: القرآن.

﴿الحكمة﴾: أسرار الشريعة

﴿بلمن أجلهن﴾: انقضت عدتهن.

﴿تفصلوهن أن ينكحن﴾: إلخ بمعنونهن من أن يتزوجن الذين يرعين هي أن يكونوا أرواحاً لهن.

﴿ذلك يوعظ به﴾: أفرد اسم الإشارة مع إن المحاطين جمع بدليل (منكم) ملاحظاً في

الأول حسن المحاطين وهي الجمع أفراداً. وهذا أسلوب عربي فصيح نظيره لفظ (من) هي

الآية (١) من سورة لقمان صفحته ٥٣٩، والآية (١٨) من سورة المجدة صفحات ٥٤٦، ٥٤٧

والآية (١١) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْزَنَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يُعْطِيكُمْ بِهِ. وَأَتِمُّوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَنْ أَلْفَ بِكُلِّ
تَقْوَةٍ عِلْمٍ (١٢١) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَسِّرْ لَهُنَّ
فَلَا تَعْصِمُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بِهِمْ
بِأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْزَنُ لَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ بِعِلْمٍ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ (١٢٢) • وَالزَّوَالِدُ بِرِضَى وَلَدَيْهِ خَوَاتِمِ
مَكَلَّتِي لَيْسَ رَدُّهُنَّ إِلَى الرِّصَاةِ وَعَلَى التَّوَرْدَةِ
بِرِضَى وَكَسْرٍ بِأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ لَا تَكْلَبُ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا
لَا ضَرَّ وَلَا نَفْعَ يُولَدُ وَلَا مَوْتَ لَهُ يُولَدُ وَعَلَى التَّوَرِدِ
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ رِيضٍ مُنْبِتٍ وَمُسَوَّرٍ
فَلَا ضَرَّ عَلَيْهِمَا وَإِنْ رَدْتُمْ أَنْ تَرْضَعُوا وَلَدَكُمْ

﴿أركي﴾ أحلب للبركه

﴿أطهر﴾ أنطف للسمعة وأبعد من

الشبهة عن الرجل والمرأة

﴿المولود له﴾ الأب

﴿فصلاً﴾ فتماماً للطمع

﴿تسترضعوا أولادكم﴾ تحملوا لهم

مراضع.

المعنى واذكروا أيها المؤمنون نعمته تعالى

عليكم بهدايتكم للإسلام لتشكروه بطاعته.

واذكروا القرآن الذي أنزله عليكم ليحفظكم به

لعل ذلك يساعدكم على تقوى الله. واعلموا

أن الله بكل شيء عليم ومنه تذكركم لكتابه والحواف منه. وسيجاريكم على ذلك، وإذا طلقتم
النساء وانفصلت عدتهن فلا يحل لمخلوق منكم أن يصنعن من أن يتزوجن الرجال الذين برغن
هي أن يكونوا أزواجا لهم. هالخطاب لأولياء المرأة وكل من يمكنه معها، أي لا يجوز لأحد أن
يقف في طريق رغبة المطلقة فيمن تريد الزواج منه إذا تراضى الحاضرون والنساء المخطوبات
بالطريق المعروف شرعا وعادة بأن لا يكون هناك مانع ولا ما يحل بشرف أهلها كعدم تحقيق
الكفاءة وذلك النهي عن المنع يوعظ به من كان يؤمن بالله ويعلم أنه مراقبه، ويؤمن باليوم

(١) الكتاب

(٢) أزواجهن

(٣) تراضوا

(٤) والوالدات

(٥) أولادهن

(٦) والده

(٧) أولادكم

الأحر الذي سيجازى فيه على ما عمل، لأنه هو الذي ينفع فيه الوعد، ذلكم أي ترك المبع
باتباع الشرع أجلب للبركة وأظهر للرجل والمرأة لما يخشى عليهما من الريبة بسبب ميل كل
لصاحبه. والله يعلم من المصلحة مالا تعلمون. والوالدان سواء أكن زوجات أو مطلقات عليهن
أن يرصص أولادهن عامين كاملين لمن أراد من الآباء أن يتم رضاعة ولده، ولا تجبر الأم على
الزيادة عليهما. وعلى الآباء إطعامهن وكسوتهن إن كن مطلقات. أما الزوجات فريزقهن ثابت
لهن بالزوجية بالمعروف بين الناس أنه في طاقة الأب أي بلا إسراف ولا تقتير، لأن الله
سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي ما في طاقتها. لا تصار أي لا تؤدي والدته بسبب ولدها
بأن تكره على إرضاعه مع التضيق عليها فيما تستحقه من رزق وكسوة، ولا يضار مولود له
بسبب ولده، بأن يكلف فوق طاقته. وعلى الوارث أي وارث الأب وهو المصبي إن كان والده ترك
له مالا أوجده إن لم يترك والده شيئاً مثل الذي كان على أب الطفل من الرزق والكسوة
للمريض. فإن أراد الولدان طعام الطفل قبل الحولين بعد اتفاق وتشاور فيما فيه مصلحة
الطفل حتى لا يصرف فلا حرج عليهما في طعامه قبل الحولين.

﴿جناح﴾: ذنب.

﴿سلمتم﴾: أعطيتم.

﴿المعروف﴾: المتعارف بين الناس.

﴿يرصص﴾: ينتظرن بدون زواج.

﴿عرضتم به﴾: لوحيتم به من غير تصريح.

﴿لا تمزموا﴾: لا تصمموا جازمين.

﴿عقدة الكاح﴾: عقد الزواج.

﴿الكتاب﴾: المكتوب أي المفروض وهو العدة.

﴿أجله﴾: نهايته.

﴿أو تفرضوا.. إلخ﴾: المراد توجهوا على أنفسكم مقدارا من المال تدفعونه لهم صدقا، انظر الآية (٢٨) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦، وقال علماء اللغة إن (أو) الواردة بعد نهى أو نهي تعيد العموم كانه قال ما لم تمسوهن وما لم تفرضوا إلخ. أى إذا انتفى الأمران ومثالها هي النهى (ولا تطع منهم أثما أو كفورا) الآية (٢٤) من سورة الإنعام صفحة ٧٨٢.

﴿فريضة﴾: صدقا.

﴿الموسع﴾: ذو السعة والرحاء.

فَلَا حَاجَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلِمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْتَبِرُوا أَنَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مَكْرَ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بِرَهْنٍ يَأْتِيهِمْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿٢٩﴾ فَمَنْ أَجْلُهُنَّ فَلَا حَاجَ عَلَيْكُمْ بِمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَلَا حَاجَ عَلَيْكُمْ رَبِّ مَرْحَمٍ بِهِ، مِنْ حَطْبٍ أَلَسَاءُ أَوْ أَكْثَمٍ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَلَنْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ سِرٌّ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ فَكُذِّبَتْ الْكَاذِبَةُ أَجْلُهُنَّ وَأَعْتَبُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ ﴿٣١﴾ لَا حَاجَ عَلَيْكُمْ إِذْ طَلَقْتُمْ أَيْسَاءَ مَا تَحْمِلُهُنَّ أَوْ تَفْرُسْنَ مَرْحَمَةً وَمَنْعُهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ

المعنى: وإن أردتم أيها الآباء أن تجعلوا لأولادكم مراضع غير الوالدات برضا منهن وتشاور فلا إثم عليكم في هذا الاسترضاع إذا سلمتم المراضع ما آتيتهم أى ما أردتم إعطاهن من الأجر بالقدر المتعارف عليه بين الناس حتى لا يستثنى إلى الطفل أو يهمله، واتقوا الله فلا تتسببوا في إيذاء الطفل ووالدته وأعلموا أن الله بصير بعملكم فيحازيكم عليه حبرا أو شرا والذين يتوفون منكم ويذرون أى يتركون زوجات، يجب عليهن أن يستظرن بدون رواج بعد موت الزوج أربعة أشهر وعشر ليال إذا كن غير حوامل. أما الحوامل فقال ابن عباس رضى الله عنهما (أن الحامل المتوفى عنها زوجها تمكث أطول الأجلين أجل الوضع أو أجل الأربعة أشهر وعشر). فإذا انقضت عدتهن فلا حجاج عليكم أيها الأولياء والحكام، ولا عليهن أيضا فيما فعلن هي أنفسهن من الزينة والتهيز للحطاب، بشرط أن يكون ذلك بالحقى المعروف عند ذي

(١) أزواج.

(٢) الكتاب.

المروءة وهو ما لا تبرج فيه. والله بما تعملون خبير. فلا تفعلوا إلا ما يبيعه سبحانه خوفا من غضبه. ولا جناح عليكم يا من تريدون الزواج من المعتدات عدة وفاة أو طلاق بائن. أما المعتدات من طلاق رجعى فلا يجوز حتى التعريض لأنهن فى عصمة أرواجهن إلى نهاية العدة فيما لو حتم به دون تصريح من خطبة النساء أى طلبهن للزواج. كأن يقول الرجل إنك امرأة صالحة. أو مثلك يرغبها الرجال. ولا يصرح كأن يقول أريد زواجك فإنه حرام ما دامت فى العدة. ولا جناح عليكم أيضا فيما أضمرتم فى أنفسكم من الرغبة فى زواج المعتدة لتعذر الاحتراز عنه. ولذا قال «علم الله أنكم ستذكرونهن» قطعا بدافع الرغبة البشرية. ولا تصبروا على السكوت عن إظهار الرغبة فيهن، فاذكروهن، ولكن لا تواعدوهن بالزواج سرا كأن يقول لها فى حلوة، عاهدبنى على ألا تقبلى خطبة أحد حتى تعبرينى، لما فى هذه المواعدة من خطر الفتنة ومظنة التهمة والجر إلى التصريح المهى عنه، ولكم أن تقولوا أمام الناس القول المعروف المتقدم وهو التمريض. وإنما كرره ليحذر الناس من التساهل فيه لشدة الدواعى إليه. ولذا صرح بما همم مما سبق فقال - ولا ترموا عقدة الرواح عزمًا حارما لأنه يجبر إلى الحرام واكتفوا بإكثان الرغبة فى النفس المغفوعة عنها حتى تبلغ العدة نهايتها، عند ذلك يصح أن تعزموا العزم الذى من شأنه أن يستتبع الفعل، وبما أن الله يعلم ما فى أنفسكم من عزم وسية امتثال وغيرها فاحذروا عقابه إذا حالتم أمره، واعلموا أن لمن خالف وتجاوز أسرار الرغبة إلى العزم الذى يجبر إلى الفعل محرجا بالتوبة، لأنه سبحانه عمور لمن يتوب، حلهم لا يعمل بالمقوبة ليفسح المجال للتوبة. وأنزل فيمن يطلق امرأته ولم يكن فرض لها مهرا ولا لاممها: لا جناح عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو لم تصرصوا لهن مهرا، أى لا تبعة عليكم من مهر ولا نمقة إذا طلقتم لعدر وكان ذلك قبل الملامسة وقبل تقدير المهر، ولها فى هذه الحالة متعة تقدر على الموسع ذى اليسار بقدر عناه وعلى المقتر أى المقيور بقدر الحاجة.

﴿عرضتم﴾ تقدم المراد بها فى الصفحة السابقة.

﴿قدره﴾: مقدار طاقته.

قَدْ رَفَعُوا عَلَى الْفَقِيرِ قَدْرَهُ مُتَعَاتِبًا مَعْرُوفًا حَقًّا عَلَى
 الْمُتَحْسِبِينَ ﴿١٠٩﴾ وَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُخِلَ عَلَيْهِمْ خُبْرٌ
 وَهُدِيَ قُرْآنٌ مِنْهُمْ أَوْ فَهِمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَذُكِّرُوا بِهِ وَلَا يَتَذَكَّرُ
 أُولَئِكَ إِلَّا بَشَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١١٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴿١١١﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٢﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ ﴿١١٣﴾

﴿المقتر﴾: الفقير.

﴿الذي بيده عقدة النكاح﴾: هو الزوج.

﴿الصلاة الوسطى﴾: صلاة العصر.

﴿قانتين﴾: خاشعين.

﴿رجالا﴾: جمع راجل وهو غير الراكب.

﴿متاعا إلى الحول﴾: ما تمتع به من سكن

ونفقة إلى نهاية الحول.

﴿غير إخراج﴾: أي غير مخرجات من

بيوت أزواجهن كرها.

المعنى: إن المنفعة تقدر على الغنى بقدر

غناه، وعلى الفقير بقدر الحاجة، وتكون

بالقدر المتعارف عند أهل المروءة، حقا أي واجبا لها على من يحسن التعامل بين الناس جبرا
 لفضاضة الطلاق على نفسها وشهادة بتراعتها. ووصف المتاع بالإحسان لا يناهض الوجوب لأن
 الله سبحانه وصف القيام بالواجب بالإحسان في آيات كثيرة منها ما جاء في الآية (٩١) من
 سورة التوبة صفحة ٢٥٧ إذ النصيح لله والرسول فيها واجب. وما جاء في الآية (١٢٠) من
 نفس السورة صفحة ٢٦٢، ووصف سبحانه الثابت في القتال بالمحمن مع أنه واجب والفرار
 حرام انظر الآيتين (١٤٧)، (١٤٨) من سورة آل عمران صفحات ٨٦، ٨٧. وصور المطلقة أربع.
 (أولها) أن يطلقها قبل أن يمسه ولم يفرض لها مهرا. وهذه لها متعة لا نفقة.

(الثانية) أن يكون الطلاق قبل المسيس وبعد فرض المهر فلها نصف الصداق.

(الثالثة) أن يكون الطلاق بعد المسيس وبعد فرض المهر فلها كل المهر.

(١) متاعا.	(٢) حافظوا.	(٣) الصلوات	(٤) والصلاة	(٥) قانتين.
(٦) أزواجا.	(٧) لأزواجهن.	(٨) متاعا.	(٩) والمطلقات	(١٠) متاعا.

(الرابعة) أن يكون بعد المسيس وقبل تسمية المهر فلها مهر المثل. وسيأتى حكم المتعة في أول شرح صفحة ٥٠ الآتية.

فقله وإن طلقتموهن إلح هي الصورة الثابتة، فلها النصف في كل حال إلا في حال واحدة هي أن يعزو النساء فيترك هذا النصف، أو يعزو الزوج ويترك لها الصداق كله تفضلاً، وعزوكم أيها الأرواح والزوجات أقرب لتقوى الله عز وجل، فهذا حث لكل منهما على السبق إلى التفصل «ولا تنسوا الفضل بينكم» بالمودة وحسن العشرة بين المطلق وأهل زوجته ثم ذكر سبحانه ما يعين على مراقبة الله في تنفيذ أحكامه فقال سبحانه «حافظوا على الصلوات»؛ الخمس، بأدائها في أوقاتها على أحسن وجه، خصوصاً الصلاة الوسطى التي بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، لأنها في وقت يظن اشتغالكم فيه بتجارتكم ومعاشكم وقوموا لله في صلاتكم خاشعين، ثم أكد وجوب الصلاة بأنها لا تسقط عن المكلف بأي حال ما دام فيه شعور فقال «إن خفت» عدواً أو سبباً مثلاً فصلوا ماشين أو راكبين إذا دخل وقت الصلاة في حال المقاومة وظننتم أن المقاومة تستغرق وقتها، فصلوا لا يمنكم من صلاتكم كر ولا ضر، وقولوا في صلاتكم ما تقولون عادة، ويؤمن المصلي بقدر ما يستطيع، ولا يلزمه التوجه للقبلة، فإذا ذهب سبب الخوف فصلوا كالمعتاد.

والذين يتوفون منكم وقد تركوا زوجات يوصى الله أهل الميت وصية لأزواج المتوفين منهم بعثت من نفقة وسكنى إلى نهاية الحول غير مخرجات من بيوت أرواجهن كرها فإن خرجن من تلقاء أنفسهن قبل العام فلا جناح عليكم يا أولياء الميت فيما تعمل تلك الزوجات من معروف شرعاً كالتريفة وترك الحداد إذا كان الخروج بعد الأربعة أشهر وعشر فلا جناح عليكم في تسبهن في قطع النفقة ولا جناح عليهن في الزينة وترك الحداد، قال مجاهد نزل في عدة المتوفى عنها أيتان آية الأربعة أشهر وعشر، وهذه الآية، والآيتان في حالتين، فإن اختارت المرأة الإقامة في دار الزوج والنفقة من تركته فعديتها سنة، وإلا فعديتها أربعة أشهر وعشر، فالعدة أجل محتم وهو الأقل، وأجل هي مخيرة فيه هو بقية العام، وللمطلقات متاع بالمعروف بين الناس حق حقاً، أي وجب وحبوا على المتقين.

الْمُتَّقِينَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ يَسِّرُ اللَّهُ لَكَ ذِيَابَتَهُ لَعَلَّكَ تَهْتَدُونَ ﴿١١١﴾ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَرَجَّعُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَمِنْ أَوَّلَى حُدُودِ النَّوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنْجَاهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أُنْجَاهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَمِيعُ عِلِيمٌ ﴿١١٣﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرَضًا حَسًّا
فَيَمْسِكُهُ لَهُ أَشْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ
وَلَيْسَ تَرَجِعُونَ ﴿١١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَيَّعُوا أَنْفُسَهُمْ
بِشَيْءٍ يَبْعَثُ عَنْ دِينِهِمْ أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الثَّمَنَ بِكَافٍ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلْ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفِتْنَةَ
أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْ كَيْفَ عَسَيْتُمْ إِنْ قُتِلْتُمْ
أَلَّا تَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ

﴿الم تر﴾: أي هل لم تعلم يا من يصح

منك العلم، وتنتظر نظر المعتمد.

﴿الذين خرجوا من ديارهم﴾: قال

المرحوم الشيخ محمد عبده: مادام القرآن لم
يبين هؤلاء القوم ولا مكانهم، ولا زمانهم، فلا
يهمنا البحث عنهم، لأن العبرة التي أرادها
الله سبحانه يكفى فيها أن هؤلاء قوم ساقطهم
الجبين والخوف من عدوهم إلى العرار، وترك
الديار، مع أنهم لم يكونوا قلة، وإنما خوف
الموت هو السبب في كل بلاء.

﴿فقال لهم الله موتوا﴾: المراد أماتهم

الله سبحانه بأن أذلهم ومكن عدوهم منهم، ثم أحيا عنهم جيلا جديدا لم يكن جباناً، والموت
والحياة يمتريان الجماعة الواحدة باعتبار حالات مختلفة، فمعنى موتهم أن العدو نكل بهم
وأذلهم حتى صاروا لا وجود لهم كأمة، ومعنى إحيائهم رجوع استقلالهم وعزتهم ووجودهم في
الحياة كأمة محترمة، وإطلاق الحياة على الحالة المعنوية الشريفة هي الأشخاص أو الأمم،

(١) آياته.

(٢) ديارهم.

(٣) ولكن.

(٤) وقتلوا.

(٥) فمضاعفه.

(٦) ويبسط.

(٧) الملا.

(٨) إسرائيل.

(٩) قاتلوا.

(١٠) قاتل.

(١١) ديارها.

(١٢) وأبناها.

وإطلاق الموت على مقابلها، كل ذلك معهود في القرآن، قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. وقال سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الآية (٢٤) من سورة الأنعام صفحة ٢٣٠. ويوضح ذلك دقة التعبير حيث عطف الموت على الخروج جيناً بحرف (الماء) الدالة على اتصال الذل بالفرار مباشرة. وعطف إحياءهم على الموت بحرف (ثم) الدالة على التراخي في الزمن.

﴿يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾: تركيب يفيد البحث على اتفاق الحلال في وجوه الخير ابتغاء رضوان الله ليعطيه سبحانه أكثر منه (انظر أصل معنى مفردات هذا التركيب في شرح الآية (١١) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠ وجاء به بعدما تقدم إشعاراً بأن دفع العدو يحتاج المال.

﴿فِيضَاعُفَهُ لَهُ﴾ أي يعوضه بدله أكثر منه مرات عديدة انظر الآيتين (٢٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥، (٢٦٥) من نفس السورة صفحة ٥٦.

﴿يَقْبِضُ﴾: أي يضيق الرزق.

﴿وَيَبْسُطُ﴾. أي ويوسع الرزق انظر الآيات (٣٥، ٣٦، ٣٧) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨.

﴿الْمَلَأَ﴾: هم الجماعة من الوجهاء التي تحيط بالرئيس فتملأ عيون الأتباع مهابة.

﴿لَنْبَسَ لَهُمْ﴾: هو صمويل.

﴿ابْعَثْ﴾: المراد عين.

﴿مَلَكًا﴾: المراد أميراً نرجع إليه في شئون الحرب وغيرها.

المعنى: فرض هذا المتاع على النبي يحافون عقاب الله فيبتعدون عما يفصيه، بهذا البيان الواضح يبين الله كل آيات الأحكام ليسهل عليكم أن تعقلوا حكمته في هذا التشريع. وحتم الله بهذه الآية أحكام المطلقات لتشمل ما لم يدخل فيما سبق من صور المطلقات الأربع المتقدم ذكرها، وهما صورتا الممسوسة المصروص لها مهر، وغير المفروض. قال بعض العلماء: إن المتعة

ذكرها، وهما صوراً الممسوسة المصروص لها مهر، وغير المصروص. قال بعض العلماء إن
 لسمعه غير الصداق، وبها واحه لمن لا تستحق صداقا مدبوبة لمن تستحقه كله أو نصفه. بل
 قال الحسن أن لكل مطلقه مناعا، دخل بها أو لم يدخل عرض لها أم لا، وظاهره الوجوب في
 الكل وقال قوم إنه مدبوب في المدحول بها ثم شرع سبحانه في ذكر قصص بعض السابقين
 للعبه بما فيها من أن الحب سبب الدل، والشجاعة سبب العرة، فقال سبحانه «ألم تره بقلبك
 وتعلم يا من يصح منك العلم إلى الدين خرجوا من ديارهم ومع أنهم كثيرون فقد حافوا الموت
 بحسبهم فحراهم لله بموتهم الأدنى وإدلال عدوهم لهم، وبعد انقراض هذا الجيل الجبان
 أحياهم لله بأحرج حيل حديد رجع ملكهم إن الله ذو فضل على الناس حيث جعل من
 المصائب حافرا للمرائم، وجعل اعتداء الظالم منها لشعور المظلوم بقسوة الظلم هيستعيت
 في دمه ويصلح أمر الناس، انظر الآية (٢٥١) الآتية من هذه السورة صفحة ٥٢. ولكن أكثر
 الناس لا يقومون بحقوق هذه النعمة من الشكر فلم يستفيدوا منها، ولما هباً سبحانه النفوس
 للشعور بدم الحصوع للدل أمر المؤمنين بقتال أعدائهم فقال «وقاتلوا في سبيل الله» أي
 لأعلاء دينه ولما كان الجهاد بطلب الإنصاف حث عليه فقال «من ذا الذي يقرض» إلخ، أي
 أقرضوا وادفعوا في سبيل الله بطيب نفس ومال حلال فيصاعف الله ثوابه، والله يصيق الرزق
 على من شاء امتحانا يصبر، ويوسع على من يشاء امتحانا هل يشكر وإلى الله المرجع
 والمعاداة ولما كان الذي حصل لبني إسرائيل بعد انقضاء زمن النية وهو أربعون سنة كما في
 الآية (٢٦) من سورة المائدة صفحة ١٤١ أنهم (أي بني إسرائيل) رحموا إلى الله تعالى وندموا
 على ما حصل منهم وعزموا على دخول فلسطين، فنصرهم الله تعالى على من هبها من
 الوثنيين، وبعد زمن كثير انحرصوا ثانيا كما هي عادتهم وسلط الله سبحانه عليهم جبايرة
 الوثنيين فشردهم واستولوا على التابوت الذي كانوا يحملونه معهم في الحروب لتقوى قلوبهم،
 لما كان كل هذا قال سبحانه في ذلك ألم نرهصه الجماعة من بعد موت موسى حين قالوا
 لبنيهم أقم لنا أميراً يقاتل معاً في سبيل الله الوثنيين في فلسطين، قال أتوقع حسكم إن
 عرض عليكم القتال قالوا ولم الحب والرجال أنا أخرجنا من ديارنا وأبعدنا عن آبائنا بسبب
 سبي الأبناء؟ فلما عرض عليهم القتال تولوا وجبتوا.

﴿أنى يكون﴾ كيف يكون

﴿سعة من المال﴾: رزقا واسعا.

﴿سطة﴾: سعة

﴿آية ملكه﴾: أى علامة كونه ملكا.

﴿التابوت﴾: هو الصندوق الذى كانت فيه

الواح التوراة، ووصاها الله سبحانه لبنى

إسرائيل. قال المرحوم الشيخ محمد عبده: إن

التابوت كان بعد موسى عند هتاه (يوشع)

انظر الآية (٦٠) من سورة الكهف صفحة

٢٨٩، وصار يتقل بعد ذلك عند رؤسائهم فى

المدينة، وإنهم كانوا يستنصرون به،

ويقدموه أمام الجيش، فتقوى عرائثهم، فيبصرهم الله عز وجل بتلك الشجاعة، ولذلك لما

ضعف يقينهم، وهستت أخلاقهم، عليهم عدوهم وأحد منهم التابوت، فلم يعن عنهم وجود

التابوت عند فسادهم شيئا، وكان ذلك سبب الحروب التى وقعت بينهم وبين من جاورهم من

الفرس وغيرهم الذين أدلوا اليهود وأحدوا التابوت معهم، وكان (صمويل) الذى ينطق به العرب

(شمويل) قاصيا لبنى إسرائيل من بعد هذه الحروب، وهو بينهم الذى طلبوا منه أن يعين لهم

ملكا كما تقدم، وكان بعد موسى بنحو ألف سنة كما قال ابن كثير والشيخ محمد عبده

﴿فيه سكبته﴾ سكبته أى تظمين لقلوبكم، والمراد فى إنبائه ووجوده ببيكم تظمين قلوبكم

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ وَقَالَ لَهُمْ
يَسُوعُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ مَتَّ لِعِبَادِكُمْ طَائِفًا مِّنْكُمْ قَالُوا أَن
يَكُونَ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْهِ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
سَعَةً مِّنَ الْأَمْوَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ عَلَيْهِمْ وَرَأَاهُمْ
مَسْكِينًا فِي الْأَعْيُنِ وَالْجَنَّةُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا رَكَ
عَالُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُدْرِكُ فِي ذَلِكَ
لَايَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَائِفَةٌ
بِالْجُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَشِيرًا لَّن تَجِدَ بِهِ مَقْلَقًا
مِّنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ يَمُنِّي إِلَّا مَن أَفْتَرَقَ هُرْفَةً
بَيْنَهُ فَشَرُّ رَأْيَةٍ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

(١) بالظالمين

(٢) اصطفاها

(٣) واسع

(٤) هارون

(٥) الملائكة

(آل موسى وآل هارون): المراد موسى وهارون وَمَنْ تَبِعَهُمَا من أنبياء بنى إسرائيل، انظر المراد من (آل) في شرح قوله تعالى ﴿ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ الآية (٤٦) من سورة غافر صفحة ٦٢٤. ﴿تحملة الملائكة﴾: الذى يؤخذ مما فى كتب العهد القديم أن أهل فلسطين الذى غلبوا اليهود أسهبوا بأسرامس ونقص فى الزروع، فتشاموا من وجود التابوت بينهم، وظنوا أن إله إسرائيل انتقم منهم، فوضعوا التابوت على عجلة تجرها بقرتان ووجهوهما إلى موضع بنى إسرائيل تخلصا منه.

ولعل السبب فى قول نبيهم (تحملة الملائكة) هو أن البقرتين اللتين كانتا تجران العجلة من فلسطين إلى موضع بنى إسرائيل كانتا تسيران بدون قائد ولا سائق والمادة أن ما يجرى من الخبر بإلهام لا دخل للبشر فيه يقول عنه الناس إنه إلهام ملائكى لذا قال تحمله الملائكة.

(فصل طالوت): أى انفصل بالجيش عن محل إقامته متوجها إلى القتال.

﴿مبتليكم﴾: أى مختبركم. ﴿لم يطمعه﴾: أى لم يذق ماء. ﴿غرفة﴾: من الغرف، وهو أخذ مقدار قليل من شيء كثير، وهى هنا بمعنى مفعول، أى مغروفة ككلمة بمعنى ملقومة، ونهبة بمعنى منسوب.

المعنى: جبنوا جميعا إلا قليلا منهم، والله عليم بمن ظلموا أنفسهم وامتنهم بالجبن وسيجاريهم ثم شرع سبحانه يفصل هذه العادة فقال: وقال لهم نبيهم صمويل إن الله قد يمت لكم طالوت ملكا كما طلبتم، قالوا كيف يكون هذا والحال أننا أحق بالملك منه لأنه ليس من كهراثنا ولا من أغنيائنا؟ فرد نبيهم قولهم بما يفيد أن ما ذكروه لا دخل له فى استحقاق المعول عليه صفات ذاتية فى الشخص تؤهله لاختيار الله له، منها إنه منح سعة علم

أعلم بنى إسرائيل بفنون الحرب وبالكتاب المقدس، وكان أطولهم قاما ذا

كه من يشاء ممن يستحقه لا بالوراثة، واسع الفضل عليم بمن هو أهله.

م دلها على أن الله اختاره ملكا قال لهم إن دليل ذلك هو أن يأتىكم التابوت

فيه ما يطمئن قلوبكم وفيه قطع من ألواح التوراة مما تركه أتباع موسى وهارون من أنبياء بني إسرائيل حال كونه تحمله الملائكة. ولما حصل هذا وحصلوا وحرج بهم طائوت من مكان إقامتهم متوجها لقتال أعدائهم الوثنيين بفلسطين أراد امتحانهم ليعلم المخلص مأمون الطاعة وغيره ليعتده عن الجيش لحظر وجود من يحالف أمر القائد عند الشدة. فسار بهم مسافة شتد عطشهم فيها، ثم قال إن الله محنتكم بنهر سيلافيككم. فمن شرب منه كثيرا فليبتعد عا، ومن لم يلمسه أى لم يذق منه كثيرا فليبق معي ولما وصلوا النهر شرب أغلبهم كثيرا. واكتفى قليل منهم بفرقة بيده يحفف بها فسوة العطش. ثم تعطى النهر طائوت والمخلصون معه بسرعة وتآخر الأكثرون حتى شبعوا ماء وحملوا منه ما استطاعوا. فلما جاوزوه هو والمخلصون معه أولاً ثم لحقهم الباقي بدليل المناقشة الآتية وإنما اقتصر في الذكر على مجاورة المخلصين لأنهم هم الذين صاحبوا قائدهم في المجاورة بسرعة.

﴿جانوت﴾ هو أكبر طاعية في وثني فلسطين أعداء بني إسرائيل.

﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ قال الرابع الأصفهاني في كتابه (غريب القرآن)

﴿الظن﴾ اسم للإدراك الذي يحصل عن أمانة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز الوهم ومتى قوى الظن استعمل معه حرف (أن) المشددة التي تعيد التوكيد كما هنا.

ومثل ما هنا ما في قوله تعالى في الآية (٤٦) من سورة البقرة صفحة ١٠ والآية (٢٠) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢.

﴿برزوا﴾ طهروا.

﴿أهزع علينا صبرا﴾ أي أصيب على قلوبنا صبرا يقويها فالمراد صبرا

﴿داود﴾ كان جنديا في عسكر طائوت.

﴿وأتاه الله الملك﴾ جعله ملكا على بني إسرائيل.

﴿الحكمة﴾: المراد بها هنا النبوة والزيور،

انظر الآية (١٦٣) من سورة النساء صفحة

١٢١.

﴿البيئات﴾: المعجزات الواضحة المذكورة

في الآية (٤٩) من سورة آل عمران صفحتي

٧٠، ٧١.

﴿الروح القدس﴾: الروح المقدس المظاهر

وهو جبريل.

المعنى: قال الذين شربوا كثيرا لا قدرة لنا

على قتال جالوت وجنوده. وقال الذين يوقنون

أنهم ملاقو ربهم ليجازيهم على ثباتهم: كم من

أمرأتهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده.
قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كم من فئة قليلة
عنت منه كثيرة ياذب الله وأهله مع الصابرين ﴿١٦٣﴾
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وأمرنا على الأقوم الكافرين ﴿١٦٤﴾
فهرمهم ياذب الله وحمل داود جالوت وأسلمه الله الملك
والحكمة وعلمه بما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على
العالمين ﴿١٦٥﴾ تلك آيات الله نتوها عليك بالحق
وإنك ليرى المرسلين ﴿١٦٦﴾ تلك الرسل صلح بعضهم
على بعض بينهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وأصاب عيسى ابن مريم البشيت وأبدت روح القدس

فئة قليلة، أي كثيرا ما حدث أن غلبت جماعة قليلة مؤمنة كثيرة غير مؤمنة بتسهيل الله إذا
صبروا، فإنه سبحانه مع الصابرين بالنصر والتأييد. وعند ذلك أبعد طالوت الجنود الذين
خالفوا وشربوا كثيرا، أبعدهم عن الجيش لمخالفتهم أمر قائدهم، وعدم طاعة الجندي من أقوى
أسباب الهزائم انظر الآية (١٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٧. ولما برز طالوت والمؤمنون
معه لجالوت قالوا ربنا أعنا عليهم بالصبر وثبت أقدامنا هي مواطن القتال. فاستجاب سبحانه

(١) ملاقوا

(٢) الصابرين،

(٣) الكافرين،

(٤) وآله.

(٥) العالمين.

(٦) آيات.

(٧) درجات.

(٨) البيئات.

(٩) وأبدته.

وهزموهم، وقتل داود جالوت، هاشتهر داود وعد هي الأبطال، وكان جزاؤه أن آتاه الله الملك على بنى إسرائيل والنسوة والربور، وعلمه مما ينفعه كصنعة الدروع، انظر الآية (٨٠) من سورة الأنبياء صمحتي ٤٢٨، ٤٢٩.

فكان عليه السلام نبيا ملكا. ثم بين سبحانه حكمة الإنن في قتال الجبابرة فقال «ولولا دفع الله الناس إلخ، أي لولا أن الله تعالى يسخر أهل العدل والحق لدفع شر أهل الظلم والباطل لتغلب الظالمون وفسدت الأرض ومن عليها، ولكن الله من فضله ورحمته بالضعفاء يسخر للظالم من ينتقم منه.

تلك القصص المتقدمة أدلة من عند الله على صدقك أيها النبي، لأنك أمي لا تدري من أخبار السابقين هذه الحقائق التي نقلوها عليك مقرونة بالحق، فكل ما يقال عنها خلاف ذلك باطل. وإنك أيها النبي لمن المرسلين حقا، إذ لولا الوحي لما عرفت من هذه الحوادث شيئا على الوجه الصحيح. انظر الأيتين (٤٤) و(٤٥) من سورة القصص صمحة ٥١٢ .. تلك الرسل المتقدم أنك منهم فضلنا بعضهم على بعض، وصر على من بقى لهم أتباع فقال: «منهم من كلم الله، وهو موسى، انظر الآية (١٦٤) من سورة النساء صمحة ١٢١. والآيات (١٤٢-١٤٥) من سورة الأعراف صمحتي ٢١٤، ٢١٥. «ورفع بعضهم درجات» يريد سبحانه بهذا البعض نبينا محمدا ﷺ. ووسطه في الذكر بين موسى وعيسى إشارة إلى وجه فضله وهو أن شريعته وأمره وسط كما تقدم في الآية (١٤٢) من هذه السورة صمحتي ٢٧، ٢٨ وفضله أنه صاحب رسالة عامة للناس كلهم خالدة إلى يوم القيامة. فكان رحمة للعالمين، انظر الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء صمحة ٤٢٢ والآية (٢٨) من سورة ميثا صمحة ٥٦٦.

«وأتينا عيسى بن مريم» المعجزات الواضحة. وإنما ذكر عيسى باسمه لحكم، منها إبطال ما يزعمه عنه أهل الكتابين اليهود والنصارى من التفریط والإفراط فاليهود اهتموا عليه بأنه ابن زنا والنصارى قدسوه حتى الحقوه بالله تعالى، وقويما أدلة نبوته بروح القدس جبريل.

﴿خلة﴾: صداقة.

وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَّ الَّذِينَ مِنْ تَعْلِيمٍ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ رَبِّكَ أَخْبَرُ قَوْمٍ مِنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَكَرَّ اللَّهُ بِفَعْلٍ مَا يَرِيدُ ﴿٢٢٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْمِزُوا نَحْمًا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا تَعْلَمُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَعْنَةٌ وَالْكَافِرُونَ
هُمْ الْعَبِيدُونَ ﴿٢٢٨﴾ أَفَلَا يَأْتِيهِمْ لَأَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا يَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٢٩﴾ لَا تَسْجُدْ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ مَنْ يَسْجُدْ لِمَا صُنِعَ وَيُمْزَنُ بِاللَّهِ فَقَدْ

﴿القيوم﴾: البالغ النهاية في القيام بتدبير
ملكه وهي الأساس قام على الأمر أي دام
وثبت.

﴿سنة﴾: هي ما يتقدم النوم من القنور.

﴿كرسيه﴾: سلطانه وعظمة قدرته.

﴿لا يؤوده﴾: لا يثقله ولا يشق عليه.

﴿الرشد﴾: ضد الغي.

﴿الغى﴾: الجهل بالماضي عن اعتقاد

فاسد. والمراد طريق الرشد وطريق الغي.

﴿الطاغوت﴾: كل ما تكون طاعته سببا

للطغيان والبعث عن الحق سواء أكان مخلوقا يعبد، أو رئيسا جبارا يطاع في الشر خوفا من
بطشه، أو شيطانا يضل عن طريق الصواب. ويطلق الطاغوت على الواحد والمتعدد، فيقال
رجل طاغوت أي طاغية، ورجال طاغوت أي طاغون.

المعنى: لو شاء الله عدم اختلاف اتباع الرسل من بعد ما جاءتهم أدلة الحق ما اختلفوا
ولكانوا متفقين قهرا عنهم كالملائكة، وما وقع بينهم خلاف أو قتال، ولكن طبعهم يقتضي أن
يختلفوا كما تقدم في الآية (٢١٣) من هذه السورة صفحاتي ٤١، ٤٢. والاختلاف يؤدي إلى
القتال غالبا. ثم بين سبحانه أهم ما اختلفوا فيه فقال: ﴿منهم من آمن ومنهم من كفر﴾ ولو
شاء الله حتى بعد اختلافهم هذا عدم اختلفهم ما اختلفوا، بأن يخلقهم على أن يعذر المخالف

(٢) شفاعة.

(٦) السموات.

(٩) بالطاغوت.

(٢) رزقكم.

(٥) الظالمون.

(٨) يؤوده.

(١) البيئات.

(٤) والكافرون.

(٧) السموات.

من يحالفة ويقتصر كل منهما في بصرة رايه على الحجة وحدها، ولكنه سبحانه جعل في عزارهم ان القوى يعيل لمقاتلة محالفة في الرأي، وشرع لهم تحريم النسي ليحصل في الآخرة ثوب وعقاب، ولا لكانوا جميعا ملائكة وتغير نظام هذا العالم. والله يفعل ما يريد وقد ارادهم أن يكونوا غير الملائكة.

ثم بين سبحانه ما يهدب النصوص مع التحدير من عقابه بقوله سبحانه ﴿انفقوا مما رزقناكم﴾ في سبيل الله من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا بيع فيه حتى يشتري البعيل نفسه ويبقدها من العذاب بمال يبدله، ولا صداقة يحمل بها صديق عن صديقه شيئاً من ديوه انظر الآية (٩١) من سورة آل عمران صفحات ٧٧، ٧٨، والآية (٥٤) من سورة يونس صفحات ٢٧٤، ٢٧٥ والآية (١٨) من سورة الرعد صفحة ٢٢٤ والآية (٤٧) من سورة الرمرر صفحة ٦١٢ والآيات (١١-١٤) من سورة الماعز صفحة ٧٦٥ والآيات (٣٤-٣٧) من سورة عبس صفحة ٧٩٢؛ ولا شفاعاة إلا بإذنه تعالى، ولا يادن فيها لمن دنس نفسه بالبطل، والكافرون بعمه تعالى العاقلون عن هذا اليوم هم الطائون لأنفسهم.

لله الواحد الحي القائم بتدبير ملكه على أحسن وجه لا تغلبه سبة ولا يوم، له كل ما في السموات إلخ فهم ملكه وعبيده، لا يسمع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى عنه، انظر الآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، يعلم ما بين أيدي خلقه أي ما قدموه في الدنيا وما حلمهم أي ما أعد لهم في الآخرة، فلا يادن في الشفاعاة إلا لمستحق، انظر الآيات (١٠٩-١١٢) من سورة طه صفحة ٤١٦، ولا يعلمون شيئاً من علومه إلا ما شاء أن يطلعهم عليه، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يشق عليه حفظهما، لأنه الأعلى في سلطانه، العظيم في عزه وحلاله لا إكراه على الدحول في الدين بعد ظهور الأدلة التي تميز الرشذ والعى، لأن أساس الدين العقيدة ولا يمكن الإكراه على العقائد كما في الآنة (٩٩) من سورة يونس صفحة ٢٨١ فمن يكمر بالطاعوت فيعصى كل طاغية يحارب الله ورسوله، ويؤمن بالله فلا يطيع

اَسْتَمَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا اَبْعَثُ قَمًا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيبِهِ أَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ أَلِدِى يُحْيِىهِ وَيُمِيتُهُ قَالَ أَنَا مُلْكُى وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالنَّجْمِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿١٦٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ

﴿العروة﴾ أصلها مقبض الدلو أو الكوز.

والمراد بها هذا السبب الموصول إلى رضا الله

﴿الوثقى﴾ تأييد الأوثق، أى الأشد قتلا

واحكاما. ﴿لا ابعصم﴾ لا انقطاع.

﴿ولى الدين آمنوا﴾ أى متولى أمورهم

وباصبرهم.

﴿الذى حاج إبراهيم﴾ أى جادل وهو تمرد

﴿بهت﴾ أى تحير ودهش وعجز عن الحد.

﴿خاوية على عروشها﴾ خالية من

السكان ساقطة حيطانها على سقوفها.

﴿أنى يحيى﴾ أى كيف يحيى؟

المعنى من يؤمن بالله فقد اشد تمسكه بالدين الحق الذى من تمسك به فقد تمسك بشئ
متمين لا يقطع أبداً، والله سميع بالأقوال عليم بالميات. هيعلم المحلص والمهاق والله متولى

(١) الظلمات

(٢) الطغوت.

(٣) الظلمات.

(٤) أصحاب

(٥) خالدون

(٦) إبراهيم

(٧) اتاه

(٨) إبراهيم

(٩) يحيى

(١٠) أحن

(١١) إبراهيم

(١٢) الظالمين

(١٣) يحيى

أمور المؤمنين فيخرجهم بهدأيته من ظلمات الشبهات والوساوس الشيطانية إلى نور الحق واليقين، والكافرون متولى أمورهم كل مفسد طاع من الكهنة وشياطين الإنس والجن يخرجونهم من نور الفطرة بإفسادها إلى ظلمات الكفر والمعاصي.

ثم ذكر سبحانه بعض ولايته للمؤمنين وحذلان الكافرين فقال: ألم تر، أي ألم تعلم يا من يصح منك العلم إلى نمرود الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية ربه حيث أنكرها، لأن إعطائه الملك والسلطان أبطله وأورثه كبراً، لأن النعمن الشريرة تقابل نعمه تعالى بالكفر بدل الشكر. فلما قال لإبراهيم من ربك الذي تدعوننا إلى الإيمان به، قال إبراهيم: ربي هو الذي يحيى ويميت. قال نمرود مغالطاً: أنا أحيى من حكم بإعدامه بالعضو عنه وأميت من شئت بقتله. ولما كان هذا جدلاً باطلاً قد يصعب على الجهلة فهم الحقيقة فيه انتقل إبراهيم إلى حجة لا يستطيع فيها نمرود مكابرة فقال: إن الله يأتي بالشمس إلخ، فمجز الكافر وأضعم. والله لا يهدي من ظلم نفسه بالإعراض عن التفكير في الدليل على وجوده.

والم تعلم أيضاً مثل الذي مر على قرية خربة أثارت في نفسه شبهة وإنقاذ الله له لسلامة فطرته، فلما قال متمجياً من شدة خرابها كيف يحيى الله أصحاب هذه القرية بعد موتهم فأماته الله وتركه ميتاً مائة عام ويصح أن تكون الموتة الصفري كما هي الآية (٢١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٢ وما قبلها: ثم بعثه أي أحياء وقال له على لسان ملك كم لبثت أي وقتاً مكثت؟ والحكمة في السؤال إظهار عجز العبد عن الإحاطة بشئونه تعالى، قال تضيئنا كما ضمن أصحاب الكهف في الآية (١٩) صفحات ٢٨٢، ٢٨٣: يوماً أو أقل، قال الملك: كلا بل مكثت على حالك التي كنت عليها مائة عام.

﴿لم يتسنه﴾: لم يتغير.

﴿آية للناس﴾: دليلاً على قدرتنا.

﴿ننشرها﴾. نصم أجزاءها بعضها إلى بعض، وفي قراءة تنشيها من الإنشاء وهو الخلق

الجديد.

فَنَظَرْنِي فَنَعَمْ وَشَرَّيْتُكَ لَئِيْلَسَةَ وَأَنظُرْنِي بِمَلُوكِ
وَلَتَجْعَلَنَّكَ اللَّهُ نَافِيسًا وَأَنظُرْنِي بِالْعِظَمِ كَيْفَ مَنَعَهَا
ثُمَّ سَكَوْهَا لَحْمًا قَدَّسَ لَهَا قَالَ أَلَمْ أَنْزِلْ اللَّهُ عَلَيَّ كُلَّ
شَيْءٍ وَهَدًى ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّهُ رَبِّ ارْزُقْنِي كَيْفَ تُذْنِبُ
أَلَمْ تَتَوَلَّ عَلَيَّ أَوْ لَوْ تُؤْمِنُ فَمَا لَمْ تُؤْنِكْ تَبْطِئْهُنَّ فَنِي
قَالَ صَدَقَ الرَّسُولُ مِنَ الْحَقِّ فَصَرَفْنَاهُ بِكَ ثُمَّ أَخَذْنَاهُ عَلَى
كُلِّ حَلِيٍّ مَشِيٍّ وَكَرِهْنَا ثُمَّ أَذْغَبْنَاهُ بِأَيْدِيكَ سَبَبًا رَأَيْنَاهُ
أَنَّ اللَّهَ يَمْزِجُ رَحِيمَهُ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ مَوْضِعَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ خَيْبٍ أُسْبِتَ سَبْعَ سَنَاطِلٍ فِي كُلِّ
سَنَةٍ ثَمَرُهُ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ مَوْضِعَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَمُوتُونَ
مَا مُمْرَأَةٌ وَلَا ذِيْئٌ لَمْ يَرْحَمْهُمُ عَذْرَابُهُمْ وَلَا حَرْفٌ

﴿قال أولم تؤمن﴾: الهمزة للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد المعنى الآتي بعده.

﴿بلى﴾: المراد أقرب باني مؤمن ولكن.. إلخ انظر (بلى) في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

﴿صرفهم﴾: من صار به بصوره أماله بوزن عاقه يعوقه.. تقول العرب صرفت الفصن أملت لأجنى ثمرة.. وقرئ بكسر الصاد من صار به بصيره كباهه يبعه ومعناه الإمالة والصم أيضا كما نقله الطبري من العرب، أي اجعلهم يملن إليك بالإيناس.

﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾: ومثلها «ويزيدهم من فضله» الآية (٢٨) من سورة النور صفحة ٤٦٤. أي والله يضاعف الأجر أي يزيده إلى سبعمائة أو أكثر كما هي قوله سبحانه (بغير حساب) الآية (١٠) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧.

وهذا التفاوت يكون حسب تفاوت أحوال المنفقين من قوة الإيمان وشدة الإخلاص، والبذل في سبيل الله مع الحاجة، والبذل مع الفنى، فرب دينار واحد يبذله في طريق الخير محتاج إليه أكثر ثوابا من عشرة دنائير يبذلها من ليس في حاجة إليها.

﴿منا﴾: هو ترداد الإحصان على المحسن إليه كأن يقول المحسن للمحسن عليه أنا أعطيتك كذا وفعلت لك كذا.

﴿أذى﴾: هو أعم من المن يشمله ويشمل ما هو أفسى منه كأن يعيره بأنه ناكِر الجميل مثلا.

المعنى. وإذا أردت دليلا على قدرتنا فانظر إلى طعامك وشرايك لم يتغير هذه المدة الطويلة وإلى حمارك كيف مات وتفتت عظامه. فقلنا ذلك لنريك قدرتنا ولنجعلك دليلا عليها للناس.

ثم انتقل سبحانه من دليل خاص بهذا الرجل في نفعه ولمن شاهده إلى دليل عام لجميع الناس مستمر يستدل به على البعث في كل زمان وهو قدرته تعالى على تكوين عظام الحيوان ولحمه من مادة الأرض، وهذا الدليل أكثر سبحانه من الاحتجاج به على المنكرين للبعث من كل أمة، انظر الآية (٢٩) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، والآيات (٤٩، ٥١، ٩٨، ٩٩) من سورة الإسراء صفحات ٢٧١، ٢٧٨، والآية (١٠٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، والآية (١٦) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦، والآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، والآية (٧٨) من سورة يس صفحة ٥٨٦، والآية (٣) من سورة القيامة صفحة ٧٩٧.

فلما ظهر الحق لهذا الرجل اعترف بقوة يقينه بقدرة الله. ثم ذكر سبحانه مثالا ثالثا لعنايته بالمؤمنين ونقلهم من رتبة العلم إلى رتبة عين اليقين فقال: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ إلخ أي أرني بعيني كيفية إحياء الموتى رؤية عيان، قال ألم تعلم ولم تؤمن بأنني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني هذا السؤال.. أي أنت تعلم قدرتي وتؤمن بها.. قال إبراهيم نعم أعلم، ولكني أريد علم المشاهدة ليطمئن قلبي بضم علم العيان والمشاهدة إلى علم البرهان، قال خذ أربعة من الطير أي ليكون في كل جهة من الجهات الأربع بعض من الطير فصرهن إليك. قال أبو مسلم: المعنى فخذ أربعة من الطير فأسهن بك حتى تصير بحيث تجيب دعوتك ثم أجمل كل واحد منها على جبل ثم نادها بما صودتها به فإنها تسرع إليك كذلك أمر ربك إذا أراد إحياء الموتى يدعوهم بكلمة (كن) فيكونون كما يريد، انظر الآية (٢٥) من سورة الروم صفحة ٥٢٢.. فالمقصود ذكر مثال محسوس في دعوة الأرواح إلى الأجساد بسهولة.. والمراد بالسمي الإتيان السريع طيرانا أو مشيا.. والله تعالى عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في كل ما يفعل..

ولما فرغ سبحانه من أمثلة عنايته بالمؤمنين شرع في بيان بعض ما يقربهم إليه وهو الإنفاق في سبيله فقال: مثل ما ينفقه الذين ينفقون في سبيل الله وهو كل ما يوصل إلى رضا، كمثل حبة بر مثلا والمعنى أن المنفق لوجه الله يضاعف الله تعالى له الجزاء أضعافا كثيرة سبعمائة فأكثر كما قال (والله يضاعف لمن يشاء) فيزيده على السبعمائة بما لا يحصر. والله تعالى واسع لا يعد فضله، عليم بمن يستحق المضاعفة..

ثم بين سبحانه بعض ما يكون عليه هذا الإنفاق المضاعف الأجر بأنه هو الصادر من مؤمن لا يمن على المنفق عليه ولا يؤذيه، فهؤلاء لهم أجرهم الذي وعدهم به ربهم في الآية السابقة، ولا يخافون يوم يخاف الناس من الفزع الأكبر.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦١﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَدَارَعُوهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ عَمِّي حَيْمٌ ﴿٢٦٢﴾ يَذَّابُ الَّذِينَ
عَامَرُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ إِن تَنسَوْنَ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُسْقِ
سَهْرَ رِيَاءٍ أَنَسِيسٌ وَلَا يُؤْمِسُ بِاللَّهِ وَاتَّبِعْهُمُ الْآخِرَ فَنَسَهُ
كَغَلٍ صَغِيرٍ عَلَيْهِ رَبُّكَ فَاصْبِرْ وَلَا يَلْ عَصَاكَ صَدَقَةٌ
لَّا يَغْدُرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَثِقًا كَثِيرًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٣﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ أَنْبَاءًا
مَّرْصُومَةً أَلْفًا وَخَمْسِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ رِيًّا أَصَابَهَا
وَأَبْلُ قَدَاتٌ أَكْثَلُهَا يَصْقِقُ فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْ وَلَا يَنْفُلْ
وَأَقْرَبُ يَنْفُلُونَ بِصِيرٍ ﴿٢٦٤﴾ يَوْمَ أُحْذَرُ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
جَنَّةٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَتَنْتَابُ تَحْرِيْرٍ مِّنْ تَحْتِ الْأَشْرَافِ فَيَمَسُّ
كُلُّ أَكْثَرِيَّتٍ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُمْ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَاصْبِرْ

﴿رثاء الناس﴾: مرثيا لهم ليمدحوه.

﴿صفوان﴾: حجر كبير أملس.

﴿تراب﴾ المراد غبار.

﴿وابل﴾: مطر شديد. ﴿صلدا﴾: أملس.

لا غبار عليه.

﴿وتثبينا من أنفسهم﴾: أي تحقيقا للثواب

عليه واعتقادا منهم بأنه حاصل لهم اعتقادا

ناشئا من صميم أنفسهم بخلاف المنافقين

فإنهم لا يرجونه لإبكارهم له.

﴿ريوة﴾: مكان مرتفع. ﴿أكلها﴾: ثمرها

الذي يؤكل. ﴿ضعفين﴾: أي أربعة أمثال ما

ينتج من غيرها وهذا تصوير آخر غير ما تقدم في الآية (٢٦١) من هذه السورة صفحة ٥٥

يبين لنا حال فريق من المنفقين أموالهم طلبا لرضاء الله، وأن الله سبحانه يمنهم من الثواب

مثل ما يمسح غيرهم ممن لم يصلوا إلى حالهم في قوة الإيمان وشدة الإخلاص.

﴿فطل﴾: الطل هو المطر الخفيف صغير القطر، والأصل فالذي يصيبها ويكفيها طل.

﴿أيود﴾: هل يحب، والاستفهام للإنكار المفيد للنفي أي لا يجب.. إلخ. ﴿جنة﴾: بستان.

المعنى: ولا هم يحزنون على فوات التميم يوم يحزن البغلاء، ثم أكد سبحانه النهي عن

المن والأذى بقوله (قول معروف ومغفرة) إلخ. أي كلام جميل يقال للسائل كيرحمك الله، أو

ربنا يملك ويعطينا، ومغفرة أي ستر عليه ما يقع منه من إلحاح وغيره، حير للسائل من

صدقة يتيمها أذى. والأذى يشمل المن. والمراد أن العمل الصالح يجب أن يكون خاليا من كل

عيب ينهب من فائدته.

والله تعالى غنى. وإنما أمر بالإتفاق لمصلحة المنفق وليظهر عيب البخل، حليم لا يعجل العقوبة للمحالف لعله يرجع. ثم أكد سبحانه قبح المن والأذى بعمله كالرياء المذموم عند جميع الناس في العاقبة الوخيمة فقال (لا تبطلوا صدقاتكم) إلخ، ولا تضيعوا ثواب صدقاتكم تضيعهما كتضيع الذي ينفق ماله مرثيا للناس ليمدحوه، ولا ييئس رضا الله لاشتغال قلبه بمظاهر الدنيا، ولا يؤمن بالله حتى يخافه، ولا باليوم الآخر حتى يعد له ما ينجيه من هوله، فمثل هذا المرائي ونفسته كمثل حجر ناعم عليه غبار رقيق نزل عليه مطر شديد أذهب ولم يبق منه شيء، فهؤلاء المراءون لا يستطيعون الحصول على شيء من ثمرة إتفاقهم إذا أصابهم غضبه تعالى أو أحببوا أعمالهم، كما لا يستطيع الحجر إمساك ما عليه من الغبار إذا أصابه مطر شديد. والله تعالى لا يهدي الكافرين عقابا لهم وفي الكلام إشارة إلى أن المن والأذى من صفات الكافرين فيجب على المؤمن الابتعاد عنهما.

ثم صرب المثل للمخلصين فقال: ومثل الذين ينفقون أموالهم طلبا لرضاء وثيقنا من ثوابه ثيقنا صادرا من صميم أنفسهم لا نفاقا، قال الحسن رضي الله تعالى عنه. كان الرجل ما إذا هم بحسنة يتثبت، فإن كانت لله فعل، وإن أحس برياء أمسك، مثل إتفاق هؤلاء كمثل بستان في مكان عال معرض لشجرة الشمس والهواء نزل عليه مطر كثير فأنثر قدر غيره أربع مرات، فإن لم يصيبه وابل كفاء ظل لجودة أرضه وحسن موقعه، والمراد أن هذه الجنة تثمر كثيرا قل المطر أو كثر، فكذا نعمات المخلصين تنمو عند الله قلت أو كثرت. ولكثرة وقوع الناس في الرياء والمن والأذى صرب الله سبحانه لها مثلا آخر يبرزها في صورة مخيفة فقال: ﴿أيود أحدكم﴾ إلخ، أي لا يحب أحدكم أن يصير إلى حال رجل له بستان من نخيل وأغاب وغيرها كما يستفاد مما يأتي، وإنما اقتصر على ذكرهما لأهميتهما، وقد أصابته الشبهوخة فصار محتاجا لما في البستان، ومع ذلك له ذرية ضعفاء لا يقدرון على كسب ولا على دفع ضرر. وذكر الذرية لإظهار قسوة الحسرة عليه لأنه إذا رأى المصيبة تعمه ونعم عياله الضعفاء كان ألمه أشد وحسرتة مضاعفة.

إِغْصَارِهِ نَارًا خَارِفَةً كَذَلِكَ نَبِّئُ اللَّهَ لَكُمْ الْآيَاتِ
 نَعْلَمُكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾ مَا هِيَ إِلَّا نَارٌ تَلْقَوْنَ
 مِنْ طَبَقَاتِهَا كَيْفَ تَنْتَبِهُنَّ مِنْ الْأَرْضِ
 وَلَا يَتَمَنَّوْنَ الْحَيَاةَ فِي تَعْلَمُونَ وَنَسْمُ بِرَجَبِهِ إِلَّا أَنْ
 تَعْلَمُوا بِهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿١٢٢﴾ أَنْتُمْ
 بِذِكْرِ الْفُرْقَانِ كَمِ الْفَتْحَةِ وَاللَّهُ بِذِكْرِكُمْ مُبِينٌ
 وَفَصَلِّ وَاللَّهُ وَشِعْ غَيْبٌ ﴿١٢٣﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَ مَنْ يَشَاءُ
 وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْ تَعْلَمِ الْخَيْرِ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ وَمَنْ يُلْطَمِ مِنْ نَصْرِ ﴿١٢٥﴾ إِنْ تَبَدَّلَا
 الصَّدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَإِنْ تُخَفَوْا وَتُزَوَّجُوا الْقَمَرَةُ هُوَ
 خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿إِغْصَار﴾ ربح عاصفة تستدير في
 الأرض ثم ترتفع حاملة غبار كهيئة عمود.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ تقصدوا

﴿الْخَبِيثِ﴾: المراد به هنا الرديء الذي لا
 تحرم عليه النفوس لا الحرام فإنه مهي عن
 اقتنائه فصلا عن إيمانه.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْهَمُوا فِيهِ﴾: قال الراغب:
 الإصماص إطباق الجفن عند الشعور بالوم،
 وقد استعير بها هنا للتأمل والتأمل، ويصح
 أن يكون (تفهموا) مصمن معنى التأمل،
 وبما أن ﴿تفهموا﴾ متعد فمفعوله مقدر
 مفهوم من سياق الكلام، والأصل ولستم
 بأخذيه في أي حال من الأحوال إلا في حال

أن تفهموا أبصاركم عنه متساهلين في أحده لردائه ﴿حميد﴾. دائم استحقاق الحمد على
 نعمه التي لا تنقطع ﴿الحكمة﴾ المراد بها هنا معرفة أسرار أحكام القرآن والإصابة في القول
 والعمل ووضع كل شيء محله. ﴿الآيات﴾ المقول. ﴿فهمها هي﴾ فهم إندوها

المعنى فأصاب الحمة ربح هيه نار أي شديد الحرارة يحرق الشجر ويذهب النبات، وكذلك
 ثمرائى والمان أو المئان والمؤدى يكونون يوم القيامة في شدة الحاجة إلى معاناتهم التي هربت
 بالرياء أو المن أو الأذى، فإذا بهم يجدونها قد حبطت وذهب ثوابها وسيقوا إلى جهنم،
 فيجمعون مع الحسرة بصياح أموالهم عثا حسرة العذاب الأليم، كهذا البيان الوصع بين الله
 تعالى آياته ليعتبروا بما فيها.

وبعد ما بين سبحانه ما ينبغي أن يكون عليه حال الصنفق شرع في بيان ما ينبغي مراعاته
 في المندول فقال ﴿أَتَمَقُوا مِنْ طَلِبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ وهي أحودها وأحبها إلى النفس كما في

الآية (٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨. أي أنفقوا في سبيل الله من أجود أموالكم من النقد وعروض التجارة، ومما أخرجنا لكم من الأرض من حب وثمر، ولا تقصدوا المال الرديء تنفقون منه وحده والحال أنكم لا تأخذون هذا الرديء لو أعطى لكم سدادا لعقوقكم إلا مغمضين أبصاركم عن النظر فيه لكرهتكم له. فالمراد لا تعطوا ما لا ترصون لأنفسكم. إن الله غنى عنكم، وإنما أمركم بما فيه مصلحتكم، حميد يستحق الحمد دائما، ومن جملة حمده وشكره على نعمه تحرى الإنفاق من الطيب، ثم بين سبحانه البخل ليتبته المؤمن وينقطع عذر البخل فقال ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ إلخ، أي يخيل إليكم بوسوسته أن الإنفاق يذهب المال فاحرصوا عليه، ويأمر بوسوسته أيضا بالفحشاء كالبخل ومنع الزكاة، والله تعالى يمدكم في كتابه جزاء ما أنعمتكم مغفرة لذنوبكم، وفضلا أي رزقا حسنا، أي يجمع لكم بين خيرى الدنيا والآخرة.

والله عز وجل واسع العسل عالم بنيات المنعقين، وهو سبحانه يؤتى الحكمة من يشاء من عباده الصالحين، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرى الدنيا والآخرة. وما يتعظ وينتفع إلا أصحاب العقول الخالصة من ظلمة الشهوات.

ثم أراد سبحانه أن يبين حكما عاما لجميع أنواع السمقات وما فى حكمها من الدر بعد بيان ما كان منها فى سبيل الله فقط فقال سبحانه: ﴿وما أنعمتكم من نفقة﴾ قليلة أو كثيرة، سرا أو علنا، هى حق أو باطل، أو مدرتم من نذر، فى طاعة أو معصية، فإن الله سبحانه يعلمه ويحارى عليه، وما من نصير يدفع عذاب الله عن ظلم.

ثم فصل سبحانه بمص ما أجمل أولا فقال إن تبدوا أى تظهروا إعطاء الصدقات «هنعم» هذا الإبداء، وإن تعطوها خفية ويكون الأحد فقيرا محتاجا فالإحماء خير لكم لبعده عن الرياء وعن جرح كرامة الفقير. ويكرر هذا الإعطاء مطلقا سرا وعلنا شيئا من سيئاتكم، ومن السيئات ما لا يكفرها إلا التسمى على الأولاد أو الحج المبرور مثلا، والله بما تعملون من خير وشر، خير، وسيجازى عليه.. وأكثر العلماء يرون أن إظهار صدقة الفرض كالزكاة أفضل، وإخفاء صدقة التطوع أفضل إلا لمن وثق من نفسه عدم الرياء وكان قدوة للناس فيحسن له إظهارها ليقتدى به غيره.

حَيْرٌ ﴿١٢٤﴾ • لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ صَدَقَاتُكَ وَمَا تُغْنِي
عَنِ الْيَتَامَىٰ وَنَحْوِهِ اللَّهُ وَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ صَدَقَاتُكَ
وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ ﴿١٢٥﴾ لِلْمُقْرَأِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَنْ يَتَبَشَّرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْ يَتَبَشَّرُوا
بِأَمْوَالِهِمْ مِنَ الْيَتَامَىٰ تَرْفَعُهُمْ إِلَيْنَا لَنَبْتَلِيَهُمْ
إِنَّمَا هِيَ تَرْفَعُهُمْ إِلَيْنَا لَنَبْتَلِيَهُمْ ﴿١٢٦﴾
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَمْرِنَا وَأَتَيْنَاهُم مِّنَّا فَجَاءَهُم
الْحَرَمُ بِحَرَمِ رَبِّهِمْ وَلَا حَرَمٌ عَلَيْهِمْ وَلَا لَمْ يَحْرُومُوا
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَحَبَّطُ الشَّحْمُ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْلُكَ
أَتَتَّبِعُ مِثْلَ مَا تَتَّبِعُ وَأَخْلَىٰ أَفَلَا تُفْقَهُونَ

وقال المقراء، ولم يقل فقراءكم أو فقراء
المسلمين، ليميد أن صدقة التطوع مطلوبة
لكل فقير ولو كان كافرا، إلا الكافر المعارف
عابه لا يجوز إعطاؤه.

﴿إلا ابتغاء وجه الله﴾: أي إلا طلبا لرضى
الله. ﴿أخسروا في سبيل الله﴾: أي حبسهم
عن الكسب أنهم حصصوا جميع أوقاتهم
للجهاد والاستعداد له. ﴿صربا في الأرض﴾:
الضرب في الأرض كناية عن السفر، والمراد
أنهم لم يسافروا للتجارة وكسب الرزق
لاشتغالهم عنه بالجهاد.

﴿سماهم﴾: علاماتهم. ﴿الحاحا﴾

الحاحا. ﴿يتحبط الشيطان﴾: التحبط الصرب الشديد على غير نظام. ﴿المن﴾: الجنون.

المعنى لما كانت الآية السابقة قد شملت الصدقة على المسلم والكافر، وكان بعض
الصعابة قد تخرج من الإنفاق على المشركين.

لبعدهم عن الهداية، ولما كان شأن المؤمن أن يكون حيره عاما ليكون إنسانا كاملا، أراد
سبحانه أن يسهل المؤمنين إلى أنه لا يجوز أن تربطوا الصدقة على المحتاج بإيمانه وهداه، لأن
الهدى من الله فليس عليك أيها النسي هداهم، وأمتك مثلك، وإنما عليك البلاغ فقط، والله
وحده هو الذي يهدي من يشاء بتوقيفه للنظر الصحيح إذا كان سليم الفطرة لم يفسدها، وما
تتمقروا في وجوه البر من حير أي مال حلال فتوانه لأنفسكم، والحال أنكم لا تتمقرون إلا لطلب
رضا الله لا رياء ولا جلبا لنعم دنيوي، واعلموا أن ما تتمقرونه من حير يوفى إليكم جراؤه تاما،
ولا تظلمون أي لا تنقصون منه شيئا.

ثم بين سبحانه من هم أحق الناس بالصدقة وهم من استمعت فيهم خمس صفات فقال (المقرء) إلخ، أى أن الصدقات المطلوبة تعطى للمقرء أصحاب الصفات الآتية، وهم أهل الصفة، والصفة تضم الصاد سقيمة كانت في المسجد النبوي، وكانوا أربعمائة من فقراء المهاجرين ليس لهم مأوى غير هذه السقيمة تقيم الشمس، الصفة الأولى أنهم أحصروا في سبيل الله. والثانية أنهم لا يستطيعون سمرًا لكسب رزق لتمرعهم للجهاد الثالثة أن الحاحل بعالمهم بظلمهم أعياء لما هم عليه من التعفف الرابعة أن لهم علامات خاصة بهم وهي التواضع وأثر النعب. والخامسة. أنهم لا يسألون الناس شيئًا حتى يلحموا والمراد لا يسألون أصلا فلا يقع منهم إلحاح كما هو الشأن في محترفي التسول. والدليل على عدم وقوع سؤال منهم أصلا عدم معرفتهم إلا بعلامتهم، ولو سألوا لمرهوا بالسؤال وأيضا شدة تعففهم حتى يظن أنهم أعياء، ولو سألوا لما كانوا كذلك قال **يُخَيِّدُ** ليس المسكين الذي ترده النعمة واللقمتان لكن المسكين الذي لا يجد ما يكفيه ولا يملأ به فيتصدق عليه ولا يسأل الناس، إقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحاحا) ثم شرع سبحانه في بيان أحوال المفق ورعا الإنفاق فقال ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾ إلح المراد أنهم يشعلون أوقاتهم وأحوالهم بالصدقات لحرصهم على الخير، فكلمنا رأوا فرصة سارعوا ولم يتعللوا بوقت ولا حال

ولما كان على النقيض من هؤلاء الأحرار الذين ينفقون بدور مقابل، الذين جمعوا مع الحل كل أموال الناس بالباطل، وهم المرابون، حذر سبحانه من عاقبتهم بقوله ﴿الذين يأكلون الربا﴾ إلخ، المراد بالأكل مطلق الأحاد، لا يقومون من قسورهم بسبب الدهول والحل الذي يلحقهم من شدة الدهول إلا كما يقوم الذي يصمره الشيطان صمرا شديدا، وهذا تشبيه جاء على أسلوب العرب من تحيلهم أشياء محيطة بيمون عليها كلامهم للتعبير منها كتحويلهم (عول وشيطان) للشيء القبيح، و(ملك) للحسن، ومنه ما جاء في الآية (٦٥) من سورة الصافات صفحة ٥٦١. ذلك الأكل من الربا وما حل بهم من العذاب بسبب قولهم إن البيع الذي هو حلال فظلمنا مثل الربا فإذا حار فالربا حلال، فكذبهم سبحانه في هذه التصوية بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا)

خَاتَمُ مَوْعِظَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ فَاتَّبِعْنِي يَكُونُوا لَكُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَأَمْرًا مِنْ
 إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأَوْفَى أَفْوَا وَلَنْ تُنْفِزُوا لَهُمْ سُلُوكًا مِنْ رَبِّكُمْ
 خَالِدِينَ ﴿٢٢٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّيَاءَ وَيُثَبِّتُ الْوَعْدَ وَالْأَمْرَ وَالْأَمْرَ وَالْأَمْرَ
 لَا يُجِبُ كُلَّ كَذِبٍ أَتَمَّ ﴿٢٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ عَنْهُمْ جَزَاءُ
 حَسَنٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّيَاءِ
 إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِمْ فَشَكْرُكُمْ أَمْؤَلِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ
 وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِنْ كَانَ دُونُ عِمْرَةٍ فَبِمَا كَفَرْتُمْ
 وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ ﴿٢٣١﴾ إِنَّ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ ﴿٢٣٢﴾ رَأَوْا
 يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَقُولُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كُنْتُ

﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وعظ وزجر عن العوام.

﴿ما سلف﴾: ما مضى.

﴿يمحق الله الرياء﴾: ينهيه وينهب بركة

ما خالطه.

﴿ويربي الصدقات﴾: يزيد في هائذتها في

الدنيا والآخرة.

﴿وذروا﴾: اتركوا.

﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾: أي

فاعلموا أنكم على حرب مع الله ورسوله أي

فأنتم أعداؤهما.

﴿فلكم رموس أموالكم﴾: أي أصل أموالكم العالي من الرياء.

﴿دو عسرة﴾: أي صاحب عسر لا يستطيع سداد أصل الدين.

﴿فمنظرة إلى ميسرة﴾: أي فانتظار عليه إلى يسر وغنى يمكنه معه الأداء.

المعنى: فمن بلغه نهى من الله تعالى عن الرياء فسمع وأمتثل فله ما مضى من الرياء قبل

التحريم لأنه لا عقاب إلا بعد تحريم، وأمره بعد ذلك إلى الله تعالى يعامله بعدله، ومن العدل

(١) أصحاب.

(٢) خالدون.

(٣) الرياء.

(٤) الصدقات.

(٥) الصالحات.

(٦) الصلاد.

(٧) الركة.

(٨) الرياء.

(٩) أموالكم.

ألا يعاقب قبل بلوغ الحكم، لكن العبارة تشعر بأن رد الربا إلى أصعبه أفضل، ومن عاد إلى أكل الربا مستحلاً له بعد هذا النهي فهو حالد في النار؛ لأن استحلال الحرام كفر. يمتع الله الربا ويجعله سبب شقاء آكله، ويريد هائلة الصدقات بالبركة في مال صاحبها في الدنيا وزيادة أجرها في الآخرة والله لا يرضى عن شديد الكفر باستحلال الحرام. دائم ارتكاب الإثم. وقوله ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْرًا وَعَمَلًا مَصَالِحَاتٌ﴾ إلخ، تعريض بمن يأكل الربا، كأنه يقول لو كان من هؤلاء لامتنع عنه، وتمهيد لقوله بأنها الذين آمنوا اتقوا الله واتركوا ما بقى لكم من الربا عند الناس، فإن لم تتركوه فاعلموا أنكم في حرب مع الله تعالى، ومن كان في حرب معه فقد هلك، لأنه سبحانه قادر على الانتقام منه في الدنيا بصياع المال والعسرة عليه عند هراقه، وبمذاب اليم في الآخرة. وإن تيقن من الربا أمثالاً لأمر الله عز وجل فلنكم أصل أموالكم فقط. ولا تأخذوا الزائد من الربا.

لا تظلمون المدين بأحد الزائد. ولا يظلمكم المدين بقص شيء من رأس المال.

وإن وجد مدين ذو عسرة وعجز عن سداد أصل الدين فانتظروه حتى يصير قادراً، ولا ترابوا المال عليه. وتصدقكم على المعسر بإبرائه من أصل الدين كله أو بعضه خير لكم من انتظار ميسرة لما في التعاطف والتراحم من كبير الأجر عند الله، إن كنتم تعلمون الحير العظيم في التصديق روى مسلم أنه ﷺ قال (من انظر معسراً أو ترك له شيئاً مما عليه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله).

ثم حتم سبحانه آيات الربا بالموعظة التي تذكر المؤمن بيوم القيامة وتسهل عليه التسامح والتوصل فقال ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فيوفي كل نفس جزاء ما عملت حيراً أو شراً، ولا يظلم الطائع بصياع شيء من أحرقه، ولا العاصي بزيادة شيء من العقاب عما يستحق وقد ورد أن من آخر الآيات برولا آيات الربا. وكان بين نزولها وبين وفاته ﷺ تسع ليال

وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ
بَيْنَ رَأْسٍ وَرِجْلٍ سَمِعُوا بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَعْتَبُ سَمْعُكُمْ
كَيْتَ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْتِي كِتَابٌ إِلَّا تَكْتَبُ كَمَا عَلَيْهِ اللَّهُ
فَتَكْتُبُ وَتُسَبِّحُ الَّذِي عَلَيْهِ أَحَقُّ وَيَسِي اللَّهُ رُبُّهُ
وَلَا تَحْسُ مِنْهُ شَيْئًا مَنْ كَانَ إِلَى اللَّهِ عَلَى الْحَقِّ سَمِيحًا
وَصَعِيدًا وَلَا تَسْتَبِغُ أَنْ تَكُنْ هُوَ قَبِيلُ رَبِّهِ بِالْعَدْلِ
وَتُسَبِّحُوا شَهِيدِي مَنْ رَجَّالُكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلِي
فَرَحِلْ وَأَمْرَاتِي مَنْ تَرَوْنَ مِنْ أَشْهَادٍ أَنْ يَصِلَ
إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ
إِلَّا مَدْعُوًّا وَلَا تَقْرَأُوا أَنْ تَكْتُبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
بِأَنَّ جِهَةً ذَلِكَ أَقْطَعُ عِدَّةَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى
أَلَّا تَزَانُوهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً حَاصِرَةً تُدِيرُ وَتُحِيرُ

﴿لا ياب﴾: لا يمتنع. ﴿وليحمل﴾: أي يلق

على الكاتب ما يكتنه.

﴿ولا يحسن منه شيئاً﴾: أي ولا يقتصر من

الدين شيئاً ولو قليلاً.

﴿سفيها﴾: مجنوناً أو معجوراً عليه

لتبذير. ﴿أو ضعيفاً﴾: صبيهاً أو كبيراً خرها لا

يعنى ما يقول.

﴿لا يستطيع أن يعمل﴾: لنحو خرس أو

جهل باللغة التي يكتب بها.

﴿ولي﴾: من والد أو وصي أو قيم أو

مترجم. ﴿بالعدل﴾: بالصدق والحق.

﴿تصل إحداهما﴾: المراد بالصلال هما السبيان الذي يوقع في الخطأ. ﴿تذكر إحداهما

الأخرى﴾: كان الظاهر أن يقول فتذكرها الأخرى، بالصميم بدل الاسم الطاهر، لكنه سبحانه

عدل عنه لأنه لا بعيد المعنى المراد، لأن المراد أن كل واحدة من المرأتين عريضة لأن تتسى

شيئاً من عناصر الشهادة، وتذكر شيئاً، وقد تكون إحداهما تذكرت شيئاً بسببه الأخرى، وهذه

الأخرى تذكرت شيئاً بسببه زميلتها، فتصير كل واحدة منهما متذكرة وباسية هي أو واحد،

ومجموع شهادتهما يكون شهادة واحدة سليمة من الخطأ فلو قال أن تصل إحداهما فتذكرها

لأخرى، لكان الكلام خاصاً بحالة واحدة وهي أن تكون إحداهما متذكرة لكل شيء، ولشابه

باسية لبعض الأشياء، فيكون التذكر خاصاً بواحدة والسبيان خاصاً بالأخرى، وليس هذا هو

المراد. والله أعلم.

﴿لا تساموا﴾: أي لا تملوا ولا تكسلوا. ﴿أقسط عند الله﴾: أي أعدل في شرع الله.

﴿وأقوم للشهادة﴾: أى أعون على إقامتها على وجهها.

﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾: أى وأقرب إلى عدم الشك.

﴿حاضرة تديرونها بينكم﴾: حضور التجارة بحضور البديلين من الثمن والمبيع تدار بين المتعاملين بدا بيد.

المعنى: أنه سبحانه بعد أن بين الحلال والحرام فى التعامل أمر هنا بحفظ المال بكتابة الدين والإشهاد عليه وأحد الرهن إذا لم تيسر الكتابة، فالمراد إذا دأب بمصكم بعضا بمال إلى أجل معين كشهر كذا فاكتبوا مقداره وأجله، لأن ذلك أبعد عن النسيان عند التقاضى وسد لباب العتة بالإلكار، وقال بعض العلماء إن الأمر بكتابة الدين للوجوب خصوصا إذا فسدت الدم، يؤيد ذلك قوله تعالى الآتى فى الكلام على التجارة الحاضرة ﴿فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾.

ثم بين سبحانه كيفية الكتابة فقال ﴿وليكتب بيمينكم كاتب﴾ عادل يحافظ على حق كل من الطرفين، وإذا طلب كاتب للكتابة وهو عدل عالم بشروط المعاملات لا يجوز أن يمتنع. وأكد حرمة الامتناع بأمره صراحة بقوله ﴿فليكتب﴾ وليلق على الكاتب من عليه الدين ليكون إملاؤه حجة عليه ﴿وليأتى الله﴾ فى إملائه فلا ينقص منه شيئا فإن كان المدين سفيها إلخ، فليمثل وليه بالصدق والحق، واستشهدوا على الدين شاهدين يوقعان على الوثيقة من رجالكم المدول، فإن لم يكن الشاهدان رجلين فليشهد رجل وامرأتان ممن تعرفون عدالتهم خوفا أن تحطى إحدى المرأتين لعدم قوة مسطها المعاملات المالية، لأنها ليست من الأمور التى تهتم بها غالبا، فتذكرها الأخرى، أى تذكر كل منهما صاحبتهما ما قد تساه. ولا يمتنع الشهود إذا دعوا لتحمل الشهادة وقت الكتابة لما فى الكتابة من الموائد الآتية المشار إليها بقوله ذلكم، أى هذه الأحكام أعدل فى شرع الله وأعون على إقامة الشهادة على وجهها. وهذا يبيد أن للشاهد لحق فى أن يطلع على الوثيقة ليتأكد مما شهد عليه، وأقرب إلى انتفاء الشك، (إلا أن تكون بحارة) إلخ أى يحب الدين أما التجارة فى الأشياء الحاضرة عند التعامل والمتبادلة يد بيد بدون تأجيل شيء منها.

﴿جِاح﴾. مؤاحضة. ﴿لا يصر كاتب ولا شهيد﴾. أى لا يصر المتعاملان أو أحدهما الكاتب أو الشاهد بتحميلهما مشقة تكليهما ما لا فى سفر أو بتكليمهما ما لا يليق كسفر طويل مشيا على الأرجل أو إرغامهما على كتابة أو شهادة زور أو ما فيه غبن. ﴿فصوق بكم﴾: أى خروج بكم عن طاعته تعالى. ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾: كرر لفظ الجلالة فى الجمل الثلاث لإدخال المهابة فى النصوص فتسارع للعمل، وللتبنيه على أن كل جملة منها مستقلة عما قبلها تعيد معنى خاصا بها فالأولى فيها العحث على التقوى، والثانية وعد عمه سبحانه

بإيمانه على عباده بتعليمهم ما به ينقونه. والثالثة هيها تعظيم شأنه تعالى وأنه لا بشرع سبحانه وتعالى إلا عن علم تام. والثاوة هيها للاستئناف، لا للمعطى، ولا للحال ﴿عمران مقبوضة﴾ أي شيء يره يقبضه صاحب الدين ﴿أثم قلبه﴾ أي هبثه شديد لأنه ناشئ من صميم قلبه لا سياها والعرب إذا أرادت المبالغة هي شيء أسدت الفعل إلى المصو المحتص فيقول أحدهم هذا الشيء رأته عيني وسمعته أذني

المعنى فلا حرج عليكم في عدم كتابة التحارة العاصرة لعدم التنازع ولما هي ذلك من المشقة واشهدوا إذا تبايعتم في المعاملة العاصرة لأن الإشهاد يدفع ما قد يحصل من الاختلاف خصوصا إذا كان التعاقد في أشياء كثيرة القيمة ولما كان شأن ما يحصل في التحارة العاصرة أن يكون قريبا من زمن العقد اكنم فيها بالشهادة بخلاف الديون المؤجلة، فقد يموت أحد الشهود، فهذا وحسب تكتاة، وإذا أوجب الله تعالى على الشاهد والكاتب عدم الامتناع فلا يصح أن يصروه وأن تفعلوا ما نهينم عنه فقد حرجتم عن طاعة ربكم، واتقوا عقاب الله بأن تفعلوا ما أمركم به، وسنعدوا عما نهاكم عنه على لسان رسوله، وهو سبحانه

يعلمكم ما فيه صلاح حالكم في الدنيا والآخرة بما شرعه لكم ولولا ذلك لتخططنم في السمر وانعرفت بكم السبل وهو سبحانه واسع العلم بكل شيء فلا يشرع لكم إلا عن علم محيط بأسباب المصالح التي أمركم بها وأسباب المماسد التي نهاكم عنها ومن ههنا يعلم أن القوى لا تكون إلا بعد علم بما شرعه الله من حلال وحرام، وعلم بما يصح العبادة وما يعسدها

بعم ههناك علم آخر يكون مانعا عن قوى الله وهو علم خاص بخصه الله على عبده التقى، فيعطيه نورا يفرق به بين دقائق الشهات التي لا يعلمها كثير من الناس ويريد طمأنينة قلب إلى ما يعتقد فيعش مسنوح الصمير ما هي سيره إلى الله انظر الآية (٢٩) من سورة الأنعام صمحتي ٢٣٠، ٢٣١ وهي ذلك قال ﴿يُؤَيِّدُ﴾ (من تعلم فعمل بعلمه علمه الله ما لم يعلم) وهي رواية (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)

بعد ذلك يقول الحق وإن كنتم مساهرين وتدابتم وليس معكم كاتب ولا شهيد فالذي تعفظون به أموالكم أشياء مرهوبة بقصصها الداس صماء لديه وبحور الرهن في الحصر لرهنه ﴿يُؤَيِّدُ﴾ درعه عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير هان امن بعصمكم بمصا بحسن طيه سمر، أو حصر فلم يكتب ولم يشهد ولم يربهن فيحب على المدين الذي انتمه الدائن أن يؤدي الدين الذي هو أمانة عنده، وليثق الله ولا سكر الحق ولا نكتموا أيها الشهود الشهادة بالامتناع عن أدائها إذا طلبتم لها، لأن كتمانها دس كبير متمس من أشرف مكان وهو القلب والله بما تعملون من أداء أو كتمان عليم وسيجازيكم.

لله ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا بشرع لمن هبها ما فيه مصلحتهم وإن تظهلروا للناس ما في أنفسكم من السوء بإظهار أثره أو بحموه احتراسا من الناس لا خوف من الله، فسيحاربكم عليه يوم القيامة فيعمر لمن يشاء ويمدب من يشاء، هادا أراد للعبد عمارا وفقه للعمل لمصالح الذي يذهب السيئات والله على كل شيء قدير فلا راد لما أراد

ثم حتم سبحانه لسوره بما فيه إرشاد الناس إلى الاحوة لا يفرقهم جسس ولا نفسه بين دون سي ولا كتاب دون كتاب فقال في صورة شهادته منه تعالى لسه الأكرم وأصحابه الأحيار ﴿امن الرسول﴾ الخ وقد تقدم بيان ذلك في الآية (٤) والآية (١٧٧) من هذه السورة صمحات ٢، ٣٣، ٣٤

آمن لسي وصحبه قائلين لا يفرق بين أحد من رسله حتى لا يؤمن بعض ويكفر بعض كما فعل ليهود و نصارى بل يؤمن بالرسول جميعا، فهي بيان مربة هذه الامة وتعرض بغيرها

﴿لها ما كسبت﴾: من خير. ﴿وعليها ما اكتسبت﴾: من شر.

﴿إصرًا﴾. أصله الحمل الثقيل والمراد به هنا التكاليف الشاقة.

المعنى: وقالوا سمعنا كلام الله سماع فهم وقبول، واطعنا ما أمروا به عز وجل عن إحلاص ويقين، لانفاقًا ولا تقليدًا لا يؤثر في القلب.

ولما كان شأن المؤمن الذي يقول هذا أن يكون يقظًا لأقل تقريط، يلوم نفسه على مادون الكمال، كان من شأنه أيضًا أن يقول

مع السمع والطاعة، عصراك ربنا، أي نسألك أن تغفر ما قد بقع منا، وإليك وحدك مرجعنا، هو حقنا لما يرضيك عنا يوم لقائك، وتلقين الله للمؤمنين هذا الدعاء توجيه منه سبحانه لهم، لي اليقظة والمصارعة للتوبة عند كل هفوة.

ثم بشر سبحانه عباده الذين يلحأون إليه بتيسير الطاعة لهم فقال: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ إلخ، أي ما هي طاقتها كما هي الآية (٧٨) من سورة الحج صفحات ٤٤٤، ٤٤٥.

لها ثواب ما كسبت من الخير وعليها عقاب ما اكتسبت من الشر

وعاير التعبير في حاسب الشر بما يعيد التكلف لأن فطرة الإنسان التي فطره الله تعالى عليها لا شر فيها، والشر لا يأتيها إلا بتكلف من الخارج. ولهذا نرى هائل الشر يشعر بقبح عمله في صميم قلبه ويكره أن يعرفه عنه الناس، فالشر ممفوت حتى هي بظر صاحبه. انظر شرح الآية (٣٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤. ثم أراد سبحانه أن يعلم عباده ما يدعو به

مِنْ رَّبِّهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُصْرَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْانْقِبَابُ ۖ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ مَا
كَانَتْ وَطْيَاءٌ مَا أَكْتَبَتْ رَبَّنَا لَا تَوَاحِدًا
فِيهَا أَوْ آخِطًا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلُ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْنَا
عَلِ الْآلِيقِينَ مِنْ قَبْلُ رَبَّنَا وَلَا تَحْنَبْنَا مَا لَا حَافَةَ لَنَا بِهِ
وَأَعَفْ عَنَّا وَاصْفُرْنَا وَارْحَمْنَا إِنَّتَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ
عَلِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

(٣) سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ مَكِّيَّةٌ
وَأَمَّا هِيَ فَمَنْ ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝

فقال ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ أي قولوا في دعائكم ربنا لا تؤاخذنا بالعقاب إن سبنا أي تركنا ما يبغي فعله عن علة، أو أخطأنا أي فعلنا ما لا يبغي عن خطأ غير مقصود، ولا تكلمنا أمراً يشق علينا عمله كما كلمت به من قبلنا من بني إسرائيل، حيث كانت لتقبل توبة مدّنب منهم إلا بقتل نفسه كما تقدم في الآية (٥٤) من هذه السورة صفحة ١١.

وكان الشيء المتحسّس لا يظهر بالعمل بل لا بد من قطع مكان المجاسة من الثوب مثلاً، وكان المطلوب في الزكاة ربع المال لأربع عشرة كما هو في الإسلام إلى غير ذلك، ولا تحمّلنا ما لا قدرة لنا على الصبر عليه من البلاء والموت. واعف عنا بمعو أثر ما قد يقع منا، واعمر لنا دنوساً، أي استرها فلا تصححنا بإظهارها ولا بالمؤاخذة عليها، وارحمنا في كل الأحوال بسوهيقنا لسنة رسولك، أنت مولانا، أي ناصرنا ومتولى أمورنا، فانصرنا على الكافرين، لأن من شأن المولى أن ينصر مولاة على من كفر به باتخاذ أولياء من دونه سبحانه يلجأ لهم ويتقرب إليهم بالدبائح والدور ليصمموه عند الله، فانصرنا يا مولانا على الجاهلين منهم والجاحدين بالحجة والبرهان، وعلى المعتدين منهم بالسيف. واعلم أنه يحب على المؤمن أن يتنبه إلى أن الله سبحانه ما علمنا هذا الدعاء لمجرد أن نحرك به شعاعنا، بل لتوجه به إليه بقلوبنا عاملين ما يرضيه فإن من يستعمر من الدنوب وهو مُصر عليه كالمستهزئ بربه. سأل الله سبحانه السلامة والتوهيق ﴿الم﴾ تقدم الكلام عليها أول البقرة.

﴿الم﴾ تقدم شرحها أول سورة البقرة ﴿القيوم﴾ دائم القيام بشئون خلقه على أتم وجه.

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ تقدم تفسيرها في آية الكرسي وهي آية ٢٥٥ من سورة البقرة صفحة ٥٢.

﴿ما بين يديه﴾ ما تقدمه. ﴿المزقار﴾ قوى المرق بين الحق والباطل، ويشمل الكتب السابقة وغيرها كصحف إبراهيم وريور داود، ويشمل العقل السليم أيضاً فهو من عطف العام على الخاص، ﴿أبرل﴾ كل ما يحيى من قبل الحصرة العلية الإلهية يسمى اعطاؤه تنزيلاً كما قال ﴿وأنزلنا الحديد﴾ الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَرْسَلَ
التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ ① مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَرْسَلَ
الْمُرْقَانَ ② إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِذِكْرِ اللَّهِ فُتِمَ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَأَلَّهُمْ مَرْبُّهُمْ دُونَ ذَلِكَ ③ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ④ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُكُمْ
فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑤
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ بَيِّنَاتٌ مُخَكَّكَاتٌ
مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُمْتَنِعَاتٌ خَاسَاتٍ لِيُنْذِرَ قَوْمَهُمْ
زَيْجَ قَبْعُونَ مَأْنَسَةً مِنْهُ أُنْعَاءَ الْبَسَةِ وَأَنْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ⑥
وَمَا لَا يَرْخِ قُلُوبَهُمْ تَعَدُّ إِذْ هَدَيْتَ وَهْتَ نَاسٍ لَدُنْكَ

﴿محكمات﴾: هي الآيات الواضحة الدلالة التي يمكن الجميع فهمها كقوله ﴿لا تضربوا الزنا﴾، ﴿لا تقتلوا أولادكم﴾، ﴿ليس كمثله شيء وهو الصميع البصير﴾ وما أشبه ذلك.

﴿من أم الكتاب﴾: أي أصل القرآن وعمدته وأساس أحكامه التي يرد كل ما عداها مما يعتدل أوجهها كثيرة إليها.

﴿متشابهات﴾: محتملات لأوجه كثيرة. والمحكم والمتشابه في القرآن له معنيان: ما هنا، وما في أول سورة هود صفحة ٢٨٢ مع ما في الآية (٢٣) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

﴿زيج﴾: بُعد عن الحق والصواب. ﴿ابتداء العتة﴾: طلباً لفتنة الناس عن الإسلام بالتشكيك فيه.

﴿وابتفاء تأويله﴾: رجاء أن يؤثروا ويصرفوه عن معناه الذي يوافق المحكم إلى ما يوافق أعراضهم وشهواتهم. ﴿بعد إذ هديت﴾: المراد بعد هدايتنا.

المعنى: الله هو الذي نزل عليك القرآن ممثلاً بالحق والصدق مصدقاً لما تقدمه من كتب الأنبياء فيما لم يحرفوه منها، وأرسل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى من قبل هاديين للناس من الضلال، وكذلك أنزل كل ما يفرق بين الحق والباطل، إن الذين كفروا بآيات الله التي أنزلها لهداية عباده لهم عذاب شديد، والله عزيز أي غالب لا يعجزه عذابهم، ذو انتقام أي عقوبة شديدة بمن خالف أمره، وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء مطلقاً، فيعلم السر وأخفى، فيتهيب الطائع ويعدب العاصي.

- | | | | |
|-------------|---------------|---------------|---------------|
| (١) الكتاب. | (٢٩) التوراة. | (٢) بآيات. | (٤) الكتاب. |
| (٥) آيات. | (٦) محكمات. | (٧) الكتاب. | (٨) متشابهات. |
| (٩) تشابه. | (١٠) تراسخون. | (١١) الأبواب. | |

وكيف لا يعلم أحوالكم وهو الذي بصوركم في الأرحام كيف يشاء من ذكورة وأنوثة، وتعام ونقص وتكون مخصوص، وغير ذلك لا إله غيره يفعل ذلك، وهو العزيز الذي لا يُعيب، الحكيم في أفعاله. هو الذي أمر عليك أيها النبي القرآن منه آيات وأصحاحات يهمها كل مكلف هي أساس الكتاب والمرجع لما فيه، ومنه آيات محتملات لأوجه متعددة، فالدين هي قلوبهم ربيع يتبعون المتشابه ليقتوا به صفات العقول بتأويله على ما يوافق أهواءهم، فإذا سمعوا متشابهها كقوله سبحانه «تبارك وجه ربك» أو «يد الله فوق أيديهم» أشاعوا في الناس أن إله محمد يشبه الخلق له وجه وله يد . إلخ والحق أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل وإلا العلماء لراسحون في العلم، فيرحمونه إلى المحكم ويقولون كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا، فلا يمكن أن يختلف بعضه عن بعض وبما أنه سبحانه قال «ليس كمثله شيء» فيجب أن يحمل لوجه واليد وغيرهما على صفة تليق به سبحانه وتعالى لا شبه بينها وبين ما هي لخلق فكما أن سمعه وبصره وكلامه لا يشبه شيء منها ما هي الخلق فكذلك وجهه ويده سبحانه ولم يكلمنا الله عز وجل بمعرفة حقيقة سمعه وبصره

في المحكم الآيات الدالة على عدله تعالى وأن ثوابه على قدر عمل الصديق والمتشابه ما ورد إليه مثل «يصل من يشاء ويهدي من يشاء» و «ولو شاء الله لهدى الناس جميعا» و «وإنه خالق كل شيء» والآيات (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، ٢١ من سورة المدثر صفحات ٧٧٧، ٧٧٨ (٣٠) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٣، (٢٩) من سورة التكاوير صفحة ٧٩٥.

وما يتذكروهم الحق إلا أصحاب العقول الحالصة من الريب وهؤلاء هم الذين يلحظون إلى الله دائما فائلين ربنا لا ترغ قلوبنا بتحويلها عن الحق بعد أن بصلت وهدبتنا، وهب لنا من عندك الرحمة.

«كذاب ل فرعون» الدأب العادة والحوال الثابتة. «نسر المهاد» قبح المراس الذي ينوون إليه «آية» دليل (هتير التقضا) هرتين التقضا للقتال «ربن للناس» قال عمر بن الخطاب الربن هو الله والمراد خلق حمها في القلوب ليعمر الكون، ولتكون وسائل للأحرار بكثير السبل لجهاد والإصاق في سبل الخير العام، فالمراد أنشأ الله الناس على هذا وعطروهم عليه، أنظر

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ① رَسَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخِيفُ الْبَاطِلَ ② إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ نُفُوسِهِمْ أَمَرْتُهُمْ وَلَا أَرْدُكُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ③ كَذَّبَ
 آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذُّوهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ
 اللَّهُ بِدُيُوتِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَعْيُونَ وَنَحْنُ بِأَعْيُنِنَا ⑤ قَدْ كَانَتْ لَكَ آيَةٌ فِي قَتْلِ هَذِهِ نَفْسٍ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَآخَرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ بِؤْيُوتِهِمْ
 بَصِيرٌ ⑥ مَنْ يَشَأْ إِلَىٰ ذَلِكَ فَاعْبُرْ لَبْوَاتِلِ الْأَعْيُنِ ⑦
 رَأَىٰ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّوْهِدِ مِنَ نَفْسٍ وَآخَرَىٰ وَالْقَطِيطِ
 الْمَطْرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْفِئِلِ السُّوءَةَ

الآية (٢٢) من سورة الأعراف صفحتي
 ١٩٦، ١٩٧ والآية (٧) من سورة الكهف
 صفحتي ٢٨٠، ٢٨١. فليس المراد مدح
 التكالب عليها. انظر كتاب «معجم الرسالة
 والرسول» لنظمي لوقا صفحة ٨٤.
 «القضاطير» جمع قضاير المراد به المال
 الكثير. «المقطرة» : البائعة هي الكثرة
 والعرب إذا أرادت المبالغة في شيء اشتقت
 منه صيغة من لفظه وألحقها به فيقولون ظل
 طليل وليل أليل

«المسومة» المظلمة الحسان.

المعنى ويقولون اعطينا ياربنا رحمة تنقذنا

بها من الرل إنك كثير العطاء. وما مقر بأنك ستجمع الناس قطعا في يوم القيامة الذي لا شك
 في حصوله لأنك وعدت به واستلطف الميعاد وفي هذا اليوم لن تمنع الكافرين أموالهم ولا
 أولادهم من عذاب الله شيئا ولو قليلا وسيصيرون وقود النار. وذلك لأن عاداتهم وحالهم هي
 لكسر العماد كمادة آكل فرعون والذين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود فإنهم جميعا كذبوا
 بآيات الله عز وجل المتلوة في كتب الأنبياء والمبثثة في الآفاق. فأحدهم الله إلى جهنم بسبب
 ديوهم والله شديد العقاب لمن كفر بآياته. قل أيها النبي للكافرين ستعذبون هي الدنيا بالقتل
 والأسر وصرب الحرية. وهي الآخرة تساقون إلى جهنم. وما أقبحها فراشا لكم قد كنت لكم
 عورة بكمكم لاسماع بها لو أحلصتم تلك هي أنكم رأيتم فرقتين التقت يوم بدر للقتل فئة
 قليلة تقاتل لبصرة دين الله وهي فئة المؤمنين. وكان عدد أفرادها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
 وليس معهم سوى فرسين. وأكثرهم ليس معه ما يركبه من إبل وغيرها وفئة أخرى كاهنة كثيرة

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عَسِيرُ الْحُسْبِ ١١ • قُلْ أَذُنُكُمْ بِمَحَرٍّ مِّنْ
ذِكْرِ لِلَّهِ أَنْتُمْ أَعْدِدْتُمْ جَنَّتْ تَحْرِى مِنْ تَحْنِهَا
الْأَنْهَرُ حَلِيدِينَ مِثْلًا وَأَرْوَحُ مَطْهَرَةٌ وَرَضُونَ مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ بِصِرِّ الْعَالَمِينَ ١٢ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاغْنِ
نَا دُورَنَا وَمَا عَذَابُ الْآسِ ١٣ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَنِينَ وَالْمُسْقِينَ وَالْمُسْتَعِيرِينَ وَالْأَنْهَارِ ١٤ ثُمَّ
اللَّهُ أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالْأُولُو الْعِلْمِ قَائِمٌ
بِالْقَيْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَرِيبُ الْحَكِيمُ ١٥ إِنَّ الَّذِينَ
عَدَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا إِلَهًا إِلَّا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِبَيِّنَاتٍ
اللَّهُ فَمَنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٦ فَإِنْ حَاثَكَ قُلٌّ

العدد كانوا ألف مقاتل، وأعليهم راكبون خيلاً
وابلاً، فلما بدأ القتال وشاهد الكفار بمسألة
المؤمنين وشدتهم في القتال بدرجة غير
مألوفة لهم وقع في قلوبهم الرعب، حتى
صاروا يرون المؤمنين مثلى عددهم أى العين،
راى العين، أى رؤيا ظاهرة لا لبس فيها،
وهذا مدد معنوى من الله يمد به المؤمنين
الصادقين ليمحو الكفر والكافرين، ولذا قال
الله: ﴿والله يؤيد بمصره من يشاء﴾ معن
يستعفه، إن هي ذلك التأيد للقللة المؤمنة
على الكثرة الكافرة لعبرة وموعظة لأصحاب
البصائر، فيزداد إيمان المؤمن ويقبل على

الإيمان الموفق، ربح الله للامس حب الشتمين من النساء والبيس الذكور المصدين للدهاق،
والأموال الكثيرة من ذهب وفضة، والخيول الحسان.

﴿لأنعام﴾ الإبل والبقر والعنم. ﴿الحرث﴾ الزرع من نبات وشجر وماء ﴿حسن المآب﴾
من إضافة الصفة للموصوف. ﴿أزواج مطهرة﴾ روحيات مبررات من كل ما يغييب النساء حسياً
كالحيض والنفس، أو معنوية كالكيد والميرة وبكران الحميل ﴿ورضوان﴾ قال الرعب
الرضوان الرضى الكثير وحصن في القرآن وما كان من الله أنظر الآية (٧٢) من سورة التوبة
صفحة ٢٥٢.

﴿لثانتين﴾: الطائعتين.

﴿لأسعار﴾ جمع سَعَرَ بفتحين وهو ثلث الليل الأخير.

- | | | | | | |
|---------------|-------------|---------------|----------------|----------------|-----------------|
| (١) لأنعام. | (٢) متاع. | (٣) الحياة. | (٤) جنات. | (٥) الأنهار. | (٦) خالعين. |
| (٧) ورواج. | (٨) ورضوان. | (٩) الصابرين. | (١٠) الصادقين. | (١١) الثانتين. | (١٢) والملائكة. |
| (١٣) الإسلام. | (١٤) لكتاب. | (١٥) بيات. | | | |

﴿لقسط﴾. العدل.

المعنى: ذلك المذكور من الأشياء المستتة هو ما يستمتع به الناس في حياتهم لمادية، والله عبده المرجع الحصص هي الآخرة من النعيم الدائم. ثم فصل هذا النعيم بقوله، قل أيها النبي لهؤلاء الذين جعلوا كل همهم في المتاع الرائل هل أخبركم بأحسن مما ذكر من هذا المتاع الماسي؟ ها سمعوا أقل لكم أن عدي للمتقين جنات تجري من تحتها أنهار، وأشجارها الأثمار حاليين هيها، لا تروى أبداً كما يزول نعيم الدنيا، ولهم فيها رويات مطهرة من كل عيب، ولهم فوق ذلك رضا من الله عز وجل كثير دائم لا عصب بعده، والله بصير بعباده، فيعلم من يستحق هذا النعيم ومن لا يستحقه.

ثم وصف أهل التقوى بأنهم هم الذين يقولون ربنا إسا أما بك ودرسلك هاغصركنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين هي الباساء والضراء وحين الباس، والصادقين قولاً بتقرير الحق، وعملاً بإتقان العمل، ونية بعدم التردد في عمل الخير، والقاشين أي المداومين على الحشوع، والمصدقين للمال هي طريق الخير، والمستعمرين في الأسفار أي المصلين في الليل والناس نيام. قال مجاهد وابن كثير المستعصرون ههنا المصلون لأن أهل التهجد أحر الليل يطلبون بتهجدهم مغفرة الله عز وجل.

﴿شهد الله﴾. أي أخبر الله ملائكته بأنه سبحانه واحد لا يعبد سواه، والملائكة أخبرت الرسل بذلك، والرسل أخبرت أهل العلم، والعلماء أخبروا الناس كافة بأنه إله واحد، مقيماً للعدل بين خلقه. ثم أكد توحيد المشهود به فقال لا إله إلا هو العزيز الغالب الذي لا يعلى، الحكيم فيما يعمل.

إن الدين المرصى عند الله هو الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل، والمراد بالإسلام ههنا الأصول التي اتفق الجميع عليها المشار إليها هي الآية (١٢) من سورة الشورى صمحتي ٦٣٩، ٦٤٠.

وهي التوحيد والرسالة والبعث ومكارم الأخلاق، أما الصروع فتلك أمة ما يباسها هي عصرها أنظر الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦ والآية (٦٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٢.

وما اختلف اليهود والنصارى في الدين بأن وخذ بعضهم وكمر بعضهم إلا من بعد ما جاءهم العلم على لسان أنبيائهم وفي كتابهم، بعيًا وحسدًا وقع بينهم، لا لشبهة عرضت، ولا لأزالها أقل برهان مما بين أيديهم وما جاء به خاتم الرسل صلوات الله تعالى عليه، ومن يكمر بعد تلك الآيات والبراهين فمبطل في جزاء كمره حتمًا في أقرب وقت، فإن حاجك وجادلك في الدين الكافرون بعد إقامة هذه الحجج فلا تجادل وقل: انقذت مخلصًا وخضعت بظاهري وباطني لله لا أشرك به غيره.

أَسْمَتُ وَخَيْرُ اللَّهِ وَمَنْ أَسْمَى وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْمَأُ فَإِنْ أُسْلِمُوا فَقَدْ أَسْلَمُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا عَمَلَ عَلَيْكَ ابْتِغَاءُ اللَّهِ تَصِيرُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِفَاتِنَةِ اللَّهِ وَتَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ بِصِيرٍ حَقٍّ وَتَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَيِّنُوا لَكُمْ عَذَابَ آيَةٍ ٢٠ أَوْ تَكْفُرُوا بِاللَّذِينَ خَبَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا هُمْ مِنْ مُبْصِرِينَ ٢١ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ يُخَوِّفُونَ بِهِمُ لَمْ يَتَوَقَّعُوا مِنْهُمْ وَمَنْ مَرِضُونَ ٢٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَاتَلُوا مَنْ كَتَبَ الشَّارِعَ إِلَّا آيَةً مَقْصُودَةٍ وَعَمَّيْهِمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ٢٣ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْ لَهُمْ لَوْنٌ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُجِئَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كُنَتْ

«أسمت وحيى لله» انقذت مخلصًا وخضعت بظاهري وباطني لله لا أشرك به غيره، «الأميين» المراد بهم هنا مشركو العرب «القسط» العدل «خبطلت» بطلت «الذين أوتوا نصيبا من الكتاب» المراد بهم اليهود.

المعنى وحيث أنه لا فائدة في محاسنهم ما علمهم أنك ومن اتبعك من المؤمنين خضعت لله وحده، وقل لأهل الكتاب عامة يهودًا أو نصارى والمشركيين من العرب الأميين أي الذين لا يقرءون كتابًا هل سلمتم بعد تلك الحجج أم مارلتم على عبادكم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا إلى الحق وأنجوا أنفسهم من العذاب، وإن أعرضوا عن الإسلام فلا يصرك إعراسهم لأن لدى عليك إنما هو إبلأعهم حكم الله، وقد بلغت، وليس عليك هداهم، والله بصير بعباده صبحاري كلا بما يستحق، إن اليهود الذين يكفرون بآيات الله التي قرعوها في السورة لدالة

- | | | | |
|------------|---------------|-------------|------------|
| (١) الكتاب | (٢) والأميين | (٣) البلاغ | (٤) بلياط. |
| (٥) النيس | (٦) أعمالهم. | (٧) فاصرين. | (٨) الكتاب |
| (٩) كتاب | (١٠) معدودات. | (١١) جمعها. | |

على صدقك أيها النبي ويقتلون أنبياء الله بفير حق . وبما أن الخطاب لليهود المعاصرين له ﷺ بدليل ماسياتي من إذارهم بالعذاب ولا إندار لمير الموجود، يكون المعنى: قتل آبائهم ورسولهم عن فعل آبائهم، فكانهم اشتركوا معهم في القتل واستحقوا مثل عقابهم، ومن جرائمهم أيضاً أنهم يقتلون المصلحين من أمتهم الذين كانوا يأمرونهم بالعدل . فبشرهم بعذاب شديد الألم، أي ليس لهم خير يسرههم إلا الإندار بالعذاب. فالكلام سيق على سبيل التهكم بهم وقطع أملهم في النجاة. هؤلاء هم الذين بطلت كل أعمالهم فلم تقضهم من القتل والأسر والطرد من الديار، وفي الآخرة فلم تقضهم من العذاب، وليس لهم مَنْ ينصرهم بمنع العذاب عنهم. وذكر ما يدل على أنهم اختلفوا في كتبهم بعد العلم فقال «ألم تر» أي ألم تنظروا تعجب أيها السامع لحال هؤلاء اليهود الذين آتاهم الله حظاً من علم التوراة، وإذا دعوا إليها لتحكم بينهم وبين خصومهم فيما اختلفوا فيه تولى فريق منهم وهم علماءهم وأصحاب الرئاسة فيهم وتيممهم الموام، وهم مصممون على الإعراض. وهذا أشنع احتقار لكتاب أكرمهم الله تعالى به، وذلك أنهم لما قيل لهم كيف تكفرون بمحمد وصفته عندكم في التوراة فانتلوها إن كنتم صادقين في دعواكم، امتنعوا، وإنما استحلوا كل هذه الجرائم لزعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً قليلة هي أربعون يوماً عدد أيام عبادتهم المجل، وغرهم حتى ارتكبوا، ذلك ما افتروا في دينهم من الباطل الذي يوافق أهواءهم. فعلى أي حال يكون هؤلاء الأشرار إذا جمعناهم للحساب يوم القيامة ووفى الله كل نفس ما كسبت من خير أو شر.

﴿تولج الليل في النهار﴾ إلخ. أي تدخل بعض الليل في النهار فيقصر الليل ويطول النهار، وتدخل بعض النهار في الليل فيطول الليل ويقصر النهار والكلام كناية عن تطويل أحدهما وتقصير الآخر للحكمة التي أرادها الله سبحانه من ذلك. «وتخرج الحي من الميت» كالحيوان من التراب، والفرحة من البيضة والبيضة هي نظر العرب الدين نزل القرآن بلفتهم معتبر ميتاً، لأنهم لا يطلقون «الحي» إلا على ما فيه حياة فعلاً تجعله يتنفس ويتحرك، والبيضة عندهم كالبيات فيها استعداد للنمو لكنها عقب حرونها من الصرخة مباشرة تعتبر ميتاً هي نظرهم = وبالعكس كالبيضة من الصرخة، والتراب من الحيوان بعد موته، وبعض

وَهُمْ لَا يُلَظُّونَ ۝ قُلِ اللَّهُمَّ مَنَّكَ عَلَى النَّاسِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
 مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ
 مَن تَشَاءُ ۚ إِنَّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝
 تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهْرِ وَتُولِجُ النَّهْرَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ
 وَبِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَبْغِيذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ أُولَئِكَ
 فِي دُورٍ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
 فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن يَتَّقُوا مِنهُمُ تُقَةً وَيَحْذَرُوا اللَّهَ نَعْتَهُ
 وَلِئَلَّ اللَّهُ الْبَصِيرُ ۝ قُلْ إِن تُحِبُّوا مَا فِي صُورِكُمْ أَوْ
 تُبْذَرُوهُ بِعَلَّةٍ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السُّبُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
 مِن خَيْرٍ نَّحْضَرُهَا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

ما ينفصل عنه في حياته. ﴿فليس من الله في شيء﴾: فليس من دين الله في شيء، أي فهو بعيد عما شرعه سبحانه

﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أي إلا في حال خوفكم منهم أن يؤذوكم، بشيء تتقونه منهم، أي فلکم حينئذ أن توالوهم ظاهراً بقدر ما يدفع عنكم الضرر، فهي في الواقع موالاة طاهرية لا الحقيقية المنهى عنها ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي عقاب نفسه، وعقاب الله شديد.

المعنى: ولا يظلم أحد بزيادة في سيئاته ولا ينقص من حسناته.

وإذا استنصر إعراف هؤلاء الكافرين عن

ديك أيها السي واستولى عليهم العزور هدمهم وارجع إلى الله بالدعاء والثناء، وقل يا الله يا مالک الملك الحق، تعطى بعض الملك الصوري لمن تشاء، وتزعه ممن تشاء، وتقر من تشاء شيء من اسباب العز وتدل من تشاء بسبب الأسباب عنهم، بيدك الخير أي والثناء، تدل ﴿تدل وتزع﴾ لا يغير شيء، ومن مظاهر قدرتك أنك بحكمتك في تكوين الأرض وحمل سير الشمس بحساب صار يريد كل من الليل، النهار بمقدار ما ينقص من الآخر ومن قدرتك العجيبة أنك تخرج من الميت حيا ومن الحي ميتا، وترزق من تشاء ولأقرب عليك بحاسبك، لأن الأمر كله بيدك وإذا كان الكافرون على هذا الحال من العناد فاحذروهم، ولا يتحد مؤمن كاهرا وليا بصطمة فيطلعه على أسرار المؤمنين الحاصلة لما في هذا من ضرر مصلحة المؤمنين خصوصاً وهم يروهم يهرعون بهم وبعمادتهم كما في الآية (٥٧) من سورة المائدة صفحته ١٤٨ فلا يجوز أن يصطم المؤمن من غير المؤمنين أحدا وهذا لا يسمع أن تعاملوا

أَمَّا بَعْدُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ ﴿٢٥﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾
 • إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضٌ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ تَعَالَى
 عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي تَذَرْتُ
 فِيَّ مَا يَنْهَىٰ عَنِ الْمَحْرُومِ أَتَقْبَلُ مِنِّي إِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا وَصَّيْتُ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَصَّيْتُ ابْنِي
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّيْتُ وَلَيْسَ الْأَصْكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَهِيَ
 تَحْتَبِئُ مَرِيضٌ وَهِيَ بِعِبْدَتِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ
 الْكَرِيمِ ﴿٣١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَ نَبَاتًا

بالحسن على الوحي المبين في الآيتين
 (٨)، (٩) من سورة الممتحنة صمحه ٧٢٦
 ومن يفعل ذلك بأن يوالي غير المؤمنين
 فقد ضل عن شرع الله وأصبح لا يربطه
 به شيء.

إلا أن تحافوا من الكافرين ضررا يلحقكم
 إذا أظهرتم التخوف منهم وعدم الثقة بهم
 وكنتم صغافرا لاستنطيمون دفع صرهم أي
 هلكم في هذه الحالة أن تظهروا لهم التردد
 صورة حتى تتقوا أذاهم، واحذروا عذاب الله
 نفسه إذا تحطيت ما حده لكم واليه سبحانه
 مصيركم يوم القيامة هي جاريكم بما عملتم.

قل أيها النبي لهم إن تحصوا ما هي قلوبكم
 مما نهاكم الله عنه أو تظهروا يعلمه الله، لأنه
 العليم بكل شيء في السموات والأرض، وسيجاريكم على ما تحصون وما تعلمون لأنه قدير على
 كل ما يريد.

واحذروا يوم القيامة الذي تجد فيه كل نفس حراء ما عملته من خير حاصرا، وأما ما عملته
 من سوء فإنها تكرهه وتحب أن يكون بينها وبينه مسافات.

﴿أما﴾ - مسافة بعيدة، ﴿اصطلمى﴾ - احتار وفصل.

﴿محزرا﴾ - معتقا من شواغل الدنيا متضرعا لخدمة بيتك المقدس وكان هذا النوع من المدر
 مشروعا عندهم، ﴿الرحيم﴾ - المرحوم باللعن الكثير.

المعنى تود النفس المديبة وتحب أن يكون حراء عملهم بعيدا عنها، وكرر ويحذركم الله
 نفسه لخطورة محالته تعالى وتساؤل الناس فيها.

والله رءوف بعباده ولذا بالغ في تحذيرهم مما يصبرهم ووهب لهم عقلا يدلهم على المدفع
 والصار.

قل أيها النبي لكل من يدعى معبة الله إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني فيما أعمل، لأنه بأمر الله الذي تدعون محبته، يحبكم الله أي يرضى عنكم ويمر لكم ذنوبكم. وقل لهم أطيعوا الله باتباع كتابه، والرسول باتباع سنته؛ فإن أعرضوا فاعلم أنهم كاذبون في دعوى محبتهم لله. لأنهم لو صدقوا لأحبهم وهو سبحانه لا يحب الكافرين، وهم كافرون، فلا يحبهم، وإنما يحب سبحانه ويصطفى المحلصين مثل آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وهم مريم وعيسى عليهما السلام، يجعل السوة والرسالة فيهم. ذرية من آل إبراهيم وآل عمران يشبه بعضها بعضاً في الخير والعقل والله سميع عليم حين قالت امرأة عمران (حصة بنت هاقورا) أم مريم، أي سميع لما جاتها، عليم بإحلاسها لما قالت يارب إني ندرت لخدمة بيتك ما هي بطنى متسرعا لذلك، فتقبل مني ذلك إنك السميع لدعائي، العليم بنيتي.

فلما وصفت وتبين أنها أنثى، وهي لاتصلح عادة لخدمة البيت المقدس مثل الذكور، قالت متحسرة حزينة: يارب إني وضعتها أنثى؛ قالت ذلك والحال أن الله يعلم أنها أنثى، وأنها خير من ألف رجل، وأتمت كلامها فقالت يارب ليس الذكر الذي طلبته منك كالأنثى التي وهبتها لي لأنه يصلح لخدمة بيتك وهي لاتصلح، وإني سميتها مريم. وإني أطلب منك أن تحفظها هي ودريتها من الشيطان الرجيم. فقبل سبحانه مريم من أمها ورباها ونماها تحت رعايته تربية حسنة جامعة لحسن الجسد والروح في وسط طاهر.

﴿كملها زكريا﴾: جعل زكريا كافلاً لها وكيفية صم زكريا لها بينتها الآية (٤٤) الأنثى هي هذه السورة صفحة ٧٠.

﴿المحراب﴾ هو أشرف مكان في المنزل، وكان لا يسمى محراباً إلا إذا كان يصعد إليه بسلم ﴿أنى لك هدا﴾ أي من أين جاء لك هدا. ﴿هناك دعا﴾ أي في ذلك المكان عند مريم في المحراب.

﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ أي مؤمناً بعيسى وقد كان أول من آمن به لما بعثه الله.

وسمى عيسى كلمة لأنه جاء بكلمة ﴿كن﴾ بدون أب على خلاف المعتاد أنظر الآية (٤٥) الأنثى في هذه السورة صفحة ٧٠.

﴿حضوراً﴾ - أى حائساً نفسه.

ومانعها عن كل ما ينافي الكمال. ويطلق الحضور على الممتنع عن النساء زهداً ولا يصح هذا دليلاً على فصل ترك الزواج، لأن يعين ليس انفصل من أبيه ولا من جده إبراهيم، ولا من خاتم النبيين صلوات الله عليهم جميعاً. ﴿اجعل لى آية﴾. أى علامة أعرف بها وجود الحمل لأسرع بالشكر عليها. ﴿إلا رمزا﴾: أى إشارة بيد أو رأس مثلاً.

﴿العشى﴾ من الظهور للعروب
﴿والإبكار﴾ الإيثار أصله مصدر لمعل
﴿أبكر﴾ بمعنى بكر بتشديد الكاف. أى فعل شيئاً هو ﴿البكرة﴾ وهى الوقت من طلوع

حَسَّاءُ وَكَلَّهَا زَكْرِيَّا كُلَّ دَخْلٍ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمَحْرَابَ
وَجَدَ حَتَّى رَدَّهَا قَالَ يَتَّبِعُكَ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ مَا تَقَى فَكَانَ مِنَ الْغَايِبِ
مِنْ حَيْثُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَرُدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ⑤
هَئِذَا دَعَا زَكْرِيَّا زَيْتُونًا قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
فَرِيَةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ⑥ فَادَّهَنَ الْمَلَكُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُعَلِّمُ فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يَبْتَخِرُ بِمَا يَجْنِي مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَبَيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ⑦
قَالَ رَبِّ إِنِّي بَكَرْتُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ⑧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً ⑨ قَالَ عَاطِيكَ أَلَا نُكَلِّمُ أَهْلَ نِسَاءٍ أَيَّامًا إِلَّا
وَمَرًّا وَأَذْكُرُكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالنُّجُومِ وَالْإِنْكَبَرِ ⑩
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَتَّبِعُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

المجر إلى الصبح، والمراد بالإبكار هنا نفس البكرة أنظر الآية (١١) من سورة مريم صفحة ٣٩٧.

المعنى: وجعل الله زكريا كاهناً نزيماً، وصار كلما دخل عليها المكان الحاض بها وجد عندها رزقاً. قال ابن عباس كان زكريا قد استأجر لها مريضاً وهطمت بعد الحولين وكان أكثر مكثها في المحراب وحدها

وقال ابن جرير إن من إسرائيل أصابهم فحط شديد حتى ضعف زكريا عن كمالتها، وكان يجار من بنى إسرائيل بأيتها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فيباركه الله، فيدخل عندها زكريا فيجد عندها فصلاً من الرزق، فيصنئها من أين لك هذا؟ فتقول هو من عند الله الذى يرزق بلا حساب وتقدم تسميها هي الآية (٢٧) من هذه السورة صفحة ٦٧ وفي هذا المكان وفي هذا الجو من الرحمة وهي حصرة هذه المودة النجبية يذكر زكريا الدرية لصالحة، وكان قد بلغ من الكبر عتياً كما هي سورة مريم، فابحه إلى الله عز وجل فأنزل هب لى من عندك درية

(١) يامريم. (٢) الملائكة (٣) الصالحين (٤) علام. (٥) ثلاثة
(٦) الابكار. (٧) الملائكة. (٨) يامريم. (٩) اصطفاك

وَأَصْطَلَمْتُكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ⑪ بِمَرْيَمَ أَهْنِي لِرَبِّكَ
وَأَنْجِدِي وَارْجِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ⑫ ذَلِكَ مِنْ أَسَاءِ
الْمَتِّبِ وَرَحِمَهُ الْبَيْتُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَسْتُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ⑬
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَنْتِ
الْمُتَّبِعَةُ ⑭ وَبُكِّلِمُ النَّاسِ فِي الْهَيْدِ وَكُهْلًا وَمِنْ
الصُّلَحِيِّينَ ⑮ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي
بَشَرٌ قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ⑯ وَيَعْلِيهِ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ
وَالتُّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ ⑰ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنَّ أُخْلُقَ لَكُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ

مباركة ويضهم معا في سورة مريم أن الذي
طلبه زكريا ولد ذكر. فتأذته الملائكة في
الحال وهو قائم يدعو في معراب مريم، وقد
يكون المفادى ملكًا واحدا معه غيره كما سيأتي
في الآية (٤٥) من هذه السورة صفحة ٧٠: إن
الله يبشرك بولد اسمه يحيى يكون أول
مصدق بنبي الله عيسى، ويسود على قومه
بالعلم والفضل، ويعبس نفسه عن شهوات
الدنيا ونقاها. قال زكريا ليطمئن قلبه على
كيفية وجود هذا الغلام: يارب على أي حال
يولد لي مع كبري وعقم امرأتي؟ قال: الأمر
كذلك أي كما سمعت: لأن الله يفعل ما يشاء.
لانعجزه الأسباب. قال يارب اجعل لي علامة
أعرف بها الحمل حتى ألتقاء بالشكر. قال:

علامتك أنك تعجز عن الكلام مع الناس مدة ثلاثة أيام فلا تستطيع التفاهم معهم إلا
بالإشارة، فإذا رأيت هذه العلامة فداوم على ذكر ربك وسبحه في العشى والإبكار. وهذا يدل
على أن منعه من كلام الناس كان معجزة لأنه لم يمتنع عن الذكر. واذكر إذ قالت الملائكة
يامريم إن الله سبحانه اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك، وهما الصالحين لتربيتك، وطهرتك
مما يستقبح من فاسد الأخلاق وضمهم الصفات.

﴿أهنتي لربك﴾: الزمى طاعته مع تمام الخضوع.

﴿اركعي مع الراكعين﴾: اخضعي لأوامر الله عز وجل مع الخاضعين لها. ﴿أفلامهم﴾:

للقرعة على من يكفل مريم. قال ابن عباس: إن أم مريم لما وضعت أشي خشيت ألا تقبل
لخدمة بيت المقدس فلمتها في ثوب ووضعها عند الأحبار، فأراد كل منهم أن يقوم بكفالتها
لأنه كانت بنت إمامهم عمران، وأخيرا اتفقوا على أن يقترعوا فمن خرج له القرعة أخذها.

- | | | | | | |
|-------------|---------------|-------------|---------------|---------------|---------------|
| (١) اصطفاك. | (٢) العالمين. | (٣) يامريم. | (٤) الراكعين. | (٥) أفلامهم. | (٦) الملائكة. |
| (٧) يامريم. | (٨) الصالحين. | (٩) الكتاب. | (١٠) التوراة. | (١١) إسرائيل. | |

فأحصرهم أهلهم التي كانوا يكتبون بها النوراة سرًا بها ووصفوها في حرب و مروا بعض العلماء ممن في بيت المقدس ان يدخل يده ويخرج قلمًا، هالدي يخرج قلمه يكمل مريم فخرج قلم ركريا ﴿بكلمة﴾ أي مولود حامل بكلمة ﴿كر﴾ التي يكون بها كل شيء، فأبلاها على عيسى على سبيل البالعه لأنه يتبع عنها بدون الوسائط المعتاده ﴿وحيها﴾ دا وحاهة وكرمة هي الدارين.

﴿كهلا﴾ هو الرجل التام الرجولية ﴿كر فيكون﴾ لم يعلمنا سبحانه حقيقة هذا المولود، وبما لدى يحب أن يعتقد أنه سبحانه إذا قصى امرأ بعد قدرته سريعًا من غير توقف على شيء آخر.

﴿الكتب﴾ المرد به هذا الكتاب والخط أي يكون قارئًا لا أميًا

﴿الحكمة﴾ العلم الصحيح ومعرفة أسرار الأشياء.

﴿أحق لكم﴾ أي قدر و صور انظر الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦

لمسى و صطفاك ثانياً على بناء العالمين بولادة يسى من غير أن يمسك رجل بـ مريم دوى على طاعة ربك حاشعة له وخصوصا السجود لأنه أعلى مراتب العبادة واحصى بإخلاص مع الحاضمين من الصالحين.

ذلك الذي قصصناه عليك أيها النبي من أخبار مريم وأمرها وركريا كله من أخبار الغيب التي لا تعلمها أنت ولا قومك، بوحية إليه، ونولا ذلك لما علمت شيئاً، فكيف بعد هذا تعادل المكابرون في صدق رسالتك وماكنت حاضراً مع المتترعين على كماله مريم، وماكنت معهم وقت تحاصمهم وتنازعهم أولاً قبل القرعة على من يكملها.

وذكر بد قالت الملائكة، والقائل هو جبريل وكان معه آخرون، انظر الآية (١٧) من سورة مريم صفحة ٣٩٧. إن الله ببشرتك بمولود يحصل بمجرد كلمة كر اسمه لمسيح أي المسحوح الذي يكون له مركز الملوك، وكان لانبصيح بالريت المقدس غير الملوك، عيسى بن مريم، سبه إليها ليثبثها بأنه سيكون بدون أب يسبب إليه، وسيكون دا وحاهة وكرامة في الدنيا والآخرة، ومن المضربين في دار النعيم، وبكلم الناس وهو ظلم كما نكلمهم وهو تام لرجوليته وسيكون من الصالحين

كَهَيْفَةِ الطَّيْرِ فَنُفِخَ فِيهِ فَيَكُونُ حَذَرًا يَاجِدُ اللَّهُ وَأَبْرَى
الْأَكْصَمَ وَالْأَرْضَ وَأَخِي الْمَوْتِ يَاجِدُ اللَّهُ وَأَبْرَى
يَا تَأْكُلُونَ وَمَا نَدْحِرُونَ فِي يَوْمِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ
إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَصْدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلَأَجَلٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِثُّكُمْ بِأَيِّهِ مِنْ
رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْتَدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤٨﴾ قَلْبَ أَحْسَنَ عَيْنٍ
مِنْهُمْ أَنْكَرَ قَالَ مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ
نَحْنُ نُنْصَرُ اللَّهُ أَمَّا بَالَهُ وَأَنْتَ يَا مُنْجِلُونَ ﴿١٤٩﴾ رَأَى
أَمَّا بِي رَأَى وَأَمَّا الرُّسُولَ فَأَكُنْ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٥٠﴾
وَمَكْرُؤٌ مَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِتَكْوِينِ ﴿١٥١﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ
يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَادْعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنْبِ

قالت مريم متمجبة: كيف يكون لي ولد
ولم أتزوج؟ قال الملك: أمر الله كما أحييتك،
والله يخلق ما يشاء كما يشاء. إذا قدر وجود
شيء وجاء ربه فإنه يوجد بسرعة بلا
تأخير: لأنه لا يحتاج في وجوده لغير كلمة
﴿كر﴾ فيكون.

ويعلمه الحط والكتابة فلا يكون أميا
ويعلمه العلم النافع وأسرار خلقه. ويعلمه
التوراة التي نزلت عليه. ويعمله رسولا إلى
بنى إسرائيل فاثلا لهم: احتج على رسالتي
إلهم بأنى قد جئتكم ببرهان صدقي. وهو
أنى أخلق أى أصنع وأقدر لكم شيئا من
الطير.

﴿كهيفة الطير﴾ أى على صورته ﴿الأكصم﴾ الذى ولد أعمى

﴿لما بين يدي﴾ أى تقدمه ﴿بعض الذى حرم عليكم﴾ أى فى التوراة كلحوم الإبل، وكل دى

طير، انظر الآلة (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٢٠ ﴿وحثتكم بآية من ربكم﴾

كررها لتأكيد وليرتب عليها ما بعدها ﴿أحسن عيسى منهم الكفر﴾

أى شعر من قومه بالكفر برسالته حتى هموا بقتله ﴿من أنصارى إلى الله﴾ أى من يكون
من جندى متوجها معى إلى بصرة دين الله.

﴿الحواريون﴾ هم صموة أتباعه، مآخود من الحور بمتعنين وهو صمء بياض العين،
لبياض قلوبهم وصمء طنائهم ﴿متوفيك﴾ رأى كثير من العلماء أن صمء قابض روحك
ورافعه مع رواح الشهداء و سبدلوا على ذلك بالآيتين (٣٤، ٣٥) من سورة الأنبياء صفحات
٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤. ﴿مطهرتك من الدين كهروا﴾ أى مبعذك من سوء تصرفهم.

المعنى اجعل لكم من الطين حسما على صورة الطير فانفخ فيه فيصير طيرا حيا بادن الله. وهذا احتشاس منه عليه السلام خوفا ان يؤلهوه. ولذا كرره هنا وهي سورة المائدة، لأن المقام خطير. وأمرى من فيه عيب من عيبه. وأحيان بعض الموتى ليشهدوا بصدقى ثم يموتون. وأحبركم بما يكون عائنا على ما هي بيوتكم ماتاكلونه وماتدخروبه. إن فى ذلك مما سبق من المعجزات دليلاً على صدق رسالتى إليكم إن كنتم مؤمنين بالله. لأنه لايعمل المعجزات إلا مع الرسل وحثتكم مصدقا لما تقدم من التوراة التى هى كتابكم لا مكذبا لها. ولأحصف عنكم ما فيها من التشديد بإحلال بعض ما حرمته عليكم عقابا لكم فاتقوا الله ولا تكذبونى. واطيعونى فيما أمركم به لأن فيه مصلحتكم.

إن لله ربهى وربيكم فاعدوه وحده. وهذا الذى أمرتكم به طريق مستقيم موصل للجنة. ولما أرسل عيسى وبلغهم كل ما سبق وشعر منهم بالكفر وبية السوء والعذر به. اتجه إلى حواصه وقال لهم من يساعدى فى بصرة دين الله قالوا نحن أنصار الله وأعووان دينه. أمنا بالله. واشهد يا عيسى بأنا مفادون لأمره تعالى. فالإسلام وهو الخضوع لما شرعه الله هو دين كل نبي وإن اختلفت بعض تفاصيل المصور. ثم أكدوا إقرارهم فقالوا ربنا إنما بما أمرت من الإنجيل واتبعنا رسولك عيسى فاكتمنا مع الشاهدين للرسول يوم القيامة بأنهم بلغوا دعوتك لبني إسرائيل وبما كان منهم من الكفر. ومكر الكمار بتدبير قتل عيسى. ومكر الله عز وجل أى أنطل مكرهم. والله حير الماكرين. أى المدبرين فى حماء. لأن تدبيره للمصلحة لا للمساد كمكر غيره ومكره سبحانه فى هذا المقام هو إلقاء شبه عيسى على غيره حين أرادوا قتله كما فى الآية (١٥٧) من سورة النساء صفحة ١٣٠. وكان مكرهم هذا حين قال الله يا عيسى إني مستوفى أحلك فى الدنيا. والمراد عاصمك من أن يقتلك كافر حتى أقبض روحك عند انتهاء أحلك وأنت مكرم على فراشك. وراهمك إلى هى المنارل الرفيعة مع تدريس والشهداء. انظر الآية (٥٧) من سورة مريم صفحة ٤٠١. والآية (١٦٩) من سورة آل عمران صفحة ٩١. ومظهرك أى ميمدك من خبث الدين كفروا.

﴿هوق الدين كصروا﴾. فوقية فصلائل ورحمة وقوة حجة. هيكوبون حيرا من الكاهرين أحلافا وأجمل أدبا وأرق قلوبا. وأحب للتراحم وأقوى حجة ﴿عمن حاجك فيه﴾. أي فمن جادلك في أمر عيسى وقال غير الحق.

﴿يستهل﴾ أي تصرع إلى الله بالدعاء حاشعين.

المعنى: وجاعل الذين اتبعوك في دينك وأمسوا برسالتك في منزلة أعلى من منزلة الكاهرين. فتكون فوقيتهم روحية معنوية في كل المعاني السماوية حادثة إلى يوم القيامة. ثم إلى مرجعكم جميعا، المؤمن منكم والكافر، فأحكم بكم فيما اختلفتم فيه. فأما الذين كصروا كاليهود ومن مائلهم فأعديهم عدا

شديدا في الدنيا بالاصطهاد في كل العصور، وإعراء المداوة واليمصاء بينهم. كما في الآية (٦٤) من سورة المائدة صمحتي ١٤٩، ١٥٠ وهي الآخرة بعددات أشد وأبقى، ومائلهم من ناصريين يمسكون العذاب عنهم. وأما الذين أمسوا بك وبرسل الله كلهم، وعملوا الأعمال الصالحات المطلوبة منهم، فسأويهم جرائهم كاملا، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بالحروح عن الحق واتباع الشهوات.

ذلك الذي تقدم من حشر عيسى من أقوى الأدلة على صدق دعواك أيها النبي، ومن أقوى ما يذكر بوجوه العبرة، ويرشد إلى معرفة أسرار الدين وبعد ما بين سمعانه كيصية خلق عيسى ومجيئه بالبيات، وما كان من إيمان بعض وكفر بعض، أراد أن يبطل شبهة من بالعوا هي تقديسه من أتباعه حتى فتوا به وجعلوه إلها أو ابن إله، قال ردا عليهم إن عيسى كادم هي أنهما وحدا، من غير أب، بل آدم أعجب لأنه خلق من تراب بلا أب ولا أم، وعيسى وحده من أم ولم يدع أحد أن آدم إله ولا ابن إله.

كصروا وجاعل الذين أسوءك فوق الذين كصروا إلى يوم
القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بكم فيما كنتم فيه
تختلفون ﴿٦٤﴾ فأما الذين كصروا فأعديهم عدا شديدا
في الدنيا والآخرة وما لهم من نصيرين ﴿٦٥﴾ وأما الذين
أمسوا وعموا الصلحيت فبوقيتهم أحورهم والله لا يحب
الظالمين ﴿٦٦﴾ ذلك سلوة عنيك من الآبنت والذكر
الحكيم ﴿٦٧﴾ إن مثل يحيى عدا الله كمثل عادهم خلقهم
من تراب ثم قال لهم كن فكنون ﴿٦٨﴾ الحق من ربك
فلا تكن من الضميرين ﴿٦٩﴾ فمن حاجك فيه من بعد
ما جاءك من العلم قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
وبناتنا وبناتكم وأنفسنا وأنفسكم ثم سنبل فتجل
نعت الله على الكافرين ﴿٧٠﴾ إن هذا هو القصص

(١) القيامة. (٢) ناصريين. (٣) الصالحات
(٤) الظالمين. (٥) الآيات. (٦) الكافرين.

﴿وما كان من المشركين﴾ النصريح بهذا وما قبله لتوبيخ مشركي العرب الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم، وجميعاً مثله، كما تقدم بيان ذلك في صفحة ٢٦.

المعنى وليس في الوجود إله إلا الله وأنه هو المربى العالِم الذي لا يعطيه أحد، الحكيم في تدبيره فإن أعرضوا بعد ذلك عن الإيمان الصحيح فسيحاربهم على ذلك أشد الحراء لأنه عيى بفسادهم عقائد الناس وبعد ما نطقت جميع مراعاتهم وعجزوا عن المحاجة أمر سبحانه بنبه الكريم أن يدعوهم إلى أصل كل دين سماوى فقال عر وجل قل لهم أيها النبي يا أهل الكتاب من يهود ونصارى ثعالوا بتفق على كلمة مستو فيها كل الكتب السماوية التي بيضا وبيكم وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ثم فسر تلك الكلمة بقوله أن لا تعبد سواي وأنتم إلا الله فلا تتقرب بعبادة لغيره ولا تجعل غيره شريكا له في الخلق والبرق واستعقاق العبادة، ولا تتحد بعضا بعضا أربابا من دون الله، أي لا تطيع أخبارنا وعلماءنا فيما يحلون ويحرمون من غير رجوع إلى كتب الله عر وجل وقد ورد أن عدى بن حاتم وكان نصرانيا وأسلم لما سمع قوله تعالى ﴿اتحدوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ الآية (٣١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥ قال يا رسول الله لم يكونو يصدونهم فقال ﷺ أليسوا كانوا يحلون ويحرمون فتأخرون بما يقولون؟ قال: نعم، قال: هو ذلك.

أي هذا هو معنى اتحادهم أربابا، فإن عرصوا عن هذا التوحيد فقولوا لهم اشهدوا بأننا نحن المسلمون دونكم وهذا كلام الواثق الذي يعتقد أن الأدلة والعقول السليمة كلها بحاجته

ثم ذكر سبحانه في سياق دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ما يدل على أنه دين جميع الأنبياء الذين يجلبونهم وكانت قريش تحل إبراهيم عليه السلام، وتدعى أنها على دينه، هبى سبحانه لهم جميعاً من يهود ونصارى ومشركين أن إبراهيم الذي يجلبونه لم يكن على شيء مما هم عليه الآن، وإنما كان على الإسلام الذي يدعوهم إليه سبحانه على لسان نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فقال ﴿يا أهل الكتاب﴾ إلح ﴿أي لم تحادلوا في دين إبراهيم ويدعى كل منكم أن دين إبراهيم هو الدين الذي أنتم عليه ثم أقام سبحانه الحجة على الكتابيين بقوله ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعد﴾. أي أن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى نحو ألف سنة وبين موسى وعيسى نحو ألفين، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا من بعد عهده بقرون طويلة. أهلا نفعلون أن المتقدم على شيء لا يمكن أن يكون نابعا له؟ ياهؤلاء حادلتكم فيما لكم به نوع علم لقرب عهدكم به ووجود كتابه بأيديكم وهو موسى وعيسى، ومع ذلك انحرف علمكم فطعت اليهود في عيسى

وَلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوِ يَصْطَلُوكُمْ وَاللَّهُ يَصْنَعُ لَآ أُنَاسِهِمْ دُمًّا يُفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾
يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ بِمَ تَكْفُرُونَ بِدِينِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تُنْفَرُونَ ﴿٥٧﴾ يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ بِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبُاطِلِ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ هَٰؤُلَاءِ بِاللَّهِ لَارِلٌ عَلَى الَّذِينَ هَٰؤُلَاءِ وَجْهَ
النَّارِ وَأَكْفَرُوا هَٰؤُلَاءِ لَعَنَهُمُ الرَّحْمَنُ ارْجِعُوا ﴿٥٩﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا
إِلَّا بِسَمِيعِ دِينِكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّى
أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَتمْ أَوْ يُخَفَّرَ عَذَابُكُمْ قُلْ إِنْ
أَفْعَلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
مَخْصَصٌ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّلَ يُفْطِنُ بُوْدُهُ، إِلَيْكَ

والهتة النصارى، فكيف تحادلون فيما ليس
لكم به علم، وهو كون إبراهيم يهوديا او
نصرانيا، والله تعالى وحده هو الذى يعلم
الحق وانتم لاتعلمون،

فيجب ان ترجعوا اليه.

ولما كان مشركوا العرب يدعون ايضا أنهم
على ملة إبراهيم ويسمونه أنصهم الحنماء،
أى اتباع إبراهيم رد على الجميع بأن إبراهيم
ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا
كمشركى العرب. إن أحق الناس بالانتساب
لإبراهيم هم الذين اتبعوه فى دینه الحق فى
عصره أو بعده ومنهم هذا النبى محمد،
والذين آمنوا من أمته.

﴿ولى المؤمنين﴾ منولى أمورهم وحافظهم ﴿ودت﴾ رحت وتمت ﴿طائفة من هل
الكتاب﴾. هم أشد اليهود حبا. ﴿تلبسون﴾. تحلطون

﴿وجه النهار﴾ أوله ﴿لاتؤمنوا، إلا لم سمع ديبكم﴾ أى لانصدقوا إلا من سمع ديبكم يصل
امن هلال لملان أى صدقه فيما يقول، انظر الآية (١٧) من سورة يوسف صمحتى ٢٠٤ ٢٠٥
والآية (٢٦) من سورة العنكبوت صمحة ٥٢٤.

﴿قنطار﴾ المراد به المال الكثير

المعنى والله منولى أمور المؤمنين به لدس لابتغهمون لغيره فى كشف صر أو طلب بيع، وكان
اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين وحرصا على صرفهم عن دينهم حتى بلغ من حرصهم هد
أن يتجأوا فيطلبوا من بعض كبار الصحابة كمعاد بن حبل وحديمة بن البمان أن يدحوا فى
اليهودية بدعوى أنها دين إبراهيم أنى الأشياء، وتمسوا فى عرقلة الدعوة المحمدية هونا شس

اعظمها ماسياتى في الآية (٧٢) الآتية في هذه الصفحة وانظر الآية (١٢٠) من سورة البقرة صفحة ٢٢، فقال في ذلك سبحانه ودت طائفة من اليهود أن يضلوكم، وما يضلون بعملهم هذا إلا أنفسهم؛ لأن العذاب سيصاعف لهم مرة على ضلالهم ومرة على محاولتهم إضلال غيرهم، انظر الآيتين (٦٧)، (٦٨) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠، ٥٦١، وما يشعرون بهذا الخطر لشدة حسدهم للنبي ﷺ. ثم وبغهم بندا ثم بوصف أنهم أهل كتاب سماوى من شأنه أن يزجرهم عن الباطل فقال ياهل الكتاب لم تكفرون أى تجعلون الأدلة التي بينها الله لكم في التوراة والإنجيل الدالة على صدق محمد وأنتم تشهدون أى تعترفون في صميم قلوبكم ولكنكم تعادون حسدا. ياهل الكتاب لم تحلظون الحق الذى جاء في كتبكم من عند الله بالباطل الذى اهتراء أحباركم ورهبانكم وتكتمون الحق من أن محمد رسول الله وأنتم تعلمون. ههنا الكلام توبيخ شديد.

وقامت طائفة من اليهود لبعض منهم. اظهروا إيمانكم بالقرآن أول النهار واكفروا به آخره ليظهر لمن دخل فيه من المسلمين أنه دين باطل بدليل انصراف أهل الكتاب عنه بعد الدخول فيه فخرج من أسلم إلى الشرك ثانيا. وقال أيضا خبئاء اليهود لأنباغهم: لاتصدقوا أحدا في أمور الدين إلا إذا كان يهوديا، لأن اليهود أباء الله وأحباؤه كما في الآية (١٨) من سورة المائدة صفحات ١٢٩، ١٤٠. قل أيها النبي ردنا عليهم إن الهدى إلى الحق هدى الله يعطيه من يشاء من خلقه وليس لأرما لشعب معين. وهذه جملة جاءت بين كلام اليهود لتمجيد الرد عليهم، وبقيّة كلامهم أن يؤتى إلخ أى يؤتى الله أحدا غير يهودى نبوة أو غيرها من الفضائل متلما آتاكم. ولاتصدقوا أن أحدا يقيم عليكم حجة يوم القيامة عند ربكم، قل أيها النبي في تكميل الرد عليهم إن الفضل بالنبوة وغيرها بيد الله يؤتية من يشاء من خلقه، وهو أعلم بمن يستحق رسالته من غير تقييد بجنس دون جنس. والله واسع الفضل عليم بمن يستحق، والله هو الذى يحتص برحمته من نبوة ورسالة وغيرها من يشاء، كررها ليبطل شدة فتنتهم، وهو وحده ذو الفضل العظيم، وفي الوقت الذى بلغ فيه تعصب اليهود هذا الحد يقرر القرآن أن أساس الإسلام مدح كل مستقيم مهما كان جسده فيقول: ومن أهل الكتاب آمناء إذا أمنت أحوالهم على مال كثير يؤدى الأمانة.

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذْ نَامَتْ بُدُسُ لَا يُوَفِّقُهُ الْإِلَهِ إِلَّا مَادَمَتْ
عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلِدْ
سَبِيلٌ وَهُمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَآمَنَ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْغَيْثُ ﴿٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَعْتَاهُمْ تَمَنًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ
لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْسُخُ
بِهِمْ يَوْمَ الْعِقَابِ وَلَا يُمْسِكُهُمْ وَهُمْ عَذَابُ الِئِيمِ ﴿٧٧﴾
وَإِنْ يَتُوبَا إِلَى اللَّهِ وَيَتُوبَا إِلَى الْبَشَرِ لَئِنْ يَتُوبَا
لَا يَكُنَّ عَلَيْهِمْ الْعُقُوبَةُ أُولَئِكَ مَن يُرِيدُ الْعِزَّةَ
لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ وَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْإِثْمِ
وَالْعُبْثِ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ بِمَشْرِيقِهَا نَبَأٌ لَّغْوٍ وَلَا عِلْمٍ
لَّيْسَ كُفُّوا عَمَّا فِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ

﴿دسار﴾ هو عند العرب يساوي بالعملة
المصرية في عصرنا ثلاثة أحماس الجنيه
الذهب ﴿لامسين﴾ جمع آمن وهو لفظ
يطلق على من لا يعرف القراءة والكتابة،
نسبته إلى أمه أي فهو كيوم ولدته أمه، ومن
هذا قوله تعالى ﴿الرسول النبي الأمي﴾
وقوله سبحانه ﴿بعث في الأميين رسولا﴾
ويطلق أيضا على المسبوب للأمة ﴿واحدة
الأمم﴾. وهذا المصطفى الثاني هو المناسب في
هذه الآية لأنه الموافق لما جاء في كتبهم، فقد
جاء في التوراة التي بأيديهم اليوم في
الإصحاح ٢٢ من سفر التثنية (لا تقررص

أحاك، أي اليهود، بربا، وللأحمى تقررص بربا) هم يريدون بالأحمى كل الأمم غيرهم، وجاء
بظير ذلك في سفر الحروع إصحاح ٢٢، ٢٥ وكذا في سفر اللاويين أي الأحبار في الإصحاح
٢٥، ٣٥ وكل ذلك مما حرهوه من التوراة ونسبوه إلى الله تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك علواً
كبيرا انظر الآية (٧٩) من سورة البقرة صفحة ١٥ ويريدون بالأميين لعرب لأنهم أمة أمية
كثيرا لا يقر، كما تقدم في الآية (٢٠) من هذه السورة صمعتي ٦٥، ٦٦ والآية (٢) من سورة
الجمعة صفحة ٧٤١ ﴿بلى﴾ حرف يدل على إبطال النفي الذي قبله وإشارات بقيصه، انظر
تفصيل ذلك في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

﴿لا حلاق لهم﴾ أي لا نصيب لهم في نعيم الآخرة.

﴿يلوون السنتهم بالكتاب﴾ أصل اللى هل الحمل والميل به عن الاتجاه المستقيم، والمراد به
هنا تحريف التوراه وصرها إلى ما يريدون. وقد جاء وصمهم بذلك في الآية (٤٦) من سورة

النساء صفحة ٨ ١ وسيأتى مداه (أن يؤمن الله الكتاب) المراد بالكتاب هنا الإنجيل و تحكم
 أى العلم الصحيح ومعرفة أمرار الأشياء.

المعنى ومن اليهود من يحون ويسحل أموال غير اليهودى بحث لو منه على دينار واحد
 لا يرحمه بليل إلا إذا انقلب عليه ولا رمة بالميام على رأسه ليلا ونهارا وسبب محاولة حياة
 هذه أنهم يرغمون أن لنورة تحل لهم اكل أموال كل الامم غير اليهود فليس عليهم سبيل أى
 دين فى ذلك، ويقول هؤلاء اليهود هذا الكذب المصنوع وهم يعلمون أنهم كاذبون ثم رد
 سبحانه عليهم فقال بل أى بل عليكم اثم كبير فى استغلال أموال الناس والحققة المقررة
 على لسان جميع رسله هى أن من أوفى بعهد الذى عاهد عليه الناس كالوفاء بالدين
 والأمانات وأمر فلم يعص ربه فى شيء، فإن الله يحبه لانه سبحانه يحب المتقين ومن أحبه
 الله فإن سعادته بر الدين يستندون بالوفاء بعهد الله الذى أحده عليهم فى كتبهم من
 لإيمان بالنبي المشر به المبينة صفته عندهم فى التوراة والإنجيل كما سيأتى قريبا فى الآية
 (٨١) من هذه السورة صفحة ٧٦، ويستندون بأيمانهم التى بحلصونها كاذبين ليأكلوا أموال
 الناس بالباطل الذين يستندون بكل ذلك ثمنا قليلاً هو مناع الدنيا الرائل، لا نصيب لهم فى
 نعيم الآخرة ولا نكلمهم بله تعالى بما يسرهم ويخرج عنهم كربا ولا يطر اليهم بظر عطف
 ورحمة، ولا تركيهم أى يطهرهم من حيث الدنوب بالمعصية فتكون احترتهم المسحقة عليهم أنهم
 فى عذاب أليم، وإن من يهود فرقاً هم علماءهم بحرفون التوراة بوضع لفظ مكان لفظ، أو
 بتفسيرها بعد المراد أو بقراءه شيء من كلامهم بغير قراءة التوراة ليظنه السامع من لنورة
 وما هو منها ويقولون هذا المحرف لفظه أو معناه من عند الله وما هو من عند الله، ويمترون
 على الله الكذب لكثير من هذا وعمره وهم يعلمون أنهم كاذبون، وهذا أقبح أنواع لدنوب ثم
 رد سبحانه على الدين عدواً لمسيح من النصارى بقوله ﴿ما كان لبشر﴾ أى مكان لبشر مخلوق
 بله أن يؤنيه الله من فضله لكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون توحيده الله
 بالعبادة والمراد ما كان حائراً منه ن يجمع بين أحل نعمه وأكبر جريمة ولكن الذى يصح أن
 يصدر عنه هو أن يقول للناس كونوا عباداً لله عز وجل.

كُونُوا رَبَّيْسَ عَمَّا كُنْتُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الصَّنِيعَةَ وَالْبَيْسَ
أَرْبَابًا أَيَاْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٧﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّمَا أَنَا رَبُّكُمْ مِنْ كُنْهٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ نَتْلُو عَلَيْهِ
وَأَنصُرُهُمْ قُلُوبًا وَأَفْرُوزُهُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرًا
فَقَالُوا أَتُزَكِّيهِمْ وَلَهُنَّ أَلْفُ سَنَةٍ مِنْ آثَابِكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾
فَلَمْ تَكُنْ بِعَدَدِ ذَٰلِكَ مَلَكًا مُصَدِّقًا لِمَا الْفُتُورُ ﴿٢٩﴾
أَقْبَلِ دِينَ اللَّهِ يَتْلُو وَهُوَ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَ
وَمَا أَتَىٰ عَلَيْهِمَا وَمَا أَتَىٰ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا لَوْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ وَجِئْنَا بِالْبُرْهَانِ

﴿ربانيين﴾: الرباني منسوب إلى الرب

مباشرة لأنه شديد التمسك بطاعته. ومن
أفضل الربانيين العلماء العاملون.

﴿تدرسون﴾: أصل الدرس التكرار. فالمراد

تكونون دارسين له فاهمين ﴿بعد إذ اسم
مسلمون﴾. المراد بعد ثبوت إسلامكم.

﴿ميثاق البين﴾: الميثاق العهد الموثق أي

المؤكد من كتاب منزل وحكمة أي علم بأسرار الشريعة.

﴿إصري﴾: عهدي. ﴿أسلم﴾: أي خضع

وانقاد. ﴿الأسباط﴾ هم أولاد يعقوب الاثنا

عشر انظر الآية (١٣٦) من سورة البقرة

صفحة ٢٦.

المعنى ولكن يقول الناس كونوا شديدي التمسك بطاعة الله لتنتشروا باستسائكم إليه ومن
أسباب نشرهم هذا أن تعلموا غيركم ما هي الكتاب المنزل على رسولكم، وأن تكتفوا درسته
لتفهموه حق فهمهم وقدم النعيم على العذاب مع أنه مؤخر عنه هي الوجود للإشارة إلى كثرة
ثواب التعليم لأنه طاعة وصل يصعها للغير فالمراد أن الوسيلة الصحيحة الموصلة إلى رضا
الرب هي علم الكتاب وتعليمه والعمل به. وبدون ذلك لا يكون الإنسان ربانيا ولا يأمركم من آتاه
الله الكتاب والحكمة بأن نتحدوا الملائكة والسير الرباني كما تقول العرب الملائكة سات الله.
انظر الآية (١٦) وما بعدها من سورة الرحرف صمحتي ٦٤٨، ٦٤٩. وكما قال بعض ليهود
الفرير من الله، والنصارى قالوا المسيح بن الله أي واس الرب لا بد أن يكون ربا مثله هل يصح

- | | | | | |
|---------------|----------------|---------------|---------------|--------------|
| (١) ربانيين. | (٢) الكتاب. | (٣) الملائكة. | (٤) والسير. | (٥) ميثاق |
| (٦) النبين. | (٧) كتاب. | (٨) الشاهدين. | (٩) المسلمون. | (١٠) السموات |
| (١١) إبراهيم. | (١٢) وإسماعيل. | (١٣) وإسحاق | | |

أن يأمركم النبي بالكفر بعد إسلامكم بالطهارة التي فطر الله تعالى الناس عليها؟ فالمراد أن الرسول جاء ليحارب من يفسد طهارة الله لا ليفسدها هو. واذكر حين أحد الله العهد على النبيين وعلى أممهم بواسطة أنبيائهم مؤكدين العهد على أن الذي أعطيتكم آياه من كتاب وحكمة إذ جاءكم به رسول آخر مصدق للكتاب الذي معكم لتؤمن بهذا الرسول ولتصبره على من يحاربه. ثم قال تعالى للأنبياء بعد أحد هذا العهد أنقررتم بهذا العهد وأحدثتم على الأيمان بكل رسول يأتي بعدكم وعلى نصرته عهدي على أممكم؟

قال النبيون أقررنا أي وأحدنا العهد على أممنا. أي قال ذلك كل واحد منهم في وقته قال سبحانه فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. وهذا تحدير شديد انظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧ والآية (٨٩) من سورة النحل صفحتي ٢٥٧، ٢٥٨.

فمن تولى بعد هذا الميثاق المؤكد بأن بقصه علم يؤمن بالرسول الآتي بعد رسوله مؤيداً بالمعجرات فهو هاسق أي خارج عن طاعة ربه، وحرأؤه جهنم خالداً فيها ثم بعد هذا البيان يعرض هؤلاء الكفار عن الأيمان فيطلبون ديناً غير دين الله الذي ارتضاه لكل الأنبياء وهو الإسلام والحال أنه له سبحانه وحده حصص وانقاد جميع من في السموات والأرض من العقلاء طائعين وكارهين والانقياد كرها هو ما يكون من الكافر عند الشدائد كما حصل لمرعون عند العرق، انظر الآية (٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠. وكما يحصل لكل كافر عند مشاهدة الموت، وعند شدائد متى لاستطيع الخلاص منها، انظر الآية (٦٥) من سورة العنكبوت صفحتي ٥٢٩، ٥٣٠ والآية (٣٢) من سورة لقمان صفحتي ٥٤٢، ٥٤٤ وإليه سبحانه يرجع الجميع يوم القيامة فيحاربهم وقل لهم أيها النبي أنت وأمتك نحن أمنا بالله وما أرسل عينا من القرآن، وتقدم مثلها في الآية (١٣٦) من سورة البقرة صفحة ٢٦ وما أرسل على إبراهيم ومن بعده من الأنبياء، وما أوتى السيوف كداود وسليمان وأيوب وغيرهم وما أرسل الله تعالى على إبراهيم وموسى منه ما فصله القرآن فتؤمن به كذلك كما في الآية (١٤) إلى آخر سورة الأعلى صفحة ٨٠٤ والآية (٣٦) وما بعدها من سورة النجم صفحة ٧٠٢. ومنه ما جاء محمداً فتؤمن به كذلك كما هذا وكما في الآية (١٣٦) والآية (١٦٣) من سورة النساء صفحتي ١٢٦، ١٣١.

﴿يَسْتَعِظُ﴾ يطلب. ﴿الْبَيْعَاتِ﴾ الأدلة
لظاهرة.

المعنى: وآمننا بما أوتى النبيون كداود
وسليمان وإيوب وغيرهم. لا نعرق في الإيمان
بين أحد منهم كما عرق أهل الكتاب قبلنا
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. كما تقدم في
الآية ﴿٢٨٥﴾ من سورة البقرة صفحات ٦١،
٦٢. ونحن لله وحده مستسلمون أي مفادون
بإخلاص. ومن يطلب ديناً غير الإسلام الذي
هو دين جميع الأنبياء كما تقدم في الآية
(١٩) فلن يقبل منه، ولذا يكون في الآخرة من
الخاصين لكل خير. كيف يهدي الله قوماً هم
أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد

مِنْ دِينِهِمْ لَا يَغْرِقُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٨٥﴾
وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
نَعَدَ الْيَهُودَ وَنَحَرُوا أَلْسِنَهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨٧﴾ تَوْبَتُكَ إِذْ أَوْفَّقَهُمْ
فَإِنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢٨٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَحْصِفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُطْرَقُونَ ﴿٢٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٩٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
كُفْرًا لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٢٩١﴾
إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْأَرْضِ ذَهَبَ وَتَوَّافَتِ يَدَايَهُ أَتُوبَتُكُمْ عَنْ عَذَابِ

إيمانهم بأن الذي تنطبق عليه الصفات المذكورة عندهم في التوبة ولا يحيل هو الرسول من
عند الله. ولما جاء محمد ﷺ قروا في نصحه به صاحب تلك الصفات، وأنه النبي المشرقة في
التوبة والإحليل، خصوصاً وقد أتت ما هي كسهم بالنعمة والهداية على صدقه انظر
الآيتين (٨٩، ١٤٦) من سورة البقرة صفحات ١٧، ٢٨ والله لا يهدي لقوم الظالمين لأن
ستمرهم على الظلم والحدود بمعصيته من سلوك أسباب الهداية هؤلاء الذين كفروا بعد
علم حسداً عليهم لعنة الله أي سحقه نوحاً لطردهم عن رحمته، وعسى لعنة الملائكة
والناس أجمعين، انظر الآية (٢٥) من سورة البقرة صفحات ٥٢، ٥٣

خالدتين هي آثار تلك اللعنة وهي جهنم، لا يحصف عنهم لعذاب ولا يؤخرون عن دخولها لا
الذين تابوا من بعد ظلمهم المانع من الهدى وأصلحوا بموسمهم بالأعمال الصالحة ليس تعفو

- | | | |
|--------------|---------------|---------------|
| (١) الإسلام. | (٢) الخاسرين. | (٣) إيمانهم |
| (٤) البيئات. | (٥) الظالمين. | (٦) والملائكة |
| (٧) خالدتين. | (٨) إيمانهم | |

ثار الديوب لأن الله تعالى يعصم لمن تاب رحيم بفتح باب التوبة للمدب إن لدس كصروا
 بمحمد بعد إيمانهم بصفاته التي هي كنسهم وشهادتهم وقرارهم بأن صاحبها هو لرسول
 المنتظر، ثم اردادوا كصرا بمحاربتهم محمداً وإيدائه والصد عن دسه بالكيد، لن تقبل توبتهم من
 الديوب لرائدة عسى دب الكفر لأن الله تعالى لايمبل توبة من كافر عن دب مادام على كفره
 أما إذا تاب من أصل الكفر ثم ادب بعد ذلك فإن الله تعالى يقبل توبته ما دسبه التي رتكها
 وهو كافر كالقتل أو غيره فإنه الله تعالى يمحوها بمجرد إيمانه كما هي الآية (٣٨) من سورة
 الأنفال صفحة ٢٢٢ وهؤلاء الكافرون الذين اردادوا كصراً ومدتوا على كصروهم لن يقبل من
 أحدهم ملء الأرض ذهباً إذا مكن ر يملكه، سراء تصدق به لينقد نفسه أو اقتدى به لمن
 يمكن أن يأخذه منه ليمديه انظر الآية (١٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢١

فهؤلاء ليس لهم لا العذاب الشديد إلا في أقسام لكافر هنا ثلاثة من يتوب من الكفر
 توبة مقبولة ويعمل صالحاً فهذا يستحق العصمة والرحمة والثاني من يتوب توبة غير مقبولة
 لأنه يتوب عن دب مع لبقاء على لكفر عنو تاب عن الكفر ولا ثم ادب بعد ذلك وتاب منه
 فإن الله تعالى يتوب عليه و لثالث من مات وهو كافر فهذا خالد في النار سأل الله تعالى
 تساماً

﴿البز﴾ تحير الوسع ﴿حلاً﴾ ر حلاً انظر ﴿وطعام الدين أوتوا الكتاب حل لكم﴾
 الآية (٥) من سورة المائدة صفحة ١٢٦.

﴿إسرائيل﴾ لقب نبي الله يعقوب ثم أطلق على ذريته.

﴿حرم إسرائيل﴾ المراد بإسرائيل هنا هم اليهود من أولاد يعقوب

ومعنى تحريمهم على أنفسهم أنهم تسبوا بظلمهم في أن الله حردهم عليهم طيبات كانت
 حلالاً لهم تأديباً لهم.

﴿من قبل أن نزل التوراة﴾ متعلق بـ ﴿حرم﴾ بمعنى تسب في التحريم

الْيَمِّ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴿١٦﴾ نَسُوا الْآيَاتِ الَّتِي هُتِفُوا بِهَا فِي سَاعَاتِهِمْ لِيَخْلُتُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا تُعْقِرُوا مِنْ شَيْءٍ وَهَذَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ كُلُّ الشَّيْءِ كَانَ جَلًّا لَيْتِي إِسْرَؤِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَؤِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْوَرْدَةُ قُلْ مَا تَزَوَّجُوا مِنَ الْوَرْدَةِ فَإِنْ أُوتِيتُمْ فَاقْبَلُوا وَإِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ فَاصْبِرُوا ۚ قُلْ أَصْبِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ بِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ دَعَا إِلَى الْوَاقِعِ الْقَائِمِ فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ جَمِيعًا ۚ قُلْ الْبَيْتُ الَّذِي أُنشِئَ لِلَّهِ سِبْطًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ يَتَأَفَّلُ الْكَافِرُ إِنْ كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ

﴿حيفا﴾: المراد بعيدا عن كل باطل ﴿اول بيت﴾: المراد بالميت الكعبة المشرفة، والأولية رمزية بالنسبة لبيوت العبادة الصحيحة التي بناها الأنبياء، قال صاحب المنار هليس في الأرض مكان عبادة بناء الأنبياء أقدم منه، وهذا يستلزم أولية الشرف، ﴿وضع للناس﴾ المراد بناء نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام بأمره سبحانه وتعالى ليكون مكان عبادة للناس انظر الآية (١٢٧) من سورة البقرة صفحة ٢٥. أما بيت المقدس والذي بناه نبي الله داود وجدده ابنه سليمان عليهما السلام، وكان ذلك بعد عهد إبراهيم

عليه السلام بعدة قرون قال ابن كثير ما يروى أن أول من سى الكعبة آدم عليه السلام غير صحيح ومنقول من الإسرائيليات.

﴿بكة﴾: قال كثير من العلماء بكة هي مكة.

﴿مباركا﴾ هذا بيان لحال من حالات البيت وهو أنه مقارن للبركة التي يظهر أثرها فيما يخاص على حيرانه والمعاندين حوله من ثمرات الأرض وبحسب إليه حيرات لعالم استحابة لدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿هدى للعالمين﴾ أي مكان عبادة وذكرات صالحة تهدي لسعادة هي الدارين ﴿آيات بيّنات﴾ أي دلائل وعلامات ظاهرة على أنه وصيغ بأمر لله سبحانه وأنه محل تكريمه وأنه سبحانه وعد أهله بالأمان استحابة لدعوة إبراهيم عليه السلام

(١) ناصريون	(٢)، (٣) إسرائيل	(٤)، (٥) المورقة	(٦) صادفون
(٧) الظالمون	(٨) إبراهيم	(٩) للعالمين	(١٠) آيات
(١١) بيّنات	(١٢) إبراهيم	(١٣) العالمين	(١٤) الكتاب

﴿مقام إبراهيم﴾: أطلق مقام إبراهيم على الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع جدارها ثم أطلق على المكان الذي كان إبراهيم عليه السلام يصلي فيه حول الكعبة بجوار هذا الحجر، ولذا قال بعضهم: مقام إبراهيم هنا هو موضع قيامه للصلاة، وأمرنا بالصلاة فيه. انظر الآية (١٢٥) من سورة البقرة صفحة ٢٤.

قال ابن عباس: الحرم كله مقام إبراهيم.

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: المراد مَنْ دخل حرم البيت الذي حرم الله المعاصي فيه، وليس المراد مَنْ دخل في جوف البيت نفسه، انظر الآية (٥٧) من سورة القصص صفحة ٥١٥. وهذه علامة أيضاً من علامات إكرام الله تعالى لهذا البيت محل اتفاق بين جميع قبائل العرب. قال صاحب تفسير المنار وليس معنى ذلك أن الخلق تعجز عن إيذاء مَنْ دخل البيت على سبيل خرق العادة بمعنى أنه يكون معجزة، ليس المراد ذلك ولكن المراد أنه تعالى ألهمهم احترام البيت لاعتقادهم بسبته إليه سبحانه وتعالى، وإلى جدهم إبراهيم عليه السلام، وبذلك فلا يُرَدُّ أن الحجاج ضرب مَنْ كان يداخله في أول عهد بني أمية، لأنه ما فعل ذلك مستحلاً ولا كان كافراً، بل فعله وهو يعلم أنه بذلك عصي ربه تبارك وتعالى، وما حملته على ذلك إلا السياسة التي تحمل صاحبها على مخالفة ما يعتقد أنه حق، وتوقعه في كثير من المظالم.

المعنى، ومالهم مَنْ ينصروهم بمنع العذاب. ثم بيّن سبحانه أن علامة الإيمان الصحيح هو الإنفاق في الخير كما في الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحات ٢٢، ٢٤. فقال سبحانه، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَى الْخَيْرِ حَتَّى تَنفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ. فَإِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْكُمْ تَصِلُونَ مَاعِدَ اللَّهِ. وَمَا تَنفَقُوا مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ مَحْبُوبٌ أَوْ غَيْرِ مَحْبُوبٍ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُهُ وَيَجَازِي عَلَى حَسَبِهِ.

وكان اليهود لا يكفون عن عرقلة دعونه ﷺ بكل ما يظنون به يبلبل الأفكار، فمرة يقولون لو كان محمد على ملة إبراهيم والنبيين كما يدعى لما استحل ما كان محرماً عليهم كلحوم الإبل والبيانها. ومرة قالوا إن جميع الأنبياء من إسحاق بن إبراهيم كانوا يصلون إلى بيت المقدس فلو

كان محمد على ما كانوا عليه لما تحول إلى الكعبة فابطل سبحانه ذلك بقوله كل الطعام كن حلالا لى يعقوب إلا ما تسبوا في تحريمه على أنفسهم حيث ظنوا ورنكو سيئات كثيرة فتصت أن يعاقبهم الله تعالى. فابرل سبحانه في السورة تحريم بعض الطيبات كما في الآية (٥) من سورة النساء صفحة ١٢٦ فكانت جرأتهم المتسببة في التحريم سابقة برول التوراة. فقل لهم أيها النى مقيماً الحجة عليهم فأتوا بالتوراة فأنكروا إن كنتم صادقين في قولكم إن التحريم كان قبل التوراة لأن جميع المعلومات كانت قبل برول التوراة حلالاً لجميع بحكم أن الأصل هو الحل في كل الأشياء والتحريم لا يكون إلا بدليل انظر الآية (٢٩) من سورة البقرة صفحة ٧ وانظر ما حرمه الله عليهم وسببه في الآيات (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨ و(١٦٠، ١٦١) من سورة النساء صفحة ١٢ فهذا لم تأتوا بالتوراة ثبت كذبكم على الله تعالى ومن افترى على الله الكذب من بعد ما رمته الحجة فهو طالم لنفسه بعدم ترك الحسد موجب للهلك. فإد لم يأتوا بالتوراة ولم يأتوا بها فقل لهم تسجيلاً لبيهم صدق الله فيما أخبر به من عدم تحريم شيء على إسرائيل قبل التوراة وإذا كان الأمر كذلك وأردتم الحياة فاتبعوا ملة إبراهيم إلح تقدم بيابها في الآية (٦٧) من هذه السورة صفحة ٧٢ فالانجاء إلى الكعبة اتباع لإبراهيم لا إعر من عن ملته كما ترعمون مباركاً وهدى فيه فصيلة حسبه في تواهر ثمرات الأرض لحيرانه مع انه في وار عبر دى زرع ومعوية وهي أنه مكان هداية بالحج والصلاة إليه وهي الحج والصلاة ما لا يحمر من أسباب الهدية وهي هد البيت أدلة ظاهرة على أنه من صنع الله ومحل تكريمه منها مقام إبراهيم ومعروفة جميع قائل العرب ذلك باليقين دليل على صدق القرن في أن إبراهيم هو الذى بناء. ومن أدلة تكريمه أن الذى يدخل في حرمة يكون أما من كل سوء انق على ذلك جميع العرب. فكان الرجل يلقي فيه قاتل أبيه فلا يؤديه، وحتى الحيوان يمدو ويروح فيه لايمسه أحد بسوء. جرى على ذلك العرب دهوراً طوبة إلى يومنا ومن علامات تكريمه وحوب الحج إليه ليكون اجتماع كبار المسلمين عنده مهيتاً لهم بعد التعاون والتالف لبحث كل ما يعود على الإسلام بالعر وعلى أهله بالسعادة ومارال الناس يحافظون على ذلك من عهد إبراهيم إلى عهد نبينا محمد عليهما الصلاة

يَعَايِشِ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ يَتْلُقَ
الْكِتَابَ لِمَ تُصَدِّدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن قَائِمٍ تَعْرِبُهَا
عُوجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۖ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾
يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ لَنُطَبِّعُنَا قُرْبَانِ الَّذِينَ ءَاتُوا
الْكِتَابَ بِرَدٍّ وَلَمْ يَذْكُرُوا لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْتَبُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَذَّبَ
تَكْفُرًا ۚ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَرِسَالَاتِ رَسُولِهِ
وَمَا يَتَّبِعُكُمْ بِاللَّهِ فَتَذَكُّرُوا ۚ وَإِن مَّرِضْتُمْ أَوْ كُنْتُمْ
بِطَرِيقِ الْغَايَةِ أَوْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ
وَأَنتُمْ مُتْلُونَ ﴿٥٧﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
فُلُوكَ فَمِنْهُنَّ لَمُتْهُنَّ وَمِنْهُنَّ لَمُتْهُنَّ وَمِنْهُنَّ لَمُتْهُنَّ وَمِنْهُنَّ
لَمُتْهُنَّ ۚ فَانقَضَتْ أَوَافِقُ الْغَايَةِ وَمِنْهُنَّ لَمُتْهُنَّ ۚ فَانقَضَتْ

والسلام. ولم يجمع العرب من ذلك ما طرا
عليهم من الشرك. ومن كسر أى جحد أن هذا
بين الله الذي كرمه بكل ما سبق وأن إبراهيم
هو بانيه بعد هذه الأدلة فلا يضر إلا نفسه؛
لأن الله تعالى غنى عن العالمين جميعا. وهم
المقراء إلى فضله ورحمته. وبعد ما أقام
سبعانه الدليل على أن محمدا على ملة
إبراهيم أمر نبيه ﷺ أن يوجههم على
إصرارهم على الضلال فقال: قل يا أهل
الكتاب لم تكفرون أى تصرون على الكفر.

«تبتونها عوجا»: أى تقصدون بصدكم
عنها جعلها معوجة فى نظر الناس. «وأنتم

شهداء» أى عالمون من كتبكم ومقررون بأنها حق انظر الآية (٨٤) من سورة البقرة صفحة ١٦

«يعتصم بالله» يتمسك بدينه «اتقوا الله حق تقاته» هى أن يطاق فلا يعصى. ويشكر
فلا يكفر ويدكر فلا يسيى «واعتصموا بحبل الله» أى تمسكوا بحبل الله المتين الذى هو
القرآن «شعا حصرة» أى طرف حصرة من جهنم. والمراد كنتم قريبين من الوقوع فى جهنم لولا
أن تدارككم الله بالإسلام وهذا تمثيل للمعنويات بالحسيات كما هو أسلوب العرب عند
الترعيب أو التتميم انظر الآية (٦٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩١، والآية (٣٠) من سورة ق
صفحة ٦٩٠.

المعنى ما الذى يحملكم على الكفر بآيات الله وقراءه، مع أن الله مطلع على أعمالكم. أفلا
تعدون عما به. وقل لهم لم تصدون عن سبيل الله أى تحاولون صرف من آمن بشبه وتشكيكات

تقصّدون بها حمل سبيل الله معوجة في نظر من يعتز بكمّكم وأنتم تعلمون من كنكم بها سبيل الله المستقيم وما الله بغافل عما تعملون من هذا الصد وغيره من جرائمكم وسيحاسبكم عليها. ولم يكف حبثاء اليهود الكيد بالتشكيك في تحليل بعض الطعام وفي حمل الكعبة قلة كما تقدم، بل عمدوا إلى نوع آخر ليحبطوا الدعوة المحمدية وهي في مهدها ذلك انهم يعلمون أنه كان بين قبائل المسلمين في الجاهلية فت وحروب ساند فيها الطرفان بالشعر والشرا فأرادوا إثارة ذكراها لتنقد نار الفتنة من حديد هيتم لهم ما أرادوا، فأرسلوا علاماً في مجتمع المسلمين يشدد الشعر الذي قيل أيام تلك الحروب، فأثار هذا الشعر بعض ما كان بين الأوس والخزرج أكبر قبائل الأنصار من كره وعداوة، وكادوا يقتتلون فأدركهم النبي ﷺ وحل بينهم وقال أترحمون إلى غلطة الجاهلية وأنا ما رلت ببيكم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام وألف بين قلوبكم؟ وعند ذلك أدرك الجميع أنها سرعة شيطانية فبكوا وعانق بعضهم بعضاً فأمر الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن نطيقوا فريقاً من الذين آوتوا الكتاب» يقصد حبثاء اليهود، يردوكم بعد إيمانكم إلى الكفر وكيف تكفرون أي لا يصح ذلك وأنتم تتلى عليكم آيات الله من القرآن الذي لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله.

وأيضاً حاصر بيكم رسول الله يريل شيهاتكم ويرسم لكم طريق خلاصكم، ومن يتمسك بدين الله محقد هدى إلى طريق مستقيم موصل لدار الميم يا أيها الذين آمنوا تقوا الله حق تقوه، وحافظوا على إسلامكم في كل لحظة حتى لا يماحنكم الموت إلا وأنتم مسلمون وبمسكو بالقرآن الذي هو حل الله المتين ولا تعملوا ما فيه تمرفكم شيعاً وأحر بآ. نظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩ وذكروا بعمة الله عليكم إذ كنت في الجاهلية أعداء فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بركة نعمته تعالى إخواناً متحابين وذكروا انكم كنتم بسب كفركم على طرف حصره من نار جهنم أي ليس ببيكم وبين الوقوع في جهنم إلا الموت على الكفر فأندكم الله منها بالإيمان، كهذا البيان البديع يبين الله لكم دائماً دلائل طرق الخير.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَتَرَفَّعُوا وَخَلَعُوا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٢﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَادْعُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ
فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدُ ظُلُمَاتٍ قَاتِلِينَ ﴿١٦٥﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿١٦٦﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آتَى

﴿أمة﴾ - جماعة. ﴿يدعون﴾ - المراد يطلبون
الناس إلى عمل الخير، سواء كان الطلب
بالأمر أو النهي و ﴿الخير﴾ هو كل عمل فيه
صلاح الدين أو الدنيا. ﴿ويأمررون بالمعروف
وينهون عن المنكر﴾: من عظم المصطل على
المجمل، وهو له وقع على النفوس أقوى من
الاقتضار على المصطل وحده، و ﴿المعروف﴾
هو العمل المعروف نفعه شرعاً وعقلاً من كل
ما فيه صلاح الدين والدنيا، و ﴿المنكر﴾ هو
كل ما تنكره الشريعة والمقول السليمة من كل
ما فيه مضرة وإضرار بالنفس أو الغير.

﴿وفي رحمة الله﴾: أي في الجنة التي هي أثر رحمة الله

﴿كنتم خير أمة﴾: أوجدكم الله خير أمة... إلخ

المعنى لعلكم تهتدون إلى الخير وتحسنون الشر ولتكن منكم أمة يدعو إلى الخير المراد يجب أن تكونوا
كلكم أمة من خصائص أفرادها أنهم يدعون الخير فالكلام من قبيل قولهم ليكن لي منك
صديق حميم وهذا تتمق الآية مع الآية (١١٠) الآتية قريباً وكذا مع غيرها أنظر الآيات
(٧٨ - ٧٩) من سورة المائدة صفحات ١٥٢، ١٥٣ و (٤١) من سورة الحج ٤٣٩ لكن بشرط أن
تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وكل هذا في الأمور المعلومة لكل الناس أما ما قد
يخص على غير المقهاء من الدين فلا يتصدى للأمر به والنهي عنه إلا التحبير به الذي
يستطيع استنباط تصواب أنظر الآية (٨٣) من سورة النساء صفحة ١١٥. والخير كل ما فيه
سعادة الدارين

ثم بيّن سبحانه كيف تكون الدعوة إليه فقال يأمرون بالمعروف وهو كل ما فيه طاعة، وسهون عن المنكر وهو كل ما فيه معصية ومن يفعل ذلك ضمن الملاح أي لمور بالسعادة ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا شيعا يعادى بعضهم بعضا، واحتلموا في الدين يكمر بعضهم بعضا من بعد ما حاءهم البيات والمراهين الموجبة للاتفاق على الحق، انظر الآية (٢١٢) من سورة البقرة صفحتي ٤١ ٤٢ والآية (٤) من سورة البقرة صفحة ٨١٦ وأولئك لاحتلمون لهم عذاب عظيم.

وادكر لهم يوم القيامة واهواله حين تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين أما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم توبيعا أكفرتم بعد أن خلقكم الله مؤمنين به بالمطرة فأفسدها إعمالكم والتأمل في الأدلة وامتنانكم بالدنيا فنوقوا العذاب بها كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم فيدخلون في اثار رحمة الله وهي الجنة حائدين فيها.

تلك آيات الله التي جاءت في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين نزلوها عليك أيها النبي مصحوبة بالحق هل يتعلم شيء مما فيها، وما الله يريد ظلما لأحد، بأن يعذب من لا يستحق أو يفض أجر المستحق ولله كل ما في السموات والأرض خلقا وملكا، الكل في قبضة قدرته تعالى، وإليه سبحانه ترجع كل الأمور في النهاية هيجارى كل مكلف بما يستحقه كنتم حمر أمة إلخ أي وحدثم الآن على أنكم خير أمة، لأن جميع الأمم في ذلك لحين عيب عليها الفساد، ثم بيّن وجه الحيرة بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله على الوحه الصواب وإذا كان كل الأمم أمرها الله على لسان أنبيائها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فما وجه حيرة هذه الأمة على غيرها؟ الجواب أن هذه الأمة أمرت بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الطرق الممكنة باليد واللسان والقلب بلا هوادة حتى ولو أدى ذلك إلى القبال انظر الآيتين (٧٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٣ و (٩) من سورة الحجرات صفحتي ٦٨٥ ٦٨٦ وهذا ما لم يكن في الأمم الماضية وعلى ذلك تكون الأمة التي تضرط في القيام بهذا الواجب الذي ميرها على غيرها قد فقدت حاصيتها وعرضت نفسها لمحبب الله سبحانه وتعالى، انظر ما حل بمن ضرطوا في ذلك في الآيات (١٦٣ ١٦٦) من سورة الأعراف صفحتي ٢١٩، ٢٢٠.

أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُضْلِكُوكُمْ
يُؤَيِّدُكُمْ أَذْيَارًا ثُمَّ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢﴾ صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ
أَنْ يَنْقُصُوا إِلَّا بِحِلٍّ مِنْ أَفْءٍ وَحِلٍّ مِنَ النَّاسِ وَبِأَنَّهُ
يُضَيِّبُ مِنَ أَفْءٍ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَاقِبَتِ أَفْءٍ وَيَقُولُونَ الْآيَةُ بَعِيرٌ حَتَّى
ذَلِكَ رِمَا عَصَا وَكَانُوا يَمْتَدُونَ ﴿٣﴾ لَبَّوْا سَوَاءً
مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَتِ أَفْءٍ آيَةً
الْهَيْلِ وَهُمْ يَنْجَبُونَ ﴿٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِأَفْءٍ وَأَنْتُمْ الْأَعْيُرُ
وَيَتَمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَجَنَّبُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَقُولُوا
مِنْ خَيْرٍ قُلْ يَكْفُرُونَ وَأَفْءٌ عَلِيمٌ بِالْمُنْجِبِينَ ﴿٦﴾ إِنْ أَرَادَ

﴿لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أى لن يلحقوا بكم
ضرراً إلا أذى بلسان من سب أو تهديد كادب.
﴿صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ﴾ أصله من صرب
الحيمة على الشيء فتعبط به: أى أحاطت
بهم الدلة من كل جانب

﴿إِنَّمَا تَقْعُوزُ﴾ هى أى مكان وجدوا فيه
﴿إِلَّا بِحِلٍّ مِنَ أَفْءٍ﴾ إلا إذا عصمهم عهد من
الله لهم بعدم إيدائهم إذا دعوا الحزبة.
﴿حِلٍّ مِنَ النَّاسِ﴾ إذا عقدوا معهم عهداً
على أن لا يضر بعضهم بعضاً كما فعل ﷺ
معهم بالمدينة، ولكنهم على عادتهم يقصرون
فهمار بهم.

﴿يَسْعَوْا﴾ رجعوا ﴿المسكة﴾ الاستكاة والحصرع والنهاية ﴿أمة﴾ جماعة

﴿قائمة﴾، مستقيمة من قولهم قام العمود إذا استقام

﴿آيَةً اللَّيْلِ﴾ جمع إيو يكسر فسكون بمعنى جزء ﴿قُلْ يَكْفُرُونَ﴾ أى هل يحددوا حراءه
بأن يحرروا منه

المعنى لو امن اليهود والنصارى مثل إيمانكم لكان خيراً لهم لما فيه من السعادة الحادثة
من أهل الكتاب مؤمنون بحق كعبد الله من سلام وأصحابه من اليهود، والنحاشي وأصحابه من
النصارى، وأكثرهم الماسمون الخارجون عن الدين الحالم

- | | | |
|--------------|---------------|---------------|
| (١) الكتاب. | (٢) الماسمون | (٣) يقاتلونهم |
| (٤) بدايات | (٥) الكتاب. | (٦) ديات |
| (٧) الليل | (٨) ويسارعون. | (٩) الحيرات |
| (١٠) نصالحين | | |

ولما كانت الكثرة الماسقة ربما ترعج المؤمنين قال سبحانه مطمئنا أصحابه سورة آل عمران لن يضرركم شيء بحبيبتكم لأنه لا يكون إلا أدى بلسان من سب كما يفعل السفهاء الجبناء، لأنهم إن تعدوا ذلك وقاتلوكم بمطوكم ظهورهم منكم من معنويين فلا تحشوا بأسهم، ولا يجدون من ينصرهم عليكم ولزمهم الدل وأحاط بهم في أي مكان وجدوا فيه، إلا هي حال اعتصامهم بعد من الله للمؤمنين بعدم إيدائهم إذا دفعوا الحرب، وعهد من الناس الذين يعيشون معهم بأن لا يصبر بعضهم بعضا ولكن لسوء طياتهم لا يحافظون على عهد، وما تقدم هي أوائل البقرة حير شاهد على ذلك ولهذا قال ورجعوا بعصب من الله أي استحقوا لبقصهم العهد، وصبرت عليهم المسكة، أي الاستكانة والمهانة، ذلك المذكور من صرب الدل والعصب بسبب استمرارهم على لكر بالأدلة التي أقامها الله تعالى على الحق وقتلهم أنبياءهم، ذلك الكفر والقتل بسبب تعودهم مداومة المعصية والعدوان كما تقدم في الآية (٦١) من سورة البقرة صفحة ١٢.

ثم انصف الصالحين منهم بقوله «ليسوا سواء» أي أن أهل الكتاب ليسوا متساوين في مدارعتهم وأعمالهم، بل منهم طائفة مستقيمة لا تنحرف عن الحق، يتلون القرآن في ساعات الليل وهم يصلون كعبد الله بن سلام وأصحابه، ومن أسلم من نصارى بجران والحيثية، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويبادرون في عمل الحسنة خشية الصوات، وهؤلاء عند الله من الصالحين وما يفعلوه من خير فلن نجعدوا جزاءه ويحرموه، بل يثابون عليه، والله عليم بالمتقين فيجازيهم على قدر تقواهم.

«فيها صر» هو الرد الشديد الذي يحصف النبات كأنه حرقه بالنار

«حرت قوم» الحرب الرع «بطانة من دونكم» بطانة الرجل خاصته الذين يطمعون

على باطنه.

«لا يأتوكم خيالا» يأتون

كَفَرُوا بِالْبُعْيِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَمْوَالَهُمْ مِنْ اللَّهِ
شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَتَتْهُمُ آيَاتُهُمْ فِيهَا حَيَاتُونَ وَمَثَلُ
مَا تَكْفُرُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ رَحِيتًا فَأَوْرَثَهَا نَفْسًا فَاهْتَكَمَتْ وَمَا تَخْلُفُ
اللَّهُ وَبَيْنَ أُنْفُسِهِمْ يَفْضِلُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْبَلُوا عِطَاءً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ حَبَالًا رُدًّا وَدَاْعَاكُمْ
قَدْ بَدَتْ الْعَمَاءُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمَا تُحْيِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَدَتْ نَكَرُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ مُعَقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰؤُلَاءِ
مُحِبُّونَكُمْ وَلَا يَحِبُّونَكُمْ وَتَوَلَّوْا بِالْكِتَابِ كُلَّهُ وَإِذَا يَقُورُ
قَالُوا هَٰؤُلَاءِ وَإِذَا خَلَا عَصَاكُمْ أَلْمَلِ مِنَ الْمُتَكِبِ
فَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِنْ تَتُوبْكُمْ حَسَنٌ لَكُمْ وَإِنْ تَصْبِرْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا

يقصرون قال القاموس: الخيال في الأصل الذي يلحق الإنسان عيوره اضطراباً كالمرض والجنون ويستعمل في كل شيء يصيب الإنسان والمراد لا يقصرون بل يجتهدون في إفساد الأمر عليكم. ﴿ودوا﴾: أحببوا. ﴿ماعنتم﴾: العنت: شدة الضرر والمشقة.

﴿بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: المراد بالكتاب الجنس
فيشمل كل كتب الله كالنوراة والإنجيل.
﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُمَامِلَ﴾: أي أطراف
الأصابع، والكلام كناية عن شدة الفيض.

﴿تمسككم حسنة﴾: أي تأتيكم نعمة من الله كنصر في حرب أو غلبة.

المعنى إن الذين كبروا لن تدفع عنهم أموالهم بالعداء ولا أولادهم بالاستعانة بهم من عذاب الله شيئاً ولو قليلاً فعاقبتهم مصاحبة النار حالدين فيها، ومثل المال الذي يمتقوه في شهواتهم ومعاربتهم له **يُضَاعَفُ** كمثل ربح شديدة البرودة أصابت ربح قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فأهلكته فمال الذي أبقوه فيما ذكر هو الذي أفسد فطرتهم واتلف عقولهم فلم تفكر في العواقب، والمال كالريح والعطرك كالزرع. وما ظلمهم الله بإتلاف ماله ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بإرتكاب أسيائهم

- (١) أموالهم
(٢) أولادهم
(٣) أصحاب
(٤) حاله
(٥) أحياء
(٦) أهولهم
(٧) الآيات
(٨) بكتابه

ونزل في رجال من المسلمين كانوا يوالون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من قرابة أو جوار أو معانقة في الجاهلية، ولما كان في المبالغة في هذه الموالاة خطر على سلامة المسلمين، حذر سبحانه منها فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي غير أبناء ملتكم المومنين ثم وصف البطانة المنهى عنها بأنهم لا يقصرون في إفساد أمركم، وأنهم يحبون ويتمنون ضرركم، وقد ظهرت علامات بنقضهم لكم من كلامهم، فهي لشدة عداوتهم يصعب عليهم إحفاؤها، وماتغفیه صدورهم من البعص لكم أقوى وأشد مما يعلت من ألسنتهم.

قد بينا لكم العلامات العارفة بين من يصح أن يكون من حاصبتكم وبين من لا يصح إن كنتم تعقلون، فاعتبروا ولا تأموا على أصراركم خصوصاً الحربية من كان من هذا النوع وقد تقدم في الآيتين (٢٨، ٢٩) من هذه السورة صفحة ٦٧ شرح أوفى لهذا الموضوع.

ونزل في اليهود المنافقين قوله هاتم هؤلاء تحبونهم لقربة أو صداقة ولا يحبونكم لشدة تعصبهم لدينهم الباطل، فلا يصح أن يكونوا في باطلهم أحرم منكم على حقكم، وأنتم تؤمنون بكل كتب الله المنزلة وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم، وإذا لقوكم قالوا آمنا معكم ليمرروا بكم، وإذا حلوا أي هارقوكم وحلوا بعصمهم إلى بعض عصوا أطراف أصابعهم من شدة عيظهم منكم وعجزهم عن إهلاككم، قل لهم: استمروا على غيظكم إلى الموت فلن تروا ما يسركم أبداً، انظر الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، إنه عليم بما في صدوركم من العيظ الذي تحاولون إخماده، فلا يمكنكم من إصرار عبادة المخلصين، وبلغ من شدة بغضهم لكم أن الحسنة التي تأتيكم من الله كتصبر أو غنيمة أو كثرة من يدخل معكم في دينكم تحزنهم، وإن تصيبكم سيئة كهزيمة أو حذب أو شدة يصرحوا بها، هم بالفو النهاية في عداوتكم، فكيف توالونهم وتصافونهم.

﴿عدوت﴾ أي خرجت من بيت أهلك غدوة أي أول النهار.

﴿تبوء﴾ أي تنزل وترتب ﴿مقاعد للقتال﴾ أي مواطن للحرب، بأن قسمتهم إلى ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة وساقة.

وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَصْرُكَ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطٌ ١٦٤ وَإِذْ عَدُوَّتُ مِنْ أَعْيُنِكَ تُبْرَى
 الْمُؤْمِنِينَ مَقِيمًا لِلْغَيْبِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٦٥ إِذْ هَمَّتْ
 طَافِئَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْضُلَا اللَّهَ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ طَبَوُّكُمُ
 الْمُؤْمِنُونَ ١٦٦ وَلَقَدْ صَرَّفَكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَدَلَّةٍ مَا تُقَرُّ
 اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٦٧ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ
 بِكُمْ كُفْرًا أَنْ يُدْعَى رَبُّكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ نَبَأٌ
 مُزِيلٌ ١٦٨ مَلَأَ إِذْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَبِأَنُوحِكُمْ مِنْ
 قَوْمِهِ هَذَا بَيِّنَةٌ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنَ اللَّهِ أَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ نَبَأٌ
 مُزِيلٌ ١٦٩ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُرْهَانَ لَكُمْ وَلَنْظَرٍ
 قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا الْبَصَرُ إِلَّا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَلَمْ يَكُنِ
 أَلْهَكُمُ ١٧٠ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ

﴿طائفتان منكم﴾. هما حيان من الأنصار

سو سلمة وبنو حارثة

﴿من قورهم هذا﴾: أى من ساعتهم هذه

بدون إبطاء.

﴿مسمومين﴾: مفيزين من قولهم موم على

القوم إذا أعار عليهم وفنك بهم

﴿ليقطع طرفا﴾: متعلق بالنصر الممهوم

من قوله ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ أى

وما ينصركم الله إلا ليقطع طرفها... ومعنى

القطع هنا الإهلاك ومسمى الطرف هنا

أشرافهم، وذلك لأن من شأن الأشراف ألا

يكسو هي المقدمة، فالمعنى ليهلك صناديد الكفر وقال بعض المفسرين إن المراد من الطرف

هنا الطائفة الأقرب إلى المسلمين فهو من قبيل قوله تعالى ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾

الآية (١٢٣) من سورة التوبة صفحات ٢٦٢، ٢٦٤

﴿أو يكبتهم﴾ أى يحريهم ويدلهم انظر الآية (٥) من سورة المحادلة صفحة ٧٢٥، وأصل

الكبت ليعيط والم.

المعنى إن تصبروا على ما أمركم الله من الحذر منهم وتنفقوا الله فى مولاتهم وغيرها

لا يصركم كيدهم شيئاً ولو قليلاً، لأنه محيط بما يحاولون من كيد، فلا يعجزه رد كيدهم ثم

أراد سبحانه أن يذكر المسلمين بحادثتين عظيمتين، هما واقعا أحد وبدر، وذكر فى ذلك نحو

المستبين ية من (١٢١) إلى ١٧٩ وسبب عروة أحد أن المشركين لما انكسروا فى بدر اشتد

عيطهم، فخرج أبو سميان بن حرب من مكة فى شوال من السنة الثالثة فى نحو ثلاثة آلاف

مقاتل، ولما علم ﷺ بذلك خرج في ألف من أصحابه لملافة الكفار عند أخذ هي شمال المدينة، وهي منتصف الطريق رجع عبد الله بن أبي كبير المنافقين بثلاث الحيش بدعوى أنه ﷺ لم يأخذ رايه هي الضال، وكادت تحدث بذلك فتنة هي حيش المسلمين لولا فصل الله تعالى، كما سيأتي بيانه وما سيأتى في الآية (١٥٠) صفحة ٨٨ يدل على أن بعض المنافقين بقي في الحيش ولم يرجع مع عبد الله بن أبي ابن سلول ولما كانت هذه العروة من لعروات المهمة المليئة بالعبر، ولانسعج المقام هنا لايمانها حقها، نحيل من أراد المزيد على شرح حديث ٤٧٩ من كتاب صموة البخاري ليجد هناك كل ما حصل وادكر لهم أيها النبي حين عدوت من أهلك ترتب المؤمنين في مواطن القتال والله سميع لكل ما قلته لهم، عليم بما سيكون من أسباب هلككم.

وذكر أيضاً حين همت طائفتان منكم أن تمثلا بالحين والضعف والرجوع مع عبد الله بن أبي عندما رجع بثلاث الحيش من وسط الطريق ولما كانوا صادقي الايمان ولم يكونوا منافقين كعبد الله تولى الله سبحانه صرف المشل عنهم وشتهم وعلى الله يتوكل المؤمن بعد أحد البعد ولا يحاف شيئاً، وذكرهم أيضاً بنصره سبحانه لهم بدر لصدق بيمانهم وحسن طاعتهم، وكانوا أدلة وأدلة جمع دليل وأصله الحاصص لقهر من هو أقوى منه، وهذا ليس مراد هنا بل المرد هنا قبيو العدد ضعفاء في البعد، لقلهم وكثرة عدوهم، كما سيأتي في الأنفال، فانتقوا الله ولا تعالوا رسوله لعلكم تشكروه على نصركم تبوء المؤمنيين مواطن القتال حين تقول لهم بعد أن هم بمعضهم بالمشل:

اليس يكفيكم أن يساعدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لتطمئن قلوبكم بى أى بل يكفيكم الإمداد بثلاثة آلاف ثم وعدهم بريادته فقال إن تصبروا وتتقوا محالمة الرسول وبأيكم الكفار بسرعة يرد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين منه لتقويتكم.

وما جعل الله إمداد الملائكة إلا بشرى لكم بأنكم ستصبرون وتطمئن قلوبكم فلا تهابوا كثرة العدو وما النصر إلا من عند الله يؤيده الغالب الحكيم هي منحه لمن يستجبه بالصبر والتقوى يمددكم ربكم بالملائكة إذا صبرتم واتقيتم محالمة الرسول، ليهلك بعضا من أعدائكم

أو يميظهم ويدلهم أو المراد يهلك بعضا ويذل بعضا. واختار إمام المصنفين ابن جرير أن المسلمين لم يمدوا بالملائكة في غزوة أحد لأنهم لو أمدوا لما انهزموا، ولأن الوعد بالإمداد كان مشروطا بأمرين: الصبر والتقوى. هما لم يحصلوا من المسلمين في أحد، فلما كتبوا بأشد نكسة كما سيأتي

﴿اصعافا مصاعفة﴾ كان المدين في الجاهلية يقول للدائن إذا حل أجل الدين أجل الطلب وأزيدك، وبطول الزمن يتضاعف رأس المال عدة مرات فهذا هو الرب المصاعف وجاءت بعد ذلك الآية (٢٧٥) من

فَيَقْبَلُوا حَاسِبِينَ ﴿١٧١﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُهُمْ كُلُّ حَرْصٍ ﴿١٧٢﴾ وَفِي مَالِ السَّنَةِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَتغيرُ لَيْسَ بِنَاءٍ وَيُمْدِدُ مَنْ بَنَاءٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ بَنَاءُهَا الَّذِينَ عَمِلُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى تَقْلِبُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْتُمْ أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ لِنَكْمِيزِينَ ﴿١٧٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ تَعْلَمُكُمْ رَحْمَتُ اللَّهِ ﴿١٧٦﴾ وَتَارِعُوا إِلَيْنَا مَقْعَرَةً مِنْ رَبِّكَ وَجَنَّةٍ مَرْضَاهَا السَّنَةُ وَالْأَرْضُ أَيْدَتْ لِلْمُتَغَيِّرِ ﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ يُعْقِلُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَنُطِيبِ الْعَمِيقِ وَالْعَمِيقِ عَمِ السُّبْحِ وَاللَّهُ يُجِبُ الْمُجِيبِينَ ﴿١٧٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ أَوْ تَلَبَّسُوا أَنْفُسُهُمْ ذَكَّرُوا اللَّهَ فَاسْتَعْرَضُوا لِدُورِهِمْ وَمَنْ يَتغيرُ

سورة البقرة صمحتى ٥٨، ٥٩ تنهى عن الربا مطلقا.

﴿السراء والصراء﴾: اليسر والعسر.

المعنى فيرجعوا حاسبين. ولما وقع في الحفرة التي أعدها له الكمار، وكسرت سبه وجرحت وجنته، غصب وقال اللهم العن أبا سميان من حرب، اللهم العن هلالا وهلالا، لأناس سماهم من رعاء المشركين، فمرل قوله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي ليس لك أبها اليس من أمر حلفى شيء من التصرف فيهم إلا أن تبلمهم شرعى، أما محاربتهم على أعمالهم على وحدى أحكم فيها كيف أشاء ﴿أو يتوب عليهم﴾ مرسط بقوله قبل ﴿أو يكبتهم﴾ والأصل ليقتطع طرفها من الدين كمروا أو يكبتهم أو يتوب عليه أو يعذبهم بسبب ظلمهم، فليس لك من الأمر شيء فى ذلك.

ولكنه سبحانه جعل بنهيه ﷺ عن لعن أباس معيين للتبنيه على خطورة تعجل الإنسان على ما ليس له به علم خصوصاً في الأمور الخطيرة كلعن شخص معين ربما يكون أراد الله له الهداية، وقد حصل عملاً أن كل من دعا عليهم ﷺ في هذا اليوم تابوا وصدروا من كبار أصحابه. فسبحان مَنْ استأثر بعلم الغيب وحده ثم أكد سبحانه عموم سلطانه بقوله ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلخ، أي كل ما فيهما خلقه وعبيده، يعمر مَنْ يشاء منهم إذا علم سلامة فطرته، ويعذب مَنْ يشاء إذا علم إصراره على المعصية، ولما كانت العبر في لحوادث الجسام تمتح القلوب لتلقى الأوامر بقبول وإدعان، حرت سنة الله تعالى في القرآن أن يمرج التقصص بالأحكام، فقال محذراً من شر أمراض المجتمع، وهو الريا الذي يقسم القلوب على المحتاج ويعودها عدم الصدقة، ولذا لا تجده مذكوراً في القرآن بالدم إلا بجانبه الحث على الصدقة، كما هنا وكما في الآية (٢٧٦) من سورة البقرة ٥٩ والآية (٢٩) من سورة الروم صحتى ٥٣٥، ٥٣٦، فقال تعالى لا تأكلوا الربا المحرّب للبيوت، واتقوا النار التي أعدّها الله تعالى للكافرين. قال أبو حنيفة رضى الله عنه هذه أحوف آية في القرآن، هدد الله بها المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إذا لم يتقوه ويعتقوا ما حرمه عليهم.

ثم بين سبحانه طريق تقواه بقوله: واطيعوا الله إلخ، وسارعوا إلى أسباب معصية ربحكم بأن تسارعوا إلى التوبة من كل ذنب كالرياء، وبأن تقبلوا على عمل الخيرات كالصدقات، وهذه هي أسباب دخوله الجنة الواسعة جداً التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه، لأن عرصتها إذا كن كعرص السموات السبع والأراضي السبع متجاوزة ممتدة فكم يكون طولها؟ هذه الجنة أعدّها الله تعالى للمتقين الموصوفين بالصفت الخمس الآتية:

الأولى: ينفقون في حال اليسر والعسر في كل حالة بما يناسبها، كما قال ﷺ (اتق النار ولو شق تمره). وذلك ليبقى قلب المؤمن مملوءاً بالرحمة ولا يتعود النحل

الثانية: كظم الغيظ بأن يحقوه بالصبر ولا يظهر أثره.

الثالثة: انعموا أى التحاور عن إساءة الحمى وترك مؤاخذته مع القدره عليها، فهي مرتبة

فوق مرتبة كظم الغيظ.

الرابعة وهي أعلى مما قبلها هي الإحسان إلى المصير، ولهذا جاءت هذه الصفة بأسلوب محال لما قبلها وما بعدها وإذا لاحظت ما تقدم من دعائه سورة على بعض المشركين لما اذوه فمهم حكمة ذكر هذه الصفات في هذا المقام.

الخامسة: أنهم إذا فعلوا حطيئة كبيرة كالربا أو ظلموا أنفسهم بدنب صغير تذكروا بقلوبهم فطلبوا معفرته تعالى لدوبهم. كما في الآية (٢٠١) من سورة الأعراف صفة ٢٢٥. موفين أنه لا يقصر الدوب غيره تعالى.

«قد حلت من قبلكم سس»: أي مضت من

قبل وحوادثكم طرق هي تصرفه سبحانه في ملكه اقتضاها نظامه تعالى في خلقه من نصر أصحاب الحق وإهلاك الظالمين «ولأنهموا» ولا تصعوا عن الجهاد لما أصابكم من هزيمة

«وأنتم الأعلى» أي الممتارون بأن قتالكم لله عز وجل، وقتال أعدائكم للشيطان وقتالكم في الحمة، وقتالهم في النار «إن يمسيكم فرج» أي إن يصيبكم حراح وقتل

«ويتحد معكم شهداء» أي يكرم بعضكم بالاستشهاد في سبيله، ويكون معكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة، كما تقدم في الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحتي ٢٧ ٢٨. «وليمحص الله الدين أموا» أي يحصهم من كل عيب ويظهرهم «ويمحق» أي يهلك «أم حسنتم» أي هل طيستم أن تدخلوا الحمة ولم تبين من جاهدوا حق الجهاد، وتبين الصابرون

الذوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴿١٥٥﴾
أولئك جراءهم تعبرة من ربهم وجنت تجري
من تحتها الأنهار حثيين فيها ويتم أجر العنيلين ﴿١٥٦﴾
قد حلت من قبلكم سس فيروا في الأرض فانظروا
صنيف كان عنة التكريين ﴿١٥٧﴾ هذا بيد ليس
وهدي ومرتطة للسمين ﴿١٥٨﴾ ولا نهوا ولا تحروا وأنتم
الأعلون إن كنتم مؤيين ﴿١٥٩﴾ إن يمسيكم فرج قد
مس القوم فرج ينه وتلك الأيام نداول بين الناس
وليعلم الله الذين آمنوا ويثيبهم شهداء والله لا يحب
الظالمين ﴿١٦٠﴾ وليمحص الله الدين وأموا ويمحق
الكافرين ﴿١٦١﴾ أم حسنتم أن تدخلوا الحمة ولما
يعلم الله الذين جاهدوا بكر ويعلم الصابرين ﴿١٦٢﴾

- | | | |
|--------------|--------------|--------------|
| (١) وجبات. | (٢) الأنهار. | (٣) حثيين |
| (٤) نعمالين | (٥) عاقبه | (٦) الظالمين |
| (٧) الكافرين | (٨) جاهدوا | (٩) الصابرين |

الذين لاتضرعهم الشدائد. وتقدم مثل هذا التركيب في الآية (٢١٤) من سورة ليقرة
صفحة ٤٢.

المسى ولم يديموا العزم على الذنب لأنهم يعلمون أن الله تعالى نهى عن الإصرار واعتبره
من صفات الكفار، كما هي الآية (٤٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٥ أولئك الموصوفون
بالصفات الخمس حراؤهم من ربهم معفرة لذنوبهم، وجنات تجري من تحت عرشها الأنهار،
ونعم أجر العاملين كما أمرهم الله. ثم رجع سبحانه للكلام عن عروة أحد مذكرا بأن سسته
نصر المتقين وحدلان المحالين، فقال تعالى، ﴿قد حلت﴾ أى مضت من قبلكم عادات مع أهم،
فسيروا فى الأرض فابظروا عاقبة المكدين، وكيف هلكوا.

هذا الذى تلوته عليكم من الإرشاد الإلهى بيان للناس جميعا، وهدى من الصلال، وتذكير
وعظة للمتقين، لأنهم هم الذين ينتمون بالتذكير، كما فى الآية (٥٥) من سورة لدرىات
صفحة ٦٩٦، ولاتصمموا عن الجهاد لما أصابكم من هزيمة، ولاتحزنوا على من قتل منكم، وكان
النبي ﷺ حزن حزبا شديدا على قتل عمه حمزه رضى الله عنه فى هذه الواقعة وأنتم
المقاتلون عن خصومكم فى أمور كثيرة، منها أنكم فى النهاية غالبون، كما فى الآية (١٧٣) من
سورة الصافات صفحة ٥٩٦، وإن كنتم مؤمنين، فلا يجوز أن يحصل منكم شيء من ذلك، لأن
الإيمان يوجب الثقة بالله.

ثم بين سبحانه بعض أسباب عدم الحزن فقال إن كان أصابكم فى أحد قتل أو جراح فقد
أصاب خصومكم مثله يوم بدر ومع ذلك لم يصمموا مع أنهم على باطل فكيف وأنتم على الحق
وتلك الأيام أى أيام النصر نجعلها بين الناس مداولة لهذا تارة وذاك أخرى لحكمة نعمها،
وهى النهاية تكون العاقبة للمتقين وأشار سبحانه لبعض هذه الحكم فقال وليعلم الله علم
ظهور وتحقق الذين قاتلوا عن إيمان والدين بافقا، وليتحد منكم شهداء مكرمين عند الله
ويشهدون على غيرهم يوم القيامة، والله لا يحب الظالمين الذين يحاربون الحق.

ومن يكرهه الله عز وجل فلا بد من حد لانه، وأيضا فعل سبحانه ماتقدم ليمحص ويصفي
من العيوب الذين أحصوا عن إيمانهم، ويهلك الكافرين ليقبهم ثم حاطب كل من حصرو

واقعة أحد بقوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ إلخ؛ أى هل تظنون أنكم تدخلون الجنة ولم يتبين من جاهدوا حق الجهاد ولم يخالفوا أوامر رسولهم وقائدهم، ويتبين الصابرون الذين لا تفزعهم الشدائد. فمحصل المعنى كما فى الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢: هل ظننتم كما يظن المفرورون أن تدخلوا الجنة وأنتم إلى الآن لم تجاهدوا حق الجهاد، ولم يتمكن الصبر من نفوسكم والجنة لا تقال إلا بهما.

﴿خلت﴾: مضت. ﴿أفان مات﴾: كما مات

قبله كثير من إخوانه الأنبياء ﴿أو قتل﴾: كما قتل قبله بعض إخوانه من رسل بنى إسرائيل انظر الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧.

﴿انقلبتم على أعقابكم﴾: أى رددتم إلى الكفر. ﴿وما كان لنفس أن تموت إلخ﴾: ما: نافية و: كان: من الأفعال التى تدخل على جملة المبتدأ والخبر فتبقى رفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها. و: أن: هى ﴿أن تموت﴾ حرف يجعل الفعل المذكور بعده فى قوة المصدر، وهذا المصدر هو اسم كان مقدم على خبرها، وخبرها هو ﴿لنفس﴾، و ﴿إذن الله﴾ مراد به هنا مشيئته. والمعنى التحليلى للتركيب: وما كان الموت حاصلاً لنفس مطلقاً بسبب من الأسباب إلا بسبب واحد هو مشيئة الله تعالى؛ والمعنى المراد: أنه يستحيل أن يموت مخلوق من الأحياء إلا إذا أراد الله ذلك. واعلم أن هذه الصيغة وردت فى القرآن فى سبعة مواضع، ويدور المراد من مضمونها على ثلاثة معان: الأول إفادة أن الفعل المذكور فى خبر كان

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمُوتُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَاسَمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَسْطُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢٦﴾
وَكَاثِبِينَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ قَبْلًا وَهُوَ لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْكَتُوهَا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا
أَعْمَرْنَا دُؤُوبَنَا وَإِسْرَافًا فِي أَمْرِنَا اثْبُتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٨﴾ فَجَاءَتْهُمْ أَنْفُسُ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا

- | | | | |
|--------------|---------------|---------------|---------------|
| (١) أعقابكم. | (٢) الشاكرين. | (٣) كتابا. | (٤) الشاكرين. |
| (٥) قاتل. | (٦) الصابرين. | (٧) الكافرين. | (٨) فاتاهم. |

لا ينبغي أن يكون، مع أنه ممكن في ذاته عقلا كما في قوله تعالى ﴿وما كان لنبي أن يعمل إلح﴾ الآية (١٦١) من سورة آل عمران صفحات ٨٩، ٩٠.

ولثاني إعادة أن هذا العمل مستحيل عقلا كما في قوله تعالى ﴿وما كان لله أن يتحد من ولد إلح﴾ الآية (٢٥) من سورة مريم صفحة ٣٩٩. وقوله ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ الآية (٦٠) من سورة النمل صفحة ٥٠١.

والثالث إعادة النهي عن هذا العمل كما في ﴿وما كان لنبي أن يكون له أسرى إلح﴾ الآية (٦٧) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٧ وقوله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين إلح﴾ الآية (١١٣) من سورة التوبة صفحة ٢٦١ وقوله تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤدوا رسول الله إلح﴾ الآية (٥٢) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٨، ٥٥٩. وما معناها هي هذه الآية من القسم الثاني.

﴿كتابا مذكرا﴾ أي كتب الله الموت على كل نفس كتابا ذا أجل محدود لا تتعداه ﴿وكأي من نبي﴾ كلمة تعيد التذكير أي كثير من الأنبياء. ﴿ربيبون﴾ هم الربايبون المتقدمون في الآية (٧٩) من هذه السورة صفحات ٧٥، ٧٦ ﴿فما وهنوا﴾ أي فمما ضعفوا ولا هتروا عن القتال مع نبيهم. ﴿وما استكاثوا﴾ وما حصصوا لمدوهم. ﴿إسراها في أمربا﴾ أي تجاوزوا حدود ما شرعته لها.

المعنى أن النبي ﷺ استنشار أصحابه عندما علم بخروج قريش من مكة أخرجهم لملاقاتهم خارج المدينة عند أحد أم بقي بالمدينة، فرأى عبد الله بن أبي ومن معه عدم الخروج من المدينة، وكان ﷺ أميل إلى هذا الرأي. ورأى كثير من شباب المسلمين الخروج، وتبعتهم الكثرة من الصحابة، ولما خرجوا وهم المسلمون كما سيأتى خاطب سبحانه هذه الكثرة التي رأت الخروج للقتال بقوله ولقد كنتم تمنون الموت لنتألوا الشهادة أو لعزيمة كما حصل لأهل بدر فقد رأيتم أسبابه وهو شدة الحرب وأنتم تنظرون إليها نظره هاحصة لاعابرة غير مقصودة وذلك أن الإنسان قد يرى شيئا لكنه لا اشتغال قلبه بشيء آخر لا يفتبه له، فهذه الحملة مؤكدة لما

قبلها، فلم انهرمتم وقد رأيتم ما طببتن؟ ولما هجم المشركون عليه ﷺ بعد فرار أصحابه وركروا سهامهم نحوه ولم يكر حوله سوى عشرة قتل أكثرهم، طر الكفار أنه ﷺ قد قتل، فبادروا فرحين قتل محمد ﷺ فاشتد هزيمة المسلمين وهروا قال سبحانه في يوم هؤلاء وما محمد إلا رسول قد مضت من قبله الرسل واسمى أنصارهم محافظين على دين أسياهم، فهل يصح إذا مات محمد أو هزل أن ترحعوا أنتم كفارا ومن يرجع منكم إلى الكفر ويحس عن قتال الكفار هل يضر الله شيئا وإما يضر نفسه، لأن الله تعالى على عبده وقادر على أن يخلق خير منكم، وسيجزي الله بالمر الشاكرين نعمه بالثبات والنصر عند الشدائد

مستحيل أن تموت نفس إلا بمشيئة له في أجل محدد فلم هزرتم والصرار لا يدفع الموت والثبات لا يقطع العمر، ثم أراد سبحانه أن يلوم الذين شغلهم المعام هتركوا مواقعهم كما تقدم فتسببوا في هزيمة المسلمين فقال (من كان يريد ثواب الدنيا) إلخ أي أن من يريد بعمله من قتال وغيره حظ الدنيا أعطاه الله تعالى شيئا منه، ومن قصد بعمله ثواب الآخرة أعطاه الله سبحانه ثوابها، لأن الأعمال بالنيات وإما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله في ثوبه على الله ومن كانت هجرته إلى دين يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه وقد تقدم في الآيتين (٢٠١ ٢٠٢) من سورة البقرة صفحة ٤٠ أن المؤمن الذي يطلب بعمله ثواب الدنيا والآخرة أعطاه الله تعالى ثوابها

وسيجزي الله الشاكرين نعمه بالثبات مع بيته والدفاع عن دينه ثم صر سبحانه لهم المثل بالصابرين من الأمم فلهم فعال وكثير من الأسياء قاتل معه ربيون كثير، أي جمع كثير من المؤمنين لمحاصرة ما صنعوا عن قتال، وما حصعوا لعدوهم والله يحب الصابرين على البلاء فيجاريهم بالنصر والثواب العظيم.

وما كان قول هؤلاء الذين يدعون أن هؤلاء الربيون إلا قولهم ربنا أعمر لنا دنونا ههنا منهم بأنه لا مصيبة إلا بدين كما هي الآية (٣٠) من سورة الشورى صفحة ٤٦٣، وتجاوزنا حدود وثبت أقدامنا عند القتال، وانصرونا على الكافرين بك المحاربين لرسلك هأساهم الله ثواب الدنيا بالنصر والعزيمة

وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٤﴾
 بَنَاتِنَا الَّذِينَ قَامُوا فِي طُغْيَانِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُذُوقِ عَذَابِ
 آتَيْنَاكَ قَتْلَهُمْ خَيْرٌ ﴿١١٥﴾ بَلِ اللَّهُ مُنْذِرٌ وَهُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾ سَلَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ۚ مَا
 أَفْرَحُكُمْ بِأَلْفِ مَالٍ يُبَدَّلُ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَهُمْ بِنَارِ
 وَبُئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾ وَنَعَذِّبُكُمْ اللَّهُ وَعَذَابُ
 آتَيْنَاكُمْ بِأَذْنِهِ ۚ سَخَّ لَئِذَا فُلِمَ وَسُرِعَتْ فِي الْأَمْرِ
 وَخَشِمَ مَن يَعِدُ مَنَازِلَكُمْ مُنَاجِحُونَ ۖ يَكُفُّ عَنْ رُبِّدِ الْوَيْ
 وَبِكُمْ مَن رُبِدِ الْآخِرَةِ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
 وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُتَزَيِّتِينَ ﴿١١٨﴾
 • إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُكُمْ
 بِأَثَرِكُمْ ۚ فَاسْتَجِبُوا ۚ وَأَطِيعُوا ۚ وَأَنْتُمْ مَخْلُوعُونَ ۚ

﴿حسن ثواب﴾: من إضافة الصفة

لموصوفها أي الثواب الحسن في الآخرة

كقولهم ﴿جميل النصر﴾ أي الصبر الحميل

﴿سلطانا﴾ برهانا

﴿ماواههم﴾ أي المكان الذي يأويون إليه في

الآخرة. ﴿بئس مَثْوًى﴾: أي قبيحت النار محل

إقامة

﴿تخسبهم ياديه﴾: أي تفتلونهاهم قتلا

ذريعا بتفسيره سبحانه وتعالى. قال الرابع

أصله من قولهم خَسَنَتْ فلانا أي أصبت

حاسة من حواسه إصابة فائلة. ومن قولهم

كبدت فلانا أي أصبت كبده. ﴿صرفكم

عنهم﴾ أي شغلكم عن قتالهم بجمع معوته لكم. ﴿ليبتليكم﴾ أي يماثلكم معاملة المحنبر ليظهر

للناس الصادق والمنافق ﴿تصعدون﴾ أي ذهبون بعيدا في صعيد الأرض هاردا من القتال

﴿ولا تلوون﴾ ولا تميلون على أحد ممن ثبت معه ﴿بشيء﴾ بجمدة أو مساعدة

﴿يدعوكم﴾ يناديكم لترجعوا ﴿هي حراكم﴾ وهو حلف طهوركم.

﴿فأثابكم عما نعم﴾ فحراكم عما بالهزيمة بسبب عكم له ﴿بشيء﴾ لمحاكمة أمره أو عما على

عم بالهزيمة والجراحة وانتصار العدو ﴿لكيلا تحربوا﴾ لأجل ألا تحربوا بعد هذا التأديب.

المعنى وأعطاهم ثواب الآخرة الحسنة وهو المعصية والجنة. والله يحب المحسنين لأعمالهم

فيجيب دعائهم. وكان عبد الله بن أبي ربح مع من المناهقين كما تقدم أشاعوا في

المدية بعد انكسار المسلمين أن النصر سيكون دائما لقريش فيجب أن يصطلح معهم، فأبطل

(١) أعانكم. (٢) حاسرين. (٣) مولاكم. (٤) الناصرين.

(٥) سلطانا. (٦) وماواههم. (٧) الظالمين. (٨) وتلوونهم.

(٩) أراكم. (١٠) تلوون. (١١) أحراكم. (١٢) فاثليكم.

الله تعالى محذراً المؤمنين ومطمئناً لهم قوله **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ** من السابقين يردوكم إلى الشوك محسروا الدنيا والآخرة بل الله مولاكم أي ناصركم. فاستمعوا به وانصتوا وأمره فهو حير الناصرين وطمانهم بقوله. **سَلِّقُوا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا** الخوف منكم بسبب حملهم مع الله شركاء ليس عندهم عليها دليل، وكل الذي عندهم مجرد وهم ناشئ عن تقليد عاد، ما رأوا المسميين يقابلون بقوة إيمان لتقنهم بنصر الله أنهرموا أمام هذه القوة، وسيكون آخر ما يابسون إليه النار ونس النار مثوى للظالمين للحق وأهله. **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ** إلح بيان ذلك أن النبي ﷺ لما نظم الجيش أول المعركة كما تقدم جعل خمسين من الرماة فوق ربوة هي سمح أحد حلف الجيش ليحموا ظهره من هجوم يأتهم من الخلف، وحمل أميراً عليهم عبد الله بن حنبل، وأمرهم ألا يتركوا مكانهم سواء أكانت الهزيمة أو كان النصر، ولما أنهرهم المشركون أول المعركة وتركوا وراءهم معانم كثيرة احتلف الرماة مع أميرهم، فالكثرة منهم برلوا لجمع المعانم فلما منهم إلا رحمة للمشركين وبقي عبد الله بن حنبل وعشرة معه مثلاً لأمر الرسول عبد الله رأى خالد بن الوليد وكان رئيس فرسان المشركين أن ظهر المسلمين قد انكشف فجمع على من بقي من الرماة وقتلهم: عند ذلك رجع المشركون وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب وهرموهم شر هزيمة، وحصل له ﷺ ما تقدم بيانه وهي هذا قال سبحانه **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ** في قوله **«وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ»** حين كنتم تقتلونهم قتلاً شديداً أول الأمر بعونه وتيسيره سبحانه، حتى إذا فشلتم في الرأي والتقدير وتنازعتم أيها الرماة واحتلظتم مع أميركم وعصيتهم أمر ببيكم، حصل منكم كل هذا، بعد ما أراكم سبحانه ماتحبون من النصر، فكان منكم فريق يريد الدنيا وهم الذين برلوا من الرماة لجمع المعانم ومنكم من يريد الآخرة وهم العشرة الذين شتوا مع أميرهم، عند ذلك منع سبحانه عنكم تأييده وصرفكم عن قتالهم بما شغلتم به من الهزيمة ليمير صادق الإيمان والعزم من الضعيف. ولقد عما عنكم لما سمعتم والله ذو فضل بالعمو وقبول التوبة

وكان صرف الله لكم عن قتال المشركين في وقت ما كنتم تصعدون أي تدهبون بعيداً عن موطن القتال ولا تعيلون على أحد ممن شت مع ببيكم بمساعدة، والحال أنه ﷺ كان ينادي عليكم لتراجعوا فلم تراجعوا فجاركم الله عما بالهزيمة بسبب عنكم له ﷺ بمخالفة أمره ليربيكم ويؤدبكم حتى لا تحربوا بعد ذلك على ما دعوتكم من حير

وَلَا مَا آمَنُكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْ
عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أُمَّةً تَبِغُوا بَهْشَىٰ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ
وَرِطَافَةً قَدْ أَهْمَتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَتْلُونَ بِاللَّهِ عِبْرَ الْحَقِّ عَلَى
الْجَنَاحِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنْ
الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۖ يُخَوِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ مَّا لَا يُلْدُونَ لَكَ ۚ يَقُولُونَ
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا نَبِئَتْ هَذِهِ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي يَدَيْكُمْ ثَبَرٌ لَدَيْنَ الْكُتُبِ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ إِنْ تَصَاحَبْتُمْ
وَلَيْسَ لَكُمْ أَفْهٌ مِمَّا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيَبْلُوَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَأَفْهٌ عِلْمٌ ذَاتُ الصُّدُورِ ﴿١٨٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَكْفُرُ يَوْمَ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ أَلْهَامٌ أَلَمْ تَكُنْ أَلَمَ اسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَفَرُوا
وَلَقَدْ نَعَّاكَ عَنْهُمْ إِذْ أَقْبَرُوا حَيْثُمْ ﴿١٨٤﴾ يَتْلُوا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ

﴿أمنة﴾: أمنا، وفهمه بأنه نعاس،
والنعاس فتور يتقدم النوم كالسنة.
﴿مضاجعهم﴾: المراد المكان الذي يصبرون فيه.
﴿وليبتلي الله ما في صدوركم﴾. أصل
الابتلاء الاختبار كما في (٢١) من سورة
محمد صفحة ٦٧٦ والمراد ليمتحن الله
إسلامكم هل هو صحيح أم زائف فتظهر
حقيقة ما أنتم عليه ﴿ما في صدوركم﴾ من
مبادئ الإسلام وذلك أن القرآن أكثر
ما يستعمل المصدر في الإسلام، والقلب في
الإيمان، وكلما يطلق أحدهما على معنى

الآخر، انظر الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢ و (٢٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.
وانظر قوله تعالى ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ الآية (٢٢) من سورة المجادلة صفحتي ٧٢٨.
٧٢٩ ولم يقل كتب في صدورهم الإيمان، ولذا يقال اعتقد فلان بقلبه ولا يقال اعتقد بصدوره
﴿وليتمحص ما في قلوبكم﴾ يقال محصت الشيء إذا خلصته مما فيه من الميؤب والمراد
ليخلص عقائد قلوبهم من وساوس الشيطان.

﴿ذات الصدور﴾ المراد الوجدانات والسرائر الملائمة للصدور.

﴿الجمعان﴾: جمع المؤمنين وجمع المشركين.

﴿استزلهم الشيطان﴾: أي أوقعهم في رنة وعطلة.

المعنى ولا تحربوا على ما أصابكم من حروب وقتل فلا تبالوا بعد ذلك بمحاطرة، والله حدير بما تعملون، فليحاسب كل منكم نفسه، ثم أنزل الله عليكم من بعد العم بعاسا يؤمنكم به، وذلك أنهم لما أدركوا بسرعة أن ما أصابهم كان بتقصير بعضهم فاستمعروا الله وعزموا على عدم العودة، عند ذلك أنزل الله عليهم العباس ليسترخوا ما فقدوه من قوة، واليوم للمصاب بعمه لأنه يصنع حدا بينه وبين الماضي المحزن ولذا لما أقاموا رجعوا إليه ﷺ تلمع سيوفهم كأنها شهب، فظن المشركون أن هذا مدد حديد فانصرفوا مكنمين بما حصل. وكان هذا العباس إنما عشى طائفة المؤمنين الصادقين، أما طائفة المنافقين الذين بقوا مع الحيش ولم يرجعوا مع عبد الله ابن أبي هاشم ثم يهمهم إلا أنفسهم أي لا أمر الدين ولا أمر الرسول فلم يناموا بل كانوا مسرورين بما حصل يظنون بالله طيا غير الظن الحق، حيث ظنوا أن الله سبحانه لن ينصر محمدا، وهذا هو ظن أهل الحاشية المشركين الذين لا يقدرُونَ وعد الله حق قدره، يقول بعضهم لبعض ولصعاف المؤمنين الذين دخلوا في الإسلام حديثا ليس لنا من أمر النصر نصيب فلو كان محمد على حق لننصره الله

قل لهم أيها النبي إن القصاء هي كل شيء من نصر وغيره لله وحده، وقد صممه لمن اتقاه ولم يخالف أمر رسوله

ويحصى هؤلاء المنافقون من التشكيك في الدين ما لا يظهرون لك حوها من بطش الكثرة لمؤمنة بهم. ومن تشكيكهم أنهم يقولون همسا لو كان لنا من أمر النصر نصيب كما يقول محمد وأصحابه من أنهم حيد الله و بهم هم العالين ما قتل من رجالنا من قتل هنا. قل لهم أيها النبي أن موت كل شخص مقدر، وله عند الله تعالى رمان ومكان لا يبعدهما فلو كنتم هي بيوتكم ولم تخرجوا مع المحاهدين وكان مقدرًا في علم الله أنكم ستمتلكون في مكان ورمات المعركة لخرج الدين كتب عليه القتل في الأزل لي مصارعهم التي يسقطون فيها قتلى، أي فقتل من قتل ضروري الوقوع لأن ما قدره الله عز وجل لا يتخلف، وإنما قدر الله ما حصل ليمير الحيش من الطيب، وليظهر لكم ما انطوت عنه نفوسكم أي المؤمنين من ضعف أو قوة، لأن بعض الناس يعتز بظن في نفسه ما ليس فيها، فيتوهم أنه شجاع وهو حيان، وكريم وهو

صَرَبًا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا عَرَى لَوْ كَانُوا عِدَمًا مَا نَأَوْا
وَمَا قِيلُوا يَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُخَوِّمُ
وَيُخَيِّتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٤٦﴾ وَلَئِنْ قُلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْفَيْتُمْ لَعْنَةَ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً عَمَّا يَجْحَدُونَ ﴿١٤٧﴾
وَلَئِنْ مَتَّو قُلْتُمْ لِأَنَّ اللَّهَ يَحْشُرُونَ ﴿١٤٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ
اللَّهِ لَسْتُمْ لَمْ تَكُتْ مَطَا عِطَ الْقَلْبِ لَا مَضْرَابِينَ
حَرْكَتْ كَاعَفَ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأُمُورِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٤٩﴾
إِنْ يَهْرُكْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَائِبَ لَكُمْ بِهِ ۚ وَبِأَعْدَانِكُمْ
قَسَ دَا أَلَدَى يَهْرُكْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَ وَمَنْ يَتَّبِعْ يَأْتِ
يَمَّا عَلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ ثُمَّ تَوَكَّلْ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

بحيل، ولا يظهر حقيقته إلا تجربته بالعمل،
وليتمحص ما في قلوبكم من وساوس
الشیطان، واللّه تعالى علیهم بالسرائر التي قد
تحفى علی أصحابها فتخدعهم كما حصل
هيمسّ تمّنوا الموت، انظر الآية (١٤٢) المتقدمة
من هذه السورة صفحة ٨٦، واللّه عالم بكل
شئ، وإنما يستلّی ليعلم الناس ما خفى
عليهم، إن الدين انهزموا منكم وتركوا النبي
ﷺ وراءهم يوم النقي الجمعان إنما أوقعهم
الشیطان فی زلة بسبب بعض ما كسبوا من
الذنوب، وهو محالّتهم لامره ﷺ.

وإذا رجعت للآية (٣٠) من سورة الشورى
صفحة ٦٤٢، تفهم لم قال ﴿بمعص﴾ هنا.

ولقد عفا الله عنهم لما اعتدروا وتابو فبأيها الذين آمنوا تسهوا ولا تكونوا مثل الكافرين
الظاهرين والمباشرين الذين قالوا هي شأن بحوابعهم في النسب أو المودة.

(هَضَبُوا فِي الْأَرْضِ): سافروا. «غَزَى»: جمع عَازٍ، بوزن زَكَّعٍ وَرَاحِمٍ، وهو من نوادر أوران الجمع الممثل، وهمله غَزَا يَغْزُو بوزن عَدَا يَمْدُو، ومفردة عَازٍ وجمعه غَزَاً كما هنا، وغزاة أيضاً، هَالِمِيٌّ وَكَانُوا عِرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَبِثَ لَكُمْ

فيسبب رحمة وضمها الله في قلبك و ﴿ما﴾ حرف يعيد تأكيد ربط السبب وهو الرحمة بالسبب وهو ﴿كنت﴾ أي سهلت أحلاك

﴿قسط﴾: حائجا في المعاملة.

﴿عليك القلب﴾: لاشمقة فيه.

﴿فَادْعِمْ﴾ أي فطعم برأي بعد المشاورة ﴿فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

أى فتق به سبحانه وأنت قادم على ماتريد ﴿يعمل﴾. يخون فى الغنيمه، من الفلول وهو الأحذ من الغنيمه قبل قسمتها.

المعنى: إذا سافروا لنحو تحارة وماتوا أو كانوا غزاة وقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا. لاتقولوا أيها المؤمنون هذا القول الدال على الجهل بقضاء الله فى الموت كما تقدم، ليجعل سبحانه أثر ذلك القول ونتيجته حسرة فى قلوب الكافرين وحدهم، فيحرمها من طمأنينة الرضا بقضاء الله وقدره، فيستولى عليهم الصجر وقلق النفس فيردادوا ضعفاً ويضيقكم الله شرهم. والله يحيى ويميت حسب تقديره. فقد يعيش المسافر والمقاتل ويموت المقيم القاعد. والله لش قتلتم أيها المؤمنون فى الجهاد أو متم وأنتم فى طريقه أو أثاثه موتاً طيبها لمغفرة من الله لدنوبكم ورحمة منه لكم خير مما يجمع الحريصون على الحياة واسعد حظاً لظمركم بمغفرة تمحو الذنوب ورحمة ترفع الدرجات. ثم بين سبحانه أن مرجع الجميع إليه فقال: وثن متم أى موتاً عادياً أو قتلتم فى الجهاد أو غيره هلا بدم من حشركم وجمعكم عنده تعالى يوم القيامة ليعاسبكم ويجازيكم. فيسبب رحمة عظيمة منحها الله لك أيها النبى سهلت أخلاقك لأصحابك بعد ما خالهمك فلم تمصب عليهم. ولو كنت هافد الرحمة جاف المعاملة قاسى القلب لتفرقوا من حولك وبقيت وحدك. فاعلم عنهم بهائياً فيما تسببوا فيه من إيذائك واستغفر لهم ربك فهما حالصوه. وبهذا تشملهم شفقتك عليهم فيرداد حبهم لك، وداوم على مشاورتهم فيما ليس فيه وحى، ولا تترك المشاورة لما وقع منهم من خطأ فى هذه الواقعة. فإن الخير فى تربيتهم على هذا المبدأ العظيم. لأن خطأ الكثيرين أقل من خطأ الواحد، فإذا قطعت برأى بعد المشاورة فتق بربك وأنت قادم على العمل، فإله يحب الوثائقين بمساعدته الدين لا يرون غيره لأنه صاحب التصرف فى كل شىء. ولذا قال سبحانه: ﴿إن يبصركم الله فلا غالب لكم﴾ كما حصل يوم بدر، وإن يخذلكم كما حصل فى أحد فلا أحد يبصركم من بعد خذلانه، وعلى الله يتوكل المؤمنون لأنهم يعلمون أنه لا ناصر سواه. ولما كان سبب الهزيمة فى أحد هو حرص الرماة على العاثم وخوفهم أن يموتهم شىء منها كما تقدم. أراد سبحانه أن ينههم إلى حفظهم ويرشدهم إلى العزيمة حق كل محاهد وأنه ﷺ لا يعطى بعضاً ويترك بعضاً وإلا كان ممن يقل ويحون فى الغنيمه، وما حار لنبي من الأنبياء فضلاً عن نبيكم وهو أكرمهم

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَعْدٍ
مِّنَ اللَّهِ وَمَلَأَتْهُ جَهَنَّمَ وَرِثَسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾ ثُمَّ دَرَجَتْ
عِندَ اللَّهِ وَأَكْفَهُ بِصِيرٍ مَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ مَتَّ يَسِيرَ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَىٰ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ أَصْصِكُمْ مِصْبِيَّةً
فَدَلَمْتُمْ يَتَلَبَّيْ قُلُومَ أَنَّىٰ قَدْ أَتَىٰ هَؤُلَاءِ مِنْ عِندِ أُنْفُسِكُمْ
إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الْمُسْتَعِينِينَ فَهَذِهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَزَّلْنَا عَلَيْهُمُ الْقُرْآنَ وَلِيُعَلِّمُوا الَّذِينَ
نَافَقُوا وَمِن قَبْلُ هُمْ أَغْوَىٰ فَبَيَّنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُفْهَرُوا
فَالَّذِينَ يُظَلِّمُونَ بَالًا لَّا يُعْمَرُونَ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِهِمْ لَا يَنْصُرُهُمْ يَأْفِقُونَ إِلَّا يَنْصُرُهُم مَّا نَسَبُوا فِي تَوْبِهِمْ

عند ربه أن يتصرف في العنيفة قبل قبمتها
على مستحقها؛ لأن مَنْ يعمل يات بما خان
فيه يوم القيامة ليفضح على رموس الأَشهاد.
نظر تفصيل ما يحصل في ذلك يوم القيامة
في حديث رقم ٤١٢ من كتابنا صفوة صحيح
البخاري. ثم تعطى كل نفس يوم القيامة جِراء
ما عملت وأهيا بدون نقص.

﴿بَاءَ بِسَعْدٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي رجع مفضوباً
عليه من الله.

﴿مَأْوَاهُ﴾: أي مكانه الذي يأوي إليه.
﴿يُزَكِّيهِمْ﴾: يظهرهم من العقائد الفاسدة.
﴿الكتاب والحكمة﴾: الكتاب المراد هنا صفة

الكتابة فيقلهم من الأمية إلى العلم. انظر الآية (٢) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١. وقد تقدم
في الآية (٤٨) من هذه السورة صفحة ٧٠. والحكمة هي معرفة أسرار الشريعة.

﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ هي أحد بقتل سبعين منكم. ﴿قَدْ أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا﴾ يوم بدر حيث قتلتم
من عدوكم سبعين وأسرتهم سبعين. ﴿أَنَّىٰ هَذَا﴾ أي من أين هذا القتل.
﴿أَوْادِفَعُوا﴾: أي المدو عن أهلكم ووطنكم على الأقل.

المعنى ولا تظلم نفس شيئاً من جِراء عملها. ثم طمأن سبحانه المؤمنين وحذر الكافرين
فقال. أفمن اتبع رضوان الله يسيره في الطريق الذي يرضيه كصالحين المؤمنين كمن رجع من
سعيه في الدنيا بسخط الله لأنه عصاه كالكافرين والمناهقين الذين عاقبتهم أن مثوهم جهنم
وئس النهاية نهايتهم.

(١) رضوان.	(٢) وملاوا.	(٣) درجات.	(٤) آياته.
(٥) الكتاب.	(٦) صلال.	(٧) أصابكم.	(٨) أصابكم.
(٩) فأنزلوا.	(١٠) لا تبصركم.	(١١) للإيمان.	(١٢) يافولهم.

والجميع مؤمنون وكافرون على درجات عند الله فليصوا سواء هي الثواب والعقاب،
 فالؤمنون لهم منازل في الجنة تختلف باختلاف درجات أعمالهم، والمعصوب عليهم لهم درجات
 في جهنم تختلف باختلاف جرائمهم والله بصير بما يعملون فيعطى كلا على قدر ما يستحقه.
 ثم أراد سبحانه أن يوبخ العرب على كفرهم بمن كان سبباً في بقاء ذكرهم إلى يوم القيامة،
 فقال: ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ أي من العرب الذين نشأت بينهم الدعوة وحملوها إلى
 سائر العالم إذ بعث من بينهم رسولا إلى الناس كافة، ولهذا لم يقل ﴿بعث إليهم﴾ وإلا لكان
 ميموثا للعرب خاصة، من أنفسهم أي عربى، وهذا تشريف لهم لأنهم صاروا من الأمم التي
 اختار الله منها أنبياء إجابة لدعوة إبراهيم كما في الآية (١٢٩) من سورة البقرة صفحة ٢٥،
 والآية (٢) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١، وكل نبي كان بلسان قومه كما في الآية (٤) من
 سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩، والآية (٥٨) من سورة الدخان صفحة ٦٦٠ وهذا يقتضى أن يكون
 العرب أول من يؤمن به لأنه فخر لهم وكتابه بلغتهم، انظر الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة
 ٤٢١، والآية (٤٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١.

هذا الرسول يتلو عليهم كلام الله ويزكيهم وينقلهم من الأمية ويعلمهم الكتابة والقراءة
 فيحصلون كل علم نافع، ويعلمهم معرفة أسرار الأشياء وخاصة الشريعة بعد ما كانوا قبل
 محبته في ضلال ظاهر، ثم وبخ سبحانه المؤمنين الذين جزعوا يوم أحد بقوله أو لما إصابكم
 إلخ، المعنى أجزعتم وتخاذلتم ولما إصابكم مصيبة كنتم قد أصبتم من عدوكم قدرها مرتين
 قلتم مستغربين مع أنكم السبب، من أين جاءت هذه المصيبة؟ قل لهم أيها النبي: الذي أصابكم
 حاصل من أنفسكم لأنها السبب حيث حالف رمايتكم أمره ﷺ، والله قدير ومن سنته في خلقه
 أنه ينصر المطيع ويحدل العاصي، ثم بين ما تقدم فقال وما أصابكم يوم التقى الجمعان
 فيإرادة الله تعالى وقصائده بأن من يخالف قائده يحدل، ثم بين الحكمة فيما حصل فقال:
 ﴿وليعلم المؤمنين﴾ أي علم ظهور، والمراد ليظهر للناس المؤمنين والمنافقين الذين قال لهم
 المؤمنون استمعوا مع الجيش وقاتلوا معاً في سبيل إعلاء كلمة الله، أو على الأقل ادفعوا العدو
 عن أهلكم ووطنكم قالوا مراوغين: لو يعلم أنكم ستلقون قتالاً ليقيا معكم ولكننا نعلم أنه لن

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ قَادَرُوا عَنْ أَمْعِكُمُ الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٨﴾ فَرِحَ بِهِمُ اللَّهُ فَخْلًا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿١٥٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ كَثْرًا مِمَّا يُعْتَصِرُونَ مِنَ الْحَرْبِ عَنَيْتِهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٠﴾ يَتَذَكَّرُونَ فِي اللَّهِ مِنْكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُبْغِىَ لِكُلِّ أَفْوَاجٍ الْقَرْحَ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ مِنْ قَدَرِ مَا أَهْلَسَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَلَمْ يَكُنْ عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ نَكِرٍ فَاذْكُرْنِهِمْ يَرَأَوْنَ أَنَّ بَيْنَهُمُ الْبَصُرَ ﴿١٦٣﴾ وَأَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُهْلِكُوا أَهْلَ الْبُيُوتِ كَمَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْفِخُوا بِأَفْوَاجٍ مِمَّا يَخْلُقُونَ فَيُخْلِقُونَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْبُيُوتِ الْمَدِينَةِ نَحْمَدُ اللَّهَ نَكُنِ مِنَ الْغَاثِ وَالْثَغَرِ ﴿١٦٤﴾ وَلَقَدْ كُنَّا يَوْمَ الْفَتْحِ نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا يَوْمَئِذٍ بِمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ لِمَنْ يُشَاءُ لَا يَخْتَارُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ إِنِّي أَخْشَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٦٦﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ لِمَنْ يُشَاءُ لَا يَخْتَارُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ إِنِّي أَخْشَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٦٧﴾

يحصل قتال هؤلاء المنافقون بقولهم هذا تباعدوا عن الإيمان المظنون فيهم وصاروا إلى أهل الكفر اقرب. ولم يحكم بكفرهم نهائيا قاضيها لمن يتهم على التكسير بدون دليل قاطع، وايضا لفتح باب الإيمان لمن لم يتمكن النفاق من قلبه.... يقولون بأفواههم ليس هناك حرب مع أنهم يعتقدون في صميم قلوبهم أن الحرب واقعة لا محالة.

﴿ادفعوا﴾: ادفعوا. ﴿استجابوا لله﴾:

اطاعوه. ﴿القرح﴾: المراد به هنا الجرح.

﴿فانقلبوا﴾: أي رجعوا.

المعنى والله أعلم بالنفاق الذي يكتُمونه وسيجاريهم عليه، وهم الذين قالوا بعد المعركة لأجل إخوانهم الذين قتلوا في أحد، قالوا والحال أنهم قد قعدوا وتحلصوا عن القتال لو أطاعونا وتخلفوا مثلنا ما قتلوا كما أننا لم نقتل، قل أيها النبي ردا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن الحذر يمنع من القدر، وقدر الله تعالى وقصاؤه هي القتل كقضائه في الموت العادي لا بد من معاده ولا يتوقف على حرب، فليس كل محارب يموت، ولا قاعد يسلم. ثم بين سبحانه فساد ما يصل به المنافقون من أن الذي سلم من القتل أسعد حظا من الذي قتل، فقال: ولا تحسبن أيها السامع الذين قتلوا في سبيل الله من الشهداء أمواتا كأموالكم بل هم أحياء حياة برزخية لا تعلم حقيقتها وأما الذي تعلمه فهو أنهم منعمون كما تقدم في الآية (١٥٤) من سورة البقرة صفحة ٢٠ عند ربهم، عندية شرف وكرامة، كما قيل في

أدريس هي الآية (٥٧) من سورة مريم صفحة ٤٠١، يرزقون رزقا حسنا لا نعلم حقيقته لكننا نعلم أنهم سعداء به، مسرورين لما آتاهم الله تعالى من فضله زيادة على ذلك الرزق الذي استحقوه بجهادهم انظر الآية (٢٠) من سورة فاطر صفحات ٥٧٥، ٥٧٦، ويصرحون بإحوائهم المجاهدين الذين تركوهم حلمهم ولم يقتلوا ولم يلحقوا بهم إلى الآن. يستبشرون بأنه لا خوف على إحوائهم من مكروه، ولا يعربون لفوات محبوب، ويستبشرون هؤلاء الشهداء بنعمة من الله عز وجل هي جريل ثوابه، وعصل ريادة هي الثواب، ويعسرون أيضا بصدق وعده تعالى هي أنه لا يضيع أجر المؤمنين. وروى أن أبا سفيان وأصحابه لما أصرهوا من أحد وعلموا أنه ﷺ مارال حيا ندموا وهموا بالرجوع للقضاء على كبار المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأراد أن يرهبهم ويربهم قوة أصحابه خصوصا بعدما ندموا وشعروا بأن الله تعالى لا يد ناصرهم، فنادى مناد في المدينة بالخروج لملاقاة المشركين ثانيا على أن لا يخرج إلا من شهد المعركة هي أحد فخرجوا جميعا حتى من كان جريحا بعد تصميد جراحه، فاشاع المنافقون في المدينة أن أبا سفيان جمع جموعا كثيرة من قريش لا يمكن التغلب عليها يريدون بذلك تثبيط المؤمنين عن القتال فلم يبال بهم أحد، بل قابلوا هذه الدعاية الحبيثة بقولهم «حسبنا الله ونعم الوكيل» وساروا حتى بلغوا مكانا يقال له حمراء الأسد ببعد عن المدينة نحو ثلاثة أميال، عند ذلك علموا أن رجالا من قريش نصحو أبا سفيان بالرجوع فائقين أن المعلوم دائما يقاتل قتال المستميت، فعاف المشركون، فأنزل الله في ذلك قوله - الدين استجابوا لله والرسول لما طلبهم للقتال ثانيا من بعد ما أصابهم القرع، للدين أحسوا أعمالهم منهم وهم كلهم طبعاء، واتقوا معاصيه، لهم أجر عظيم هي الآخرة، هؤلاء الذين قال لهم المنافقون إن الكفار قد جمعوا لكم جموعهم فاحشوهم ولا تحرجوا، فإرادهم هذا القول إيمانا بنصر الله لأنهم تابوا وقالوا كافينا الله شرهم، ونعم الوكيل الذي نكل إليه أمورنا.

فرجعوا مصحوبين بنعمة من الله هي قوة الإيمان، وفصل هو الأجر العظيم، لم يمسسهم سوء من أحد، واتبوا بأقدامهم ما يرضى الله تعالى عنهم.

رَضَوْنَ اللَّهَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ إِنَّمَا ذُرِّيَّتُ
النَّبِيِّ نَحْوُ أُولَئِكَ لَا تَحْفَوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ حَقًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾ إِنْ الَّذِينَ كَانُوا
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٢﴾
وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ تَمَلَّى لَهُمْ حَيْرٌ لَا يُفِيهِمْ
إِنَّمَا تَمَلَّى لَهُمْ بَرْدٌ دُونَ نَارٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١١٣﴾
مَا كَانَ اللَّهُ بِدُونِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا لَمْ يَحْكَمْهُ حَتَّى يَخْرُجَ
الْحَقُّ مِنْ أَطْرَفٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِطَعْنِكَ عَلَى عَاقِبِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَصِمُ مِنْ رُؤُسِهِمْ مَنْ يَشَاءُ فَفَاصِرًا بِاللَّهِ
وَرُؤُسِهِمْ وَإِنْ تُؤْمِرُوا تُؤْمَرُوا بِمَا جَاءَ عِزُّكُمْ

﴿يسارعون في الكفر﴾ - يقومون في أعمال
الكفر سريعاً وهم المناهضون ﴿إن مانعاً لهم
حير لا يمنعهم﴾: أي أن إيماننا لهم بتطويل
أعمارهم حير. ﴿ليتر﴾. ليعترك. ﴿يجتنب﴾. يجتنب.
المعنى. والله ذو فضل عظيم فلا يمنع
عمن أحسن في طاعته

إِنَّمَا ذَلِكَ الْمَنَاقِقُ الْقَاتِلُ لَكُمْ إِنْ النَّاسُ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ هُوَ الشَّيْطَانُ الْأَكْبَرُ مِنْ شَيْطَانِ
الْإِنْسِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ هِيَ الْآيَةُ (١١٢) مِنْ سُورَةِ
الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٨١، يَحْفَوْكُمْ مِنْ أَوْلِيَانِهِ
وَإِحْبَابِهِ كَمَا قَرِيشُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ هِيَ الْبَاطِلُ.
فَلَا تَحْفَوْا الْكَافِرِينَ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ
صَرْفَكُمْ، وَخَافُوا أَمَّا الرَّبُّ الْقَادِرُ لِأَنَّ الْأَمْرَ

كله بيدي إن كنتم راسخين في الإيمان فلا تنالوا بهم ولا يحزنكم أيها النبي أعمال المناهضين
وكفرهم فإنهم بذلك لا يصرون أولياء الله بل يصرون أنفسهم، فمن يصرونك إذ لأنك من عند
الله مادمت محافظاً على أو مره وإنما وقعت منهم تلك المحاولات الماشية لأن من قصاء الله
تعالى أن من تمسك بطرته التي حنقه عليها سليمة بمقد الاستعداد للحير، فيعززه سبحانه
من أقل نصيب من نعيم الآخرة كما هي الآية (١٠١) من سورة التوبة صفعه ٢٥٩ ولهم في
الآخرة عذاب عظيم

إن الكافرين الذين احتاروا الكفر بدل الإيمان لن يصروا الله شيئاً ولو قليلاً وإنما
يصرون أنفسهم، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم فهم كالمناهضين في هشلهم في الدنيا وعد بهم
في الآخرة. ولا يحسن هؤلاء الكافرون أن إيماننا لهم وعدم إيماننا لهم سريعاً حير
لأنفسهم، كلا بل هو لزيادة شقائهم بكثرة المعاصي فيكون لهم في الآخرة عذاب مهين ثم
أراد سبحانه أن يبين بعض حكمه فيما حصل في يوم واحد فقال ما كان الله ليعترك المؤمنين
المخلصين على ما أنتم عليه أيها المسلمون عامة المخلصون والمناهضون، من حثلاط الصادق

وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ يَخُوتُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَحْمِلُونَ بِهِ
يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَفِيهِ مِثْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَكَبْنَا مَقَاطِرًا وَقَتَلْنَاهُمْ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُوا دُونُوا عَذَابَ الْخَالِدِينَ ﴿١٨١﴾
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لَعَلٍ ﴿١٨٢﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدُ لَنَا بِالنَّارِ أَنْ لَا نَزُولَ فِيهَا
بِأَنْبِيَاءٍ فَرِيدَةٍ تَأْكُلُ النَّارُ قُلُوبَهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ
قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ بِهِمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَمَنْ كَذَّبَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ
فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٨٤﴾

بالموافق، والاعتزاز باشتراكهم في صور
المبادات كالصلاة والصيام فينخدع المخلص
في المناق، حتى يميز الخبيث من الطيب،
ويبين الموافق من المؤمن، بواسطة التمرض
للمحن والشدائد.

ولما كان يحظر بالبال أنه كان يمكن أن
يطلع الله المؤمنين جميعا على غيبه نفي
سبحانه ذلك وإلا لكانوا كلهم رسلا، ولكنه
يختار من رسله مَنْ يشاء أن يطلعهم على
بعض الغيب الذي لا تصل إليه عقولهم ولهم
في علمه مصلحة ليبلغوه لأمرهم كالبعث
والجنة والنار وما هيها وغير ذلك. فأمروا
بالله ورسله بأن تؤمنوا بكل ما جاءوا به عنه

تعالى. وأن تؤمنوا كما أمرتكم وتتقوا ما بهتكم عنه فلکم اجر عظيم في الآخرة. وإلى هنا
انتهى الكلام على عروة أحد، وعاد سبحانه وتعالى إلى بيان بعض أعمال اليهود فقال
﴿ولا يحسبن...﴾ إلخ

﴿سيطوفون ما بخلوا به﴾ أي يجمع المال الذي بخلوا به طوقا من نار في أعناقهم يوم
القيامة. ﴿عذاب الحريق﴾ أي المحرق، فالمراد عذاب النار.

﴿قدمت أيديكم﴾ المراد ما قدمتم.. فحبر عن الإنسان باليد لأن أكثر أعماله بها.

﴿عهد إلينا﴾: أي أوصانا في التوراة وأمرنا أن لا تؤمن لرسول أي لا تصدقه حتى يأتينا بقرآن

﴿القريب﴾: ما يتقرب به إلى الله تعالى من صدقة أو حيوان يذبح للمقراء. ﴿تأكله النار﴾

أي تحرقه وكانوا تعتوا مع بعض أبيانهم فطلبوا منه ذلك هذيع بقرة وتركها في الخلاه
فجاءت نار من السماء فأحرقتها، ومع ذلك كذبوه وقالوا ساحر.

«البيّنات» المعجزات الواضحات. «الزبر»: جمع زبور وهي المواعظ التي تهز القلوب والتي جاء بها داود عليه السلام. «والكتاب»: المراد جنس الكتاب فيشمل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم «المنير»: الموضح لطريق الحق.

المعنى: ولا يحسبن اليهود الذين ييحلون ببذل بعض ما آتاهم الله بعلمهم خيرا لهم بل هو شر لهم، لأنهم سيطوفون ما يحلوا به يوم القيامة. انظر كيف فسر ﴿هذه الآية وبين كيفية التطويق في حديثي رقم ٢٠٤، ٢٠٥ من كتابنا صفوة البحارى ولله ميراث السموات والأرض وما بينهما، أى قلن يبقى في يد الإنسان شيء، فمن الجهل أن ييحل على نفسه بما ينجيها من العذاب، والله بما تعملون أيها البخلاء خبير، وسيجاريكم شر الجزاء..

ولما نزل قوله تعالى «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية (٢١٥) من سورة البقرة صفحة ٥٠، قالت اليهود تهكما على القرآن والرسول إن الله فقير ونحن أغنياء وإلا لما طلب منا قرضا. فهددهم سبحانه بقوله لقد سمع الله قول الذين... إلى قوله سنكتب ما قالوا، أى نأمر الملائكة بأن تسجل عليهم من صيغاتهم هذا الجرم، وتسجل أيضا قتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول لهم يوم القيامة على لسان حربة جهنم ذوقوا عذاب النار المحرقة، فائلين لهم أيضا؛ ذلك الذى أنتم فيه من العذاب بسبب أن الله ليس بصاحب ظلم لمبادء، أى العذاب أصابكم بذنوبكم وبكونه تعالى عادلا في حكمه لا يظلم فيعاقب غير المستحق للعقاب، ولا يجعل الناسق كالمؤمن ولا الأشرار كالأخيار، فيكون أصابع على المتقين تعبههم. وهؤلاء اليهود الذين قالوا إن الله أوصانا في التوراة بأن لا نصدق رسولا إلا إذا جاءنا بقربان تأكله النار وهم كاذبون في أن الله أمرهم بهذا أو جعله شرطا لتصديق الأنبياء، لأن النبوة تثبت بكل معجزة لا بخصوص ما طلبوا، ولذا رد عليهم بقوله قل لهم أيها النبي قد جاءكم رسل كثيرون من قبلى بالمعجزات الواضحات التي هي أقوى مما طلبتم كأحياء الموتى، وجاء بعضهم بما طلبتم من القربان، فلم قتلتم البعض وحاولتم قتل الآخر كعيسى ولم تكتفوا بتكذيبهم إذا كنتم صادقين في دعواكم أنكم تصدقون عند المعجزة.

ثم أراد سبحانه أن يُسلى نبيه حتى لا يجرع لتكذيبهم فقال عز وجل فإن كذبوك بعد أن جئتهم بالمعجزة الخالدة وهي القرآن الذى لو اجتمع الإنس والجن لما استطاعوا أن يأتوا بسورة

ثم أراد سبحانه أن ينبه نبيه وأصحابه إلى التسليح بالصبر على ما سيلاقيه من المتاعب فقال ﴿لَتَبْلَوُنَّ... إلخ﴾ أى سيلاقىكم ابتلاء وامتحان فى أموالكم بالتكليف بإيفائها فى الخير، وبما يصيبها من تلف، وفى أنفسكم بالقتل والأسر والأمراض والتكاليف الأخرى، ولتسمعن من اليهود والنصارى ومن المشركين أذى كثيرًا كالظمن فى دينكم واتهام الرسول بأنه ساحر كذاب وتحقير من يؤمن معكم، وإن تصبروا على ذلك ولا تضق به نفوسكم وتمروا به كراما وتتقوا الله فلا تمصوه فهو خير لكم، لأن ما ذكر من الصبر والتقوى من الأمور التى يجب الثبات عليها، ثم بين سبحانه بعض إيذاء أهل الكتاب له ﷺ حيث كتموا صفاته التى عندهم فى التوراة، وأكروا أنه هو النبى المبشر به، فقال سبحانه: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق﴾ إلخ، وذكر أنها النبى وقت أخذ الله العهد على أهل الكتاب لتبين ما فى الكتاب من صفاته ﷺ وعلامات نبوته لباس ولا تكتمونه، ذكر ذلك للمبالغة فى إيجاب البيان، فتبدوا تعاليم الكتاب وأهملوه، ثم بين سبب ذلك فقال ﴿واشتروا به﴾ إلخ، أى استبدلوا ببيان الحق الواجب عليهم بالعهد لئلا تافها هو حب الرياضة على الجهال من أتباعهم وابتزاز أموالهم، لأنهم لو أسلموا لصاع منهم كل ذلك، فينس ما أخذوا لأنه زائل أضاعوا به نعيمًا خالدًا، انظر الآية (١٧٤) من سورة البقرة صفحة ٣٣.

لا تحسبن أيها النبى الذين يفرحون بما أتوا الناس من الضلال الذى يظنونهم ينفعهم، ويحبون أن يمدحهم الناس بأنهم حفاظ التوراة المعاملون بما فيها وهم فى الحقيقة لم يحافظوا ولم يفعلوا بل فعلوا نقيضه وهو تضليل الناس وصرفهم عن الحق الواضح كما فى الآية (٧٩) من سورة البقرة صفحة ١٥، فلا تحسبنهم ﴿بمفارة﴾ أى بمعجاة من العذاب التى اندبها بل سيلاقىهم الخذلان والكمد بنصرة أهل الحق عليهم ولهم فى الآخرة عذاب شديد الأليم. ثم زاد فى طمأنينة النبى ﷺ وأصحابه فقال، ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ إلخ، أى لا يتصرف فيها أحد إلا بمشيئته فلا تبالوا بغيره لأنه هو وحده القدير على كل شىء، ومنه خذلان الكافر وتعذيبه، ونصر المؤمن وتعيمه.

«آيات» - أدلة وبراهين على قدرة الله
رصدت رسول.

«الآيات»: العقول. «مباديا» - هو
لرسول والقرآن الذي جاء به.

«عاصر لنا ذنوبنا»: الناشئة من تقصير
عن عبادتنا لك.

«سينشأتنا»: التي ارتكبتها في حقوق
لعباد. «الأبرار» جمع بار وهم المحسنون
من أعمالهم. انظر الآيتين (١٧٧، ١٨٩) من
سورة البقرة صفحات ٢٢، ٢٤، ٢٧.

قَدِيرٌ ﴿١٨٨﴾ إِذْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
النَّجْمِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُهُوبِهِمْ وِيقَاةٌ مِّنْ حَقِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَسًا مَا خَلَقَتْ هَٰذَا بِإِطْلَاقِ مُخَنِّكَ
فَقَدْ عَدَّتْ آدَارَ ﴿١٩٠﴾ رَسًا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ الْأَرْضَ فَدَّ
أَخْرَجَتْهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُسَادًا بِأَصْدَىٰ لِلْإِيمَانِ أَنْ هَامِرًا بَرِيكًا قَهَامًا رَبَّنَا مَا خَلَقَ
لَنَا دُورًا وَكَفِّرْ عَنَّا سَفَاةً وَتَوَّعًا مَّعَ الْآزَارِ ﴿١٩٢﴾
رَبَّنَا وَهَبْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَن رُّسْلِكَ وَلَا تُخَيِّبْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعَهْدَ ﴿١٩٣﴾ فَلَنَنْجِبَ لَهُمْ مِنْهُمُ إِلَىٰ
لَا أَمْسِجُ عَمَلٌ عَمِلَ بِكُمْ مِنْ دَكِّ أَرَأْسُنِ نَعْمُكُمْ
مِنْ بَعْضِ عَالَمِينَ خَائِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَادُّوهُنَا

«على رسلك» أي على لسان رسلك - بعضكم من بعض» أي أن الذكر والأنثى من جنس
واحد فلا تعاضل بينهما إلا بالعمل الصالح.

المعنى قال الصخر ليرأى إلى المصنوع من هذا الكتاب الكريم هو جذب القلوب و لأرواح
من الاشتغال بالخلق إلى الاستعراق في معرفة الحق سبحانه هناء هنا عبر وحل لما أطلال
الكلام من رد شبه المظلمين. رجع هنا إلى إثارة القلوب بذكر ما يدل على توحيدده وكبريائه
وحلاله فذكر هذه الآيات وأراد بذلك سمحانه أن يبين سبب عظمهم عن الأدلة وهو أنهم

(١) السموات.	(٢) واختلاف.	(٣) النجوم
(٤) آيات.	(٥) الأنبياء.	(٦) عبادنا
(٧) السموات	(٨) باطلا.	(٩) سبيلك
(١٠) لنظامين	(١١) بلايمان.	(١٢) العبيد
(١٣) عمال.	(١٤) ديارهم	

أفسدوا عقولهم بالتقليد. فقال إن في خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب، واختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلمة والنور بنظام لا يتحلف، لأدلة وبراهين على قدرة الله وحكمته، لأولى الأبواب أى العقول الحالصة من العملة والشهوات والتقليد الأعمى، وانظر لذلك حكماً كثيرة فى الآيات

(١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٢١، (٦٧) من سورة يونس صفحات ٢٧٦، ٢٧٧ (٧١، ٧٢، ٧٣)

من سورة القصص صفحة ٥١٧ (٦، ١٠، ١١) من سورة الباء صفحة ٧٨٧.

وأولو الأبواب هم الذين يدكرون الله فى الصلاة قياماً عند القدرة عليه، وقعوداً أى قاعدين عند العجز عن القيام، وعلى جنوبهم أى مصطحبين عند العجز عن القعود، والمراد يحافظون على الصلاة فى كل حال، ويتفكرون فى مخلوقات السموات والأرض وما فيها من عجائب ونظام لا يقدر عليه سوى الخلاق العليم، فائلى هى أثناء تمكيرهم - ياربنا ما خلقت هذا النظام باطلاً بغير حكمة، سبحانه أى نزهك عن هذا، فقنا عذاب النار لأنك يارب حكمت بغزى وإهانة مَنْ تدخله النار، وما للطالمين الذين حكمت بدخولهم النار أنصار وأعوان يدفعون عنهم المذاب، ياربنا إتنا سمعنا رسولك وكتابك يادينا أن آمنوا بربكم فأسرعنا إلى الإجابة، فاستر عنا يوم الحشر الأكبر ديوينا، وكفر أى اسقط عنا بعموك أو بقبول حسناتنا، كما قلت ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، واتقا ما وعدتنا به على لسان رسلك من الرحمة والفضل، فأجاب ربهم دعاءهم ووعدهم بأنه لا يصيب عمل عامل منهم، بل يحفظه لهم ويجاريهم عليه خير الجراء. سواء آكان العامل ذكر أم أنثى، فكلهم فى العبودية له سواء، وإنما التفاصيل بالعمل الصالح. ولذا قال هالذين هاجروا هرازا بدينهم إلى مكان يحافظون فيه عليه، وأخرجوا من ديارهم قهرا عنهم حشية القتل، كما فعل ﷺ عند الهجرة إلى المدينة، انظر الآية (٢٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، وأودوا أى آداهم الكمار بالقتل والنصب وسلب المال كما حصل لآل ياسر فى مكة.

فِي سَبِيلِ وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْمُرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَذِلَّاهُمْ جَنَّاتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَاسَّوْا
عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩﴾ لَا يَمُرُّكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبُيُوتِ ﴿٢٠﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَرِثَاسُ الْيَمَادِ ﴿٢١﴾ لَكَ الَّذِينَ أَخْرَجْتَهُمْ لَمْ
يَكُنْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَنِيدِينَ فِيهَا رُلَّالٍ
عِندَ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لَلْآبِرَارِ ﴿٢٢﴾ وَهَلْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَزِرْ يَدَ اللَّهِ وَمَا أَرْبَلْ الْبَكْرَ وَمَا
أَرْبَلْ إِنِّيهِمْ خَلِيقِينَ بِهِ لَا يَشْرُونَ بِمَا نَبَتْ اللَّهُ تَمَّا
قَلِيلًا أَوْ تَكْثَرُ لَمْ يَزِرْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامُوا أَصِيدُوا وَمَا رَوَا
وَرَابَطُوا وَأَقْرَأَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾

﴿تقلب الذين كفروا﴾: تنقلبهم وتصرفهم.
﴿متاع قليل﴾: أى تمتع قليل إذا قيس بنعيم
الآخرة.

﴿ماواهم جهنم﴾: أى المكان الذى يأوون
إليه. ﴿بشس المهاد﴾: قبح المراض.

﴿نزلا من عند الله﴾: النزل مما يُعد
للصيف عند مروله.

﴿صابروا﴾ غالبوا أعداءكم فى الصبر
على شدائد الحرب فلا يكونن أصبر منكم.

﴿رابطوا﴾: اقمموا فى ثغور بلادكم التى

يحشى منها على بلادكم.

المعنى وقتلوا من يحارب الدعوة وقتلوا استشهادا فى سبيل الله، الذين فعلوا كل هذا
وعزلى وحلالى لأكرمهم عنهم سيئاتهم ولأذلهم جنات تجرى من تحت عرفها الأنهار، أشبههم

(١) وقالوا

(٢) جنات

(٣) الأنهار

(٤) البلاد

(٥) متاع

(٦) ماوهم

(٧) جنات

(٨) الأنهار..

(٩) حالدين

(١٠) الكتاب

(١١) خاشعين

(١٢) بآيات

بهذا ثوابا من عند الله أى ثوابا عظيما يليق بالمنعم، والأصل ثوابا من عندي لكنه أظهر لفظ الجلالة لتفخيم الثواب، والله عنده الثواب الحسن.

ثم أراد سبحانه أن يبين للمؤمنين أن ما وعدهم به من الثواب هو السعادة الدائمة وما عدها زائل فقال: لا كفرتك أيها السامع أو القارئ تنقل الدين كضروا في البلاد للتجارة والكسب مع التمتع بالحرية وشهوات النفس، فإن كل هذا متاع قليل إذا قيس بنعيم الآخرة الحالد المعد للمؤمنين، ثم بعد هذا التمتع الرائل يكون مأواهم الذى يأوون إليه هو جهنم وبئست فراشا أعدوه لآخرتهم. هذا ما أعد للكافرين.

لكن الذين اتقوا ربهم فلم يمضوه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حال كون ذلك النعيم نزلاً أعد لهم من عند الله، وما عند الله بعد ذلك من الرضوان الأكبر خير للأبرار من الجنات لأنه نعيم للروح ثم استثنى من عموم الكافرين من أهل الكتاب المدمومين فيما تقدم فقال: وإن من أهل الكتاب من يؤمن بالله، كم عبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي وأصحابه من البصري، وما أنزل إليكم من القرآن، وما أنزل إليهم هو الشورى والإنجيل الصحيحان، حال كونهم خائمين خاضعين بقلوبهم، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً كما يفعل من لم يؤمن من أحبارهم ورؤسائهم أولئك المؤمنون من أهل الكتاب لهم أجرهم مرتين كما هي الآية (٥٤) من سورة القصص صفحة ٥١٤.

إن الله سريع الحساب، أى يحاسب جميع الخلائق في أقصر وقت ويوفى كلا جرائه، يأبى الذين آمنوا أصبروا على مشاق التكليف وصابروا أعداءكم أى أغلبوهم في الصبر على الجهاد والشدائد حتى يمجروا هم دوابكم، ورابطوا بمدتكم في منافذ بلادكم حتى لا يضاكنكم عدوكم على غرة منكم، واتقوا الله فلا تمضوه، لأن التقوى أساس النجاح، يرجى لكم الفلاح وهو الفوز بالمطلوب في الدنيا بالعزة وفي الآخرة بالنعيم. سأل الله تعالى حسن الختام.

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويث مهما﴾ أى شر وفرق هي الأرض من المعص وروحها.

﴿الأرحام﴾ المراد بها روابط القرابة.

﴿الحبيث بالطيب﴾: المراد بالخبيث الردى من الأشياء وبالطيب الجيد.

﴿ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾: أى

لاتأخذوها لتضموها إلى أموالكم. ﴿حوبا﴾ ذنبا.

(٤) سُوْرَةُ النِّسَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا السُّعْدُ سُبْحَانَ وَبَارَكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَتَثْبِيثًا رِجَالًا كَثِيرًا وَبَسَاءً
ذُنُوبًا أَفَرَأَيْتُمْ لِّلَّذِي نَسَاءُ لُونَهُ ۖ وَالْأَرْحَامُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَبْدُكُمْ رَقِيًّا ۝ وَآتُوا النَّسِيئَ أَمْرُكُمْ وَلَا تَقْدُلُوا
الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهُ كَانَ حُبًّا جَمًّا ۝ وَإِنْ عَفْتُمْ إِلَّا تُقِطِرُونِ
النَّسِيئَ مَا يَحْكُمُوا مَا غَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ شَيْءٌ
وَلَنْتُ وَرَبِّعُ ۚ إِنَّ يَحْتَمِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ رَّحْمَةٍ أَوْ مَلَكَتْ

﴿ما طاب﴾ ماحل. ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أى اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا.

النفس يأبىها الناس المؤمن منكم والكافر اتقوا ربكم بالبعد عن معاصيه، الذى أشاكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام ثم خلق الله حواء من آدم، يقول رسول الله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من صلب أعوج، وإن أعوج ما في الصلج أعلاه، فإن ذهبت لتقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فكنتم نوعا واحداً يسهل بينكم التآلف». ثم بين سبحانه كيفية خلقهم المذكور فقال عاطفا على مقدر مفهوم من السياق وخلق منها أى من نوعها روحها والأصل خلق تلك النفس أولاً ثم خلق من نوعها روحها ثانياً لينسجما وتكون بينهما المودة والرحمة المشار إليهما في الآية (٢١) من سورة الروم صفحة ٥٢٢، ثم فرع منهما رجالا كثيرا وبساء كثيرات وبشرهما هي أحياء الأرض ليعمروها، انظر المراد من النفس الواحد هي الآيات

(١٨٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٤ و (٧٢) من سورة البحل صفحة ٢٥٥ و (٢١) من سورة الروم صفحة ٥٢٢ و (١١) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩ ونظير هذا لاستعمال ما تقدم في الآية (١٦٤) من سورة آل عمران صفحة ٩٠ ثم أكد الأمر بالنقوى بقوة واتموا إليه الذي تساءلون به، الذي يسأل بعضكم بعضا قضاء حاجته بسبب تعظيم المسئول له تعالى كان الرجل يقول لصاحبه اسألك بالله أن تعمل هذا أي أطلب منك أن تعمل كذا بسبب إيمانه به تعالى وتعظيمك له وانفروا الأرحام أي واتقوا قطعها بأن تصلوها وقرى والأرحام بكسر الميم ومعنى هذه القراءة وتساءلون بالأرحام وكان الرجل منهم يقول لصاحبه اسألك بالرحم التي بيني وبينك أن تعمل كذا فكأنه سبحانه وتعالى يقول لاتصراطوا في هاتين الرأيتين بينكم رابطة الإيمان بالله ورابطة القرابة إن الله كان عليكم رقيبا يعلم كل أعمالكم ويحدثكم عليها وأتوا أيها الأوصياء انبئنا في الدين تحت وصايتكم أموالهم أي لاتصرفوا عيهم بل أنفقوا عليهم شيئا شبيها مع الاعتدال، ولا تحتربوها باسم حفظها وأنتم تطمعون في حمايتها أو تنتظرون موتهم لتأخذوها ميراثا، ولا تبدلوا الحبيث بالطيب أي لاتأخذوا الطيب من أموال اليتيم وتصفوا مكانه الحبيث من أموالكم كانوا في الحاهلية يأخذ لوصي الشاة السمييه من مال الفاسر ويمطي بدلها هريفة، ولاتأخذوا أموالهم وتصموها إلى أموالكم بدون عوض مطلقا، لأن كل ما تقدم النهي عنه كان إثما كبيرا وروى عن عائشة أن الرجل في الحاهلية تكون في وصايته اليتيمة العمية بنت عمه مثلا ويعجبه جمالها ويرعب في مالها الذي ملكته من غير طريق الميراث لأن العرب ما كانت تورث الصغير كما سيأتي فينزوجها بأقل من صداق مثلها فهي لله عن ذلك وأمرهم بالعدل وقال وإن حمتم ألا تبدلوا هي الصداق ولم يطمئن نفوسكم إلى العدل في صداقهن فتزوجوا ما حل لكم غيرهن مشر وثلاث إلح أي كل واحد يأخذ ما يستطيع من هذا العدد بشرط العدل والقدره على النعمة، فإن حمتم ألا تبدلوا بين الزوجات فتزوجوا واحدة فقط أو عاشروا ما ملكت أيمانكم من الإماء لأنه ليس لهن من الحقوق مثل ما للزوجات، من أراد معرفة رأى عائشة في تفسير الآية فليرجع لحدث رقم

أَتَمْسِكُ ذَلِكَ أَذَقَ أَلَا تَعْمَلُوا ① وَأَتُوا الْيَتَامَى
صَدَقَاتِهِمْ نَحْلَةً فَمِنْ طَبَقٍ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
مِمَّا مَرَرْنَا ② وَلَا تَنْزِرُوا الصَّهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَلَّ
أَلْفُكُمْ فِيمَا وَارَظْتُمُوهَا وَكُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْهَا
فَمَرَرْنَا ③ وَأَتُوا الْيَتَامَى حَقَّهُ إِنْ بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ
أَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَعَتِفًا
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَفِيهَا كُلٌّ بِالْمَعْرُوفِ فَأِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِالْقَلْبِ حَسِيبًا ④ إِنْ جَاءَ
بَصِيرَةٌ مِنْكُمْ تَرَكَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلْيَتَامَى حِصْبٌ
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
بَصِيرًا مَرُوضًا ⑤ وَإِذَا حَصَرَ الْفَيْسَةُ أُولُو الْفُرْقَانِ

«أدنى»: أقرب. «ألا تعملوا»: العمل
الجور، أى أقرب إلى ألا تجوروا أى إلى عدم
الجور. «صدقاتهم»: جمع صدقة بفتح
ضم لفة فى الصداق، والمراد مهورهن.
«نحلة»: أى عطية طيبة بها نفوسكم غير
طامعين فى استرداد شيء منها. «هنيتنا»:
مستلنا لاتنقص بعده.

«مرينا»: حسن التغذية.

«الصفهاء»: جمع صفيه وهو المسكين
التصرف لصغر أو تبذير ذكرا كان أو أنثى.
«قيامنا»: أى بها قيام حياتكم ومعاشكم.

«وابتلوا اليتامى»: اختبروهم فى حسن التصرف قبل البلوغ بأن تعطوهم بعضا من المال
ليتصرفوا فيه تحت مراقبتكم. «بلغوا النكاح»: أى بلغوا السن المأهول للزواج. «أستم منهم
رشدا» أى تبينتم منهم صلاحا فى المعاملة المالية. «إسراها وبادرا أن يكبروا»: أى لاتتمجلوا
فى أكلها لأجل أن تصرفوا فيه وتبادروا بالأكل قبل أن يكبر صاحب المال فهنزع من أيديكم.

المعنى: ذلك الاختصار على الواحدة أقرب إلى عدم الجور أى العدل، وأعطوا اليتامى
مهورهن حال كونها نحلة أى عن طيب نفس. فإن رصيت نفوسهن عن إعطائكم شيئا من
الصداق، أى من غير إضرارosكم ولا خديعة فيجعل لكم أن تأخذوه حال كونه هنيئا مرينا

- (١) أيماكم .
- (٢) صدقاتهم .
- (٣) أموالكم .
- (٤) قياما .
- (٥) اليتامى .
- (٦) ، (٧) أموالهم .
- (٨) ، (٩) الوالدان

والمراد بالأكل مطلق التصرف ولا تؤثرتوا السعفاء بأولى الأمر أموالكم، المراد أموالهم وإنما سبها لأولى الأمر لحملهم على المحافظة عليها كأنها أموالهم، الأموال التي جعلها الله لكم أيها المسلمون قيام حياتكم وعليها نظام معاشكم، وارزقوهم فيها أي احمّلوا أموالكم مكان رزقهم وكسوتهم بأن تتحروا فيها وتموها فتكون بمقاتهم من الربح لا من أصل المال وإلا نفد، ولهذا لم يقل وارزقوهم منها وقولوا لهؤلاء السعفاء في حال اعتدائكم في الصرف عليهم قولاً طيباً ترصاه بموسمهم، فإن كان السعيه صبيها فقولوا له مثلاً هذا مالك نحفظه لك وستسلمه لك قريباً، وإن كان السعيه كبيراً وعظموه وعزهموه عاقبة الإتلاف من المقر والحاجة إلى المبر لعله يتنه. واحتبروا اليتامى قبل البلوغ حتى إذا بلغوا الحلم وعلمتم رشدهم فسلموهم أموالهم فوراً ثم أكد الأمر بالدفع بقوله، ولا تأكلوها إلخ، ليرتب عليه بعض دواعي الأكل ليحذرهم إسراها أي لأجل الإسراف في أحدها مبادرين به قبل أن يكبروا فينزعموها من أيديكم، ومن كان من أولياء اليتامى عيياً بماله الخاص فالواجب أن يعمل نفسه على العفة عن مال القاصر ويرجو بولايته ثواب الله، ومن كان منهم فقيراً فليأكل من مال المقهر بالقدر المعروف عند المقلاء الصالحين وهو مايسد الجوع ويستر العورة، فإذا سلمتوهم أموالهم عند الرشيد فاشهدوا عليهم أنهم تسلموها على حالة كذا سدا لباب التنازع وقطعاً لومسوسة الشياطين وكفى بالله محاسباً مجارياً للمعصن والمسيئ فاحذروهم، وكان أهل الجاهلية لا يرثون إلا من يدافع عن العشيرة، فلا يرثون النساء ولا الصغار، وكان هذا ظلماً للصغفاء، فأمر الله تعالى بإطالة ذلك للرجال نصيب بيته الآيات الآتية، والمراد بالرجال الذكور كباراً وصغاراً، مما ترك أحد والديهم أو أقربائهم الميتين، وللنساء نصيب كذلك كبيرات أو صغيرات من المتروك قليلاً أو كثيراً، جعله الله تعالى لهم ولهن نصيباً مبروصاً، أي محتملاً ليس لأحد أن ينقص منه شيئاً وإذا حصر قسمة التركة أحد من قرابة الميت الذين لا يرثون، فإنهم يعطون من نصيب الورثة الأغنياء لا لحاجة القريب ولكن يشعر بمحبة قريبه الوارث له بإهدائه ما أعطى فلا يتصرف إلى نفسه حسد على المال الذي نزل على الوارث من السماء من غير نصيب ولا مشقة

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَبْخَسُوا الَّذِينَ تَلَوْا كُفًا مِنْ حِلِّهِمْ ذُرِّيَّةَ
صِعْدَةٍ حَافِوًا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
إِلَىٰ بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْفُونَ ۖ سِيعِيرٌ ۝ يَرْصِدُ اللَّهُ
إِنَّ تَذَكُّرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِثْلَ حَظِّ الْأَعْيُنِ فَأَمَّا كُنْ بِمَا
عَمِلَ الْيَتَامَىٰ فَهُمْ لَنَا مَرْكُومٌ وَإِلَيْكَ مُّكَاتٌ وَحُدَّةَ اللَّهِ
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ يُحْسِنُ إِلَهُهُ وَوَرِثَةُ آبَائِهِ فَلِلَّاهِ
الثُّلُثُ فَأَمَّا كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلَّاهِ السُّدُسُ مِنْ
بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ذُو ذِي الْقُرْبَىٰ وَأَبَاؤُهُمْ وَأَسْرَافُ
تَقْدِرُونَ ۚ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ
لَا يَقْدِرُونَ ۚ

المعنى: كذلك إذا حضر القسمة اليتامى
والمساكين الأجانب فأعطوهم مما ترك الميت
قبل القسمة إن كان الورثة كلهم كباراً، أما
الصغار فلا يؤخذ من نصيبهم شيء، وقولوا
لليتامى والمساكين قولاً معروفاً فيه اعتدال
لهم بحرمة التصرف في مال القاصر، وحكمة
إعطاء ذوى القربى غير الوارثين أن المال
الذى يأتى الشخص من غير مشقة قد يثير
في النفوس الحسد، فيطلب النود إلىهم
بحسب ما يلقى بحالهم كالهديّة مثلاً، وذلك
فضلاً عما فيه من صلة الرحم وشكر المنعم،
فإنه يصرف النفوس عن الحسد إلى المحبة

ورأى بعض العلماء أن القول المعروف مطلوب حتى إذا كان الورثة كباراً، وذلك بملاطمة الأحد
حتى لا ينادى عرير النضر وليحش الله الأوصياء الذين لو تركوا من حلهم أى بعد موتهم
درية صغاراً مثل الذين تحت أيديهم الآن حافوا عليهم أن يسيئ الناس معاملتهم، والمراد أنه
يجب على الأوصياء أن يقدروا في انصافهم أنهم هم الذين ما بوا، وإن هؤلاء اليتامى أبناؤهم،
فيعاملونهم بالشفقة والرحمة التى يحسونها لهم، فليتقوا الله في أمر من تحت أيديهم من
اليتامى، وليقولوا لهم في معاملتهم وبريتهم قولاً سديداً فيه حزم حاطرهم على فقد انصافهم،

(١) و اليتامى

(٢) و المساكين

(٣) صعداً

(٤) أموال

(٥) اليتامى

(٦) أولادكم

(٧) و حده

كأن يقولوا هي محاطبتهم. اعمل هذا ياسى أو ياولدى، ويستقبلوهم بحسن الترحيب. ويرشدوهم إلى محاسن الآداب بالحكمة والموعظة الحسنة فسبحان الرحمن الرحيم الذى أدب الكبير، وجبر خاطر الصغير. هله الحمد على كل حال.

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ما يجر إلى النار. وسيصلون أى سيدخلون سعيراً أى نارا شديدة.

يوصيكم الله أى يأمركم فى شأن ميراث أولادكم بأن تجعلوا للذكر مثل نصيب الأنثيين إذا اجتمع فى الورثة ذكور وإناث، أما إن كان الورثة كلهم نساء أى بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين أى رائدات على ستين فهن ثلثا ماترك الميت، وإن كانت واحدة فلها النصف، أما لو ترك ستين فقط فهما الثلثان لأن الثلثين ثبت للأختين كما هى آخر آية من هذه السورة هالمنتان أولى، ولأن البنت تستحق الثلث مع الولد الذكر فمع البنت أولى، ولأبويه أى والد الميت ووالدته لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ذكر أو أنثى، إلا أنه إن كان الولد أنثى فالأب يأخذ السدس فرصاً وباقى التركة بعد المروض تعصياً، فإن لم يكن له أى للميت ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث وللأب الباقي، أما إذا وجد معهما أحد الزوجين كان ثلث مابقى بعد نصيب الروح أو الروحنة للأم والباقي للأب فإن كان للميت أخواه اثنا فصاعداً ذكورا أو إناثاً فلأمه السدس والباقي للأب ولا شيء للإخوة، لأن الأب حجبه، وهذا التوريث من بعد تمييز وصية الميت وفصاء دينه. أبأؤكم وأبأؤكم لاتعلمون أنتم أيهم أقرب لكم نفعا، والمراد أن الله تعالى فرض تلك الفرائض حسب علمه وحكمته، ولو وكلها إليكم لما علمتم أيهم أنفع لكم فتقوا فى الخطأ وتعطوا من بصركم وتحرموا من يممكم، لذلك فرض الله تعالى عليكم هذا التقسيم فرضاً محتماً صادراً من الله العظيم الحكيم.

﴿كَلَالَةٌ﴾ - الكلاله هو الذى لا والد له ولا ولد.

المعنى ولكم نصف ماترك زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد ذكراً أو أنثى، فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم فلكم الربع مما تركن، تأخذونه من بعد إخراج قيمة الوصية التى أوصين بها وتسديد الدين الذى عليهن.

كَانَ عَلَيْهِ حَكِيمًا ① • وَلَكَ يَصِفُ مَا تَرَكَ أَوْ وَجَّهَكَ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَكَرَّ الرَّبْعُ بِمَا
تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْسَى بِمَا أَوْقَبَ وَلَهُ الرَّبْعُ
بِمَا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُ الثُّلُثُ بِمَا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْسَى بِمَا
أَوْقَبَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أَخْتٌ فَلِلْكُلِّ وَالْحِدِثَيْنِ السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْسَى بِمَا
أَوْقَبَ غَيْرَ نَصَابٍ وَصِيَّةٍ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ②
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتِ
يُخْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَمَرُ
الْعَظِيمُ ③ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ حُدُودَهُ

وللزوجات واحدة أو متعدّدات الربع مما
ترك الزوج إن لم يكن له ولد صهن أو من
غيرهن، يقسم بينهما بالمسوية، فإن كان للزوج
ولد ذكرا أو أنثى فللزوجة أو الزوجات الثمن
من بعد إخراج الوصية وتسديد الدين ويقدم
الدين في كل الأحوال على الوصية إذا ضاق
المال عن سدادهما، وإن وجد رجل يورث حال
كونه لا والد له ولا ولد أى لا فرع ولا أصل أو
امرأة كذلك ولأحدهما أخ أو أخت لأم فلكل
واحد منهما السدس، فإن كان الأخوة أو
الأخوان من أم أكثر من واحد بأن كانوا اثنين
فما فوق فهم شركاء في الثلث للذكر مثل

الأنثى أما إذا كان الأخ من الأب فإنه يرث بالنصيب أى يأخذ كل الباقي إذا انصرد، أو إذا
كانت الأخت من الأب وانصردت ترث النصف كما سيأتى آخر السورة، وتحترم وصية الميت إذا
كان غير مضار بها للورثة، كأن يوصى بأكثر من ثلث تركته أو يوصى لوارث، ومن وجوه الصرر
أن يقر بدين لا حقيقة له لزوجته أو لغيرها، إلى غير ذلك مما يعود على الورثة بالصرر، فإن
كل ذلك يهمل ولا يلتفت إليه، يوصيكم الله بالمحافظة على هذا التقسيم وصية صادرة منه،
وهو العليم بمن يحور ومن يعدل في وصيته، حلیم من شأنه أن لا يمجّل بالمعقوبة فلا يعتر
المصار بالإمهال، تلك الأحكام المذكورة هي اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله وضعها
فاصلة بين الحق والباطل، فلا يجوز تعديها، فمن يطع الله سبحانه بالمحافظة عليها يدخله جنات
إلى، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده التي بينها هنا وغيرها يدخله ناراً...

(١) أرواحكم (٢) كلاله (٣) واحد،
(٤) جنات (٥) الأنهار (٦) حائضين

يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١١ وَالَّذِينَ يَأْتِيهِ
الْفِتْنَةُ مِنْ نِسَائِهِمْ فَأَتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَإِنَّهُنَّ كُفُورٌ وَإِنْ أَنْتَبَ حَقٌّ يَتَوَقَّعُهُنَّ
الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ مِنْ سَبِيلًا ١٢ وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ مِنْكُمْ
فَعَادُوهُنَّ فَإِنْ تَابَ وَأَصْلَحَ فَأَعْرِضُوا عَنْهُنَّ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ١٣ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَكِيمًا ١٤ وَبَسَّيْتُ التَّوْبَةَ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ أَنْتَبَ حَقٌّ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي نَجْتُ نَفْسًا وَلَا أَدْرِي مِمَّنْ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَكُفَّارٍ
أُولَئِكَ أَقْتَدَا هُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ١٥ يَتَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ فَاصْبِرُوا
لَا يَجِئُ لَكُمْ أَنْ تَرَوْهُنَّ نِسَاءً كَرِهًا وَلَا تَعْمَلُوهُنَّ يَذْهَبُوا

﴿اعْتَدْنَا﴾: أصله أعتدنا أى هيأنا.
﴿ولا تلمسوهن﴾: أصل المفضل الحبس
والتضييق، والمراد هنا لا تمنموهن عن الزواج.
المعنى: مَنْ يعص الله يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب شديد الأمانة. والنساء
اللاتي يضلن الماحضة وهي المسحاق وهو
ما تفضله المرأة مع مثلها، فاستشهدوا عليهن
أربعة من رجالكم، فإن شهدوا فاحبسوهن في
البهوت بأن توضع المرأة وحدها بعينة عمن
كانت تساقها حتى يتوفاهن ملك الموت أو
يجعل الله لهن سبيلا إلى الخروج من الحبس
بالتوبة أو بالزواج المبنى من المساقاة.

والرجلان اللذان يأتیان الماحضة وهي اللواط فأذوهما بعد ثبوت ذلك بالشهادة أيضاً، فإن
تابا قبل إيدائهما بإقامة الحد عليهما بأن ندما وأصلحا كل أعمالهما وظهرتا نفسيهما
فأعرضوا عنهما، أى كموا عن إقامة الحد عليهما، إن الله كان كثير قبول التوبة من المخلص،
شديد الرحمة فيقبلها على الغضب.

ولما ذكر سبحانه أن التوبة مع الإصلاح تقتضى ترك العقوبة في الدنيا اتبع ذلك بشرط
قبول التوبة - إنما التوبة التي أوجب الله تعالى على نفسه قبولها تكون للذين يعملون السوء

(١) حالدا.

(٢) واللاتي

(٣) الماحضة

(٤) يتوفاهن.

(٥) والبدن

(٦) يأتيناها

(٧) يجهالة

(٨) الآن

بجهالة أي بحمق وسماهة ثم يتوبون من قريب أي عقب الدب مباشرة كما في الآية (١٣٥) من سورة آل عمران صمحتي ٨٤، ٨٥.

هذا هو الوقت الذي تقبل فيه التوبة قطعاً بأذن الله والآية الآتية بيت الوقت الذي لاتقبل فيه قطعاً، والتوبة هي غير هذين الوقتين مسكوت عنها فهي محل رجاء وحواف، فكما قرب وقت التوبة من وقت الدب كان رجاء العمو أقوى، وكلمة بعد بالإصرار وعدم المبالاة كان عدم القبول أقوى. أنظر ما تقدم في سورة البقرة الآية (٨١) صفحة ١٦، وكان الله عليهما بإحلاص الثائب وعدمه، حكيماً في حمل عدم توبة حتى يرغم أفع الشيطان وليست التوبة المقبولة للذين يفعلون السيئات ويستمررون مصرين عليها إلى أن يحصرهم الموت أو يأخذوا في السرع ويصحبوا عاخرين عن الدب فيتوبوا، ولا للذين يموتون وهم كمار أي إذا تابوا في الآخرة لاتقبل توبتهم أنظر الآية (١٠٦) من سورة المؤمنون وما بعدها صفحة ٤٥٥ والآية (٥٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٤ أولئك المذكورون من العريقين اعتدوا وهيأنا لهم عذاباً شديداً، الألم.

وكان عادة أهل الحاهلية أن يرث الرجل ساء أقربائه، فإن شاء تزوج المرأة منهن بلا صداق وإن شاء روحها غيره وأحد صداقها، وإن شاء منعها من الزواج حتى تعتدي بمال، والا تركها حتى يرثها فعاء الإسلام بالنهي عن هذه الوحشية، فقال سبحانه لايجز لكم أن ترثوا النساء كرهن، والتفديد بالكره لشميع عليهم، ولا فلا يجوز أن يرثها برضاها، أي لايجوز أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما يورث الماع والحيوان، ولا يحل لكم أيضاً منعهن عن الزواج بعيركم بأن تمسكوهن في عصمتكم مع الاعراض عنهن وإظهار الكراهة لهن ولا تظلموهن لتصانقوهن حتى تذهبوا أي تأخذوا بعض ما ياتموهن

﴿فاحشته مسبة﴾ معصية راصحة كالزنا والشور ﴿قطاراً﴾ المراد به هنا صداقاً كثيراً ﴿بهتاتاً﴾ طمناً ﴿أفصى بعضكم إلى بعض﴾ أطلع كل منكما صاحبه على عورته ﴿ميثاقاً عليطاً﴾ عهداً مشدداً على الإمساك بالمعروف أو التصريح بإحسان، الآية (٢٣٩) من سورة

بَعْضُ مَا كَانُوا يَنْتَمُوْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِمُحْصَنَةٍ مِّنْهُنَّ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَ أَنْ
تُكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩ وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَسْبَغَ الدِّينَ رَوْحَ مَكَّنٍّ رَّوْحٍ وَهَاجَتُمْ إِحْدَثْتُمْ فِطْرًا
فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْسَةٍ وَإِنَّمَا مِثْلُ
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْلَنَ
مِثْلُ مِثْلًا عِلْبًا ۝٢٠ وَلَا تَسْكُرُوا مَا كُنْتُمْ إِذَا كُنْتُمْ
مِنَ الَّذِينَ لَا مَقَادِرَ لَهُمْ إِنْ كَانَتْ فِتْنَةٌ وَمَقَدَرٌ وَسَاءَ
سِيلًا ۝٢١ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَأَخَوَاتُهُنَّ بِأَنَّهُنَّ بَنَاتُ بَنَاتِكُم مِّن

المحصى: لا يحل لكم أن تمتنعوهن عن الزواج
لتأخذوا بعض ما أعطيتكموهن لهن من الصداق
إلا أن يرتكبن مفسية واضحة ثابتة كالزنا أو
الحروج على طاعة الزوج، فعند ذلك يجوز
لكم أن تصايرنهن حتى يعتدين معكم بالحلل
وهو أن تدفع المرأة مالا نظير إطلاق
سراحها.

أما إذا لم تأت الزوجات بما يشين فيطلب
ممنكم أن تعاشروهن بالمعروف المستحسن من
الإنصاف في المبيت والنفقة وجميل القول،
فإن كرهتموهن لميب فيهن غير ما تقدم

فاصبروا، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، من ثواب جليل، أو ولد صالح، أو
حفظ مال وعرض، إلى غير ذلك، وكان من أسباب مصارة الروحانيات أن الرجل تعجبه المرأة
غير زوجته ولا يستطيع الجمع بينهما فيصير زوجته حتى يلجئها إلى دفع ما أخذته ليتزوج من

(١) باحشة

(٢) إحداهن

(٣) بهتاناً

(٤) ميثاقاً

(٥) فاحشة

(٦) أمهاتكم

(٧) وأخوانكم

(٨) وعماتكم

(٩) وخالاتكم

(١٠) وأمهاتكم

(١١) اللاتي

(١٢) وأخوانكم

(١٣) الرضاة

(١٤) وأمهات

(١٥) وريائكم

(١٦) اللاتي

يريدها، فيها هم الله عز وجل عن ذلك فقال وإن أردتم استبدال روح مكان روح، تطليق امرأة وتزوج أخرى، والحال أنكم أنتم المرأة المراد طلاقها صداقاً مالياً عند الكثرة، فلا تأخذوا من هذا الصداق الكثير شيئاً ولو قليلاً وهل يصح أن يأخذوه ظلماً وإثماً ميبهاً ثم كرر التوبيخ بقوله وكيف تأخذونه وقد حلا كل منكما بصاحبه بدون سذ، وأيضاً أحد الله لأخذهن عليكم عهداً مشدداً بأن تعاشروهن بمعروف، ولا تتزوجوهن أو تنفوا هي عصمتكم من النساء من كانت روحاً لأبائكم، والمراد بالأباء ما يعم الأجداد أيضاً، لكن ما مضى يعمو الله عنه بشرط ممارفته لها عند علمه بالتحريم، إن رواج الأس روحاً أبيه كان فاحشة بالغة هي القبح، ومقتاً من الله ومن المؤمنين ذوي المروءة، وقبح طريقاً يسلكه عاقل عنده حياء ول هذه المناسبة ذكر بقية المحرمات من النساء فقال حرمت عليكم أمهاتكم ويشمل الحداث، وبناتكم ويشمل بنات الأولاد، وأخواتكم ولو لأم، والعمات والحالات، وبنات الأخ وبنات الأخت كذلك ولو لأم، وأمهاتكم اللاتي جاءت أمومتهم من الرضاغة فقط، وأخواتكم من الرضاغة كذلك

وقد أمرل سبحانه الرضاغة ميرلة النسب فجعل المرصعة أما للرضيع، وبحكم ذلك يكون زوجها أباً له وحده حداً، وكل ولد ولدته المرصعة قبل رضاغه أو بعده فهو أخوه، وحرمت عليكم أمهات روحاتكم بمجرد العقد على بنتها ولو طلقها قبل الدخول، وربائكم أي بنات روحاتكم من رجل آخر اللاتي يظن أن يربين تحت رعايتكم مع أمهن، هاتقيد للعالب، وإلا هبت الروجة محرمة ولولم تقرب هي حصانة روح أمها.

﴿حلائل﴾ جمع حليلة وهي الروحة. ﴿سلم﴾ مصى ﴿المحصنات﴾ الإحصان يطلق في القرآن على أربعة معان الإسلام والحرية كما في الآية (٢٥) الآتية، والعمة كما في الآية (٢٥) أيضاً والآية (٥) من سورة المائدة صفحة ١٣٦، والآية (٤)، (٢٢) من سورة النور صفحات ٤٥٧، ٤٦٠، والروح كما هنا وسميت بذلك لأن روحها يحصنها ويحفظها من الخطيئة

وإذا كسرت الصاد والمراد أنها أحصت فرحها كما في الآية (١٢) من سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ دَخَلْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ مِنْ
عَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحُلِيلٌ بِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْنَابِكُمْ
وَأَنْ تَحْمِلُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَبَفَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ وَأَنْتُمْ حَصْنَتٌ مِنَ النَّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كُنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَعْلَلَتْكُمْ
مُتَوَرِّعَةً دَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ عَمَّا مَسْعُومِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا أَنْ تَصِيبُوا مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
حَوْلًا أَنْ يَكْفِ الْمَحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ
تَقْصُصُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَيُّ كَافِرٍ هُنَّ إِلَّا أَنْفُسُهُنَّ وَأَنْفُسُهُنَّ

﴿مضافين﴾: المصاحح الربا.

﴿أحورهن﴾ مهورهن.

﴿ملولا﴾. عنى.

﴿من عتباتكم المؤمنات﴾: هنا كلام كثير

فى شرط الإيمان وذكر الألوسى رابى

أنظرهما فى أول الجزء الخامس للألوسى

المعنى: ومعل تحريم بنت الزوجة إذا دخل

الزوج بالأم. أما إذا طلق الأم قبل الدخول بما

فيه يعمل له الزواج ببنتها، وهذا هو قوله

سبحانه ﴿من نساءكم اللاتي دخلتم بهن﴾

وصرح بالمفهوم لشدة العناية بالأعراض فقال هان لم تكونوا دخلتم بالأمهات فلا جناح عليكم

فى رواج بساتهن بعد طلاق أمهاتهن وحرر عبيكم حلالت أنساكنم ويشمل ابن الابن وإن برل

(١) اللاتي

(٢) وحلائل

(٣) نساءكم

(٤) والمحصنات

(٥) أيمانكم

(٦) كتاب

(٧) بأموالكم

(٨) مضافين

(٩) مراصينكم

(١٠) المحصنات

(١١) المؤمنات

(١٢) فمما

(١٣) أيمانكم

(١٤) عتباتكم

(١٥) المؤمنات

(١٦) بأيمانكم

وابن السب، فروحانهم يحرم على الحد الدين من أصلانكم. أما الابن الذي ليس من الصلب كالابن المتبني الذي كان معروفاً في الجاهلية فكان الرجل يختار ولداً أحببياً ويلحقه بأولاده في كل شيء حتى الميراث، وكانوا يحرمون روحانهم على من تساهم، فجاء الإسلام وأبطل هذا التحريم، و حار أن يتزوج المتبني روحه من قبلاء كما سيأتي في أول سورة الأحزاب.

أما الابن من الرصاعة فللعلماء فيه رأيان، فالجمهور على أنه كإبن السب يحرم زوجته، واختار بعضهم حل زوجته لأنه ليس ابن صلب والله تعالى حرم روحه ابن الصلب فقط ومما يحرم عليكم الجمع بين الأختين في عصمة رجل واحد، وأدخل عليه السلام في حكمهما الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، لكن ما سلف ومضى من ذلك لا يعاقبكم الله عليه بشرط أن يعارق أحدهما عند سماع الحكم وحرم عليكم المحصنات أي ذوات الأرواح من النساء إلا ما ملكت إيمانكم من الأماء في حرب الدهاق عن الدين وأرواحهن في دار الحرب لم يقيموا في الأسر فإنه يصح اهتراشهن بعد ثبوت أنهن غير حوامل. كتب الله تعالى عليكم كل تلك الأحكام كتاباً أي أوحىها بعباد وأحل الله لكم ما سوى ما حرم عليكم فيما تقدم أن تطلبوه بأموالكم التي تدفعونها مهر حائل كوكم محصين أي قاصدين إحصان أنفسكم وروحانكم فالإحصان هنا معناه المنة وأكد ذلك بقوله غير مسافحين أي راينين، فما طلبتم التمتع به من الزوجات فأنوهن مهورهن التي فرصتموها لهن فريضة أي قدرتموها لهن، أنظر ما تقدم في الآية (٢٣٦) من سورة البقرة صمحتي ٤٨، ٤٩ ولا إثم عليكم فيما تراصبتن به أنتم وهن من بعد الفريضة، أي لا حرج بعد تقدير المهر إن تراصبتن على الربادة فيه أو النقص منه متى كان ذلك عن طيب نفس ومن لم يستطع منكم على ومالاً واسعاً بمكنه من رواج الحرائر المؤمنات، وهذا قيد للأهصل وإلا فالحررة الكتابية مقدمة على الأمة فيحل له أن يتزوج الأمة المؤمنة والله أعلم بمقدار إيمانكم فلا تحقروا الأمة فقد يكون إيمانها أحسن، بعضكم من بعض، أي متساوون في الدين، أنظر الآية (١٩٥) من سورة آل عمران صمحتي ٩٥، ٩٦ فتزوجوهن بأذن مواليهن،

أُحْزِرُهُ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحْصِنَةٍ وَلَا
تُتَحَدَّثُ أَحَدَانِ هَذَا أَحْصَنُ قَوْلَانِ بِنَجْشِيَّةٍ
عَلَيْهِمْ نَصْفٌ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ
لِأَنَّهُنَّ حَسِبْنَ أَنْتَ مَكْرُوهٌ وَأَنْ تَقْبِرُوا أَحْيَاءُ مَكْرُوهٌ وَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَهُدًى لَكُمْ سُبُلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَتُؤْتُونَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ①
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَنْكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَمُنَ أَشْهَرُ
أَنْ تَمُوتُوا مَيْتَةً غَضَبًا ② يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَحُلُولَ الْأَمْرِ صَعِيدًا ③ بَنَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْنَ
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالطَّيْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً مِنْ رِيسٍ
مَكْرُوهٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ④
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَغَدْرًا قَسُوفَ نُصِيْبِهِ نَارًا

﴿محصنات﴾: المراد هنا عفيفات. ﴿غير

مستأفحات﴾: أى غير زانيات.

﴿أحدان﴾ جمع خدن بكسر فمكون وهو

حليل المرأة التى يزنى بها سرا

﴿فإذا أحصن﴾: المراد هنا تزوجن

﴿فاحشة﴾: أى زنا.

﴿مأعلى المحصنات﴾: المراد بها هنا

الحرائر الأبيكار. ﴿العذاب﴾: المراد به الحد

وهو الجلد. ﴿العتق﴾: المشقة والصبر من

مقاومة دواعى المطرة لأنها قد تحدث

أضراراً عصبية أو خلقية.

المعنى: ادفعوا لهن مهورهن بالمتعارف من غير نقص ولا مماطلة حال كونهن عفيفات وأكد
العمه بقوله غير مستأفحات، أى غير مجاهرات بالزنا، فإذا تزوجن فإن آتين بمصلحة فاحشة
وهي الزنا فعليهن من الحد نصف ما على الحرائر الأبيكار، وهذا النصف خمسون جلدة،
ولأرحم عليها لأنه لا يُنصف، وليس معنى هذا أنها لاتحد إذا كانت بكرا، فالحد ثابت عليها
مطلقا بهذه الآية وبالسنة الصحيحة ويقاس على الإمام في هذا العبد الذكور وقد يقال إن
كان نصف الحد ثابتا عليها وهي بكر فلم قيده بالإحصان؟ أحيب بأنه لدفع توهم أنه يريد
بالزواج ذلك أى نكاح الإمام حائر عند عدم القدرة على رواج الحرة مع خوف المشقة، والصبر

(٣) متحدث.

(٦) الشهوات

(٩) بالباطل

(٢) مستأفحات.

(٥) المحصنات.

(٨) أموالكم.

(١١) عدونا

(١) محصنات.

(٤) فاحشة.

(٧) الإنسان.

(١٠) تحارة.

عن رواج الإماء مع العفة خير لكم من جهات كثيرة، منها أن أولادكم سيكونون عبيدًا لمالك الأمة، ومنها أنه لو طلبها سيدها للخدمة في سفر أو حضر لما جار لزوجها معها ولهذا قال العلماء زواج الأمة كأكل الميتة لا يحل إلا للمصطر، والله سبحانه عبور لمن أقدم، رحيم حيث رخص لدفع الحرج . يريد الله بذكر كل ما تقدم من الأحكام أن يبين لكم ما خفي عليكم من مصالحكم وأفضل الأعمال، ويرشدكم إلى طرق الذين سبقوكم من الأنبياء من اختيار الأحكام الصالحة في كل زمان بما يناسبه، ويريد أيضًا أن يرشدكم لأسباب قبول توبتكم، عليم بما ينمحكم، حكيم لا يشرع إلا ما فيه مصلحتكم . والله يريد أن يتوب عليكم، أعاده ليربط به مقابله وهو قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات وهم خصومكم من المشركين واليهود الذين لا يهتمون إلا بما يحقق شهواتهم ولا يقدرّون للمعاقبة حسابًا أن تميلوا أي تتعبروها عن الحق حتى تكونوا مثلهم . يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرعه، فلا يجعل فيه حرجًا كما تقدم في آخر سورة البقرة، لأنه يعلم أن الإنسان ضعيف لا يقدر على مقاومة المشاق والميل الشديد إلى النساء . قال ابن عباس ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وهي آيات (٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٤٠، ١١٠، ١١٦، ١٥٢).

وبعدما تكلم سبحانه من أول السورة إلى هنا في المحافظة على أموال اليتامى والنساء والميراث ناسب أن يذكر قاعدة عامة للتعامل في الأموال وهي أن لا يأخذ أحد مال أحد بطريق غير مشروع كالسرقة والعصب ومع الإرث إلى غير ذلك، فقال تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ لكن إذا كانت الأموال أموال تحارة صادرة عن تراص منكم فلكم أخذها والمراد كل معاملة مشروعة . ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضًا .

وحاء به هنا لأن أكل المال ظلماً يسبب القتل غالباً . إن الله رحيم بكم حيث حرم عليكم سبب هلاككم ومن يفعل ذلك المثل عدواناً أي قصداً لاختطاً، وظلماً لا قصاصاً ولا دفاعاً، فسوف تدخله نارا

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٢٠ إِنْ تَحْسَبُوا كِتَابَ اللَّهِ تَهْتَكُوا
عَهْدَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ يَوْمَ تَمُوتُ أُنْفُسُ كُنُوفِهَا فِي السَّمَاءِ ٢١
وَلَا تَحْسَبُوا عَهْدَ اللَّهِ يَدُهُ يَبْسُتُ عَنْكُمْ إِنَّ بَعْضَ الرِّجَالِ
يَصِيبُ بِمَا آكَنُوا مِنَ النِّسَاءِ يَصِيبُ بِمَا آكَنُوا
وَسَقُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ٢٢ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَصِيًّا ٢٣
وَلِكُلِّ حَمَلٍ مَوْلٍ بِمَا تَرَى الرِّجَالُ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ
عَقَدْتَ أَيْمَانُكَ فَذَرُوهُمْ فِي سَبِيلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا ٢٤ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ تَحْصِيَهُمْ عَلَى نَحْصِ رِجَالِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطُتٌ حَاطَّتْ لِقَابِ رَبِّهِنَّ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ
وَالَّذِي يَتَمَنَّوْنَ تَسْرَرُ مِنْ عَشْرٍ مِنْ نَجْوَئِهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ
وَأَصْرُهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ بَعْضُكُمْ عَهْدَ بَعْضٍ فَصَلُّوا

﴿كِبَائِرُ﴾: الكبيرة كل معصية اقترن بها

وعهد شديد، وقدر لها حد كالزنا والقتل

والسرقة. ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: هي الصفات التي لم

تقترب بشيء مما تقدم. ﴿مَوَالِي﴾: أي ورثة

لهم حق الولاية. ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾: أي على ماترك

فمن بمعنى على، انظر الآية (٧٧) من سورة

الأنبياء صفحة ٤٢٨.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾: المراد بهم

الزوج والزوجة لأن من عادة عقد الزواج أن

يصح كل من طرفيه يمينه هي يمين الآخر.

﴿قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: أي من شأنهم القيام

على شئونهن لأن الأسرة لابد لها من رئيس يوجه سياستها ولا يصح أن تكون المرأة كما

سيأتي، قنينة أن يكون الرجل. ﴿قَانِتَاتٌ﴾: مطيعات لأرواجهن.

﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾: أي يحب عليهن حفظه من عرس ومال في عيبة أرواجهن

﴿تَسْرَرْنَ﴾: عصيانهن.

المعنى وكان إدخالكم النار سهلا عليه سبحانه فحافوه بأن تبتعدوا عن الكبائر التي نهاكم

عنها يمتنع عنكم الذنوب الصغائر ويدخلكم الجنة دخولا كريما حسنا. ولما فرغ من التمريض

لأموال الغير بالجوارح شرع يبين حرمة التمريض لها بالقلوب كالحميد، فلما قالت النساء.

يرث النصف من الرجال فلم لا يكون عليا النصف من العقاب هي الذنوب؟.. وقال الرجال

نرجو أن نفصل على النساء في ثواب الأعمال كما فضلنا عليهم في المبرات، بل. ﴿وَلَا تَتَعَمَّوْا

مَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ إلخ، والمراد أن لكل من الرجال والنساء أعمالا تخصه لا يقوم بها غيره غالبا.

فعلى الرجال الجهاد ومناعب الرزق، وعلى النساء الحمل والرضاع والحضانة وشئون المنزل، وكل له أحمره على قدر عمله، فيجب أن يرصى كل بما قسمه الله ولا يحصن غيره، وإذا أراد المزيد من المصل فليتنحه إلى الله تعالى وبطلب المزيد بالعمل الصالح لا بالحسد والتمنى، ولذا قال ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس لا يقل أحدكم ليت ما أعطى لعل كان لى، ولكن ليقل اللهم أعطى إن الله كان بكل شيء عليماً، فالمصل منه عن علم بأسباب استحقاقه.

ولكل من الرجال والنساء الموروثين جعلنا لهم موالى أى ورثة لهم حق الولاية على ما ترك الموروث، وهؤلاء الموالى هم الوالدان والأقربون، والمراد جميع الأصول والمروع والحواشي التى تقدم أول السورة أنها ترث، ويدخل فيهم أيضاً الزوج والروجة لأن لكل منهما حق الارث بمقد الزوجية.

فأتوهم بأولى الأمر نصيبهم، ولا تمنعوا أحدا حقه، لأن الله تعالى شهيد ورقيب على أعمالكم، والرجال من شأنهم أنهم يقومون على نظام الأسرة التى منها النساء بسبب تعصيل الله تعالى لهم عليهن بأشياء كثيرة منها بقصان استعداد المرأة فى مهام الأمور كما تقدم فى الآية (٢٨٢) من سورة البقرة صمحتى ٦٠، ٦١ وبقصان من ثوابهن فى العبادة لموات مدة الحيض والنفس، ومنها أن الرجال حصوا بالرسالة والنبوة والإمامة الكبرى وإقامة الشعائر كالآذان والخطبة وصلاة الجمعة، وبما أنفقوا من أموالهم من صداق ونفقة على الروجة والأولاد والخدم، ثم شرع فى بيان كيمية الميام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن، فالصالحات منهن مطيعات للأرواح حافظات لأعراضهن ومال أرواحهن بسبب حفظ الله وتوقيفه لهن لصالحهن، وهذا انقسم من النساء ليس للرجال عليهن سلطان بخلاف القسم الثانى الذى فى قوله والثلاثى تحافون بشورهن بظهور أمارانه كإهمال شئون المنزل أو إظهار الدلال بجمالها فمالحوهن بما يأتى على الترتيب الأول الوعط بما يليق قلوبهن ويذكرهن بعصب الله فإذا لم ينفع فاهجروهن فى المصاحح بأن تكونوا معهن فى مرقد واحد مع إعراضكم عنهن وليس أقسى على المرأة التى تطر أن أبوشها أقوى سلاح فى إحصاع الرجل من أن ترى الرجل كسر هذا السلاح بحرمه فإذا لم ينفع هذا أيضاً فى بعض النساء فاصربوهن صرباً غير مبرح قال ابن عباس تضرب بالسواك وبحوء كاليد والعصا الصغيرة، لأن المقصود هو إبلامها

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٥﴾ وَإِنْ حَقَّقْتَ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَلْيَحْشُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِيهِ إِنْ بَرَدَا إِسْلَاحًا
عَرَفَ اللَّهُ بِهِمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٦﴾ وَاعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْحَدِيثِ ذِي الْقُرْبَى وَالْبَحِيرِ
الْحَبِيبِ وَالصَّاحِبِ بِالْحَبِيبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
إِيمَانُكَ إِنَّ اللَّهَ لَأَعْيَبُ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَتَقَرَّرَا ﴿٢٧﴾
اللَّهُ يَنْصُورُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيَكْشِفُ مَا أَصَابَهُمْ
اللَّهُ مِنْ فَظِيلَةٍ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا ﴿٢٨﴾
وَالَّذِينَ يُضِلُّونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا أُنَاسٍ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٢٩﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ لَوْ أَنَاؤُا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

نفسيا بأنها استحققت أن تعامل معاملة العبيد،
فإن أطمعكم بترك المشور فلا تبغوا أي تطلبوا
لكم عليهن طريقا لإيدائهن، والمراد فكضوا
عينهن وسامعنهن.

﴿والجار ذي القربى﴾: هو الذي قرب
جواره ولو كان غير مسلم.

﴿والجار الجنب﴾ هو الأبعد من الأول.
وحدد بعضهم الجوار بأربعين دارًا، والأصح
أن الجار المطلوب الإحسان إليه هو الذي تراه
في غدوك ورواحك وتشعر بعيايه.

﴿الصاحب بالجنب﴾: الملازم لك، ويشمل حليلك في الحضر ورفيقك في السفر، ومراتك
التي تضاجعك. ﴿مختالا﴾ هو المتكبر الذي يظهر احتياله في مشيئته وحركاته مستعليًا على
غيره ﴿محور﴾ هو المتكبر الذي يظهر أثر كبره في أقواله ويكثر من تعداد مناقبه التي يزعم
أنه امتاز بها عن الناس.

﴿رثاء الناس﴾: أي رياء ليمدحهم الناس.

المعنى إن علت أيديكم عليهن بدون حق فاعلموا أن يد الله تعالى عليكم أعلى وأعظم
ماحتسبوا ظلمهن، وإن توقعتم آثار شقاق بين الروحانيين أو مزاج فابعثوا إليهما رجلا عدلا من

- | | |
|----------------|----------------|
| (١) إصلاحاً. | (٢) وبالوالدين |
| (٣) إحساناً. | (٤) واليتامى |
| (٥) والمساكين. | (٦) إيمانكم |
| (٧) نلتهم. | (٨) للكافرين |
| (٩) أموالهم. | (١٠) الشيطان |

أهل الزوج ورجلا مثله من أهلها ليكونا حكميين أعرف بيواطني أمورهما وأرغب في الإصلاح
وموس الزوجين عنهما راضية، فإن يرد الحكماء إصلاحا يوفق الله بين الزوجين.

والمعنى إن تكن نية الحكميين خالصة ببارك الله عز وجل وساطتهما واعبدوا الله أي
احصوا لسلاماته في السر والجهر، ولا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته في الدعاء والتصرع
له، وأحسوا بالوالدين إحساناً بالبر وليس الحاسب وأحسنوا بدى القريب وهم أقرب الناس
إليكم بعد الوالدين، أنظر الآية (٨٣) من سورة البقرة صفحة ١٦، وأحسوا لليتامى بالعطف
عليهم لتعوضهم فقد آبائهم، والجار دى القريب أي القريب في المنزل، فالقراءة كما تكون
بالنسب تكون بالجوار، والجار الأبعد داراً من الأول كما تقدم، وصاحبك الذي تطلب مصاحبته
لك، وابن السبيل المقطع عن أهله في السمر وهي حاجة إلى مساعدة، وإلى الأرقاء الذين
ملكتم أيماكم بالرفق بهم وعدم تكليفهم ما يشق عليهم والمساعدة على عتقهم، أنظر الآية
(١٧٧) من سورة البقرة صفحتي ٣٣، ٣٤ والآية (٦٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١، ثم بين
سبحانه حكمة تلك الوصايا المتقدمة فقال إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً، لأنهم يأمنون
من قرابتهم وجيرانهم العقراء، أنظر الآيتين (٢٧، ٢٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٠٩، هؤلاء
المختالون المحورون هم الذين من شأنهم أن يبخلوا بما آتاهم الله من فضله ولا يكتفوا بهذا
الحرم بل يأمرؤن غيرهم بالبخل بعضا للبذل وتسهيلاً على أنفسهم بأن يوجد لهم شركاء في
صفتهم وهي البخل، ويحمون ما أنعم الله تعالى به عليهم من السعة والخير، ثم بين سبحانه
نتيجة بقصه لهم فقال، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيباً شديد الإهانة، وهم الذين يعقون
أموالهم لأجل مراعاة الناس ليعتصموا من وراء ذلك متاعاً زائلاً، ولا يؤمنون بالله إلخ حتى يكون
ذلك داعياً لهم إلى الإخلاص في الإنفاق ولم يحدوا مخلصاً ينصحبهم، بل لم يصاحبوا إلا
شياطين الإنس والجن الذين لا يدلون على خير، ومن يكن الشيطان قريبه فينس القريب
قريبه، وأي ضرر يلحقهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر؟ لا ضرر، بل المحقق هو النفع.

﴿درة﴾ هي الواحدة من الهباء المنتشر في الجو عن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب
ثم أخرجها ونصح فيها وقال كل واحدة من هذه ﴿من الغبار المتطاير﴾ درة ﴿يصاعمها﴾ أي

وَأَنْقَرُوا بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ٢٨
لَا يَطْلُمُ بِتَغَالٍ فَرَّةً وَإِنْ تَكَ حَسَةً يَصْنَعُهَا وَيُزَيِّتُ
مِنْ لَدُنْهِ ابْرَأَ عِبَادًا ٢٩ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ امْرِئٍ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ٣٠ يَوْمَ يَدْعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ لَوْ نُسَوِّى بَيْنَهُمُ الْأَرْضَ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ٣١ بَيْنَهُمَا الَّذِينَ اسْوَأُ لَا تَقْرُبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى مِمَّا تَكْلُمُونَ مَا تَقُولُونَ وَلَا حِجْبَ
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ مِمَّا تَقْتُلُونَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ أَوْ
عَنْ سَمٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَبَسَ مِنْ
الْبِسَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بُيُوتَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَعِيدٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٣٢
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نِسِيًّا تَرَى الْكِتَابَ يَتَرَفَعُونَ

بزيدها إلى عشر أمثالها كما هي الآية (١٦٠) من سورة الأنعام صفحة ١٩١ «عابري سبيل» أي سالكين إلى الماء طريقا في المسجد.

«من الغائط» أحدثتم حدثا أصغر
«لأستم الساء» أي أحدثتم حدثا أكبر
«تتيمموا» اقصدوا.

«صعيدا»: هو كل ما صعد على وجه الأرض ولم تدخله منعة الإنسان كالتراب والحجر غير المدهون بما يعطيه.

«طيبا»: طاهرا.

المعنى. وماذا يضرهم لو أنفقوا بعض

ما رزقهم الله، وكان الله بهم عليما، فلا يظلم فاعل حير مقدار درة، وإن نك الدرة حسنة يصاعفها إلى عشر ويعطى من عبده نفصلا آخر عظيم، وإذا على الأمثال العشرة نظر الآية (٢٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥ فكيف يصنع هؤلاء المحرمون إذا جئنا يوم لقيامه من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما حصل منهم وهذا الشهيد هو سيهم وحننا بك أيها النبي على هؤلاء الذين بعثت إليهم شهيدا على من آمن وعمل صالحا، ومن كفر وعمل سيئا، ومن نافق ومن أخلص، انظر الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحات ٢٧، ٢٨.

يوم هذا المشهد يتمس الدين كفروا أن نسوى بهم الأرض فيكونوا هم وهي سواء تراءا لا يفتنون حتى يشاهدوا هول هذا الموقف، انظر آخر سورة «عم» ولا يستطيعون كتمان شيء مما عملوا بعد أن بلعتهم الله إلى الاعتراف بعد الإنكار كما هي الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، فأحرس الله سبحانه ألسنتهم وأنطق جوارحهم. انظر الآية (٦٥) من سورة نمل، والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحات ٥٨٥، ٦٢٢ على الترتيب.

عند ذلك يلقون في النار وهم مقرون بمدله عر وجل.

وبعد أن بهاهم عن الشرك أراد أن يحذرهم مما قد يجر إليه من حيث لا يشعرون فقال ﴿لاتقربوا الصلاة﴾ إلخ، بولت بعد أن صلى أحد المسلمين وهو سكران وقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون أاعد ماتميدون إلى آخر السورة﴾ بدون ﴿لا﴾. والمراد لاتقربوا الصلاة أو مكانها حال كونكم سكارى إلى أن تهيقوا وتعلموا ماتقربون وماتدعون به، وكان مقدمة لتحريم الخمر، ولاتقربوا مكان الصلاة حال كونكم حسب في جميع الأحوال إلا في حال كونكم عابري سبيل الماء كأن يكون ماء الفسل في مكان لا يصل إليه الحنب إلا بالمرور في المسجد، ولا يليق أن يحمل عابر السبيل على المسافر لأن حكمه سيأتي في الآية نفسها فلا معنى لتكراره بلا سبب وقد كانت أبواب بيوت الصعبة من جيران المسجد مفتحة في المسجد، وإن كنتم مرضى يصركم استعمال الماء أو مسافرين أو مقيمين وأحدثتم الحدث الأصغر أو الأكبر فلم تحذوا ماء، هذا القيد غير راجع للمرضى قطعا لأن المرض يبيح التيمم مع وجود الماء وراجع قطعا للمقيم المحدث حدثا أصغر أو أكبر، واحتلت الأنظار في رجوعه للمصاهر فقال الجمهور يرجع إليه فلا يتيمم المسافر إلا عند فقد الماء بعد البحث عنه، وقال آخرون لا يرجع إليه فتكون الأعداد المبيحة للتيمم ثلاثة السمر، المرض، عدم وجود الماء في الحصر ورجع هذا بأن قيد السمر مع عدم وجود الماء يكون لعوا لأن عدم وجود الماء كان في إباحة التيمم حتى في الحصر، وأيضاً إن الشارع اعتبر مشقة السمر، فأباح المطر للصائم، وقصر الصلاة من أربع إلى ركعتين كما سيأتي قريباً، ومشقة حمل الماء في السمر والبحث عنه للظاهرة أشد من صلاة الركعتين اللتين حصصهما سبحانه عن المسافر فتيمموا فقصدا بعد دخول وقت الصلاة شيئاً مما صعد على وجه الأرض طيباً أي طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إلى المرفقين وأحار مالك إلى الكوعين إن لله كان عموا - كثير العموا - والناسامح حيث يسر لكم الصلاة بالتيمم ولم يلزمكم بإعادتها، عمورا لما يصدر من العيد من هموات ومنها صلاته وهو سكران، وكان ذلك قبل البت في التحريم وبعد ما بين سبحانه تلك الأحكام العظيمة من أول السورة إلى هنا أراد أن يحذر المؤمنين من إهمالها كما أهمل أهل الكتاب قبلهم فعاقبهم فقال ألم تر وتعلم أيها السامع إلى الدين أعطاهم الله نصيباً من التوراة لكنهم حرموا أنفسهم من هدايته، هم بذلك يشتركون الصلاة

الْمُصَلَّةُ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُصَلُّوا السَّبِيلَ ⑪ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَبِأَنْتَ بِأَفْهِمًا ⑫ مَنْ
الَّذِينَ هَدَوْا بِحُرْمَتِ الْكَلِمَةِ عَنْ مَوَاصِيهِمْ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأَنِيعَ غَيْرِ مَسْمُوعٍ وَرِيعًا لِبِالْيَتِيمِ وَطَعًا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنِيعَ دَاطَرًا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَعْرَفًا وَلَكِنْ لَعَسَ أَنْ يَكْفُرُوا فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ⑬ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آرَوْا الْكِتَابَ هَامُوا بِمَا
رَكَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقِطِعَ دَعْوَهَا فَرَدَّهَا
عَلَى أَذْلَهِهَا أَوْ نُلَقِّهَهُمْ كَمَا نُلَقِّهُنَّ النَّبَاً وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ تَقَرُّوْا ⑭ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى مِنْ شَيْءٍ بِهِ وَيَعْرِفُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لَيْسَ بَشَاءً وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى
إِنَّمَا عِطْيَا ⑮ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ

﴿المصلاة﴾ مصدر لمعل صل، قال
صاحب المختار صل صاع وهلك يعمل صلالاً
وصلالة، وقال صاحب المصباح صل الرجل
الطريق يصل بكسر الصاد صلالاً وصلالة خطأ
الطريق المستقيم

﴿الدين هادوا﴾ - هم اليهود.

﴿يعرفون الكلم﴾ - يغيرون كلام التوراة
الذي فيه صفة النبي ﷺ ليبعدوا الناس عن
تصديقه.

﴿غير مسمع﴾: كلمة ذات وجهين إن قالها
المؤدب فمعناها لا سمعت مكروها؛ لكن

الحشاء يريدون بها لا سمعت خيراً ﴿راعيا﴾ تقدم ما يريدونه منها في الآية (١٠٤) من سورة
البقرة صفحة ٢٠ وهو نسبة إلى الرعونة.

﴿ليا بالسنتهم﴾ تحويلاً للكلام عن ظاهره إلى معنى خبيث، أنظر تمصيل ذلك في الآية
(٧٨) من آل عمران صفحة ٧٥.

﴿نطمس وجوها﴾ الطمس إزالة الشيء أو إحماؤه أنظر الآية (٨٨) من سورة يونس
صفحتي ٢٧٩، ٢٨٠، والآية (٦٦) من سورة يونس صفحة ٥٨٥، والآية (٨) من سورة المرسلات
صفحة ٧٨٤ والوجه يطلق على وجه البدن المعروف، وعلى وجه النقص أي جهتها، التي
تمصدها ويسمونها مقصداً، فمن الأول أنظر الآية (١١١) من سورة طه صفحة ٤١٦، ومن

(١) الصلاة

(٢) وراعى

(٣) الكتاب

(٤) اصحاب

الثاني انظر الآية (١٢٥) صفحتي ١٢٣ ١٢٤ والأنسب (٤٣، ٢) من سورة الروم صفحتي ٥٣٤، ٥٣٦

﴿عبردها على أديارها﴾ الرد على الادبار يكون حسياً ومعنوياً فمن لأول أنظر الآية (١٥) من سورة الأنعام صفحتي ٢٢٨، ٢٢٩ والثاني انظر الآية (٢٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٦
 ﴿أو سفيهم﴾ قال أبو مسلم اللغوي هنا مراد به الهلاك ونصح أن تكون ﴿أو﴾ بمعنى (الو) يقول العربي للنفس نقاهها أو عليها فجورها يريد وعليها فجورها أنظر شرح الآية (١٦٣) من سورة الأعراف صفحة ٣١٩

﴿أصحاب السبب﴾ تقدم الكلام عليهم في الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٣ وسيأتي بالتفصيل في الآية (١٦٦) من سورة الأعراف صفحتي ٢١٩، ٢٢٠
 ﴿لا يعصم أن يشرك به﴾ أصل معنى الشرك هو أن يعبد مع الله سبحانه غيره ومعنى الكفر يشمل ذلك ويشمل إنكار شيء من الشرع معلوم بالضرورة كإنكار البعث وإنكار رسالة رسول من الرسل .

فبين الشرك والكفر عموم وخصوص مطلق، فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً

﴿ويعصم مادون ذلك﴾ أي يعصم ما هو أقل خطراً من الشرك.

وهو المعاصي العملية التي لا تأسف الإيمان كالسرقة ولربما مثلاً وعلى ذلك فالكفر وهو أحقر الشرك ومساو له لا يعصم أيضاً بل صاحبه محلد في النار أنظر الآية (٣٩) من سورة البقرة صفحة ٩ والآية (٣٦) من سورة الأعراف صفحة ١٩٧، والآية (٥٥) من سورة الأنعام صفحة ٢٣٥، والآية (٧٢) من سورة الرعد صفحة ٦١٦، والآية (١٠) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦

﴿يركعون أنفسهم﴾ أصل معنى التركيبة تطهير النفس من النفس أنظر الآية (٩) من سورة الشمس صفحة ٨٠٩ والمراد هنا بمدحونها بالباطل.

المعنى: - يبدلون في سبيل الضلال وهو الكيد للإسلام ويريدون منكم أن تصلوا سبيل الحق لتكوبوا مثلهم فلا يحافوكم أنظر الآيات (١٠٩، ١٢٠) من سورة البقرة صفحات ٢١، ٢٢؛ (٧٢، ١٠٠) من سورة آل عمران صفحات ٧٢، ٧٩؛

والله أعلم منكم بأعدائكم، وقد أحرككم بمداوة هؤلاء فاحذروهم وحسيكم، الله حافظا لكم منهم، وناصرنا لكم عليهم.

ومن هؤلاء اليهود قوم وهم أحبارهم يحرفون كلام التوراة مزيلين له عن مواضعه ليضعوا مكانه ما يحقق أغراضهم؛ وذلك أنه كان في التوراة من صفات النبي المنتظر أنه ربعة أي متوسط الطول، ولما جاء ﷺ ووجدوا الوصف مطبقا عليه عبروا الوصف وجعلوه «طويلا» انظر الآية (٧١) من سورة آل عمران صفحة ٧٤، ويقولون للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء سمعنا قولك، يظهرن له أنهم صدقوا، ويقولون في سرهم همسا من بعضهم لبعض وعصيا كما يفعل المستهزئ الجبان، ويقولون أيضا في خطابهم له ﷺ «اسمع» ماتقوله «غير مسمع» هذه الكلمة ذات وجهين إذا قالها مُهْدَب فإنه يريد بها الدعاء للمعاطب أي لا سمعت مكروها.

وإن قالها حبيث كهؤلاء اليهود فإنه يريد الشر أي لا سمعت حيرا، ويقولون أيضا راعيا، يوهمون بهم بقصدون انظربا وهم أن هيك رعوية - حماه الله تعالى منها - يقولون ذلك ليا للكلام وتحويلا له إلى المعنى الحبيث، وطعنا في الدين بالامتهراء به، انظر الآيتين (٥٧، ٥٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٨.

ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا بدل سمعنا وعصينا، وسمعنا وانظربا بدل راعيا، لكان خيرا لهم عند الله وأقوم أي البق بدوى العقول، ولكن أبعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا كعبد الله بن سلام وأصحابه لتعلب سلامة فطرتهم على إفساد اليهود أنظر سبب ذلك في شرح الآية (١٠٠) من سورة البقرة صفحة ١٩.

يأبها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بها مرلنا من القرآن مصدقا لما معكم من التوراة في إقرار التوحيد الحاصل وإنشأت نبوة محمد ﷺ وترك المواحش إلى غير ذلك، أي سارعوا إلى التحول في الإسلام من قبل أن يطمس مقاصدكم من الكيد للإسلام والقضاء عليه، ويرد دوى المقاصد السيئة معكم على أديارهم أي حاسرين بسبب إشار الإسلام وانتصار المسلمين، أو سحل اللعبة وهي الطرد من الرحمة مع الإدلال والخصوع لتحكم الطفافة فيهم. أنظر الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢

كما لعنا أصعاب السبب لما اعتدوا فيه كما هي الآية (١٦٦) من سورة الأعراف صمعتي ٢١٩، ٢٢٠. وكان امر الله معمولا أي لا يستطيع أحد منع ماأراد، فهو تهديد لهم لعلمهم يرجعون ولما كان عملهم هذا من صم الإشراك بالله لأنه تكذيب لكتابه ورسوله حذرهم سبحانه من حطر الشرك بقوله ﴿إن الله لا يمعز أن يشرك به﴾ فصاحب الشرك محطد في النار، ويمعز كل دب أقل منه من يشاء من عباده، بأن يوقعهم لكثرة الأعمال الصالحة التي تمحو السيئات كما هي الآية (١١٤) من سورة هود صفحة ٣٠١.

وسبب عدم عمران الشرك أن من يشرك بالله فقد اهترى واجترأ في الكذب على الله عز وجل، وارتكب إثما عظيما هي فحشه تصع بالنسبة إليه جميع الذنوب، لا يمعز شيئا بل يحلب له سحرية الناس وعصب الله سبحانه، ولما كان من اهترائهم على الله ماسطه عليهم هي الآيات (٨٠، ١١١) من سورة البقرة صمحات ١٥، ١٦، ٢٢، (١٨) من سورة المائدة صمحتي ١٣٩، ١٤٠، (٦) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١، رد عليهم بقوله ألم تر إلى الذين يركون أي يمدحون أنفسهم بالنامل بتأثير المرور، وتركية الشخص نفسه بالنامل لاقيمة لها، بل الله هو صاحب التركيبة الحققة النافعة.

﴿هتبل﴾ هو ما يكون في شق دواة التمرة مثل الخيط، وتصرب العرب به المثل للشيء الحقيقير. ﴿الذين أونوا بصينا.. إلح﴾ هم أحنار اليهود. ﴿الجبث﴾ كل ما حصع له الناس من

يُرْجَى مَرَّةً وَلَا يُطْلَبُونَ فَبَيِّنًا ﴿١﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
يَعْتَرُونَ عَلَى آفَةِ الْكَذِبِ وَكَفَى بِهِ الْإِمْنُ ثَبًٔ ﴿٢﴾
أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا بُطُونًا مِمَّنْ أَنْ كَتَبَ يَوْمَئِذٍ بِالْحَقِّ
وَأَنْطَعُوا وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ هَكَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٣﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَمَنْ يَلْعَنُ اللَّهُ فَمَا لَهُ نَصِيرٌ ﴿٤﴾ أَمْ هُمْ يَعْتَبِرُ
مِنَ الْقُلُوبِ فَمَا لَا يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ نَصِيرًا ﴿٥﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ
الْإِنْسَانَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَعَبَدُوا الْجَنَّةَ
إِنْ هُمْ أَنْكَبَتِ وَالْجَنَّةُ رَأَتْهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا ﴿٦﴾
قَبْلَهُمْ مِّنْ ءَمْسٍ يَدْعُوهُمْ مِّنْ صَدْعَةٍ وَكُنْ يَجْهَرُ
سَعِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُعَذِّبُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

دون الله من شيطان وساحر وكاهن.
﴿الطاعوت﴾.

صيغة مبالغة من الطعيان، ويطلق على كل
مَنْ تكون طاعته سبب لزيادة طغيانه من
مخلوق يعبد أو رئيس يطاع في الباطل
انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحتي
٥٣، ٥٤.

﴿الذين كفروا﴾: اللام بمعنى (في) أي في
شأن الذين كفروا. ﴿نقيرا﴾: هو الموضع
المنخفض في ظهر نواة الشجرة ومنه ثبتت
البحلة، وأصل النقيير موضع منقار الطائر.

المعنى . بل العبرة بتركية الله لن يشاء لصالحهم وتقواهم كما هي الآية (٢٢) من سورة
النجم صفحتي ٧٠٢، ٧٠٣. لا لأحاسيسهم ولا ينقص أحد من حراء عمله شيئاً صميراً. فالكلام
مثل ما تقدم في الآية (٤٠) من هذه السورة صفحة ١٠٧.

أنظر أيها النبي وتعجب كيف يعترفون على الله الكذب بما تقدم بيانه، وكفى باقتراثهم هذا
إنما طاهراً لأنه ثبت من قوله سبحانه أنه لا يجاسي أحدا بدون عمل لأنه من الجنس الملائي
بل أكرم الناس عنده أتقاهم ولما ذهب كعب بن الأشرف على رأس وفد من علماء اليهود إلى
مكة لتحريض المشركين على محاربة المسلمين قال أبو سميان هؤلاء هم أهل العلم بالكتب
الأولى فاسألوهم هل دينا حير ونحن نخدم بيت الله وسقى الحجاج بكرم الصيف وبك

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) الكتاب. | (٣) والطاعوت. |
| (٢) أناتهم. | (٤) إبراهيم. |
| (٥) الكتاب. | (٦) وأنبياهم. |
| (٧) بآياتنا. | (٨) بدلناهم. |

المكروب أو دين محمد وقد ترك دين آتائه فعالت اليهود فيكم حير من دينة وأنتم أهدي سبيلا معن آمنوا به.. فنزل في هؤلاء قوله تعالى: ألم تر وتمجب من ضلال هؤلاء وتصليهم مع أنهم أعطوا بعضا من التوراة وهيها الحق، يخضعون للشيطان وكل طاغية، ويقولون في شأن الدين كصروا هؤلاء المشركون أرشد وأقوم من المسلمين طريقا. ولا حرم أشبع من جرم من يقول إن دين من شرك بالله أصوب من دين من يؤمن بالله ولذا قال أولئك اليهود المصلون وهم الذين لعنهم الله عر وحل فلن تجدلهم من ينصرهم بمنع العذاب عنهم. ولما كان منشا نقائص اليهود هم البخل و لحد على غير اليهودي، قال ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ المراد ليس لهم حظ من الملك والسلطان فلو عرضنا أن لهم نصيبا منه فإنهم لا يؤتون الناس كافة غير اليهود شيئا ولو حقيرا، وهذا من شدة حسدهم وكراحتهم الحير لعيرهم. وإذا كان هذا حالهم في محقرات الأموال فكيف لا يقتلهم الفيط إذا ظهر من العرب نبي يحصص لسلطانه اليهود، ولهذا وبحهم بقوله ﴿أم يحسدون الناس﴾ أي النسي ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله من كتاب وحكمه وسلطان انظر الحسد في الآية (١٠٩) من سورة البقرة صفحة ٢١

﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ إلخ ، المراد أنه إذا كان فصل الله فيما مضى قد شمل أحداهم وأحدا محمد وهم إبراهيم ودرينه ﴿إسماعيل وإسحق ويعقوب﴾ فكيف يريدون الآن قصره عليهم، ولا سبب إلا الحسد. والكتاب والحكمة تقدمتا في الآية (١٢٩) من سورة البقرة صفحة ٢٥.

وآتيانهم ملكا عظيما كملك يوسف وداود وسليمان، فلا عجب إذا أوتى محمد وأصحابه ملكا أيضا، فمن اليهود من امن بالتوراة وما فيها من الإشارة بمحمد كمد الله بن سلام وأصحابه، ومنهم من أعرض عن كتابهم التوراة فلم يحصص له.

وكمى بحهم سمرا لهم ثم فصل كيف يكون هذا العذاب فقال كلما نصحت جلودهم بالحريق خلقا لهم جلودا غيرها جديدة لبدوقوا العذاب لأن الإحساس يصل للبص بواسطة الجلد الذي فيه الحياه فيسبحان العليم بأسرار خلقه.

﴿مطهرة﴾ تقدم بيانها في الآية (٢٥) من

سورة البقرة صفحة ٦.

﴿ملا ظليلا﴾: تقدم بيان مثل هذا

التركيب في الآية (١٤) من سورة آل عمران

صفحتي ٦٤، ٦٥.

﴿الامانات﴾: جمع امانة وهي كل ما يؤتمن

عليه الإنسان ويتعلق به حق لغيره ويجب

حفظه واراؤه لصاحبه، وهي انواع ولدا

جمعها، فمال امانة، والعلم امانة يجب بدله

نكل منتمع به، والتكاليف التي وضعها الله في

دعة العبد امانة.

﴿بعضا يعظكم به﴾ أي نعم الشيء الذي يعظكم ويأمركم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل.

﴿احسن تأويلا﴾: أي مالا في الآخرة.

﴿الذين يزعمون أنهم آمنوا﴾. هم منافقوا اليهود.

﴿الطامعوت﴾ تقدم في الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحتي ٥٢، ٥٤.

والآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩.

المعنى إن الله كان عزيزا أي عالما لا يسهه أحد عما يريد، حكيم في حكمه لا يسوى بين

المؤمن والكافر كما هي الآية (١٨) من سورة السجدة صفحتي ٥١٦، ٥٤٧.

الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٢٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ حَتَّىٰ
الْأَنْهَارِ خِلْدِينَ فِيهَا أُنْزِلَتْ فِيهَا أَرْزَاقٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ طَيِّبَاتٍ ٢٦ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَشَدِيدٌ
الْأَمْسِ إِنَّ أَهْلَهَا وَادًّا حَكِيمٌ ثُمَّ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَعْزِلِكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ٢٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ مَن سَرَّ عَنِّي مِنِّي فَرُدُّهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٢٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُرِيتَ إِلَيْكَ وَمَا أُرِيتَ مِنْ عِندِكَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُرِيتَ إِلَيْكَ وَمَا أُرِيتَ مِنْ عِندِكَ يَزْعُمُونَ

والذين آمنوا وعملوا الصالحات إلخ تقدم تفسيرها في الآية (٢٥) من سورة البقرة صفحة ٦١ وقوله وبدخلهم ظلاً ظليلاً تمصيل لبعض ما تقدم في قوله سيدخلهم جنات نظير ما في الآية (٥٨) من سورة هود، وقال بعضهم هو إدخال غير الأول، فهو كناية عن نعيم الروح بعد ذكر نعيم الجسد من قولهم فلان يعيش في ظل فلان، أي في عمره وعظمه، وهذا النعيم هو الرضوان الأكبر المذكور في (٧٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢، ظلاً ظليلاً أي وارضها انظر تفسيرها ١ التركيب في الآية (١٤) من سورة آل عمران صمحتي ٦٤، ٦٥، والكلام جرى على ما يعده العرب من أن هذا يعيد النعم الكامل وإلا فليس هناك شمس لها حر يتقى، وبعد ما بين أن اليهود حابوا أمانة الله في كتبهم ما في التوراة من صمته وَيُخَيِّدُ وطاعتهم لنطواعيت، أراد سبحانه أن يحذر المسلمين من سلوك طريقهم حتى لا يلحقهم عصبه سبحانه فقال ﴿إِنْ لَمْ يَأْمُرْكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ والأمانة كما تكون بين الإنسان وربه ككل النعم التي وهبها الله تعالى له فإنه يجب على الإنسان صرفها فيما يرضى الله تعالى، وكذلك تكون بين المرء وأخيه الإنسان كالودائع والعلم، ولما هي أداء الأمانة من المرايا العظيمة شدد سبحانه في المحافظة عليها، انظر الآية (٢٨٣) من سورة البقرة صفحة ٦١ والآية (٢٧) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٠، والآية (٨) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦. إلى غير ذلك، وإذا حكمتكم بين الناس مطلقاً ولو كماراً ولذا لم يقل بين المسلمين لأن العدل مطلق دائماً، فاحكموا بالعدل، وهو لا يقتصر على القضاء بين المتخاصمين، بل يشمل تصرف الوالي، وكل رئيس مع مرؤسيه، انظر الآية (١٣٥) الآتية صمحتي ١٢٥، ١٢٦ والآية (٨) من سورة المائدة صفحة ١٢٧ ونعم العدل وأداء الأمانة شيئاً يعظكم ويوصيكم الله به، فاحترسوا من محالمة أمره، لأنه سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم ونياتكم بأنها الدين آمنوا أطيعوا الله فيما أمر به ونهى عنه في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين به الأمر ككيفية الصلاة والحج ومقادير الزكاة وغير ذلك، وأطيعوا أولى الأمر بشرط أن يكونوا منكم أي مسلمين، وأولو الأمر الذين يجب طاعتهم هم لجماعة التي يكل إليها المسلمون تصريف شئوهم من العلماء والحكام وفواد الحسد والمكربين الذين يرجع إليهم الناس في المصالح العامة، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر ليس فيه نص صريح صحيح عن الشارع يحالمة وكانوا مختارين في إبداء رأيهم وحيث طاعتهم شرعاً، وإن اختلف

وَرِيدُ الشَّيْطَانِ أَنْ يُصَلِّتَهُمْ صَلَاتًا بَعِيدًا ① وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ② فَصَكَتَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ إِنْ أَرَادَ إِلَّا إِحْثَاؤًا وَتَوَفِيقًا ③ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ إِنَّهُ بَشِيرٌ قَوْلًا بَلِيغًا ④ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ⑤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ مِنَ الدِّينِ قَهْرًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَصَصَتْ وَهُمْ أَنْفُسًا ⑥ وَلَوْ أَنَّا هَكَكْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَوْ أُكْرِمُوا أَوْ تَرْجَعُوا مِنْ دُونِ

أولو الأمر في شيء فردوه إلى الله والرسول. وطريقة الرد أن يختار أولو الأمر من بينهم أو مع ضم غيرهم ممن هم أهل خبرة بالكتاب والسنة ومقاصد الشريعة وعلل الأحكام التي يصح القياس عليها، فيمرصوا الأمر على تلك القواعد فما وافقها أخذوا به، انظر الآية (٨٣) الآية صفحة ١١٥ فإنها تدل على أن الخبراء بالكتاب والسنة هم بدو أولى الأمر كلهم، حيث جعل الاستنباط لبعضهم لا للجميع، إن كنتم تؤمنون بالله لأن المؤمن لا يحالف ربه، واليوم الآخر متعاهون شدائده ذلك الرد إلى الكتاب والسنة خير لكم في

الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة ثم شرع سبحانه في بيان طائفة من اليهود وهم المنافقون منهم فقال ألم تر أيها النبي وتمحب إلى الذين يرغمون كدينا أنهم آمنوا بما أنزل من القرآن وما أنزل من قبلك هي التوراة، ثم بعد ذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الكاهن ولي الشيطان، مع أنهم أمروا في الكتب التي يرغمون أنهم آمنوا بها أن يكفروا به، انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صمحتي ٥٣، ٥٤ والآية (٢٦) من سورة النحل صفحة ٢٥٠، وبيان ذلك يأتي فيما بعد.

﴿إلا ليطاع﴾ اللام هي ﴿ليطاع﴾ سمي لام الحكمة أي الحكمة المختصة لإرسال الرسل هي أن يطيعهم المرسل إليهم فيحصل صلاح الخلق ومثلها هي الآية (١) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٩ والآية (٥٦) من سورة الداريات صفحة ٦٩٦ ﴿شعر بينهم﴾ شأ واحتلظ عليهم

المعنى كان رجال من يهود قريظة والنضير دخلوا في الإسلام وناهى بعضهم وأخلص بعضهم، وحصلت بينهم حصومه في قتل، وكان أبو برة الأسلمي من كهان اليهود يقصى بينهم

في المنازعات، وكان لا يتعمف عن الرشوة، هرعب المنافقون من اليهود في التحاكم إليه لصعف حجتهم، وأراد المحلصون في إسلامهم التحاكم إلى النبي ﷺ، وعارض الصديق الأول، هأنزل الله هذه الآيات ﴿ألم تر إلى الذين برعتمون﴾ إلخ ويريد الشيطان من الإس والجر أن يبعدهم عن الحق مسافات بعيدة يعسر عليهم معها الرجوع إلى الحق، ثم صرح بما هم ضما من بفاقهم فقال وإذا قيل لهم أي هؤلاء المنافقين تعالوا بتحكم إلى ما أنزل الله في القرآن من الأحكام، وإلى الرسول ليحكم بيما أراه الله تعالى، رأيتهم وصرح بصفاتهم ليشعر بعة الإعراس وهي البفاق، يعرضون عن التحاكم إليك إعراسا متعمدا خوفا من تمسكك بالحق فتصبح شهوتهم الباطلة.

ثم بين سبحانه وتعالى اضطرابهم وجهلهم حيث ظنوا أنهم يستطيعون التعرير به ﷺ فقال فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم مصيبة من المصائب التي لا بد أن يقع فيها المنافق فتتمسكه بسبب تحاكمهم إلى الطاعوت وإعراسهم عن حكم الله جاعوك للاعتدار حال كونهم يحلمون بالله راعمين أن الحلف يحمي حيتهم ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا في المعاملة مع الناس، وتوفيقا بالصلح والتراضي، أولئك المنافقون وهم الذين يعلم الله ما في قلوبهم، فأعرض أيها نسي عنهم ولا تقبل عليهم بشاشة ولا تكريم، وعظهم ببيان سوء حالهم إذا هم أصروا، وقر لهم في السر فيه يؤثر في النفس مالا يؤثر الجهر أمام الناس قولا يفوس في نفوسهم ويبلغ عاية ما يراود منه ثم بين سبحانه أنهم أخطأوا الطريق لإهمالهم المسارعة إلى التوبة حيث عملوا على الاعتدار الباطل فقال وما أرسلنا رسولا من الرسل السابقين إلا ليطاع فيما يأمر به مما فيه مصلحة الجميع بأذن الله أي بأمره تعالى للناس المنزل إليهم أن يطيعوه، ولو أنهم حين ظنموا أنهم بالحق والتحاكم لميرك جاعوك عقب المصيبة بلا إبطاء هاستعصروا الله واستعمر لهم الرسول مما أهانوه به من الإعراس عنه والتحاكم إلى غيره لوجدوا الله كثير قبول التوبة رحيمًا بعباده، ولكنهم لم يفعلوا هذا طامنين أن تمويههم الباطل يسحبهم ﴿هلا﴾ أي فليس الأمر كما يظنون وحق ربك لا يؤمنون إيمانًا يسحبهم إلا بثلاثة شروط الأول أن يعكموك فيما شجر بينهم من خلاف أي يقبلوك حكمًا فيما شأ وصعب حله بينهم من مشاكل، والثاني ألا يحدوا في قرارة أنفسهم صبقا مما قصيت به، والثالث أن يعلموا، أي يقادوا لحكمك بقيادا تاما لا تلكؤ فيه، ولما فرغ سبحانه من بيان طريق التوبة السهل الميسر أراد أن يبين كيف

صراط مستقيم وهو المبين هي سورة الفاتحة... ثم أشار إلى أصحاب الصراط المستقيم فقال. ومن يطع الله والرسول في كل ما أمرا به، فأولئك يكونون مع الذين أنعم الله عليهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وهم أربع درجات: السيوف - وهم أعلاهم - والصديقون وهم الذين بالقوا في التصديق حتى وصلوا أعلى درجاته وأشرعت بصائرهم حتى صاروا يعرفون الحق من الباطل من أول نظرة، والشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد وهم القائمون بالعدل.. الأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر المشار إليهم في الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتي ٢٧، ٢٨.

والآية (١٨) من سورة آل عمران صفحة ٦٥.

والرابعة الصالحون وهم الذين صلحت نفوسهم وأعمالهم ولم يبلعوا أن يكونوا حججاً طاهرين حتى يشهدوا على غيرهم كالذين قبلهم وما أحسن هؤلاء رفقاء، فهذا مدح من الله عز وجل دونه كل مدح من الخلق. ذلك الجراء لمن أطاعه هو المصل الكامل لأنه من الله ذي الفصل العظيم، وكفى بالله عليماً بعباده، فلا يعيب عنه شيء من أعمالهم ونياتهم. وبعد ما بين سبحانه ما به صلاح المؤمنين في الداخل من العدل وعدم الشرك شرع في بيان ما به أمنهم في الخارج فقال يا أيها الذين آمنوا حدوا حذركم، أي احذروا عدوكم، واستعدوا لدفع كيده دائماً، انظر الآية (٦٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٦. فسارعوا لصد العدو جماعة بعد جماعة حسبما يقتضي نظام الحرب، وانصروا جميعاً إذا هجم العدو على دياركم. وعند ذلك يحب على كل مسلم أن يحارب وهذا يقتضي أن تكون الأمة كلها على استعداد للحرب كل حين يصلح له وإن منكم باجمع المسلمين فيشمل المنافقين ومنافق الإيمان والجباء لمريفا وعرتى ليطعن أي ليتبطأ عن الجهاد لنفاقه ولا يحصر إذا أصابتكم مصيبة بقتل أو هزيمة قال قد أنعم الله على أنى لم أكن حاصراً معهم، ومن فظاعة حرمه أنه يعد ما يعصب الله بعمه. ولئن أصابكم فصل من الله كصيمة مثلاً ليقولن بما على تأخره وثعالكا على الدنيا - ياليتني كنت معهم في المعركة فأهوز بالنعيمه كما هاروا، يقول ذلك كأنه لم يكن بسكم وبينه مودة ولا تعارف، أي يقول قول العدو. ومن جهلهم أنهم عدوا المور بحطام الدنيا الماسى هوراً عظيماً، فاتركوا هؤلاء حادياً، وليقاتل في سبيل الله....

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَمُهْتَلٌ أَوْ يُعْتَلْ مَوْتٌ مُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٦﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَمِينَ مِنْ
 الرِّجَالِ وَالْأَنْسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
 وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
 فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ النَّبِطِيِّ إِنَّ كَيْدَ النَّبِطِيِّ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٦٨﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَسُولَنَا
 كَتَبَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعٌ

﴿يشرون﴾ يبيعون. قيل هي كتاب لسان
 العرب للعرب هي كلمتي (شروء)
 و(اشتروء) مذهبان. هذا أكثر منهما ان تكون
 لفظ شروء بمعنى باعوه... واشتروء بمعنى
 ابتاعوه وربما جعلوهما بمعنى واحد.

وقيل هي لمحار شري فلا الشئ اذا
 باعه، واذا اشتراه ايضا فهو من الاصداد
 وقال الراغب ﴿شريت﴾ بمعنى بعث أكثر
 استعمالا عند العرب ومن هذا يتبين ان
 الأكثر هي شري وباع تقديم الشئ واحد
 الثمن والقليل العكس.

وان اشترى وانتاع الأكثر فيهما تقديم

الثمن واحد الشئ ولهذا لم تات شري في القرآن الا بمعنى باع، وذلك هي أربعة مواضع هي
 الآية (١٠٢) من سورة البقرة صفحة ٢٠، والآية (٢٠٧) من سورة البقرة صفحتي ٤١، ٤٢
 والآية (٤) التي هنا في هذه السورة والآية (٢) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥. لكنها
 جاءت في كلام لعرب قليلا بمعنى ﴿شترى﴾ كما في قول عترة العنسي

حصاني كان دلال الماياء.. محاص عمارها وشري وباعا

و﴿شترى﴾ جاء في القرآن بالمعنى الا أنها بمعنى حد الشئ ودفع الثمن أكثر بمعنى
 باع لم تات إلا مرة واحدة تبعا جاء بالمعنى الأول في (١٩) موضعا الأول الآية (١٦) من
 سورة البقرة صفحة ٥ الثاني الآية (٤١) من سورة البقرة صفحة ٩. و الثالث الآية (٧٩)
 من سورة البقرة صفحة ١٥ الرابع الآية (٨١) من سورة البقرة صفحة ١٧ الخامس
 الآية (١٠٢) من سورة البقرة صفحة ٢٠..

السادس . الآية (١٧٤) من سورة النقرة صفحة ٢٢ ..

السابع . الآية (١٧٥) من سورة النقرة صفحة ٢٢ ..

الثامن . الآية (٧٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٥ ..

التاسع . الآية (١٧٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٢ ..

العاشر . الآية (١٨٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ ..

الحادي عشر . الآية (١٨٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ ..

الثاني عشر . الآية (١٩٩) من سورة آل عمران صفحة ٩٦ ..

الثالث عشر . الآية (٤٤) من سورة آل عمران صفحات ١٠٧ - ١٠٨ ..

الرابع عشر . الآية (٤٤) من سورة المائدة صفحة ١٤٥ ..

الخامس عشر . الآية (١٠٦) من سورة المائدة صفحة ١٥٨ ..

السادس عشر . الآية (٩) من سورة التوبة صفحة ٢٤١ ..

السابع عشر . الآية (٢١) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥ ..

الثامن عشر . الآية (٩٥) من سورة النحل صفحة ٢٥٩ ..

التاسع عشر . الآية (٦) من سورة النحل صفحة ٥٣٩ ..

أما مرة التي جاء فيها بمعنى ناع فهي الآية (٩٠) من سورة البقرة صفحة ١٨ فاحفظ هذا واستمع به معك في كل المواطن.

﴿ لقرية الظالم أهلها ﴾ هي مكة لما كانت تحت سيطره المشركين

﴿ لطاعوت ﴾ تقدم شرحها في الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحات ٥٣، ٥٤ والآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩ ..

المعنى فلنقاتل في سبيل الله الذين يبيعون متاع الحياة الدنيا ويأخذون بثمنه نعيم الأحرار ثم بين سبحانه أن المقاتل في سبيله قد استحق الأجر سواء انتصر أو انكسر فقال من يقاتل في سبيل الله فيقتله العدو أو يقتل هو العدو فهو نؤيته أجرًا عظيمًا، ثم حدث المتطاعين

فقال وما لكم إلخ، أي ماذا ثبث لكم من الأعداء حتى تتركوا الجهاد في سبيل الله، وهي سبيل إنقاذ المساكين الضعفاء المحصورين بمكة من الرجال الذين لا يستطيعون الهجرة، والنساء وتولدن الذين لا يملكون حيلة للحلاص، وقد كان الكفار يعذبونهم لإرغام أهلهم الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينة على العودة إلى مكة هؤلاء الضعفاء الذين يقولون داعين الله ياربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها بالشرك، وتعذيب من يسلم، وهو أشد من القتل كما في الآية (١٩١) من سورة البقرة صفحة ٢٧. واجعل لنا من عندك وليا يتولى أمورنا حتى تعنينا من الظلم، واجعل لنا بصيرا يسيرا عليهم ويسهل لنا الحلاص. وقد استجاب الله لهم فيسر لبعضهم الهجرة، وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأمر بصبر، وهو بيبه ﷺ حيث مكث من فتح مكة فأصبح ﷺ ولي هؤلاء الضعفاء، وأصبحوا به أقوياء، ثم أعاد الترعيب في القتال لدفع الشر مع مخابراته بصدده وهو القتال في سبيل الشيطان فقال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله وهو سبيل الخير والمصلحة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطغيان والكفر، وهذا لم يقاتل المؤمنون الطاعة هددت الأرض، انظر الآية (٢٥١) من سورة البقرة صفحة ٥٢. وإذا كان الأمر كذلك هفأوا أولياء الشيطان ولا تحافوا لأن كيد الشيطان لأعدائه ضعيف لأنه باطل، والباطل لا يقف أمام الحق إذا وجد الحق أنصارا، لأن الله في حساب من يدفع عن الحق وبعد ما حذر سبحانه من المشطيين رحث على القتال في سبيله شرع في ذكر شأن آخر من شئون العرب قبل الإسلام وبعده وذلك أن العرب كانوا قبل الإسلام في تحاصم وحروب مستمرة ولا سيما بين الأوس والخزرج ولما جاء الإسلام وأمرهم بالتسليم وتهذيب النفوس بالصلاة والزكاة والكف عن العدوان، ورغب في التسامح حتى رقت طبائعهم، ولما شدد إيذاء المشركين للضعفاء من المسلمين في مكة كما تقدم ودعت الضرورة لنقل، ودعاهم ﷺ إليه، كرمه بعضهم فبرل قوله ألم تر أيها النبي وتمجب من هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسارعون إلى سبك الدماء البريئة لأوهي الأسباب، لما دعاهم الله إلى الدهاق المشروع لدفع الظلم إذا فريق منهم وهو فريق ضعاف الإيمان الحيلة بالنصواب يحافون بأس الناس من الكفار كما يحشون الله بل أشد، لأنهم رححوا حباب خشية الكافر وقالوا نمنيا لعدمه رنا لم أوجب علينا نضال في هذا الوقت المبكر فهلا أحرقتنا وردت في مدة الكف عن القتال إلى أجل قريب هو أجل موتنا العادي؟ ووصفوه بالقرب إحابة الرجاء، فقال سبحانه قل لهم أيها النبي ترهيدا لهم فيما يرحونه من مناع رائل متاع الدنيا هو كل ما يتمتع به الإنسان فيها

الَّذِينَ قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٣٦﴾
 أَيْمَانًا تَكُونُوا بِدِرْكَكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ
 مُّشْتَبَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ
 وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلُّ
 مِنْ عِندِ اللَّهِ قَدْ هَمَزَ الْقَوْمَ لَا يَكُونُونَ بِمَقْهُورٍ
 حَذِيثًا ﴿٣٧﴾ مَا أَصْلَكَ مِنْ حَسَةٍ فَرَأَى اللَّهُ وَمَا أَصْلَكَ
 مِنْ سَيِّئَةٍ فَرَأَى نَفْسَكَ وَأَرْسَلْتَنِي بِلَيْسَ رَسُولًا
 وَكَوْنِ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٨﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
 وَمَنْ قَوْلَ مَا أَرْسَلْتَنِي عَلَيْهِمْ حَبِطًا ﴿٣٩﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
 فَمَاذَا بَرَرُوا مِنْ عِندِكَ بَيِّنَ طَاعَةً يَتَّبِعُ الْبَلَدِي قَوْلُ
 وَاللَّهُ يَكْسِبُ مَا يَشَاءُونَ مَا فِي شَأْنِهِمْ وَمَنْ كُلُّ عَلَى اللَّهِ
 وَكَوْنِ بِقَوْلِهِ وَكَوْنِ ﴿٤٠﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

﴿عتيلا﴾: هو ما يكون في شق النواة مثل
 الخيط. ﴿بروح﴾: قصور كبيرة. ﴿مشيدة﴾:
 مرتفعة يصعب الوصول إليها .

المعنى: . كل نعيم الدنيا قليل بل لا شيء إذا
 قيم بما عند الله في دار النعيم الخالد .
 وثواب الآخرة الحاصل بالطاعات خير من
 هذا المتاع القليل لمن اتقى الله تعالى ولم
 يعصه، ولا يظلم ربه أحدا من جزاء عمله
 مقدار فتيل، وقد تقدم شرحها في الآية (٤٩)
 من هذه السورة صفحتي ١٠٨، ١٠٩ ثم أخبر
 سبحانه هؤلاء الذين يخافون القتال بأن
 الحذر لا يمنع القدر فقال ﴿أيضا تكونوا
 يدرككم الموت﴾ إلخ: أي في أي مكان توجدون

فيه في حصر أو سمر يلحقكم الموت إذا جاء أجله ولو كنتم في قصور حصينة ثم شرع
 سبحانه في بيان نوع آخر من دسائس المنافقين وحبثاء اليهود، وذلك أنه حبأ منهم في صرف
 الناس عنه ﷺ كانوا إذا أصابته مصيبة من هزيمة أو قحط يشيرون بين صمغ المقول
 والإيمان أن سبب هذه المصائب هو شؤم محمد، وإذا أصابهم رخاء وبعمة قالوا إنها من فضل
 الله ورصاه عنهم، فمصح الله هذا الدس مبيها حقيقة الأمر بقوله ﴿وإن تصيبهم حسة﴾ إلخ
 ثم رد عليهم بقوله ﴿قل لهم﴾ أيها النبي - كل من الحسة والسينة من عند الله، أي أنه هو
 تعالى واضع أسباب كل منهما، فيعطى الخير لمستحقه، ويعاقب باليقم من تسبب فيها، ولا
 دخل لمحمد فيها، انظر الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحتي ٢٦٦، ٢٦٧.

توضح شيئا من هذا، ولما كان هذا شأنه تعالى قبل مجيء محمد وبعده قال تسميها لهم،
 ﴿عسا لهؤلاء القوم﴾ إلخ أي ماذا أصاب عقول هؤلاء حتى صاروا كالبهائم التي لا تفهم ما يلقي
 إليها، وإلا همادا يقولون في المصائب التي حلت بهم قبل بعثة محمد؟ وبعد ما أنزل دسهم

شرع في بيان الأمر في ذاته فقال: ﴿ما أصابك﴾ أيها المكلف ﴿من حسنة﴾ وخير ﴿فمن الله﴾ لأنه معطيك أسبابها، وما أصابك من سيئة فمن الله لأنه معطيك أسبابها ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ لأنك أنت صرفت ما أعطاك من نعم في طريق الشر فاستجلبت النقم، فإذا أعطاك الله العقل وصرفته في كيمية سرقة أموال الناس، أو أعطاك المال فصرفته في الخمر والميسر فمآلك الخسران، أما إذا صرفت عقلك في تحصيل أسباب السعادة لك والناس، والمال للمقراء والمصالح العامة فجزاؤك من الله في الدنيا السعادة وفي الآخرة النعيم الدائم. ولما كان الله سبحانه وتعالى هو المعطي لهذه العقول والأموال وسائر الجوارح التي بها يكتسب الخير والشر، صبح أن نقول أن كل ما نالنا من خير فهو من الله لأنه لو لا عطاؤه سبحانه ما نالنا الخير الكثير بها، ولما كنا نحن الذين حوّلنا هذه النعم من العقل والمال وغيرهما للشر صبح أن يقال إن ما أصابنا من مصيبة هو من أنفسنا لأننا نحن الذين أسأنا استعمال هذه النعم ولا دخل لأحد فيما حل بنا، أنظر ما تقدم في غزوة أحد في الآية (١٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٧.

وأرسلناك أيها النبي رسولا مبينا للرحمة لاسبب نعمة حتى يتشاءموا بك انظر الآية (١٠٧) من سورة الانبياء صفحة ٤٣٢.

وكفى بالله شهيدا، أي يكفيك شهادة ربك العدل الحكيم، فلا قيمة لقولهم الباطل، وإذا ثبت أنك رسول الله فمن أطاعك فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك فلا تحاول أن تكرهه، لأننا لم نرسلك مهيمنا ومسيطرًا عليهم تجبرهم على الخير وتحاسبهم، لأن هذا من شأن الله وحده. ثم ذكر بعض التوائهم فقال: ويقولون أي هؤلاء المناقضون للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء أمرك طاعة أي مطاع فإذا خرجوا من عندك دبر طائفة منهم وهم أساس الفتنة فيهم غير ما أمرتهم به، فلا تجزع لأن الله تعالى يعلم ما يدبرون، وسيكفيك شرهم، فلا تتصد للانتقام منهم، وفوض أمرك إليه تعالى، وهو حميك وكيلا عنك أفلا يتأمل هؤلاء القرآن فيعلمون أنك صادق لأنه كلام الله الحق، إذ لو كان من عند غيره تعالى...

مِنْ عِدَّةٍ مِّنَ النَّاسِ تَوَّجِدُوا بِهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١١٥﴾ وَإِذَا حُكِمَ
 بِأَمْرٍ مِّنَ الْأَمْرِ أَوْ اخْتَرَفَ ادْعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّهُ بِدَى
 الرُّسُولِ وَهَٰذَا أَوَّلُ الْأَمْرِ مِمَّنْ لَّعِنَهُ اللَّهُ سَبَّطُونَهُ
 مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَآتَمَّتْ الشَّيْطَانُ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٦﴾ فَقَدْ وَدَّ سَبِيلُ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسٌ
 وَتَحْرِيمُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ نَأْسَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَأَنَّهُ أَشَدُّ نَأْسًا وَأَشَدُّ تَكْلَافًا ﴿١١٧﴾ مَنْ يَسْمَعْ
 شَيْئًا حَسَنًا يَكُنْ لَهُ حِصْبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَسْمَعْ شَيْئًا
 سَيِّئًا يَكُنْ لَهُ حِصْبٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
 مُّخْبِرًا ﴿١١٨﴾ وَإِذَا حُجِّمَ حُجْمٌ خَيْرٌ لِّمَنْ يَحْسَبُ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا
 إِنْ أَلْفَ كَانَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا ﴿١١٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 لَيَجْمَعَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَرْبَبَ بِهِ وَمَنْ أَصْدَقُ

﴿بَسْطُوه﴾ - أي يستخرجون خفايا.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتمتم

الشیطان إلا قليلاً﴾ - قال المثنى والضحاك

والجبائي: المعنى: ولولا فضل الله عليكم

بإرسال النبي ﷺ ورحمته بإنزال القرآن

لاتمتم الشيطان كلكم وبقيتم على الكفر

والضلال إلا قليلاً منكم. وهم الذين تفضل

الله عليهم بالعقل الراجح. فاهتدوا به إلى

طريق الحق. فسلموا من مهاوى الضلال.

وعصموا من متابعة الشيطان بدون إرسال

رسول وإنزال كتاب. كقس من ساعدة وريد بن

عمر بن نعل، وأضرابهم وهي كثير من غير العرب أمثالهم وبهذا التفسير لا يرد ما يقال من

أنك إذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتي لك لضاع مالك إلا قليلاً. فإليك لم تجعل

لمساعدتك فضلاً في بقاء القليل من المال للمحاطب. وإنما ذكرته بمصلك عليه في بقاء أكثر

ماله لا هي كله لا يرد هذا لما لأن المصل المفتر بعبه المستبوع لاتباع الشيطان إنما هو فضل

مخصوص وهو فضل إرسال الرسول وإنزال الكتاب وهذا لا ينهي أن الله فضلاً آخر على

هؤلاء الذين لا يحتاجون إلى الرسول والكتاب. وهو فضل هبة العقل الراجح

والتوفيق للاستماع به في المنع عن الشرك وما فيه إصرار بالغير أو عناد في الأرض.

وهؤلاء قليل جداً في كل عصر. وما حامت الشرائع بل والقواين إلا لأغلب الأمة. لأن النادر لا

حكم له كما قالوا. وقال أبو مسلم الأصمهاشي المعنى لولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصر

على أعدائكم والمعوية مرة بعد أخرى لاتمتم الشيطان فيما يوسوس به إليكم من الخواطر

انماسة المؤدية إلى الجحيم. والمثمل. والضللال إلا قليلاً وهم أهل البصائر النيرة. والمرائم

القوية من أمصار المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كون الدين حقاً حصول الدولة والقبلة في الدنيا.

ولا من شرط كونه باطلاً حصول الانكسار له، بل مدار الأمر في كونه حقاً أو باطلاً على الدليل وحده، ونظير هذا ما في الآية (٢٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠.

﴿لا تكلف إلا نفسك﴾: أي لا يكلفك الله إلا فعل نفسك ولم يكلمك أن تهدى غيرك إنما عليك البلاغ فقط.

﴿بأمر﴾ الحرب الشديدة. ﴿أشد تكيلاً﴾ - تعذيباً شديداً.

﴿كمل﴾. نصيب. ﴿مقيتاً﴾: رقيباً ومهيماً، وأصلها من فاته يقوت أي حافظ على حياته بما يقوته، ويلزم من ذلك أن يكون رقيباً عليه.

المعنى: لو كان القرآن من صنع غير الله لوجدوا فيه احتلافاً كثيراً في نظامه وفي أخباره، ومنها ما أخبر به عما يبيتون وما تكنه سمائهم، وقد أخبر عن غيب ماض ما كان يعلمه أحد، انظر الآيات (٤٤) من سورة آل عمران صفحة ٧٠، (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٢١٨، (٤٤) من سورة القصص صفحة ٥١٢ وعن مستقبل مثل ما في أول سورة الروم صفحات ٥٢٠، ٥٢١. ومع طول الزمن لم يوجد ما يحالمة، وأخبر أنه خاتم النبيين وكان أنبياء بني إسرائيل يتلو بعضهم بعضاً، ومع مضي هذا الزمن الطويل لم يأت نبي، إلى غير ذلك مما لا يعد. وحيث إن هذا القرآن صادق في كل ما أخبر به فيجب أن يؤمنوا برسالته **وَلَا يَعْْمَلُوا** معه هذا العمل الشنيع. ثم ذكر نوعاً آخر من جناباتهم فقال: وإذا جاء هؤلاء المنافقين وأمثالهم من ضعاف العقول من المسلمين خير أمر حصل لجيوش المسلمين من الأمن والخوف، وكان هؤلاء أذاعوه وتحدثوا به، ولوسكتوا وأرجعوا الخبر إلى الرسول أو أولى الأمر أصحاب الخبرة المتقدم بيانهم في شرح الآية (٥٩) من هذه السورة صفحة ١١٠ لعلم حقيقة الخبر، والمراد منه الذين يعرفون خباياها من أولى الأمر الذين يعيرون بين ما يصلح أن يقال وما لا يقال، وهذا هو المعروف في عهدنا بالرقابة على أخبار الحرب. ولولا فضل الله عليكم بالقرآن الذي فيه أسباب سعادتكم، ورحمته بإرسال رسول بين لكم ما فيه مصلحتكم لاتبعتم

الشيطان في طريق الفساد إلا قليلا، وهم الدين تعضل الله عليهم بفصل آخر هو سلامة الفطرة وصفاء العقول، فمرهوا الخير من الشر كقصر بن مساعدة وورقة بن نوفل الذين كانوا يؤمنون بالله وبالبعث قبل بعثته ﷺ فكانت أمهات النبي ومن أطاعك لا يكلمك الله إلا فعل نفسك، فإن فعلت فلا يضرك تخلف غيرك، وحرص المؤمنين أي حثهم على القتال ورغبتهم فيه لعل الله أن يكف عك بطش الكافرين وشدتهم، لأنه سبحانه أشد منهم بأسا وأشد منهم تعذيبا.

ولما كانت الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول منعة للغير، وكان تحريضه ﷺ على القتال فيه وصول خير لمن يحرضهم إذا فعلوا، ولما كان تثبيط المناهقين عن القتال توسطًا بالقول في شر قال سبحانه: ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾، وهي ما كانت في أمر مشروع، وهي تعم الحث على الخير، والدعاء للمسلم، والكلمة الطيبة في الصلح بين الناس يكن له نصيب منها؛ شاع استعمال النصيب في الثواب المصاعف وهو هنا كذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، ﴿ومن يسفع شفاعة سيئة﴾، وهي الكلام الموصل لضرر الغير، ومنه تثبيط المؤمنين عن الجهاد وتخويفهم بإذاعة الأخبار السيئة، يكن له كفل منها.

كثير استعمال الكفل في المثل المساوي وهو هنا كذلك لأن السيئة بمثلها، والله سبحانه رفيق على أعمال العباد يعطي الشافع نصيبا من شفاعته على قدر نيته، ثم رغب سبحانه في فرد من أفراد الشفاعة الحسنة فقال ﴿وإذا حييتم﴾ إلخ لأن التحية في الإسلام هي شفاعته من المسلم لأخيه عند الله بالدعاء له بالأمان من الخوف، وهي تلفظ السلام كما في الآية (٦١) من سورة النور صفحتي ٤٦٨، ٤٦٩؛ والآية (٤٤) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦ بأحسن منها.

فإذا قال البادي السلام عليكم.. يقول الراد وعليكم السلام ورحمة الله، وهكذا يزداد عليه ما أمكن.. أو ردها أي أجيبوا بمثلها والأفضل الأول، وقد سح عن بعض السلف أنه رد تحية النصراني بقوله وعليكم السلام ورحمة الله، فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يمش. ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾ أي رفيقا، فاحذروا محالمة تعاليمه لأنه لا إله إلا هو، لا يُرَحَى خير من غيره، وليجمعنكم ويحشرنكم لحساب يوم القيامة الذي لا شك في وقوعه ويجازنكم، ولا أحد أصدق منه.

مِنْ أَفْرِ حَيْثُ ۖ قَالَ كَرِّ فِي الْمُنْفِقِينَ يَتَّبِعِ وَاللَّهُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ۖ (٢٨) وَذُو لَوْ تَكْفُرُونَ
بِمَا كَفَرُوا فَتَكْفُرُونَ سَوَاءٌ فَلَا تَقْدِرُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يَهَابُوا إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَطُودُهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَتَّى وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَقْدِرُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا يَجِيرًا ۖ (٢٩)
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بِيَعْلَكُمْ وَيَبْتَئُونَ بِهِنَّ
لَوْ جَاءَ وَكَرَّ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكَ أَوْ يُقَاتِلُوا
قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَتَقَاتِلُوكَ فَلَمَّا
أَعَزَّ لَوْكُمْ قَلَمَ يُقَاتِلُوكَ وَالْقَوْمَ الْإِبْرَ الْإِبْرَ قَلَمَ
أَفْ لَكَ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۖ (٣٠) سَتَجِدُونَ أَهْرَبِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَأْمُرُوكَ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلُّ مَارِدٍ إِلَى الْإِنْسَانِ

﴿فَتَيْنِ﴾: فريقين. ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾: نكسهم
وردهم إلى كفرهم: ركس الشيء وأركسه قلبه
على رأسه والمراد هنا قلب مفعول وهو
رجوعهم إلى الفدر والشرك الظاهر ﴿ودوا﴾:
أحبوا وتغنوا. ﴿أولياء﴾: أحباء أصفياء.
﴿ميثاق﴾: عهد.

﴿حصرت صدورهم﴾: ضاقت.

﴿السلم﴾: المسألة والصلح. ﴿كلما ردوا﴾

المراد كلما دعاهم المشركون إلى الكفر وعبادة
الأصنام. ﴿الفتنة﴾. المراد بها الكفر والوثنية.

المعنى: لا أحد أصدق من الله حديثاً، وقد

أحبركم بوعده لما أطاع بالجمعة، ووعيده لمن عصى بالنار، وكان يوحد بمكة فريق من المشركين
بماحقون نفاقاً من نوع آخر هو نفاق الولاء للمسلمين كدبا حوها منهم إذا انتصروا في النهاية
فلا يعاملونهم بالشدة التي يعاملون بها الكفار المعادين، وفي الوقت نفسه كانت ميولهم مع
المشركين يفرحون بانتصارهم على المؤمنين، وكان المؤمنون هي المدينة بالسنة لهؤلاء فريقين،
فريق يرى أن يعدوا من الأولياء والأنصار فيستعان بهم على المشركين لأنهم كانوا يحفلون
حقيقتهم، وفريق يرى أن يعاملوا معاملة المشركين المعادين، فأنزل الله تعالى قوله ﴿فما لكم
في الميثاقين﴾ إلخ أي شيء ثبت لكم في شأن معاملة الميثاقين حتى تنصرفوا فيهم
ففرقتين؟ والمراد إكثار وجود ما يصح للعلاف في أمرهم، بل الواجب الاتفاق على معاملتهم
كالمجاهرين بالعداوة والله أركسهم أي ردهم إلى الكفر الظاهر بسبب كثرة ما كسبوه من
أعمال المعاصي والشرك حتى انطمست قلوبهم ﴿أتريدون أن تهدوا﴾ إلخ أي ليس في

استطاعتكم أن تحاولوا هداية من أصله بسبب إصراره على الكفر، انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧. ومن يصل الله أى يبعد عن الهداية بسبب ما قدم من جرائم فلن تجد له طريقا يوصله للنجاة ثم بين سبحانه بعض أسباب إصلاله لهم فقال: ودوا وتمنوا أن تكفروا كما كفروا فتكوبون مثلهم سواء، ويقضى على الإسلام فى مهده، فلا تتخذوا منهم أصفياء إلى أن يؤمنوا ويهاجروا إلى المدينة ابتغاء مرضة دين الله. فإن أعرضوا عن ذلك فخذوهم إذا قدرتم عليهم واقتلوهم فى أى مكان وجنتموهم. ولا تتحدوا منهم أولياء أى أصدقاء توالونهم، ولا نصيرا تستنصرون به إلا نوعين منهم فلا تعملوا معهم ذلك، الأول الذين يصلون إلى قوم بيكم وبينهم معاهدة الا يعتدى أحدكم على الآخر. فإذا وصل هؤلاء إليهم فقد دخلوا فى حكمهم، والثانى الذين جاءوكم أى تركوا مكة وحضروا إليكم لأنهم ضاقت صدورهم من أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، أى يريدون مسالمتكم ومسالة قومهم لخوفهم إذا حاربوا معكم من أن يفتك المشركون بأهلهم فى مكة، ولو شاء الله لسلطهم عليكم، أى من رحمته تعالى أن كف عنكم شرهاتين الطائفتين، ولو شاء لكانوا قوة مع الكفار عليكم فيقاتلونكم معهم، فإن استمروا على عدم التمرض لكم بمكروه فلم يقاتلوكم مع تمكنهم من ذلك وألقوا إليكم السلم، أى وثقتهم منهم بالمسالة والبعد عن العداوة فلا تتعرضوا لهم بسوء. ثم شرع سبحانه فى بيان حال نوع آخر من المنافقين وذلك أن قوما من قريش كانوا يحضرون إلى المدينة ويظهرون له ﷺ أنهم أسلموا ثم يرجعون إلى مكة فيفتمسكون فى عبادة الأصنام، يقصدون بهذه الذبذبة بين المؤمنين والكافرين أن يأمنوا كلاً منهما لأنهم لا هم لهم إلا سلامة أنفسهم وأموالهم. فأنزل الله تعالى فيهم ستجدون منافقين آخرين أى غير ما سبق يريدون أن يأمنوكم بإظهار الإسلام ويأمنوا قومهم بعبادة الأصنام معهم. كلما دعاهم المشركون إلى الكفر معهم....

﴿أركسوا فيها﴾ أى وقفوا فيها أشنع وقوع. ﴿حيث تقعتموهم﴾. أى فى مكان وجنتموهم. ﴿سلطانا مبينا﴾ حجة وبرهاننا واضحا ﴿ففتحير رقبة﴾ أى عتق رقبة المراد بها العبد الرقيق

﴿مسلمة﴾: أى مؤداة.

أَرْحَمُوا فِيهَا مَنْ لَمْ يَغْتِرْ لَوْكَ وَيُنْفُوا إِلَيْكَ السَّلَامَ
وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ تَحْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَلْقَهُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ① وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ
يَصُدُّوا عَنْهَا كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكَ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَهُمُ يَمِينٌ
عَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أَوْ لَمْ يَجِدْ
فِيهِمْ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ② وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعِدًّا يَحْرَاقُهُ جَهَنَّمَ
عَذَابًا مُّبِينًا وَحَسِبَ اللَّهُ ظَنِّيهِ وَلَعَسَ لَّهٗ عَذَابًا
عَلِيمًا ③ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ميثاق﴾: عهد وقاسوا على المعاهد

الذمى الذى يمشى مع المسلمين لأنه أولى
بهذا الحكم من المعاهد ﴿شهرين متتابعين﴾:

أى يتابع صيام أيام الشهرين دون انقطاع.

﴿ضربتم فى سبيل الله﴾ أى سافرتهم

للجهاد.

المعنى: . وقصوا فى الكمر غارقين فيه،

فهؤلاء إن لم يعتمدوا عنكم ويعتمدوا من

الذين لكم ضد المشركين، وإن لم يقدموا

إليكم المسألة والمصالحة، وإن لم يكفوا

أيديهم عن قتالكم، إن لم يفعلوا كل هذا

فخذوهم بالأسر، واقتلوهم فى أى مكان قدرتم عليهم فيه، وهؤلاء إذا لم يعتمدوا عما سبق

جعلنا لكم عليهم سلطانا، أى حجة واضحة تبیح لكم قتالهم. ولما ذكر حكم المنافقين الذين

يخادعون المسلمين ناسب أن يذكر حكم قتل من لا يجوز قتله من مؤمن ومعاهد وذمى عمدا

وخطأ، فقال ﴿وما كان لمؤمن﴾ إلخ، أى وماصح لمؤمن أن يقتل مؤمنا بغير حق فى أى حال: لا

فى حال كون القتل خطأ، كأن يريد رمى صيد فيصيب رجلا، ومن قتل مؤمنا خطأ فعليه عتق

رقبة مؤمنة كفارة لعدم تثبته وتسامحه فى تصرفاته التى من شأنها الخطر، وعليه أيضا دية

وهى مائة بعير أو قيمتها يسلمها إلى أهل المقتول يقتسمونها كالميراث إلا أن يتصدق الورثة

على القاتل بإعفائه منها، فإن كان المقتول خطأ من قوم عدو لكم أى كمار محاربين ولكنه هو

مؤمن بينهم، كأن يؤمن رجل فى قوم محاربين كافرين ويمجر عن الهجرة إلى بلاد المسلمين

ويقتله المسلم خطأ بظن أنه محارب، فعليه تحرير رقبة كفارة كما تقدم، وليس عليه دية لأنه

لاتوارث بين المسلم وغيره، والمضروص أن أهله كلهم كفار - وإن كان المقتول خطأ كافرًا من قوم بين المسلمين وبينهم معاهدة بأن لا يقتل أحد الطرفين من الآخر، ومثل المعاهدين أهل الذمة وهم الذين يعيشون مع المسلمين وتحت حكمهم فلهم مالهم وما عليهم، وعلى القاتل دية تسلم إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة، أي ما الواجب في قتل المعاهد والدمى كالواجب في قتل المسلم.

وقدم في قتل المؤمن العتق إشعاراً بأن حق الله في قتل المؤمن مقدم على حقوق الناس. وجور التنازل عن الدية في الأولى دون الثانية لأن من شأن المؤمن أن لا يقبل منه من غيره. فمن لم يجد رقبة أو لم يجد ثمنها فعليه بدلها صيام شهرين قمرين متتابعين لا يفصل بين يومين منهما إقطاع في النهار، فإن حصل أعاد من أولهما ويظل ما مضى. شرع الله لكم ذلك لمحبتة أن يتوب عليكم نوبة منه عليكم لما وقع منكم من عدم التحري، وكان الله عليهما بما يصلحكم، حكيمًا هيمًا شرع لكم من أحكام. «ومن يقتل مؤمناً متعمداً» إلخ؛ لما لم يذكر لذلك كمارة كسابقة بل شدد حتى قال الفخر الرازي في هذه الآية من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وحطّيب عظيم. وقد اختلف العلماء قديماً في حلود القاتل عمداً في النار وعدم قبول توبته قال ابن عباس وأخرون لا توبة لقاتل مؤمناً عمداً لأن هذه الآية آحر ما نزل في القتل. وبرزت بعد الآية (٤٨) من سورة النساء صفحة ١٠٨ وتلك الآية خاصة بمعصية ما دون الشرك بسنة أشهر، فهي مخصصة لها. على أن قوله في آية المعصية «أمن يشاء» يفتح باب عدم المعصية للقاتل عمداً.. وقال آخرون إن هذا العذاب لمن يقتل مستحلاً القتل، وقال آخرون إن المراد بالحلود طول المكث لمدة بلغ من طولها أنه لا يعلمها إلا الله تعالى، وقال آخرون إنه لا ينحو من هذا الحراء إلا مَنْ تاب وبدم وضاق عليه الدنيا بسبب شعوره بدنه، وشغل كل أوقاته بالطاعات وأكثر من الصدقات وكل ما ينفع الناس واستمر على ذلك حتى مات، فإذا فعل كل ذلك فهو محل رجاء عند الله هي أن لا يسوى بينه وبين المشرك. بأيها الدين آمنوا إذا سافرتم للجهاد في سبيل الله فتبينوا أي تحقّقوا وثبّتوا ولا تتصرّعوا.. وسيأتى بيان سبب نزول هذه الآية في الصفحة التالية.

فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَاكُ أَنَا أَلْفَاكُ نَتَّبِعُكُمْ
تَتَّبِعُونَ هَرَجًا هَرَجًا هَرَجًا هَرَجًا هَرَجًا هَرَجًا
كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ لَنْ أَلْفَاكُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ⑤ لَا يَتَّبِعُ الْمُفْسِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يَأْتُواهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فَصَلَ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْفَاسِقِينَ قَرِيبًا وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ الْحَسَنُ
وَصَلَ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ عَلَى الْفَاسِقِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ⑥
فَرَجَحْتُ بِهِ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑦
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُتَضَاعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ
وَرِيعَةً قَاهِرًا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ بِأَرْضِ اللَّهِ بَلْ هِيَ رِيعَةُ اللَّهِ

﴿فتبينوا﴾: أي تحققوا وثبتوا
ولا تتسرعوا. ﴿السلام﴾: التحية الدالة على
تحياته للإسلام. ﴿غير أولى الضرر﴾.
كالمعنى والعرج والمرص

المعنى: . كما روى ابن جرير أن رجلاً من
قبيلة كافرة أسلم وحده دون جميع قومه، ولما
غزتهم سرية من سرايا المسلمين هربوا
جميعاً وبقي هو لثقتهم بإسلامه، ولجا بقومه
إلى جبل فلما أدركه المسلمون بأدبرهم بقوله.
السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول
الله.

فضل أسامة بن زيد أنه قال ذلك خوفاً فقتله واحد غمه، فلما بلغ النبي ﷺ حزن حزننا
شديداً وقال أقتلتموه طمعا في غمه؟ هماداً تقولون يوم القيامة هي لا إله إلا الله التي
سمعتموها؟ فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا صرستم في سبيل الله فتثبتوا مما يقع
أمامكم ولا تتسرعوا بتصرفات تصر، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم تحية الإسلام لست مؤمناً حقاً
ولكنك نحاف القتل، طالبين بمملككم هذا حطام الدنيا الصافي وهو الغنم، فلا تضلوا ذلك لأن
عبد الله معانم أكثر وأحسن من هذه، وقد كنتم من قبل وأنتم بمكة مثله تخمسون دينكم خوفاً
من بطش قريش كما أحصى هو ديهه عن قومه، فمن الله عليكم بتبشير الهجرة والقسوة حتى

- | | | |
|-----------------|----------------|----------------|
| (١) السلام. | (٢) الحياة. | (٣) الفاسقون. |
| (٤) والمجاهدون. | (٥) بأموالهم. | (٦) المجاهدين. |
| (٧) بأموالهم. | (٨) المجاهدين. | (٩) الصاعين. |
| (١٠) درجات. | (١١) توفاهم. | (١٢) الملائكة. |
| (١٣) واسعة. | (١٤) ماوهم. | |

أظهرتم إسلامكم فثبيبتوا من الآن فصاعدا حتى لا تقوموا فيما وقعتم فيه، إن الله كان بما تعملون خبيرا بما في نفوسكم فلا تخالفوه.

ثم شرع في الحث على الجهاد بقوله. لا يستوى أى في المنزلة عند الله القاعدون عن الجهاد المأذون لهم في القمود اكتفاء بغيرهم، من المؤمنين الذين ليس لهم عذر، والمجاهدون في سبيل الله، أى لا يستوى القاعدون المذكورون مع المجاهدين، ثم بين عدم التساوى بقوله فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين الأصحاء المأذون لهم درجة، أى منزلة يعلمها سبحانه، وكلا من القاعدين بآذن والمجاهدين وعدم الله المنزلة الحسنى وهي الجنة، أى أنهم وإن تفاوتوا في درجات الثواب فقد استووا في دخول الجنة؛ وفصل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر ولا إذن أجراً عظيماً، بينه سبحانه بقوله. درجات منه ومغفرة لكل ذنب، ورحمة ينعمون بها، وكان الله كثير المغفرة والرحمة، لم تنص الآية على حكم أصحاب الأعداء، وفي الأحاديث ما يفيد أن بعضهم له أجر وإن لم يساو أجر من جاهد إذا نصحوه لله ورسوله كما في الآية (٩١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧، وظاهر حال ما في الآية (٩٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧، ربما يدل على أن بعض من عجز عن الجهاد لعدم لا يقل عن أجر من جاهد فعلاً، والله أعلم. ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وبقي بمكة مسلمون واشتد إيذاء الكفار لهم، أوجب الله الهجرة على القادر عليها، فاحتار بعضهم الإقامة بمكة مع ما هم فيه من الدل ومسلمهم على مساعدته ﷺ فأمر الله تعالى. أن الذين توفاهم الملائكة أى تنوفى أرواحهم ملائكة الموت حال كونهم ظالمى أنفسهم بترك الهجرة والتمرض لذل العدو بدون عذر وقال الملائكة توبيحاً لهم. هي أى شيء من الدين كنتم؟ أى أكنتم محافظين تمام المحافظة عليه؟ قالوا معتذرين. كنا مستضعفين في أرض مكة عاجزين عن إقامة الدين، قالت الملائكة توبيحاً لهم ألم تكن أرض الله واسعة تقرون إليها بديكم؟ فأولئك المقصرون في الهجرة مسكنهم في الآخرة جهنم، وبئست جهنم نهاية ومصيراً.

مَصْرًا ۝ إِلَّا أَلْهَتَهُمْ مِنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝
فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
عَظِيمًا ۝ وَمَنْ يَخْرُجْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مَرْغًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۖ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا رَحِيمًا ۝ وَإِذَا صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ
ظَلَمَ عَلَيْكُمْ حُجَّاجٌ ۚ أَلَمْ تَقْرُوا مِنْ الْقُرْآنِ ۚ إِنَّكُمْ
أَنْتُمْ أَكْثَرُ الْكَافِرِينَ ۚ كَانُوا نَكْرًا عَدُوًّا
مُبِينًا ۝ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقْبَرْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَانْتَبِهُوا
فَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقْبَرْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَانْتَبِهُوا
فَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقْبَرْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَانْتَبِهُوا

﴿مراغما كثيرا﴾ أي أمكنة للهجرة
كثيرة.. يجد فيها خيرا يرغب به أنف عدوه.
﴿وقع أجره على الله﴾: أي وجب وثبت.

﴿وإذا صررتم في الأرض ظلم عليكم
حجاج أن تقصروا من الصلاة﴾ إلخ: صلاة
القصر وصلاة الخوف لهما كيفيتان وشروط
مبسوطة هي كتب الفقه.. والذي حققه بعض
العلماء أن القصر له معنيان (١) قصر
الأركان بالتخفيف من طولها ويكون في صلاة
الخوف المشار إليها في الآية (٢٣٩) من سورة
البقرة صمحة ٤٩. (٢) قصر العدد بنقصان

ركعتين هي الصلاة الرباعية وفيد سبحانه إباحة القصر بأمرين الصرب في الأرض والخوف.
فإذا وجد الأمران أبيح القصر بمعنىيه فيصلون صلاة مقصورة عددها وأركانها؛ وإذا انتهى
الأمران بأن كانوا مقيمين آمنين انتهى القصران فيصلون صلاة كاملة العدد تامة الأركان وإن
وجد أحد السببين يترتب عليه قصره وحده فإذا وجد الخوف والإقامة قصرت الأركان
واستوفى العدد وهذا نوع من القصر وليس هو القصر من كل وجه... وإن وجد القصر والأمن
قصر العدد واستوفيت الأركان.. والقرآن مجمل بيئه الرسول ﷺ وما تقدم بيانه هنا كانت هي
سننه التي سار عليها. ﴿حجاج﴾: حرج ﴿يفتكم الذين كفروا﴾: أي يؤذونكم بقتل أو جرح أو
غيرهما.

المعنى . لكن الصغماء العاجزين عن الهجرة من الرجال المرضى أو الفقراء الذين لا يحدون
زادا ولا راحلة تحملهم، والنساء والولدان الصغار الذين لا يستطيعون حيلة للخروج لعجزهم،

ولا يمرضون طريقاً للهجرة لجهلهم بعصالك الأرض فأولئك المستضعفون يرجي من الله العفو عنهم، والله عفو غفور. وفي ذكر المغفرة هنا إشعار بأن ترك الهجرة أمر خطير يحمل المصطر على اعتبار تركها ذنباً ليعلق قلبه بها، ويحمل من له أدنى قدرة على محاولتها.

ثم شرع يرغب في الهجرة ويبيح المستضعفين إلى البحث عن حيل تمكنهم منها فقال "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً، أي يجد كثيراً من الأمكنة التي يمش فيها سميداً، وسمة هي الرزق. ثم بين أن فصل الله لا بد أن يدرك المهاجر، سواء وصل إلى المكان الذي يريده أم لا، فقال: وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ نَاوِيَا الْهَجْرَةِ إِلَى مَا فِيهِ رِصَالُ اللَّهِ ثُمَّ يَدْرِكْهُ الْمَوْتُ وَلَوْ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَيْتِ مَبَاشَرَةً فَقَدْ اسْتَعْقَ أَجْرَهُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَمُورٌ لَمَّا كَانَ الْهَمُومَاتُ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْهَا تَأْخِيرُ الْهَجْرَةِ وَلَوْ قَلِيلًا، رَحِيمٌ حَيْثُ أَعْطَى ثَوَابَ الْمُهَاجِرِينَ لَمَنْ لَمْ تَتِمَّ هَجْرَتُهُ وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ بِمُتْلَزَمَانِ السَّعَرُ أَتْبَعَ الْكَلَامَ فِيهِمَا بَيَانِ كَيْفِيَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَرِّ وَالْحَرْبِ فَقَالَ «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ، أَيْ سَافَرْتُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ فِي أَنْ تَغْفُمُوا مِنَ الصَّلَاةِ الرِّيَاعِيَّةِ وَتَحْفُمُوا أَيْضًا بِبَعْضِ شُرُوطِ الصَّلَاةِ مُطْلَقًا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُؤْذِيَكُمُ الدِّينُ كَفَرُوا، فَإِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ظَاهِرِي الْعَدَاوَةِ، فَهُمْ لَا يَضْمَعُونَ فُرْصَةً اشْتِفَالِكُمُ بِالصَّلَاةِ فَيُنَالُوا مِنْكُمْ. وَبَعْدَ مَا أَدْنَى فِي الْقَصْرِ إجمالاً شرع يبين كيفية بوضه وهو ما إذا لم يشتبك الجيشان في القتال أما إذا التحموا في القتال فإنه يصلى كل حسب استطاعته كما في الآية (٢٢٩) من سورة البقرة صفحة ٤٩. فقال: وَإِذَا كُنْتَ أَهْلًا لِبَيْتٍ، وَمِثْلُكَ كُلُّ إِمَامٍ لِلْجَيْشِ، فِي الْمَحَارِبِينَ وَكُنْتُمْ تَحَافُونَ الْعَدُوَّ فَأَرَدْتَ أَنْ تَقِيمَ الصَّلَاةَ بِهِمْ فَاجْعَلْهُمْ طَائِفَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَصَلِّيُ مَعَكَ، وَالْأُخْرَى تَرَاقِبُ الْعَدُوَّ، وَلِيَأْخُذَ الَّذِينَ يَصَلُّونَ مَعَكَ أَسْلِحَتَهُمْ مَعَهُمْ أَثَاءَ الصَّلَاةِ لِيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، فَإِذَا سَجَدَ الدِّينَ مَعَكَ فَلْتَكُنِ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى مِنْ وَرَائِكُمْ تَحْرُسُكُمْ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ الْأُولَى مِنْ صَلَاتِهَا بِصَفِّ الصَّلَاةِ مَعَكَ وَبَاقِيهَا وَحْدَهُمْ، ثُمَّ يَصْلُمُوا وَيَنْصَرِفُوا لِحِرَاسَةِ الْعَدُوِّ مَكَانِ الطَّائِفَةِ الْأُولَى، وَكُلُّ هَذَا وَأَنْتَ قَائِمٌ فِي الرُّكْعَةِ الثَّالِثَةِ فِي غَيْرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَهِيَ الصُّبْحُ فِي الثَّانِيَةِ، تَقْرَأُ مُنْتَظِرًا الطَّائِفَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي لَمْ تَصَلِّ.

﴿ود الذين كفروا﴾: أحبوا وتمنوا.
 ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾: يقضون
 عليكم دفعة واحدة. ﴿كتابا موقوتا﴾: مكتوبا
 أى مفروضة فى أوقات محددة. ﴿ولاتهنوا
 فى ابتغاء القوم﴾: لاتضعفوا فى طلب الكفار.
 ﴿بما أراك الله﴾: قال الزمخشري أى بما
 عرفك الله.

﴿ولاتكن للخائنين خصيما﴾: اللام فى
 الخائنين بمعنى عن وخصيما أى مخاصما
 ومدافعا أى لاتكن مخاصما للأبرياء دهاعا
 عن الخائنين، ويصح أن تكون اللام للتعليل
 بمعنى مخاصما للأبرياء لأجل الخائنين.

فَلْيَصِلُوا إِلَيْكَ وَلْيَأْخُذُوا حُدُودَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَنْ تَصْلُوا عَنْ أَسْلِحِكُمْ وَأَتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ
 مِيلَةً وَاحِدَةً وَلَا حَاجَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ
 أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حُدُودَكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ عَذِيبٌ كَثِيرٌ ۝ عَذَابًا مُهِيًا ۝ إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
 فَادْكُرُوا اللَّهَ بِمَا وَفَعَلُوا وَعَلَىٰ جُودِكُمْ ۚ إِذَا أَنْطَأَ مِنْكُمْ
 فَأَيْمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
 مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهْوَ إِلَىٰ آتِمَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ
 فَإِنَّهُمْ بِالْمَوْتِ كَانُوا ۚ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنْ أَرَادَ إِلَيْكَ أَنْ يَكْتُبَ بِالْحَقِّ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْبَيْنِ يَا رُبَّكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِبَعْضِ عِشْرٍ
 حَسِبًا ۝ وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا رَحِيمًا ۝

المعنى.. تأتى الطائفة الأخرى التى لم تصل فتبدأ صلاتها معك وأنت قائم فى الركعة
 الثالثة، أو هى الركعة الثابتة فى صلاة الصبح بالنسبة لك، والأولى بالنسبة لهم، وبعد أن تسلم
 أنت من صلاتك يتمون هم مابقى من صلاتهم، وليأخذ هؤلاء أيضا حذرهم أى مايتحذرون به
 من العدو كالدرع ونحوه، وأسلحتهم أى مايقاتلون به كالسيف والخنجر مثلا.

ثم بين حكمة هذا الاحتراس الشديد بقوله ﴿ود الذين كفروا﴾ إلح أى تمسوا أن تعفلوا عن
 أسلحتكم وأمتعتكم التى تحتاجون إليها فى الحرب فيحملوا عليكم حملة واحدة ليقضوا
 عليكم وأنتم على غير استعداد. ولا حرج عليكم إن حل بكم ما يؤديكم من مطر أو مرض فى أن
 لا تحملوا أسلحتكم معكم أثناء الصلاة لثقل حملها بسبب ما يبللکم من مطر أو يضعفکم من

(١) واحدة	(٢) للكافرين.	(٣) الصلاة
(٤) قياما	(٥، ٦) الصلاة.	(٧) كتابا
(٨) الكتاب.	(٩) أراك.	

مرص، وأمرهم بعد ذلك بالاحتياط فقال: ﴿وخذوا حذرکم﴾ أى كونوا على حذر لئلا يفاجئكم العدو، ثم أراد أن يقوى عزائمهم فقال: ﴿إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾.. فى الدنيا والآخرة، فلا يرعحكم الأمر بالحذر الشديد. فإذا فرغتم من صلاة الخوف على الوجه المبين هداوموا على ذكر الله فى جميع الأحوال حتى فى حال المقاتلة لتقوى عرائمكم. قال ابن عباس بعدما فسر هذه الآية لم يمتز الله تعالى أحداً فى ترك ذكره إلا من فقد عقله، فإذا اطمأنتم بالرجوع من السفر أو أمنتكم العدو بانصرافه أو انهزامه فأقيموا الصلاة كاملة العدد والأركان إذا رجعتكم من السفر، أو كاملة الأركان فقط إذا كنتم مارلتم فى السفر. إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً معدد الأوقات لا يجوز تأخيرها عنها. ومن أراد المزيد من البيان فى كيفية صلاة الخوف والسفر، فليرجع إلى حديثى رقم ١٢٤، ١٢٥ من كتابنا صموة البخارى، فقد وفينا الموضوع حقه بما لم يسبق له مثيل.

ولاتهنوا وتضعفوا أيها المؤمنون فى طلب الكفار الذين أعلنوكم بالعداء، إن تكونوا تتألمون من القتال فإبهم يتألمون مثلكم وأنتم تمقازون عنهم بأنكم ترجون من الله إحدى الحسنين النصر أو الجنة، وهم لا يرجون ذلك لأنهم كفروا به سبحانه فليس لهم فى فضله طمع، انظر الآية (٥٢) من سورة التوبة صفحة ٢٤٩. ولما أمرهم بالمحافظة على الدين الذى يدعو إلى العدل من أن يصاب من الخارج، أراد أن يأمرهم بالمحافظة على العدل فى الداخل، فقال: إنا أنزلنا إليك أيها النبى القرآن مصعوباً بالحق لنحكم بين الناس بما أهلك الله عند النظر فيه، ولا تكن محاصصا الناس لأهل الحائتين. وسبب ذلك أن رجلاً من المسلمين يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعاً من حديد ووضعها أمانة عند يهودى، ولما بحث أصحابها وجدوها عند اليهودى، فأحبرهم بأن الذى جاء بها إليه طعمة، وأنكر طعمة ذلك وحلف، فقال اليهودى: والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن رماها على طعمة، وكان لطمعة جيران وأقارب يبرمونه فذهبوا إلى الرسول ﷺ وشهدوا سرائته، فكاد الرسول يصدقهم. فعاتبه الله بهذه الآيات وقال له: استغفر الله مما هممت به من الحكم لطمعة لمجرد حلفه أنه ما سرق وشهادة أقاربه، بل يجب البحث فى مقدار قرابتهم له وغيطهم من اليهودى إذ قد يكون لذلك دخل فى انصراف شهادتهم.

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿٢٧﴾ يَسْتَحْشِرُونَ مِنْ آلِيسٍ وَلَا
يَسْتَحْشِرُونَ مِنْ آلِهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْمَنُ
مِنْ أَقْوَالٍ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَقُولُونَ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ هَٰؤُلَاءِ
جَنَلْتُمْ عَلَيْهِمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَزِدْهُمْ قِلَّةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
يَوْمَ أَقْبَسْتُمْ أَمْرًا يُكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِبَالًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ
يَسْأَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَكْتِبْ إِثْمًا فَإِنَّهُ يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَكْتِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَأِثْمًا مُبِينًا ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَفَسَدْتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُجْلُوكَ وَمَا يُجْلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يبالغون في خيانة
أنفسهم. وتقدم أصل معناها في الآية (١٨٧)
من سورة البقرة صمحتي ٢٦، ٢٧ ﴿بهتاناً﴾:
كذبا عظيماً.

المعنى: بعد ما نهاء ﴿يَكُفِّرُ﴾ عن الدخاع عن
طعمة أراد أن يأتي بحكم عام يشمله ويشمل
أقاربه وجيرانه المدافعين عنه ومن مائلهم
فقال: ولا تجادل مدافعي عن الذين يخونون
أنفسهم خيانة شديدة بالمعصية، لأن ضررها
راجع إليهم، لأن الله لا يحب كثير الخيانة
والإثم، أما الذي يفعلها هفوة ثم يسارع إلى
التوبة فهو إلى عفو الله أقرب

ومن صفات هؤلاء أنهم يستترون في
معاصيهم حياء من الناس ولا يستحيون من

الله وهو حاضر معهم يعلمه كما في الآية (٧) من سورة المجادلة صمحتي ٧٢٥، ٧٢٦؛ والله
معه حين يدبرون بليل أي حمية ما لا يرضى به سبحانه من القول كتدبير طعمة وجيرانه،
والله محيط بأعمالهم ظاهرة أو خفية كما هو محيط بأقوالهم الخفية.

ثم وحه سبحانه الخطاب للذين كانوا يدافعون عن طعمة ها أنتم هؤلاء دافعت عنهم في
الدنيا فمن يجزؤ أن يجادل الله عنهم يوم القيامة؟ أي لا أحد يستطيع ذلك. ومن يكون عليهم
وكيلاً؟ أي حافظاً لهم من عذابه تعالى. ثم فتح باب التوبة بقوله

ومن يعمل مايسىء غيره كعمل طعمة مع اليهودي، أو يظلم نفسه بكل ذنب قاصر عليه
كشرب حمر أو كذب، ثم يستغفر الله نادماً ملحناً، يجد الله غفوراً رحيماً به، والمراد
يقبل توبته. ومن يكسب إثماً فوباله على نفسه، أي لا يعاقب بالذنب غير فاعله، ومن يكسب
خطيئة صغيرة أو إثماً أي معصية كبيرة ثم يتهم به شخصاً بريئاً كرمى طعمة لليهودي بالسرقه
فقد احتمل أي حمل بصعوبة وشدة بهتاناً وذنباً طاهراً لا شبهة فيه، ولولا فضل الله عليك
أيها النبي باطلاعه لك على سرهم، ورحمته بالعصمة من الخطأ الذي يضر الغير، لهمت

طائفة من الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك
أى يبعثوك عن القضاء بالحق، وفى الحقيقة
ما يصلون إلا أنفسهم لأن وبال تصرفهم
عليهم وحدهم.

«الكتاب»: أى القرآن. «الحكمة»: المراد

بها هنا القدرة على تحرى الحق والصواب.

«نجواهم»: النجوى التناجى بالحديث سرا،

وقد يراد بها المتجاجون أنفسهم كما فى الآية

(٤٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٠.

«يشاقق الرسول»: يخالفه بأن يكون فى شق

والرسول فى شق آخر.

«نوله ماتولى»: نتركه وما اختاره لنفسه.

«ووصله»: أى وندخله «إلا إناثا» المراد معبودات ضعيفة كالإناث لاتدفع عدوا ولا تأخذ

ثارا، وكانت العرب تصف الضعيف بالأنثى، وقيل المراد بالإناث أصنامهم ذات الأسماء المؤنثة

المذكورة فى الآية (١٩) والآية (٢٠) من سورة النجم صفحة ٧٠١ ذلك لأنهم جعلوها رمزا

للملائكة الذين كانوا يعبدونهم ويسمونهم بيات الله، انظر الآية (٨٠) من سورة آل عمران

صفحة ٧٦، والآيتين (٤٠، ٤١) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨، ٥٦٩. «مريدا»: شديد التمرد

والخروج على الطاعة.

«مفروضا»: معينا، أو واجبا استيلائي عليه.

المعنى . وما يضروك أيها النبي شيئا من الضرر ولو صغيرا، لأنك إنما تعمل بالظاهر، وما

كان يحظر ببالك أن المسلم يحلف كذبا كما حلف طعنة أنه برى. وأنزل الله القرآن وأنهمك

وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَوَعَدَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ تَصْلُ اللَّهُ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٧﴾ ۝ لَأَخْبِرُنَّ كَثِيرًا مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْحَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَلِكَ أِنَّمَا أَتَىٰ بِمَا مَلَكَ يَدَ اللَّهِ فَكَانَ يَفْعَلُ بِهَا أَمْرًا عَظِيمًا ﴿١١٨﴾
وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُرْسَلِ ۖ نُفِخْ فِي نُفُوسِهِمْ مِّنْهُم مَّا هُمْ
مُعْصِرُونَ ﴿١١٩﴾ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْكَ بَنُوكَ ۖ وَيَضَعُ يَدَهُ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِإِلَهِهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١٢٠﴾ ۝ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا نَسْأَةً وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١٢١﴾ نَعَمْ اللَّهُ ۚ وَقَالَ لَأَتْلِيَنَّ عِبَادَكَ
نَحْبًا مَّعْرُوفًا ﴿١٢٢﴾ وَلَا يُطِيعُهُم وَلَا يَتَّبِعُهُمْ وَلَا يَرْسُلُهُمْ

تحرى الحق ولذلك حفظك من الإسراع بإدانة اليهودى وعلمك ما لم تكن تعلم من خصيات الأمور، وكان فصل الله عليك بهذا وغيره عظيما لا يساويه فصل مخلوق وبعد ما بين سبحانه قبح مادبره طعمة وأقاربه سرًا، أراد أن يبين حكما عاما هي كل ما يدبر سرًا، وهو أن عليه يكون سرا كما هي الآية (١٠) من سورة المجادلة صفحتى ٧٢٦، ٧٢٧، فقال ﴿لأخبر في كثير من نجواهم﴾ أى نجوى الناس كافة إلا نجوى من أمر بصدقة أو عمل بر، أو كلمة إصلاح بين متخاصمين ومن يفعل شيئا من هذه المعصائل الثلاث سرًا ابتغاء أى طلب رضاء الله عنه لا رياء ولا منعة شخصية، فسوف يؤيته الله اجرا عظيما.

وبعد ما بين ثواب الدين يتناجون بالخبر شرع يبين من يتناجون بالشمر ليحاربوا تعاليم الرسول فقال ومن يحارب تعاليم الرسول من بعد ما تبين له الهدى على لسانه ﷺ، ويتبع بمعارينه هذه سبيلا وطريقا غير طريق المؤمنين المبين في سورة العاتحة، بتركه وما أراد، وهي الأحرة ندخله جهنم وفيه جهنم نهاية ونظهر هذا آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحتى ٣٦٦، ٣٦٧، وبعد ما بين سبحانه أن من يخالف الرسول يدخله جهنم، وكانت معاملة الرسول متعاونة الدرجات، أراد سبحانه أن يبين ما يصح مفترته منها وما لا يصح فقال ﴿إن الله لا ينصر﴾ إلخ؛ تقدم تفسيرها في الآية (٤٨) من هذه السورة، ومن يشرك بالله فقد بعد عن طريق الحق مسافات بعيدة، ولا يمكن أن يرجع سالما، ثم بين بعض أحوال المشركين فقال ﴿إن يدعون﴾ إلخ؛ أى ما يدعون لقضاء حاجاتهم وتمريج كربهم غير الله تعالى إلا معبودات صعيمة لا تملك لهم نفعًا ولا تدفع عنهم ضرًا، وما يدعون بدعائهم لهذه المعبودات إلا شيطانا متمردا، لأنه هو الذى أعراهم لعبادتها موصوف بأنه ملعون ومطرود من رحمة الله عز وجل، وبأنه قال وعزتك لأجعل لى من عبادك نصيبا معروضا محتما استيلائي عليه، انظر الآية (٦٢) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢، وكذا انظر الآية (٨٢) من سورة ص صفحة ٦٠٥، وأصلناهم عن الحق بالوسوسة، ولأصبيهم بالأمانى الباطلة كطول العمر وعدم البعث والجراء إلى غير ذلك حتى يعملوا عن الموت وعن تذكر الآخرة فيعصوا الرسل ثم بين بعضا من إصلاحه فقال: ولأمرهم بالوسوسة التى يطيعونها كما يطيع المأمور أمر سيده

ظَلِمْتُمْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْسَمَ ظَلِمْتُمْ حَقَّ اللَّهِ
وَمَنْ يَغْدِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا
ثَبِيثًا ⑤ بَعْدَهُمْ وَيَتَّبِعُهُمْ وَمَا يَعْلَمُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ⑥ أُولَئِكَ مَارَسَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحِيطُونَ عَمَّا
يَجْمَعُهَا ⑦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ صِدْقًا ⑧ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرِبُهُ وَلَا
يُحْدِثْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ رِبًّا وَلَا يَصِرَ ⑨ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلُّونَ نَقِيرًا ⑩ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
يُمْسِكُ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

﴿ظلمتكم﴾: البسلك القطع والتبتيك
التقطيع الكثير. ﴿الأنعام﴾: الإبل والبقر
والغنم. ﴿يغيرون خلق الله﴾: بسوء التصرف
فيه حميا ومعنويا؛ الأول كخصي الرجال
حتى يصيبوا كالنساء، والثاني كإفساد الفطر
الصليمة وتحويلها إلى الشر. ﴿غرورا﴾. أي
باطلا يغر ضعيف العقل وليس له نصيب من
الحق ﴿ماواهم جهنم﴾: أي مكانهم الذي
ياويهم جهنم.

﴿محيصا﴾: مفرا

﴿قبلا﴾: قولا

﴿وليا ولا نصيرا﴾: تقدم الفرق بينهما في صفحة ٢١.

﴿تقيرا﴾: تقدم في الآية (٥٣) من هذه السورة صفحة ١٠٩ ﴿أسلم وجهه لله﴾. احلص

نفسه لله وجعلها له وحده لا تعرف ربا سواه. انظر معاني الوجه في صفحة ١٠٨

﴿حنيفا﴾: بعيدا عن الأديان الباطلة.

المعنى: حلف الشيطان بكرة الله ليحملن أتباعه على أن يقطعوا أذان الأنعام احتراماً
للأصنام، فكانوا إذا ولدت الناقة خمس مرات وجاء الخامس ذكراً قطعوا أذنها أو شقوها
ليكون ذلك علامة على أنها أصبحت ملكاً للأصنام لا يركبها ولا ينتفع بها أحد كما سيأتي
تفصيله في الآية (١٠٣) من سورة المائدة، وكان من أسخف أعمالهم الوثنية، ولذا خصه بالذكر

- | | | | |
|----------------|-------------------|-------------|---------------|
| (١) الأنعام. | (٢)، (٣) الشيطان. | (٤) ماواهم. | (٥) الصالحات. |
| (٦) جنات. | (٧) الأنهار. | (٨) خالدين. | (٩) الكتاب. |
| (١٠) الصالحات. | (١١) إبراهيم. | | |

مع أنه داخل فيما قبله، وحلف أيضاً ليأمرهم بتغيير خلق الله بسوء التصرف فيه فإله أحسن كل شيء خلقه، والشيطان وحنوده يفسدون لمحاربة الرسل والمصلحين، ومن يتخذ الشيطان ولياً له من دون الله يضره كيف يشاء فقد حسر خساراً واضحاً في دنياء وأخرته. يمدهم الشيطان بكل صار كالمقر إذا انفقوا في سبيل الله تعالى، وبالفنى إذا لعبوا القمار، إلى غير ذلك. انظر الآية (٢٦٨) من سورة البقرة. ويمنيهم بالباطل كما تقدم، وما يمدهم في الحقيقة إلا بما يعر ونيس له أصل. أولئك الذين يلعب بهم الشيطان هذا التلاعب مكانهم الذي يأوون إليه في النهاية هو جهنم ولا ممر لهم منها. وبعد ما ذكر جزاء الكافرين أتبعه بحزاء المؤمنين كما هي عادة القرآن ليرر الفرق بينهما فقال، والذين آمنوا وعملوا الصالحات إلخ، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك في تحقيقه، ولا أحد أصدق من الله قولاً. ولما كان مما منى به الشيطان أتباعه ما منى به اليهود والنصارى من أنهم أبناء الله وأحباؤه كما هي الآية (٨) من سورة المائدة، وبأنه لا يدخل الجنة غيرهما كما هي الآية (١١١) من سورة البقرة، وكان بعض المسلمين قابل قولهم هذا بقوله نبياً آخر الأنبياء فحسن أمهل الأمم، لما كان كل هذا رد الله تعالى على الجميع بإرجاع الأمر إلى الحق فيما قالوا، فقال عز وجل ﴿ليس بأمانيكم﴾ إلخ، أي ليس الأمر مرتبطاً بأمانيكم أيها المسلمون، ولا بأماني أهل الكتاب، بل بالعمل الصالح مع الإيمان، ومن يعمل سوءاً يحزنه في الدنيا والآخرة ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، تقدم بيانها في الآية (٨٩) من هذه السورة.

ومن يعمل شيئاً من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً. والآية تعيد أن الإيمان شرط في انتفاع العامل بعمله في الآخرة، أما الكافر فلا ينجيه عمله من جهنم، انظر الآية (٢٣) من سورة المرقان، ولا أحد أحسن دينا ممن أحلص عمله لوجه الله تعالى وهو محسن لعمله محافظ على كل ما يستطيع من الحسنات وكان في ذلك متبعاً لملة إبراهيم عليه السلام البعيد في ملته عن الأديان الباطلة.

﴿ما كتب لهم﴾ ما فرض لهم من الصدقات. ﴿المستضعفين من ولدان﴾ هم الصغار اليتامى. ﴿القيبط﴾ العدل. ﴿بعلها﴾ زوجها. ﴿نشوزاً﴾ أي سوء معاملة كأن يستعلى عليها لتعلق قلبه بغيرها مثلاً

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٦﴾ وَفِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٧﴾
وَيَسْتَمْتِعُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَمَا يُغْنِي
عَنكَ فِي الْكِتَابِ بَيِّنَاتٍ لِّلنِّسَاءِ الَّتِي لَا تَنُوزُهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَكْمُرَهُنَّ وَالْمُسْتَضْعِمِينَ
مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُولُوا لِّلنِّسَاءِ الْفَيْضُ وَمَا تَقُولْنَ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ وَإِنْ أَمْرًا خَلَفَ مِنْ
بَيْنَهُمَا نَفَرًا أَوْ أَفْرَاقًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا
بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْبِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ
وَإِنْ تُخْسِرُوا نَفْسًا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٩﴾
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تُجِبُوا كُلَّ نَسِيلٍ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا

﴿واحضرت الأنفس الشح﴾: تفسير
التركيب. واحضر الله الأنفس عند الشح
بمعنى لا تفارقه، والمراد أنها جبلت عليه،
والشح: البخل الشديد المصاحب للحرص.
وعبارة الشيخ محمد عبده: أي أنها معرضة
له.. لكن آية ﴿إن الإنسان خلق هلوعا.. إلى
قوله إذا سمته الخير منوعا﴾ تدل على أنه
جبل عليه وأمرته الشرائع بمحاربتها أو
تخفيف حدته.

المعنى: وجعل الله إبراهيم خليلًا أي
صفيًا مختارًا ولله كل ما في السموات

والأرض خلقًا وملاكًا وتصرفًا، فليحذر الذين بحالهم، وليطمئن المطيعون، وكان محيطًا بكل ما
فيهما علما وقدرة ولما نزلت الآيات الأولى في أول السورة وكان فيها معاجاة للعرب نظرًا لما
تعودوه من حرمان النساء والأطفال من الميراث، جال بحاطر بعضهم كيف يرث الصغير والمرأة
وهما لا يحسان التصرف وكيف يستطيع العدل بين الروحانيات في كل شيء ومن الأشياء ما لا
يقدر عليه كالميل نفسي؟ وهل هذا يشعر بأن التعدد ممنوع أو سينزل الله لنا ما يعدل تلك
الأحكام تيسيرًا علينا كما قيل في الآيتين (٦٥، ٦٦) من سورة الأنفال صمحة ٢٢٧ وتوهموا أن
ما نزل أول السورة غير قطعي هيصيح تقييده أو إطلاقه أو تيسيره بأي وجه وأكثروا من سؤاله
﴿لعل الإفتاء يأتي بما يريدون هأنزل الله تعالى يستمتعونك أي يطلبون منك المتيا يأتيا﴾
النس في شأن النساء وبيان العامص عليهم من أحكامهن من حيث الحقوق المالية والرواج
والنشوز والحصام والصلح والعدل وكيف تكون العشرة والمراق، ويدل على أن الاستثناء كان

هي كل ذلك الجواب الآتي هي الآيات الأربع قل أيها السى هي جوابهم الله يمتيكم فيما حص عليكم من أحكامهم وستأتي هذه الفتوى الحديده هي الآيات الثلاث الآتية بعد هذه مباشرة، ويمتكم أيضاً فيهن مايتلى عليكم كل يوم هي العرا هي نأى النساء الخ وهو ما تقدم اول هذه السورة هي الآية (٢) وما بعدها، اللاتى لاتؤتوبهن ماعرض لهن من صدق مثيلاهن والحال انكم ترعون هي أن تتزوجوهن لجمالهن والتمتع بأموالهن مع عدم العدل هي المهر أو ترغبون عن رواجهن لعدم جمالهن، ولاتزوجوهن غيركم حتى يدركهن الموت لتأخذوا مالهن من مال جاهن من غير الميراث كالهبة مثلاً لأنهم ماكانوا يورثون النساء كما تقدم، ومايتلى عليكم هي القرأ، يمتكم أيضاً في الصعفاء من اليتامى الصغار بأن تفضوهم حقوقهم، وأن تقوموا لهم بالعدل في كل شيء على أنم وحه كما تقدم أول السورة، وماتعلموا لهم من خير رائد على أصل العدل فإن الله يعلمه وسيجاريكم عليه أحسن الحراء، فمعامنة اليتيم على ثلاث درجات محرمة وهي هضم شيء من حقوقه، وواجبة وهي العدل معه.

ومستحبة وهي الريادة في إكرامه بما ليس من ماله، وبهذا ظهر للمستفتين أن الأحكام الأولى كانت نهائية فيما يتعلق بحق النساء واليتامى ثم شرع سبحانه في بيان أحكام لم تبين من قبل فقال وإن امرأة جافت أي حشيت وتوقعت من روحها استعلاء عليها أو تقصيراً في النفقة أو إعراساً عنها بعدم محادثتها أو مؤاستها كالاعتاد، فلا جناح عليهما في أن يصلحا مافسد بينهما صلحاً باقياً بأن تترك له بعض الواجب لها رغبة في بقاء الروحانية، والا فعلى الروح أن يوهبها حقها أو يطلقها، والصلح خير من الشور والمرفقة ويحب أن يلاحظ لروحان أن العوس حبلى على الشج، فالنساء حريصات على حقوقهن، والأرواح حريصون على أموالهم، فإذا أمكن النعلب بالتصامح يكون خيراً، وأن تحسبوا العشرة فيما بينكم ويعدر بعضكم بعضاً وتتقوا أسباب العرا، فإن الله يعلم كل ذلك فيجاري من أحسن بالحسن

﴿قوامين بالقسط﴾ أي مداومين على القيام بالعدل.

﴿شهداء لله﴾ شهداء بالحق لوجه الله تعالى لا لعرض دنيوى

المعى . وتتقوا الظلم فذلك حمر لكم، لأن الله يعمر لكم به ما مضى من مي، وقد رحمكم حيث لم يؤاخذكم بالليل القلبي وإذا لم يمكن الصلح وبمرفقاً بطلع أو طلاق فإله لا يتركهما بل

وَسْتَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ كَانَ غَوْرًا رَحِيمًا ﴿٢٧﴾ وَإِنْ يَشْرَقَ فِي
 اللَّهُ كُفْلًا مِنْ سَعَتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ وَبِئْسَ حَكِيمًا ﴿٢٨﴾
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَتَقْدَرُ أَعْيُنُ الَّذِينَ
 أَوْفُوا الْكَيْفَ مِنْ قَلْبِكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ أَفْوَ اللَّهِ وَإِنْ
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٠﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
 وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿٣١﴾ مَنْ
 كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
 قَوَّامِينَ بِالنَّظْمِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ
 وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَيْبًا أَوْ نَعِيمًا مَا لَهُ أَوْلَىٰ بِمَا

يعنى كلا عن صاحبه من واسع فضله، بأن
 يرزقها زوجها غيره، ويرزقه غيرها، وكان الله
 واسع الفصل حكيمًا في تدبيره. والله ما في
 السموات وما في الأرض ملكا وتصرفا، فلا
 يمجزه إعناء كل منهما. ولما كان أساس كل
 خير هو تقوى الله عز وجل فقد وصينا بها
 كل الذين جاءهم كتاب من الله قبلكم كما
 وصيناكم وصينا الجميع بقولنا إن تكفروا
 وتعملوا ما وصيناكم به فكن تضروا الله شيئا،
 لأن له كل ما في السموات وما في الأرض
 فهو سبحانه غنى عن عبادتكم، مستحق
 للحمد الكثير لكثرة نعمه وإن لم يعمده أحد
 منكم. ثم كرر ملكه لما في السموات والأرض

ليرتب عليه ما بعده من تهديد كما سيأتي، وكفى بالله وكيلا لمن أطاعه، فلا تقولوا على غيره،
 ثم هددكم بما يشعر بكمال قدرته فقال إن يشأ يذهبكم ويصمكم يا أيها الناس ويأت بقوم آخرين
 بدلكم يكونون حيرا منكم كما هي الآية (٢٨) من سورة محمد صمحتي ٦٧٧، ٦٧٨؛ وهو قدير
 على ذلك، وقد عمل ذلك هي أمم مصت كعاد وثمود وقوم نوح، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك لهذه
 الأمة مع عصيان أكثرها، لأن حكمته اقتضت أن تكون آخر الأمم ليوم القيامة. من كان يريد
 بسعيه وجهاده ثواب الدنيا فقط من سعة رزق ولدائد عيش فارشده إلى أن الله عنده ثواب
 الدنيا والآخرة لا تراحم إحداهما الأخرى، فلم يكتفى بالأدنى الصانى ويهمل الأعلى الباقي مع
 أن الجمع بينهما سهل عليه، وقد جمع الصالحون بينهما كما هي الآية (٢٠١) من سورة البقرة
 صمحة ٤٠، وكان الله سميعا لكل ما يتحرك به لسان، بصيرا بكل ما يدور في خاطر، فليحذروه
 وليصنعوا ما يرصيه ولما كان العدل أساس السعادة كرر الأمر به فقال. يا أيها الذين آمنوا إلخ أي
 كونوا محافظين على القيام بالعدل شهداء بالحق لوجه الله لا لطلب نفع، ولو كانت الشهادة

فَلَا تَقْرُؤُوا الْقُرْآنَ أَلَّا تَعْلَمُوا وَإِنْ تُلَوْذُوا أَوْ تَرْضَوْا فَلَنْ
 اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٦﴾ يَتَأْتِيهِ الْغُيُوبُ
 وَالْغُيُوبُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي رَزَقَ عَلَى رُسُلِهِ
 وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَحْكُمُ بِاللَّهِ
 وَمُتَنَبِّئِهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلُهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ صَلَّى
 صَلَاتًا نَعِيمًا ﴿١٣٧﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَارَدُوا كُفْرًا أَرَأَيْتُمْ إِنْ يَحْكُمَ لَهُمْ
 وَلَا يُبَدِّلُ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٨﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَكْثَرِينَ أَوْسَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَتْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ آيَةً لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
 وَقَدْ رَزَقَ عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ أَنْ إِذَا تَفَعَّلْتَ ءَابَتْ إِلَهُ
 يُكْفَرُ بِهِ وَنَسْتَهْرِبُ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

على أنفسكم فاشهدوا عليها بأن تقرروا
 بالحق، أو على الوالدين أو الأقارب، إن يكن
 المشهود عليه غنيا يرجى نفسه أو فقيرا
 يحشى عليه فلا تمتصوا عن الشهادة على
 الفنى طمعا فى ضياء ولا على الفقير شفقه
 عليه، لأن الله سبحانه أولى بالتنوعين، وأرحم
 بهما منكم، وأعلم بما فيه مصلحتهما.

﴿تلووا﴾: ألسنتكم فى الشهادة بأن تأتوا
 بها على غير وجهها.

﴿أو ترضوا﴾: عنها فتكتموها. «والكتاب
 الذى أنزل من قبل»: المراد جنس الكتاب
 فيشمل كل ما نزل على الأنبياء السابقين.

﴿بشر المنافقين﴾: أصل البشارة هى الخبر العار وعبر بها عن الخبر المحزن تهكما بهم
 واستهزاء انظر الآية (٢١) من سورة آل عمران صفحة ٦٦.

﴿يخوضوا﴾ أصل معنى الخوض هو الدخول فى الماء الكثير الذى لا تؤمن عاقبة الدخول فيه،
 ثم استعمل قليلاً فى الدخول فى الحديث للتسلية. ومنه قوله تعالى فى المنافقين الذين
 استهزوا بالرسول ﷺ وبالقُرآن الكريم «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب» الآية
 (٦٥) من سورة التوبة صفحات ٢٥١، ٢٥٢... ويستعمل قليلاً أيضاً فى الحديث عن أمر خطير
 كقول العلماء لا يحوز الخوض فى الكلام عن الروح لأنها سر من أسرار الله عز وجل...
 ويستعمل كثيراً فى الدخول فى الباطل كما فى هذه الآية التى نحن بصدد شرحها وكثير
 غيرها فى القرآن.

المعنى: - يقول صاحب تفسير المنار فى الجزء الخامس.. قد علم مما سبق مكان هذه
 الآيات وما يعمدها إلى آخر السورة مما قبلها وهى أحكام عامة فى الإيمان والعمل وأحكام

المساكين وأهل الكتاب في ذلك. فأما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ إلخ فهو يتصل بما قبله من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى والنساء، فهناك حصص اليتامى والنساء في سياق الاستملاء ههنا، ولأن حقهم أكد، وظلمهم معهود، وهما عمم الأمر بالقسط لأن العدل حماة النظام وقوام الأمر الاجتماعي وبما فيه من الشهادة لله بالحق ولو على النفس أو الوالد أو الأقربين وعدم محاباة أحد في ذلك لعباء، أو مراعاته لمقره، لأن العدل والحق معلمان على الحقوق الشخصية وحقوق القادة وغيرها، وكانت محاباة الأقربين معهودة في الجاهلية لأن أمرهم قائم بالعصبية، فالواحد منهم كان يهجر قومه وأهل عصبته لأنه يهتر بهم، كما يظلم النساء واليتامى لصممهم وعدم الاعتزاز بهم، فحظر الله سبحانه محاباة المرء نفسه أو أهله هنا وإعطائهم ما ليس بهم من الحق، يقابل حظر ظلم النساء واليتامى هناك وهضم ما لهم من الحق. روى ابن المنذر عن طريق ابن حريج عن مولى لابن عباس قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانت ﴿البقرة﴾ أول سورة نزلت ثم أردفتها سورة النساء... قال فكان الرجل تكون عنده الشهادة قبل اسمه أو ابن عمه أو دوى رحمه فيلوى بها لسانه أو يكتتمها مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقصي نزلت «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ» فتأمل كيف بقي تأثير المحاباة فيهم بعد الإسلام حتى نزلت هذه الآية.

القوامون بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالإتيان به على أتم الوجوه وأكملها وأدومها فإن «قوامين» جمع قوام وهو المانع عن المياع بالشيء، والقيام بالشيء هو الإتيان به مستوياً تماماً لا نقص فيه ولا عوج، لذلك أمر تعالى بإقامة الصلاة وإقامة الشهادة وإقامه الورع بالقسط لتأكيد العناية بهذه الأشياء، ومن سى جداراً مائلاً أو ناقصاً لا يقال إنه أقام البناء أو أقام الحدار، قال تعالى «فوجدوا فيها حداراً يريد أن ينقض فأقامه».. وإنما أحصاه الحدار إلى إقامة لأنه كان مائلاً متداعياً للمقوط، وهذه العبارة أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل والعناية به، فالأمر بالعدل والقسط مطلقاً يكون عبارات محتملة بعضها أكد من بعض تقول

اعدلوا أو اقسطوا وتقول كونوا عادلين أو مفسطين وهذه أبلغ لأنها أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الإتيان بالقسط الذي يصدق بمرة.

وتقول: أقيموا بالقسط، أي لتكن الماملة والعناية بإقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم، بأن تتعروا بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم، والقسط يكون هي العمل كالتضياع بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد، ويكون هي الحكم بين الناس ممن يوليه السلطة أو يحكمان الناس فيما بينهم. وكان ينبغي أن يكون المسلمون يمثل هذه الهداية العدل الأمم وأقومهم بالقسط وكذلك كانوا عندما كانوا مهتدين بالقرآن، وصدق على سلمهم قوله تعالى: «ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»... ثم حلف من بعد أولئك السلف حلف ببداية الهداية القرآنية وراء ظهورهم، حتى صارت جميع الأمم تصرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم، وتصغر عليهم بالعدل بل صار الدين ليس لهم من الإسلام إلا اسمه يلتمسون من تلك الأمم القسط، وما يهدي إليه من العلم انظر الآية (٨) من سورة المائدة صفحة ١٢٧.

وقوله تعالى ﴿شهداء لله﴾ حبر بعد حبر أي كونوا شهداء لله والشهداء جمع شهيد يورس ﴿عميل﴾.. والأصل هي صيغة عميل أن تدل على الصفات الراسخة كعلم وحكيم فهو على هذا أمر بالعناية بأمر الشهادة والرسوخ فيها. وقد تقدم تفسير الشهادة في تفسير أو آخر سورة البقرة فنراجع في الجزء الثاني من تفسير المنار، ومعنى كون الشهادة لله أن يتحرى فيها الحق الذي يرصده ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ أي كونوا شهداء بالحق لوجه الله وامتثال أمره وإسراع شرعه، الذي تنال به مرضاته ومثوبته، ولو كانت الشهادة على أنفسكم ما يثبت بها الحق عليكم ومن أقر على نفسه بحق فقد شهد عليها لأن الشهادة إظهار الحق. أو على والديكم وأقرب الناس إليكم كأولادكم وإخوانكم، فإنه ليس من مر الوالدين ولا من صلة رحم الأقربين أن يعانوا بما ليس لهم بحق، بالإعراض عن الشهادة عليهم، أو لبها والتحريف فيها لأهلهم، وإنما البر والصلة في الحق والمعروف والحق أحق أن يتبع والدين متعاونون على الظلم وهضم حقوق الناس يتعاون الناس على ظلمهم وهضم حقوقهم.

فتكون المحاباة هي الشهادة من أسباب فشو الظلم والعدوان، وذلك من المفاسد التي لا يأمن شرها أحد من الناس. فالمحاباة هي الشهادة موصدة صررها عام وإن كانت لمصلحة يريد المحابي بها مع أهله أو الشفقة على فقير أو العصبية لغنى ولدك قال عز وجل ﴿إِنْ يَكُنْ عَسَا أَوْ فَاقِرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي إن يكن المشهود عليه من الأقربين أو غيرهم غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما وشرعه أحق أن يتبع فيهما فلا تحابوا الغنى طمعاً في بره، ولا خوفاً من شره، ولا الفقير عطفاً عليه ورحمة به، فمرصاة الفقير ليست خيراً لكم ولا له من مرضاة الله تعالى، ولا أنتم أرحم بالفقير وأعلم بمصلحته من ربه عز وجل، ولولا أنه تعالى يعلم أن العدل وإقامة الشهادة بالحق، هي خير للشاهد والمشهد عليه، سواء كان عساً أو فقيراً لما شرع الله ذلك وأوجبه، روى ابن جرير عن السدي في الآية قال نزلت في النبي ﷺ احتصم إليه رجلان عس وفقير فكان حلفه مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغنى فأبى الله إلا أن يقوم بالتوسط في الغنى والفقير. أ. هـ. أي كان ميله القلب موحياً إلى الفقير لظنه أنه لا يتصدى لظلم الغنى وهو وإن طر ذلك لا يعكم إلا بالحق الذي تظهره البينة والحجة سواء أزيلت الآية في ذلك أم لا، وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في هذه الآية أنه قال: ونعم ما قال. هذا هي الشهادة فأقم الشهادة يا ابن آدم ولو على نفسك أو الوالدين أو الأقربين أو على ذي قرابتك وأشرف قومك فإيما الشهادة لله وليست للناس، وأن الله رضى بالعدل لنفسه والإقساط... والعدل ميران الله في الأرض، به يرد الله من الشديد على الضعيف ومن الصادق على الكاذب، ومن المبطل على الحق، وبالعدل يصدق الصادق ويكذب الكاذب، ويرد المعتدى ويوبخه ربما تبارك وتعالى، وبالعدل يصلح الناس....

يأس آدم إن يكن عساً أو فقيراً فالله أولى بهما، يقول الله أنا أولى بغيركم وحقيركم، ولا يمنك عس غنى ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم فإن ذلك من الحق. أ. هـ.

. فلا تتعوا شهوات أنفسكم في شهادتكم كراهة أن تعدلوا بين الخصمين في الشهادة لأن العدل لا يموت عليكم إلا متعة رائلة، وأن تحرفوا الشهادة أو تكتموها بأن لا تشهدوا أصلاً، يجازكم الله أشد أنجرأ لأنه سبحانه حسيب كل ما تعملون يأبى الدين امنوا من أتباع محمد امنوا بالله ورسوله إلح المراد اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله واجمعوا بين الإيمان بالله

وبحاثهم رسله وبالقرآن، وبين الإيمان بالكتب التي أرسلها الله على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل الصحيحين وصحف إبراهيم وزبور داود، والإيمان على هذا الوجه هو مزية هذه الأمة انظر الآية (٢٨٥) من سورة البقرة صفحات ٦١، ٦٢ وانظر بظير ذلك في الآية (٢٨) من سورة الحديد صفحات ٧٢٣، ٧٢٤...

وَمَنْ يَكْمُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَضْدَ صُلٍ وَبَعْدَ عَنِ الْحَقِّ - ثُمَّ شَرَعَ سبحانه في بيان بعض أصحاب هذا الضلال فقال: إِنْ الدِّينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا إلخ هم بعض المنافقين الذين أظهروا الإيمان ثم أظهروا الكفر ثم أردادوا كُفْرًا بمحاربتهم النبي ﷺ وإيذاء أصحابه حتى تمكن الجحود من قلوبهم فلم يبق فيها استعداد للإيمان الصحيح لا يمكن أن ينصر الله لهم لأنه لا يعمر الكفر كما تقدم في الآية (٤٨) من هذه السورة صفحة ١٠٨، ولا يهديهم إلى الطريق الموصل للجنة، لأنه سبحانه لا يهدي الفاسقين كما في الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧. وأحبر أيها النبي المنافقين بأن لهم عذاباً شديداً الأليم؛ هؤلاء المنافقون هم الذين يتحدون الكافرين أولياء يوالونهم بالمودة ويبصرونهم في السر متجاوزين ولاية المؤمنين ومعرضين عنها. هل بعملهم هذا يطلبون عند الكافرين العزة والقوة؟ إن كان كذلك فهم محطون لأن القوة والمنة كلها لله وللمؤمنين المحلصين كما في الآية (٨) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٤.

يتحدونهم أولياء وأصفياء ويجالسونهم والحال أن الله قد نزل عليكم أيها المسلمون جميعاً بما هيكم المنافقون في القرآن بمكة في الآية (٦٨) من سورة الأنعام صفحات ١٧٢، ١٧٣. أن إذا سمعتم آيات الله من القرآن يكتبها المشركون ويستهزئون بها باللغو عند سماعها كما في الآية (٢٦) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢ فلا تقعدوا يا مَنْ أظهركم الإسلام مع الكافرين المستهزئين حتى ينتقلوا لحديث غير الاستهزاء، وذلك أن المسلمين بمكة كانوا ضعافاً فلا علاج لحفظهم كرامة القرآن إلا الانصراف عن الخوض فيه.

وإذا كنتم ممنوعين من الجلوس معهم عند سماع ما فيه طعن في دينكم فكيف توالونهم وتتحدون منهم أصفياء..

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَاتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَلِيعُ
الْمُسْتَفِيعِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ① الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ نَجْرٌ فَتَحَ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَجِبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَعِذْ
عَلَيْكُمْ وَتَسْمِعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَلْفَ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ② إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ
وَإِذْ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَالُوا كُفُّوا رُءُوسَ الَّذِينَ
وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ③ مَذْذَبَيْنِ نَحْنُ ذَلِكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
تَجِدُهُمْ سَبِيلًا ④ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ لَا تَنْهَوْنَهُمْ
الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ

﴿يتربصون بكم: ينتظرون مايجل بكم من
خير أو شر.﴾

﴿فتح من الله﴾. المراد فتح الله عليكم
باب خير.

﴿للكافرين نصيب﴾: حظ من النصر.
﴿ستحذو عليكم﴾: يريدون ألم نحافظ
عليكم وكنا قادرين على أسركم ولكننا لم نفعل
إخلاصا منا لكم.

المعنى: - إنكم إذا قمتم معهم وهم يهزمون
تكونون مثلهم في الكفر لإقراركم لهم عليه
وعدم إنكاركم أو انصرافكم. وهذه الجملة

تعليل للنهي غير داحية فيما أنزل قبل في الأعمام ثم توعد سبحانه المارقين فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ
حَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ هؤلاء المنافقون هم الذين ينتظرون مايجل بكم
هنا كان لكم فتح من الله بنعمة النصر والعزيمة قالوا نحن معكم في الدين والجهاد فأعطونا
مما علمتم انظر الآيتين (٧٢، ٧٣) من هذه السورة صفحة ١١٢ أن كان للكافرين نصيب من

- (١) المنافقين
- (٢) والكافرين
- (٣) للكافرين
- (٤) نصيمة
- (٥) للكافرين
- (٦) المنافقين
- (٧) يخادعون
- (٨) خادعهم
- (٩) الصلاة
- (١٠) الكافرين

النصر والفنائم قال هؤلاء المنافقون للكافرين: ألم نحافظ عليكم ونمنعكم من إيذاء المؤمنين لكم بالقتل والأسر بتخديلهم وإطلاعكم على أسرارهم حتى انتصرتهم، فأعطونا مما كسبتم.

فإن الله يحكم بين صادق الإيمان منكم والمنافق يوم القيامة، فيدخل الصادق الجنة والمنافق النار، أما في الدنيا فكل منكما معصوم الدم والمال لطقه بكلمة التوحيد، وإن يجعل الله للكافرين على المؤمنين المخلصين في إيمانهم القائمين على حدود الله طريقاً إلى النصر عليهم، أي لا يمكنهم من أن يعلبواهم. إن هؤلاء المنافقين يفعلون مع الله عز وجل فعل المخادع، حيث يظهرون أمارات الإيمان ويبطنون الكفر، وهو سبحانه يفعل معهم ذلك أيضاً حيث حفظ دماءهم وأموالهم في الدنيا، وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار. وإذا قاموا للصلاة مع المؤمنين قاموا مثاقيل بلا نشاط ولا رغبة، يظهرون للناس أنهم مؤمنون، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وهو ما يفعله أمام المؤمنين إذا اضطروا لذلك في صلاة أو حج مثلاً، يقضون هذه المواقف حال كونهم مذبذبين أي جعلهم الشيطان مترددين بين المذكور من المؤمنين المخلصين والكافرين العلنيين، ثم فسر هذه الذبذبة بقوله لا إلى هؤلاء إلخ.. أي لا منسويين إلى المؤمنين حقيقة لإضمارهم الكفر، ولا منسويين إلى الكافرين العلنيين لتظاهرهم بالإيمان ومن يضلله الله لعدم استعداده للهداية كما في الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧.. فلن تجد له طريقاً إلى الهداية.

ثم وجه سبحانه الخطاب للمؤمنين الصادقين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ إِنْ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْمُنَافِقِينَ فَاخْذَرُوا أَنْ تَقْعُوا فِيهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْوَلَايَةِ الْمُنْهَى عَنْهَا فِي الْآيَةِ (٢٨) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ صَفْحَةَ ٦٧.

﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي حجة ظاهرة في استحقاقكم العذاب.

﴿الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾. الدرك الطبقة من المكان الذي له طبقات بعضها فوق بعض.

﴿اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي تمسكوا بكتابه وشرعه.

تَجْمَعُوا لِلَّهِ عَلَى كَرْ سُلْطَانِيًّا ۖ إِنَّ السَّاعِيْنَ
 إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الدَّرَكِ نَحْدَ هُمْ بَصِيرًا ۖ
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ
 لِلَّهِ فَمُلَئِثًا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَجْرًا عَظِيمًا ۖ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّكُمْ لَعِنْدَهُ أَشْكُرٌ ۚ وَآمَنٌ
 وَكَانَ اللَّهُ شَآكِرًا عَلِيمًا ۖ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْخَبِيثَ الْبَاسُ
 مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ عَمِيمًا عَلِيمًا ۖ
 إِنْ تَدْعُوا حَيْرًا أَوْ نَحْمَدُوه أَوْ نَقُولُ عَمِ سُورَةٍ مِنْ اللَّهِ كَانَ
 عَصَا قَدِيرًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ يُؤْمِنُ
 بَعْضُ وَنَكْفُرُ بَعْضًا وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْتَرُوا بَيْنَ ذَلِكَ
 سَبِيلًا ۖ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ أَنْكُرُوا حَقَّ اللَّهِ وَآخِذُوا

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ

أَنْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ... إلخ﴾

قال القرطبي: لما ذكر المشركين والمنافقين

ذكر الكفار من أهل الكتاب وهم اليهود

والنصارى إذ كفروا بمحمد ﷺ وبين أن الكفر

به كفر بالكل لأنه مامن نبي إلا وقد أمر قومه

بالإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الأنبياء

ومعنى ﴿يريدون أن يفرقوا... إلخ﴾ أي

بين الإيمان بالله والإيمان برسوله، فنص

سبحانه على أن التفريق بين الله ورسوله كفر

وإنما كان كفراً لأنه سبحانه فرض على الناس

أن يعبدوه بما شرع لهم على أنسنة الرسل، فإذا جحدوا إلى مل، ردوا عليهم شرائعهم ولم
 يقبلوا منهم، فكانوا معتنعين من التزام المبودية التي أمرهم الله بالتزامها، فكانهم جحدوا
 الصانع سبحانه وجحد الصانع كهر لما فيه من ترك التزام الطاعة والمبودية وكذا التفريق
 بين رسله في الإيمان بهم هو أيضاً كفر.

المعنى: لا يصح أن تجعلوا لله عليكم يوم القيامة حجة ظاهرة لتعديكم هي اتحادكم
 الكافرين أولياء تطلعونهم على أسرار دولتكم وما يصر سلامتها إن عاقبة المنافقين أنهم
 يكونون يوم القيامة هي الطبقة السفلى من جهنم، وهي شر طمقائها، لأنهم شر أهلها، بما
 جمعوا بين الكفر وبين عش المؤمنين، ولا تحد لهم بصيراً بقدهم منها إلا الذين تابوا من
 الكفر والباطل، وأيدوا توبتهم بثلاثة أمور الأول: أصلحوا ما أفسدوا بأن يجتهدوا في الأعمال
 الصالحة

والثاني . اعتصامهم أى تمسكهم بكتاب الله وبيده المتين فتحلقوا بأحلاقه انظر الآية (١٧٥) الآتية فى هذه السورة صفحة ١٢٢. والآية (١٠٢) من سورة آل عمران صفحات ٧٩، ٨٠.

والثالث . إحلاصهم فى عملهم لله لا يريدون إلا رضاء، فلا يقصرون جلب نعم أو دفع ضرر، فأولئك الذين يملكون ذلك يكونون رفقاء المؤمنين فى أحكام الدنيا والآخرة، وسوف يؤتيهم الله أجراً عظيماً لا يعلم قدره سوى المسم به . وأى شئ من المصلحة يعود عليه سبحانه من تعذيبكم إن شكرتم نعمه بصرف كل ما نعم به عليكم فيما يرضيه، وهذا لا يكون إلا عن إيمان كامل، ولذا قال وأمنتم بأنه الواحد صاحب كل هذه النعم وكر الله شاكراً أى مثيباً على الشكر بأحرل العطاء، عاناً بكل ما تعملون فلا يصعب على أحد شيئاً من حراء عمله، ولما كان التشديد فى التحذير من المافقيين ربما يعيد جوار الحهر بالسوء مطلقاً متى كان حقاً فيتعود الناس الجراءة على ذكر مساوئ الغير وفى ذلك فساد كبير، حذر سبحانه من هذا فقال لا يحب الله الحهر بالسوء . إلخ، أى لا يرضى عن إعلان القول الذى يسىء الغير، إلا حهر من ظلم بأن يشكو ظالمه لحاكم وغيره ممن يرحو مساعدته فى رفع الظلم، وإنما حص النهى عن الجهر بالسوء مع أن التناجى به مبهى عنه أيضاً كما فى الآية (٨) من سورة المائدة صفحة ٧٢٦ لأن المقام هنا فى الحهر بمعيوب المافقيين ولأنه أشد صرراً وأحار لشارع أيضاً قول السوء فى المحاهر بالمعصية للتحذير منه وكذا فى الشهادة وفى مواضع أخرى يترتب على قول الحق فيها مصلحة راححة . انظر شيئاً من ذلك فى شرح الأبيس (١١ - ١٢) من سورة المحجرات صفحة ٦٨٦

إن لله كان سميعاً لقول السوء، عليماً بالسب الناعث عليه من دفع ظلم أو محرد تشيع، وبعد ذلك أراد سبحانه أن يبين حكم إبداء الخير من قول أو فعل وإحسانه، وحكم العمو عن الجهر بالسوء فقال ﴿إن تدوا حسراً﴾ أى تظهروا الخير من قول أو فعل، أو تعملوه سرراً وتصمحوها عن أساء بعد القدرة عليه، فإن الله يجزيكم أحسن الحرء، ونعمو عن سبئكم لأنه سبحانه كثير العمو، فقير لا معجره الثواب الكثير على العمل القليل وإنما حص العمو

لِّلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّبِينًا ﴿٢٦٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يَمْرُؤُوا بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيُخْبِرُنَّ أَحَدَهُمْ
وَكَانَ اللهُ عَوْرًا رَّحِيمًا ﴿٢٦٨﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ
مَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهُ جَهَنَّمَ فَاخْتَلَفْنَا عَلَيْهِمْ يُخْبِرُهُمْ
ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَمُوا عَنْ
ذَلِكَ وَكَلَّامًا مَّوَسَىٰ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ ﴿٢٦٩﴾ وَرَفَعْنَا فُرْقَانَهُمْ
الطُّورَ يَمِيقُهُمْ وَفَعَلَ اللهُ مَا أَذْهَبَ عَنْكَ النَّاسُ عَجْدًا وَعَنَّا
هُمْ لَا تَقْدُوا فِي الْكُفْرِ وَخَدَّاهُمْ مِنْ بَيْنَهُمْ عَظِيمًا ﴿٢٧٠﴾
فَمِمَّا تَقَسَّيْتُمْ مِنْكُمْ وَكُفِّرْتُمْ بِدَائِبِ اللهِ وَبَيْنَهُمْ
الْأَنْبِيَاءُ يَمِيرُ حَقٌّ وَقُوَّتُهُمْ قُوَّةٌ عِنْدَ كُلِّ طَعْنٍ اللهُ عَلَيْهِ
يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا ﴿٢٧١﴾ وَيَكْفُرُهُمْ قُوَّتُهُمْ

بالذكر في الجزء لأنه أشق على النفس وأهم
المقاصد في الألفاظ بين الناس. إن الذين
يكفرون بالله وبرسوله ثم بين كيفية كفرهم به
تعالى مع أنهم يقولون به فقال ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسوله في الإيمان به تعالى
والكفر بهم كلهم أو بعضهم، وهؤلاء الأخيرون
هم الذين يقولون تؤمن ببعض الرسل وتكفر
ببعض، فاليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا
بميسى ومحمد، والنصارى الذين آمنوا
بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ويريدون
بقولهم هذا أن يتخذوا بين الإيمان الصحيح

والكفر طريقاً أي دينا وسطا يدينون به مع أنه لا وسط بين الإيمان والكفر كما في الآية (٢٢)
من سورة يونس صفحة ٢٧١: أولئك الذين فرقوا بين الله ورسوله وبين أنبيائه هم المبالمون في
الكفر. ثبت هذا الحكم ثبوتاً قاطعاً لأن عدم الإيمان برسول واحد معن ثبت رسالتهم كفر به
تعالى، لأنه تكذيب له في أخباره بأنه اختاره رسولاً، وأعتدنا أي وأعدنا وهياتا

﴿الصاعقة﴾ قصيدة الرعد المصعوبة سار. ﴿اتحدوا العجل﴾ أي جعلوه إنها وعنده
انظر الآية (١٤٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٥ وبلاحظ أن ذكر اتحاد العجل بعد طلب
رؤية الله جهرة للترقى في ذكر الحرائم أو لتسريب الرمنى، لأن اتحاد العجل كان قبل طلب
الرؤية، انظر الآية (٥١) من سورة البقرة صفحة ١٠ وكذا الآية (٥٥) من سورة سمعة
١١ والآية (١٤٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٥ وما بعدها إلى الآية (١٥٥) ﴿سلطاناً مبيناً﴾

- | | | | |
|---------------|---------------|--------------|--------------|
| (١) للكافرين. | (٢) نبالك. | (٣) الكتاب. | (٤) كتاباً |
| (٥) الصاعقة. | (٦) البينات. | (٧) سلطاناً. | (٨) يميناتهم |
| (٩) ميثاقاً | (١٠) ميثاقهم. | (١١) بنات | |

أى سلطة ظاهرة فأحصصناهم له مع شدة تمردهم فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا انظر الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١. ﴿وَمَا فَوْقَهُمُ الطُّورُ﴾ الحبل الذى باهى موسى ربه عليه ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ أى نسب إعطائهم العهد بأن يطيعوا ويعملوا بما فى التوراة ﴿الباب﴾ باب القرية كما فى الآية (٥٨) من سورة البقرة صفحة ١١. ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أى لا تتجاوزوا حدود الله بالصيد يوم السبت كما فى الآية (١٦٣) من سورة الأعراف صفحة ١١٩. ﴿مِيثَاقًا عَلِيظًا﴾ : عهداً مؤكداً.

﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ أصلها بنقضهم أى بسبب نقضهم العهد، وريدت ﴿مَا﴾ لتأكيد سببية ما ذكر فى لغتهم المضموم من المقام. وجاء صريحاً فى الآية (١٢) من سورة المائدة صفحة ١٢٨.

﴿قُلُوبُنَا عَلِمَ﴾ : أى معلمة لاتفهم ما نقول يا محمد.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ : الطبع أى التغطية والختم.

المعنى أعددنا لهم بسبب كفرهم عذاباً شديداً الإهانة والذين آمنوا بالله ورسوله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض كما فعل غيرهم، أولئك سوف يؤثيهم أجورهم التى وعدناهم بها وهى الجنة. وكان الله عموراً لهفوات من صلح إيمانهم، رحيم به فيصاعف حسناته يسألك أيها النسي أهل الكتاب ﴿اليهود﴾ أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما نزل على موسى أنواع الوصايا العشر، انظر الآية (٢٢) من سورة المرقا صمحة ٤٧٤، وحملوا ذلك شرطاً لإيمانهم بك، ولكنهم فى الحقيقة كاذبون كأمثالهم، انظر الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣.

فلا تحزن لتعتهم هذا لأنه موروث عن آياتهم، فقد سألوا موسى تعساً أعظم مما سألك أسأؤهم حيث قالوا أربا الله عياناً، أى لن يؤمن لك حتى نرى الله كما يرى بعضنا بعضاً، انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١ فأحدثهم الصاعقة وأهلكتهم بسبب ظلمهم أنفسهم

حيث شبهوا الخالق بالمخلوق ثم يذكر لهم جريمة أبشع من ذلك هي أنهم جعلوا من الذهب عجلاً وعدوه من بعد ما حاءتهم المعجزات على يدى موسى قاطعة بنفى شريك الله عز وجل، ومع ذلك عموا عنهم ولم يهلكهم جميعاً حتى لا يبقى لهم نسل. وأتىنا موسى قوة وسلطة عليهم حملتهم يقتلون أنفسهم لتقتل نوبتهم كما هي الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١.

ورفعنا موقفهم الطور بسبب احد المهد عليهم بأن يعملوا بما هي التوراة بقوة وقلنا لهم ادخلوا باب القرية حاصمين لله منكسى رءوسكم [كساراً لعظمته، وقلنا لهم أيضاً لاتعدوا ولا تتجاوزوا أوامر الله بسبب صيد السمك في يوم السبت وقد نهاكم عنه، وأحدنا منهم عهداً مؤكداً بأن تحلصوا في العمل بما شرعه الله تعالى لكم ولا تفصوا له أمراً.

فما نقصهم إلخ أى بسبب هذه الجرائم السبع لعناهم، وقد ذكر اللعن صراحة في الآية (٨٨) من سورة البقرة صفحة ١٧، والآية (١٢) من سورة المائدة صفحة ١٢٨، والجريمة الأولى كثرة نقصهم اليهود، والثانية كفرهم بالبراهين التي أقامها الله دالة على صدق أنبيائه، والثالثة قتلهم الأنبياء بغير حق كقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، والرابعة قولهم لنبينا ﷺ، قلوبنا حلف لا نؤمنهم ماتقول.

وسارع سبحانه بالرد عليهم في هذه بقوله، بل طبع الله عليها بسبب كفرهم وجحودهم الذي أفسدها، أى فليس الأمر كما يقولون كما تقدم في الآية (٨٨) من سورة البقرة صفحة ١٧ فلا يؤمن منهم إلا قليل كعبد الله بن سلام وأصحابه والخامسة كفرهم بسوء عيسى عليه السلام بقريية السادسة وما بعدها، وهي قولهم على مريم إلخ.

﴿بهتانا﴾ كدبا يبهت المقول أى يحيرها.

﴿شبه لهم﴾ أى وقعت الشبهة لهم وطمخوا أنهم قتلوه مع أنهم قتلوا غيره ظانين أنه هو.

﴿وما قتلوه يميناً﴾ يقينا صمة لمصدر مفعول من النفى في ﴿ما﴾.. أى انتفى تقياً متيقناً.

﴿وإن من أهل الكتاب﴾ إن حرف نفى بمعنى ﴿ما﴾.

عَنْ مَرْيَمَ نَسِيًا عَلَيْهِ ۖ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَكَانَ
شَكًّا فَمَنْ هُمْ وَيَوْمَ الَّذِينَ احْبَسُوا بِهِ يَوْنُ شَكٍّ مِمَّنْ هُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّسَاعُ الْبَطْنِ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۚ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ظَنُّكَ غَيْبًا ۚ ۝١٠١ ۚ وَإِلَىٰ مَنْ
أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يُؤْمِنُوا بِهِ قَدْ قِيلَ قَوْلُهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۚ ۝١٠٢ فَطَلَبُوا مِنْ آدَمَ هَادُونَ خَرَفَ
عَلَيْهِمْ فَلَمَّا بَيَّنَّتُ لَهُمْ قَوْلَهُمْ عَنِ نَسَبِ اللَّهِ
كَثِيرًا ۚ ۝١٠٣ وَأَحْبَبُّ إِلَيْنَا وَقَدْ نَزَّلْنَا عَنْهُ وَكَلَّمَهُمْ نَزَلَ
الْإِنْسُ بِالنُّطْلِ ۚ وَتَقَدَّسَ بِكُفْرِهِمْ مِنْهُمْ عَدُوًّا لِّيَا ۚ ۝١٠٤
لَيْسَ الرِّجُوعُ فِي أَهْلِ مِنْهُمْ وَأَنْتُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَلَ
إِلَيْكَ وَمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَأَسْفِهِيْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

﴿والمقيمين الصلاة﴾: قال الرمخشري في
كتابة الكشف ﴿المقيمين الصلاة﴾ منصوب
على المدح لبیان فصل الصلاة وهذا باب
واسع في لغة العرب، ذكر له سيبويه أمثلة
وشواهد وقال الألويسي: وما ينقل عن عثمان
باطل إذ كيف يظن بالصحابة وهم مصحاء
العرب اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن.
وكيف يتصور منهم الخطأ في أعز كتاب
عليهم وكيف يظن بعثمان عدم المصارعة إلى
تغيير خطأ وقع في القرآن، وكيف يتركه
للرب بعده تقيمه في بالسنتها. وأيضاً إذا
كان الذين جمعوا القرآن وهم خيار الصحابة
فكيف يقيمه غيرهم. فلمرى إن هذا مما

يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة، فالحق إن هذا الخبر المروي عن عثمان باطل .. وقال صاحب
النار. هذه جملة مستقلة و ﴿المقيمين﴾ منصوب على المدح على ما قاله سيبويه وغيره من
الحاجة أي أحسن وأمدح المقيمين الصلاة منهم الذين يؤدونها على وجه الكمال فإنهم أجدر
المؤمنين بالرسوخ في الإيمان وهذا الأسلوب لا يأتي في الكلام البليغ إلا لحكمة، والحكمة هنا
هي منزلة الصلاة وكون إقامتها آية كمال الإيمان على أن تغيير إعراب كلمة بين أمثالها يسهل
الدهش للناظر فيها ويهدي الفكر إلى استخراج مريتها، وهذا من أركان البلاغة.

المعنى.. ونسب اهترائهم على مريم كدبا شديداً في قبحه حيث رموها حماها الله بالربا .
والسابعة قولهم تسححا واستهتاراً إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. فوصفهم له
بالرسول كان استهزاء منهم قبيحهم الله كأمثالهم المشركين في قولهم لبينا ﷺ ﴿يا أيها الذي
نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الآية (٦) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨. وكذبهم سبحانه بقوله

﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ بعد قتله كما يرعمون، ولكن وقعت لهم شبهة فقتلوا غيره. وإن الدين اختلصوا من قتله لمن شك من قتله حيث قال بعضهم لما رأى الجثة الوجه وجه عيسى والجسد ليس بحسده فليس هو، وقال آخرون بل هو مما لهم حيث بقتله من علم يوثق به، ولكن الذى عندهم محرد ظن يجرون وراءه، والظن لا يعنى من الحق شيئاً خصوصاً من المعانيد ثم بين سبحانه الحقيقة التى يحب اعتقادها فقال ﴿وما قتلوه بغيراً﴾ أى اتهم قتلهم له بغيراً متيقناً، بل رفعه الله أى لم يبالوا منه ما بهيه، بل أكرمه الله ورفع مكانه عليا كإدريس. انظر ما تقدم فى الآية (٥٥) من سورة آل عمران صفحات ٧١، ٧٢. وكان الله عزيزاً قاهراً، وغالباً لغيره ولا يقهره أحد حكيماً فى تصرفاته، وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى إيماناً صحيحاً بأنه عبد الله ورسوله عندما يدركه الموت ويكشف عنه العطاء فيعلم الحق، فيؤمن اليهودى بأنه نبي صادق لا ابن ربا، ويؤمن النصارى بأنه عبد الله ورسوله لا إله ولا ابن إله، ولكن إيمانهم هذا لا يمتهمهم كما لم يسمع هرعون عندما أدركه العرق. ولا يعربك أبك لا تدرك هذا وانت بجوار من يموت أو يموت فجأة، لأن سر خروج الروح ومدته على الحقيقة لم يستطع العلم الوصول إليها. ألا ترى أنه تعالى أخبر أن ملائكة الموت تضرب الكافر عند موته على وجهه كما فى الآية (٥٠) من سورة الأنعام صفحات ٢٢٤، ٢٢٥ مع أن الجالس بحواره لا يرى شيئاً وهائلة إخباره سبحانه بذلك هى حثهم على الإيمان فى وقت يسمع فيه ويوم القيامة يكون عيسى شاهداً عليهم بأنه بلعهم. انظر الآية (١١٦) من سورة المائدة صفحات ١٦٠، ١٦١ بسبب ما وقع من اليهود من ظلم أنفسهم بما ارتكبوه مما سبق بيانه ومما سيأتى حرماً عليهم طيبات كانت حلالاً لهم تأديباً لعلمهم يرجعون انظر الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨. وبسبب منعهم من الدخول فى دين الله خلقاً كثيراً، وبسبب أحدهم الربا وقد نهوا عنه فى التوراة فى الإصحاح ٢٢ من سفر التثنية ونظير ذلك فى سفر الخروج الإصحاح ٢٢، ٢٥ وكذلك فى الإصحاح ٢٥، ٢٥ من سفر اللاويين وأكلهم أموال الناس غير اليهود بباطل افتروا على الله حيث رعموا أن الله أحل لهم مال غير اليهود كما تقدم فى الآية (٧٥) من سورة آل عمران، وقد أعدنا للكافرين من هؤلاء اليهود فى الآخرة عذاباً شديداً الألم لكن الراسخين فى علم التوراة الصحيحة قبل التحريف من اليهود كعبد الله بن سلام، والمؤمنون من أصحابك أيها النبي، يؤمنون بما أنزل إليك من القرآن، وما أنزل

من قبلك على موسى وعيسى وإبراهيم، والمقيمين الصلاة، الأصل والمقيمون الصلاة والمؤتون الركاة يؤمنون بما أنزل إليك كذلك، لكن لأهمية الصلاة التي هي عماد الدين غير الله سبحانه وتعالى إعراب المقيمون وجعله منصوباً على تقدير فعل مدح، أي أمدح من بين هؤلاء المقيمين الصلاة ليلمت النظر بتعبير الإعراب إلى أهميتها.

﴿الأسباط﴾ جمع سبط وهو ولد الولد، والمراد هنا ذرية أولاد يعقوب ومعنى الإيعاء إليهم هو الإيعاء إلى أنبيائهم الكثيرين لأنه لم يكن في أمة واحدة من الأمم أنبياء، مثل ما كثروا في بني إسرائيل كما أنه لم تجرأ

أمة على قتل أنبيائهم مثل جرأة بني إسرائيل على ذلك انظر بقية الكلام على الأسباط في شرح الآية (١٣٦) من سورة البقرة صفحة ٢٦.

﴿ربورا﴾ المراد به كتاباً، وكان فيه حكم ومواعظ وشاء على الله عز وجل

﴿تكليماً﴾ خاصاً وهو أنه بلا واسطة ملك كالاعتاد مع الرسل.

المعنى . والمؤتون الركاة والمؤمنون من كل الأمم بالله واليوم الآخر يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ليس أحد من هؤلاء كاليهود والنصارى المتعصبين الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، أولئك الموصفون بما تقدم سنوئتهم في الآخرة أحراراً عظيماء لا يحطروا على قلب بشر ولما كان اليهود يؤمنون بنبوة نوح عليه السلام وكل الأنبياء من بعده، وليس نوح وكثير ممن بعده من اليهود أراد سبحانه أن يثبت ثقتهم بإصحاحهم بأن محمداً ﷺ فرد من أفراد

الركوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوئتهم
أحراراً عظيماء ﴿١٣٦﴾ إنا نوحب إليك كما نوحب
إلى نوح والأنبياء من بعده، ونوحب إلى إبراهيم
وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى ويونس
وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴿١٣٧﴾
ورسلنا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا
نقصمهم عليك وحكمت الله موسى تكليماً ﴿١٣٨﴾
رسلنا مبشرين ومنذرين يثلاً لليس على الله
حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿١٣٩﴾ نكفي الله
شهادة بما أنزل إليك أنزل بعينه والسننكة شهدون
وكنى بالله شهيداً ﴿١٤٠﴾ إن الذين كفروا صدوا عن
سبيل الله قد ضلوا سلباً بعيداً ﴿١٤١﴾ إن الذين كفروا

- | | | | |
|-------------|---------------|--------------|--------------|
| (١) الركاة. | (٢) والنبيين. | (٣) إبراهيم | (٤) وإسماعيل |
| (٥) وإسحاق | (٦) وهارون | (٧) وسليمان. | (٨) قصصناهم |
| (٩) وللائكة | (١٠) سلباً | | |

أنبياء الله الكثيرين فلم كفرتم به، فما ذاك إلا لحسدكم له لأنه ليس منكم. فقال سبحانه إنا أوحينا إليك أيها النبي كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم، وأوحينا كذلك إلى إبراهيم وإسماعيل، وذكرهم بخصوصهم مع أنهم داخلون في السبيل الذين بعد نوح ليبين لليهود أن منهم أنبياء كثيرين فلا يجوز أن يدخلوا على العرب بنبي واحد. وكذلك أرسلنا رسلاً قد ذكرناهم لك من قبل هذه الصورة كما في الآيات من (٨٢) إلى (٨٦) من سورة الأنعام صفحات ١٧٥، ١٧٦ مما نزل بمكة. ورسلاً لم نذكرهم لك فلا يعلمهم إلا الله تعالى، انظر الآية (٧٨) من سورة غافر صفحة ٦٢٨، وكلم الله موسى تكليماً بلا واسطة، فهو رسول أيضاً موحى إليه.. أرسلنا هؤلاء جميعاً رسلاً مبشرين للمؤمنين بالجنة والكاثرين بالنار لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل، أي إنما أرسلناهم مندربين لنقطع حجة من يقول لو أرسلت إلينا رسولاً منا انظر الآية (١٣٤) من سورة طه صفحة ٤١٩، والآية (٤٧) من سورة القصص صفحة ٥١٣، وكان الله عزيزاً لا يقلب على ما يريد، حكيماً في تصرفه، ومنه قطع حجة المعاندين. ولما كان كل ما تقدم يوجب على كل منصف أن يشهد بصدق رسالته ﷺ أراد سبحانه أن يطمئن نبيه إذا استمروا على عبادهم ولم يشهدوا له بالصدق، فقال سبحانه. ﴿لكن الله يشهد﴾. أي إذا لم يشهدوا هم فإله يشهدك، وكفى به شهيداً بصحة ما أنزل إليك، أنزله مع علمه بأنك أهل لإبراهيم عليك، والملائكة أيضاً يشهدون لك، فلا تبال بإكثار المعاندين. ثم بيّن سبب إنكارهم وهددهم فقال إن الذين كفروا بعدم تصديقك ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قد ضلوا وبعثوا عن الحق مسافات بعيدة لا يمكنهم الرجوع إلى الهدى ثم كرر وصفهم بالكفر توبيخاً لهم فقال ﴿إن الذين كفروا﴾ إلخ.

﴿لاتعلموا في دينكم﴾ لاتجاوزوا الحدود هي دينكم الذي احترتموه، وقد حاورت اليهود هأنزلت المسيح عن صليبه، وتحاورت النصارى هي تعظيمه حتى قالوا إنه ابن الله ﴿وكلمته﴾ أي تحقيق كلمة - كر ﴿وروح منه﴾ أي سر من أسرارهِ هي كيمية خلقه وهي معجراته

المنسى وظلموا محمد رسول الله بإكثار صفته التي عندهم في التوراة، لم يكن الله ليغفر لهم ماداموا على الكفر، ولا ليهديهم طريقاً إلى الصواب إلا طريق جهنم حائلين فيها أنداء، وكان تعليدهم هي جهنم هبنا على الله تعالى.

بأيها الناس جميعا بما هيكم أهل الكتاب
قد جاءكم الرسول المعروف بعلاماته عندكم..
انظر الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨
بالقرآن المشتعل على الحق فامسوا به فعملوا
خيبرا لأنفسكم، وإن تكفروا فلن نصروا الله
شيئا لأن له مافى السموات ومافى الأرض
فهو غنى عنكم وعن عبادتكم. وإن يشأ يات
بغير منكم، انظر الآية (١٩) من سورة
إبراهيم صفحة ٢٢٢، والآية (٢٨) من سورة
محمد صفحات ٦٧٧، ٦٧٨؛ وكان الله عليما
بمن يؤمن ومن لا يؤمن، حكيم لا يسوى بينهما
فى الجراء، انظر الآية (١٨) من سورة
السجدة صفحات ٥٤٦، ٥٤٧

وَقَالُوا لَا تَكُنْ أَفْهَ لِيُغَيِّرَهُمْ وَلَا يَجِدَهُمْ طَرِيقًا ۝
إِلَّا طَرِيقَ حَتَمٍ خَلِيدٍ مِمَّا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
أَفْهَ يَسِيرًا ۝ بَيِّنَاتٍ لِّأَنسَاقٍ قَدْ جَاءَ كُرْ أَرْسُونَ
بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ فَتَقَسُّوا حَتَمَ كُرْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَمَا لِلَّهِ مَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَكَدَ اللَّهُ طَرِيقًا
حَكِيمًا ۝ يَتَأَمَّلُ الْكَسْبَ لَا تَعْمَلُونَ دِينَكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا اتَّبِعُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ إِنْ مَرْيَمَ وَرُوحَ مَنَّةٍ
فَقَدِمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا نُنْشِئُ أَنْشَاءً غَيْرًا
لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ
وَكَهْلًا ۝ لَنْ يَتَّبِعَكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ قَبْدًا

بأهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدود فى ديمكم فنقصوا من رغبة الله أو ترمموا إلى مبرة
اللاهية، فلا تقولوا على الله إلا الحق الناس نص أو برهان، ولم يقل الله تعالى لكم عن
المسيح شيئاً مما ترممون. إنما المسيح رسول الله إلى بنى إسرائيل أى لانس الله ولا ابن رما
وأثر كلمة «كر» التى ألقاها الله تعالى إلى مريم وروح منه تعالى فامسوا بالله على الوحه
اللائق به من أنه سبحانه ليس له ولد ورسنه فلا تقولوا على أحدهم أنه ابن رما، ولا تقولوا
أيها النصارى الآلهة ثلاثة

الأب والابن وروح القدس، أو الله وعيسى وأمه كما فى الآية (١١٦) من سورة المائدة
صفحتى ١٦٠، ١٦١. استهوا عن هذا القول الباطل بكن انتهاؤكم حير لكم ثم قرر سبحانه
الحق الذى يجب أن يعتقد فقال إنما الله إله واحد تربها له من أن يكون له ولد وكيف يكون
ذلك وكل ما فى السموات والأرض ملكه وعبيده، فكيف يكون عبده المملوك له جرداً منه وولداً

لَهُ . وَكَفَى بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَيْلًا حَافِظًا لِمَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَدِيرًا لَهُ، فَلَيْسَ فِي
حَاجَةٍ إِلَى وَلَدٍ . وَكَيْفَ كَانَ يَدِيرُهَا سُبْحَانَهُ
آلَافَ السِّنِينَ قَبْلَ وَجُودِ هَذَا الْوَلَدِ الْمَزْعُومِ
الَّذِي لَمْ يَمُكِّثْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ سِوَى بَصْعِ
سَنِينَ . ثُمَّ رَدَّ عَلَى النُّصَارَى بِمَا هُوَ أَبْلَغُ فَقَالَ : لَنْ
يَسْتَكْفِ أَيُّ لَنْ يَتَرَفَعَ الْمَسِيحُ وَيَلْتَفَّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ اللَّهِ ...
﴿الْمُضْرِبُونَ﴾ : هُمْ خَوَاصُّ الْمَلَائِكَةِ كَجِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَعِزْرَائِيلَ .
وَاعْتَصِمُوا بِهِ : أَيُّ تَمَسَّكُوا بِالْقُرْآنِ .
﴿الْكَلَالَةُ﴾ : تَطْلُقُ الْكَلَالَةُ عَلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ
وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ وَفِي الْمَنَارِ عِنْدَ تَقْسِيمِ
الْكَلَالَةِ فِي الْآيَةِ (١٢) مِنْ سُورَةِ الْمَنَاءِ .. يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنَارِ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ آيَتَيْنِ فِي الْكَلَالَةِ
هَذِهِ الْآيَةُ . وَالْآيَةُ (١٧٦) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ .

فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَرِثُهُ الْإِخْوَةُ لِأُمٍّ مِنَ الْكَلَالَةِ فَقَطَّ لِلْعَاحَةِ إِلَى ذَلِكَ وَعَدِمَ الْحَاجَةَ عِنْدَ
مَزُولِ الْآيَةِ إِلَى بَيَانِ مَا يَأْخُذُهُ إِخْوَةُ الْمَصِيبِ، وَكَأَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِرْثُ كَلَالَةٍ فِيهِ إِخْوَةُ عَصَبٍ
وَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ فَتَرَلَّتْ الْآيَةُ الْأُخْرَى الَّتِي فِي آخِرِ السُّورَةِ جَعَلَتْ
لِلْأُخْتِ الْوَاحِدَةِ الْمَصِيبِ إِنْ انْفَرَدَتْ، وَلِلْأُخْتَيْنِ هَاكُثَرُ الثَّلَاثِينَ، وَلِلْأَخِ هَاكُثَرُ كُلِّ التَّرَكَةِ

﴿وَلَهُ أَحْ أَوْ أُخْتٌ﴾ أَجْمَعَ الصَّحَابَةَ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْأُمِّ

الْمَعْنَى : - وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ يَأْتُمُونَ أَنْ يَكُونُوا عِبِيدًا لِلَّهِ .

وَإِذَا كَانَتْ شَبَهَتْكُمْ فِي جَعْلِ عَيْسَى إِلَهَا أَنَّهُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَأَنَّهُ كَانَ يَحْيَى الْمَوْحَى إلخ
فَالْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَأَعْمَالُهُمْ الْخَارِقَةُ أَقْوَى مِنْ أَعْمَالِ عَيْسَى، بَلْ عَيْسَى نَفْسُهُ كَانَ

بصفحة من جبريل، انظر الآية (١٧) من سورة مريم صفحة ٢٩٧، والآية (١٢) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢. وقد بلغ من قوة الملائكة أن يقتلع أحدهم المدينة بأكملها ويجعل عاليها سافلها، فكانوا أولى بأن تحلّوهم الله، وهذا عالم يقل به أحد منكم.

ومن يستكف عن عبادة الله من جميع الخلق ويستكبر عنها غرورا بنفسه، فسيعشرهم أي ومعهم من ثم يستكف ولم يتكبر، سيعشرهم جميعا. ويدل على أن المراد الجميع العاصي منهم والطائع التفصيل الآتي في قوله فاما الذين آمنوا ولم يستكفوا وعملوا الصالحات فيوفيه الله أحورهم الحصة بعشر أمثالها ويزيدهم على ذلك من فضله إلى سبعمائة ضعف وإلى أكثر من ذلك، انظر الآية (٢٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥. وأما الذين استكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا شديدا ولا يحدون يوم القيامة صديقا يشفع لهم ولا نصيرا يدهع عنهم بقوته العذاب.

وبعدما أقام الحجة على جميع الكافرين والمناقضين خاطب الجميع بقوله: يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، أي حجة قاطعة، وهي المعجزات ودلائل التوحيد، وأنزلنا إليكم بواسطة رسولنا محمد ﷺ نورا هو القرآن فيه بيان لكل ما تحتاجون إليه، فاما الذين آمنوا بالله إيماننا صحيحا وتمسكوا بما في القرآن من عقائد وأحكام فسيدخلهم يوم القيامة في دار رحمته وهي الجنة. ومن عليهم بفصله وهو النظر إلى وجهه الكريم، أما في الدنيا فيهديهم أي يوفقهم إلى سلوك طريق النجاة وهو الإسلام الصحيح وقد ذكر جزاءهم في الآخرة للمسارعة إلى تشييدهم بالمقصود الأصلي. ولما تقدم في الآية (١٢) صفحة ١٠٠ ذكر الكلاله، وكان الإحوة هيها لأم، سأل بمصهم النبي ﷺ عن حكم من له أخ أو أخت لأبوين أو لأب، فقال تعالى يستعتوك أيها النسي أي في الكلاله، بدليل الجواب، قل لهم الله يفتيكم فيها، ثم بين الصوى بقوله إن امرؤ هلك أي مات ليس له ولد ذكر أو أنثى أي ولا والد لأن هذا هو الكلاله كما تقدم أول السورة، لأنه لو كان للميت والد لمحعب جميع الأخوة، فتوريث الإخوة هنا يدل على عدم الوالد، وله أخت من أبوين أو أب قلها نصف ماترك، وهو أي الأخ من أبوين أو أب برثها هي جميع ماتركت إن لم يكن لها ولد، أي ولا والد كما تقدم، فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء للأخ، وإن كان أنثى فللأخ ما بقي بعد تصيب الأنثى أو الإناث، وإن كانت أي الاختان اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الأخ، وإن كانوا أي الورثة إخوة رجالا ونساء أي فيهم من الموعين..

فَلْيَذْكُرُوا مِثْلَ حِجَّتِ الْأَنْبِيَاءِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ تَضَلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَمَّا بِمُلْكِهِمْ لَيْسَ

بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْثُوا لِلْكَفَّةِ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا بَلَغَ عَلَيْكُمْ عَظِيمٌ وَالْمُؤَدَّاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا
شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرُ الْحَرَامِ وَلَا الْفُتَى وَلَا الْفُتَى
وَلَا تَسِينُ أُنْبِيَاءَ الْحَرَامِ بِتَعَوُّدٍ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا

بعضهم على بعض فيما هو جائر شرعاً.

﴿بهيمة﴾. هي كل حيوان من شأنه ألا ينطق. ﴿الأنعام﴾ هي الإبل والبقر وتشمل
الجاموس والغنم الصان والمعز.

﴿الصيد﴾. هو ما يصاد من الحيوان الوحشي. كالظباء، والبقر والحمير الوحشيتين كما
سيأتى في الآيتين (٩٥، ٩٦) من هذه السورة صفحة ١٥٦.

﴿حُرْمٌ﴾ جمع حرام وهو المعمر بضم فسكون، وهو من كان في أرض الحرم أو كان نواحيها
حجاً أو عمرة ولو لم يكن دخل أرض الحرم.

﴿شعائر الله﴾ تقدم بيانها في الآية (١٥٨) من سورة البقرة صفحة ٢٠، والمراد بها ما
ما جعل شعائراً وعلامة على أعمال ومناسك الحج والعمرة من إحرام وطواف وسعي

فللذكر من هؤلاء الأخوة مثل حظ أي
نصيب الأنثيين.. يبين الله لكم أمور دينكم
وتفصيل فرائضكم، كراهة أن تضلوا وتبتعدوا
عن الصواب في أعمالكم وفي قسمة
التركات. والله بكل شيء عليم، فلا يشرع لكم
إلا ما فيه مصلحتكم. فله الحمد والشكر.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أوفوا﴾: الوفاء الإتيان بالشئ وأهيا
تماماً. ﴿المقود﴾: هي المهود المؤكدة التي
أخذها الله على عباده، أو أخذها العباد

إلخ. «الشهر الحرام» المراد حنس الشهر الحرام، فيشمل الأشهر الحرم الأربعة المبينة في الآية (١٩٤) من سورة البقرة صفحة ٢٨. والآية (٢٦) من سورة التوبة صفحة ٢٤٦. «الهدى» هو ما يهذى إلى بيت الله من الأنعام للتوسعة على فقرائه. «القلائد» جمع قلادة وهي ما يوصع في عنق الهدى ليكون علامة على أنه مهذى للكعبة حتى لا يتعرض له أحد، وإحلال القلائد المنهى عنه يكون برعها من عنق الحيوان المهذى للبيت الحرام وما كانت العرب تقلد الإبل وإنما كانت تقلد البقر والعمم. «فأمين البيت» قاصدين البيت للحج أو العمرة. انظر الآية (٩٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٨ «ورصوا» هو الرصي العظيم انظر شرح الآية (١٦) من سورة المائدة صفحة ١٢٩.

«إذا حللتم»: أي خرجتم من الإحرام أو من أرض الحرام.

«يجرمكم» يحملكم. «شأن» أي بفص

المعنى . كان كثير من الكلام في السورة السابقة في مجادلة أهل الكتاب، وكان اليهود منهم مشهورين بنقص اليهود وتحريم ما أحل الله عز وجل وبالعكس، وكان الكلام منهم في هذه السورة كثيراً أيضاً في نحو ٨٦ آية. قال سبحانه يا أيها الذين آمنوا حافظوا على اليهود ولا تكونوا مثل غيركم، وقد أحل الله لكم أكل لحم بهيمة هي الأنعام كلها. ولم يحرم عليكم إلا ما سبقت عليكم في الآية الثالثة «من هذه السورة». ولم يحل لكم ما يصاد من الحيوان الوحشي وأنتم في أرض الحرم ولم تكونوا معمرين بالحج، أو وأنتم معمرمون بالحج أو العمرة ولو لم تكونوا في أرض الحرم، إن الله يقصص ما يريد القصص به كما تقتضيه حكمته ولا تجعلوا شمائركم ديس الله حلالاً تنصرون فيها كما تريدون من التهاون فيها، أو تصيدون في الحرم إلى غير ذلك مما فيه استهزاء بها. ولا تحلوا القلائد برعها عن عنق الهدى فتعرضوها لأحد الناس لها فصلاً عما هي ذلك من احتمار شعيرة من شمائر الله تعالى. ولا تحلوا دم وأموال لقاصدين للبيت الحرام يطلون فصلاً من الله أي رزقا بالبحارة ورصوا بالحج، وإذا خرجتم من الحرم أو هرعتم من أعمال الحج فاصطادوا ما شئتم من صيد البر، ولا يحملكم بعضكم.

قَوْمٍ أَنْ مَدَّوْهُمْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنْ تَقْتُلُوا
وَتَقُولُوا عَلَى الْبَيْتِ وَالْقَبْرِ وَلَا تَقُولُوا عَلَى الْإِيمِ
وَالْعُسُوفِ وَأَقُولُوا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ شَيْدُ الْعَقَبِ ①
حُرِّمَتْ عَلَيْكَ أَلْبَنُ وَأَدَمُ وَحَمُّ الْخَبِيرِ وَمَا أَهْلُ
لَيْمٍ اللَّهُ بِهِ. وَأَسْجِفَةُ وَالْمَوْغَدَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالْبَيْحَةُ
وَمَا كَلَّ النَّحْلُ إِلَّا مَا دَكَّكُمْ وَمَا دَسَّ عَلَى أَنْصَبٍ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَرْضِ ذَلِكَ مِنْ الْيَوْمِ بِهِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا عَزْوَمَ وَخُتُوبَ الْيَوْمِ أَكُنْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَكُنْتُ عَلَيْكُمْ بِقَسِيٍّ وَرَبِّبْتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينَ قَبْلِ أَنْطَرِي عَمَّيْ عَمَّيْ مُجَابِبِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَمُّورُ رَجِيمٌ ② تَقُولُكَ نَادَا أَيْلُ
لَمْ تَقُلْ أَيْلُ لَكُمْ أَطْلَيْتُ وَمَا عَمَّيْ مِنْ الْخَوَارِجِ

المفردات: . «المعينة والدم ولحم العنزير
وما أهل لغير الله به»: هذه الأربعة ذكرت
على سبيل الحصر في الآية (١٧٣) من سورة
البقرة وشرحت هناك صفحة ٢٢، وذكرت
كذلك في الآية (١٤٥) من سورة الأنعام
صفحتي ١٨٧، ١٨٨ والآية (١١٥) من سورة
النحل صفحة ٢٦٢. «المنضقة»: ما حبس
نفسها حتى ماتت. «الموقودة»: هي ما
ضربت بشيء تقبل كحجر أو عصا حتى
ماتت. «المرتدية»: هي ما وقعت من مكان
مرتفع أو في مكان منخفض بشر فماتت.
«المنطبعة»: هي التي بطعتها أخرى حتى
ماتت. «وما أكل السبع»: المراد به كل

حيوان مفترس كالذئب والمهد والسبع مثلاً، والمراد ما أكل بعضها فماتت من جرحه.
«دكيتكم»: ذبحتم. «وما دبح على النصب»: نصب جمع نصيب بمعنى منصوب، وكانت حجارة
ينصبها العرب حول الكعبة يذبحون عليها تعظيماً لألهتهم. «تستقسموا بالأزلام»: أي تعرفون
ما قسم لكم في الغيب بواسطة القرعة بالأزلام وهي جمع زلم يفتحان وهو السهم، وكانت
العرب تأخذ ثلاثة منها مكتوب على أحدها: امرئ ربي، وعلى الثاني: بهاني ربي، وليس على
الثالث شيء، ويضعونها في جراب، ومن أراد سقراً أو عمل شيء أخرج واحداً منها، فإن خرج
الأول سافر أو فعل ما يريد، وإن خرج الثاني امتنع، وإن خرج الثالث أعاد القرعة «فمق». أي
خروج عن الطاعة. «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»: «اليوم» المراد به
الزمن الذي نزلت فيه هذه الآية وكان هذا اليوم قبل وفاته ﷺ بنحو ثمانين يوماً قالت اليهود
لعمر بن الخطاب: إن في كتابكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال
عمر وإي آية؟ قالوا: «اليوم أكملت لكم دينكم... إلخ».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نزلت في رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها. نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم الجمعة. روى الشيخان وغيرهما «أكملت» الكمال من الألفاظ التي الأصل فيها ألا تستعمل إلا في الكميات والمعنويات، لا في الكميات والحسيات. فإيمان فلان كامل الخلق، ولا يقال تام الخلق فالكمال بحر لا ساحل له، ولذا يقال الكمال لله وحده. ولهذا ناسب أن يكون في جانب الدين لأنه هو الوسيلة الوحيدة للسعادة الخالدة التي هي أسنى مطالب الحكماء، ولا يعمل عنها إلا الحمقى والسفهاء.

«ديكم» المراد من الدين هنا شريعة الإسلام كما هو مبين في آخر الآية وهي الشريعة التي بيئت المقائد والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق ولم تترك طريقاً من طرق الخير إلا أرشدت إليه، ولا طريقاً من طرق الشر إلا حذرت منه، فكانت الرحمة العظمى المهدية من الخالق لحلقه. «واتممت» التمام من الألفاظ التي الأصل فيها أن تستعمل في الكميات والماديات فيقال: فلان تام الأعضاء، وهذا بيت تام الأركان، ولما كانت المعنويات الرفيعة أشرف وأعلى مرتبة من الماديات مهما سمت، ناسب أن يكون الكمال في جانب الدين الحق لأنه الوسيلة الوحيدة للسعادة الخالدة كما تقدم، ولما كانت النعمة المرادة هنا هي فتح مكة، وهدم معاقل الشرك وتطهير البلاد من حمية الجاهلية فأمن المؤمنون على أنفسهم وأهليهم، وكان كل ذلك سعادة لكنها دون السعادة الدائمة، لما كان كل ذلك ناسباً للإتمام الذي يستعمل كثيراً في الماديات المادية «محصنة» مجاعة تحمض لها البطون أي تصمّر «متجانب» الجنب الميل كما تقدم في الآية (١٨٢) من سورة البقرة صفحة ٣٥، والمراد مائل ومنصرف إلى الإثم، «الجوارح» جمع جارحة والهاء للمبالغة لا للتأنيث كإلامة، والجراح هو المفعل على الصيد من الكلاب أو الطيور التي من شأنها أن تخرج ما تصيده

المعنى . لا يحملكم بمصكم لقوم، المراد بهم مشركو مكة، لأجل صدهم ومنهم لكم عن دخول المسجد الحرام في عام صلح الحديبية الذي سيأتي الكلام عليه في الآية (١٨) من سورة الفتح صفحة ٦٨١، ولا يحملكم على أن تعتدوا عليهم بالقتل وغيره بدون سبب، وتعاونوا على فعل الخير، انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة، صفحتي ٢٢، ٢٤ وعلى كل ما يتقرب به الشر، ولا تتعاونوا على ارتكاب الذنب وتجاوز حدود الله شرعها لحسن المعاملة بين الناس، واتقوا الله في كل ما أمر به لأنه شديد العقاب لمن لم يتقّه ..

ثم شرع في بيان المحرمات المنشأ إليها في الآية الأولى فقال

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْلِ وَمَا أَهَلَ لِلْغَيْرِ مِنَ اللَّهِ بِهِ﴾

ثم فصل بعض أنواع الميتة وذكر منها خمسة، وذكر واحداً مما أهل للغير الله به وهو ما دبح على النصب لأنه كان كثيراً عند العرب فمحرمات الطعام أربعة إجمالاً وعشرة تفصيلاً إلا ما دكيتم من كل هذه لأشياء أي أدركتموها وفيها حياة فدكيتموها الدكاه السريعه وهي أن يكون في الحيوان حركة بعد دبحه في أي عضو من أعضائه ولو في أذنه أو دبه

وحكمة حرمة القرعة بالنسب أن حرافات وأوهام لا يعمل عليها إلا ضعيف لعقل ولما فيها من إفساد العقائد ونظام الأعمال ومن أراد أيضاً أوسع في هذا المقام ومعرفة لدق بين المحرم وما وبين القرعة المباحة فليرجع إلى شرح حديث رقم ٢٥٢ من كتابنا صفوة صحيح البخاري ذلكم أي كل ما تقدم فسق وخروج عن طاعة الله عز وجل اليوم أي يوم يروى هذه الآية. وكان قبل وفاته ﷺ يحرر سائس يوماً يوم وقف النبي ﷺ بمعرفة في حجة الوداع وكان يوم الجمعة.

يُسْ الدِين كَمُرُوا وَيَقْطَعُ رَجَاؤُهُمْ فِي أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا شَاهَدُوهُ مِنْ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ وَقُوَّتِهِ. هَلَّا تَحَاوَهُمْ وَخَافُوا وَحَدَى. لَأَنَّ الصَّرَّ وَالْمَعَ بِيْدَى الْيَوْمَ أَكْمَلْتَ لَكُمْ دِينَكُمْ سَيَانَ الْحُدُودَ وَتَحْلَالَ وَالْحَرَامَ هَلَّا رِيَادَةً وَلَا نَقْصَانًا بَعْدَ الْيَوْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُرَادُ بِالذِّينِ هُنَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ عَقَائِدَ وَأَحْكَامَ وَعِبَادَاتَ وَأَدَابَ وَمَا فِي مِمَّاهاا بِالْمُفْصِلِ. وَأَهَمُّ الْحُدُودِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ وَصَحَّ الْمُتَحَصِّصُونَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ قَوَاعِدَهُ الَّتِي يَسْتَحْلِصُ مِنْهَا الْأَحْكَامُ الْحَرْتِيَّةُ. وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ بَعَثِي بِمَنْحِ مَكَّةَ وَهَدَمَ مَسَارَ الْجَاهِلِيَّةِ. وَاحْتَرَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا. هَمِنْ وَقَعَ فِي صَرُورَةٍ كَمُعَاةٍ شَدِيدَةٍ حَالِ كَوْنِهِ غَيْرَ مَائِلٍ إِلَى الْإِثْمِ كَمَا هُوَ مُبِينٌ فِي شَرْحِ الْآيَةِ (١٧٣) مِنْ سُورَةِ الْمَقْرَةِ صَفْحَةِ ٣٢ فَأَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ هَذَا اللَّهُ عَمُورَ رَحِمَ بَعْدَ مُؤَاحِدَتِهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي تَفْصِيلِ الْحَلَالِ الَّذِي ذَكَرَ إِجْمَالًا فَقَالَ سَأَلُوكَ مَا هُوَ الْحَلَالُ لَهُمْ مِنْ طَعَامٍ قُلْ أَهْلُ لَكُمْ كُلُّ طَيْبٍ لَا تَسْتَحِثُّهُ الْمَقُوسُ الْمَلِيْمَةُ. وَصَيْدَ مَا عَلِمْتُمُوهُ مِنَ الْخَوَارِجِ...

مُكَلِّبٍ تَعْلِمُوهَا بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمَرَ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَأَتُوا اللَّهَ
سَرِيعَ الْحِسَابِ ① الْيَوْمَ أُخْلِصَ لِلَّهِ
وَلِقَامِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَمَا لَكُمْ مِنْ آلِهَةٍ إِلَّا مَا لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنْ أَلَدَيْنَ لَوْ تَوَلَّوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
إِذَا تَقَرُّوهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُسَبِّحِينَ
وَلَا مُمَدِّحِينَ أَحْدَانُ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَهُوَ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ② بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَأَسْفِهُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

المفردات. «مكليب» معلمين لها طريقة
الصيد. والمكلب بكسر اللام مؤدب الجوارح
ومروضها على الصيد. مأخوذ من الكلب
بفتح فسكون وهو الحيوان المعروف لأن
التكليب فيه أكثر.

«المحصنات»: المراد هنا المضيفات
«أجورهم»: مهورهم. «محصنين غير
مضافعين ولا متخذى أحدان»: تقدم
تفسيرها في الآية (٢٥) من سورة النساء
صفحتي ١٠٢، ١٠٤. «حبط عمله»: أي
بطل «المرافق»: جمع مرفق بكسر فسكون
ففتح كمنبر. وبالمكس كمجلس. وهم العظيم
الذي عند المفصل الذي بين الذراع والعضد.

«الكمبين» هما العظماء المارران في الرجل عند مفصل الساق من القدم.

المسمى . كلوا من صيد الجوارح إذا كنتم علمتموها مما علمكم الله من طرق لتعليم
والتأديب التي ألهمها الله تعالى لكم بواسطة العقل. فإذا استوفت الشروط فكلوا من الحيوان
الذي تمسكه لكم، أما إذا أمسكته الجوارح لتمسكها فلا يحل أكله. واذكروا اسم الله على تلك
الجوارح عند إرسالها على الصيد، واتقوا الله فلا تقربوا ما حرم، ومنه صيد غير المعلم أو
غير المسمى عليه، لأن الله سريع الحساب. فيعازي بسرعة على السيئة والحسنة. «اليوم

- | | |
|----------------|--------------|
| (١) الطيبات. | (٢) الكتاب |
| (٣) والمحصنات. | (٤) المؤمات |
| (٥) والمحصنات. | (٦) الكتاب |
| (٧) مسافحين | (٨) بالإيمان |
| (٩) الحاسرين | (١٠) الصلاة |

أحل لكم الطيبات» أعاده للتأكيد وليربط به ما بعده، وطعام اليهود والنصارى المحلل لهم من كتبهم حل لكم، أما العمر والخنزير فلا، لأنها محرمة على لسان كل نبي، وطعامكم حل لهم، أي وكل طعام حلال من شريعتكم أيها المسلمون فقد أصبح حلالاً لهم، ولو كان قبل ذلك محرماً عليهم، كالحوم الإبل وكل ذي طمر إلى آخر ما بيته الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، فإن الإسلام نسخ تحريم ذلك بمرول القرآن الناسخ لكل حكم خالف أحكامه من الكتب السابقة؛ أي هباحة الطعام مشتركة بين الجاسين، دون إباحة النساء فإنها لنا دونهم، كما في قوله، «والمحصنات» أي وأحل لكم رواج المحصنات أي العفيفات من المؤمنات والمضيفات من الكتابيات، بشرط أن توفوا لهن مهورهن، وأن تكونوا قاصدين إحصان أنفسكم وإحصان زوجاتكم، لا رانين علنا أو سرّاً، ومن يكفر بتماليم الإيمان وما تقتضيه بأن يمتنع عن توحيد الله وعن طاعته فقد بطل كل عمله من الخير فلا يفضعه في الآخرة بالإيقاد من العلود في النار، انظر شرح الآيتين (٧، ٨) من سورة الرعدة صفحة ٨١٨. وكذلك الآية (٢٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٣، فيكون في الآخرة من الجاسرين المحرومين من النعيم، يأبها الذين آمنوا إذا أردتم القيام للصلاة وكنتم محدثين فلا بد من الوضوء وهو أن تغسلوا وجوهكم إلخ، وقد كان الوضوء ثابتاً بالسنة حيث علمه جبريل عليه السلام للنبي صلوات الله عليه صبيحة فرض الصلاة وهو بمكة، فجاءت هذه الآية بالمدينة وفي آخر العهد لتؤكد وجوبه بجعله حكماً متولوا لا يحتل تمبيراً، وقوله، «وأرجلكم» بالنصب على عطف على وجوهكم، وقرئ أرجلكم بالكسر معطوفاً على رؤوسكم، وتكون هذه القراءة أفادت المسح على الحف والجورب، ويكون المعنى فاعسلوا الأرجل إذا كانت مكشوفة، وامسحوها إذا كانت داخلية في حف أو جورب، وبينت السنة أن العسل لا بد أن يعم الرجل، أما المسح فيكمى فيه مرور الأصابع مبلة على ظهر الحف؛ وإن كنتم جنباً فاطهروا بغسل الجسد كله بالماء الطهور، ولما فرغ من بيان أعمال الوضوء وكان يظن أن ذلك وقد نزل آخر الأمر قد يكون ناسحاً لما نزل قبل ذلك من إباحة التيمم في الآية (٤٣) من سورة النساء صفحة ١٠٧ ذكر التيمم هنا ثانياً ليسجل حلوه أيضاً كالوضوء، ويدفع احتمال ظن النسخ فقال: «وإن كنتم مرضى» مرضاً يمنع من استعمال الماء أو مسافرين....

أَحَدٌ مِّنْ أَعْيَاطٍ أَوْ نَسَمْتُمُ النَّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لَيُظْهِرَكُمْ
وَلَيُخَيِّمَنَّ عَلَى كُفْرِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ أَتَيْتُمُ اللَّهَ بِإِغْوَاكُمُ
بِأَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ ① وَأَذْكُرُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَبَيْعَتُهُ الَّتِي أَنْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأَنْتُمْ أَلْفٌ بِأَلْفٍ عَلَى اللَّهِ يَذَّابُنَا اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ② وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ③
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَاقِفُ
أَقْرَبَ ④ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑤
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ⑥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
وَنُؤْتِيَنَّكَ اللَّهُمَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَزْوَاجًا طَيِّبَاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
زُفُوفٌ مَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لَيُظْهِرَكُمْ

المفردات: ﴿من الفائض﴾ تقدم تفسير
الآية كلها في الآية (٤٣) من سورة النساء
صفحة ١٠٧.

﴿خرج﴾: مشقة.

﴿ميثاقه﴾: عهده.

﴿وانتقم به﴾: عاهدكم عليه وأخذه عليكم
بواسطة رسوله محمد ﷺ.

﴿بذات الصدور﴾: أي خفياتها.

﴿الملازمة﴾ لها ملازمة تامة حتى كأنها
صاحبة لها لا تفارقها.

﴿قوامين لله﴾ أي كثيرى القيام بحقوق

الله مخلصين لوجهه لا ترجون إلا رضاءه لا رياء ولا سمعة.

﴿شهداء بالقسط﴾ شاهدين بالعدل بدون محاباة لأحد.

﴿ولا يجرمكم﴾: أي لا يحملكم.

﴿شأن قوم﴾: بنفسكم لقوم.

المعنى: إذا وجد عذر من هذه الأعذار فتيمموا. وإنما أجاز لكم ذلك لأنه لا يريد أن يجعل
عليكم مشقة هي تكاليف الدين، ولكن يريد بتشريعاته طهارتكم حسيا من التجاسات ومعنويا

(١) لامسهم

(٢) وميثاقه

(٣) قوامين

(٤) الصالحات

(٥) بياتنا

(٦) أصحاب.

من الذنوب، وليتم نعمته عليكم بالجمع بين الطهارتين. وإذا تعصرت إحداهما حلت الأخرى مكانها فلا تتعطلوا عن الصلاة يوماً كما كان الحال عند الأمم قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم بالمداومة على الطاعة.

واذكروا نعمة الله عليكم بهدايتكم إلى الإسلام. واذكروا عهوده التي أحدها عليكم بواسطة رسوله كمهد بيعة العقبة وبيعة الرضوان الآتية في الآيتين (١٠ . ١٨) من سورة الحج صفحات ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٣٦، هذه العهود وغيرها التي عاهدكم عليها في الوقت الذي قلتم فيه سمعنا قولك أيها النبي وأطعنا أمرك،

واتقوا الله فلا تحافوا عهوده لأنه سبحانه عليم بحميات الصدور. وإياكم والتكبر فيما يعصيه. ومن أراد معرفة بيعاته ﷺ تفصيلاً وما حصل فيها فليرجع إلى حديث رقم ٧ من كتابنا صموة البخاري وبعدما بيّن المطلوب من المسلمين من عبادة ومحاسبة على عهده أراد أن يبين لهم ما يجري بينهم وبين الناس فقال:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ إلح، أي محافظين على القيام بكل ما أحد عليكم العهد به محليين هي ذلك لله لا تريدون إلا رضاكم وكونوا في شهادتكم بين الناس عدولاً فلا تحابوا مشهوداً له ولا تظلموا مشهوداً عليه. ولا يحملكم كرهكم لقوم على عدم العدل في الشهادة فتصيروا عليهم حقيهم.

وتقدم نظير هذا في الآية (٣) من سورة النساء صفحات ٩٧، ٩٨ وكذلك في الآية (١٣٥) من نفس السورة صفحات ١٢٥، ١٢٦.

وإذا كان العدل أساس نظام الدولة فاعدلوا. أي حافظوا عليه لأنه أقرب طريق موصل لتقوى الله والبعد عن عصيه. ولهذا أيضاً كرر الوصية بها فقال واتقوا الله لأنه حبيبهم يعملون، فيجازى من فرط فيها. ثم أراد أن يبين جزاء من اتقى وغيره فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلح.

وبعد التذكير بنعمة إيصال الخير أراد أن يذكر بنعمة الإبقاء من الشر فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ...

إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّنْ يَسْطُرُوا لِيَكْرَهُهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَمَّا وَعَدُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ مَلِكُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ ①
وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَوَعَدْنَا مِنْهُمْ
أَتَى عَشْرَ بَعِيٍّ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَتَيْتُمُ
وَعْدَ الْوَعْدَةِ وَمَنْ رُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّى سَوَاءَ السَّبِيلِ ② فَبِمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ
لَعْنُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُفِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
 عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ③ وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعْرِفُ

المفردات: «قوم»: هم كفار قريش قبل
الهجرة عندما هموا بقتله وقتل كثير من
اصحابه انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال
صفحة ٢٢١، واليهود بعد الهجرة حينما هموا
بقتله ﷺ بحجر يلقونه عليه وهو جالس
بجوار حائط عندهم، فأخبره الله تعالى
بغيرهم فأنصرف انظر شرح أول سورة
العشر صفحات ٧٢٩، ٧٣٠. «يسطروا إليكم
أيديهم»: يسط اليد كناية عن إيقاع الأذى،
«كف أيديهم»: أي أحبط مكيدتهم،
«ميثاق»: أي عهد «أتى عشر بعيًا»: هم
زعماء أسباطهم المتقدم ذكرهم في الآيتين

(١٣٦، ١٤٠) من سورة البقرة صفحات ٢٦، ٢٧ وهم الذين هجر موسى العيون بعددهم كما في
الآية (٦٠) من سورة البقرة صفحة ١٢ «وعزرتهم» أي نصرتهم «فبما نقصهم» أي
بسبب نقصهم وانظر مثل هذا في الآية (١٥٥) من سورة النساء صفحة ١٢٩ «يحررون
الكلم عن مواضعه» أي يغيرون كلام الله الذي في التوراة ويعدونه عن مواضعه الذي وصفه
لله تعالى فيه، وهذا التصرف يحصل بأمور بيئتها الآيات (٧٥، ٧٩، ١٧٤) من سورة البقرة
صفحتي ١٥، ٢٢... والآية (٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٥. والآية (١٥) من سورة
المائدة صفحة ١٢٩... والآية (٩١) من سورة الأنعام صفحة ٩١ «خطأ» بصيما
«خائفة» تستعمل العرب وزن فاعلة وتريد به المصدر فتقول فائلة بمعنى القيولة وحاثة
تريد الحطينة كما في الآية (٩) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢ فحائفة هنا بمعنى العناية

المعنى . تذكروا نعمته تعالى عليكم في أوقات الشدة التي هم فيها اليهود والمشركون بالعتك بكم وببطلان دعوتكم فأحبط كيدهم وبجأكم، فحافظوا على تقوى الله عز وجل يردكم حفظاً وقوة وعلى الله وحده يتوكل المؤمنون، فإنه سبحانه خير من يدفع الشر ويطلب النفع . وبعد ما بين سبحانه قيمة حفظ اليهود أراد أن يذكر بعض الأمم التي نقصنها وما حل بهم ليحذر المسلمون من عملهم فقال ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ على أمور مهمة ذكر القرآن في مواضع كثيرة منها غير ما هنا ما في الآيات (٨٣ ، ٨٤) من سورة البقرة صفحة ١٦ و(٨١ ، ١٨٧) من سورة آل عمران صفحات ٧٦ ، ٩٤ و(١٥٤) من سورة النساء صفحة ١٢٩ و(١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥ وبمئذ منها قادة لهم وكلاء عليهم بالوفاء لله تعالى بالعهود . وقال الله لبني إسرائيل إني معكم بعلمي لما يكون منكم وبالنصر إني وهبتم بالعهد . ثم بين الميثاق فقال لنس أي وعزتي لنس أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتكم برسلي الدين سأرسلهم إليكم بعد موسى كداود وسليمان وركريا ويحيى وعيسى ومحمد، وهذا هو الميثاق الذي أشارت إليه الآية (٨١) من سورة آل عمران صفحة ٧٦، وعززتموهم بالمساعدة على الجهاد في سبيل الله، وبدلتهم من الصدقات فوق الواجب، وتقدم بيان القرص الحسن في الآية (٢٤٥) صفحة ٥٠، لو فعلتم ذلك لأكفر عنكم سيئاتكم ولأدخلكنم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر وجحد شيئاً مما أمرت به بعد ذلك العهد فقد انحرف وترك وسط الطريق الموصل للسجدة، ومن انحرف اتجه إلى إحدى سبل الضلال المشار إليها في الآية (١٥٢) الأنعام صفحة ١٨٩، ولكن هؤلاء اليهود بقصوا العهد، وبسبب هذا طردناهم عن رحمتنا وملأنا قلوبهم قسوة لا يسع فيها وعظ ولا تدخلها رحمة، وكان من آثار ذلك أنهم تحربوا على كلام الله فحرفوه ليحموا ما فيه من الحق ومن صفة محمد ﷺ، وسوا مقداراً مما ذكرهم الله تعالى به في التوراة، فإني عندهم مما في التوراة الصحيحة هو بعضها فقط، انظر الآيات (٢٢) من سورة آل عمران صفحة ٦٦ و(١٤٤ ، ١٥١) من سورة النساء صفحات ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ولا تزال أيها النبي تطمع على حياة منهم، أي هذا هو حالهم دائماً إلا قليلاً منهم وهم من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، فاعف عن هؤلاء المؤمنين منهم، ولا تؤاخذهم بما سلف منهم، واصمح عما يمكن أن يكون منهم من إساءة إليك إن الله يحب المحسنين بالمعروف والصريح والمقصود بالمعروف معفو الشيء، والمقصود بالإعراض وعدم المواجهة على الذنب . ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى﴾ أي ادعوا أنهم أنصار الله عز وجل وهم كاذبون...

أَخْلَقْنَا مِنْهُمْ قَدْحًا فَكُنَّا لَهُمْ مَكْرًا ۖ قَدْ جَاءَهُمْ
الْعَذَابُ وَالنَّصَاةُ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَسَوْفَ يُنْفَخُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولًا يَتْلُو كُتُبًا كَثِيرًا ۖ كُنْتُمْ تُخَوِّنُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَتَعْمَلُونَ عَنْ كُتُبِهِ قَدْ جَاءَهُمْ كُتُبٌ مِّنْ اللَّهِ تُرَوِّدُكُمْ
فِيهِ ۖ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ قَسَّ بَيْنُكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْعًا ۚ إِنَّ
أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
بِجَهَانٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ يَتَذَكَّرُ
أُولَئِكَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

المفردات: ﴿العداوة﴾: أى التعادى

السبب للقتال.

﴿والبغضاء﴾: أى الكراهة، فهو من عطف

السبب على مسببه.

﴿بور﴾: المراد به هنا القرآن، لأنه ينهر

الطريق لمن اتبعه كما سيأتى انظر الآيات

(١٧٤) من سورة النساء صفحة ١٢٢ و(١٥٧)

من سورة الأعراف صفحات ٢١٧، ٢١٨ و

(٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ و(٨) من

سورة التباين ٧٤٦.

﴿وكتاب مبين﴾ ﴿مبين﴾ أى موضح لطرائق النجاة، ولما وصف الكتاب بهذه الصفة

واكتسب منها ما صح عطفه على ما قبله من قبيل عطف الصفة على الصفة، كما تقول جاء

محمد العالم والكريم، ومما يؤيد أن الكتاب هنا هو والبور يدلان على شيء واحد إعادة

الضمير عليه مفرداً فى قوله ﴿يهدى به الله﴾، ولو كانا متعايرين لقال ﴿بهما﴾

﴿يهدى به﴾: المراد بزيده هداية، انظر الآية (١٢) من سورة الكهف صفحة ٢٨١ والآية

(١٧) من سورة محمد صفحة ٦٧٥.

﴿رصوانه﴾، قال الراغب: الرصوان هو الرضى التام، ولما كان أعظم الرضا هو رضى الله

سبحانه حص لفظ الرصوان فى القرآن بما كان من الله، انظر الآيات (٧٢) من سورة التوبة

صفحة ٢٥٢ و (٢٩) من سورة المتح صفحتي ٦٨٢، ٦٨٤؛ و (٢٠) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢ و (٢٧) من سورة الحديد أيضاً صفحة ٧٢٣:

﴿سبل السلام﴾: السبل جمع سبل وهي الطريق، وقد جاء في القرآن مجموعاً كما هنا، ومفرداً وهو كثير، فإذا كان مجموعاً مقابلً للصراط المستقيم، فالمراد به كل الطرق الموصلة لغير الحق، ولما فيه هلاك سالكيها كما في قوله تعالى ﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ الآية (١٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩ .

وإذا ذكر مجموعاً في مقام مدحه والترغيب فيه كما هنا، فإنه يراد به كل الأعمال الصالحة الموصلة للسلامة من المخاطر في الدنيا والآخرة، ولذلك أصابها سبحانه إلى السلام، أى أنها كلها مهما تعددت فإنها توصل إلى شيء واحد، هو النجاة من كل شر.

وإذا جاء مفرداً مضافاً للسبى ^{سبيل} فإنه يراد به مجموع شريعته من عقائد وأعمال، كما في قوله تعالى ﴿قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أما ومن اتبعنى.. إلخ﴾.

الآية (١٠٨) من سورة يوسف صفحة ٢١٩، فهي بمعنى الصراط المستقيم في الآية (١٥٢)، المتقدمة.

المعنى: . ومن النصارى أحداً أيضاً اليهود كما أخذناها على اليهود، وما أخذ عليهم كثير، منه ما اشتركوا فيه مع اليهود كالإيمان بالرسول الذى يأتى وبصرته، ومما ائوردوا به أن المسيح عين الرسول الذى سيأتى بعده باسمه ومع ذلك كفروا به، انظر الآية (٦) من سورة الصف صفحتي ٧٢٨، ٧٢٩؛ فنسى هؤلاء أيضاً نصيباً مما ذكرهم الله به في الإنجيل، فكان جزاؤهم أن هيج الله وقوى بينهم أى بين النصارى بعضهم مع بعض التعادى والتقاتل والبغضاء أى الكراهية، وهو من عطف السبب على المسبب، إلى يوم القيامة، وقد تحقق هذا إلى يومنا هذا، فلم ير أهل ملة واحدة يتقاتلون جرياً وراء الشهوات والمطامع مثل ما نرى بين النصارى، وهذا جزاؤهم في الدنيا، وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون في الآخرة، أى فسيماقبهم أشد العقاب.

ثم بعد كل هذا خاطبهم بما فيه نجاتهم فقال: يا أهل الكتاب من يهود ونصارى قد جاءكم

رسولنا محمد ﷺ يبين لكم بعض ما كنتم تحصون من الكتاب أى من التوراة والإنجيل كإحصاء آية الرجم التى ستأتى فى شرح الآية (١١) وما بعدها من هذه السورة صفحة ١٤٤ وما بعدها؛ وإحصاء صفته ﷺ، والبشارة به، ويممو عن كثير مما تحصونه صيانة لكم من زيادة الفصيحة لعلمكم ترجعون انظر الآية (٩١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧ .

قد جاءكم من الله نور هو الكتاب المبين لكم طريق الحق؛ وقوائد هذا الكتاب أولاً أنه يهتدى به الله من اتبع فى أعماله ما يرضيه إلى الطريق التى يسلم فيها من مخاوف الدنيا والآخرة.

وثانياً أنه يخرج من آمن به من ظلمات الكفر والجهل إلى نور التوحيد والعلم بإرادته، ويهتديهم إلى الطريق المستقيم وهو دين الإسلام.

فهذه هى الهداية إلى سبل السلام ذكرت بعنوان آخر هى أنها أقرب طريق يوصل للمقصود، فمطعمها نظير العطش فى الآية (٥٨) من سورة هود صفحة ٢٩٢.

وبعد ما بين أحوال أهل الكتاب عامة ذكر ما يخص النصارى فقال:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ والذين قالوا ذلك انقرضوا الآن.

كما بدأ ينقرض من يقول بالتثليث المشار إليه فى الآية (٧٣) الآتية صفحة ١٥٢، وكذا من يقول إن المسيح وأمه إلهان كما فى الآية (١١٦) الآتية أيضاً صفحتى ١٦٠، ١٦١، بدأ يقل هؤلاء بعد انتشار مذهب «البروتستانت» أى إصلاح النصرانية الذى يدين به أعظم أمم النصارى مدينة الآن، وهو مبني على أن المسيح رسول فقط، ولكنهم ينكرون نبوة محمد ﷺ أو عمومها، قل يأبىها النبى رداً على هؤلاء إن كان الأمر كما تزعمون همن يملك من أمر الله وإرادته شيئاً يدفع به الإهلاك بالمعذاب إن أراد الله أن يهلك المسيح وأمه بل ومن فى الأرض جميعاً.

أى لا أحد يستطيع ذلك، لأن لله ملك السموات والأرض وما بينهما، فإكل عبيد له بما فيهم المسيح، يخلق ما يشاء كيف شاء من تراب مباشرة بلا أب ولا أم كآدم، أو بدون أب كالمسيح، لأنه قد ير على كل شيء، فلا وجه لشبهتكم فى عبادة المسيح لأنه ولد بدون أب....

وَالنَّصَارَى تَحْسِبُ أَنَّ اللَّهَ إِحْسُونٌ قُلْ قِيمُ يَعْبُدُكُمْ
يَذُوبُكُمْ مِثْلَ أَنْتُمْ سَرَّ قَمْنٌ حَقٌّ يَعْمُرُ بِنَ بَشَاءَ
وَيَعْبُدُ مَنْ بَشَاءَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ① يَأْمُرُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولًا مِثْلَ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِنْ نَّبِيٍّ وَلَا يَذِيرُ فَقَدْ جَاءَكُمْ نَبِيٌّ وَبَدِيرُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُ
أَذْكُرُوا يَوْمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ مِثْرًا لِّأَيِّكُمْ وَجَعَلَ
مُتَوَكِّاتٍ لَّكُمْ مَاءً يَأْتِي أَهْدَابًا مِّنَ الْقُلُوبِ ③
يَتَقَرَّبُ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ④
قَالُوا يَمْشُونَ فِيهَا قَوْمًا خَائِبِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا

المفردات: «وقالت اليهود والنصارى»
الكلام على التوزيع، إذ المعنى أن كل واحدة
منهما تقول عن نفسها ذلك، ولا تدخل معها
الأخرى، انظر ما قبل في شرح الآيتين (١١١)،
(١١٢) من سورة البقرة صفحة ٢٢.

«على فترة من الرسل»: على حين فتور
وانقطاع وجود أحد من الرسل، روى البخاري
أن الفترة بين عيسى ونبينا عليهما السلام
كانت ستمائة عام.

«إذ جعل فيكم أنبياء»: الخ «قال ابن
جرير: إن السبعين رجلاً الذين اختارهم
موسى عليه السلام لمصعدوا معه الجبل
عندما صعد لمناجاة ربه سبحانه وتعالى.

صاروا كلهم أنبياء... وقال الألوسي والمراد بهم موسى وهارون ويوسف وجميع أولاد يعقوب
على القول بأنهم كانوا أنبياء.... والسيمون الذين اختارهم موسى لميقات ربه فقد قال ابن
السائب ومقاتل أنهم كانوا أنبياء وقال الماوردي وغيره المراد بهم من أرسلوا بعد موسى، وقيل
المراد بهم من تقدم ومن تأخر.

«وجعلكم ملوكاً» أي كالمملوك في الحرية والاستغناء عن المير والتمتع بالحيوات، ومنه
قولهم فلان ملك زمانه.

«الأرض المقدسة» أي المطهرة من الوثنية لكثرة ما يمت فيها من الأسياء دعاة التوحيد،
وهي ما بين العريش إلى الصرات.

«كتب الله لكم» أي قدر في علمه أنكم تدخلونها وتسكنونها ما دمت مطيعين «قوم
خيارين» أشداء البطش وهم الجبابرة الكعابيون.

المعنى . ومن دعاوى اليهود والنصارى الباطلة قول كل فريق منهم عن نفسه نحن المقربون إلى الله المحبوبون له كقرب الأبناء من الأب ومحبيه لهم فلا يمدينا وليس في الناس من يشاركنا في ذلك.

هكذا قالت كل طائفة عن نفسها قل لهم أيها النبي إلزاماً وتبكيता إن كان لكم منزلة ليست لغيركم فلم يعدبكم الله بدويكم في الدنيا من اضطهاد وإذلال لليهود كما في أول سورة الإسراء، وكما هو مشاهد إلى يومنا هذا، وللمصارى أيام الرومان، ومن المصائب التي تحمل بهم كل يوم بسبب ما يرتكبون من الظلم والمفاسد . إذن فليس الأمر كما تزعمون بل أنتم بشر ككل خلق الله عز وجل يجري عليكم ما يجري عليهم . من يعمل سوءاً يجز به فيعقر لمن يشاء إذا تاب، ويعذب من يشاء لإصراره على المعصية، لا فرق عنده في ذلك بين أتباع موسى وعيسى ومحمد، ثم أكد الرد بقوله:

﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ إلخ، أي أن كل ما فيهما مستنون عنده تعالى بأنهم ملوك وعبيده يتصرف فيهم بعدله على حد سواء . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد المبشر به في كتبكم، يبين لكم ما تحتاجون إليه في الدين والدنيا بعد انقطاع وجود الرسل، أي هأنتم في حاجة إلى ما يرشدكم إلى طرق العمل المنجي، اتقاء أن تقولوا معذرين عن تضييعكم يوم القيامة يا ربنا لم تعذبنا ولم يأتنا منك من يبشرنا إذا أظفنا وينذرنا إذا عصينا، فقد جاءكم بشير ونذير وانقطعت حجبتكم، والله قادر على كل شيء من إرسال الرسل وقطع الحجج وتعذيب المخالف، ثم ذكر سبحانه بعض مخالقات اليهود ونقضهم العهد، فقال:

﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالشكر عليها والطاعة ثم عدد بعض هذه النعم فقال إذ جعل فيكم أنبياء كثيرين لم يبعث في أمة أكثر منهم، وجعلكم كالمملوك أحراراً في تصرفكم أغنياء عن غيركم بما لم يؤت أحداً من عَالَم زمانكم من خلق البحر، واليمن والسلوى، وتظليل الغمام في التيه، وتفجير الماء من الحجر، إلى غير ذلك يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي وعد الله أنكم ستدخلونها، ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين خوفاً من الجبابرة فتقلوا أي ترجعوا بهذا الجبن خاسرين ثواب الدنيا والآخرة. ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها﴾....

سَخَّرَ بِحُجْرَاتٍ مِّنَ الْفُلِ يَحْمِلُونَ فِيهَا الْكُرْسِيُّ وَهُوَ يُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَيُفَصِّلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ ۝١٣٠
 قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَمَا دَخَلُوهُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ وَجُوبٌ ۝١٣١
 فَتَوَلَّوْا إِذْ كُنْتُمْ مُزْمِنِينَ ۝١٣٢ قَالُوا يَسْمُوْنَ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا فُلُودًا مِّمَّنْ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ وَرَبُّكَ فَخْبِرَ ۝١٣٣
 إِنَّ هُنَا قَعْدَةٌ ۝١٣٤ كَلَّ رَبٌّ إِلَى لَا أَتِيكَ إِلَّا نَقِيٌّ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَلْفَيْ نَفْسٍ ۝١٣٥
 قَالَ فَمَا بَالُ طَرَفٍ مِّنْهُمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَهُونَ فِي الْأَرْضِ
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝١٣٦ وَأَتَىٰ عَلَيْهِمُ الْغَمُّ
 أَتَىٰ قَادِمٌ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَ فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَآذَىٰ
 يُفْعَلُ مِنَ الْأَمْرِ قَالَ لَا تَسْأَلُكَ فَإِنِّي لَا أَتَقَبَّلُكَ اللَّهُ مِنْ
 الْمُتَكِبِينَ ۝١٣٧ لَئِنْ سَأَلْتَهُ لَنَمَكِّنَنَّكَ بِهِ نَارًا يَأْتِيكَ بِهَا

المفردات: (ابنى آدم): هما هابيل وقابيل.
 ﴿قريانا﴾: هو ما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبائح وغيرها كما تقدم في الآية (١٨٣) من سورة آل عمران صفحة ٩٣ .

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾: المراد أنه سبحانه لا يتقبل عمل عبده ويثبت عليه بالنعم الدائم إلا إذا كان تقياً .

أما الكافر فإنه لا ينضمه في الإنقاذ من الخلود في النار عمل من أعمال البر، انظر شرح الآية (٧) من سورة الزلزلة صفحة ٨١٨ .

وقد يستجيب سبحانه دعاءه فينقذه من

خطر في الدنيا لا لتقواه، ولكن ليظهر للخلق سوء طبعه ويقطع عليه باب المذر، انظر الآيتين (٢٢ ، ٢٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٣ .

المعنى: - إن بنى إسرائيل لما نجاهم الله من فرعون أمرهم بدخول الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، فأخذ موسى من كل سبط رئيساً على قومه وقام بهم، فلما دنا من الأرض الموعودة بعث النقباء يتجسسون أخبار الكنعانيين، فلما وصلوا وجدوهم ضغام الأجسام أشداء البأس، فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن يكتموا عن الجيش لئلا ينزعج، وموسى واثق من نصر الله الذي وعده، فكتم بعض النقباء ولم يكتفم أكثرهم، فجبج الجيش، وقالوا إن فيها جبارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها بقتال غيرنا أو بغير قتال.

قال رجلان من الذين يخافون مخالفة أمر الله وقد أنعم الله عليهما بالثبات وكانا من النقباء الذين كتموا ما راوا، وأحدهما يوشع ادخلوا على الجبارين باب عاصمتهم، وفاجئوهم

في مصييق من الأرض حتى لا يجدوا للحرب مجالاً، فإن دخلتم معتمدين على الله فإنكم ستعلمون، فلا تحبنوا، وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين، لأن وعد الله حق.

فقالوا غير مباليين ولا مستمعين نصيحة لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب يا موسى أنت وريك فقاتلا الجبارين قالوا ذلك استهراء وعدم مبالاة بأمر الله لقسوة قلوبهم وبعدهم عن الأدب، إنا ههنا قاعدون ننتظر النتيجة.

قال موسى يا ربى إني لا أملك إلا أمر نفسي ونفس أخى هارون، وهذا منه عليه السلام شكوى إلى الله واعتذار وتنصل من عصيان قومه، هاهرق أى احكم بيننا وبينهم بما يستحقه كل منا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأراد بذكر نفسه وأخيه فقط قلة الواقفين لا الحصر، وإلا فمعه الرجلان اللذان يحافان الله.

فقال سبحانه مجيباً دعاء موسى: إن الأرض المقدسة محرم عليهم دخولها وتملكها أربعين سنة يتيهون في الأرض، أى يسيرون في برية من الأرض تائهين، لا يستقرون في مكان، وكانت هذه الأرض فيما بين مصر والشام، فلما مات هؤلاء الكبار في التيه حتى موسى وهارون ماتا فيه أيضاً وبشأ بعدهم درية لم تألف الدل الذى كانوا فيه في مصر على يد فرعون فكانوا شجعاناً ودخلوا الأرض المقدسة، فلا تأس أى لا تعزى على تعذيب القوم العاسقين الخارجين عن طاعة ربهم.

ولما كان الحامل لليهود على معارضة نبينا محمد ﷺ هو الحسد والفيرة، أراد سبحانه أن يسلية على حسدهم، بينان أن الحسد قديم في طبع الإنسان، وأنه كان السبب في أظلم الجرائم، فذكر قصة آدم في ذلك.

فقال: واتل أيها النبى على أهل عصرى بما فيهم أهل الكتاب حبر ابنى آدم هابيل وقابيل تلاوة مقرونة بالحق والصدق، حين قرب كل منهما قرباناً فتقبل الله قربان هابيل لتقواه ولم يتقبل قربان قابيل لعدم تقواه، فقال قابيل لأخيه حسداً: لأقتلك.

فقال أخوه: إنما يتقبل الله من المتقين، أى فليس الذنب عندي، بل ابحث عن لعيب في نفسك وأصلحها. والله يا أخى لئن مددت يدك إلى لأقتلنك هما أنا بهاعل مثلك.

يَرَى إِلَيْكَ لَا تُفْتِكَ إِلَّا أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٥)
 إِنْ أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا بَنِيًّا وَإِثْمَكَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُتَعَذِّبِ
 أَلَمْ يَرَوْا الْفُتِيلِينَ (١٦) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
 قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٧) قَتَلَ أَخَاهُ
 غَرَابًا بَعَثَ فِي الْأَرْضِ لِيُزَيِّرَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ سُوءَ أَخِيهِ
 قَالَ يَنْتَوِيضُ فَأَمْزَتْ أَنْ أَكُونُ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ
 فَأُؤْزِرُ سُوءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٨) مِنْ أَجْلِ
 ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
 نَفْسٍ أَوْ فَسَدَ فِي الْأَرْضِ فَأَكَّأَتْ قَتْلَ النَّاسِ بَيْنَهُمَا
 وَمَنْ أَخِيَاهُ فَأَكَّأَتْ أَحْيَا النَّاسِ بَيْنَهُمَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كُنْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ
 لَعَسِرُونَ (١٩) إِنَّمَا يَرْتَوُوا الَّذِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ

في الآية (٧٢) من سورة هود صفحة ٢٩٥ .

المفردات: «أن تبوء بإثمي وإثمك»
 المراد ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي كان سبب
 عدم قبول قربانك.

«فطوَّعت له نفسه»: أي سهلت له.

«سوءة»: السوءة هي العورة التي يسوء
 منظرها.

«يا ويلنا»: أصلها يا ويلتي فأبدلوا ياء
 المتكلم الما، وهي كلمة يقولها المتحسر عند
 حلول الدواهي، انظر الآية (٤٩) من سورة
 الكهف صفحات ٢٨٧، ٢٨٨ . ويقولها
 المتعجب عند سماعه شيئاً غريباً عليه كما

المعنى: هل اقتلتك أبداً ولو دعاءاً حوها من الله أن يراني سافكاً لدم إسماعيل ولما كان
 الوعد الدقيق ربما لا يبعد أنبىء بالتذكير بعذاب الآخرة فقال إسماعيل أن ترجع بإثم قتلي
 وإثمك السابق فتحمل ذنبي بعد أن كان عليك ذنب واحد فتكون بذلك من أصحاب النار.
 فهويت له نفسه الأمانة بالسوء قتل أخيه فقتله، فصار من الخاسرين لأقرب الناس إليه ولعميم
 الآخرة ولما كان هذا أول موت تعبر قابيل هي كيفية مواراة جثة أخيه التي يعصيه أن يراها
 باررة، فبعث الله غراباً في الأرض ليُرى الله القاتل كيفية مواراة سوء أخيه. قال أبو مسلم إن

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) العالمين. | (٢) أصحاب |
| (٣) جراء | (٤) الظالمين |
| (٥) الخاسرين | (٦) يوازي |
| (٧) يا ويلنا | (٨) فوازي |
| (٩) النادمين | (١٠) إسرائيل |
| (١١) بالبيئات | (١٢) جراء |

عادة العراب البحث في الأرض ليدور ما يحظمه، ويظهر أن العراب أطال البحث بدليل قوله ﴿يَبْحَثُ﴾ الذي يدل على تكرار الفعل بخلاف ما لو قال (بحث)، ولما رأى قابيل ذلك تعلم منه ولما شعر أنه حاهل وأقل حبرة من العراب قال متحسراً يا ويلتا أندم من عجرى أن أكون أقل من العراب تصريفاً للأمور.

ومن عجيب أمر الإنسان الذي يعجز بأنه أرحى الحيوانات أنه تتلمذ أول مرة على عرب فأصبح من النادمين بسبب تحيره وكون العراب أحسن منه، وتبرؤ أبويه منه

ومن أجل فطاعة هذا الحرم العظيم واستعداد الناس للحسد الباعث عليه، حرصوا وحكموا على بني إسرائيل في التوراة، وحسن في الذكر بني إسرائيل مع أن هذا الجراء ثابت لمن قبلهم، لما تميزوا به عن سائر خلق الله من شدة الحمم ومن جراتهم على هذا الدب مع أشرف الخلق، فهم الشعب الوحيد الذي قتل أنبياءه، فكان المسمى حكماً على كل قاتل خصوصاً إذا كان من بني إسرائيل، ثم بين الذي كتبه فقال أنه من قتل نفساً بغير قتل نفس يوجب القصاص الآية (١٧) الآية صمحتي ١٤٥، ١٤٦ أو بغير فساد في الأرض بما سيأتي بيانه في الآية الآية، فكانما قتل الناس جميعاً لاشتراك الاثنين في انتهاك حرمة الدماء والعروج على الله واستحلاب عصمه، ومن أحياها بأن كان سبب بقائها حية، كان دفع عنها القاتل أو أنقدها من هلاك مطلقاً، فكانما أحيا الناس جميعاً في استحقاق رحمة الله وحريل ثوابه وقد جاء في عقاب ابن آدم هذا قول النبي ﷺ (كل نفس تُمُتْل بغير حق يكون على ابن آدم الأول كمل منها لأنه هو الذي سنّ هذه السنة الصينة).

ولقد جاءت بني إسرائيل رسلاً بالأدلة الواضحة على صدقهم وعلو حرمة القتل ثم إن كثيراً منهم بعد المكتوب عليهم وإرسال الرسل لمسرهم في الأرض بالقتل والبغى ولما كانت الآية تشعر بأن القتل لا يكون إلا قصاصاً أراد أن يبين أنه يكون أيضاً للممسدين، وهي بعض الفساد من الشرور والفتن ما هو أشد من القتل، فقال

إنما حرأ الدين يحاربون الله بمحاربة تعاليم كتابه وعدم امتثالها، ورسوله بمحاربة إرشاده وسنته التي يتن بها القرآن...

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أُيُودُهُمْ وَأُصْلَافُهُمْ مِنْ جُلُودِهِمْ أَوْ يُسَوَّوْنَ فِي الْأَرْضِ ذَلِكَ
عَذَابٌ حَرِيفٌ ٢٩٧ وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٩٨
إِلَّا الَّذِينَ نَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْفُوا إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٩٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرَ إِلَهِهِ الرَّسُولَ وَخُذُوا فِي مَوَالِيهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ٣٠٠ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا نُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٣٠١ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ
مِنَ الْأَرْضِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٣٠٢
وَالسُّورَةُ وَالسُّورَةُ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمْ حَرَاءً وَكَتَبُوا كِتَابَ
مِنْ اللَّهِ وَكَفَّةً حَزْزًا حَكِيمًا ٣٠٣ لَنْ تَجِدَ مِنْ بَعْدِ ظِلِّيهِ

المفردات: ﴿فساداً﴾: أى مفسدين.

﴿من خلاف﴾: أى تقطع اليد اليمنى من
آخر الكف والرجل اليسرى عند القدم.

﴿وابتغوا﴾: أى اطلبوا.

﴿الوسيلة﴾: هى كل ما يتوصل به إلى
رضاء الله تعالى، وهى اتباع ما أمر به
سبحانه وترك ما نهى عنه قال ابن كثير فى
تفسيره: قال ابن عباس الوسيلة هنا هى
القرى أى الطاعة، وكذا قال مجاهد وأبو
وائل والعمن وفتادة وغيرهم، وعبارة فتادة
(أن يتقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما
يرضيه).

ثم قال ابن كثير: وهذا الذى قاله هؤلاء الأئمة لاختلاف بين المفسرين فيه.

﴿نكالا﴾: هو التعذيب الشديد.

المعنى: إن محاربة الله ورسوله هى إثارة الفتن والفتن والإخلال بالأمن، انظر الآية
(١٠٧) من سورة التوبة صفحة ٢٦٠، والذين يفعلون ذلك هم الذين يسمون فى الأرض
مفسدين، ويسمون فى اصطلاح الفقهاء محاربين، وفى عصرنا بالخارجيين على القانون،
ويشترط فيهم أن يكونوا عصابة ذات قوة مملحة تعترف بالسلب وهتك الأعراس وقتل من
يقف فى طريقها عوة جهاراً، فجراء هؤلاء أن يقتلوا أو يصلبوا إلى آخر ما ذكر من أربع
عقوبات يعاقب الإمام بها على قدر الجريمة، فإن كانت الجريمة هى الإفساد بالقتل فقط
قتله، وإن كانت بالقتل وأخذ المال صلبه، بأن يربط حياً فى خشبة أو شجرة مثلاً حتى يموت،

وإن كانت سرقة فقط تقطع يده اليمى ورحله اليسرى، وإن لم يحصل منهم شيء سوى إحافة الناس وإزعاجهم يرموا من الأرض التى اهدوا فيها إلى مكان بعيد والسجن مثل النى ولما كان خطر هؤلاء شديداً عسر فى عقابهم بصيغة التعميل الدالة على الشدة فى النكبة بهم ولذلك أيضاً جمع بين قطع اليد والرجل فى السرقة مع أنه فى سرقة المرد العادية حكم بقطع يد واحدة كما فى الآية (٣٨) الآية ذلك الحرء مصيبة لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ومن هذا يعلم أن الحدود لا تكسر الدب، ولكن ورد فى بعض الأحاديث ما يدل على أن التوبة لصحيحة مع الحد تكرر ومن أراد تفصيل الموضوع وبيان الحق فيه فيرجع إلى شرح حديث رقم (٧) من كتابا صموة صحيح البخارى. فإن تاب هؤلاء لمفسدون قبل تمكن الإمام منهم فلا يقام عليهم الحد المتقدم، لأن توبتهم وهم فى قوتهم يدل على أنها صحيحة، لأنه سبحانه عمور لما سلم، رحيم برفع العقاب عنهم والذى يرتفع عنهم هو حق لله تعالى فقط أما إذا سرقوا فلا بد من رد المسروق لأهله وإد قتلوا فلا مرمى متروك لأصحاب الدم بن شاموا عموا وأحدوا الدية إلى آخر ما ذكر فى شرح حديث رقم (٧) من كتاب صموة البخارى المتقدم.

هيا بها الدين آمنوا اتقوا الله وبتعدوا عن معاصيه، واطلبوا كل عمل يوصل لرصاء وجهادوا أنفسكم بمنعها عن الشرور وجهادوا الكفار والمخاريب بكل ما تستطيعون لعنكم تعوزون فى الدنيا بالغز وفى الآخرة بالسعي.

إن ندير كصرو لو حرص أن لكل واحد منهم ما فى الأرض جميعاً انظر الآية (٥٤) من سورة يونس صفحة ٢٧٤، ٢٧٥ ومثله معه أيضاً وبدلوه ليمتدوا به من العذاب يوم الميامة ما تقبل منهم، بل ولهم عذاب شديد الأثم بعد رفض المداة يومئذ ينصرون أن يحرقوا من النار بأى ثمن، وما هم بحارحين منها ولهم عذاب دائم وعندما يش حكم السرقة الكبرى أراد بيان حكم السرقة الصغرى فقال ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ فإن سرق مرة تقطع اليد اليمى بالطريقة المتقدمة فى الآية (٢٣)، وإن سرق ثانياً تقطع رحله اليسرى، فإذا عاد ثالثاً تقطع اليد اليسرى وفى الرابعة رحله اليمى لأجل جرائه بما فعل، وللتكيد به أى تشديد العقوبة، والله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم يشرع لكل دس ما يناسبه فمن تاب عن السرقة من بعد طلعه بعنه بها .

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ أَرَادَ غَمْرًا رَجِيمًا ①
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْتَبُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②
* يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا تَعْبُدُوا لِلدِّينِ مُشْرِكِينَ وَأَتُكْفِرُ مِنَ
الدِّينِ فَأَلَا تَعْلَمُونَ ③ وَأَمَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَهُ تُفَرِّسُ أَلْسِنَهُمْ دِينُ الدِّينِ
هَادُوا سَمْعُونَ فَكَيْفَ سَمِعُونَ لِقَوْمٍ هَادِينَ لَمْ يَأْتُواكَ
بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ تَعْدِ مَوَاصِيهِمْ يَمُوتُونَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
فَعْدُوهُ وَلَهُ لَمْ تَزُودْ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
فَلَا تَمْلِكُ لَهُ مِنْ أَلْفٍ سِيفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يُظَاهِرْ أَلْسِنَهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي أَلْسِنِهِمْ نَزْوَ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ④ سَمِعُونَ فَكَيْفَ أَكَلُونَ لِلْحَيْثُ
فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ

المعصيات: ﴿يسارعون﴾ يسارعون في الكفر
يقعون فيه مسرعين.

﴿الدين هادوا﴾ هم اليهود.

﴿بحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يعيدون
كلام التوراة مبعدين له عن مواضعه التي
وصفه الله فيه.

﴿المسحت﴾ الحرام كرشوة وربما وأحدرنا.

المعنى: ﴿فمن تاب وأصلح عمله ورد
المسروق لأصحابه فإن الله يقبل توبته لأنه
كثير المعصية والرحمة.

ألم تعلم أيها المحاطب أن الله له ملك السموات والأرض يدبر أمرهما بالحكمة واعدل
يعذب من يشاء ممن أفسدوا وعصوا، ويعمر لمن يشاء ممن تابوا وأصلحوا، لأنه قدير على كل
شيء من تعذيب أو معصية ورحمة.

وكان يهود المدينة وما حولها يدعون التمسك بالتوراة، فوقع فيهم حادث ربا من محصين
وحاهوا عليهما من حكم التوراة، فأرسلوهما إلى النبي ﷺ.

وقالوا إن وحدثم عند محمد حكما أسهل فاصصوا به واقبلوه وإلا فلا، فلما جاءوه ﷺ
وسألوه قال: ما تجدون في كتابكم؟ يريد التوراة، قالوا:

(١) السموات

(٢) يسارعون

(٣) بأفواههم

(٤)، (٥)، (٦) سماعون

(٧) أكالون

بسود وجوههما ونفضجهما. فقال ﷺ: كذبتُم، فأثوا بالتوراة فآثلوها إن كنتم صادقين، فجاموا بها وبقارئ يعرف العبرية فقرأ حتى وصل آية الرجم وضع يده عليها وتحملها، وكان عبدالله بن سلام حاضرا فقال:

ارفع يدك، فرفعها فوجدوا مكانها آية الرجم، فأمر ﷺ به، وأنزل الله فيهم وفي المسافقين منهم ومن غيرهم ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْرِبُكَ﴾ إلح: أي لا تهتم بمسارعة الدين يسارعون إلى التعمق في الكفر بالتحيز إلى أعداء المؤمنين من المشركين.

ثم بين هؤلاء المسارعين فقال: ﴿مَنْ الذِّينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَهْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم المسافقون.

ومن الذين هادوا قوم سمّاعون أي كثيرو الاستماع منك تجسسا عليك ليكذبوا ويحرفوا ما تقول ليصرفوا الناس عنك، سمّاعون لأجل نقل ما تقول لقوم آخرين ثم يأتوك وتجبراء، وهم رعاؤهم وأصحاب الرياسة فيهم، وهم الذين أرسلوا غيرهم بماله ﷺ عن حكم الزبا: هؤلاء المتكبرون يحرفون كلام التوراة مبعدين له عن مواضعه بالطرق التي بينت في شرح الآية (١٣) من هذه السورة صفحة ١٢٨، يقولون لأتباعهم الذين أرسلوهم إليه ﷺ إن أوتيتم من محمد حكما أخف من الرجم فخذوه وارضوا به واقبلوه وإلا فاحذروا قبوله.

ثم قال سبحانه في هؤلاء اللاعبين بديهم:

ومن يرد الله فتنته أي فضيحتة وخبره بإظهار ما في نفسه هل تملك ما يدفع ما يريد الله له. وعلى ذلك بقوله:

اولئك هم الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم من الكفر والباطل، لأن الحمس صار طبعاً لهم، فهم كما في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، لهم في الدنيا خزي بالفضيحة والهم بنصر المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ثم ذكر صفات أخرى لهم تؤكد استحقاقهم الحزى فقال:

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي يفتره رؤساؤهم على كتاب الله، كثيرو أكل الحرام، وإذا كان حالهم كما علمت فإن جاعوك متحاكمين إليك فانت مخير أيها النبي بين الحكم بينهم أو الإعراض عنهم.

عَنِمْ ظَنُّ يَصْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑩ وَكَيفَ بِحُكْمِكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ مِمَّا حَكَّرَ اللَّهُ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ
وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ⑪ إِنَّا أَرْسَلْنَا التَّوْرَةَ مِمَّا
هَدَى وَنُورًا يَهْتَكِرُهَا الْيَهُودُ الَّذِينَ اسْتَلَوْا الَّذِينَ هَدَوْا
وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَخِفُّوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَافَرُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشُرُوا النَّاسَ أَنْ يَخْتَرُوا وَلَا تَسْرَوْا
بِعَاقِبَتِي فَمَا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَرَى اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ⑫ وَكَتَبَ عَلَیْهِمْ فِيهَا أَنْ أَنْفُسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأُفَّ بِالْأُفِّ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالْيَدَ بِالْيَدِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَرَى اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

المفردات: ﴿القسط﴾: العدل.

﴿هدى ونور﴾: أى فيها ما يهدى إلى ما
فيه سعادة الأخرى وما يضيء طريق الحياة
فى الدنيا.

﴿الذين هادوا﴾: أى رجعوا من الكفر إلى
الإيمان، والمراد بهم اليهود.

﴿الريانيون﴾: هم أهل الروع من أحبارهم
كما تقدم فى الآية (٧٩) من سورة آل عمران
صفحتى ٧٥، ٧٦

﴿الأحبار﴾: هم علماء اليهود.

﴿استخفوا﴾: أى جعلهم الله تعالى
حملة ما علموه من كتابه وهو التوراة.

﴿والجروح قصاص﴾: أى متعاقبات.

انظر الآية (١٩٤) من سورة البقرة صفحة ٣٨ .

المعنى . وإن اخترت الإعراض فلا تحش عصبهم لأنهم لن يصروك شيئاً قليلاً فصلاً عن
الكثير، لأن الله عاصمك من الناس وإن اخترت الحكم فاحكم بينهم بالعدل لأن الله يحب
العادلين.

وتعجب أيها النبي من حال هؤلاء كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله فى
المسألة التى سألوك عنها، وماد ك منهم لطلب الحق، وإنما حرى وراء الشهوات وطلب
الأسهل؛ ولذا قال

(١)، (٢) التوراة

(٣) الريانيون

(٤) كتاب

(٥) يأيلتى

(٦) نكاهرون

ثم يتولون من بعد قبول التحكيم إذا لم يوافق حكمك أهوامهم، وليس هؤلاء بالمؤمنين في الواقع، لا بالتوراة التي في أيديهم، ولا بك عند تحاكمهم إليك.

ثم أظهر جرمهم في حق التوراة فقال:

إنا أنزلنا التوراة فيها ما يهدي إلى طريق الوصول إلى رضا الله، ونور يصيه ما حمى على الناس من طريق الحياة السعيدة، يحكم بها النبيون كموسى ومن بعده إلى بعثة عيسى الدين انقادوا وحضنوا لحكم الله، وهذا يشمر بدم اليهود الذين تمردوا عليها؛ يحكمون بها لليهود، ويحكم بها أيضاً الربابيون والأخبار بما جعلهم الله تعالى حفظة أمناه عليه من شرعه الذي في كتابه.

وكان هؤلاء النبيون ومن بعدهم شهداء أي رقباء يعمون الكتاب من التفسير كما فعل عبد الله ابن سلام، انظر شرح الآية (٤١) من هذه السورة صفحة ١٤٤ .

وإذا كان الأمر كما ذكر من عناية الله تعالى بكتبه فلا تحشوا أيها الأخبار الناس وخافوا في ترك أمرى فإن النفع بيدي، ولا تتركوا آياتي التي في التوراة وتأخذوا بدل إهمالها عوضاً حقيراً من الرشوة أو الجاه.

ثم أيد كوبيهم غير مؤمنين بقوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» متى استعملوا ذلك، وفرضنا على بني إسرائيل في التوراة من العقوبات أن النفس تؤخذ بالنفس إذا قتلت عمداً بغير حق، والمين تقفاً بالمين، والأنف يجدع بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسن تقلع بالسن، والجروح ذوات قصاص، أي يقتص من الجاني بمثل ما فعل بالمجنى عليه إن أمكن كاليد باليد والرجل بالرجل، وما لا يمكن فيه ذلك كما لو ضربه بقطعة عظم في مع رأسه فإنه لا يمكن أن يفعل به ذلك تماماً، ففي هذه الحالة يقدر تعويض مالى.

وقد أقرت شريعتنا هذه الأحكام فوضحت ما جاء في الآية (١٧٨) من سورة البقرة صفحة ٣٤، فمن تصدق بما ثبت له من الحق بأن عما عن الجاني فالتصدق كفارة يكفر بها ذنوبه، ويعفى عنه كما عفا عن أخيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في هذه الجنايات وأهمل العقاب بالمثل فأولئك هم الظالمون...

الظالمون (١٥) وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ بِهِ
هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١٦) وَلَيَحْكُرَنَّ أَقْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا
أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ وَنَزَّلَ بِحُكْمٍ بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ مَا وَدَّعَ ثُمَّ
الْقَبُورَ (١٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّيًا عَلَيْهِ قَاضِيًا بَيْنَهُمْ
بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمُومٍ عَنْ مَّاءٍ ذِكْرٍ
الْحَقِّ يَكْفُرُ حَقًّا بِكَ شِرْعَةً وَمِنْهَا جُأً وَتَرِثُهَا اللَّهُ
بِحَسْرَةٍ إِنَّهُ فِي حُجَّةٍ وَبِكَرٍ لِّتُحْكَمَ فِي مَاءٍ أَنْتَ
فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ خَيْرًا مِّمَّنْكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ بِهِ تَحْكُمُونَ (١٨) وَأَيُّ أَحْكَمٍ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ

المفردات: «وقفينا على آثارهم»: أي
بعثنا عيسى متبعاً آثار هؤلاء البهيمن الذين
كانوا يحكمون بالتوراة.

«وليحكم أهل الإنجيل... إلخ»: هي
الكلام تقدير قول مقدر وذلك معهود عند
العرب وكثير في القرآن.

انظر الآيات (٤٩) من سورة الأعراف
صفحة ٢٠٠؛ و(٥٨) من سورة الصافات
صفحة ٥٩٠؛ و(٢١) من سورة الجاثية صفحة
٦٦٤؛ و(٢٠) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩.

والأصل قلنا لهم «ليحكم... إلخ» ويدل

على ذلك قراءة حمزة «وليحكم» بكسر اللام وفتح الميم، أي وأنزلنا الإنجيل هادياً وموصحاً
ومصدقاً ولأجل أن يحكم أهله بما طلب منهم العمل به فيه من الإيمان بخاتم المرسلين
ووجوب اتباعه، انظر الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفحات ٢١٧، ٢١٨ و(٦) من سورة
الصف صفحات ٧٢٨، ٧٢٩.

«لما بين يديه من الكتاب» لما سبقه من الكتب السماوية، فالكتاب مراد به الجسد،
فيشمل التوراة والإنجيل.

- (١) الظالمون
- (٢) آثارهم
- (٣) لتوراة
- (٤) الماسقون
- (٥) (٦)، (٧) الكتب
- (٨) واحدة
- (٩) أتاكم
- (١٠) العيرات

﴿ومهما عليه﴾ أى رقيباً على ما سبقه من الكتب يقر الحق ويظهر خطأ ما صرفوه

﴿شرعة﴾: هى الشريعة.

﴿وماهجناً﴾ أصله الطريق الواضح فعطاه على الشريعة عدل تفسير لبعض صفات الشريعة.

﴿ليبلوكم﴾ أى يختبركم أى يعاملكم معاملة المحتبر ليظهر للناس عملكم، واللام متعلقة بمقدر مفهوم من سياق الكلام والمعنى ولكن أرادت حكمتنا أن تكونوا متفاوتى الاستعداد فتحتملوا هيتم اختباركم انظر آيتى (١١٨، ١١٩) من سورة هود صفحة ٢٠١ .

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أى ابتدروها وسارعوا إليها انتهازاً للفرصة انظر الآية (٩٩) من سورة يونس صفحة ٢٨١ والآية (٢١) من سورة الرعد صفحة ٢٢٦

المعنى... هم الظالمون لأنهم ظلموا أحد العصمين بهضم حقه، ولم يحكموا بالعدل وبعثنا عيسى بن مريم بعد أولئك الببين مصدقاً بقوله وعمله لما سبقه وهو التوراة، ولم يعير فيها إلا ما أحله لأمته من بعض ما حرم على من سبقهم كما فى الآية (٥٠) من سورة آل عمران صفحة ٧١، وأعطينا عيسى الإنجيل مشتملاً على هدى من الصلال هى العقائد، وبور بضوء للنائر طريق الصواب فى أحكامه العملية، ومصدقاً لما سبقه من التوراة أيضاً.

فالمسيح مصدق للتوراة بقوله وعمله، والإنجيل مصدق لها بخصوصه، وهذا الإنجيل هدى... إلخ، أى شديد الهداية أكثر من التوراة لما فيه من المواعظ الروحية المحممة من غلظة قلوب بنى إسرائيل وينتفع به المتقون منهم قبل غيرهم..

وإذا كان هذا حال الإنجيل فإننا قلنا لهم بعد نزوله عليهم ليحكم أهله وهم البصاري بما أنزل الله فيه من الأحكام التى أمرهم الله تعالى بالعمل بها، ومن لم يحكم منهم بما فيه فأولئك هم الماسقون الخارجون عن طاعة الله.

وأنزلنا إليك أيها النبي الكتاب الكامل وهو القرآن مقتضباً بالحق في كل أحكامه، مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية، ورقيباً عليها يقر ما فيها من الحق، ويبين ما دخلها من التحريف، فاحكم أيها النبي بين أفراد أمتك التي بعثت إليها بما فيهم أهل الكتاب بما أنزل الله في القرآن، ولا تتبع أهواءهم مبتعداً عما جاءك من الحق في هذا القرآن بأن تحكم بما حرفوه مما يسهل عليهم شهواتهم.

لكل أمة منكم أيها الناس كافة جعلنا شريعة وطريقاً هي الأحكام العملية تناسب عصرها واستعدادها، انظر الآية (٦٧) من سورة الحج صفحة ١٤٢، أي فيجب على أهل الكتاب أن يخضعوا لهذا الشرع الأخير الناسح لكل ما سبقه في الأعمال، أما العقائد فهي واحدة عند جميع الأنبياء كما في الآية (١٣) من سورة الشورى صفحات ٦٣٩، ٦٤٠.

ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة ذات شريعة واحدة لجعلكم كذلك بأن يعينكم على استعداد واحد، ويلزمكم حالة واحدة، ولا يختف أحد منكم عن الآخر في عقله ولا في تفكيره مهما تغير الزمن والوطن.

ولكنه لم يشأ ذلك، بل جعلكم مختلفي العقول والأخلاق والاختيار، فلا تصنع لكم شريعة واحدة مع تطور الزمن، فحاء لكم بشرائع صالحة لعالمكم، ليعتبركم فيما أعطاكم من الشرع والنعم، فيظهر المطيع والمعاصي.

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي النهائية العالدة جاء بها في غير العقائد والمبادئ مرة لتصلح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، ولم يأت بنهي قاطع إلا في أمهات الفضائل وأمهات الرذائل التي لا تختلف في عصر عن عصر، كبر الوالدين والإحسان للمفقر والصدقة، وتحريم الكذب، وقتل البريء، إلى غير ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فمارعوا إلى ما هو حير لكم، لأن ذلك مقصود كل الشرائع. إلى الله مرجعكم يوم القيامة جميعاً، فيبينكم بما احتلتم فيه، فيظهر من كان على حق ومن كان على باطل.

وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن، وأنزلنا إليك قولنا لك أن احكم بينهم أي الأمر بالحكم إلخ، وليس مكرراً مع الأمر بالحكم أولاً، بل ليعيد أن الأمر به كان فيما نزل عليه، وهذا يصيد عناية خاصة

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا عَلِمَ اللَّهُ بِمَا
فَعَلْتُمْ بَعْضُ دُورِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْإِنْسَانِ
لَفَاسِقُونَ ﴿٢٨﴾ الْحُكْمُ الْحَكِيمُ يُتَوَاتَرُ مِنْ أَجْلِ
مِنْ اللَّهِ حُكْمًا يُقَرَّرُ يُقَرَّرُ ﴿٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ
وَمِنْ بَيْنِهِمْ فَرَقٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ نُسَبِّحَ دَرَّةً فَسَى اللَّهُ آلَ
يَاقِينَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْرِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا
فِي أَنْفُسِهِمْ سَلِيمِينَ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِآلِهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ هُمْ لَصَدُوقُكُمْ

المفردات: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ﴾: أى إخلاء موالين لهم بالنصرة
والمون وإطلاعهم على أسرار دولتكم كما
تقدم توضيحه فى الآية (٢٨) من سورة آل
عمران صفحة ٦٧ .

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: هم المنافقون.

﴿يُصَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: أى يصارعون فى
مودنتهم.

﴿دَائِرَةٌ﴾: مصيبة كبيرة مما يدور به
الزمان.

﴿بِالْفَتْحِ﴾: أى النصر.

﴿أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾: بقتل أعداء الإسلام
وفضيحة المنافقين.

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: مؤكدين أيمانهم.

المعنى: . ولا تتبع شهواتهم المخالفة لما أنزل إليك، واحذر فتنتهم لك بصرفك عن بعض
ما أنزل الله إليك ولو قليلاً.

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: أن بعض أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد
لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا يا محمد إنا أحبار اليهود، ولو اتبعناك لاتبعك اليهود
كلهم، وإن بهننا وبين قومنا خصومة، فنتحاكم إليك، فإن قضيت لنا صدقتناك.

(١) فاسقون.

(٢) الجاهلية.

(٣) والنصارى.

(٤) الظالمين.

(٥) يصارعون.

(٦) ناعمين.

(٧) أيمانهم.

هايى ﷺ، فانزل الله ﴿وان احكم بينهم﴾ إلخ.

فتكون الآية إقرار له ﷺ على ما فعل وأمرًا له بالثبات وعدم الانحداع بهم، فإن تولوا عن حكمك فاعلم أن حكمة الله هي ذلك هي أن إرادته تمت على أن يصيبهم أى يعذبهم ببعض ذنوبهم في هذه الحياة، أما هي الأخرة فيوفيههم جزاء كل ذنوبهم. ثم ملاء ﷺ بقوله ﴿وان كثيراً من الناس لمانسقون﴾ وإذا أعرضوا عن حكمك فهل حكم الجاهلية يطلبون وهو حكم يسير وراء الشهوات لا وراء العدل؟ ولا أحد أحسن من الله حكمًا عند قوم يوقنون بصحة شرعه.

ولما كان المنافقون في المدينة كثيرين ويحشى منهم، وقد أعتز المؤمنون المحصلون بظاهرهم، ويحشى أن يظلموا الكفار على أسرار المؤمنين، حذر الله موالات الأعداء من اليهود والنصارى فقال،

﴿لا تتحدوا اليهود والنصارى أولياء﴾ لأن بعض اليهود يوالى ويصادق بعضهم الآخر، وكذا النصارى، وإيماناً بمجموع اليهود والنصارى يجتمعون في عداوتهم للمسلمين.

وإذا كانت عداوة اليهود أشد، وإذا كان كل منهم يحصر مودته لأهل ملته، فكيف ثوالونهم انتم أيها المؤمنون، ومن يتولهم معكم بعد الآن فإنه يعتبر منهم، فهو صال لصلالهم، والله لا يهدى القوم الظالمين بوصح الولاية والصداقة في غير موضعها.

فترى الدين في قلوبهم مرسس النفاق يسارعون في مودة الأعداء يقولون محتذرين عن عملهم بحاف أن تصيبها شدة فاحتاج إليهم، وهذا يدل على أنهم كانوا يتوقعون فشل المؤمنين وقوة الأعداء، انظر الآية (٩١) من سورة النساء صفحات ١١٦، ١١٧ فاصبر أيها النبي فحسى الله أن يأتى بالفتح أى النصر لنبيه، أو أمر من عبده بمصيحتهم وهتك سترهم وقتل الأعداء، فيصبح المنافقون نادمين على نفاقهم.

وعند ذلك يقول المؤمنون بعضهم لبعض متعجبين أهؤلاء هم الذين أقسموا بالله غاية جهدهم في توكيدها أنهم لمعكم وعلى دينكم؟

انظر مثل هذا في الآيتين (٥٦)، (٦٢) من سورة التوبة صفحات ٢٥٠ . ٢٥١ .

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَانصَبُوا حَتِيرِينَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتَحَلَّوْنَ تَوْبَةً لَآئِهِ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا
وَلِّبْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَتَرَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَدُوُّونَ ﴿٣٠﴾
يُنَادِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِدُوا الَّذِينَ آخَذُوا ذِيكُرًا هُرُوا
وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ لَكُمْ آيَاتٍ
وَأَنْفَرْنَا اللَّهُ بِكُمْ مُزِيدِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا نَادَيْنَا إِلَى الْأَعْنَةِ
أَلْحَسُوا هُرُوا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَسْمَاءٍ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

المفردات . «حبطت أعمالهم» أي
بطلت وذهبت عبثاً

«وهم راكعون» : المراد خاضعون لأمر
الله عن طيب نفس مع انكسار الصالحين،
وتقدم مثل هذا المعنى في الآية (١٢) من
سورة البقرة صفحة ٩ .

المعنى : . فكان صال نفاقهم أن جميع
أعمالهم التي كانوا يوصفونكم بها أنهم منكم
من صلاة وصيام وجهاد ذهبت عبثاً، هصاروا
خاسرين لكل نافع، وأصبهوا في الدنيا
بالمصيبة، وفي الآخرة بالدرك الأسفل من
البار .

ولما كان عمل من يصادق خصوم الدين
مستندعياً للردة والكفر، أراد سبحانه أن يبين

له حقيقة كانت حافية عليه يطمئن لها قلبه فقال «يا أيها الذين آمنوا»، أي دخلو في
الإيمان حقيقة أو تظاهروا، من يرتد أي يرجع إلى الكفر فسوف يأتي الله بدلهم بقوم هيهم
ست صفات حميدة .

الأولى يحبهم الله وقد سبق في الآية (٣١) من سورة آل عمران صفحة ٦٨ معنى حب الله
وأن من آثاره المغفرة وحسن الجزاء .

والثانية يحبونه ومن آثار ذلك أنهم لا يبالون إلا بما يرضيه .

الثالثة والرابعة أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، ويمسرهما قوله تعالى في آخر
سورة النحل «أشداء على الكفار رحماء بينهم» الآية (٢٩) من سورة النحل صفحة
٦٨٤، ٦٨٣ .

- | | |
|----------------|---------------|
| (١) أعمالهم . | (٢) خاسرين . |
| (٣) الكافرين . | (٤) يجاهدون . |
| (٥) واسع . | (٦) الصلاة . |
| (٧) الزكاة . | (٨) راكعون . |
| (٩) المائون . | (١٠) الكتاب . |
| (١١) الصلاة . | |

الخامسة يجاهدون في سبيل الله بإحلاس، والمسادسة ولا يحافون لومة لائم.

وهيها تمريض بالمنافقين الذين كانوا يحافون قوة اليهود والمشركين.

ذلك المذكور من الصفات فضل الله يؤتبه من يشاء من عباده الصالحين، والله واسع في المصل عليهم بمن يستحقه.

وقد تحقق هذا الخبر القبيح وارتد عن الإسلام ١١ هرقه، ثلاث في عهد ﷺ وقد أملكهم الله تعالى، وسبع في عهد أبي بكر، وقتلهم رضي الله تعالى عنه حتى أقر الدين، وواحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه، وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم.

وقيل أن جبلة ندم بعد أن سافر إلى الشام وأسلم، ثم بين سبعمائة من نجب موالاته بعد النهي عن موالاة أعدائه فقال ﴿إنا وليكم الله﴾ إلخ أي ليس لكم أيها المؤمنون ولي وباصر إلا الله ورسوله وأنفسكم، بعصمكم أولياء بعص كما هي الآية (٧١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٣.

ثم ذكر صفة المؤمنين بقوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم حاصمون لحكم الله متواضعون تواضع الصالحين.

ومن يتول الله بالإيمان به والتوكل عليه، والرسول والمؤمنين بمناصرتهم فإنه يظلم قطعاً، لأن حزب الله هم المالبون وحدهم، ثم أعاد النهي عن موالاة اليهود والنصارى مبيناً سبباً آخر لعدم موالاتهم فقال:

يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا الذين اتحدوا دينكم أي عبادتكم هزوا أي مهروءاً به ومسحوراً منه، ولعبا أي ملعوباً به وأداة تسلية، واتقوا الله فلا تولواهم إن كنتم مؤمنين صادقين تحرصون على كرامة دينكم.

ثم ذكر نوعاً من استهزائهم فقال وإذا ناديتهم أي أدنتم ودعوتهم الناس للصلاة اتخذوا الصلاة والمناداة لها هروءاً ولعباً.

روى أنهم كانوا إذا رأوا المسلمين ساجدين يسبحون بهم، وإذا سمعوا المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال بعضهم هلك الكذاب ويتصاحكون، انظر الآيات (من ٢٩ إلى آخر سورة المطففين) صفحة ٧٩٨. ذلك الاستهزاء الواقع منهم بسبب أنهم قوم لا يعقلون، لأن عدم العقل والسمه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق.

قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ مِنْكُمْ مَثَلًا ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ لَا يَأْتِيَهُمُ الْفَتْحُ بِمَا رَأَوْا كَافِرِينَ ۚ
وَمَا أَتَاهُمْ إِلَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِمْ ۚ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثَلٌ ۚ هَدَى اللَّهُ
بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ ۚ فَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ ۚ وَالْحَقُّ يَرَى الْعَذَابَ أَلْوَنًا ۚ أُولَئِكَ
شَرُّ مَا كَانُوا ۚ وَمَنْ سَوَّاهُ السَّبِيلَ ۚ وَإِنَّا جَاءُوكُمْ فَأَلَوْا ۚ إِنَّا وَكَلْنَاهُ
وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ ۚ وَهُمْ قَدْ حَرَّجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَفْهَمُ إِنَّمَا
كَانُوا بِمَكْنُونٍ ۚ وَتَرَى كَثِيرًا يَتَّبِعُهُمْ بَاطِلٌ
وَالْإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ السَّاعَتُ ۚ لَيْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ۚ لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْزَيْنُونَ ۚ وَالْأَخْيَارُ عَنْ قَوْمِهِمُ
الْإِثْمُ وَالْجَهَنَّمَ السَّاعَتُ ۚ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ قُلْ أُمِرْتُ بِالْإِيمَانِ ۚ

المفردات: ﴿مَثَلٌ﴾ مثوبة عند الله: أي حزاء
ثابتاً في حكم الله والمثوبة تطلق على الخير
والشر ولكنها تطلق على الخير أكثر.

﴿وعبد الطاغوت﴾: معطوف على لعنة الله
أي ومن عبد الطاغوت والطاغوت كل طاعية
جبار، وعبادته المحضوع له.

﴿يسارعون في الإثم والمعدوان﴾: أي
يسارعون إلى الوقوع في الكذب والتعدي
والظلم.

﴿وأكلهم السحت﴾: المال الحرام
كالرشوة والربا كما تقدم في الآية (٤٢) من
هذه السورة صمحتي ١٤٤، ١٤٥

﴿لولا﴾: كلمة تفيد النعت على ما بعدها.

﴿الريائيون﴾: الصلحاء كما تقدم في الآية (٧٩) من سورة آل عمران.

﴿الأخبار﴾: العلماء.

﴿يد الله مغلولة﴾: روى أنهم كانوا إذا أصيبوا بجندب وطلب منهم نفقة في خير اعتدروا
بهذا العذر القبيح. يريدون أنه سبحانه وتعالى أمسك عنهم الرزق، فهي كناية عن التفتير
عليهم، ولكنها كناية بشعة لا تصدر إلا عن جلف غليظ القلب.

المعنى - وأراد سبحانه أن يتبينهم إلى أن الدين ليس مثار استهزاء فقال، قل لهم أيها
النبي ميكتا.

- (١) الكتاب،
- (٢) فاستقون.
- (٣) طاغوت.
- (٤) يسارعون
- (٥) والمعدوان.
- (٦) بهائم
- (٧) الريائيون

يا أهل الكتاب هل تكرهون ما وتعيبون عليها إلا إيماننا الصادق بالله وكتبه ومنه الكتاب الذي أرسل عليكم، وإيماننا بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن شرائع الله.

ثم نههم إلى أن الأحق بالنقمة والميب هو ما هم عليه فقال: قل لهم هل أحبركم بعمل أقبح من استهراثكم بديننا وأدائنا للصلاة من حيث الجراء عند الله يوم القيامة؟ ثم أجاب عن هذا السؤال فقال:

من لعنه الله إلخ، أي عمل من لعنه الله أي العمل الذي استوجب من الله اللعن والمصيب والمسح والخصوع لكل طاعية جبار، وهذا العمل ذكره القرآن كثيراً كقتلهم الأنبياء بغير حق، ونقصهم اليهود، وعبادة المجل، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، إلى غير ذلك.

انظر كيف جعلهم قردة وخنزير في الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢ أولئك الملعونون المفضوب عليهم مكانهم في الأحرة أشد شراً، لأنهم أشد ضللاً وبعداً عن الطريق المستقيم ورسول في مناقي اليهود وإذا جاحوكم أيها المؤمنون قالوا أما مثلكم وأحوال أنهم قد دخلوا عليكم متلبسين بالكفر، هم كاذبون، وهم وأنفسهم قد خرجوا من عندكم بالكفر، أي لم يتغير منهم شيء، خرجوا كما دخلوا، وإذا صح أنهم يعادعونكم فكيف يعادعون الله وهو أعلم بما كانوا يكتمون.

وترى أيها النبي كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون في قول الإثم أي الكذب والعدوان والظلم وتجاوز حدود الله تعالى وهي أكلهم الحرام، وعرتي لقد قبح ما كانوا يعملون.

ثم بين سبحانه أن الفساد قد عم هذه الطائفة حتى شمل علماءهم فقال لولا أي هلا ينههم ويرجرهم الريانيون والأخبار عن هذا الكذب وأكل الحرام؟ أي لم يعملوا ولو فعلوا لما تعودوا هذا الإحرام، كما سيأتي في الآية (٧٩) صفحة ١٥٢، وعرتي لقبح ما كان يصنع هؤلاء الريانيون والأخبار أيضاً ثم ذكر سبحانه شاعة أخرى من شاعاتهم دليلاً على حراتهم على الإثم فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة بالرزق عما، فليس عبداً ما يتصدق به، فدعا سبحانه وتعالى عليهم بقوله

«علت أيديهم» أي هي سلاسل جهنم يوم القيامة، وطردوا عن رحمة الله بسبب هذا القول الفظيع.

المفردات: «مبسوطتان»: كناية عن غاية الجود والعطاء الشامل. وثنى اليد لأن العرب تقول الكريم يعطى بكلتا يديه..

«أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله»: هذا كناية عما دأبوا عليه من إشعال الفتنة والكيد للمسلمين والإيقاع بينهم وبين المشركين، والله سبحانه يحبطه ويدفع شره.

«منهم أمة مقتصدة»: أي طائفة معتدلة.

المعنى: كذبوا، بل هو سبحانه وتعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء حسب علمه وحكمته فيمن يستحق المنة أو التضيق.

وعزتي ليزيدن كثيرا منهم وهم زعماءهم

العائقون على ضياع جاههم ما أنزل إليك أيها النبي طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم، فكلما نزل شيء من الوحي فيه سعادتك وشرفك اشتد حسدهم وطغيانهم ومحاربتك.

ثم ذكر سبحانه نوعا مما عوقبوا به فقال: والقيما بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين شملتهم الآيات (٥٧، ٦٥، ٦٦) السابقة في هذه السورة، العداوة والكراهة، هكل منهما يحارب الآخر ويكرهه دائما انتقاما من الله منهم، أما ما يريدونه من الشر بالنسبة لرسول وأصحابه فقد تولى الله دفعه عنهم بقوله:

«كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله» وأبعد الشر عن المسلمين، ورد كيدهم في نحورهم، وهم بعملهم هذا يسعون في الأرض للإفساد، وهذا أظهر في بعضهم وهم اليهود.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُعْطِي كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَرْجِدْ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّا أُرِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَالْقِيَامَةُ
بِهِمْ الْعَذَابُ وَالنَّعْمَةُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا
نَارًا لِّحَرْبٍ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَأَنَّهُ لَا يُغْنِي الْمُفْسِدِينَ ۚ وَلَوْ أَن أَقْبَلَ إِلَيْكَ
كَافِرًا وَأَنفَرْنَا الْكَافِرَ مَعَهُمْ سِيقَانِيَهُمْ وَلَا ذَنْبَهُمْ جُنُودُ
النَّعِيمِ ۚ وَتَرَاهُمْ أَقْبَلُوا الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُرِلَ
إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَا كُلُوا مِمَّا قَوْفِيهِمْ وَمِمَّا نَحْنُ أَرْجُلُهُمْ
مِّنْهُم أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۚ
۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ وَإِنْ لَّمْ
تَعْمَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَأَنَّهُ يَعْصِيكَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۚ قُلْ يَا أَهْلَ

- | | |
|----------------|---------------|
| (١) طغيانا. | (٢) العداوة. |
| (٣) القيامة. | (٤) الكتاب. |
| (٥) ولاذخلتهم. | (٦) جيلت. |
| (٧) التوراة. | (٨) الكافرين. |

فإنهم لا يعمشون إلا في حو فسدت فيه العلائق بين الناس ليمنتصوا أموالهم. والله لا يحب
المفسدين، هم من المكروهين له تعالى.

ولو أنهم آمنوا بالبين المبشر به هي كتبهم وهو حاتم البيين، واتقوا عذاب الله باتباعه
لجأزيهم هي الأجرة بتكفير ذنوبهم وإدخالهم الجنة.

أما هي الدنيا فلو أنهم عملوا بما هي التوراة والإنجيل الصحيحين وما أرسل إليهم من ربهم
على لسان حاتم رسله لأكلوا من هوقهم ومن تحت أرجلهم، كناية عن سعة الرزق وهبائه
العيش، وأحاطت السعة بهم من كل جانب، انظر الآية (٩٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨،
والآية (١١٢) من سورة النحل صفحة ٣٦١، والآيتين (٢، ٣) من سورة الطلاق صمحتي ٧٤٨،
٧٤٩، والآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة نوح صفحة ٧٦٨، والآية (١٦) من سورة الحن صفحة
٧٧١ من أهل الكتاب طائفة معتدلة في أمر الدين لا تعالى فتقدس مخلوقاً وتلقه بالله عز
وجل، ولا تغرط فتكر بوبة بني ثبتت بيوته بالقطعيات، وهؤلاء هم الدين سارعوا إلى الإسلام
كمبدل لله بن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى، وكثير منهم بشن ما
كانوا يعملون من المباد والحسد وتحريف الحق، ولما كان ﷺ قد يجتهد في سياسة أمته بما
يرى معه أنه يجوز له تأخير بعض الأشياء حتى تمنح الفرصة كما حصل في قصة رينب وريد
هي الآيات (٢٧، ٢٨، ٢٩) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٥، ٥٥٦ وهي الآية (٧٤) من سورة
الإسراء صفحة ٣٧٤ ومن الآية (١) إلى الآية (١٠) من سورة عبس صمحتي ٧٩١، ٧٩٢.

لما كان كل هذا أراد سبحانه أن يطمئن رسوله من شر كل مخلوق، وأن يأمره بأن يصمد
بالحق ولا يبالى، فقال يا أيها الرسول إلى الناس كافة، وهو بدء تشريف ليس كمثله تشريف،
بلغ الخلق جميع ما أرسل إليك من ربك، وإن لم تعمل بأن لم تبلغ البعض فكأنك لم تبلغ شيئاً،
لأن شرع الله عز وجل لا يتجرا، ولا تخف فإن الله يعضمك أي يعظمك من قتل الناس لك،
لأن قتلك يمنع إتمام رسالتك.

أما ما دون القتل من جرح وغيره كما حصل في أحد في شرح الآية (١٢٨) من سورة آل
عمران صفحة ٨٤ فلا يضر الرسالة، فلا مابع من وقوعه، والله حفظك لأنه لا يهدي الكافرين
إلى تحقيق أميتهم من إحباط دعوتك.

الْكِتَابِ نَسَمَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْهُ يَتَّبِعُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَذُنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَمَعْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَدُوا وَالصَّالِحِينَ
وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِآيَةِ وَآيَةٍ الْآخِرَةِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٥﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَرَسُولًا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُنَّا جَاءَهُمْ رَسُولًا
بِمَا لَا يَهْوَىٰ أُنْفُسُهُمْ فَرَفَّاهُ كَذِبًا وَقَرَّبَهُمْ بِمَقُولٍ
وَحْيٍ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَتَقْتُلُوا وَتَقْتُلُوا نَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ قَوْمًا وَكُنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ وَأَقْبَلُ بَصِيرَةً يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

المعزوات: ﴿تأس﴾: تعزون.

﴿فتنة﴾: بلاء وعذاب.

المعنى: لما كان مسبب غرور اليهود والنصارى وحسدكم له ﴿تأس﴾ هو اعتناهم بأنهم أهل كتاب وما عداهم جهلة مشركون، أبطل سبحانه هذا الغرور بقوله: قل أيها النبي لهم لستم على شيء يعتمد به في الدين إلى أن تقيموا التوراة والإنجيل، أي تحافظوا على ما فيهما من التوحيد الحائض والبعد عن السحرة، والإيمان بما يشرأبه من مبي من ولد إسماعيل، أما مجرد حفظ الظاهر والتفاجر بعملهما فهذا لا فخر فيه: لأن

العمار يعمل الكتب كما هي الآية (٥) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١. وتحافظوا أيضاً على ما أنزل إليكم من ربكم على لسان حاتم السبيني.

ولكن هل تظن أيها القارئ أنهم سيعملون هذا؟ كلا بل سيريد ما أنزل إليك أيها النبي من لقرآن طمأنينهم وكفرهم كما تقدم في الآية (٦٤) من هذه السورة صمحتي ١٤٩، ١٥٠. فلا تعزون على عدم إيمان القوم الكافرين، وذلك لأنه ﴿تأس﴾ كان رموها رحيماً يحب الخير لكل من

- (١) الكتاب
- (٢) التوراة
- (٣) طمأنينة
- (٤) الكافرين
- (٥) والصالحين
- (٦) والنصارى
- (٧) صالحاً
- (٨) ميثاق
- (٩) إسرائيل
- (١٠) يا بني
- (١١) إسرائيل

أرسل إليهم، ويحزن إذا حرموا منه، كما في الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠

ولما قدم أن مجرد حمل الكتب لا ينفع أراد أن يبين النافع المنجى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ ... إلخ وتقدم شرحها في الآية (١٢) من سورة البقرة صفحات ١٢، ١٣، وغير إعراب الصابئين للحكمة المتقدم بيانها في الآية (١٦٢) من سورة النساء.

وهي هنا لفت النظر إلى أن الصابئين كانوا أهل كتاب، وأن حكمهم كحكم مَنْ لهم كتب من اليهود والنصارى والمسلمين في نفي الخوف عنهم إذا أخلصوا وعملوا الصالحات.

ولما كانت العناية بالمحافظة على اليهود هي المقصود الأسمى أعاد التذكير بها فقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ﴾ ... إلخ. تقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد، وتقدم في الآية (١٢) من هذه السورة صفحة ١٢٨ ما أخذ به العهد عليهم، وأرسلنا إليهم رسلاً كثيراً لم يحصل مثله لأمة أخرى، وذلك لكثرة شرورهم وسرعة تمردهم على شرع الله عز وجل.

ثم بين كيف عاملوا رسلهم فقال: كلما جاءهم رسول بما لا ينيل إليه أنفسهم من ميثاق التكليف استكبروا كما صرح بهذا الجواب في الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧ .

وكانت نتيجة هذا الاستكبار أنهم كذبوا فريقاً من الرسل وقتلوا فريقاً كزكريا ويحيى عليهما السلام، وقد تقدم أيضاً في الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧؛ وظنوا أن جرمهم هذا لا يصيبهم الله تعالى بسببه ببلاء وعذاب لزعمتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فهموا عندما ظهر الحق ولم يبصروا العبر فيمن مضى من الأمم، وصموا آذانهم عن سماع الحق

ثم تاب الله عليهم لما تابوا، فنجاهم من إذلال البابليين لهم دهرًا طويلاً، انظر الآية (٥) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٤، ٣٦٥، ثم عمى وصم كثير منهم، وقليل منهم مقتصد كما تقدم في الآية (٦٦) من هذه السورة صفحة ١٥٠، والله تعالى بصير بما يعملون، وسيجازيهم بما يستحقون يوم القيامة.

ثم شرع في بيان قبائح اليهود وإبطالها فقال سبعمائة: كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح، وقد تقدم الكلام على طوائفهم في الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ١٢٩، قالوا هذا الباطل مع أن المسيح نفسه قال: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم.

المفردات. ﴿حلت﴾ : مضت.

﴿صديقة﴾ : ملازمة للصدق في القول

والعمل، انظر الآية (٦٩) من سورة النساء

صفحة ١١٢، والآية (١٩) من سورة الحديد

صفحتي ٧٢١، ٧٢٢

﴿ياكلان الطعام﴾ : كناية عن كونهما

حيوانين مخلوقين كمائر الحيوانات التي لا

تعيش إلا بالأكل.

﴿أنى﴾ : كيف.

﴿يؤفكون﴾ : يصرفون.

﴿لا تغلوا﴾ : أي لا تتجاوزوا الحد.

لأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار
وما الظالمين من أنصار ﴿١﴾ لقد كفر الذين قالوا إن الله
ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم يحتسبوا
عما يقولون ليمنس الذين كفروا بهم عذاب ليم ﴿٢﴾
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفروهم والله غفور رحيم ﴿٣﴾
عالم السبع ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
وأمر صديقه كأنما يكذب أنطهم أنط كيف سبهم
الآنيت ثم أنط في يؤفكون ﴿٤﴾ من أنعدون من
قود الله ما لا يملك لك صرة ولا نفعاً والله هو السبع
النعيم ﴿٥﴾ من يتأهل الكسب لا ينعوي في دبره غير
الحق ولا تتبعوا أهواء قود قد صلوا من قل وأصلوا
كثيراً وصلوا عن سوء السبيل ﴿٦﴾ ليم الذين كفروا

المعنى . إني عند مثلكم لرب واحد، فاعبدوه وحده لأنه من يشرك معه في العبادة
غيره فقد حرم الله عليه الجنة، ومكانه الذي يأوى إليه هو النار، ولا يجد من ينصره
فيخرجه منها

ثم ذكر كفر طائفة أخرى من النصاري فقال لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث
ثلاثة

(١) وماؤه

(٢) لظالمين

(٣) ثلاثة

(٤) واحد

(٥) الآيات

(٦) الكتاب.

الأب، والأبن، وروح القدس. كهذا يقولون، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين يثبتون على الكفر منهم عذاب شديد الألم.

أهلاً يتوبون إلى الله بعد كل هذه الأدلة ويستغفرونه حتى يفر لهم لأنه كثير المغفرة والرحمة. ثم شرع في بيان حقيقة المسيح وأمه عليهما السلام فقال

ما المسيح إلا رسول من رسل الله الكثيرين الذين مضوا. وما أمه إلا صديقة كسائر النساء الصديقات، وكان هو وأمه يأكلان الطعام لحفظ بدنهما كسائر الحيوانات فضلاً عن سائر الناس، وكل من يأكل يحتاج قطعاً إلى تبرز، فمن السمع أن يتعذ مثله إلهاً

ولهذا قال انظر أيها السامع وتمجب كيف نبين لهؤلاء البراهين القاطعة على بطلان ما يزعمون في المسيح.

ثم انظر كيف يصرفهم الشيطان عن التأمل فيها، ثم قل لهم أيها النبي مبكتا وموبعا على عبادة مالا ينفع أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً تحشونه إذا امتعتم عن عبادته، ولا تصموا ترجونه ولا توحدون الله مع أنه هو وحده السميع لأدعيتكم وكل أقوالكم. العلم بما في نفوسكم، ويعاسبكم عليه ويجازيكم.

وقل لهم أيضاً لا تتجاوزوا الحد في دينكم تجاوزاً معاصياً للحق بأن يرفع الصاري منكم المسيح إلى رتبة الإله، ويدعى اليهود منكم أنهم أبناء الله وأحباءه فلن يعذبهم إذا خالفوا محمداً ﷺ.

ولا تتبعوا شهوات قوم هم أسلافهم وأئمة الدين منهم قد ضلوا من قبل بعثة حاتم النبيين، وأضلوا معهم خلقاً كثيراً، وضلوا أخيراً بعد بعثته ﷺ عن الشريعة المحمدية (التي هي الطريق المستقيم).

ثم بين سبحانه بعض أسباب هذا الضلال والإضلال وما عوقبوا به فقال - لعن الذين كفروا.....

المفردات: ﴿الذين قالوا إنا نصارى﴾: عبر سبطاناه عن اليهود باسمهم، وعن المشركين بصمتهم، وهنا عبر عن النصارى بأنهم الذين ﴿قالوا﴾ ولم يقل ﴿الذين تتصروا﴾ مثلاً، مثل ما قال في المشركين. ﴿الذين أشركوا﴾ وحكمته في ذلك الإشعار بقرب مودتهم، حيث يقولون إنهم أنصار الله تعالى فهم أحبب أهل الحق، وفيه تعريض بصلاية اليهود، والمشركين والامتناع من الانقياد، لأن اليهود لما قال لهم نبيهم موسى ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾.

قالوا: «انذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» الآية (٢٤) من سورة المائدة

صفحة ١٤١ والمشركون لما دعاهم الرسول ﷺ إلى الخير قالوا ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ الآية (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١ .. والنصارى لما قال لهم نبيهم عيسى عليه السلام ﴿من أنصاري إلى الله﴾ قالوا نحن أنصار الله ﴿الآية (٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٧١. فالنصارى لم يتبعوا بالرد تبيح اليهود والمشركين.

﴿تقيص من الدمع﴾: أصل معنى التقيص سيلان الماء، وهنا جعل الأعين تقيص مبالغة كأنها هي نفسها التي فاصت من كثرة الدمع، كما يقولون ﴿سال الوادي﴾ أى سال الماء فى الوادي بكثرة حتى كأن الوادي هو الذي سال، انظر أصل معنى ﴿فاض﴾ فى شرح الآية (١٩٨) من سورة البقرة صفحة ٢٩.

(۶) خلیفوں

(٤) عداوة

المعنى- لعن الله الذين كفروا به من بني إسرائيل على لسان داود في الزبور، وعيسى بن مريم في الإنجيل؛ ذلك اللعن بسبب عصيانهم له تعالى واعتدائهم المستمر على أحكام الله باهتراء الكذب عليه وعلى أنبيائهم بالقتل والتكذيب. ثم بين سبب استمرارهم على ذلك فقال كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً عن مكر فعلوه مهما اشتد قبحه، فشجع ذلك الفساق على التجاهر، وعلم الدرية القبح والكبائر. لبئس ما كانوا يفعلون. ومن آثار هذا أنك ترى أيها النبي كثيراً من بني إسرائيل يصافون ويصادقون الكافرين ليعرضوهم على قتالك والكيد لك، قبح شيئاً قدموه لأنفسهم العمل الذي سبب سخط الله عليهم، وكان من أثره أنهم حاللون في العذاب. ولو كان هؤلاء الذين يوالون المشركين يؤمنون بالله وبالنبي محمد ﷺ وبالقرآن ما اتخذوا المشركين بالله المعلمون في كل كتاب وعلى لسان كل نبي أسفهاء أخلاء، ولكن كثيراً من هؤلاء اليهود الذين يدعون الإيمان بموسى وكتابه خارجون عن دين موسى وعاصون لكتابه، ثم بين الحالة النفسية لأهل الكتاب والمشركين بالنسبة للمؤمنين من العداوة والمودة ودرجة كل منهما، فقال- لتجدن أيها الرسول اليهود والمشركين أشد الكفار عداوة للمؤمنين، ولتجدن أقربهم مودة النصاري، أي أن أحد المريقين بالنسبة للمؤمنين في أقصى مراتب أحد النقيضين، والآخر في أقصى مراتب بقيقه، وكونهم أقرب مودة بسبب أن منهم قسيسين أي علماء بكتبتهم، ورهباناً أي منقطعين للعبادة، أي فيهم من يعلم ومن يمثل الزهد، وأنهم لا يستكبرون عن الإذعان للحق إذا ظهر، لأن من آداب دينهم التواصل، بخلاف الحال عند اليهود، وقد أثبتت الأيام هذه المعجزة فكان أكثر الناس دخولا في الإسلام النصاري ولا تكاد تجد يهودياً مسلم.

ومن أسباب قريتهم من المسلمين أنهم إذا سمعوا القرآن المرسل على الرسول المبشر به في الإنجيل ترى أيها الناظر أعينهم تمتلئ من الدمع حتى يتدفق من جوانبها لكشرفته، وهذا كناية عن رقة قلوبهم وعدم تكبرهم بسبب معرفتهم بعض الحق، فكيف لو عرفوا جميع الحق بسمع جميع القرآن وبيان ذلك أنه لما اشتد إيذاء قريش للمؤمنين فكانوا يعذبون كل من يظهر إسلامه، ولم يسمع النبي ﷺ من إيدائهم سوى عمه أبي طالب، فقد كانت قريش تحافه، عند ذلك رأى النبي ﷺ أنه عاجز عن دفع ظلم قريش، فأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم إن فيها ملكاً صالحاً لا يظلم عبداً أحداً، فهاجر إليها نحو ثمانين رجلاً منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول وجعفر بن أبي طالب، فلما وصلوا طلب منهم النجاشي أن يسمموا شيئاً مما نزل على رسولهم، فقرأ جعفر سورة مريم وكان في المجلس قسيسون ورهبان، فأنعدرت دموعهم لما عرفوا الحق، وفيهم وفي أمثالهم نزلت هذه الآية وعقب ذلك مباشرة قالوا معلنين إيمانهم يا رب آمنا بما أنزلت على محمد نبيك، فأقبل إيماننا واكتبنا مع الشهداء على الناس يوم القيامة.

مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٧﴾ وَهَلَّا لَا تَزِرُ وَرَاءَهُمَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَيْئًا وَهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 الْحَقُّ يَخْرِجُنَا مِنْ دُونِهَا بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ ﴿١٨﴾
 فَاتَّبِعْنِي أَهْلَ الْبَيْتِ فَتَحْرِيصٌ مِنْ تَحْتِهَا الْأَشْهُارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَهَلَّا حَرَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٠﴾
 بَنَاتِهَا الَّذِينَ هُمْ لَا يَحْرِيصُونَ حَبِيبٌ مَا أَهْلُ اللَّهِ لَكَرُّ
 وَلَا تَعْتَدُوا بِإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِينَ ﴿٢١﴾ وَكُلُّ مَا
 رَزَقَكُمْ اللَّهُ فَخَلَا طَبِيبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَسْمَى بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُزَادُكُمْ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ بِمَكْرٍ وَبِكُرِّ
 يُزَادُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْتَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ فَإَعْطَاهُمْ عَشْرَةَ
 مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْرَتُهُمْ أَوْ
 تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ قُلْ لَنْ يُغْنِيَكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مِنْ خَلْقٍ
 مُنْكَرٍ

المعردات: «باللغو هي أيمانكم» .. تقدم
 هي الآية (٢٢٥) من سورة البقرة صفحة ٤٥
 أن اللغو ما يجري على اللسان من غير قصد
 يعين ..

«بما عقدتم» .. أي بتعقيدكم الأيمان أي
 بتوثيقها بالقصد والنية.

«أوسط ما تطعمون» ... أي من معتاد ما
 تأكلون أنتم وأهلكم.

المعنى: لأنهم عدول وهم المشار إليهم في
 الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحات ٢٨، ٢٧
 والآية (٦٩) من سورة النساء صفحة ١١٢ .
 ويقولون أيضاً أي مانع يمنعنا من الإيمان بالله

وبما جاءنا من الحق على لسان محمد وال حال أنا بطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين في
 دار النعيم، فأعطاهم الله من الثواب بسبب قولهم هذا الماشي عن اعتقاد جنات تحري من تحتها
 الأنهار إلخ، وانقدهم من الكفر الذي يجارى أصحابه بملازمة الجحيم أي جهنم.

ولما جاء في سياق مدح البصاري حديث الرهبانية وهي مبنية على كسر النفس والبعد عن
 لذائذ الحياة، وكان هذا ربما يفيد جوارها في الإسلام، بل فكر فيها ثلاثة من خيار أصحابه

(١) الشاهدين	(٢) الصالحين
(٣) فائزهم	(٤) جنات،
(٥) الأنهار.	(٦) خالدين،
(٧) بآياتنا	(٨) أصحاب
(٩) طيبات	(١٠) خلالا
(١١) أيمانكم.	(١٢) الأيمان
(١٣) فكفارته	(١٤) مساكين
(١٥) ثلاثة	(١٦) كفارة.

﴿٥٢١﴾، انظر قصصهم في حديث ٥٢١ من كتابنا صفوة صحيح البخاري، لما كان كل هذا وكان الإسلام أحر الأديان الذي أراد الله تعالى أن يكون هو الدين العام الحالد، ولم يجعل فيه حرجاً ولا تضيقاً، حذر المسلمين من أمثال هذه الرهبانية فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تعزموا على أنفسكم طيبات ما أحل الله لكم المينة هي أول السورة ظاهراً أن هذا يقريكم من الله، ثم أكد هذا النهي بقوله: ولا تعتدوا بتمدي حدوده تعالى التي فصل بها بين الحلال والحرام، أي فلا تدخلوا في الحرام شيئاً من الحلال ولا العكس؛ لأن الله عز وجل لا يحب من يعتدي على حدوده، فاحذروا غضبه.

ثم صرح بالأمر بصد ما نهى عنه تأكيداً فقال: وكلوا مما رزقكم الله حال كونه حلالاً هي نفسه فليس مما حرمه عليكم أول السورة من الميتة وما بعدها، وحلالاً هي طريقة كسبه وتناوله فلا يكون ربا أو مثله، وبأن لا تسرفوا في تفاعليه، انظر الآية (١٤١) من سورة الأنعام صمعة ١٨٦، والآية (٢١) من سورة الأعراف صمعة ١٩٦، طهناً مستنداً غير مستقدر و لمراد من الأكل مطلق الأحذ والاستعمال، واتقوا الله فلا تمتاتوا عليه هي التحريم والتحليل ولما نزلت هذه الآية وكان بعض الصحابة حرم على نفسه بعض المأكلات وحلف على ذلك بين سبحانه حكم الأيمان، فقال:

لا يؤاخذكم الله بالعقاب أو الكفارة بلفو اليمين، ولكن يؤاخذكم بما قصدتموه وصممتم عليه النية، يؤاخذكم بالعقاب إذا كانت اليمين غموساً وهي التي تسمى صاحبها في النار كأن يحلف على شيء أنه حصل وهو يعلم أنه لم يحصل، أو بالعكس، فلا كفارة لهذه إلا جهنم

ويؤاخذكم بالكفارة هي غير ذلك كأن يحلف أن يفعل كذا ولا يفعل

وتلك الكفارة هي إطعام عشرة مساكين غداء وعشاء من معتاد ما تطعمون أهبيكم الدين تحت رعايتكم فلا يجور لمعتاد أكل اللحم والحصر والماكهة أن يطعم الخبز والحب مثلاً ويجور أن يعطى المسكين ما يكميه طعام يوم من مال أو قوت أو كسوتهم بما يستر الجسم، وتزيد المرأة المسكينة عطاء للراس، أو عتق رقبة رقيق فمن لم يجد واحداً من الثلاثة فعليه صيام ثلاثة أيام متتابعة عند بعض، وغير متتابعة عند آخرين، ذلك كفارة أيمانكم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْصِلُوا آيَاتِكُمْ كَذَلِكَ يَسِيرُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَلْهَابُ وَالْأَرْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَكْتَبِرْهُ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ
أَنَّهُ يُوقِعُ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُخَذِّلُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُعْتَدُونَ ﴿١٥١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
مَنْ تَوَلَّاهُمْ فَأَعْتَبُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولٍ أَنْ يَلْغِيَ الْغَيْبَ ﴿١٥٢﴾
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حُجَابٌ مِّمَّا
كُتِبَ لَهُمْ إِذَا مَا أَنْقَرُوا وَأَمَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ أَنْقَرُوا
وَأَمَرُوا ثُمَّ أَنْقَرُوا وَأَخْبَرُوا وَأَنَّ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبَّيْكُمْ أَفَقَدْ بَيْنَ مِنَ الصَّيْدِ

المعردات: «الميسر».. هو القمار بكل أنواعه. «الأنصاب».. حجارة كانوا يذبحون عندها تعظيماً لأصنامهم كما تقدم في الآية (٣) من هذه السورة صفحة ١٢٥. «الأرلام»... السموم التي كانوا يعرضون بها الغيب كما تقدم في الآية (٢) أيضاً.

«رجس».. خبيث مستقذر عند أرباب العقول السليمة. «فيما طعموا».. أكلوا وشربوا. «ليبلوكم».... يختبركم. «الصيد».. تقدم في الآية (١) صفحة ١٢٤ أن الصيد يطلق على ما يصاد من حيوان البحر ومن حيوان البر الوحش والمراد به هنا الثاني كما سيأتي في الآية (٩٦) صفحة ١٥٦.

المعنى: إذا حلفتم وحنثتم. وصرح بالكفارة ثانياً تأكيداً، وليرتب عليها قوله. واحصوا آياتكم، فلا تفرصوها بدون سبب قوى ولا تكثروا منها ولو صادقة فضلاً عن الكاذبة، انظر الآية (٢٢٤) من سورة البقرة صفحة ٤٥. كهذا البيان البديع يبين الله لكم آياته تدالة على شرعه لعلكم تشكرون نعمته على إخراجكم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. ثم ذكر سبحانه في معرض الكلام على المظالمات بعضها بلغ من خبثه أن يقرن بما فيه شرك فقال: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأرلام رجس من عمل الشيطان» أي مقاربتها وتناولها من وسوسة الشيطان وتربيته. وجرت عادة القرآن أن ينسب كل منكر شرعاً إلى الشيطان لأنه سببه، وإذا كان الأمر كذلك فاجتنبوه أي ابتعدوا عن هذا الرجس كله رجاء أن تفلحوا وتقوموا بما تحبون ثم بين حظ الشيطان في الخمر والميسر بخصوصهما لأنهما من المظالمات في الغالب فقال: «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء» تقدم شرحه في الآية (٦٤) من هذه السورة صفحتي ١١٩ . ١٥٠، بسبب تعاطي الخمر والميسر.

وهذه مفسدة دنيوية. أما الآخروية فهي في قوله ﴿ويصدقكم عن ذكر الله﴾ أي يلهيكم ويصرفكم عن تذكر الله وما يجب له ﴿وعن الصلاة﴾ حصنها مع أنها داخله في ذكر الله لأهميتها فبعد كل هذا البيان هل أنتم متهون؟ الكلام على معنى الأمر المؤكد أي اسهوا ثم عطف على قوله ﴿هاجتيبوه﴾ ﴿واطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في كل ما أمرا به ونهيا عنه واحذروا محالتهما فإن فيها شقاء الدنيا والآخرة كما تقدم. فإن أعرصتم عما أمرتكم فلا تفتروا بتأخير العذاب لأنه ليس في يد رسولنا، بل الذي في قدرته ومطلوب منه هو إبلأعكم أحكامنا إبلأعاً واصحاً بقطع العذر أما العذاب فعلياً نحن وسوفيكم حراءكم كما هي الآية (٤٠) من سورة الرعد صفحة (٣٢٨) ولما برل هذا التشديد في تحريم الحمر والميسر، سأل بعضهم عن حال الذين ماتوا وكانوا يشربون ويأكلون مال الميسر، وعن حال من كان عابياً منهم بعيداً عن المدينة وقت برول هذه الآية، وطبعاً كانوا يشربون الحمر ويأكلون مال الميسر وهم لا يعلمون القطع بالتحريم، لهذا كله أنزل سبحانه: ليس على الذين آمنوا وعميو، الصالحات من الأحياء والأموات والناصرين والمنايين إثم ومؤاحدة فيما أكلوا من الميسر وشربوا من الحمر فيما مضى قبل القطع بالتحريم، أو قبل العلم به، إذا ما اتقوا فيما مضى ما كان محرماً عليهم كالمذكور أول السورة، وكإسراف في المباح، وآمنوا بما كان قد برله سبحانه من القرآن، وعملوا الصالحات التي كانت قد شرعت في ذلك الزمن كالصلاة والصيام والجهاد، ثم اتقوا ما حرمه الله بعد ذلك عند العلم به، وآمنوا بما برل في هذا المحرم أحياناً وهي غيره لأن الإيمان يريد بزيادة المطلوب به كما في الآية (١٢٤) من سورة التوبة صفحة ٢٦٤، والآية (٢٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٢، والآية (٤) من سورة المتع صفحة ١٧٨، ثم اتقوا أي ارتقوا في التقوى فابتعدوا عن الشبهات خوفاً من الوقوع في الحرام، واحسبوا كل أعمالهم بأن أتوا بها على أكمل وجه، والله يحب المحسنين فيحفظهم من كل مكروه. ولما كان ظاهر العموم في الآية ٨٧ من هذه السورة صفحة ١٥٤ ربما يفيد نسخ حكم آيتي (٢، ١) من هذه السورة صفحتي ١٣٤، ١٢٥، ولما كان الإسلام شديد الحرص على المحافظة على حرمة البيت الحرام ومن احترامه ألا يؤدي قاصده غيره ولو حيواناً، أكد سبحانه الحكم الأول ودفع توهم النسخ وبين جزاء من يحالف بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله﴾ أي بما ملككم معاملة المحتير ليظهر للناس حالكم بشيء من الصيد المحرم صيده كما تقدم في الآية (١) صفحة ١٣٤ وسيأتي في الآية (٩٦) صفحة ١٥٦.

المفردات: ﴿حرم﴾: جمع محرم
يسكون الحاء وكسر الراء.

﴿النعيم﴾: هي الإبل والبقر والعم.

﴿أو عدل ذلك صياماً﴾: أى مصادل
ومساوى ذلك الطعام من الصيام

﴿وبال أمره﴾: أى سوء عاقبة فعله.

﴿الهدى والقلائد﴾: تقدمنا فى الآية (٢)
من هذه السورة صمحتى ١٢٤، ١٢٥.

﴿قياماً للناس﴾: أى سبباً لقيام مصالح
الناس الذين يجاورونه أو يحجبون إليه
ونظيرها فى الآية (٥) من سورة النساء

صفحة ٩٨. ﴿الشهر الحرام﴾: المراد الجنس فيشمل الأربعة الحرم

المعنى: تنال أيدىكم ورماحكم أى أنه كثير فيسهل أخذه ووجه الاحتياط أن المسافرين
يتلف على أكل اللحوم ولم يتيسر له حملها، فإذا وجد ما يريد من حيوان البر الوحشى الجائز
الأكل كالغزال والطير الوحشى فإنه يتهاوت عليه.

يبتدئكم ليعلم علم ظهور وتحقق من يخاف ربه فى حال غيبته عن عيون الناس، فيكون
خوفه خالصاً لوجه الله تعالى لا رياء، فمن اعتدى بأخذ شيء من صيد الحرم بعد علمه بهى
الله عنه فله عذاب فى الآخرة شديد الألم، وفى الدنيا بالتعزير والضرب.

ثم أعاد سبحانه النهى عن صيد البر للمحرم أو للداحل فى أرض الحرم كما تقدم أول
السورة ليرتب عليه جزاءه فقال:

تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيُعلمَ أَنَّهُ مَنْ حَرَّمَ بِالْعَيْبِ
قَبْلِ أَنْ تُدْخِلَ نَفْسُكَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهِ
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَنَوَّاهُ وَنَحْمُكُمْ وَأَنْتُمْ حَرَّمَ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ
مُتَعِدًّا عَرَاءً بِشَرِّ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ هَذَانِ تَتْلُوهُنَّ أَنْصَافُ أَنْصَافٍ أَوْ كَفِّرُوا بِطَعَامٍ مِثْلِهِ
أَوْ عَدْلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَتَأْلَ أَمْرُهُ عَمَّا أَفَى
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَسْأَلْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
الْعِقَابِ ﴿٢﴾ أَيْحَ لَكُمْ صَيْدٌ الْبَرِّ وَطَعَامُ السَّمَاءِ لَكُمْ
وَالْغَنَاءُ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَأَنْفُوا
أَعْنَاقَ الَّذِينَ لَكُمْ غَنَوْنَ ﴿٣﴾ حَقَّ اللَّهُ أَنْصَافُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا قَالُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَقْبَلُوا
وَالْعَدْلُ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السُّبُورِ

﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي محرمون بحج أو عمرة، ومن قتلته متعمداً فعليه حراء ذلك من الأنعام مماثلاً لما قتلته في هيئته وصورته إن وحيداً، وإلا فعليه قيمة المماثل، بحكم به رحلان عدلان منكم وقد حكموا في قتل النعامة بواحد من الإبل، وفي بقر الوحشى وحمارة ببقرة إنسية، وفي الطير بشاة فإن لم يكن للصيد مثيل من النعم كالمنصور والحراد فعليه قيمته يشتري بها طعاماً يعطيه للمساكين لكل مسكين مد وهو نصف قدح بالكيل المصرى الآن، حال كون هذا الجزاء المحكوم به مهدياً إلى فقراء الكعبة وأصلاً إليها، وبصح له أن يقدم لمساكين الحرم بدل هذا الجزاء من الحيوان طعاماً من جنس غالب قوت أهل البلد يساوى قيمة الجزاء، يعطى منه لكل مسكين مد أيضاً، أو ما يعادل ذلك الطعام من صيام بان بصوم عن كل مد يوماً.

فرض عليه الجزاء ليدرك سوء عاقبة فعله. عما الله عما سلف قبل التحريم، ومن عاد إلى قتل الصيد بعد تحريمه فيستقم الله منه في الأجرة مع جرائه في الدنيا بما سبق، والله عزير أي غالب لا يعلبه أحد، ذو انتقام شديد ممن يصر على معاصيه. أحل لكم أيها المؤمنون صيد البحر من سمك وغيره مما لا يعيش إلا فيه، وطعامه وهو المملح من سمكه حتى صار يعيش ربما طويلاً يتمتع بأكله المقيمون منكم والسيارة، أي المسافرون يترودون منه. وحرم عليكم أن تصيدوا حيوان البر الوحشى المتقدم ذكره ما دمت محرمين على الوجه المبين في الآية (١) من هذه السورة صفحة ١٢٤. واتقوا الله فلا تنتهكوا أوامره فإنكم ستعشرون إليه فيحاسبكم ويجاريكم حمل الله الكعبة التى هي البيت الحرام الذى حرم الله انتهاكه سبباً لقيام مصالح الناس الذين يجاورونه والذين يحجون إليه، بإيداع تعظيمه في قلوب الجميع، وجذب الأئدة إليه، وصرف الناس عن الاعتداء على من يجاوره وكذلك جعل الأشهر الحرم والهدى وهو ما يهدى للكعبة من الأنعام الموسعة على حيرانها العقراء، وجعل القبائل المتقدم بيانها في الآية (٢) من هذه السورة صمحتى ١٢٤، ١٢٥. جعل كل هذه قياماً للناس، فلا يصاب واحد بأذى فيها ولا واحد منها بسوء. قالوا كان في الأمم ملوك يدفع بعضهم شر بعض، ولما لم يكن في العرب ملوك جعل الله فيهم البيت، وهذه المذكورات تدفع شر المعتدى ولو في بعض الأمكنة والأرمة والحالات، فعل الله ذلك لأجل أن تعلموا إذا تأملت فيه أن الله تعالى يعلم ما في العالم العلوى والسفلى.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
مَاعْلَى الْأَرْسُولِ إِلَّا الْتَمَعَ اللَّهُ بِكُمْ مَا تَدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَا الْمَسْكُوتُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْهَمُونَ ﴿٨٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْفُوا عَنْ
أَنْبَاءِ اللَّهِ وَلَكُمْ نُزُورٌ وَإِنْ تَقْلُوا عِبَاءَ بِلَاسٍ
الْمُرَّةِ تَدَّ لَكُمْ عَمَّا أَفْتَحْنَا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾
قَدْ سَأَلْنَا قَوْمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ثُمَّ أَصْحَابَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
مَا حَمَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَافِرَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَرَمٍ
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُوا
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

المعمرات: .. «بحيرة» .. هي الناقة التي
تلد خمسة آخرها ذكر، فإن العرب كانوا يعد
الحامس يبحرون أدنها أي يشفونها
ويتركونها هبة للأصنام فلا تترك ولا تحلب
ولا تسمع من ماء ولا مرعى، فشق أدنها
علامة أنها ملك للأصنام. «سائبة» .. هي
الناقة التي يذرها الرجل، فكان أحدهم
يقول إذا شئيت من مرضي مثلاً فاقتي
سائبة أي متروكة للأصنام كما يقضيها.
«وصيلة» .. كانت الشاة عدهم إذا ولدت
أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً دبحوه لحدا
الأصنام، وإذا ولدت ذكراً وأنثى صفا قالوا
وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح للأنثى.
فوصيلة بمعنى واصلة. «حام» .. الحامي هو

الضحل من الإبل الذي حرج من صلبه عشرة أبطن، فإنهم كانوا يقولون حمى طهره فلا يركب
ولا يحمل عليه ولا ينعويه ماء ولا مرعى.

المعنى - يعلم أسرارهما، وهو سبحانه بكل شيء، سواء ما ذكر أو غيره، عليم العلم الكامل
بكل دقائقه، لذلك جعل في قلوب العرب على غلظتها تعظيماً لهذا المكان وللأعمال التي تعمل
فيه ولأزماتها، وكان في ذلك حقن للدماء وسعة في الرزق واعلموا أن الله شديد العقاب على
من أصر على معصيته، وأنه عزم رحيم لمن رجع إليه وأطاع.

هذه أحكام شرعناها لكم لحيركم، وليس على رسولنا إلا إبلاغها لكم، وقد فعل ولم يقصر
في تبليغكم كل ما طلب منكم، فلا عذر لكم بعد الآن، والله يعلم ما تظهرونه من أقوال وأفعال،
وما تكتُمونه وسيجازيكم على الجميع، فاحذروا مخالفة أمره، وبما أنه سبحانه سيحاري
الجميع فاعلموا أن عدله وحكمته اقتضيا أن لا يستوى عنده الخبيث مع الطيب، أي المصالح

والنافع، والفاسد والصالح، والحرام والحلال، والظالم والمعدل، إلى غير ذلك، ولو أعجبك أيها المحاطب كثرة الحديث من الناس ووجاهتهم، ومن الأموال المحرمة في التوسعة والتمتع بها، فالقليل الطيب من كل شيء خير من الكثير الحبيث مهما طن فيه من الفوائد فاتقوا الله يا أصحاب العقول العالصة من شهوات المفريات لتلكم تملحون إذا اتقيتموه. ولما شعر بعض الصحابة من آية «اليوم أكملت لكم دينكم» = الآية (٣) من هذه السورة صفحة ١٣٥ = أن مدة بقائه ﷺ بينهم أصبحت قليلة، أكثروا من السؤال عن أشياء لم تقع، وكان في هذا خطر التشديد عليهم في تشريع أحكام ثقيلة عليهم؛ روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال (أيها الناس إن لله فرص عليكم الحج فحججوا).. فقال أحدهم: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ حتى كررها السائل ثلاثاً، ثم قال ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، دروني ما تركتكم، هايما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم)، لكل هذا مزل قوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء مما لاحير لكم فيه كالتكاليف الشاقة وأسرار أعراس الناس، كقولهم من والد هلان؟ لشعص كانوا يشكون في نسبته لأبيه، ولهذا قال إن تبد لكم أي يظهر الله جوابها تسوكم لشدة تكاليفها أو بفضيحة أصحابها. واعلموا أنكم إن تسألوا عن مثل هذه الأشياء التي يسوكم جوابها، إن تسألوا عنها في وقت نزول القرآن أي في حياته ﷺ فإنها تظهر لكم، فتمرضوا أنفسكم لمصيب الله إذا مرطتم في التكاليف، أو لفضيحة ما كان مستوراً، عفا الله تعالى عن جملة تلك الأشياء التي بهيتم عن السؤال عنها بعدم التكليف بها، فاسكتوا أنتم أيضاً قد سأل مثل تلك الأشياء المستتعبة للدم قوم من قبلكم من بني إسرائيل فأصبحوا بسببها كافرين حيث لم يقوموا بما كلفوا به، فسألوا موسى أن يقاتلوا فلما فرض، أعرصوا، انظر الآية (٢٤٦) من سورة البقرة صمحتي ٥٠، ٥١. وسألوا عيسى إنزال مائدة ثم كفروا بها، انظر الآية (١١٥) الآتية من هذه السورة صفحة ١٦٠. وسألوا زيادة عبادة ولم يحافظوا عليها، انظر الآية (٢٧) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢ إلخ.

ولما نهى سبحانه في الآية (٨٧) من هذه السورة صفحة ١٥٤ عن تحريم ما أحله أراد أن يبين ضلال أهل الجاهلية في جرأنهم على التحريم فقال: ما جعل الله أي ما شرع ولا أدن أن يتخذ الناس بحيرة ولا مائبة ولا وصيلة ولا حاماً، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون هذه الأعمال المنكرة ويقولون أمرنا الله بها تكريماً لشفعائنا عنده وهي الأصنام

هذا فعل رؤسائهم، أما أكثرهم وهم المقلدون فهم لا يعقلون أن ذلك كذب من الرؤساء معطل للانتفاع بما أحل الله تعالى. وإذا قيل لهم تعالوا نتحاكم إلى ما أنزل الله في القرآن...

المفردات: - «شهادة» .. تطلق على الشهود أى الحضور، وعنه عالم الغيب والشهادة، وعلى الحلف، وعلم العلم، وعلى الإيصاء. «من ضيركم» .. أى من غير المسلمين. «ضربتم فى الأرض» .. سافرتم. «فأصابكم مصيبة الموت» .. أى قاربتم نهاية الأجل. «تحبسونهما» .. المراد بالحبس هنا الإمساك لأداء اليمين لا السجن المعروف. «من بعد الصلاة» .. صلاة العصر إذا كانا مسلمين وإلا فصلاة أهل دينهما، لأن المراد الوقت الذى يخاف فيه من الكذب. «إن ارتببتم» .. شككتم. «عشر» .. من العشر وهو الاطلاع على الشيء مصادفة. «استحقا إلما» .. أى فعلا ما

وَأَلَى الرُّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَدَّعَ عَلَيْهِ ءَاتَانَا
أَوْ لَوْ كَانَ ءَاتَانَاؤُهُمْ لَا يَعْمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْدُونَ ⑤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ
إِذَا أَهْدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ⑥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتْسَادُ ذَرَعَتَيْ
يَمِينِكُمْ أَوْ إِعْرَافٍ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ نَسْتَمِمْ فِي الْأَرْضِ
فَلْيَنْبِئْكُمْ بِحَبِّهِ أَتَمُّتُمْ تَحْبُسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَ بِأَنَّهُ إِنْ رَئَيْتُمْ لَا تَشْرَى بِهِ، ثُمَّ لَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَى وَلَا مَكْتُمٌ شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّ إِيَّاهُ لَأَتَيْنِ ⑦
فَإِنْ غَرَّ عَلَىٰ هُمَا اسْتَحَقَّا الْإِمَّا فَعَلَّرَ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمَا مَقَامَهُمَا
مِنْ اللَّهِ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَئِيْنَ فَيُقْسِمَانِ بِأَنَّهُ

يوجب استحقاق جزاء ذنب. «الأوليان» .. أى الأقربان من الميت اللذان لهما الأولوية فى البحث عن شئونه.

المعنى: . وتعالوا إلى الرسول المبين لما أنزل الله، أعرضوا وقالوا كافينا ما وجدنا عليه آياتنا من عقائد وأحكام. فرد عليهم سبحانه مسقفا لهم بقوله «أولوا» إلخ، أى أيكميهم ذلك ولو كان أبأؤهم جهلاء ولا يهتدون إلى سبيل الحق. وبعدما بين سبحانه أن الجاهل على التقليد الأعمى قلما ينفع فيه إصلاح، أراد أن ينبه المؤمنين إلى العناية بأنفسهم، والحرص على عدم تسرب الخلل إليهم، فقال «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» إلخ، أى الزموا إصلاح أنفسكم بمراقبة الله تعالى وإرشاد العالم للجاهل منكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه إذا فعلتم ذلك لا يضركم من ضل من غيركم إذا دعمتم أمتهم مهتدين. ثم وجه سبحانه الخطاب لكل الناس فقال: إلى مرجعكم جميعا، المؤمن وغيره، والصالح والفاسق، فنبئكم عند الحساب بما كنتم تعملون، ويجلزي كلا على حسب عمله.

روى الإمام أحمد عن أبي بكر رضى الله عنه أنه خطب يوماً فقال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية، يريد الآية المتقدمة، ولكم تضعونها في غير موضعها، وإنى سمعت النبى ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يعمهم الله بعذاب من عبده. ولما فرغ سبعمائة من أحكام تتعلق بأمور دينهم شرع فى بيان أحكام تتعلق بدنياهم وقع سببها أثناء نزول السورة؛ وذلك أن رجلين نصرانيين أحدهما يسمى تميم الدارى، والآخر عدى بن بداء بتشديد الدال كانا يتجران فى الجاهلية بين مكة والشام، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وهاجر معه كثير من قريش حوّل تميم وزميله تجارتهم إلى المدينة. وكان بديل بن أبى مریم مولى عمرو بن العاص تاجراً أيضاً أسلم وهاجر إلى المدينة مع أهله وخرج فى تجارة إلى الشام مع تميم وزميله، وكان معه صمن تجارته «جام» وهو إناء من فضة معلق بالذهب، فمر من الطريق، فكتب وصيته ووضعها فى وسط مناعه، وأوصاهما إن مات أن يسلما مناعه إلى أهله، ولما مات أحدا الجام وباعاه لما رجعا إلى المدينة بألف درهم وسلموا مناعه إلى أهله، فلما فتحو علموا فقد الجام، فسألوهما عنه فأكرا، فتراهما إليه ﷺ فزلت «يا أيها الذين آمنوا شهادة بيمينكم» إلى آخر الآية، فأمر ﷺ باستحصالهما وتحليمهما بأنهما ما قبضا غير ما سلماه. وبعد مدة ظهر الجام عند قوم فسئلوا عنه فقالوا اشترياه من تميم وعدى فكذبوهما فتراهما إلى النبى ﷺ ثانياً، هزلت الآية الأخرى «فإن عثر على أنهما استحقا إثماً» إلخ، فأمر ﷺ رجلين من أهل بديل أن يحلما على أن الجام للورثة، فحلف عمرو بن العاص وآخر وأحدهما

ومعنى الآيتين يا أيها الذين آمنوا الشهادة المشروعة بينكم إذا شعر أحدكم بأسباب الموت هى شهادة اثنين من رجالكم عدلين، هذا إن كنتم مقيمين، أما إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا مسلمين تشهدونهم فشهادة رجلين من غير المسلمين، فإن أدوها كما حملوها فالأمر ظاهر وإن شككتكم فى أمانتهما فاحضروهما بعد صلاة العصر ليحلما ويقولان فى يمينهما لا نشترى بيمين الله ثمناً ولو كان المقسم له من أقاربنا، ولا نكتم شهادة الله، إننا إذا كنتم لمن المذنبين، فإن علم أنهما استحقا إثماً بالكذب فالشاهدان الممول عليهما فى قص المراء رجلان أحزان من أقارب الميت الدين استحق أقربهم رد الشهادة عليه. «والأوليان» بيان «للاحزان» فيقسمان بالله....

لَشَهِدْتُمَا أَحَدٌ مِّنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَسَا إِنَّمَا إِذَا لَيْسَ
الْفُلَيْسِيْنَ ١٥) ذَلِكَ أَذَقُوا أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا
أَوْ يَخَافُوا أَن يَرُدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ
وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْغَافِلِينَ ١٦) * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَهْذَا أَجَبْتُمْ فَأَلَوْا لَا يَعْلَمُ لَكَ إِلَهٌ أَنْتَ
عَلَّمَ الْعُيُوبَ ١٧) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى إِنِّي مَرَّمُ بِكَ
بِقَبِي عَلَىكَ وَعَلَى وَلَدَيْكَ إِذْ أَيْدَتْكَ بِرُوحِ الْقُدُّوسِ
مُكَلِّمُ النَّاسِ فِي الْغَيْبِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِسَابَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهْفَ الظُّلُمِ بِأَيْدِي فَتَسْمَعُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي
وَتَرَى الْأَكْمَ وَالْأَبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ تَخْرِجُ النُّورَ
بِأَيْدِي وَإِذْ مَكَفَّتُ نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

المفردات: «شهادتنا».. المراد بالشهادة
هنا اليمين كما في الآية (٦) من سورة التور
صفحة ٤٥٧، وسميت اليمين شهادة لأنها
كالشهادة على المخلوف.

«ادنى».. اقرب.

«أو ترد ايمان».. أى إلى الورثة.

«روح القدس».. الروح المقدس وهو
جبريل.

«الأكمة».. مَنْ وَلَدَ أُمِّي.

«كهلاً».. هو الرجل النام الرجولية .

«تخرج الصوت».. من القبور بعد
إحيائهم انظر الآية (٤٩) من سورة آل عمران
صفحتي ٧٠، ٧١ .

المعنى: . يقسمان قائلين والله ليميننا أحق بالقبول من يمينتهما وطلب التعبير بذلك تادباً
والا فيمينهما لاحق فيها قطعاً.

وما اعتدينا عليهم في تكذيبهم ولا في يميننا، إنما إذا كنا اعتدينا لمن الظالمين لأمننا
وللعق، ونحن نعلم جزاء الظالم.

ذلك أى تحليف الشاهدين الأولين بعد صلاة، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها
الصحيح خوفاً من عذاب الآخرة أو خوفاً من أن ترد إلى الورثة فيحلفوا بعد حلمهم فيظهر
كذبهم.

(١) لشهادتنا	(٢) شهادتهما	(٣) الظالمين
(٤) بالشهادة	(٥) إيمان	(٦) إيمانهم
(٧) الفلستين	(٨) علام	(٩) يا عيسى
(١٠) والبنك	(١١) الكتاب	(١٢) التوراة
(١٣) إسرائيل		

فالمعنى: ذلك أقرب إلى تادية اليمين صحيحة خوف عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة المحرمة في كل الأديان، أو خوف أن يطلب اليمين من غيرهم، وفي هذا إهدار لحلمهم وفضيحة على رموس الأشهاد.

فاتقوا الله أيها الناس بترك الحياة والكذب، واسمعوا ما يأمركم الله تعالى به سماع قبول حتى تناثروا هدايته، لأنه لا يهدي الخارجين عن أوامره.

ولما كان معظم السورة في مجادلة أهل الكتاب أراد سبحانه أن يذّكرهم بما سيكون يوم القيامة. فقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ﴾ إلخ، أي واذكر لهم أيها النبي يوم يجمع الله الرسل فيسألهم وهو أعلم بكل ما حصل، لكن أراد أن يقيم الحجة على مَنْ خالف كسؤال المؤودة في سورة التكوير الآية (٨) صفحة ٧٩٤. أي هل أجابتكم أممكم إجابة إيمان وإقرار أم كفر وإنكار؟

قالوا لا علم لنا بهواطن جميع مَنْ عاصرونا ولا بحال مَنْ جاءوا بعدهم إذ هذا خاص بك لأنك علام الغيوب.

أما ما تقدم في الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧ من شهادة الرسل على أممهم فإنها شهادة على أنهم بلموهم فقط لتقطع حجتهم انظر الآية (١٦٥) من سورة النساء أيضاً صفحة ١٣١.... أما حقيقة باطنهم فليس لهم بها علم كما في الآيتين (٩٤، ١٠١) من سورة التوبة صفحتي ٢٥٧، ٢٥٩ و٤٦ من سورة هود صفحة ٢٩١.

ويمدما ذكر سبحانه سؤال الرسل إجمالاً شرع في تفصيل سؤال واحد منهم لإقامة الحجة على مَنْ أرسل إليهم الذين كان الحديث عنهم في هذه السورة، وهم بنو إسرائيل فقال.

إذ قال الله يا عيسى إلخ، روح القدس هو جبريل. وبقيّة الآية تقدم في الآيات (٤٦، ٤٨، ٤٩) من سورة آل عمران صفحتي ٧٠، ٧١....

واذكر يا عيسى معتي عليك حين كففت عنك إيذاء بنى إسرائيل فلم أمكنهم من قتلك ولا من صلبك كما كانوا يريدون، منعهم عنك حين جثتهم.....

المفردات :- «البيئات» .. المعجزات

«الحواريين» .. حوارى الرجل هم

خاصته.

«هل يستطيع ربك» .. الاستطاعة هنا

معناها الطاعة أى هل يطيعك ربك ويجب

دعائك، كاستجاب بمعنى أجاب.

«مائدة» .. هى الخوان الذى يوضع عليه

الطعام وهو شيء مرتفع عن الأرض. وتطلق

على الطعام نفسه.

«لأولنا» .. أى من حضر نزولها.

«وأخرونا» .. أى من يأتى بعدنا.

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ① وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاتَّبَعُوا بِأَسْمَاءِ مُتَمِلُونَ ② إِذْ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ③ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَّقْتَ وَكَوْنُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ④
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَبَءِ يَسَّكَ
وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ⑤ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلًا
عَلَيْكُمْ فَسَبِّحْوا بِحَمْدِ مَوْلَى رَبِّكُمْ إِذْ تَعْبُدُونَ عِدَابَ اللَّهِ
أَعْدَابًا مِّنْ أَعْدَابِ اللَّهِ ⑥ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

المعنى :- إذ جنّتهم بالمعجزات الواضحات فقال الكافرون منهم: ما هذا الذى جئت به إلا

سحر واضح.

واذكر نعمتى عليك أيضا حين أوحيت على لسانك أو هى الإنجيل إلى خواصك بأن آمنوا

بى ورسولى عيسى، قالوا آمنا واشهد يا ربنا بأننا مستسلمون ومنقادون لما تأمرنا به.

واذكر أيها النبى حين قال الحواريون لعيسى هل يطيعك ربك ويجب دعائك إذا سألته

(١) بالبيئات

(٢) الحواريين

(٣) يا عيسى

(٤) الشاهدين

(٥) الرازقين

(٦) العالمين

(٧) يا عيسى

أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ عِيسَى اتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَقْتَرِحُوا مِنَ الْآيَاتِ مِثْلَ مَا كَانَ يُقْتَرَحُ سَلَفُكُمْ كَقَوْلِهِمْ:

أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً وَغَيْرَهُ مِمَّا كَانَ فَتَنَةً لَهُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، لِأَنَّهُ يُوجِبُ الْخَوْفَ مِنْهُ تَعَالَى.

قَالُوا مُوجِّهِينَ طَلِبِهِمْ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ: يَرِيدُ الْأَكْلَ مِنْهَا تَهْرُكًا، أَوْ لِأَنَّا فِي حَاجَةٍ إِلَى طَعَامٍ.

الثاني: تَهْلُمُنَّ قُلُوبُنَا بِزِيَادَةِ الْيَقِينِ.

الثالث: نَعْلَمُ عِلْمَ مَشَاهِدَةٍ أَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَنَا فِيهِمَا وَعَدْتَنَا مِنْ أَنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِنَبِيِّتِكَ يَحَقِّقُ اللَّهُ رَجَاءَهُ.

الرابع: نَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ بِمَا عَايْنَا لَمَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا، وَمَعَ عِلْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ مَعْجَرَاتِهِ الَّتِي قَارَنْتَ دَعْوَتَهُ أَقْوَى مِمَّا اقْتَرَحُوا، انْظُرِ الْآيَةَ (١١٠) السَّابِقَةَ صُمِّمَتْ ١٥٩، ١٦٠، فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ كُلَّ مَعَادِيرِهِمْ فَقَالَ:

يَا اللَّهُ يَا رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَا نَطْلُبُ يَوْمَ نُزُولِهَا يَوْمَ سُرُورٍ لَمَنْ حَضَرَ نُزُولَهَا وَلَمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ، وَدَلِيلًا جَدِيدًا يَقْوَى مَا سَبَقَهُ.

قَالَ اللَّهُ: إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ، وَاشْتَرَطْتُ لِهَذَا الْوَعْدِ أَنْ مَنْ يَكْفُرْ مِنْكُمْ بَعْدَ إِذْ نَزَلَتْهَا فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَكُونُ. عَذَابًا آخَرَ مَعَ إِفْنَانِهِمْ، لِأَنَّ مَنَّتَهُ تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا أَجَابَ قَوْمًا لَمَّا طَلَبُوا مِنَ الْمَعْجَرَاتِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا أَهْلَكَهُمْ، انْظُرِ الْآيَةَ (٨) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٦٣.

ولهذا لم يجب كفار قريش لما طالبوا في الآيات (٩٠ - ٩٣) صُمِّمَتْ ٢٧٦، ٢٧٧ من سورة الإسراء وبيَّن سبحانه سبب المنع في الآية (٥٩) من نفس السورة صَفْحَةَ ٢٧٢.

وقال مجاهد والحسن وكثير غيرهم إن المائدة لم تنزل، وإنهم لما سمعوا الشرط

خافوا وقالوا لا حاجة لنا فيها. واذكر ايها النبي للناس يوم يقول الله يا عيسى بن مريم الخ... وعبر عما سبق في المستقبل بصيغة الماضي للإشارة إلى انه محقق الوقوع.

المعنى : . سأل سبحانه عيسى عليه السلام توبيخا لمن زعم هذا الباطل : هل أنت قلت للناس حقا اتخذوني أنا وامي الهين متجاوزين إفراد الله وحده بالالوهية ؟ وقد تقدم في الآيات (١٧، ٧٢، ٧٣) صفحات ١٣٩، ١٥١، ١٥٢ طوائف النصارى من حيث اعتقادهم في المسيح،

قال عيسى : سبحانهك أى تزيتها لك عما لا يليق بك، ما ينبغي لى ولا يصح أن أقول ما ليس لى بحق، لأنى أعرف أنى عبدك.

ثم استدل على براءته بقوله :

إن كنت قلته فقد علمته، لأنك تعلم ما انطوت عليه نصي فضلا عما يصدر من لساني، وأنا لا أعلم ما هي نفسك لأنك أنت وحدك علام الغيوب ثم بعد ذلك بين ما صدر منه فقال : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به.

أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَانكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَظِيمُ الْغُيُوبِ ١٣٩ مَا كُنْتُ لَهُمْ إِلَّا مَأْمُورًا
بِمَا أَمَرَنِي بِهِ لِي عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَا كُنْتُ فِيهِمْ قَلِيلًا تَوَفَّقَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبًا
عَظِيمًا وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٤٠ إِنْ تَعْلَمُهُمْ تَوَفِّقْهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَعْرِفْهُمْ فَلَا رَيْبَ أَنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ الْحَكِيمُ ١٤١
قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَجْعَلُ الْوَقَفِينَ يَدْرُجُهُمْ ١٤٢ هُمْ حَبَّتْ
طَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَشْهُرُ خَلِّدِينَ فِيهَا ١٤٣ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَدَخَلُوا عَهْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ ١٤٤ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٤٥

(١) سبحانهك

(٢) علام

(٣) الصادقين

(٤) جنات

(٥) الأنهار

(٦) خالدين

(٧) السموات

ثم بين ما أمر به بقوله:

أن اعبدوا الله ربي وربكم، وبعد ذلك كنت رقيباً عليهم مدة بقائى معهم، فلما توفيتنى وانقطعت عنهم كنت أنت يارب وحدك الرقيب عليهم فيما تراقب من خلقك، وأنت على كل شيء شهيد لا على هذا فقط.

ولما كان المسيح عليه السلام يعلم أن من أمته المؤمن والكافر فوض أمرهم جميعاً إلى الله تعالى فقال فى جملةهم:

إن تعذب من كمر منهم فإنهم عبادك وأنت العليم بظواهرهم وخافيتهم، وتعلم أنهم عبدوا غيرك، فإن عذبتهم فهو عدل منك؛ وإن تغفر لمن آمن منهم فإنه من فضلك ولا معقب لحكمك؛ لأنك أنت العزيز الغالب الذى لا يمنعه عما يريد أحد، الحكيم الذى يضع كل حكم فى موضعه، ولا يسوى بين المؤمن والفاسق كما فى الآية (١٨) من سورة السجدة صفحتى ٥٤٦، ٥٤٧.

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين فى إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم فى الدنيا، ثم بين النفع فقال :

لهم جنات تجرى من تحت غرفها الأنهار هذا ما يكون لهم من النعيم الجسمانى.

أما النعيم الروحانى فهو رضوان الله تعالى عنهم ورضاهم عنه، فهو أكبر من كل نعيم.

كما قال تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ الآية (٧٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢ ثم ختم سبحانه سورة بما يؤيد خطأ النصارى وغيرهم فى إشراك غيره تعالى معه فى العبادة فقال:

﴿الله ملك السموات والأرض وما فىهن﴾ أى فالكل عبيده فى قبضة يده، وهو على كل شيء قدير، من الإيجاد والإفناء، والمنع والعطاء، وتمذيب الكاذب وإثابة الصادق اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين، ولا تجعلنا فئة للظالمين.

سورة الأنعام

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا مِائَتٌ وَسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْبِلُونَ ①
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
عِنْدَهُ لَمْ أَنْتُمْ تَحْتَسِبُونَ ② وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ فِيهِ
الْأَرْضُ يَنْتَظِرُ بِكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ وَنَجْعُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ③
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مَعْرِضِينَ ④ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَتُوفَّ
بِأَنفُسِهِمْ أَمْثَلًا مَا كَانُوا يَدْرِيهِمْ يَسْتَهْزِئُونَ ⑤ أَلَمْ يَرَوْا كُرًّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصدرات: ﴿خلق﴾ . الخلق : إيجاد عن
تقدير وحكمة مطلقة، أى سواء لوحظ فى
المخلوق عند خلقه غيره أم لا . ﴿وجعل﴾ ..
الجعل إيجاد شئ، ملاحظاً فيه شئ آخر،
كجعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل فى
السماء هرجاً.

﴿الظلمات والنور﴾ . وهما حسيان كظلمة
الليل ونور النهار، ومسمويات كظلمة الجهل

والكفر، ونور العلم والإيمان. وأمرد النور لأن الحق واحد والباطل كثير. انظر الآية (١٥٣)
الآتية من هذه السورة صفحة ١٨٩.

﴿يعبدون﴾ .. يقال عدل كذا إذا سواه به، أى يسوون به تعالى الأصنام فى العبادة مع
أنها لم تخلق شيئاً.

﴿قضى أجلاً﴾ .. هو أجل مدة حياة كل فرد فى الدنيا.

﴿وأجل مسمى عده﴾ .. هو أجل قيام الساعة ﴿تتمترو﴾ .. تشكون.

المعنى . كل الشاء الحسن والذكر الحميل مستحق له تعالى، لأنه مصدر كل نعمة
تستوجب الحمد ومنها خلقه السموات والأرض، ووضع النظام الذى ينتج عنه ظلمة فيها سكن
المعصية، ونور فيه سعيه وكسبه، انظر الآيات (٧١، ٧٢، ٧٣) من سورة القصص صفحة ٥١٧.

والآية (١٢) من سورة الإسراء صفحتي ٢٦٥، ٢٦٦. ثم بعد هذا الصنع العظيم ترى الذين كفروا وجحدوا فصل ربهم يسوون به تعالى غيره ممن لا يستطيع خلق ذبابة يسوونه به في التقديس والصراعة إليه والخوف منه، انظر آيتي ٧٢ من سورة الحج صفحة ٤٤٤، و (٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٠. ثم خاطب سبحانه هؤلاء الكافرين لتوبيخهم على شنيع صنيعهم وتذكيرهم بنعمه عليهم في أنفسهم فقال: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ من مبدأ خلقتكم إلى انتهاء العالم، انظر الآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠ والآية (٢٠) من سورة الروم صفحتي ٥٢٢، ٥٢٣؛ ثم قدر لكم أجلين . أجل لكل فرد يمرف بانتهاء حياته، وأجل معلوم له تعالى لا يعلمه غيره وهو أجل بمتكم من القبور للعصاة والجزاء، ثم أنتم بعد كل هذا تجحدون وتجادلون في الحق، وهو أن القادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته بل هو عليها أقدر، كما في الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤؛ وهو سبحانه الخالق وحده المتصرف في السموات والأرض، ويستوى في علمه السر والجهر، ويعلم ما تكسبون من خير وشر. ثم أراد سبحانه أن يبين سبب عدم اعتدائهم مع قوة البراهين فقال: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم القرآنية الفاطقة بالوحيته ووحدايته إلا كانوا عنها معرضين فلا يمتثلون. فقد كذبوا بالحق وهو القرآن لما جاءهم على لسان نبينا فاستهزؤا به، انظر الآية (١٤٠) من سورة النساء صفحتي ١٢٦، ١٢٧ والآية (٥) من سورة الشعراء صفحتي ٤٧٩، ٤٨٠، فسوف يحل بهم ما تضمنته الأحبار التي جاء بها القرآن من خذلانهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة كما هي الآية (١٠) الآية من هذه السورة صفحة ١٦٣ والآية (٨) من سورة هود صفحة ٢٨٥ والآية (١٠٦) من سورة الكهف صفحة ٢٩٥؛ إلى غير ذلك. ثم شرع سبحانه في بيان ما توعدهم به مبينا أن سنته في أمثالهم كما جاء مفصلا في سورة القمر فقال: ألم يروا

المفردات : : «قرن» .. القرن من الناس القوم المعترفون في زمن واحد ومتوسط زمانهم حوالي مائة عام؛ ويطلق القرن أيضا على أهل عصر فيهم نبي واحد أو ملك مهما طال زمانه كقوم نوح وهود وعاد إلخ.

«السماء» .. المراد بها هنا المطر.

لَعَنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرَّبَ مَغْنَمَهُ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً ثَمَرًا
لَكَرَّ وَرَمَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَنْجَرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَجَازَاكَ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ وَتَأْتِيهِمْ قُرُونٌ
خَيْرٌ ① وَلَوْ رَأَيْنَا عَلَيْكَ كِبْرًا أَوْ قِرطاسًا فَلَسَوْه
وَيَأْتِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن فَتْنًا أَلَّا يَمُوتَ بَشَرٌ مِّنْ
وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُتِنَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يَسْطُرُونَ ② وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَبِئْسَ أَتَقِيمُ مَا يُلِيْسُونَ ③ وَلَقَدْ اسْتَفْتَى بِرَسُولٍ مِّنْ
قَبْلِكَ فَخَافَ وَابْتُغِيَ لَهَا نِهَايَةً مَا كَانُوا بِهِ يَنْتَفِرُونَ ④
قُلْ يَسِّرُوا يَوْمَ الْأَرْضِ لِمَن طَرَدُوا وَكُتِبَ كَانَ مَقْبُوعًا
الْمُكَذِّبِينَ ⑤ قُلْ لَيْسَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ
قُلْ يَوْمَ مَكْتُوبٌ عَلَى رَبِّهِ أَرْحَمُهُ لِيَجْمَعَكُمُ إِن

﴿مدرارًا﴾ .. غريرا ﴿قِرطاس﴾ .. أى ورق
﴿لا يسطرون﴾ .. لا يمهلون.

﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ .. أى جعلنا
الأمر عليهم كما يعطلون على أنفسهم فى
قولهم ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم

﴿عاق﴾ .. أى نزل وحل

المضى : ألم يعلم هؤلاء الكفار القرون
الكثيرة التى كانت قبلهم وأهلكناها لما عملت
مثل عملهم: مكناهم فى الأرض تمكينا لم
نمكنا لكم أيها الكفار. فكابوا أطول منكم
أعمارا وأقوى أجساما وأوسع سلطانا. ووسعا

لهم من لرق فارسا المطر عليهم غريرا وصيرنا الأنهار تجري من تحت قصورهم وحاتهم.
انظر الآية (٥١) من سورة الرحمن صفحة ٦٥٢ فلم يمس عنهم ما هم فيه شيئا فأهلكناهم
بسبب ذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قوما آخرين. أى أنه سبحانه لا يعجزه شيء إذ أهدت
المصعد يفر لأرض مغيره. ينظر آتى (١٤ ١٥) من سورة الشمس صفحة ٨١٠

ثم أرد سبحانه أن يبين لرسوله شدة عباد قومه وأنهم لا يرجى منهم فقال ولو برأينا عليهم
أيها النبي كلاما مكتوبا فى قراطس فندسوا القراطس بأيديهم للتحقق ورفع لشبهة لقائلو

- (١) مكناهم
- (٢) الأنهار
- (٣) فأهلكناهم
- (٤) كتب
- (٥) جعلناه
- (٦) نجعلناه
- (٧) عاقبة
- (٨) السموات

تعتنا وعنادًا ما هذا الكتاب إلا سحر واصبح وقالوا تشكيكا في رسالته صلى الله عليه وسلم :
 لولا أنزل على هذا الذي يدعى النبوة ملك يحبرنا أنه نبي. ولو أنزلنا ملكا كما اقترحوا لقضى
 الأمر بإهلاكهم كما تقدم بيانه في الآية (١١٥) من سورة المائدة صفحة: ١٦، ثم لا يمهلون بل
 يأخذهم العذاب عاجلاً.

وأيضاً لو جعلنا المنزل عليهم ملكاً لا بشراً لجعلناه متمثلاً في صورة رجل ليتمكن رؤيته
 لاستعالة رؤية البشر للملك على صورته الحقيقية. ولو جعلناه في صورة رجل لاحتلط الأمر
 عليهم كما كانوا وحيث يقعون فيما يلبسون أول الأمر، أي فهم يطلبون إما ما فيه هلاكهم، أو
 عبثاً.

ثم سلى سبحانه نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه فقال: ولقد استهزئ برسل من قبلك
 فأحاط بالندى سحرهم منهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون، انظر الآية (٥٩) وما بعدها من
 سورة الأعراف صفحة ٢٠٢ وما بعدها لتعرف كيف استهزئ بالرسل قبل محمد ﷺ قل أيها
 النبي مذكراً قومك بأحوال من قبلهم : سيروا في الأرض ثم انظروا بعين الاعتبار كيف صارت
 عاقبة المكذبين لرسولهم من إهلاكهم وترك ديارهم خراباً، انظر آيات (٧٤) من سورة الحجر
 صفحة ٣٤٣، و (٤٥) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، و (٥٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٠.

وقل أيها النبي لقومك الجاحدين. لِمَنْ ما في السموات والأرض ملكاً وحلقاً وتصرفاً؟ وقد
 ثبت أنهم يقرون بأنها لله كما في آيتي (٨٤، ٨٩) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٣، ٤٥٤،
 وآيتي (٦١، ٦٣) من سورة المسكوت صمحة ٥٢٩. ولذا قال في الجواب: قل لله أي لا خلاص
 بيننا في ذلك، فالجأهم بذلك إلى الاعتراف بخطأ عبادة غيره تعالى. وقل لهم أيضاً : إن الله
 الذي يملك كل شيء كتب وأوجب على نفسه الرحمة بمعباده فلا يجعل بمقوبتهم، ويقبل توبتهم،
 ووالله ليجمعنكم ويحضرنكم إلى يوم القيامة.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ هُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ مَا سَكَّرَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَبَّكَ فطِيرُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنَّ
 أَمْرْتُ أَنْ أَكُونَ أَكُونَ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَحْكُمْنَ مِنْ
 الْتَشْرِكِينَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ إِنَّ أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قَدَرًا
 وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْمُبِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَافِيَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٧﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
 الْغَنِيُّ ﴿١٠٨﴾ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذِهِ الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يُلْعَلْ

المفردات : - «إلى يوم القيامة» .. إلى
 بمعنى «فى» .. أى يجمعكم فى يوم القيامة
 أو بمعنى اللام كما فى قوله «والأمر
 إليك» .. أى والأمر لك، ويماعده قوله «يوم
 مجموع له الناس» الآية (١٠٢) من سورة هود
 صفحة ٢٩٩ أى للحساب فيه «لا ريب
 فيه» .. لا شك فيه.

«ما سكن» .. أى وما تحرك، فى الكلام
 اكتفاء بذكر أحد الطرفين المتلازمين
 لانفهامه من المذكور كما فى قوله: «سراييل
 تقيمكم الحر» .. أى أو البرد.

«وليأ» .. أى ناصراً وملجأ يفضع له.

«فاطر السموات» .. «مخترعها ومبتدئ خلقها».

المعنى : - ليجمعكم ليوم القيامة جمعاً لا شك فيه، ويجمع على الخصوص الذين خسروا
 أنفسهم بإهمال عقولهم، فهم لا يؤمنون أبداً ما داموا على هذا الحال. وكما أن لله كل ما فى
 السموات والأرض له أيضاً كل ما سكن وما تحرك فى الليل والنهار، أى أنه سبحانه مالك
 لجميع ما فى كل زمان وكل مكان، وهو السميع لكل أقوالهم وهمساتهم، العليم بكل ما تحميه
 الصدور. وإذا كان الأمر كذلك هقل لهم أيها النبى أعير الله الذى هذه صفاته أتخذ ناصراً
 ومعبوداً؟ أى هذا لا يصح ولا يكون من عاقل. ثم وصف نفسه بقوله: فاطر السموات والأرض،
 أى خالقهما لا على مثال سبق. وهو يطعم أى يرزق غيره طعاماً ولا يحتاج إلى رزق من أحد.

(١) القيامة

(٢) الليل

(٣) السموات

(٤) شهادة

وقل لهم أيضا إني أمرت من الله أن أكون أول مَنْ انتقاد لأوامره وحصص ليقتدى به غيري. وقيل لي لا تكون من المشركين به تعالى غيره في شيء أبدا، فالمراد أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك.

وقل أيضا أحاف إن عصيت ربي فيما أمر به عذاب يوم عظيم هوله وهو يوم القيامة. مَنْ يُصِرُّ عنه هذا العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله. وإبعاد العذاب في هذا اليوم هو العوز والنجاح الواضح.

ولما بين أن الحير والعذاب بيده يوم القيامة أراد سبحانه أن يبين أن الأمر كذلك في ثلثها فقال:

وإن بمسئسك أيها المخاطب بضر كمرض أو فقر وغيرهما من أنواع البلاء فلا مبريل له عنك إلا هو سبحانه، أي لا أحد من الخلق فضلا عن الأصنام. وإن بمسئسك بحير كصحة أو غنى أو ولد فلا راد له، لأنه على كل شيء من الضر والخير قدير، فلا يكشف الضر سواء، ولا يحفظ النعمة غيره. وهو القاهر الغالب فوق عباده بالقدرة والإخضاع، انظر الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١ يتضح لك معنى القهر. وهو الحكيم في تنفيذ أوامره، التعبير بأهل الخير والشر.

ولما قال مشركو مكة للنبي ﷺ: ما نرى أحدا يصدقك فيما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فأحبرونا بأنه ليس لك عندهم ذكر، فهل عندك مَنْ يشهد لك، أمره الله تعالى أن يقول لهم: أي شيء شهادته أكبر وأعظم وأحق بأن تكون أصح وأصدق؟ ثم أمره بأن يجيب عنهم بأن أكبر الشهادات شهادة الله، أي وإذا كانت هذه قيمة شهادته فهو شهيد بيبي وبينكم بأبي صادق وبأنكم معاندون، وقل لهم إن الله تعالى أوحى إلي هذا القرآن لأنذركم وأخوفكم بما فيه من الوعيد، وأنذر به أيضا كل مَنْ يلفه إلى يوم القيامة. وحصص الإنذار بالذكر مع أن القرآن فيه إنذار وتيسير لأن المخاطبين هنا كانوا كلهم كفار جاحدين بآسئسهم التخويف.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ أَعْلَمُ أَنَّ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَيْسَ بِهِمُ الْقُوَّةُ لَأَنْ يُدْعُوا
إِذَا دُعُوا ۚ وَبِئْسَ مَا يَشْكُرُونَ ۚ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَلَّمَ بِالْمُتَشَكِّكَةِ إِنَّمَا لَا يَفْطَحُ
الطُّغْيَانُ ۚ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَارًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَبَرُّكُمْ مَنْ أَذْكُرُ الَّذِينَ كُفِّرُوا عَنْهُمْ ۚ ثُمَّ لَنْ يَنْتَهُمَ
إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۚ أَطَرَكْتُمْ
كَذِبًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَعِزُّ بِإِنِّكَ وَجَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا فَاصْتَفَا بِهَا
حَقًّا إِذَا جَاءُوكَ بِخَبَرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا

﴿فقتلهم﴾.. المراد بالمتة هنا الكفر،
والمعنى عاقبة كفرهم.

﴿ضل﴾.. غاب. ﴿أكنة﴾.. اعطية جمع
كنان كفظاء وزنا ومعنى.

﴿يفقهوه﴾.. يفهموه على حقيقته.
﴿وقرأ﴾.. صمما وهو عدم السمع.

المعنى :.. قل لهم ايها الرسول موبخا لهم
على شركهم معلنا ببراءتك منهم: انكم
لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ثم قل لهم بعد
هذا الاستفهام التوبيخى: انا لا اشهد بما
تشهدون.

ثم قل لهم تقريرا للحق انما هو اله واحد واتى برىء مما تشركون به، ثم بين خطاهم
وخديعة اهل الكتاب لهم فى قولهم ليس لمحمد فى كتبنا ذكر بقوله الذين اتيناهم الكتاب.

وهم اليهود والنصارى يعرفون ان محمداً رسول الله بصفته المبينة فى كتبهم معرفة
محقة كتحقق معرفتهم لأبنائهم كما تقدم فى الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨،
فهؤلاء هم الذين خسرنا انفسهم بالكفر بالرسول وإنكار صفته، فهم لا يؤمنون أبداً خوفاً
على رياستهم ان تضيق إذا أسلموا وكانوا تابعين لمسيح المسلمين. ثم أشار إلى سبب خسارتهم
بانهم فى أعلى درجات الظلم بقوله: ومن أظلم، أى ولا أحد أشد ظلماً ممن اخترع على الله
كذباً كزعم أن له ولداً أو شريكاً أو وضع فى كتابه ما ليس منه وقال هو من عند الله كما فى
الآية (٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٥، أو كذب بآيات الله القرآنية والمعجزات القاطعة

بصدق رسوله، ولا شك أن الجمع بين هاتين الحريعتين من أيسر الظلم المانع من الصلاح والنجاة، لأن الظالمين لا يفلحون.

ثم أمر سبحانه بيه أن يعذرهم من خطر سيلاقبهم قطعاً فقال ﴿ويوم نحشرهم﴾ أي وادكر لهم أيها النبي يوم نحشر جميع الخلق ثم نقول للذين أشركوا منهم مع الله تعالى غيره توبيخاً أين من جعلتموهم شركاء لله وكنتم ترعمون أنهم يستحقون ذلك وبنهم يشعمون لكم عند الله ثم لم تكن عاقبة كمرهم الذي لارمونه طول حياتهم إلا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين بك، أي لم يكن منهم إلا الإنكار الشديد المؤكد بالنقسم لما رأوا العذاب ضاربين أن ذلك ينصمهم ولما حتم على أفعالهم كما هي الآية (٦٥) من سورة يس صفحة ٥٨٥ وشهد عليهم الشهود كما هي الآية (٢٠) وما بعدها من سورة فصلت صفحة ٦٣٢ وتبين أنه لا يسمع عثرهوا، انظر الآية (٤٢) من سورة النساء صفحة ١٠٧، والآية (٨٦) من سورة النحل صفحة ٢٥٧.

نظر أيها المحاطب كيف كذبوا على أنفسهم بقولهم ما كنا مشركين وعاب عنهم ما كانوا يفترون من أن لله شركاء يشعمون هيهم ثم أراد سبحانه أن يؤكد كذبهم فذكر بعضاً مما حصل ويحصل منهم فقال

ومهم أي من هؤلاء المشركين هريق يستمع إليك أيها النبي وأنت تتلو القرآن ولكنهم لا يتسمعون لأننا عاقبناهم لشدة عبادهم وحسدكم وتكرهم وتمكن كل هذه الأمور من قلوبهم بأن جعلنا على قلوبهم أغطية تسمعهم أن يسمعوا المسموع من القرآن، وجعلنا في آذانهم وقراً وهي أصيبتهم عمى، وهذا هو معنى قوله وإن يروا كل آية مما يدل على وحد بيته تعالى وعلى صدق رسوله لا يؤمنوا بها والكلام كناية عن أن ما هي قلوبهم من المرض حرمهم من الاستماع بمقولهم وأسماعهم وأبصارهم، انظر الآيات (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، و (١٧٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، و (٧٤) من سورة يونس صفحة ٢٧٨، و (٢٢) من سورة النحل صفحة ٢٤٧، (٤٦) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، (٢٠) من سورة محمد صفحة ١٧٥، و (١٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢١، و (٥) من سورة الصافات صفحة ٧٢٨، حتى إذا جاعوك يحدلونك هي دعوتك مكابرة لا لمرض الوصول للحق يقول هؤلاء الكافرون إن هذا، أي ما هذا

إِلَّا الْمُسْطَرِّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَعْمَرُونَ
عَنْهُ وَإِنْ يُنْكَرُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْمُرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ
رَأَىٰ إِذْ وَفَّوْا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا رَدُّوْنَا وَلَا نُكَلِّبُ
بِعَايِنَتِ رَبِّنَا وَمُسْكَوُنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ بَدَأَهُم
مَّا كَانُوا يَحْكُمُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُ الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ رَأَىٰ إِذْ وَفَّوْا عَنْ رَبِّهِمْ
قَالَ أَلَمْ يَسْخَرْنَا بِالنَّارِ قَالُوا بَلْ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِإِقْدَافِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَاتِلُوا بِتَحَسُّرٍ
عَنْ مَا فَرَّطُوا فِيهَا وَهُمْ يُجْرِلُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْدِئُ
مَّا يَشَاءُ مَا يَمْزُرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَهْوٌ

﴿اساطير﴾ .. جمع أسطورة وهي الأكذوبة
انظر الآية (٥) من سورة الفرقان صفحتي
٤٧٠، ٤٧١. ﴿ينهون عنه﴾ .. أى ينهون غيرهم
عن سماع القرآن لئلا يستولى على عقولهم
فيؤمنوا، انظر الآية (٢٦) من سورة فصلت
صفحة ٦٢٢. ﴿وينأون عنه﴾ .. أى يمرضون
عنه انظر الآيتين (٤، ٥) من سورة فصلت
صفحة ٦٢٠.

﴿وإن يهلكون﴾ .. إن حرف نفي بمعنى
﴿ما﴾ أى ما يهلكون إلا أنفسهم .. إلخ ومعناها
إن الآتية في الآية (٢٩).

﴿ولو ترى﴾ .. الخطاب لكل مَنْ يصح منه أن يرى في ذلك الوقت ﴿إذ وقصوا على الناس﴾ ..
أى حين تُوقِعُهُمْ ملائكة العذاب على شفير جهنم انظر الآيات (٥٣) من سورة الكهف صفحة
٢٨٨، و (٤٤، ٤٥) من سورة الشورى صفحة ٦٤٥ و ٩١ من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥؛
والأصل ﴿إذ يوقمونه﴾ أى في المستقبل يوم القيامة، ولكنه سبحانه عبّر بالفعل الماضي بدل
المستقبل ليفيد أنه محتم الوقوع حتى كأنه حاصل من الآن. ونظير ذلك ﴿أتى أمر الله﴾
الآية (١) من سورة الممل صفحة ٢٤٥ أى أنه لا بد من حصوله ﴿يأليتنا نرد﴾ .. أى يا ربنا
نتمنى عليك أن تردنا إلى الدنيا إلخ انظر الآية (١٠٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦.

﴿بل﴾ .. حرف يفيد إبطال ما فهم من كلامهم السابق من دعوى أنهم صادقون في الرجوع
إلى الحق لو ردوا إلى الدنيا، أى أن قولهم هذا غير صادر عن رغبة صحيحة في الإيمان.

- | | | |
|-------------|-------------|---------------|
| (١) اساطير | (٢) ويبأون | (٣) ياليتنا |
| (٤) بآيت | (٥) لكاذبون | (٦) يا حسرتنا |
| (٧) الحياة. | | |

﴿بدا لهم﴾ .. أى ظهر واضعاً.

﴿ما كانوا يحسمون﴾ .. أخصى، وكفر، وستر، كلها فى اللمة بمعنى واحد، وما كانوا يخفونه أى يكفرون به فى الدنيا هو البعث، والعصاب، والمذاب لمن كفر انظر الآيات (٢٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٧، و (٢٤) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١، و ١٤ من سورة الطور صفحة ٦٩٧: ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ .. ﴿هى﴾ أى الحياة التى نعيشها. ﴿حياتنا الدنيا﴾ أصل كلمة ﴿دنيا﴾ مؤنث ﴿الأدنى﴾ أى الأقرب، وصارت ﴿الحياة الدنيا﴾ عبارة عن الحياة المقابلة للحياة الآخرة ونظير ما هنا ما قالوه فى آيتى (٢٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٩، و (٢٤) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢. ﴿أليس هذا بالحق قالوا بلى﴾ ..

انظر هذا فى الآية (٢٤) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١.

﴿الساعة﴾ .. المراد بها هنا نهاية عمر كل واحد منهم التى تعتبر المرحلة الأولى من مراحل القيامة. ﴿فرطنا فيها﴾ .. الصمير يعود على الحياة الدنيا المفهومة من السياق كما فى الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٢٥٢، وكضمير ﴿أنزلناه﴾ فى الآية (١) من سورة القدر صفحة ٨١٥. ﴿أورارهم﴾ - جمع وزر يكسر أوله وأصله الحمل الثقيل، يقال وزره يزره يورن وعده يعمه بمعنى حمله أى الوزر على ظهره. والمراد بالوزر هنا الدنب.

﴿ألا﴾ .. كلمة تعيد تنبيه السامع لما بعدها ﴿ساء﴾ .. قَنَح.

﴿لعب﴾ .. المراد به هنا العمل الذى لا يقصد به فاعله غالباً مقصداً صحيحاً من تحصيل نفع أو دفع ضرر، كأعمال الأطمال التى يتلذذون بها لذاتها ﴿ولهم﴾ .. هو ما يشغل الإنسان عما يهمه مما يظن أن فيه تسلياً.

المعنى .. إنهم لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان، بل يقولون ما هذا الكلام الذى جئت به يا محمد إلا أكاديب وخرافات من خرافات السابقين من الأمم قبلنا، ثم لا يكتفون بهذا التكذيب المتبجح بل ينهون الناس عن سماع القرآن انظر الآية (٢٦) من سورة فصلت صفحة ٦٢٣ ويمرضون عنه بأنفسهم ليظهروا للناس عاية الضرر منه تأكيداً لنهيهم انظر آيتى (٤، ٥) من سورة فصلت صفحة ٦٢٠، وما يهلكون ويضرون بذلك إلا أنفسهم بتعريضها لأشد المذاب، وما يشعرون بهذا الضرر ولا يقصره عليهم.

ثم شرع في بيان ما سيكون منهم يوم القيامة فقال -ولو ترى يا مَنْ يصح أن ترى حال هؤلاء حين توقعهم الملائكة على حافة جهنم، ليلقوا فيها وهي تمور، لرأيت شدة حرعهم عندما يشاهدون هؤلاء عظيمًا لا يتصور، عند ذلك يقولون لهول ما شاهدوا.

يا ربنا نتعنى أن نرد إلى الدنيا لتعجب ما كان ما ولا نُكذب بآيات ربنا من القرآن والمعجزات ونكون من المؤمنين بكل ما جاء به الرسل، وهذا التعنى يصدر منهم عند مشاهدة النار، أما بعد دخولهم فيها فإنهم سيطلبون الخروج فجلاً، انظر الآية (٢٧) من سورة هاملر صفحتي ٥٧٦، ٥٧٧. ثم بيّن سبحانه أنهم كاذبون حتى في رعمهم هذا فقال بل بدا لهم إلخ أي ليس قولهم هذا صادرًا عن عزم صادق ورغبة في الإيمان، بل لأنه ظهر للفيان وأصحًا لا يمكن إخفاؤه ما كانوا يحمون عن الناس في الدنيا من الكمر بالبعث، والحساب، والعذاب لمن كمر. وإذا كان الأمر كذلك وكان المانع لهم من الإيمان هو الكبر والعسد، وهما من لأحلاق الدائية التي لا تضارق صاحبها، فلا يعتز أحد بتمنيهم، فإنهم لو ردوا إلى الدنيا كما تموا لعادوا إلى الكمر، وتكذيب الرسول حسدًا وكبرًا، انظر آيتي (٢٢، ٢٣) من سورة يوس صفحة ٢٦٩، والآية (٦٥) من سورة العنكبوت صفحتي ٥٢٩، ٥٣٠، فهم كاذبون فيما يقولون في تسميهم، وقالوا لا حياة إلا حياتنا الدنيا هذه، وما نحن بمبعوثين كما يقول محمد. ولو ترى أيها السامع حين يوقف هؤلاء للمرض على ربهم لسؤالهم، انظر الآية ٢٤ من سورة لصاهت، وقال لهم ربهم اليس هذا البعث وما بعده حقًا لا باطلا كما رعمتم، قالوا نعم وحقك يا ربنا، وأقسموا مبالغة في التدلّل لعه ببعثهم، فكان الرد قوله تعالى هذوقوا العذاب الذي أنكرتموه من قبل بسبب كمركم المستمر. قد حسر هؤلاء الذين كذبوا بيوم القيامة كل ما ربحه المؤمنون به تعالى من نعيم الرضا بقضاء الله والصبر على المكاره وأطمئنان النفس والقناعة وغير ذلك من كل ما امتاز به المؤمن في الدنيا التي تجعل حياته طيبة كما في الآية ٩٧ من سورة النحل صفحة ٣٥٩. حسروا كل هذا واستمروا حتى إذا جاءتهم الساعة بعتة أي ماعنة قالوا معلنين الندم يا حسرتنا على ما فرطنا في حياتنا الدنيا فلم نعمل فيها ما نتمنى فأنوا ذلك وهم يحملون ديوبهم على ظهورهم. وقال بمصهم إن الديوب تمثل لهم يوم القيامة أجساما قبيحة ثقيلة، انظر ما تقدم في الآية (١٦١) من سورة آل عمران صفحتي ٨٩، ٩٠ إلا قبح ما يحملون، ثم بيّن سبحانه حقيقة ما يفتر به الناس فقال

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ إلخ....

وَلِلَّذِينَ آمَنُوا خَيْرٌ لِّذِينَ يُتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾
 قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
 وَلَئِنْ أَطَعُوا لَئِيَّا لَيَكُونَنَّ أَهْلًا يَحْمَدُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ
 رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ مَآصِدَ الْبِرِّ وَالدُّعَاءِ حَتَّى
 آتِيَهُمْ صَرًّا وَلَا مِثَدَلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
 نَبِيِّائِ الْوَسْطَى ﴿٣٨﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَارُكَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْتَقِي بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 فَتَأْتِيَهُمْ بِغَافٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ۚ وَلَا
 تَكُونُ مِنَ الْخَالِفِينَ ﴿٣٩﴾ ۝ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَسْمِعُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ
 عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَيُظْمَرُوا ﴿٤١﴾

المضردات : : ﴿إنه ليحزنك﴾ .. كسرت
 همزة ﴿إن﴾ لأن العمل قبلها علق عن العمل
 باللام في ﴿ليحزنك﴾ وهذه اللام تسمى لام
 الابتداء لأنها لا تقع إلا في أول الجملة لتفيد
 تقوية التأكيد المعتمد من ﴿إن﴾ ولما كره
 العرب تجاوز حرفين ﴿إن﴾ و ﴿اللام﴾ أحروا
 ﴿اللام﴾ وجعلوها في خبر ﴿إن﴾ ..
 ﴿يجحدون﴾ .. الجحد التوكيد مكابرة لأنه
 إنكار باللسان لما هو ثابت في القلب انظر
 الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥ والآية
 (٢٠) الماضية صفحة ١٦٥ .

المعنى : وما أعمال الحياة الدنيا
 العاصمة بها التي لا علاقة لها بالأخرة إلا

كلعب الأطفال أو كلهو الكبار هي عدم النفع المعتبر عند العقلاء . وعدم الثبات وقصر الزمن .
 ولندار الأخرة خير للذين يتقون الله لدوام نعيمها : هل تغفلون عن هذا فلا تغفلون هذا المرق
 العظيم .. ولما اشتدت حراة المشركين في تحقير شأنه ﷺ محاولين صرف الناس عنه بكل
 السبل : فتارة يرمونه بالجنون والكذب والسحر كما هي الآيات (٦) من سورة الحجر صفحة
 ٣٣٨ ، و (٤) من سورة ص صفحات ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، و (٥٢) من سورة الداريات صفحة ٦٩٥ وتارة
 يقولون إن محمداً هو الذي اهترى هذا القرآن على الله كما هي الآية ٤ من سورة المرقا
 صفحة ٤٧٠ والآية (٤٣) من سورة نبا صفحة ٥٦٩ ، وتارة قالوا على القرآن نفسه إنه سحر
 كما هي الآية (٧) من سورة هود صفحة ٢٨٤ والآية (٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠ ، وتارة
 كانوا يقولون كان يصح أن يؤمن لو كان هذا القرآن نزل على رجل عظيم كما هي الآية (٣١) من
 سورة الرحرف صفحة ٦٥٠ : يقول لما كان كل هذا وكان ﷺ يحزن لذلك حزناً شديداً لأنهم
 قومه الذين يحب هدايتهم ، أراد سبحانه أن يسليه ﷺ فقال : قد علم أنه ليحزنك الذي يقولون
 مما سبق ومن اقتراح معجزات معينة كما تقدم هي الآية (٨) صفحة ١٦٢ وكما سيأتي في
 الآيات من (٩٠) إلى (٩٣) صفحات ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، فلا تحزن لأنهم لا يكذبونك عن عقيدة بل هم

جارمون في صميم قلوبهم بأنك على حق، ولكن هؤلاء الظالمين يكابرون في تكذيبهم بآيات الله الدالة على صدقك، ثم قوى سبحانه تسلية الأولى بتسليية ثانية فيها إرشاد لطريق النجاح فقال ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾، انظر الآية (٤٢) من سورة الحج صفحة ٤٣٩، وآيتي (٤، ٢٥) من سورة فاطر صفحات ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٥؛ ولما كان التكذيب يستلزم الإيذاء اكتمى بذكره في سياق الصبر فقال: ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾ أي وصبروا على الإيذاء حتى آتاهم بصبراً، ولا مبدل لكلمات الله في وعده بنصر الصابرين كما في آيتي (١٧١، ١٧٢) من سورة الصافات صفحة ٥٩٦، والآية (٤٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٧، والآية (٥١) من سورة عاقر صفحة ٦٢٤. ولقد حباك بعض أبناء المرسلين قبلك التي قصصناها عليك قبل هذا المتضمنة تكذيب الرسل وبصر الله لهم في النهاية. ومن أراد معرفة أشد ما فعله كمار قريش به ﷺ فليرجع إلى حديثي ٤٢٨، ٤٧٢ من كتابنا صفوة البخاري. ثم أكد سبحانه الصبر بأنه علاج لا بد منه فقال وإن كان شاكك معهم أنه كبير وعظم عليك إعراضهم عنك المفهوم من التكذيب فإن استطعت أن تطلب نفقاً أي طريقاً في جوف الأرض أو سلماً تصعد عليه إلى جهة السماء فتأتيهم بمعجزة مما اقترحوه ليؤمنوا كما يزعمون فافعل وأت لهم بما يطلبون، ولن تستطيع، أي فأرح نفسك بالصبر ولا تحزن ولا تحاول المستحيل. ولو شاء الله جمعهم على الهدى معكم لجمعهم بحبل الإيمان إخبارياً لهم كالملائكة، ولكن هذا يستلزم أن لا تكون الدنيا دار تكليف، لأن التكليف يستلزم الاختيار، والاختيار يستلزم التفاوت في التمكيز والعادات والميول، وإذا انتفى كل هذا فلا جنة ولا نار، لأنهما وجدوا على أساس تفاوت المكلفين في الطاعة والمعصية، وإذا كانت هذه هي حكمة الله تعالى فلا تكون أيها النبي بعرضك الشديد على إيمانهم من الجاهلين بسنة الله في خلقه الذين يتمنون حصول ما ليس من الحكمة حصوله.

وحوطلب نوح عليه السلام بأشد من هذا في الآية (٤٦) من سورة هود صفحة ٢٩١، وبعد ما بين سبحانه أن حكمته اقتضت تفاوت الناس، أراد أن يبين من منهم يعتار الهدى وهل هؤلاء منهم أم لا ليريح ﷺ نفسه من الحزن عليهم، فقال: إنما يستجيب أي يحبب دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقي إليهم سماع فهم وقبول، دون الذين لا يسمعون ولا ينظرون كأنهم أموات كما هي الآية (٤٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥، وموتى القلوب يخرجهم الله تعالى يوم القيامة من قبورهم ثم ترجعهم الملائكة إليه تعالى لينالوا جرائهم، ثم أراد سبحانه أن يبين شيئاً من عنادهم ليزيد في تسلية ﷺ فقال:

وقالوا لولا نزل عليه آية مما اقترحنا مما سبقت الإشارة إليه في الآية (٨) صفحة ١٦٣ وسيأتي بعضه في الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦ وما بعدها. قل لهم

أيها العبي إن الله قادر على أن ينزل آية مما
تقترحون ولكن أكثرهم لا يعلمون أن نزولها
حسب اقتراحهم فيه فهاؤهم جميعا إذا لم
يؤمنوا كما تقدم بيانه في الآية ٨ العشار
إليها صفحة ١٦٢.

المفردات :- «داية» . انظر معناها في
الآية (٢٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢ .
«يطير بجناحيه» : ذكر ذلك للتأكيد كما في
الآية (٤٦) من سورة الحج صفحة ٤٤٠ .
«أمم أمثالكم» الأمة هي الجماعة التي
تجمعها صفات وعادات واحدة متجانسة «هي

وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا
أُمٌّ امْتَلَكَتْ مَقْرَطًا وَيَكْنَىٰ مِنْ غَيْرِ ثُمَّ إِنَّ
رَبَّهُمْ بِخَبْرٍ ۝٤٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا سَوْفَ
نَعْلَمُهُمْ فِي الْأُصْبَاتِ مَنْ يَكْفُرْ أَفَرَأَىٰ أُفُوقَهُ غَمَامًا مُّجْتَمِعَةً
ثُمَّ صَرَبًا مُّسْتَقِيمًا ۝٤٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ
اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٥٠
بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَيَسْأَلُ مَنْ تَشْرِكُونَ ۝٥١ وَتَقْدَرُ أَرْسَالُهُ إِلَىٰ أُسْرِ مِنْ قَبْلِكَ
فَأَخَذَتْهُمْ بِالْأَسَاوِ وَأَعْرَافٍ لَعَلَّهُمْ يَحْزَنُونَ ۝٥٢
فَقُلْ لَا إِدْجَاءَ لَكُمْ بِأَسَا صَرَعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ
وَرَيْنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٥٣ فَلَمَّا نَسُوا
مَا كَانُوا يَدْعُونَ أَنفَكُوا عَنْهُمْ أَنْوَابَ كُلِّ نَفْسٍ إِذَا فُرِجُوا

الكتاب» : هو اللوح المحفوظ، انظر آيات (٥٩) الآتية صفحة ١٧١، و (٦) من سورة هود
صفحة ٢٨٤، و (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠، و (٢٩) من سورة الباء صفحة ٧٨٨،
و (٢٢) من سورة البروج صفحة ٨٠٢ . «من شيء» . «من» تلصق على عموم شيء، بعدها .
«أرايتكم» تتركب من الهمزة للاستفهام . والمعل رأى بمعنى علم وهذا الفعل متعد لمفعولين
وصمير البناء المفتوحة للمحاطب والكاف حرف خطاب . والميم علامة الجمع «أرايتكم»
بمعنى أحبروني وذلك عن طريق مجازين . الأول في الاستفهام بإرادة مطلق طلب الإبصار
والثاني هي الرؤية بإرادة الإخبار إذ رؤية الشيء سبب في الإخبار عنه
والمعنى . أحبروني إخبار من يعلم عن حالتكم عندما يصيبكم شيء هوو الأسباب هل
تدعون أصنامكم التي لا نصر ولا تقمع أم تدعون الله سبحانه وتعالى .

﴿هيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾: التقييد بالمشيئة هنا إشارة إلى أن الذي يمكن أن يُكشف عنهم عند الرجوع إلى ربهم إنما هو عذاب الدنيا قبل بلوغ الروح الحلقوم، ومشاهدة مقدمات الموت التي لا بد من حصوله بعدها أما بعد ذلك فلا يقعهم تصرع لما دلت عليه آيات أخرى، انظر الآية (١٥٨) من هذه السورة صفحتي ١٩٠، ١٩١، وابتنى (٩٠، ٩١) من سورة يونس صفحة ٢٨٠، وابتنى (٨٤، ٨٥) من سورة طه صفحة ٦٢٩.

﴿البأساء﴾ ما يصيب الإنسان في غير نفسه كعقد ولد أو مال ﴿الضرأ﴾ ما يصيبه في نفسه كالمرض.

﴿ينصرعون﴾ أي يتدللون ويخشعون لربهم تائبين، محافظين على التوبة غير ناقصين لها، ولا رجعوا حاسرين انظر الآية (١٢٥) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢ والآية (٢٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآية (٥٤) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، والآية (٦٥) من سورة العنكبوت صفحتي ٥٢٩، ٥٣٠، والآية (٣٣) من سورة الروم صفحة ٥٢٥.

﴿لولا﴾ تأتي كلمة ﴿لولا﴾ في لغة العرب لمعاني منها أن تكون شرطية تربط بين جملتين، نحو لولا طلوع الشمس لأظلم الجو، والمعنى لولا أن طلوع الشمس محقق لأظلم الجو. ومن ذلك في القرآن ﴿ولولا فصل الله عليكم ورحمته في الدنيا ولأخرة لمسكم فيما أخصتم فيه عذاب عظيم﴾ الآية (١٤) من سورة النور صفحتي ٤٥٨، ٤٥٩، ومنها إمادة الشخص، وهو الحصر على العمل أي طلب حصوله، قال تعالى ﴿ولا يحصر على طعام المسكين﴾ الآية (٣) من سورة الماعون صفحة ٨٢٣.

وهذا الطلب إما أن يكون على سبيل الرجاء، أو على سبيل الأمر فمن الأول ﴿لولا أحرقتي.. إلخ﴾ الآية (١٠) من سورة الماعون صفحة ٧٤٤، ومن الثاني ﴿لولا تستعصرون الله﴾ الآية (٤٦) من سورة النمل صفحة ٥٠٠، والعمل المذكور بعدها لا يكون إلا مضارعاً، أي دالاً على مستقبل، أو ماضياً مثلاً بالمستقبل، فمن الأول ما تقدم في صفحة ٥٠٠ ومن الثاني ما تقدم في صفحة ٧٤٤، لأن معناها أرحوك بآرب أن تؤخرني إلى أجل.. إلخ، كما تقول لمن يطالبك بدين له عليك

لولا أمهلتنى تريد أرحوك أن تمهلتنى. وقد يراد بـ ﴿لولا﴾ هذه التوبيخ والإشعار بالندم على التمريط. وهذه تعيد صمماً عدم حصول العمل المذكور بعدها، وإن كان فى صورة الماضى، ومنه قوله تعالى ﴿فلولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ الآية (١٦) من سورة النور صفحة ٤٥٩، فالمعنى إنكم تستحقون التوبيخ على عدم قولكم ما يكون لنا .. إلخ فهينمى لكم أن تقدموا على هذا التفریط.

وقد يراد بها أيضاً التعجيب والتعدي، وذلك حينما يطلب بها من المحاطب ما يعجز عنه. ومن ذلك فى القرآن قوله تعالى ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ الآية (٨٢) من سور الواقعة صفحة ٧١٧ لأن المراد هل تستطيعون إرجاع الروح إذا بلغت الحلقوم إلخ ما سيأتى وبظير هذا التعجيب فى القرآن قوله تعالى ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا إلخ﴾ الآية (٥٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٢٧١ ثم إن ﴿لولا﴾ لا بد أن يكون العمل المذكور بعدها متصلاً بها، ولا يفصله فى اللفظ فقط لا فى المعنى إلا أحد ثلاثة أشياء.

﴿إذ﴾ و ﴿إذا﴾ طرفان منصوبان بالفعل الذى أصله أن يكون قبلها نحو ما تقدم فى الآية (١٦) من سورة النور صفحة ٤٥٩ والآية (٨٢) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧

والثالث الجملة الشرطية نحو قوله تعالى ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعوبها .. إلخ﴾ وسيأتى بها ذلك فى الآية (٨٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧، فأصل التركيب فلولا ترجعون الروح إن كنتم غير مدينين.

ومن معانى ﴿لولا﴾ أيضاً إفاضة التضجع أى التوجع للزربة، والتأسف لحصولها، ويكون المراد حمل السامع على التأسف لما حل بإحوايه فى الإنسانية الذين أهلكتهم المصائب لمعاقبتهم أوامر ربهم، وبذلك يجتنبون جرائمهم التى أوقعتهم فى هذا الهلاك، ومن ذلك ما فى هذه الآية التى نحن بسبيل شرحها، وما فى قوله تعالى ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية يهون عن الفساد فى الأرض﴾ الآية (١١٦) من سورة هود صفحة ٢٠١، وقوله سبحانه ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قريباً آلهة بل صلوا عنهم .. إلخ﴾ الآية (٢٨) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠.

﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾. من أبواب الرزق الواسع، وصحة الأجسام.

المعنى : لما فرغ سبحانه من بيان آياته القاطعة بصدقه ﷺ ومن الرد على مقترحاتهم أراد أن يرشد المستعد منهم لنوع من آياته في الحيوانات لو تأملوها لعلموا أنه لا يكون إلا عن تدبير حكيم عليم، واستغفوا بذلك عن تعنتهم في اقتراح آيات معينة فقال ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ أيها الناس في تمييزها عن غيرها وتجانسها في أفعالها ونظام حياتها، وفي هذا أقوى دليل على حكمة العليم القدير، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشر هذه الأمم، أي يحشر المكلفون جميعاً، ومن الحيوانات مَنْ وقع عليه ظلم من مكلف ليشهد على مَنْ ظلمه كما تشهد عليه جوارحه كما في الآية (٦٥) من سورة يس صفحة ٥٨٥، وإيتى (٢٠، ٢١) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢، وكما تشهد الموءودة في الآية (٨) من سورة التكاوير صفحة ٧٩٤ والذين كذبوا بآياتنا من القرآن والحجج المبينة في الكون، صم لا يسمعون دعوة الحق سماع فهم وتدبر، بكم لا ينطقون بما قد يمرقون من الحق غارقون في ظلمات الشرك والعناد وتقليد الآباء.

مَنْ يشأ الله إضلاله بضلله بأن يتركه ونفسه يختار ما يشاء كما اقتضته سنته في نظام هذه الدنيا أن لا يجبر أحداً على شيء، انظر آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة صفحتي ٣٦٦، ٣٦٧، والآية (٢٦) من سورة البقرة صفحتي ٧، ٨؛ وليس المعنى أنه يخلق الضلال في العبد خلقاً قهراً عنه فتكون أفعاله وحركاته كحركة الدم في الجسم وعمل المعدة في الهضم فلا دخل له فيها ولا يستطيع الخلاص منها، وَمَنْ يشأ يجعله على صراط مستقيم وذلك بأن يوفقه للانتفاع بعقله وسمعه وبصره لسلامة طبيعته ونظافته من الأمراض المميتة للقلوب انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٦٦ والآية (٢٧) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥، والآية (٦٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٠، والآية (١١) من سورة التعين صفحتي ٧٤٦، ٧٤٧ وآيات (٥) من سورة الليل صفحة ٨١٠ كما لا يضل إلا فاسد الطبع الذي مرن على المعاصي حتى طمس قلبه، انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحة ٧، والآية (٢٥٨) من سورة البقرة أيضاً صفحة ٥٤، والآية (٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٧٧، والآية (٦٧) من سورة المائدة صفحة

١٥٠، والآية (١٠٨) من سورة المائدة أيضا صفحة ١٥٩، والآية (٢٧) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٤، والآية (١٠٤) من سورة النحل صفحة ٣٦٠، والآيات (٨، ١٠) من سورة الليل صفحتي ٨١٠، ٨١١ وغير ذلك، فمن حيث إنه سبحانه واضح الأسباب والمسببات صح أن يقال أنه يضل مَنْ يشاء ويهد مَنْ يشاء بمعنى أنه كان قادراً أن يغير لهم هذا النظام فيكون العالم كله مجبوراً، ومن حيث إنه سبحانه منح المكلمين الاختيار وسهل لهم الأسباب صح أن يرتب هدايته لهم وإصلاحه على عملهم فيقول مثلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذِبٌ﴾ الآية (٢٨) من سورة عاقر صفحة ٦٢١، ويقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا لَنَهَدِيهِمْ سُبُلًا﴾ الآية (٦٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٠، ثم بعد ذلك أراد سبحانه أن يبينهم إلى ما هي داخل فطرتهم التي أفسدوها لعلهم يرجعون فقال قل أيها النبي لمشركي قومك أرايتم، أي أحبروني ماذا تفعلون إن أتاكم عذاب الله في الدنيا كما أتى مَنْ قبلكم، كالريح الصرصر، والصاعقة والظواهر، أو أنتم مقدمات الساعة وأموالها، هل تدعون لكشف ذلك أحداً من آلهتكم غير الله إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة تتمتع، أم لا تدعون غيره تعالى؟ ثم اجاب بما هو الواقع منهم قطعاً في مثل هذا فقال بل إياه تدعون، أي لا تدعون غيره في حال الشدة كما هي عادتكم دائماً، انظر آيتي (٢٢، ٢٣) من سورة يونس صفحة ٣٦٩، والآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٣، فيكشف سبحانه ما تدعونه لكشفه إن شاء وعند هذه الشدة تقسبون ما تشركونه مع الله في العبادة، ثم أراد سبحانه أن يعصف على رسوله شدة عباد قومه وقسوتهم عليه فأحبره بأن أمم الرسل قبله كانوا أفسى قلوباً من أمته، وأن الشدائد ثم ترجعهم إلى الحق، ومع ذلك صبر هؤلاء الرسل كلما كذبوا حتى أتاهم نصر الله بإهلاك قومهم، انظر الآية (٣٤) الماضية صفحة ١٦٧ فقال هنا ولقد أرسلنا رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمتك فلما كفروا أرسلنا عليهم البأساء والصراء لعلهم ينصرون، ويرجعون إلى الحق رجوعاً صادقاً لا نكسة بعده، ولكنهم لم يفعلوا، فبأ حسرة عليهم حيث لم يفعلوا، واستمرت قلوبهم على قسوتها، وزين لهم الشيطان عملهم، فلما أمهلوا ما ذكروا به كأنهم نسوه، بلوناهم بالحسنات بدل السيئات، لنسلك بهم كل طرق الاحتيار، ونقطع عليهم سبل الاعتدال، انظر الآية (١٦٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠، فوسمنا عليهم في الرزق، وصحة الأحسام، فلم يردهم ذلك إلا بطراً وكبراً، حتى إذا فرحوا. ...

يَا أُولُوا الْأَلْبَانِ بَعَثْنَا مِثْرًا مِمَّنْ مِمَّنْ ۖ قَطَعَ
 دَارُ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَدُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى
 قُلُوبِكُمْ مِنْ إِنْ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ صُرِفَ
 الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
 طَلَبُ اللَّهِ بَعَثَ أَوْحَاهُ هَلْ يَبْكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ۖ
 وَمَا رَسَلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ قُلْ مَنْ
 وَأَمْلَحَ مَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ وَالَّذِينَ
 كَذَبُوا بِعَابَتِنَا يَسْتَمُوعُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ۖ
 قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلَكَ إِلَّا أَنْبِئُ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ
 هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۖ

المفردات : : «مبلسون» .. يائسون من
 المجاعة متعسرون. «دابر القوم» .. دابر
 الجماعة مؤخرها أى أهلكناهم من آخرهم.

«أرايتكم» .. انظر تركيب أرايتكم فى الآية
 (٤٠) صفحة ١٦٨ السابقة «نصرف
 الآيات» .. أى ننوع العجج على وجوه مختلفة،
 انظر آيات (١٠٥) من سورة الأسم صفحة
 ١٨٠ و (٤١) من سورة الإسراء صفحتى ٢٦٩،
 ٢٧٠ و (٥٤) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨؛
 «يصدفون» .. يعرضون عن التأمل .

«خزائن الله» . جمع خزانة، أو خزانة

وأصلها ما يخزن فيه الشيء النعيم، والمراد بها مستودع هيوصاته تعالى من رحمة، ورزق،
 وغير ذلك، انظر آيات (٢١) من سورة الحجر صفحة ٢٢٩ و (٩) من سورة ص صفحة ٥٩٨ و
 (٧) من سورة المنافقون صفحتى ٧٤٣، ٧٤٤.

المعنى : : أنعمنا عليهم برغد العيش، حتى إذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم فرح بطر وغرور،
 بدل أن يقوموا بحق المنعم، أخذناهم بعذاب الإغناء بقتة على غرة منهم، فإذا هم واقعون فى
 اليأس من النجاة، فقطع دابر الظالمين وهلكوا جميعا، والحمد لله رب العالمين على إهلاكهم
 لأن إهلاك الطغاة المفسدين إنقاذ لأهل الأرض من مفاسدهم.

وقل أيها النبى لهؤلاء المشركين أخبرونى إن أصعبكم الله وأعماكم وختم على قلوبكم حتى
 صرتم مجانين هل عندكم إله غير الله يأتىكم بما سلبه منكم؟ الجواب لا قطعا، وإذا كان الأمر

كذلك فلماذا تعبدون غيره، وغيره لا يملك لكم دفع ضرر ولا جلب نفع... انظر أيها السامع كيف نوح لهم البراهين ليتنبهوا ولكم مع ذلك يعرضون عنها إعراضا شديدا.

وقل لهم أيها النبي أيضا أخبروني عن مصيركم إن اتاكم عذاب الله الذي حلُّ بأمثالكم من الأمم التي كفرت بأنبيائها بفتة ولم تتقدمه أمارات تشعركم بقرب نزوله كما حصل لقوم لوط انظر الآية (٧٢) وما بعدها من سورة الحجر صفحة ٣٤٢، أو يأتيكم جهرة أي ظاهرا ترون مقدماته كما حصل لقوم عاد انظر آيات (٢١) وما بعدها من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩ وما بعدها، فهل يهلك به إلا الظالمون منكم وهم المصرون على الشرك، أما الرسل ومن آمن معهم فإنهم يسجون كما حصل لقوم نوح في الآية (٤٠) من سورة هود صفحة ٢٩٠، ولقوم لوط كما في آيتي (٨٢، ٨٤) من سورة الأعراف وغير ذلك كثير.

ولما سبق في الآية (٢٧) أنهم كانوا يقترحون معجزات مخصوصة عنادا مع كثرة آيات الرسول ﷺ قال هنا في تمام الرد عليهم:

وما نرسل المرسلين لأمرهم إلا مبشرين من أطاع بالجنة، ومنذرين ومنذرين ومنذرين من عصي بالنار، أي ولم نرسلهم ليتلقوا من أمرهم اقتراحات بمعجزات معينة ليستغفروا منهم، فمن آمن من هؤلاء الأمم واكتفى بمعجزة رسوله وأصلح عمله فلا خوف عليهم من عذاب ولا هم يعجزون على قوات ثواب.

أما الذين كذبوا بآياتنا التي اخترناها لكل رسول مناسبة لزمانه بمنهم العذاب بسبب استمرارهم على الفسق والخروج عن الطاعة وقل لهم أيها النبي: لا أقول لكم أيها الكفار عندي خزائن الله أتصرف بها فيها فأجعل في الأرض جنات كما تقترحون في آيتي (٩٠ و ٩١) من سورة الإسراء صفحتي ٣٧٦، ٣٧٧، ولا أعلم العيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، فلا أعلم القيامة التي تكثرون السؤال عنها تعديا وعنادا، ولا أقول إن ملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر حتى تكلفوني ما في آيتي (٩٢، ٩٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٧، وما أتبع إلا ما يوحى إلي من الله. وإذا كان الأمر كذلك فقل لهم لا يستوى الأعمى أي الضال عن الحق، والبصير أي المهتدي، أفلا تتفكرون أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فتفكرون. فالاستفهام توبيخ على عدم السماع وعدم التفكير في تلك الحجج.

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَيْكَ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
 قُوَّةٌ وَلَا نَجْوَى وَلَا شَيْعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْرُدْ
 الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَى وَالْعَنَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
 مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
 مِنْ شَيْءٍ وَتَقْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ
 فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ جَاءَكَ
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِكَ قُلْ سَمِعْتُ عَلَيْكُمْ كُتِبَ رَبُّكُمْ
 عَنْ نَفْسِ الرَّحْمَةِ أَنْ تَعْمَلَ يَوْمَ سَوَاءٍ يَجْهَلُونَ ثُمَّ
 تَأْتِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ عُورٌ رَجِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ
 نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي أُهْدِ الْإِسْلَامَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿كتب ربكم على نفسه﴾ .. أى فرض

وأوجب على نفسه تفضيلاً منه.

﴿أيه مَنْ عمل منكم .. إلخ﴾ .. هذا يدل أو

بيان للرحمة ببعض أنواعها.

﴿بجهالة﴾ .. أى بنفسه وطيش دفعه إلى

السوء لا عن تعمد وإصرار دائم.

المعنى : .. وأنذر بما يوحى إليك وهو

القرآن المؤمنين الذين يخافون من حشرهم

إلى ربهم للحساب والجزاء وخصهم بالذكر

لأنهم هم الذين ينفهم الإمداد قال تعالى:

﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ الآية (٥٥) من

سورة الذاريات صفحة ٦٩٦ وفي معناها الآية (١٨) من سورة طه صفحة ٥٧٤ والآية (١١)

من سورة يس صفحة ٥٨٠؛ المؤمنين الذين يعتقدون أنه ليس لهم من دون الله ناصر ولا معين

ولا شيع، انظر الآية (٢٥٤) من سورة البقرة صفحة ٥٢ والآية (١٩) من سورة الانصاف

صفحة ٧٩٦، أنذر هؤلاء لعلمهم يخافون على اتقاء ما يعصبه سبحانه روى ابن جرير عن

عبدالله بن مسعود أن هذه الآية وما بعدها ملتا في صحفاء المسلمين وهقراتهم فكانه

سبحانه يقول إذا أعرص عنك المتكبرون فوجه عنايتك هؤلاء المخلصين فإنهم سيكونون قوة

أمتك فيما بعد. وبيان ذلك أنه مر ذات يوم نعر من صناديد قريش على النبي ﷺ ومعه بلال

وصهيب وعمار بن ياسر وحناب وغيرهم من المستضعفين من المسلمين فقالوا يا محمد

كيف تجالس هؤلاء دون كبار قومك؟ هؤلاء هم الذين من الله عليهم من بيننا؟ اطردهم عنك

فلعلك إن فعلت تتبعك

هزل فيهم ٠ وأندر إلى آخر الآية (٥٥)، وكانت هذه عادة المستكبرين دائماً، انظر الآيات من (٢٧) إلى (٣١) من سورة هود صفحات ٢٨٨، ٢٨٩ وآيتي (٧٢، ٧٤) من سورة مريم صفحة ٤٠٣ وآيتي (١٠٩، ١١٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥. ولا تطرد أيها النبي هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره، والمراد في جميع الأوقات، يريدون وجه الله أي محلصين، لا تطردهم إرضاءً لكمار قريش الذين طعنوا في إحلاصهم واتهموهم بالنفاق، فما عليك أيها النبي من حساب هؤلاء الضعفاء شيء، كما أنه ليس من حسابك عليهم شيء أي كل منكما محاسب أمام ربه فيما يتعلق بداخل ضميره، فهي في معنى قوله ﴿ولا ترر وازرة ورر أخرى﴾، انظر الآية (٤٠) من سورة الرعد صفحة ٢٢٨ والآية (١١٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦ وإذا كن الأمر كذلك فلا تسمع دس الكافرين وتطردهم، فإنك إن فعلت كنت هي عداد الطالبين، وحاشاء ﷺ أن يقع في ظلم، وكهذه المنة التي وقع فيها الأقوياء فتنا كل متكبر بالضعفاء كما فتنا وامتحننا المستضعفين من المؤمنين والمقرء منهم بالأقوياء والأغنياء، انظر الآية (٢٠) من سورة المرقاں صفحة ٤٧٢ ليظهر معدن كل منهما، ويتبين المحلص في إيمانه الذي لا يهتم إلا بما يقربه من الله من المتكبر الذي تهمة المظاهر، انظر الآية (٢٧) من سورة هود صفحة ٢٨٨ والآية (١١١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦ والآيات من (٣١) إلى (٣٥) من سورة الرحرف صفحة ٦٥٠ فتنا بعضهم ببعض واحتشربناهم ليقول المتكبرون هؤلاء المقرء المساكين هم الذين من الله عليهم من بيننا بهذه النعم التي يقول بها معتمد، وهي أنهم سيكونون سادة في الدنيا سعداء في الآخرة؟ هذا لن يكون، انظر الآية (١١) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧ فرد الله تعالى عليهم بقوله ليس الله أعلم بمن يشكر نعمته هيجاريه رعم أنوفكم، وبعد أن نهاء الله عن طردهم أمره سبحانه بأن يكرمهم ويجمالهم فقال وإذا جاء الدين يؤمنون بآياتنا فقل لهم سلام من الله عليكم، أي أبلغهم تحيتي وطمئنتهم بأن ربهم أوجب على نفسه تفصلاً منه ورحمة أنه من عمل منكم دنياً مندفعاً إليه بلا روية ولا تصميم ثم سارع إلى التوبة والندم وأصلح أعماله بالإخلاص في التوبة غفر الله له لأنه كثير المعفرة واسع الرحمة.

وبمثل هذا التمهيد البديع بمصل وتنوع الآيات القرآنية الدالة على الحق لبيان الحجج والمواعظ، ولتظهر طرق المجرمين فسهل اجتنبها. ثم أمره أن يقول لهؤلاء الطغاة أي نهيت أي نهائى ربي ومنعتى أدلة العقل عن أن أعبد الدين تدعونهم من دون الله.

قُلْ لَا آتِيحُ أَهْرَاءُكُمْ قَدْ صَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَّبِعِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ
مَا عِندِي مَّا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَحْكُرُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْعَلُ
الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْمُتَعَصِّلِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ لَّوْ أَنِّي عِندِي
مَّا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفَعْنِي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلَّهُ أَكْبَرُ
بِالْظُّلُمِ ﴿١٨﴾ • وَعِندَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْشَى
إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْمَعُ مِنْ ذُرْقَةٍ
إِلَّا يَعْشَى وَلَا حَبَّةٍ فِي حُشْبِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاسَى
أَجَلُ كُلِّ نَفْسٍ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الْغَافِرُ قَوِيُّ عَزِيزُهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

المفردات :- ﴿اهواءكم﴾ .. أى شهواتكم
القائمة على الباطل لا على الدليل.

﴿بينة من ربى﴾ .. أصل معنى بينة واصحة
شديدة الوضوح وتطلق على المعجزة كما هي
الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧، والآية
(٩٢) من نفس السورة صفحة ١٨، و ١٠١ من
سورة الإسراء صفحة ٢٧٨، وتطلق أيضا على
الدليل القاطع كالقرآن الكريم كما هي الآية
(٩٩) من سورة البقرة صفحة ١٩، والآية
(١٥) من سورة يونس صفحات ٢٦٧، ٢٦٨
والآية (١) من سورة النور صفحات ٤٥٦، ٤٥٧
وتطلق أيضا على العلم القطعى الناتج عما
تقدم كما هي الآية (٤٢) من سورة الأنفال

صفحة ٢٢٢ ويعبر عنها هي القرآن أحيانا بالبصيرة كما هي الآية (١٠٨) من سورة يوسف
صفحة ٢١٩. ﴿يقص الحق﴾. أى يتبع هي فعله الحق. من قولهم قص أثره أى تبع طريقه
﴿مفاتيح الغيب﴾ جمع مفتاح يفتح الميم كمرصد ومراصد وهو المحرر أى عبده حرش
الغيب، أو جمع مفتاح بكسر الميم كمبرد ومبارد وهو المفتاح. ﴿هى كتاب مبين﴾. هو للوح
المحفوظ انظر الآية (١٢) من سورة يونس صفحة ٥٨٠ والآية (٢٩) من سورة النبا صفحة
٧٨٨. ﴿يتوفاكم بالليل﴾. المراد يصعب صلة الأرواح بالأجساد فلا يشعر النائم بما يشعر به
المتيقظ، انظر الآية (٤٢) من سورة الرمرر صفحة ٦١٢. ﴿جرحتهم﴾. جرحه جرحاً كسفه
أحدث بجسمه تمزقاً، ولهذا سميت السباع حوارج لأنها تجرح كما تقدم في الآية (٤) من سورة
المائدة صفحات ١٢٥، ١٢٦. ومن المجاز فيه قولهم جرحه بلسانه أو هي شهادته إذا طعن فيه
وحوارج الإنسان هي يدها ورجلاه التى يكتسب بها. ولهذا قالوا إن المعنى هذا ويعلم ما
كسبتهم من الإثم، لأن سياق الآية فى التهديد والتوبيخ فياسبه كسب الذنب. ﴿يبعثكم فيه﴾.
أى يوفقكم فى جنس النهار لا فى النهار المتقدم. ﴿القاهر فوق عباده﴾ أى الغالب فوق
عباده بالقدرة والإحصاء انظر الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١.

المعنى : . قل لهم أيها النبي أيضا لا أسير في طريقكم الذي سلكتموه من اتساع الهوى وإغمال الدليل، لأن هذا هو الضلال بعينه، ولذا قال قد ضللت مثلكم إذا اتبعت أهواءكم. وما أنا حينئذ على شيء من الهداية.

ثم بيّن ما يجب أن يكون عليه المؤمن فقال: إني سائر في عملى على بيعة واضحة من صحيح القرآن الذى جاءنى من عند ربى والحال أنكم قد كذبتهم بهذا القرآن المعبر عنه «ببينة». ولما زعموا أنهم لم يصدقوه لعجزه ﷺ عن الإتيان بما توعدهم به من العذاب رغم تكرار طلبهم أن يأتيتهم به، انظر آيات (٢٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، و (٤٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، و (٥٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨، و (١٨) من سورة الشورى صفحة ٦٤١، ولما غالطوا بذلك رد عليهم بقوله: ما عندى أى ليس عندى ما تستمعلون حصوله من العذاب لأنه مرهون بإرادة الله وحكمته، وما الحكم فى كل شيء يحدث فى هذا العالم إلا لله، فهو وحده الذى ينزل العذاب على من يشاء متى يشاء، يتبع سبحانه فى فعله الحق والحكمة، وهو خير العاصين بين الحق والباطل. وقل لهم أيضا : لو أن عندى ما تستمعلون به من العذاب لقضى الأمر بينى وبينكم بإنزاله عليكم سريعا لشدة غضبى من عصيانكم لربى وإيقادا لمعباده الضعفاء من بطشكم، ولكنه ليس فى يدي، والله سبحانه وحده هو الأعلم بمقدار ظلم الظالمين، فهو وحده الذى يتولى عقابهم، كل على حسب حاله، وهو العليم أيضا بحكمة اختبار الوقت الذى ينزل فيه العذاب، انظر آيات (١١) من سورة يونس صفحة ٢٦٧، و (٥٨) من سورة الكهف صفحة ٢٨٩، و (٤٥) من سورة طه صفحة ٥٧٨ ولذا قال - وعنده سبحانه مفاتيح الغيب، أى أن سر العيب المطلق كله بيده سبحانه لا يعلمه غيره إلا عن طريقه، ويعلم ما فى البر والبحر من الظاهر والخافى عليكم، أى أن تعلق علمه سبحانه بالمشاهدات كتعلقة بالمنفيات، فالكمل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء. يعلم كل أحوالها لا يحصى عليه منها شيء مهما صغرا وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، وما تسقط حبة فى ظلمات الأرض، ولا يسقط شيء رطب ولا يابس من الثمار ونحوها إلا ثابت كل ذلك فى كتاب هو اللوح المحفوظ، وكل هذا كناية عن إحاطة علمه سبحانه بتفاصيل كل شيء فى هذا العالم صغيره وكبيره علويه وسفليه لا مجرد المذكورات فقط. وهو الذى يتوفاكم بالليل بالنوم فيه، انظر الآية (٤٢) من سورة الرمرر صفحة ٦١٢، لراحتكم كما فى الآية (٧٢) من سورة القصص صفحة ٥١٧، مع أنه يعلم ما كسبتكم من الذنوب فى النهار السابق على الليل الذى تفضل عليكم فيه بما فيه راحتكم، ثم يوقظكم فى النهار لتسمعوا فى الأرض، وهكذا ينمىكم ويوقظكم إلى أن يقضى الأجل المقدر لكل فرد منكم فى هذه الدنيا، ثم يميتكم فترجعون إليه فينبئكم بما داومتم عليه من عمل خير أو شر، ويجازيكم عليه. وهو القاهر فوق عباده فلا يعجزه أحد منهم وقد تقدم بيانها فى الآية

حَفَظَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفْعَلُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُمْ الْخَلْقُ أَلَا لَهُ
الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ مَنْ يُبَشِّرُكُمْ
بِالْعَذَابِ الْبَرِّ وَاتَّبِعُوا دُعْوَنِي تَصْرَعُوا وَخُفِّعُوا لِي أَنْجِسًا
مِنْ قَلْبِهِ لَتَسْكُوتَ مِنَ التَّسْكِينِ ﴿٢٠﴾ قُلْ اللَّهُ يُبَشِّرُكُمْ
بِمَاءٍ مِنْ كُلِّ نَبْتٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ
عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِمْ ذُلًّا مِنْ تَحْتِ أَنْفُسِكُمْ أَوْ يَكُونُوا
أَرْجُلًا أَوْ يَكُونُوا شِجَاعًا وَمُؤْتًا بِمَعْصِكُمْ بِيَمِينِكُمْ
أَوْ يَكُونُوا كَالْأَنْبِثِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٢٢﴾
وَسَكَتَ بِرَبِّهِمْ قَوْمًا وَهُوَ الْعَلِيُّ قُلْ لَنْتُ عَلَيْكُمْ
بِرَبِّكُمُ ﴿٢٣﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْأَنْبِثِ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

(١٨) من هذه السورة صفحة ١٦٤، ويرسل
عليكم لتسجيل أعمالكم حفظة...

المفردات : : ﴿حفظة﴾ : هم الكرام
الكاتبون في الآية (١٠) من سورة الانقطار
صفحة ٧٩٥. ﴿ألا له الحكم﴾ : ألا كلمة تدل
على تبيينه السامع لما بعدها لأهميته.
﴿ظلمات البر والبحر﴾ : الظلمات كناية عن
الاهوال والشدائد.

﴿تضرعا وخفية﴾ : التضرع المبالغة في
الضراعة وهي التذلل والخضوع وتكون في
العالم جهرًا. والعفوية الاستتار خوفا من
الرياء.

﴿أو يلبسكم شيعا﴾ : يقال لبست الأمر
لبسا كضرب خلطته. وشيع جمع شيعه كسلعة

وسلع، والشيعه كل قوم جمعهم أمر واحد، وهو منصوب على الحال أي حال كونكم متفرقين،
كل متحيز لفريقه، ويقال الشيعة هي الجماعة التي تشايست على الباطل أي تعاونت عليه
وأشباعهم أمثالهم؛ ﴿لباس بعض﴾ : لباس الشدة.

﴿لكل نأ مستقر﴾ : النأ الخبر، والمستقر أصله الرمان أو المكان الذي يستقر فيه شيء
والمراد يتحقق وقوعه فيه ﴿يخوضون في آياتنا﴾ : الخوض العديث بالباطل، والمراد بالآيات
آيات القرآن الكريم.

المعنى : : يرسل الحفظة يكتبون كل عمل من طاعة أو معصية حتى المباحات انظر الآية
(٤٩) من سورة الكهف صفحات ٢٨٧، ٢٨٨ والآية (١٨) من سورة ق صفحة ٦٨٩، بل يكتبون
حتى خلجات القلوب، انظر حديث رقم ٦٤٨ من كتابنا صفوة البخاري، وحكمة إخباره سبحانه
بذلك أن العبد إذا علم هذا خشي الفصيحة على روعس الأشهاد، ويستمر عمل هؤلاء الحفظة
إلى أن تأتي أسباب الموت ومقدماته، وعند ذلك تقبض روح العبد رسل الله من الملائكة
الموكلين بقبضها، وبذلك ينتهي عمل الحفظة، وهم لا يضطلون بالتواني عن الموعد المحدد،

ولا يسبقونه، ثم يرد الله جميع الخلائق إليه يوم القيامة للحساب والجزاء وهو سبحانه مولاهم الحق الباقي الذي لا يزول كما يزول ما اتخذوهم من دونه آلهة بالباطل. ألا له سبحانه وحده يوم القيامة القضاء النافذ وهو أسرع الحاسبين، يوفى كل عامل عمله عقب عمله، ويحاسب الخلق جميعاً يوم القيامة في أقصر وقت، وبعد ما بين سبحانه أنه هو المولى الحق أراد أن ينبه الكفار إلى ما يجدونه في قرارة نفوسهم عند الشدة من إغفال غيره سبحانه ودعائه وحده، فقال: قل لهم أيها النبي مَنْ ينجيكم من أهوال البر والبحر إذا حلت بكم وجعلتكم تدعوه تضرعاً وخفية، أي معلنين ومسررين قائلين: والله لئن أتحانا من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين. ثم أمره ﷺ أن يجيب عنهم لإفادة أنه لا جواب عندهم غيره، فقال: قل الله هو الذي ينجيكم منها ومن كل كرب يعرض لكم، ثم أتم بعد مشاهدة هذه الإحسانات تمودون إلى الإشراك به مَنْ لم يعمل لكم شيئاً؛ أي فلم تكتفوا بعدم الشكر بل صممتم إليه أفصح معصية.

وبعد ما بين سبحانه أنه هو القادر على إنقاذهم من الشدائد، أراد أن يبين لهم أنه قادر أيضاً على إلقائهم فيها فقال:

هو القادر على أن يبعث أي يسلط عليكم عذاباً شديداً شاملاً يأتيكم من جهة العلو كالصيحة والصواعق، أو من جهة السفلى كالخسف والزلازل، انظر آيتي (١٦، ١٧) من سورة الملك صفحات ٧٧٥، ٧٥٦. ولم يمتن سبحانه هذا العذاب الذي هدد به ليشمل كل ما يجد، وقد جد في عصرنا ما لم يكن في حساب مخلوق وقت نزول القرآن مما تقذه الطائرات وما تفجره الأنفاس والفواصات وما خفى كان أعظم. وقد سئل ﷺ عن هذه الآية فقال (أما إنها لأتية ولم يأت تأويلها الآن) روى أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص. يريد ﷺ أنها لن تحصل لأمته في زمنه، ولكنها ستحصل ولا بد لأمة دعوته وهم جميع الخلق إلى يوم القيامة. فسبحان علام الميوب الذي علم رسوله ما لم يكن يعلم. وقادر أيضاً على أن يخلطكم في القتال للتأرجع على الدنيا متفرقين كل في ناحية، ثم فسر ذلك بقوله: «ويذيق بعضكم بأس بعض». انظر أيها النبي كيف نوع الآيات تقريباً للفهم. وتقدم مثلها في الآية (٤٦) صفحة ١٦٩. لعلمهم بفقهون الحقيقة فيرجعون عن العناد. وكذب بالقرآن وما فيه من المذاب قومك العرب مع أنه الحق فقل لهم لست موكلًا بكم أحفظ أعمالكم وأجازيكم بها، بل هذا لله تعالى، وما أنا إلا ندير، ولكل خبر مما أخبركم الله به وقت يتحقق فيه مدلوله، وسوف تعلمون صدق تلك الأخبار. وإذا رأيت أيها المؤمن الذين يخوضون في آياتنا المنزلة من الكفار المكذبين المستهزئين أو من أهل الأهواء المضيقين لكلمة المؤمنين، فأعرض عنهم، أي انصرف عنهم، لأن الجلوس معهم فيه إغراء لهم بالتمادي. وهذه الآية هي التي نبه الله سبحانه إليها في الآية (١٤٠) من سورة النساء صفحات ١٢٦، ١٢٧.

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِئَنَّ الشَّيْطَانُ
فَلَا تَعْتَدْ بَعْدَ الَّذِي نَرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنَ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَنْ يَكُنْ لَهُمْ كُرْهِي
لَعْنُهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُوَ
وَعَرْنَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَرِ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ بَئِلَ نَفْسٍ مِّنَا
كُتِبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا تَسْمِعُ ۚ وَإِن
تَبَدَّلَ كُلُّ عَذَابٍ لَا يُوَفِّدُهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُسِيلُوا ۖ
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مِّمَّا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ أَدْعُوا إِلَىٰ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ
وَلَا يَضُرُّ ۚ وَرَدَّ عَلَىٰ أَهْقَابٍ ۚ بَعْدَ إِذْ عَصَىٰ اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا ۚ أَصْحَابُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ انْفِصَالٌ ۚ قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَمْ يُهْدِ

المفردات : ﴿وإمّا ينسئَنَّ الشيطان﴾ :
أصل التركيب ﴿إن﴾ و ﴿ما﴾ .. و ﴿إن﴾
شرطية تدل على ارتباط جملتين بعضهما
ببعض و ﴿ما﴾ حرف يدل على تأكيد هذا
الارتباط في كل حال من أحواله.

﴿وذري﴾ : اترك وابتنى . ﴿تبسل نفس﴾
تبسل من البسل بمعنى الحبس أو الهلاك ،
يقال أسله الله أى أهلكه .

﴿وإن تعدل﴾ : تعد . ﴿كل عدل﴾ : كل فداء
﴿أسيلوا بما كسبوا﴾ : هلكوا بسبب عملهم
السيء ﴿حميم﴾ : هو الماء الشديد الحرارة .

﴿ورد على أعقابنا﴾ : الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم والمراد يرجعنا لشیطان إلى
الخلف والمراد به الكفر . ﴿استهوته الشياطين﴾ : حملته على اتباع الهوى والسير على غير
رشد . ﴿حيران﴾ : حال من الדי استهوته الشياطين و ﴿حيران﴾ : أى لائه لا يهتدى إلى ما
فيه نجاته .

المعنى : ابتعد عنهم حتى يشتعلوا بحديث غيره ، وإن عرض لك نسيان فحاسبهم وهم
يخوضون ثم تذكرت ففارقهم حالاً لأنهم طالمون ونسب الإنساء للشيطان لأن من أدب القرآن

(١) الشيطان

(٢) الظالمين

(٣) الحياة

(٤) هدانا

(٥) الشياطين

(٦) أصحاب

أبه يسب كل ما لا خير فيه للشيطان ولو كان خطأ، انظر آيتي (٦٢) من سورة الكهف صفحة ٣٩٠، و (١٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٨. ولما كان ربما يتوهم أن الذي يجلس مع الحائضين ولو نسيانا مؤاخدا، دفع ذلك بقوله وما على الذين يتقون الله من دس الحائضين شيء، أي لا يلحق المتقين الذين يجالسونهم نسيانا شيء يحاسبون عليه من دنوبهم، ولكن عليهم فقط تذكيرهم بقبح أعمالهم، والقيام عن مجالسهم، وإظهار الكراهة لهم، لعلهم يتقون الخوض حياء أو خوفا من إساءة مَنْ هو أقوى منهم واترك أيها المؤمن الذين اتحدوا دينهم الذي فرض عليهم وطلب منهم الخضوع له وهو الإسلام لعبا ولهوا، تقدم شرحها في الآية (٢٢) من هذه السورة صفحتي ١٦٦، ١٦٧؛ والمراد لا تبال بهم وامض فيما أمرك به الله، وابتعد عن هؤلاء الذين خدعتهم الدنيا بالباطل حتى أنكروا البعث وانهمكوا في ملذاتهم، وذكر بالقرآن، انظر آخر سورة ﴿ق﴾ صفحة ٦٩٢، لنلا نعبس كل نفس في الهلاك بسبب ما كسبت من الدوب حال كونها ليس لها ولي ينصرها ولا شميع يقدها من العذاب، وإن تقدم هذه النفس كل هداء تتقى به العذاب لا يقبل منها، أولئك المتحدون دينهم لعبا ولهوا المفترون بالدنيا الذين هلكوا ليس لهم شراب في جهنم إلا من حميم يتحرعه أحدهم ولا يكاد يسيمه يقطع أمعاهم، انظر الآيات (١٧٧) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٢، و (٢٩) من سورة الكهف صفحتي ٢٨٤، ٢٨٥، و (١٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٤، وعذاب أليم غير ذلك من نار تشوى جلودهم، لهم ذلك بسبب كفرهم المستمر، قل لهم أيها النبي أنت ومن معك من المؤمنين هل يصح أن ندعوا من دون الله ما لا يضرنا إن عبدناه، ولا يضرنا إن تركناه كما تفعلون في عبادة الأصنام، ويرجع إلى الشرك بعد هداية الله لنا للتوحيد فتكون في رجوعنا على أعقابنا مماثلين للذي استهوته الشياطين فهو هائم على وجهه في الأرض حيران لا يهتدي إلى طريق النجاة، لهذا الضال رفقة مهتدون لم تصلهم الشياطين يدعونه إلى طريق الهداية والنجاة قائلين في دعائهم اثنتا أي أرجع إلينا تسلم، فلا يجيبهم فيهلك. وقل لهم أيها النبي إن هدى الله الذي هدانا إليه وهو الإسلام هو الهدى وليس هناك هدى غيره.

وَأَمَّا بِسْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَأَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَتَأْتُوا زَكَاةً وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَبِیَوْمٍ یَقُولُ كُنْ یَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ یَوْمَ یُنْفَخُ عَنِ الصُّورِ عَظِيمُ الْعَلِیُّ
وَالْعَظِيمُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِیدُ ﴿٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لِأَبِيهِ أَزْرَأُ أَتُخِذُ لَكَ آلِهَةً إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ قَوْمِكَ
فِي خَلْقٍ مِیْمَنٍ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَیَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ النَّهْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أُحِبُّ الْآلِهِينَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لِي بِهِنَّ رَبٍّ لَأَكُونَنَّ مِنْ
الْفَرَقِ الْمَیْمَنِ ﴿٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا

المفردات : «يوم يقول كن فيكون» لم
يعلمنا سبحانه حقيقة هذا القول، وإنما الذي
يجب أن نعتقده أنه سبحانه إذا قضى أمراً
نقد بقدرته سريعاً من غير توقف على شيء
آخر.

«الصور» : هو في اللغة اسم للبوق الذي
ينفخ فيه فيحدث صوتاً قوياً؛ والله أعلم
بحقيقة صور إسرافيل؛ «عالم العيب
والشهادة» : أصل العيب والشفادة مصدران
بمعنى الغياب والحضور مع المشاهدة ثم
أطلق العيب على الغائب عن الحواس

والشهادة على المُشَاهَد بالحواس «لأبيه أزر» . لعلك لاحظت أن القرآن عند حكاية محاوره
نبي الله إبراهيم عليه السلام لهذا الكافر كان حريصاً على التعبير عنه بأنه «أبوه» في عدة
مواضع ما هنا وما هي الآيات (١١٤) من سورة التوبة صفحتي ٢٦١، ٢٦٢، ومن (٤٢)
إلى (٤٥) من سورة مريم صفحة ٤٠٠، و (٥٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٦، و (٧٠) من
سورة الشعراء صفحة ٤٨٤، و (٨٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، و (٢٦) من سورة
الزخرف صفحة ٦٤٩، و (٤) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٥، ذلك كله لتدرك الحكمة
السامية التي يرشد إليها الكتاب الكريم وهي أن الإنسان لا ينفعه إلا عمله وإن كفر الآباء لا
يصير الأبناء المؤمنين، كما لا يصير الآباء فاسقاً فاسقاً الأبناء، وأن صلاح كل واحد من الطرفين لا
ينفع الآخر إذا كان فاسقاً، انظر الآيات (١١٤) من سورة التوبة صفحتي ٢٦١، ٢٦٢، و ٤٢.

(١) العالمين	(٢) الصلاة	(٣) السموات	(٤) عالم	(٥) والشهادة	(٦) إبراهيم
(٧) أزر	(٨) آلهة	(٩) أراك	(١٠) ضلال	(١١) إبراهيم	(١٢) السموات
(١٣) الليل	(١٤) رأى	(١٥) الأفلح	(١٦، ١٧) رأى		

٤٣، ٤٥، ٤٦ من سورة هود صفحتي ٢٩٠، ٢٩١ و (١٧، ١٨) من سورة الأحقاف صفحتي ٦٦٨، ٦٦٩ وكذا لا ينفع الرجل الصالح زوجته الماجرة ولا تنفع الزوجة الصالحة زوجها العاسق انظر آيتي (١٠، ١١) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢، لكل هذا جاء سبحانه بالنتيجة محدداً، هي الآية (١٠١) من سورة «المؤمنون» صفحتي ٤٥٤، ٤٥٥، والآية (٢٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤ فهل ترى بعد ذلك أشقى من رجل أو امرأة يعرط في حقوق الله سبحانه وتمالي معتمداً في النجاة على غيره من والد أو ولداً؟ أما الفلامان المذكوران في الآية (٨٢) من سورة الكهف صفحة ٢٩٢ لأن صلاح والديهما حملهما على توجيه ولديهما جهة الخير وكان الولدان مستعدين لهذا التوجيه فأكرم سبحانه الآباء بتوفيق الأبناء لما كانوا يحبونه لهما وبهذا نال الأب ثواب حسن تربية الأبناء فوق السرور بهم في الأحرار. ولو كان العلامان غير مستعدين للاستقامة لما نفعا في توجيه الأبناء مهما فعلوا، انظر العلام وأبويه في الآيات ٨٠ من سورة الكهف صفحة ٢٩٢، و (١٧، ١٨) من سورة الأحقاف صفحتي ٦٦٨، ٦٦٩: ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ الملكوت هو الملك العظيم، كالرحمات للرحمة الواسعة، والرهيبات للرهبة الشديدة، فالورن يصيد العبالة في مادته، ﴿حن عليه الليل﴾ أي أظلم وستر جميع ما حوله ﴿أفل﴾ ذهب وغرب.

المعنى . وقل لهم أيضاً إنا معاشر المؤمنين أمرنا بأن نستسلم وسقار لرب العالمين، وأن الله أمرنا بإقامة الصلاة وتقواه سبحانه لأنه هو الذي إليه وحده نحشر يوم القيامة فيحاسبنا، وهو سبحانه أيضاً المصرد بحلق السموات والأرض مقترة بالحق أي لا لعب وعبث كما هي الآية (٢٧) من سورة ص صفحة ٦٠٠ وآيتي (٢٨، ٢٩) من سورة الدخان صفحتي ٦٥٨، ٦٥٩ وذكر يوم القيامة الذي يقول فيه للشئ كن فيكون أي يقول للحلق قوموا. فيقوموا، قوله هذا هو الصدق الواقع لا محالة، وله وحده الملك هي ذلك اليوم الذي يبعث فيه في الصور، انظر الآية (١٦) من سورة غافر صفحة ٦١٩، وهو سبحانه عالم ما عاب وما ظهر، أي يستوي في علمه لغائب والشاهد أي الحاضر، وهو الحكيم في أفعاله، الحبير بجميع التحصيات وبعد ما بيث سبحانه بطلان عمل المشركين، أمر نبيه ﷺ بتذكيرهم بدعوة إبراهيم صاحب المكانة

العلياء عند العرب وأهل الكتاب، فقال: وإذ قال إبراهيم، أي واذكر لهم أيها النبي وقت قول إبراهيم الذي يدعون أنهم على ملته موبحاً لأبيه آزر على عبادة الأصنام أتتحد أصناماً آلهة، ولعكمة عظمى كسر القرآن ذكر عابد الصنم الذي حاحه إبراهيم بوصف الأب، انظر الآيات (١١٤) من سورة التوبة صفحات ٢٦١، ٢٦٢، و (٤٢) إلى (٤٥) من سورة مريم صفحة ٤٠٠، و (٥٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٦، و (٧٠) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤ و (٨٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢ و (٢٦) من سورة الرحمن صفحة ٦٤٩ و (٤) من سورة الممتحنة صفحة ٧٣٥، ومراد إبراهيم أنه لا يصح أن تجعل لنسك ولقومك آلهة من دون الله، إني أراك وقومك بهذا في ضلال مبين واضح، وقد كان قومه يعبدون لأصنام والكواكب السيارة، فحاجهم في عبادة الأصنام في سورة الأنبياء من أول الآية (٥١) إلى الآية (٦٧) صفحات ٤٢٦، ٤٢٧، وفي هذه السورة حاجهم في عبادة الكواكب فقال سبحانه ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ أي كما أريناه الحق في أمر أبيه وقومه كنا نريه المرة بعد المرة ملكوت السموات إلخ ليرى ببصره ما ينير بصيرته، والمراد بربه وحده الاهتمام بها ليعرف حكمتنا في تدبير ملكنا، ليقيم الحجة على المشركين وليكون في حصة نصه من الموقنين، أي العالمين عن دليل ثم ذكر سبحانه بعضاً من كيفية هتداء إبراهيم إلى أوجه الحجة فقال:

فلما جن عليه الليل ونظر إلى ملكوت السموات رأى كوكباً عظيماً متاراً عن جميع الكواكب بشدة ضوئه وكان هو المشتري، فقال هذا الكوكب هو ربي، قال ذلك مجازاة لهم تمهيداً للإلكار عليهم واستدراجاً لهم إلى سماع حجته، فلما أقل واحتجب قال: لا أحب لأهلين أي فلا يصح أن أجعلهم آلهة لأن الأول تعمر، والله يغير ولا يتغير، والرب ليس كمثله شيء، وهذا له أمثال يافلون مثله، أشار إلى ذلك بقوله ﴿الآفلين﴾. فلما رأى القمر بارغاً أي طالعاً من وراء الأفق أول ظهوره من جهة المشرق قال هذا ربي على الطريقة السابقة، فلما أهل القمر وهو أكبر من الكوكب السابق في النظر وأقوى نوراً في الأرض، قال على مسمع من قومه لئن لم يهتدي ربي إلى الصواب لأكوس من الصالين. فلما رأى الشمس بارغة قال. هذا الكوكب هو ربي لأنه أكبر مما سبقه....

رَبِّيَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَهَلَّتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بِرِيَّ فَمَا
تُسِرُّونَ ۝ إِلَيَّ وَجْهَتُ وَجْهِي لِذِي طَرَفِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ حَيْمًا وَأَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَاجُّهُ
قَوْمُهُ قَالَ أَلْتَحْجُونَ لِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ
مَأْتِرَ صُكُونٍ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي
كُلَّ شَيْءٍ عَسَى أَنْ لَا تَعْدُرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَفْرَعْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أُنْزِلَتْ لَكُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا عَلَى الْفَرِيقَيْنِ آخِزٌ بِالْأَمْرِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَنبُشُوا بِإِيمَانِهِمْ يَظْلِمُ
أَنْفُسَهُمْ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَتِلْكَ حَبَشَا
كَتَبْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرَاهُ فَرَحْتُ مِنْ فَتَاهَا
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَهِيَ لَهُ وَاسْتَقْبَلَتْ وَحُشِرَتْ

المصرداب ﴿فطر السموات﴾ ابتداء
حلقها. ﴿حنيفاً﴾: الحنيف هو المائل عن
الباطل المتميز إلى جهة الحق. ﴿وحاجه
قومه﴾: أي جادلوه، وقد بين سبحانه شيئاً
من هذه المحادثة في الآيات من (٥١) إلى
(٧٠) من سورة الانبياء صمحتي ٤٢٦، ٤٢٧
وكذا هي الآيات من (٦٩) إلى (٨٩) من سورة
الشعراء صمحتي ٤٨٤، ٤٨٥

﴿سلطاناً﴾: أي حجة قاطعة .

﴿ولم يلبسوا إيمانهم﴾: أي يخلطوا.

﴿بظلم﴾: أي يكفر.

نعمي . هذا أكبر قدراً وأعظم صياء فهو أحق منهما بالربوبية إذا كانت الربوبية
بالمظاهر، فلما أهلت كما أقر غيرها صرح عليه السلام بالنتيجة المرادة من كل ما تقدم
فقال يا قوم إني بربي من تأليه هذه الكواكب التي جعلتموها آربانا مع الله، إني وجهت
فصدي وجعلته خالصاً للإله الحق الذي فطر السموات والأرض حال كوني حياً بعيد عن
الباطل، وما أب من المشركين مثلكم، وقد تقدم تفسيرها في الآية (١٢٥) من سورة البقرة
صفحة ٢٦، والآية (١٢٥) من سورة النساء صمحتي ١٢٢، ١٢٤. وحادل إبراهيم قومه، وحووه
من أن تمسه الهتهم بسوء كما يشعر بذلك الكلام الآتي، كما خوف قوم هود ببيهم بذلك في
الآية (٥٤) من سورة هود صفحة ٢٩٢ ومما حاجوه به أنهم يؤمنون به تعالى، وأنهم ما اتحدوا
الأصنام إلا لتقربهم إليه وتشفع لهم عنده، وفي هذا تعظيم له تعالى لا كمر كما ترعم يا

إبراهيم. فرد عليهم كل هذا بقوله أتعالجونى، أى هل يصح مجادلتيكم لى فى شأن وحدانيته تعالى وما يجب له والعمال أنه سبحانه قد هدانى إلى الحق، ومثل هذه الهداية هدايته تعالى لنبيين ﷺ فى الآية (٧) من سورة الضحى صفحة ٨١٢، ولا أخاف ما تشركون به من الكواكب والأصنام أن تصيبينى بسوء لآسى أعلم أنها لا تضر ولا تنفع، لكن إذا شاء ربى القادر وقوى مكروه لى فإنه يقع قطعاً كما يشاء، وسع علم ربى كل شيء، فهو الذى يخاف منه لا من آلهتكم التى لا تعلم شيئاً، فهل بعد هذا تمرضون عن التأمل فى عجز آلهتكم وجهلها فلا تتذكرون أنها غير قادرة على شيء وكيف أخاف من آلهتكم التى أشركتموها مع الله وهى لا تضر ولا تنفع، ولا تخافون أنتم من أنكم أشركتم بالله صاحب القوة والملك كله مخلوقات لم ينزل الله بشركها له دليلاً قاطعاً. والكلام كناية عن امتناع وجود دليل على شركهم، فأى المريقين منا ومنكم أحق بالأمن والطمأنينة فى الآخرة : فريق الموحدين، أو فريق المشركين. إن كنتم على شيء من العلم الصحيح أدركتم أنا نحن أحق بالأمن منكم. ثم بين سبحانه من هم أحق بعدم الخوف فقال: الذين آمنوا بالله وحده ولم يخلطوا إيمانهم بشرك كما يفعل المشركون الذين يزعمون أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء، انظر الآية (٣) من سورة الزمر صفحات ٦٠٥، ٦٠٦ والآية (١٠٦) من سورة يوسف صفحة ٢١٩، والآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠، أولئك الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك، لهم وحدهم يوم القيامة الأمن من العلود فى النار، وهم المهتدون إلى الحق، وغيرهم على باطل. وتلك البراهين المذكورة من أول «فلما جن عليه الليل» إلى قوله «مهتدون» هى حججتنا التى آتيناهم إبراهيم، أى أرشدناه إليها ليقيمها على قومه، نرفع درجات من نشاء من عبادنا بالعلم والحجة كإبراهيم. إن ربك أيها البى حكيم فى كل فعله، عليهم بمن يستحق الرفع. وقد تفضلنا على إبراهيم فى أصله وفرعه، فوهبنا له إسحاق ويعقوب....

المفردات: «وكلا فصلنا على العالمين»: المراد عالمى زمانهم.

«واجتبياهم»: أى اصطفيناهم واخترناهم لرسالتنا، وهذا يدل على أن هناك رسلاً لله

سبحانه غير هؤلاء المذكورين، انظر: نبي (١٦٢، ١٦٤) من سورة النساء صفحة ١٢١.

كَلَّا هَدِيًّا وَنُوحًا هَدَيْتَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجَّيْنَا الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ
كُلَّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَآتَيْنَا دَاوُدَ وَالْعِيسَى
وَالْيُوسُفَ وَنُوحًا وَصَلَّا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنْ عِبَادِهِمُ
مُذْمُومُونَ وَإِن مِّن مَّعْصِيَةٍ إِلَّا حَرِّطْنَا لَكَ سُبُطًا
مِّنْهَا ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَلَمَّا بَلَغْنَا مَنَازِلَهُمْ قَرَأْنَاهُمْ قُرْآنًا أَنبَأَهُمْ
بِكُنْهِمْ ﴿٤٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ
أَفْنِيَّةٌ قُلْ لَا تَسْأَلُونِي بِأَنزَارٍ إِنَّمَا هِيَ إِذْ ذُكِرُوا

﴿لحبط عنهم﴾ : ليطل وسقط.

﴿الكتاب﴾ : هو اسم جامع لكل من

صحف إبراهيم وموسى، وزيور داود، وإنجيل
عيسى. ﴿والحكم﴾ : المراد به الحكمة وهي
معرفة اسرار الشريعة ووضع كل شيء في
محلّه.

﴿افندوه﴾ : أى افند، والهاء حرف يزداد

عند العكوت على الكلمة ساكنًا، وقد ثبت
في الوصل ساكنًا أيضًا إجراء للوصل مجرى
الوقف انظر مثلها في الآية (١٩) من سورة
الحاقة صفحة ٧٦٢.

المعنى . ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ أى ووهبنا لإبراهيم إسحاق وولده يعقوب. واقتصر
هنا على إسحاق وابنه، لأن إسحاق ولد بما يشبه المعجزة، لأن إبراهيم كان بلغ من الكبر وكند
روحه سارة حالاً لا يولد لهما فيه، انظر ذلك واصحها في قوله تعالى حكاية عن روح إبراهيم
﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا﴾ انظر الآية (٧٢) من سورة هود صفحة ٢٩٥ والآية (٢٩)
من سورة الداربات صفحة ٦٩٤ وسيأتى حكمة أفراد إسماعيل عنهم فيما بعد ﴿كلا هدينا﴾
أى هدينا كلا من إسحاق ويعقوب هديناه إلى ما يوصل لطريق الكرامات وجريل الثواب
﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ أى وهدينا نوحا من قبلهم إلى ما هدناهم إليه ﴿ومن ذريته﴾
معطوف على ﴿ونوحا هدينا﴾ بدون قيد ﴿من قبل﴾ أى وهدينا من ذرية إبراهيم داود

(١) وإسماعيل

(٢) الصالحين

(٣) وهارون

(٤) وسليمان

(٥) وإخوانهم

(٦) وذرياتهم

(٧) ودرجاتهم

(٨) والعالمين

(٩) واجتبيائهم

(١٠) أنبياءهم

(١١) صراط

(١٢) وهديناهم

(١٣) الكتاب

(١٤) أسألكم

(١٥) عبيداهم

(١٦) بكافرين

وسليمان .. إلخ وقد حرم ابن جرير بأن الصمير هي دريته لئلا لأنه أقرب مذكور وأن لوطا ويونس ليسا من ذرية إبراهيم

وذهب سائر المفسرين إلى أن الصمير عائد على إبراهيم، لأن أصل الكلام هي شأنه. وإنما ذكر لوطا في المقام لأنه جده لبيان نعمة الله عليه في أصوله. وهي كثير من قروعه. ولذلك جمعها سبحانه في الامتثال عليهما بحمل الفتوة هي سلتهما في الآية (٢٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢ وقال هؤلاء إن يونس من ذرية إبراهيم وإن لوطا ابن أخيه فهو ابنه حكماً وقال صاحب المصنف ولم يرتب سبحانه هؤلاء الأنبياء حسب زمانهم لأنه أمرل كتبته للهداية والموعظة لا لمجرد التاريخ. ولأنه ليس كتاب مناقب يرتب أصحابها حسب درجاتهم. وإنما هو كتاب عبرة، وقد جعلهم سبحانه في هذا المقام ثلاثة أقسام لكل قسم منهم معنى يجمعه.

فالقسم الأول ﴿داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾ والجامع بينهم أن الله آتاهم النبوة والإمارة والحكم والسيادة. وكل منهم ابتلى فصبر، وأنعم عليه بالسراء مشكر. ولذلك حصوا بلفظ ﴿المحسنين﴾ لإحصائهم في تصريح الشئون...

والقسم الثاني ﴿زكريا ويحيى وعيسى وإلياس﴾ هؤلاء يجمعهم شدة الرهد في الدنيا. والرغبة عن سلطانها، ولذا وصفهم بالصالحين، وهو أليق بهم وإن كان كل بني صالحاً

والقسم الثالث ﴿إسماعيل وإسحق ويونس ولوط﴾ ويجمع هؤلاء عدم خصوصية برزوا بها. إذ لم يكن لهم من سلطان الحكم ما للقسم الأول، ولا من العبادة هي الرهد ما للقسم الثاني. واكتفى بذكر تفصيلهم على عالم زمانهم، والله أعلم بأسرار كتابه.

﴿ومن آياتهم﴾ أي وهدايا بعض آيات من ذكر من الأنبياء، وبعض ذرياتهم وإخوانهم. وهذا يدل على أن كثيراً من آياتهم وذرياتهم وإخوانهم لم يهتدوا. وقد جاء ذلك صريحاً في الآية (٢٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢. ﴿واجتبىاهم﴾ معطوف على ﴿فصلنا﴾ قال الراغب يقال اجتبى الله العبد أي حمه بميمس إلهي يحصل له بسببه نعمة بلا معنى منه.

وهو خاص بالأنبياء، وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء. ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ أعاد ذكر الهداية ثانيًا للتأكيد، وليربط بها منعلقها وهو ﴿إلى صراط مستقيم﴾ وليرتب عليها قوله ذلك أي الهدى إلى صراط مستقيم هو هدى الله الموصل للخير يهدي به سبحانه من يشاء هدايته من عباده المستعدين لذلك كما هي الآية (٢٩) المتقدمة صفحة ١٦٨ ولو فرض أن أشرك بالله أولئك المهتدون المصطومون لبطل وسقط عنهم مع علو قدرهم ما كانوا يفعلون من الصالحات، فكيف يغيرهم من جمع بين الشرك وعدم مرة مما هي هؤلاء، أولئك الأنبياء هم الذين آتاهم الكتاب والمراد بآتيانه سبحانه لهم لكتاب إلهامهم لهم، الصحيح لما فيه، والتمكن من الإحاطة بدقائقه، سواء جمع لأحدهم مع ذلك إبراله عليه، أو كان تلقاء عن غيره منهم، لأنه من المعلوم أنه لم يزل على كل واحد منهم كتابًا، بل على قليل منهم فقط، وآتيهم الحكمة والنبوة، فإن يكسر بهذه الثلاثة هؤلاء المشركون من أهل مكة، فإن لم يستمعوا بها فقد وكلنا بأمر رعايتها والانعناع بها قوما كراما هم أهل المدينة ومن سلك سبيلهم ليسوا بهذه النعم كافرين، أي عليسوا مثل كفار مكة أولئك الأنبياء الثمانية عشر المذكورون هم الذين هداهم الله إلى الحق، فبهداهم اقتد أيها النبي، أي سر على طريقتهم في الأحلاق المأصلة، والصفات الكاملة، كالعلم والصبر والرهدة وكثرة الشكر والتصرع، فيكون ﴿جمع كل الفضائل التي تصرف فيهم وقل أيها النبي لمن بعثت إليهم أولًا﴾ لا أطلب منكم على هذا القرآن الذي أمرت أن أتبعه لكم أحرًا من مال ولا غيره

ما هذا القرآن إلا تذكير وموعظة وإرشاد.

المصدرات . ﴿وما قدرُوا الله﴾ : أصل القدر معرفة المقدار، ثم استعمل في معرفة الشيء على أتم وجه.

﴿قراطيس﴾ جمع قراطيس وهو ما يكتب فيه من ورق وغيره. ﴿تدونها﴾ تظهرونها
﴿درهم﴾ : تركهم ﴿في خوصهم﴾ : كلامهم الباطل.

﴿لما بين يديه﴾.

لَقَدْ عَلِمْتُمْ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَّرَهُ إِذْ قَالُوا مَا أَرْسَلَ
اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ مِنْ قَبْلِكَ مَنْ أَرْسَلَ النَّحِيشَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرِيطُسَ
تَبْدُوتَهَا وَيُخَوِّعَ كَثِيرًا ۝ وَعَيْنُهُمْ مَّا لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَلَا
يَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَنْجَرُونَ ۝
وَهَذَا كِتَابُ الرُّسُلِ تَارِكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِيُذَكِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ وَأَلَّذِينَ يَزِيدُونَ الْإِسْرَافَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ ۝ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَاسِبُونَ ۝ وَمَنْ
أَكْثَرُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ ۝ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

أي ما سبقه من الكتب. ﴿أم القرى﴾. أي
أهمها لأنها قبلة كل مسلم في كل بلاد العالم
ولأن فيها أول بيت وضع للناس. ﴿عذاب
الهُون﴾: هو الهوان الشديد.

المعنى: ما هذا القرآن إلا تذكير
للعالمين عامة لا لكم خاصة حتى أطلب منكم
أحرًا. وبعد ما قرر سبحانه أدلة التوحيد
شرع في تقرير إثبات إرساله رسلاً وإثبات
اليوم الآخر فقال ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾
إلخ، أي ما عرفوا الله حق المعرفة اللاتقة به
تعالى، حيث جهلوا من صفاته الحكمة
والرحمة اللتين تقتضيان أن يرشد الخلق لما
فيه سعادتهم ولا يتركهم فوضى كالبهائم،
انظر الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة
٤٥٦، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإرسال الرسل

وإرسال الكتب، انظر الآية (١٥٧) من هذه السورة صفحة ١٩٠ والآية (١٧) من سورة هود
صفحة ٢٨٦ والآية (١٠٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، مما عرف هؤلاء المشركون ربهم حق
المعرفة حين قالوا ما أرسل الله على بشر شيئاً من الكتب مثل الذي يدعيه محمد، انظر
الآية (٩٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧ فمرادهم الطعن في رسالته ﷺ بأسلوب فيه
مبالغة، فرد سبحانه عليهم بقوله قل لهم أيها النسي من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو
التوراة؟ وقد كان العرب يمهرون ذلك كما تقدم في الآية (٢٠) من هذه السورة صفحة ١٦٥،
ولكنهم لما لجوا في حصونهم له ﷺ قالوا ما قالوا عبادةً وتجاهلاً لما كان يعرفه بمصهم.

أنزل الله كتاب موسى نوراً واضحاً في نفسه، وهدى مرشداً للناس في ربه، تجعلونه وقرئ
يجعلونه قراطيس يبدونها ويحفظون إلخ، والأمر عليها طاهر: أما قراءة تجعلونه همياً التماث
من الغيبة للخطاب مع اليهود أممهم، وهذه القراءة نزل الإله بها لما هاجر ﷺ إلى المدينة
واشتدت فظاعة اليهود، أما قراءة الياء فكانت بمكة مع كل السورة، ومن أراد معرفة تفصيل
ذلك فليرجع إلى حديث البخاري في كتابها صموة البعاري رقم ٤٢٧، والمراد أن هذا الكتاب

لدى برل للهدية تلاعب به أصحاب الشهوات من أحبار اليهود فكتبوه فى أوراق متعددة يدون منها ما لهم مصلحة فى إظهاره، ويحسون ما لهم مصلحة فى إخمائه، وكان هو الأكثر، وهذا يدل على أن محالفتهم للنوراة الصحيحة كانت أكثر ثم آمن سبحانه على المؤمنين بقوله وعلمتم أيها المؤمنون بإتيان الله لكم هذا القرآن المبين لكل شيء ومنه ما حمى من جرائم المشركين واليهود ما لم يكونوا تعلمونه قبل ذلك وبعدما سألهم هذا الرسول المصمم لقنه الحواب لتوحيد لدى كان يحب أن ينطقوه فقال قل لهم الذى أنزل الكتاب على موسى هو الله، ثم تركهم فى باطنهم يلعبون كالصبيان فإعنا عليك البلاغ وعلينا الحساب وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك كما أنزلنا النوراة على موسى، كتاب باركه الله بمرابا كثيرة منها بقاءه إلى قيام الساعة، وامتناره فى النظم والمعنى، ومصديق فى الجملة لما تقدمه من كتب الأنبياء فلا يقر إلا ما هو صحيح منها، ويرد ما حرهوه أنزلناه إليك لتبشّر المؤمنين وتبشّر أهل مكة وما حولها من سائر بلاد العالم، والذين يؤمنون بالآخرة وما فيها من الجراء فلا بد أن يحافظوا الله هيؤموا، بهذا القرآن، أما منكمو البعث فلا يشعرون بالحاجة إليه وهذا هو السبب فى أن مشركى العرب ممرصون عنه، انظر الآية (١٥) من سورة يونس صمحتى ٢٦٧، ٢٦٨، يؤمنون ويحافظون على صلاتهم بأدائها على أتم وجه، وحصت الصلاة من بين أركان الإسلام لأنه لم يكن مرض عند نزول السورة غيرها.

ولما كان الناس بالعبادة لإرسال الله رسلا من البشر على ثلاثة أقسام

قسم يؤمن وهم أتباع الرسل من كل أمة، وقسم ينكرها وهم مشركو الأمم السابقة كما تقدم فى هود ومشركى هذه الأمة، وقسم ثالث يقر بها لكنه يدعيها لنفسه كذب وقد أبطل سبحانه دعوى الصريق الثامى وشرع هنا فى تهديد الصريق الثالث ومن كان على شاكلته فى الكذب على الله وإدعاء القدرة على الإتيان بعقل القرآن فقال ومن أظلم أى لا أحد أشد ظلما ممن يكذب على الله كقوله إن له شريكا أو ولدا، أو لم يرسل وحيا على بشر، أو يقول أوحى إلىّ أو نوحى إليه لم يوح إليه شيء كعصيلة الكذاب الذى ادعى النبوة، ومثله من قال سأبزل مثل ما أنزل الله كعص مشركى مكة، انظر الآية (٢١) من سورة الأنعام صمحة ٢٢١، ثم هدد سبحانه هذه الطوائف فقال ولو نرى أيها السامع ما يحصل للظالمين وقت سكرات لموت والملائكة باسطو أيديهم قائلين لهم سلّموا أرواحكم بلا إبطاء، اليوم نجرون عذاب لهوان الشديد، قال المحرر الراى: الكلام كناية عن العنف والشدة فى إرهاب الروح وليس هناك قول لسان، وكل محتمل وإن كنا لا نرى شيئا، فقد يرى المائم شدائد ولا يشعر بها الجالس بجواره، والله أعلم بالعيب.

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا لِرَدِّىْ كَمَا خَلَقْتُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ ذُرِّيَّاهُمْ ظَاهِرِينَ وَمَا تَرَى
مَعَ كُفْكُمُ شُعْمَاءُ ذُرِّ الَّذِينَ رَحِمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٨﴾
• إِذَا اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنْ تَوَفَّيْتُمْ
فَلَيْسَ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ أَثَرُ الْبَلِّ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
حُسْنًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٩﴾ وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَسَّأَكُم
بِمِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَنَسْفَعُ وَمُسَوِّدٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

المفردات : . «فرادى» : أى أفرادا غير
مجتمعين، والمراد ليس معكم أحد ممن
تظنون أنه يشفع لكم، أو يفضلكم من الولد أو
الوالد انظر الآية (٩٥) من سورة مريم صفحة
٤٠٥، «خولناكم» : أى أعطيناكم من الولد
والعمال وغيرهما.

«شعماءكم» : ما كانوا يعبدونه من دون
الله ليشعموا لهم.

«نقطع بينكم» : فاعل تقطع مقدر مفهوم
من سياق الكلام، والأصل تقطع ما كان بينكم
من روابط المودة انظر الآية (١٦٦) من سورة
البقرة صفحة ٣٢.

«وصل عنكم» : أى عاب وذهب «فالق الحب» أصل الفلق الشق. «يخرج الحي من الميت»
أى يخرج ما يئمو ويريد من حيوان أو نبات أو شجر مما لا يئمو لو بقى على حاله
كالتراب والحب والنوى إذا ترك دون ررع. وكالنفطة إذا بقيت فى صلب الرجل و لحمه
مستأنسة مبيبة لكثير مما قبلها، وإذا لم تعطف.

(١) يات

(٢) فرادى

(٣) خلقكم

(٤) حولناكم

(٥) شركاء

(٦) الليل

(٧) ظلمات

(٨) الآيات

(٩) وحدة

(١٠) الآيات

﴿ومخرج الميت من الحي﴾ ذكر تميمًا لكمال قدرته تعالى، أي كما أنه يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ولذلك عظمها بالواو وإنما أتى أولاً بصيغة الفعل المضارع ﴿يخرج﴾ فقال ﴿يخرج﴾ الحي، وهذا قال ﴿مخرج﴾ بصيغة اسم الفاعل للإشارة إلى أن صنع الله سبحانه في إخراج الحي من الميت أظهر وأوضح في بيان قدرته من إخراج الميت من الحي، وذلك أن الفعل المضارع يفيد الاستمرار والحركة، وهذا يجعله مستحصراً في ذهن السامع، بخلاف الاسم أو الفعل الماضي، فكلاهما لا يفيد التجدد، ولا الاستحصال في ذهن، ترى ذلك واضحاً في قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ الآية (٦٢) من سورة الحج صفحة ٤٤٢، فانظر كيف قال في إنزال المطر ﴿أنزل﴾ بصيغة الماضي، ولكن في إحصار الأرض الذي يحصل تدريجاً، قال ﴿تصبح﴾ بصيغة المضارع، لئتمكن السامع من استحصال الصورة البديعة في أن صيرورتها تأتي تدريجاً، ولا شك أن إخراج الحي الذي تشاهده العيون مدداً كثيرة أسدع من إخراج الميت الذي ينتهي ويعيب عن الأعين والأدهان كما في الآية (٦٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٧.

﴿فأبصر﴾ فكيف ﴿تؤفكون﴾ : تصرفون ﴿الإصباح﴾ المراد بالإصباح هنا هو لعبس الذي يكون بين الصجر الكاذب، والصجر الصادق.

والصجر الكاذب هو الضوء الذي يظهر مستطيلاً إلى السماء، أي الذي يقول عنه الفقهاء إنه «كذب السرجان» يكسر السين وسكون الراء، أي الدُّب؛ ثم يصعب ويذهب، وعند ذلك يظهر الصجر الصادق، وهو الضوء المستعرض في الأفق ثم يرتفع مع استمراره هد إلى أعلى شيئاً فشيئاً حتى تبرز الشمس.

﴿الليل سكناً﴾ . أي وقت سكون وراحة للأجسام والعقول من عباء عمل النهار انظر آيات (٧١) وما بعدها من سورة القصص صفحة ٥١٧. ﴿حساباً﴾ : أصله الحساب أطلقه عليهما مبالغة لدقة سيرهما حسب نظام الحساب المقرر لهما حتى كأنهما الحساب نفسه، وبظيره الآية (٥) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩. ﴿ومستقر﴾ أي مكان تستقرون فيه فوق سطح الأرض، ﴿ومستورع﴾ هي القصور إلى وقت البعث... وقيل المستقر هو الرجل الذي تستقر

النطلة فيه، والمستودع المرأة التي يستودع الجنين في رحمها، فكأنه قال خلقكم من نفس واحدة فمنكم ذكر ومنكم أنثى.

المعنى . يجازيكم الله بالمعذاب بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق من أن له شريكا وأنه لا يوحى إلى أحد من البشر، ويسبب كونكم استكبرتم عن آياته فأعرضتم عنها ولم تفكروا فيها، ومما يهينهم به سبحانه أن يقول لهم يوم القيامة : ولقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأنصار والشفعاء والأولاد والأموال وكل ما بعثتم به أحركتم من رخارف الدنيا، فأنتم اليوم على الهيئة التي ولدتم عليها في التجرد من كل شيء حتى مما يستر العورة، وتركتم ما أعطياكم في الدنيا من رخارفها، وما نرى معكم شفعاءكم الدين رعمتم أنهم هيكم شركاء لله عز وجل يستحقون منكم معه سبحانه التعظيم والتقرب بالمال والندر ليكونوا لكم شفعاء، فأين هم اليوم؟ ذهب كل هذا باطلاً، وتقطع ما كان بينكم من علاقات المودة والولاء، وغاب عنكم ما كنتم ترعمون من شفاعة الشفعاء وتقديم المداء.

انظر ما تقدم في الآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤) من هذه السورة صفحة ١٦٥ وبعد ما بين سبحانه أصول الإيمان الثلاثة : التوحيد والبعث والرسالة، شرع في ذكر بعض آياته الدالة على قدرته وعلمه وحكمته فقال:

إن الله فائق الحب والسوى، يخرج الحي كالحيوان والنبات من الميت كالتراب ومخرج الميت كالنبن والفضلات وغيرها من الحيوان.

ذلكم القادر العظيم هو الله فكيف يصرفكم الشيطان عن طاعته ومن آياته سبحانه أنه هو الذى يخلق غيب الصبح بإظهار ضوء الشمس فيذهب العيش كما تذهب قشرة الحبة وتضى، وجعل الليل وقت سكون وراحة من تعب عمل النهار وجعل الشمس والقمر يسيران بحساب دقيق للحكمة المبينة في آيتي (٥) من سورة يونس صفحة ٢٦٦، و (١٢) من سورة الإسراء صفحات ٢٦٥، ٢٦٦. ذلك كله تقدير العزيز العالب الذى لا يمجزه شيء العليم بما في ذلك من المصلحة.

وهو سبحانه الذى جعل ونظم لكم النجوم لتتهدوا بها في السير في ظلمات الليل في البر والبحر. قد فصلنا الآيات والأدلة على وجود إله قادر لقوم يعلمون ويستفهمون بها، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة، تقدم بيانها أول سورة النساء، وجعل منكم ذكرا وأنثى، قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر وعظيم الحكم لقوم يفقهون.

لِقَوْمٍ يَعْقُوبُونَ ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَأَرْمَازٌ مُّتَشَبِهَةٌ وَهُوَ مُتَشَابِهٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ إِذَا أُنْمِرَتْ بِرِيحٍ إِذْ يَ ذَلِكُمْ تَلَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَحَمَلُوا فِيهِ ثُرَاتًا خِثًّا وَحَلَقَهُمْ وَتَرَقُّوا لَهُ يَوْمًا وَيَوْمًا يَوْمًا يُخْرِجُ عَنْ سَهْلِهِ مُجْتَمِعَةً وَتَعْلَقُ غَمَامًا يُصْهَوْنَ ﴿٦١﴾ يَدْبُعُ السُّحُوبَ وَالْأَرْضَ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْنُفُ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَعْيَدَهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَدْرِيكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِيكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْبَاطِنُ

المفردات : - «فأخرجنا» : لم يقل سبحانه «فأخرج» حتى يكون على محط «أنزل» المذكور قبله بل حول الكلام من أسلوب الحديث عن العائب إلى أسلوب المتكلم للفت نظر السامع إلى ما سيذكر بعد هذا الفصل من الصنع العجيب. وهذا الأسلوب يسميه علماء العربية «التفاناً» انظره في الآية (٥٢) من سورة طه صمحة ٤١٠، والآية (٢٧) من سورة فاطر صمحة ٥٧٥.

«فأخرجنا منه» : أي من النبات.

«حصر» أي شيئاً عصاراً حصر.

«متراكباً» أي بعضه فوق بعض.

«ومن النخل» خبر مقدم لمبتدأ مؤخر وهو «قنوان» الآتي . بيانه . و «من طلعها» بدل من «من النخل» وهو بدل بعض من كل . مع إعادة حرف الجر كقول العرب يعجبني من زيد من وجهه بشاشته .

«من طلعها» نثر اللغويون اطلع بأنه أول ما يظهر من ثمر النخل على هيئة كفيين النقي أطراف أصابعهما من أعلى وأحدهما من أسفل مع تباعد يعير بين باطنيهما . ويسميه عامة المصريين (كور النخل) ويكون في وسطه الشماريخ التي تعمل البلح . وهو المسمى بالأكمام

(١) وجبات	(٢) متشابه	(٣) لآيات
(٤) وبيات	(٥) سبطاته	(٦) وتعالى
(٧) السموات	(٨) صاحبة	(٩) حلق
(١٠، ١١) الابصار		

انظر الآية (١١) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩، وقد يطلق ويراد به الشماريح بحسبها التي بداخله كما هو ظاهر هنا وكما ذكر في الآية ١٠ من سورة ق صفحة ٦٨٩ وقد يطلق على غير ثمر النحل لقرب شبهه به انظر الآية (٦٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩١ والمعنى ومن المحرج من طلع النحل قنوان إلخ وإنما غيّر سبحانه الأسلوب، ولم يقل ومن النحل من طلعها قنونا حتى يكون متفقا مع سابقه «خصرا» ولاحقه «جئات» و «الريتور» إلخ

فعل ذلك سبحانه للتمت النظر إلى ما في النحل من جريل المائدة، وعجيب الصنع، حتى قال النبي ﷺ في النحلة أنها تشبه المؤمن في أن كل ما فيه نافع خصوصا عبد أرباب النخيل.

«قنوان» جمع قنو بكسر القاف وهو العمود المحمل بالثمر فهو للثمر بمنزلة العقود للعب.

«دانية» : قريبة سهلة التناول.

«وينمه» بصجه، «الجن» : يطلق لفة على كل مستتر عن الميوس فيشمل الجن المعروف والملائكة الذين عيبدوهم بإعراء شياطين الجن انظر آيتي (٤٠، ٤١) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨، ٥٦٩ «وخرقوا له» : اختلقوا كذبا وباطلاً.

«يصفون» . أي يمترون عليه سبحانه كذبا مرخرا يحاولون به التمويه على لبسطاء انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

«بديع السموات. إلخ» المراد بالبديع هنا هو الذي يوجد الشيء على مثال لم يسبق إليه.

«أنى يكون» : كيف يكون.

«صاحبة» روجة «اللطيف» يطلق على ما يق عن الأنظار فلا تستطيع رؤيته، وعلى العليم بدقائق الأشياء، وعلى الذي يعامل غيره برهق ورحمة، انظر الآية (١٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤١.

المعنى : . فصلنا الآيات لقوم يفقهون أى يعلمون دهائق الأشياء فيردادون إيماناً . ومن نعمه وقدرته سبحانه أنه هو الذى أمرل من السحاب ماء فأخرج بسببه كل صنف من أصناف النبات المحتملة . ثم فصل ما أجمل فقال فأخرجنا منه أى من هذا النبات أى حولاء إلى شئ كامل الحصرة . ونخرج من هذا الأحصر حيا منظما بعضه فوق بعض كسائل القمح وغيرها ثم شرع سبحانه فى تفصيل حال الشجر بعد الحصر فقال ومن النحل من طلعها أى ومن طلع النحل قنون قرية من يد المتناول . وأخرج بالماء أيضا حبات مكتوبة من أعصاب والريش والرمال مشتبهها أى بعضه يشبه بعضا فى الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال القدرة . وبعضه مختلف عن الآخر فى ذلك انطروا أيها المحاطون بعين الاعتبار إلى ثمر شجر الزيتون والرمال إذا أثمر وتدرج فى أحواله إلى أن يصل إلى بضجه إن فى ذلك لأدلة عظيمة لقوم مستعدين للإيمان لسلامة فطرتهم وبما اقتصر سبحانه على المذكور من الشجر لأنه هو المعروف عند العرب وقتئذ . وهم الذين نزل القرآن عليهم بلسانهم . ثم شرع سبحانه فى توبيخ من أشرك به مع وجود هذه الأدلة فقال وحطو أى اعتقد الكفار أن لله شركاء من الملائكة . وقد عبدوا المشركون الملائكة بسبب وسوسة الشياطين . انظر الآية (١٢١) الآية من هذه السورة صفحة ١٨٢ . وأيتى (٤٠ ، ٤١) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨ ، ٥٦٩ عبدوا الجن والعمال أن هؤلاء المشركين يعلمون أن الله تعالى وحده هو الذى خلقهم وورقهم لا هؤلاء الجن . فإيهام أيضا مخلوقون مثلهم . فكيف يحملون مخلوقا مثلهم شريكا للحال ؟ افترى الكفار أيضا على الله فجعلوا له بين وسان بعير علم منهم بما هو الحطأ والصواب وبلا فكر ولا روية . فقال اليهود العرير ابن الله . والبصاري المسيح ابن الله . ولعرب الملائكة بنات الله . انطروا (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥ . (٥٧) من سورة النحل صفحة ٣٥٢ . (٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩ . ومن (١٤٩) إلى (١٥٨) من سورة الصافات صفحات ٥٩٥ ، ٥٩٦ . ومن (١٦) إلى (١٩) من سورة الزحرف صفحات ٦٤٨ ، ٦٤٩ . و (٣٩) من سورة الطور صفحة ٦٩٩ سبحانه وتعالى عما يمترونه عليه من أن له ولداً أو شريكا . فهو بديع السموات والأرض فكيف يكون له ولد والحال أنه ليس له روحه وهو سبحانه الذى خلق كل شئ ومن حملة ذلك ما رعمتموه شريكا أو ولدا . ويعلم كل شئ ولو كان له ولد لعلم به . ذلكم الموصوف بصفات الكمال هو الله ربكم لا إله إلا هو حالى كل شئ فيما مضى وما سيكون فاعبدوه وحده لأنه على كل شئ وكيل أى رقيب فهو مطلع على أعمالكم . فاحذروا انتقامه . لا تدركه الأبصار فهو ليس كالمخلوقات . وهو يدرك الأبصار . وهو اللطيف . فيستحيل على مخلوق الإحاطة به .

الْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَاحِبٍ مِنْ رَبِّكُمْ قَدْ أَبْصَرَ
 قَلْبِيهِ وَمَنْ عَمِيَ قَلْبُهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٧﴾
 وَكَذَلِكَ هَدَيْتُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا ادرست وَلَيْسَ بِهِ قُوَّةٌ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 مَا أَفْرَحُوا وَمَا جَعَلْتُكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ
 بِوَكِيلٍ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا
 اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ
 ثُمَّ لَكُمْ رَيْبٌ مِّنْ عَرَجِهِمْ لِيُنْذِرَكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾
 وَأَنصَبُوا إِلَيْهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَبْلُغَهُمْ آيَةٌ لِّتُؤْمِنُوا بِهَا
 قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُبَشِّرُكُمْ أَنبَاءُهَا إِذَا جَاءَتْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَنَقِيبُ أُنْفُسِهِمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَا

المفردات :- «بصائر» : جمع بصيرة
 وهي للقلب كالبصر للعين، والمراد بها هنا
 القرآن وما فيه من حجج واضحة.

«أبصر» أي تأمل بعين البصيرة، يقال
 أبصر الرجل إذا خرج من ظلمة الكفر
 والمعصية إلى بصيرة الإيمان والطاعة انظر
 الآية (٢٠١) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥،
 والآية (٢١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٢،
 «وما أنا عليكم بحفيظ» - المراد لم
 يكلفني ربي بحفظ أعمالكم وإحصائها.

«بصرف الآيات» أي سوغ الأدلة على وجوه شتى كما تقدم في الآية (١٦) من هذه الآية
 صفحة ١٦٩، انظر الآية (١١) من سورة الإسراء صفحات ٢٦٩، ٢٧٠.

«درست» أصل معنى الدرس تكرر معالجة الفعل حتى يصل لعايته، يريدون أنك أحدث
 هذا القرآن عن غيرك من علماء أهل الكتاب انظر آيات (١٠٣) من سورة النحل صفحة ٢٦٠
 و (٤، ٥) من سورة الفرقان صفحات ٢٧٠، ٢٧١.

(١) الآيات

(٢) جعلناك

(٣) إيمانهم

(٤) الآيات

(٥) وأبصارهم

﴿عليهم بوكيل﴾ ﴿على﴾ بمعنى عن انظر. مثلها في ﴿على ملك سليمان﴾ آية (١٠٢) من سورة البقرة صفحة ٢٠.

﴿ولا تسوا﴾ المراد لا تقولوا كلاما حاليا من فائدة الإرشاد، لا تريدون به إلا مجرد التحصير كما سيأتي بيانه.

﴿الدين يدعون﴾ المراد بالدين معبودات المشركين، وعبر عنهم بلعظ ﴿لدين﴾ الموصوع للذكور العقلاء، تعليقا للعقلاء من معبوداتهم كالملائكة عند العرب، والمسيح عند النصارى والعزير عند اليهود انظر الآية (٢٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، بقول تعليقا لهؤلاء على الأصنام، والتعليق في كلام العرب كثير ومنه في القرآن غير ما هنا ﴿هكان أبوه مؤمينا﴾ آية (٨٠) من سورة الكهف صفحة ٢٩٢.

و ﴿يدعون﴾ أي بدعوتهم لينفعوهم ﴿من دون الله﴾ المراد معرصين عن الله ﴿عدوا﴾ أي بعدا وتجاوزا حدود الحق إلى الباطل.

﴿زينا لكل أمة.. إلخ﴾ المراد أنهم لكثرة جرائمهم حلينا بينهم وبين تزيين الشياطين ولم يحفظهم من تسلطه عليهم ليردادوا إنما هي زاد عذابهم، ونظير هذا قوله تعالى عن هرعون ﴿فأخذناه وحبوه فبيدناهم في اليم﴾ آية (٤٠) من سورة القصص صفحة ٥١٢ فالمراد تركناهم ليفرقوا، ولم نقدم انظر آية (٥) من سورة الصافات صفحة ٧٢٨. ﴿جهد إيمانهم﴾ المراد بالفين منتهى اجتهادهم في تأكيد إيمانهم. ﴿آية﴾. يريدون بها معجزة دالة على صدق الرسول. ﴿ونقلب أئدتهم وأبصارهم﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى ﴿لا يؤمنون﴾. والمعنى وما يشعركم أيضا أنا عند محي الآيات التي يطلبونها نقلب قلوبهم بالهواجس والتأويلات الباطلة، والتفكير في اختراع احتمالات يجادلون بها، ونقلب أبصارهم في توهم حيالات كما هو شأنهم دائما من عدم الإدعان عند توارد الآيات عليهم من أول الأمر، كما هو شأن المبطل المعاند فإنه لا يصمى إلى الدليل مهما كان واضحا انظر آيتي (١٤، ١٥) من سورة الحجر صفحاتي ٢٣٨، ٢٣٩.

المعنى . . قل أيها النبي لهؤلاء المشركين المحرومين من هداية القرآن قد جاءكم من خالقكم ومربيكم من الوحي ما هو كالبصائر للقلوب، فمن أبصر الحق فسمع إنصاره عند علي نفسه، ومن أعرض فلم يتدبر فعمى قلبه فوبال إغراضه على نفسه، وما أنا عليكم بحفيظ لأعمالكم، وإنما ذلك لله الذي يحفظها ويحارى عليها، وإنما أنا مندر فقط ومبلغ ومثل هذا التوقيع البديع في الأدلة بسور الآيات الدالة على المعاني الحليمة ليهتدي بها المستعدون للإيمان، ولتُصحح هؤلاء المشركين فلا يجدون محرجا إلا افتراء الكذب فيقولون عباد، قد درست يا محمد وتعلمت من غيرك وليس هذا الذي تدعى برؤله عليك بوحى وإنما هو شيء تلقينته من أهل الكتاب.

فالمراد أن القرآن هو البودقة التي تظهر طبع ما يمرض عليها هيستمع بها سليم الطبع ويضل العاسد كما في الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحتي ٦، ٧ بصرف الآيات للسبب المتقدم ولنبي أسرار القرآن للذين رزقهم الله تعالى العلم الصحيح.

وبعد ما بيئ سبحانه طوائف الناس بالنسبة للقرآن أمره ﷺ أن يتبع ما يوحى إليه فقال اتبع ما أوحى إليك من ربك بالعمل به وبيانه للناس لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين فلا تبال بافتراءهم عليك، فإن العاقبة لك وللمتقين. ثم أراد سبحانه تسلية رسوله فقال

ولو شاء الله عدم إشراكهم بأن خلقهم مجبورين على الإيمان كالملائكة ما أشركوا، ولكنه خلقهم مختارين كما تقدم في الآية (٣٩) صفحة ١٦٨ توضيح ذلك، وما حملناك أيها النبي عليهم حفيظا أي رقيباً تحفظ عليهم أعمالهم، وما أنت عليهم بوكيل من جهةهم تحلب لهم ما يسمع وتدفع ما يصر ولما كان المؤمنون في مكة قلة ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها وسط طغيان كفار قريش، أمرهم الله بالحيلة في مجادلة الكفار ولما قال كمار قريش يا محمد إن لم تنه عن سب آلهتنا لسبب من تزعم أنه أرسلك إلينا، فنزل قوله تعالى

﴿ولا تسبوا﴾ (الح) أي ولا نشتموا آلهتهم ولا تذكروهم بقبيح لمجرد التشهير فقط فيعملهم ذلك على سب الله سبحانه بغير علم منهم أنهم يسبون الله متجاوزين حدود اللائق

بإلهه الذي يؤمنون به وبأنه حالقهم انظر آيات (٦١) وما بعدها من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩، والآية (٨٧) من سورة الزحرف صفحة ٦٥٥، وأن آلهتهم تشفع لهم عنده انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨، وأنها تقربهم إليه سبحانه انظر الآية ٢ من سورة الرمرر صمحتي ٦٠٥، ٦٠٦. رب قائل يقول كيف يهان سببناه عن ذلك وقد جاء في القرآن وصف آلهتهم بأنها لا تصر ولا تمتنع، وأنها حطب جهنم انظر الآية (٩٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، وأنها لا تستطيع خلق دابة وإن يسلبه الدياب شيئاً فلا يستطيعون رده انظر الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، يقول إن ما جاء في القرآن مما ذكر لا يقال له في العرف إنه سب، لأن السب هو الشتم الذي يقصد به مجرد الإهانة والتحقير، كأن يقول الرجل لأحر أنت ومعبودك تحت حدثي مثلاً من كل كلام حلا من وجه الدلالة على الخطأ والإرشاد إلى الصواب أما ما ذكر في القرآن عن معبوداتهم فإنما المقصود به بيان الحقيقة، والتعير من الحرافات الباطلة التي لا تستند إلى حجة، ومما يدل على ذلك أن من معبودات بعض قبائل العرب الملائكة انظر الآية (٤٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨، ولا يمكن أن القرآن يتعرض للملائكة بسب كذلك أي مثل هذا التريين الذي حمل المشركين على ما ذكر غصبا لآلهتهم ربا لكل أمة عملهم من إيمان وكفر وخير وشر تبعاً لاستعدادهم، فسهل لكل ما يقتضيه طبعه كما هي آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صمحتي ٢٦٦، ٢٦٧، ثم هي النهاية يكون مرجعهم إلى ربهم يوم القيامة هيبتهم بما كانوا يعملون ويحاربهم عليه وأقسم بالله أولئك المشركون جهد إيمانهم بمبالغة منهم في التصليل لتعير الصنعاء لئلا جاءتهم أية أي معجزة مما فترحوه من تفجير الأرض يابيع وإشياء جنات .. إلخ انظر الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صمحتي ٢٧٦ ٢٧٧ ليؤمن بدين محمد بسبب هذه الآية، قل أيها الرسول لهم إنما الآيات عند الله، فهو وحده القادر عليها، المتصرف فيها بحكمته، ولما كان النبي ﷺ وكثير من المؤمنين يتمنون أن يجاب طلب هؤلاء الكفار كما تقدم في الآية (٧) وما بعدها من هذه السورة صفحة ١٦٣، قال لهم سبحانه.

وما يشعركم أيها المؤمنون أنها إذا جاءت كما يطلبون لا يؤمنون. وقد تقدم أيضاً أول هذه السورة ما كان سيحصل منهم لو أحيبوا، وما يشعركم أنها نقلب أئدتهم عند مجيء الآيات بالحوطر والتأويلات والاحتمالات، ونقلب أبصارهم في توهم التحيلات فيكونون على حالهم عندما رفضوا الإيمان بالقرآن، انظر آيتي (١٤، ١٥) من سورة الحجر صمحتي ٢٢٨، ٢٢٩.

يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طَعْمِهِمْ يَعْصُونَ (١)
 وَلَوْ أَنَّا رَأَيْنَا إِلَهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا
 طَائِفَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَقُلْنَا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ إِلَّا أُنِيبُوا إِلَى اللَّهِ
 وَلَنُكَلِّمُنَّهُمْ أَكْثَرَهُمْ يَهْمِلُونَ (٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَفْسٍ
 عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَتَعَسَىٰ
 رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ فَرْدٌ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا هَمَزْنَاهُ
 بِمَا يَقْرَأُونَ (٣) وَلَنُصَبِّحُنَّ إِلَهِهَ الْمُفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَلَيَرَوْهُنَّ وَيَقْرَأْنَ مَا لَهُمْ مَقْرُونُونَ (٤) أَفَعَبَّرَ اللَّهُ
 أَنْبِيَا حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي رَزَقَ الْبَكْرَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
 وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَرِينَ (٥) وَنَمَتُ كَلِمَتُ
 رَبِّكَ صِدْقًا وَقَدْ لَأُمْبِلُ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

المفردات : : «ونذرهم» : ونتركهم.
 «يعصون» : يترددون من شدة الحيرة
 «وحشرنا عليهم كل شيء» : المراد جمعناه
 وعرضناه عليهم «قبلا» : جمع قبيل بمعنى
 صنف ونوع وهو منصوب على أنه حال من
 «كل شيء» والمعنى عرضناه عليهم حال كونه
 صنفا بعد صنف إلخ

«عدوا» : العدو ضد الصديق يطلق على
 المفرد والجمع والذكر والأنثى، انظر آية
 (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٣٨٨ والآية
 (٧٧) من سورة الشعراء صفحتي ٤٨٤، ٤٨٥ :

«شياطين» الشيطان اسم لكل متمرد شرير من الإنس والجن. «يوحى» الإيهام بالإعلام
 في خماء. «رخرف القول» القول المرخرف في الظاهر الماسد الباطن. «ولنصبي» أي
 تميل «وليقترهوا» أي يرتكبوا من الإثم «المنتريين» : أي الشاكين.

«نمت» . أي أنها ستتحقق قطعا حتى كأنها نمت الآن فعلا إنما قلنا ذلك لأن السورة مكية
 ولم يكن وقتها حرب ولا نصر فهي بشرى له ﷺ وتطمين «كلمة ربك» المراد بها الحملة
 التي وعد فيها نبيه بالنصر، انظر آيات (٤٠) من سورة الحج صفحة ٤٣٩، و (٤٧) من سورة

- (١) طعماهم
- (٢) الملائكة
- (٣) شياطين
- (٤) الكتاب
- (٥) آتيناهم
- (٦) الكتاب
- (٧) كلمة
- (٨) لكلماته.

الروم صفحة ٥٣٧، و (٥١) من سورة عاشر صفحة ٦٢٤، و (٢٠) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨ ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ مصدران منصوبان على الحال من ﴿ربك﴾ أى حال كون ربك أيها النبي صادقاً فى وعده لك بالنصر وتوعده لعدوك بالحدلان وعادلاً فى حكمه فلا يسوى بين المؤمن والماسق انظر آية (١٨) من سورة السجدة صفحات ٥٦، ٥٤٧، ويصح ان يكونا حالاً من «كلمة» كما سيأتى فى شرح المعنى.

المعنى . كحالهم أول الأمر وهم كمار، وتركهم بعد ذلك فى طغيانهم ومجاورتهم لحد يتحيروا هل هو حق أم سحر، ثم يعلب عليهم الطبع فيقولون أنه سحر، فيحرمون من الانتماع به، انظر الآيات من (١٨ إلى ٢٥) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦، ثم نُسِّب سبحانه ما أشعر قوله ﴿وما يشعركم﴾ إلخ، من أنهم كادبون فى إيمانهم فقال ولو آتانا الملائكة فراءهم المرة بعد المرة بأعينهم وسمعوا شهادتهم لك أيها النبي بالرسالة كما اقترحوا فى الآيات (٧) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨ و (٩٢) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، و (٢١) من سورة الصافات صفحة ٤٧٢، وكلمهم الموتى منهم بأننا أحييناهم لنقيم الدليل على صدق ما جئت به من أن الميت سيعمى كما اقترحوا فى الآية (٢٦) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨ والآية (٢٥) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٣، وجمعنا لهم كل شيء من الآيات وعرضنا عليهم ما طلبوه وما لم يطلبوه قبلاً بعد قبيل وصفاً بعد صفاً، ما كانوا ليؤمنوا لأنهم لا يمتثلون إلى الأدلة بغير اعتبار، وإنما يمتثلون إليها بغير رغبة وحذر، فأقل ما حس يصرههم عنها إلى ما تمودوا ووجدوا عليه آبائهم إلا أن يشاء الله إيمانهم قهراً كما تقدم فى الآية (٢٩) من هذه السورة صفحة ١٦٨ هذا فى الحقيقة حالهم، ولكن أكثر المؤمنين الذين يتممون إجابة طلبهم بإبرال ما اقترحوا يجهلون هذه الحقيقة، ثم شرع سبحانه فى تعلية رسوله ﷺ ببيان أن هذا هو شأن الكفار فى كل أمة مع كل نبي فقال وكذلك جعلنا أى كما جعلنا هؤلاء أعداء لك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء هم شياطين الإنس والجن، يتمردون ويتكبرون عن قبول الحق، يوسوس بعضهم إلى بعض القول العريف لأجل التمرير بالبسطاء، انظر ترتيب إبليس لآدم فى آيتى (٢٠، ٢١) من سورة الأعراف صفحة ١٩٤.

ولو شاء ربك عدم الإيعاء ما فعلوه، ولكنه لم يشأ أن يعير نظام الدنيا كما تقدم في الآية (٢٩) من هذه السورة صفحة ١٦٨. وإذا كان الأمر كذلك هدرهم أيها النبي وما يمترون ويكذبون من الكيد لك ليصرهوا الناس منك، يوحى بعضهم إلى بعض القول الباطل ليعمروا البسطاء، ولتصفى إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة لموافقته لأهوائهم، وليرصوه من غير بحث عن صعبته، وليقتروها بسببه ما هم مقترفون من المعاصي. وبعد كل هذا أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم ميكتا أفعير الله، أي أبصح أن أعدل عن الحق فأطلب حكما غير الله يحكم بيني وبينكم، ويبين المحق منا من الميطل. والحال أنه سبحانه هو الذي أرسل إليكم القرآن مصلا فيه كل ما يحتاج إليه المكلف فلا حاجة لحكم غيره، ثم بيّن سبحانه أحقية الكتاب بأن يكون حكما بشهادة علماء لهم خبرة بالكتب السماوية فقال والذين آتياهم الكتاب وهم اليهود والنصارى يعلمون أن القرآن منزل من ربك مقررنا بالحق على رجع إليهم الشاكور، وعلماء أهل الكتاب يقر بعضهم بلسانه بهذا الحق، وبعضهم بقلبه ويماند حسد كما في الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨ فلا كون أيها السامع بعد ذلك من لشاكير في أن أهل الكتاب يعرفون ذلك ثم طمان سبحانه ببيه بقوله: وتمت أي تحققت كلمة ربك التي وعدك فيها بالبصر حال كونها صادقة عادلة في حكمها لا يستطيع أحد أن يبدل ويعير وعد ربك فلا بد من تحققها وهو السميع لكل ما رحرهوا به وصللوا، انظر كلمات الله تعالى في وعد أسبائه في آيتي (٩٥) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤، و (٥١) من سورة عاقر صفحة ١٢٤

المصدرات . «إن يتبعون» إن حرف بمعنى «ما» أي ما يتبعون.

وكذلك يقال في «إن» في «إن هم إلا .. إلخ» أي ما هم متبعون شيئا إلا الظن . إلخ

«يخرصون» . الحرص بفتح فسكون قول الشخص غير المتيقن لما يقول، فهو التحمين الذي لا سند له «ومالكم ألا تأكلوا» : «ما» اسم استعظام مشرب معنى التصير من عدم الأكل، يقول العربي مالك يا فلان ألا تفعل كذا، يريد أي شيء ثبت لك من المائدة في عدم فعل كذا والمعنى المراد هنا . أي فائدة لكم في عدم الأكل مما ذكر اسم لله عليه والعراد لا فائدة لكم في عدم الأكل منه مطلقا . «ودروا» : أي واتركوا .

الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ طُلِعَ أُكْتَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِضَلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ مَكَلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِقَائِلَيْهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَدَّ فَصَلَ لَكُمْ مَحْرَمٌ عَلَيْهِ إِلَّا مَا أَصْطَرَّتْكُمْ يَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُمْ لَظُلُومًا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ عِلْمٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَتَرَوُا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنْ أَلْبَسَ بِكُمُ الْإِثْمَ سَجَزُونَ مِمَّا كَلُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا آتَا بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَمَنْقُطٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِيُجَنَّبُوكَ وَإِنْ أَطَعْتَهُمْ إِنَّكَ لَمَشْرُكٌ ﴿١٢١﴾

﴿ظاهر الإثم﴾ : هو الذي يفعل علناً.
 ﴿وباطنه﴾ : هو أعمال القلوب كالحمس
 ونية السوء، انظر الآية (٥١) من هذه السورة
 صفحة ١٨٩. ﴿يقترفون﴾ : أي يرتكبون من
 الذنب.

المحصى : وهو العلم بمقاصدهم
 وسيعازيهم عليها. ثم أراد سبحانه أن يبين
 لسيده أن أهل الصلال هم الكثرة في كل الأمم
 ليطمئن ولا يجزع فقال وإن تطع أيها النبي
 أنت ومن معك من المؤمنين أكثر من هي
 الأرض المراد وإن تطع ولو واحداً من هذه
 الكثرة العالمة بأن تحالف ما شرعه الله لك
 يضلوك عن سبيل الله لأنهم صالون متبعون
 وسوسة الشيطان فلذلك لا يؤمنون أبداً.

انظر الآية (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٢١٨ هما يتبع هؤلاء الكثيرون إلا الظن الباطل،
 والظن لا يعنى من الحق شيئاً، وما هم إلا يكذبون فيما يقولون بلا سند ولو كانوا محلصين
 لبحثوا. إن ربك وحده هو أعلم بمن يصل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. هاتج أوامره ولا
 تطع الكثرة المظلمة ثم رتب سبحانه على النهي عن اتباع المضللين الدين من جملة إصلاهم
 تحريم الحلال وتعليل الحرام بيان بعض ذلك فقال هكلوا مما ذكر اسم الله عليه دون غيره
 مما سيأتى بيانه بعد آيتين إن كنتم بآياته المبينة للحق مؤمنين. وما لكم ألا تأكلوا إلخ أي لا
 فائدة لكم في ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، بل فيه ضرر عليكم حيث حرمت ما أحل الله
 طاعة لوسوسة الشياطين كما سيأتى في الآية التالية، والحال أنه سبحانه قد فصل وبين لكم
 ما حرم عليكم هي الآية (١٤٥) الآتية من هذه السورة صفحتي ١٨٧، ١٨٨، والآية (١١٥) من
 سورة النحل صفحة ٣٦٢. وليس منه ما ذكر اسم الله عليه. حرم عليكم ما سيأتى بيانه إلا ما
 دعيتكم إليه ضرورة كما تقدم تفصيل ذلك في أول سورة المائدة. وإن كثيراً من الناس ليصلون
 غيرهم بتحسين المعاصي بأهوائهم وشهواتهم بغير علم مأخوذ من وحي صادق.

إن ربك وحده هو أعلم منك ومن جميع الخلق بالمعتدين الذين تجاوزوا ما أحله الله إلى ما

حرمه. واتركوا أيها المؤمنون الإثم الظاهر والباطل ومنه الحميد والكبر: إن الدين يكسبون الإثم ظاهرا أو باطنا سيلقون جراء معصيتهم التي كانوا مصتمرين عليها. ثم صرح بما فهم ضمنا مما تقدم فقال ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من الدبائح والحوال أنه فسق، لأنه أهل لفير الله به كما صرح بذلك هي الآية (١٤٥) الآتية صفحتي ١٨٧، ١٨٨، وإن الشياطين من الإنس والجن ليوحون إلى أوليائهم من المشركين زخرف القول من الشبهات ليحادثوكم به تلقيا عنهم. قال عكرمة أوحى بعض مجوس الفرس إلى صناديد مشركي قريش أن يقولوا للمسيح ^{عليه السلام} إنك ترعم أنك تتبع أمر الله فلماذا لا تأكل مما دبعه الله وتأكل مما يدبعه البشر؟ ويريدون بما دبعه الله المينة. وإن أطعمتموهم واستحلتم أكل المينة وبالأولى ما أهل لعير الله إنكم لمشركون مثلهم.

أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْتَهُ وَجَعَلْتَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ ثُمَّ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ رُبُّنَ فَكُنْزِينَ مَا كَانُوا يَعْمُونَ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ بَغْرِيٍّ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٤٧﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا إِنَّا بُرْهَانٌ نَزَّلَ مِثْلَ مَا أَوَّلَ رُسُلِ اللَّهِ
أَلَمْ نَعْلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ مِنْهُ أَقْبَرُ عَذَابٍ فَتَبْدَأُ مَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٤٨﴾
فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِمْ يَتَرَحَّ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا مُمْسِكًا
يَصْطَدِي السَّمَاءَ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَلْوَجْهَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٩﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

المعردات . «أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا ، إلخ» الهمزة للاستعظام الحميد للنبي داحية على حملة مقدرة هي الكلام معلومة من السياق، تحتوى على مشبه ومشبه به، كالحملة المذكورة بعدها، و «مَنْ كَانَ مَيْتًا» جملة مركبة من مبتدأ وهو «مَنْ» اسم موصول، وخبر وهو قوله «كَمَنْ» مثله في الظلمات. ، إلخ» وهذه الجملة الثانية معطوطة بالواو على الجملة المقدرة، وتقدير الكلام هل أنتم أيها المؤمنون كأولياء الشياطين الذين يحادلونكم بباطل من القول مزخرف يوحيه إليهم شياطينهم. والمراد لا يمكن أن تكونوا مثلهم أبداً انظر ذلك و صمحا هي الآية (٢٨) من سورة ص صفحة ٦٠٠ ثم جاء بالدليل على صدق مصموم الجملة الأولى فقال كما لا يستوى مَنْ كَانَ مَيْتًا بالكفر فأحياء الله بالإيمان. إلخ بعض مثله في الظلمات إلخ أى لا يمكن أن يكونا متساويين.

«ميتا» قال ابن عباس المراد بالميت هما الكافر الصال، لأنه كالميت لا يستطيع عمل

خير لنفسه. ﴿فأحييناه﴾: المراد أنقذناه من الكفر بالإيمان الذي هو حياة للقلوب. ﴿بوراً﴾: أي قرآناً ينير الطريق المستقيم انظر الآية (٨) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦. ﴿يمشى به في الناس﴾: أي يمشى بسببه بين الناس أمنا من جهنم.

﴿مَثَلُهُ﴾: أي صفته العجيبة، وهو مبتدأ خبره قوله ﴿في الظلمات﴾ والمعنى كمن صمته أنه تائه في الظلمات إلح. ﴿في الظلمات﴾ العراد بها هنا الكفر والصلال. ﴿جعلنا﴾ أي صيرنا ﴿في كل قرية﴾. أي من القرى التي عنت عن أمر ربها وأردنا إراحة العلق من إفسادها انظر آيتي (٨، ٩) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠. والقرية هنا هي المدينة الجامعة لكثير من الناس يقيم فيها أرباب النمود وأولو الأمر انظر الآية (٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦.

﴿أكابر﴾: قال ابن جرير أكابر جمع كبير، يقول العربي الأكابر والأصاغر، والأكابر هم أرباب النمود المسموعو الكلمة وهي معمول ثان لجعلنا، والمعمول الأول هو ﴿مجرميها﴾ أي صيرنا في كل قرية مجرميها هم أكابرها، والمحرم هو كل من يفعل ما فيه إفساد في الأرض وصرار بالخلق. ﴿صغار عند الله﴾ أي ذل وهوان. ﴿ومن يرد الله أن يهديه﴾ لاستحقاقه الهداية انظر الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ٦٦٨. ﴿يشرح صدره للإسلام﴾ المراد يسهله وينشطه له، لأنه يشمر في قلبه نوراً يقوده إلى السلامة، قال تعالى ﴿أمن شرح لله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ الآية (٢٢) من سورة الرمرر صفحة ٦٠٩ وقال تعالى ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزيينه في قلوبكم﴾ الآية ٧ من سورة الحجرات صفحة ٦٨٥. قال ابن جرير سأل جماعة النبي ﷺ وكيف يشرح الله صدر الرجل للإسلام؟ فقال نور يقذه فيه فيشرح له صدره وينمصح، قالوا هل لذلك إمارة يعرف بها؟ قال ﷺ الإبانة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الفرور، والاستعداد للموت قبل لقائه.. ﴿ومن يرد أن يضله﴾ لاستحقاقه الإصلال انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٢٦، ٢٧.

﴿صيقاً﴾ أي لا يتسع لشئ من الهدى، ولا يصل إليه شئ من الإيمان. ﴿حرجاً﴾ قال صاحب المسار - أصله مصدر لعل ﴿حرج﴾ بوزن تعب، يقال حرج الرجل حرجاً إذا اشتد به

الصيق، وأريد بالمصدر ها اسم الماعل، أى شديد الصيق، فهو تأكيد لما قبله، ﴿يَصْعَدُ﴾ أصله يتصعد، أى يتكلف الصعود ويحاوله بمشقة، قال صاحب الأساس يقول العربى صعد فلان السلم وصعد إلى السطح، وصعد فى السلم وفى السماء، وتصعد فى الجبل وتصاعد، أى تكلف الصعود، ﴿فى السماء﴾، قال الرابع سماء كل شيء أعلاه، انظر الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، المراد يصعد إلى جهة أعلى منه، ﴿الرجس﴾ المراد به ها العذاب بالجدال فى الدنيا، وبار جهنم فى الآخرة، انظر الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥.

المعنى . وبعد ما بين سببانه أن المؤمن على هدى والكافر فى ضلال، صرب مثلاً يبين لصرق بين المؤمنين المهتدين، والكافرين الصالين، ليصر المؤمنين من طاعة لكافرين، ويحذرهم من عوايتهم، ويبين لهم أيضاً أن سبب ضلال الكافرين تربى الشياطين لهم ذلك حتى أصبحوا لا يميرون بين النور والظلمة فقال ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا﴾ إلخ أى هل أنتم أيها المؤمنون كأولياء الشياطين؟ كلا، كما أنه لا يستوى من كان ميتاً بالكفر والجهل فأحييناه بالإيمان وجعلنا له نوراً يعيش بصوء هدايته، والمراد أنه أحاطت به ظلمات الجهل والتقليد وهساد الفطرة حتى أمسى لا يستطيع الخروج منها، أى لا يمكن أن تكونوا مثلهم، كما لا يمكن أن يكون السائر فى النور كالحابط فى الظلمات، كذلك، أى مثل هذا التزيين الذى تصممه المثل السابق، وهو تزيين نور الهداية لمن أحياء الله بالإيمان وتزيين ظلمات الكفر لموتى القلوب، مثل هذا التزيين زين للدين كمروا من فريش ما كانوا يعملون من لجرائم، ولعمرين لهم هذا هو الشيطان، انظر آية (٤٣) المتقدمة من هذه السورة صفحة ١٦٨ وآية (٣٩) من سورة الحجر صفحات ٣٤٠، ٣٤١، أما المؤمنون فالعمرين لهم بالإيمان هو الله تعالى انظر لآية (٧) من سورة الحجرات صفحة ٦٨٥، واكتفى بذكر المشركين فى التزيين الأخير دون المؤمنين لأن المقام فى بيان جرائمهم.

﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية.. إلخ﴾ أى كما جعلنا فى مكة مجرميها هم أكابرها وأصحاب الكلمة فيها جعلنا فى كل قرية من قرى الأمم السابقة التى أردنا إهلاكها أكابرها مجرميها ليمكروا فيها والمراد تسليته ﷺ لئلا يحزن على هلاك قومه بمحاربتهم له، وما يعود صرر مكروهم فى الآخرة بالعذاب وفى الدنيا بالحرق إلا عليهم انظر آيات (٥٠ إلى ٥٣) من سورة

النمل صفحة ٥٠٠، وانظر الآية (٤٣) من سورة هاطر صفحة ٥٧٨ ومن جرائم مشركى مكة أنهم إذا جاءتهم آية دالة على صدقه ﷺ قالوا لن تؤمن بما تقول يا محمد حتى يوحى الله إلينا، ويأتينا جبريل كما يأتى الرسل انظر آية (٥٢) من سورة المدثر صفحة ٧٧٨، فرد الله عليهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أى هو وحده سبحانه الذى يعلم الشخص الذى يصح أن يكون محلا لرسالته لمزايا فيه وليست فى واحد منكم غير محمد. ثم توعدهم بأن عاقبة مكرهم ستكون عليهم فقال:

سيعصيب الذى أجرموا صغار عند الله ومهابة وعذاب شديد بسبب دوام مكرهم انظر الآية (٢٦) من سورة الزمر صفحة ٦١٠، والآية (١٦) من سورة فصلت صفحات ٦٣١، ٦٣٢ فمن يرد الله أن يهديه لاستحقاقه الهداية انظر الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، فإنه سبحانه يمنحه من ثمرات الهداية شرح صدره للإسلام. وهذا من زيادة الهداية المشار إليها فى الآيات (١٧) من سورة محمد صفحة ٦٧٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨ من سورة النساء صفحات ١١١، ١١٢. فهدايته تعالى للعبد هى إمداده لما فى استعدادة وتيسيره له انظر آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧، ومن يرد أن يضلّه لاستحقاقه الإصلاّل يجعل صدره ضيقا شديدا الضيق لا يتسع لقبول شيء جديد عليه، محالف لما غرق فيه من تقليد الآباء، أو حب الرئاسة، فهى نعمة أولى بالرئاسة ممن يرشده إلى الصواب، انظر الآية (٣١) من سورة الرخرف صفحة ٦٥٠، ويكون استنقاله لإجابة الدعوة، وشعوره بالنفور منها كشموره بالمعبر عن الصمود بجسمه فى جو السماء، قال ابن جرير: هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر فى شدة ضيقه عن وصول الإيمان كمثّل امتناعه عن صعود السماء والمراد أن الكافر المعاند العاجز عن التغلب على خصمه يجد صدره شديد الضيق لا يتسع للحق لأنه يزلزل كبريائه، ولا يستطيع الخلاص من خصمه لأنه فوق طاقته انظر الآية (٣١) من سورة الحج صفحات ٤٣٧، ٤٣٨ كذلك أى كجعل الصدر ضيقا يجعل الرحمن على الذين لا يؤمنون.

ثم وجه سبحانه الخطاب له ﷺ فقال: وهذا أى ما فى القرآن من الأحكام هو الطريق الموصول لرضا ربك حال كونه مستقيما لا عوج فيه.

قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ ﴿١٨٤﴾ * ثُمَّ دَارُ
الْآلَمِ عَذَابٌ رِيبٌ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٥﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ حَيْثُ يَنْفَعُ الْإِنْسَ قَدْ أَمْسَكَتُم مِّنَ
الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ نَعْمَانَا
يَرْحَمْنَا وَنَعْمَا أَرْسَلْنَا الَّذِي أَجْتَنَّا لَنَا قَالَ أَدْرَأَمْثَلُكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عِيمٌ ﴿١٨٦﴾
وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾
يَنْفَعُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ أَلَّا يَأْتِيَنَّكَ رَسُولٌ يَكْفُرُ بِفُضُولِ
عَهْدِكَ أَيْتِي وَيَتَّبِعُونَكَ بِفَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَشَهِدُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿١٨٨﴾ ذَلِكَ أَن لَّا يَكْفُرُ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْفُرْقَىٰ بَطْلِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ عَنْهُمْ ﴿١٨٩﴾ رَبُّكَ لَا يَرْجُو

المفردات : . «دار السلام» : هي الجنة
لأنها دلة أمان من كل مكروه.

«يا معشر» : المعشر الجماعة
المختلطون في العشرة، المراد هنا الأشرار
من الجن.

«مثواكم» : أي محل إقامتكم.

«إلا ما شاء الله» : المراد خالدين في
النار الملتهبة التي وقودها الناس والحجارة
في جميع الأزمنة إلا في وقت خروجهم منها
إلى الزمهرير التي تقطع شدة برودته
أوصالهم، وخروجهم إلى الحميم إذا اشتد بهم

العطش انظر آيتي (٤٢، ٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١ فالآيتان تدلان أن الكفار يترددون
بين جهنم والحميم.

«رسل منكم» . المراد من جملتكم، لأن الرسل كلهم من الإنس انظر الآيات من (٢٩) إلى
(٣٢) صفحتي ٦٧٠، ٦٧١.

المعنى : . قد بيانا الآيات ونوعانها حسب استعداد كل الطوائف لانتفاع الذين يتذكرون
ويعتبرون فتكون لهم دار السلام في كفالة ربهم، وهو سبحانه وليهم، أي محبيهم وناصرهم
بسبب أعمالهم الصالحة. وعندما توعده سبحانه الكافرين ووعد المؤمنين بدار السلام شرع
يبين ما سيكون قبل ذلك الجزء من الحشر والحساب وإقامة الحجة فقال: ويوم يحشرهم أي
واذكر أيها النبي لأمتك ما سيكون من حشر الثقلين الإنس والجن عندما نقول لأشرار الجن

قد استكثرتم من إغواء الإنس كما في الآية (٦٢) من سورة يس صفحة ٥٨٤، وقال مَنْ وَالِي الشياطين من الإنس يا ربنا استمتع بعضنا ببعض، أي استمتع الجن بالإنس حيث جعلوا أنفسهم قادة لهم واحصوهم لأوامرهم، فاستمتع الجن بنشوة الرياسة، واستمتع الإنس بالجن حيث دلوهم على الشهوات وزبوا لهم حظوظهم النفسية، وبلغنا أي وصلنا بعد استمتاع بعضنا ببعض إلى الأجل الذي حددته لنا وهو يوم القيامة، وقد اعترفنا بذنوبنا، والمراد إظهار العسرة والتدامة، ولم يذكر هنا رد الشياطين على الإنس اكتفاء بذكره في الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٢، وكان رده سبحانه عليهم أنه قال: النار هي محل إقامتكم فادخلوها خالدين لا تخرجون إلا لحظات إلى حميم يشوي الوجوه، إن ربك حكيم في الثواب والعقاب لا يضع كلا منهما إلا في محله عليهما بالمستحق لهما. ومثل استمتاع الإنس والجن بعضهم ببعض في الدنيا لما بينهم من التناسب نولي بعض الظالمين بعضا، أي نجعل بينهم موالاة بسبب ما كانوا يكسبون من الشرور الجامعة بينهما أي فالطيور على أشكالها تقع، انظر الآية (٦٧) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢، والآية (٧١) من نفس السورة صفحة ٢٥٢ ويوم القيامة يقول لهم يا ممشر الجن والإنس ألم يأنكم في الدنيا رسل من قبلي اخترتهم من جملةكم، يتقصون عليكم آياتي التي أوحيتها إليهم، ويحذرونكم شدائد لقاء يومكم هذا، وقالوا مرغمين شهدنا على أنفسنا بأن الرسل جامونا وقصوا الآيات وأنذرونا وقابلناهم بالكذب، ثم بين سبحانه ما دعاهم في الدنيا إلى هذا الموقف فقال تعالى: وغرتهم الحياة الدنيا بزخارها، وشهدوا اليوم على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. ذلك الذي تقدم من إرسال الرسل إلخ ثابت بسبب أن من شأن ربك أيها النبي أنه لم يكن يهلك أهل القرى بظلم يقع منهم والحال أنهم غافلون أي لا يعلمون ما يجب عليهم، بل لابد أن يبلغهم ذلك رسول أو تابع رسول كالعلماء كما في آية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٦، فتقطع معاذيرهم فلا يقولوا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ كما في الآية (١٣٤) من سورة طه صفحة ٤١٢. ولكل من المكلفين من الإنس والجن درجات ومراتب في الثواب، انظر الآيات من (١٠ إلى ١٤) من سورة الواقعة صفحات ٧١٢، ٧١٤، ٧١٥.

يَا عِبْرَاءُ وَمَا رَبُّكَ يَقْتُلُ عَمَّا يَعْبُدُونَ ﴿١٢٦﴾ وَرَبُّكَ
الَّذِي ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّ يَدَ يَمِينِكَ وَتَسْلِفُ مِنْ بَعْدِهِمْ
مَا بَشَأَ كَمَا أَتَانَا مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ
مَا تَعْبُدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ يَنْقُومُ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَى غَائِلٍ فَسَوْفَ تَعْبُدُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُمْ حَقِيقَةُ الْغَايَةِ إِنَّهُمْ لَا يُفْنِعُ الطُّغْيَانُ ﴿١٢٩﴾
وَعِبَادُوا اللَّهَ عِزًّا مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ يَصِيحُّ عَقْلُوا
هَذَا يَرْجِعُهُمْ وَهَذَا يَشْرِكُ آبَاءَ قَوْمٍ كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ مَهْرٌ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ رَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ يَرُدُّهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا بِهِمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴿١٣١﴾

﴿بممجزين﴾.. الباء لتأكيد تنفي ما بعدها

عما قبلها و «معجزين» أي موقعين الله سبحانه في المعجز حتى تغفلوا من عقابه انظر الآية (١٢) من سورة الجن صفحة ٧٧١ .

﴿على مكانتكم﴾.. تدور مادة مكان ومكانة

في اللغة على معنى التمكن، والإحساس بالثبات والقوة يقول العرب: مكن فلان بفتح الميم والكاف مكابة فهو مكين إذا تمكن أبلى تمكن، قال الزجاج «مكائنكم» .. أى تمكينكم في الدنيا، ومنه قول العرب:

إن بني فلان ذوو مَكَّة من القوة بضلع

الميم والنون بينهما كاف مكسورة يريدون أنهم أصحاب تمكّن وحاصل المعنى تهديدهم بأن يعملوا إلى آخر ما هي طاقاتهم وأقصى ما يمكنهم فعل يصلوا إلى ما يريدون. ﴿عاقبة الدار﴾ .. أى العاقبة الحمى لدار الدنيا، وهذه العاقبة هي الجنة وميمها. ﴿دار﴾ .. أى خلق وكثّر انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. ﴿من الحرث﴾ .. أى الزرع. ﴿الأنعام﴾ .. الإبل والبقر والغنم. ﴿لشركائنا﴾ .. المراد المعبودات التى جعلناها شركاء لله نتقرب إليهم بالدور، والقربات، لبتقربوا وسيلتنا عند الله بالشعاعة ليقتربوا إليه انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨ والآية (٣) من سورة الرعد صفحات ٦٠٥، ٦٠٦. ﴿ساء﴾

(۱) یمافل

$$\omega(\tau)$$

(۴) یا قوم

(٤) عاقبة

(٥) نظام الامور

(٦) والأبعلقم

(٧) اَلْاِصْحٰمُ.

فنج **﴿ليردوهم﴾** . يوقعوهم في الردى وهو الهلاك. **﴿وليلبسوا عليهم﴾** .. أي وليخلطوا عليهم **﴿ديهم﴾** . المراد به ما بقي لديهم من دين إبراهيم الحليل عليه السلام **﴿فدرهم﴾** .. أي اتركهم.

المعنى . لكل عامل منزلة بقدر عمله تتفاوت بتفاوته، وما ريك يعاقل عما يعمل كل عامل. فلا يحطى في تقدير الجزاء وربك هو العنى فليس محتاجا إلى العباد ولا إلى عبادتهم وإنما هي لمصلحتهم. صاحب الرحمة الواسعة ومنها تكليمهم بما فيه مصلحتهم، فإرسال الرسل ليس لسمعه سبحانه بل هو رحمة للناس إن يشأ يذهبكم أيها العصاة أو الناس جميعا بالهلاك لأن النعمة تعم كما في الآية (٢٥) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٠، ويستعطف في الأرض من بعد إهلاككم ما يشاء من الخلق مؤمنين، كما أنشاكم من ذرية قوم آخرين لم يكونوا عصاة مثلكم وهو المؤمنون، وهم الذين كانوا مع نوح في السفينة. إن الذي توعدون به من البعث والحساب وتماوت الجزاء لواقع كما في الآيات (٦، ٥) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢، و (٧، ٨) من سورة الطور صفحة ٦٩٧، ولستم معجزين القادر القاهر فيما يريد. وقل لهم أيها النبي لتشديد التهديد، يا قوم اعملوا ما في استطاعتكم إنى عامل وثابت على إسلامي، فسوف تعلمون المريق الذي تكون له العاقبة الحسنی التي خلق الله لها هذه الدار الدنيا لتكون وسيلة إليها بما فيها من العمل الصالح لأن الشأن في عدل الله عز وجل ألا يسوى بين الكافر والمؤمن وبعد هذه المحاجة شرع سبحانه في بيان بعض أعمالهم التي أشركوا بسببها في الحرث والأنعام وقتل الأولاد طاعة لشیاطينهم إلى غير ذلك.

﴿وجعلوا لله مما درا..﴾ (إخ؛ وبيانه أن مشركي قريش كانوا يعينون جزءاً من ثمرات الررع وتاج الأنعام لله يصرمونها للصيغار والمعساكين، وجزءاً منها لآلهتهم ينمقونه لخدامها ويدبحونه عندها، فإذا زاد ما جعلوه لله عن المعتاد جعلوا ما راد للآلهة، وإذا زاد ما للآلهة تركوه لخدامها قائلين إن الله غنى ليس في حاجة لشيء من نصيب الآلهة. فأصل نظم الكلام كما يفهم من السياق وجعلوا لله إخ، ولشركائهم أيضاً نصيباً وإنما لم يذكر نصيب الشركاء لأنه أمر محقق عندهم واكتفى بالإشارة إليه في قوله:

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فشركاؤهم هي الأصنام لأنهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم، فما عينوه لشركائهم لا يصرف منه شيء في الوحوش التي يصرف فيها ما عيبوه لله، وما كان لله يصرف لألهتهم، ساء ما يحكمون من ترجيح مخلوق عاجز على حالق قادر، فاحذر أيها المؤمن أن تتسرب هذه الشناعة إليك من حيث لا تشعر. ومثل تزيين الشرك هي قسمة العرث والأنعام زين لكثير من مشركي العرب شركاؤهم من شياطين الإنس والجن قتل أولادهم، وكان تزيينهم وتحسينهم يختلف باختلاف نوع الولد، فإذا كان أنثى زينوا لهم التخلص منها لأنها قد تجلب العار إذا وقعت أسيره أو تروجت غير كفه، وإذا كان ذكرا زينوا لوالده تقديمه قربانا للأصنام، ففي ذلك خير للولد لأنه يصير محسوب الآلهة ولأبيه ليباركوا رزقه ويشجعوا له عند الله، وإذا كان الوالد فقيرا زينوا له التخلص من ولده ذكرا أو أنثى ليخلصه من ذل الفقر كما في الآية (١٥١) من هذه السورة صفحة ١٨٩، والآية (٢١) من سورة الإسراء، صفحة ٣٦٨.

زينوا لهم ذلك ليوقعوهم في الردى، وليخلطوا عليهم ما كان عندهم من بقية دين إبراهيم بالوثنية ليبعدوهم عن هذه البقية. ولو شاء ربك عدم وقوع هذا منهم ما فعلوه، وقد تقدم بيان مشيئته تعالى في الآية (١٢٥) من هذه السورة صفحة ١٨٣ وإذا كان الأمر كذلك هدمهم واقتراهم سيندمون وقت لا ينفعهم ندم. فالكلام تهديد لعلمهم يتنبهون.

المصدرات .. «حجر» بمعنى محجور كذب بمعنى مذبوح، انظر آية (١٠٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، يستوى فيه المدكر والمؤنث والواحد والكثير

«لا يطعمها» : لا يدوقها.

«وصفهم» : المراد كذبهم على الله في التحليل والتحريم، وهو من قبيل قولهم وصفت عينه السحر وكلامه الكذب، أي ثبت له ذلك على أتم وجه، انظر آية ٦٢ من سورة النحل صفحة (٢٥٣).

«سفها» : السفه خمة العقل كما تقدم في آية (١٢) من سورة البقرة صفحة (٤) وما اقبحه إذا انضم إليه الجهل. «معروشات» : هي من الكرم ما يحمل على عيدان كهيئة العريشة.

﴿أكله﴾ : ثمره الذى يؤكل، انظر الآية

(٢٥) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٢.

ويفسر الإنشاء والأكل آيتا (٢٤، ٢٥) من

سورة يس صفحة ٥٨٢ .

المعنى ١- بعدما تقدم ذكر سبحانه جملة

من جرائمهم مقترنة متجاوزة ليعطى السامع

صورة بشمة لجراتهم على الله فقال: وقالوا

أى مشركو قريش هذه الأشياء التى جعلناها

للآلهة أنعام وحرث معجورة وممنوع تناولها

لا يأكل منها إلا من نشاء من خدام الأصنام،

قالوا هذا زعمنا منهم أن الله أدن لهم فى

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِرْمَ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طَهُورُهَا وَنَعْمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ
اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْتَرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْتَرُونَ ﴿٢٥﴾
وَقَالُوا مَا بَطُونَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَلِصَةٌ لِّدُورِنَا وَمَحْرَمٌ
عَلَى أَرْوَاحِنَا وَإِنْ يَكُنْ قِتْنَةٌ فَمِنْهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ سَيَجْزِيهِمْ
وَصَفَهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَسَلُوا
أُولَئِكَ مِنْهُمْ سَخِمَهَا وَخَبِرَ عَلَيْهِمْ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ قَدْ صَلُّوا وَمَا كَانُوا مُتَعِدِينَ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنشَأَ حَبَّتَ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ الْأَنْعَامِ

ذلك، انظر الآية (٥٩) من سورة يونس صفحة ٢٧٥ وقالوا هذه أنعام حرمت طهورها فلا

تركب ولا يحمل عليها وهى السائبة وما بعدها المذكورة فى الآية (١٠٣) من سورة المائدة

صفحة ١٥٧، وهذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها حال ذبيعتها بل يذكر اسم أصنامهم قالوا كل

هذا افتراء عليه سبحانه، وذلك أن التحليل والتحريم لا يكونان إلا من الله، فإذا حرموا وحللوا

من عبد أنفسهم أو هموا أتباعهم أن هذا بإذن الله وسيجزئهم الله بسبب استمرارهم على

الافتراء أشد الجراء. ومن أنواع كفرهم أنهم قالوا ما فى بطون البعائر والسوائب المتقدم

ذكرها فى سورة المائدة خالصة أى خاصة وحلال لهم لا تشاركهم النساء، وهذا هو المقصود

من قولهم ومحرم على أرواحنا أى بسائنا هذا إذا ولد حيا، وإن يكن ما فى بطونها ميتة أى

ولد ميتا فالذكور والإناث شركاء فيه يأكلون منه وهذا من جفاء الطبع فى حق النساء

الضعيفات.

(١) أنعام	(٢، ٣) وأنعام	(٤) الأنعام	(٥) أرواحنا	(٦) أولادهم	(٧) جنات
(٨، ٩) معروشات	(١٠) مشابها	(١١) متشابهة	(١٢) وآتوا	(١٣) الأنعام.	

سيخزيهم الله وصفهم الكذب أو كذبهم البالغ نهاية القبح، لأنه حكيم لا يسوى بين تكاثر والمؤمن، عليهم بكل ما يعملون فلا يظلم ثم جمع سبحانه ما يذكر على العرب المشركين في أمرين عظيمين فقال:

قد حسر الدين قتلوا أولادهم سمها بغير علم كل حير وحرما ما رزقهم الله تعالى مما ذكر في الآية (١٠٢) من سورة المائدة صفحة ١٥٧ وغيرها افتراء على الله، قد صلوا بهد، العمل أي راد ضلالهم بدليل قوله وما كانوا في الأصل مهتدين فالضلال عندهم قديما وحديثا. قال ابن عباس إذا أردت أن تعرف جهل العرب فاقرا هذه الآية. ثم رجع سبحانه إلى ما هو المقصود الأصلي من السورة وهو إقامة أدلة التوحيد، ومحاربة الشرك في كل مظاهره، ومن أبشع مظاهره تحريم ما أحل الله وبالعكس، فذكر في ذلك عشر آيات قدم لها بالإشارة إلى قصصه سبحانه عليهم بالأنعام وما تثبت الأرض ومع ذلك يتصرفون فيها بما يعصيه فقال وهو الذي أنشأ وأوجد جنات معروشات وغير معروشات بأن تقوم على سوقها، وأنشأ البحر والرع مما هي الجنات محتلما ثمره في شكله ولونه وطعمه وريحه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابه وغير متشابه كذلك، كلوا، يا عبادي من ثمر كل هذه المذكورات إن كنتم مما يثمر ويؤكل ثمره وكنوا من كل ما ينتج منها من ررع، وآثروا حقه الذي أوحى الله فيه للعقراء يوم حصاده.

والمراد يوم جمع الررع وقطع الثمر وقد بشمر هذا أن في المال حقا غير الزكاة لأن الررع يشمل الحَصْر كالحمل والكرتب وغير ذلك مما يطبخ أو يؤكل دون طبخ وليس هي ذلك زكاة عند جمهور الأئمة، وكذا الرمان والعنب قبل صيرورته زبيبا، ولذا قال كثير من المفسرين أن هذه حقوقا هي المال غير مقدرة سوى الزكاة لما أخرج الترمذي والدارقطني وجماعة عن فاطمة بنت قيس عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿إِنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ حُمَاتٍ...﴾ الْآيَةَ وَمِثْلَ هَذَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَيُؤَيِّدُ كُلُّ هَذَا مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (لَا يُؤْمَنُ بِاللَّهِ مَنْ بَاتَ شِعْمَانًا وَحَارَهُ طَاوُ إِلَى جَنْبِهِ) وَجَمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ حَالُ الْمُقِيرِ إِلَى حَاجَتِهِ إِلَى طَعَامِهِ الصَّرُورِيِّ الَّذِي يَهْلِكُ بِعَدَاهَا وَجِبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْطَوْهُ مَقْدَارَ دَفْعِ الضَّرُورَةِ وَإِنْ كَانُوا مَعْنَى لَا تَجِبُ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ أَنْظِرُ الْآيَةَ (١٧٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَمَحَتِي ٢٣، ٢٤، وَمَنْ أَرَادَ تَفْصِيلَ كَيْفِ هَرَصَتِ الزَّكَاةُ وَمَنْ يَسُّ مَقْدَارَهَا وَكَيْفَ كَانَتْ أَوَّلًا بِمَكَّةَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى حَدِيثِ رَقْمِ (٢٠١) مِنْ كِتَابِنَا صَفْوَةُ الْبُخَارِيِّ. وَلَا تَسْرِفُوا أَيَّ لَا يَقَعُ مِنْكُمْ إِسْرَافٌ فِي صُورَةٍ مِمَّا مِنْ صُورِهِ، فَلَا تَسْرِفُوا فِي الْأَكْلِ قَبْلَ الْحَصَادِ حَرَصًا عَلَى حَقِّ الْمُقِيرِ وَلَا فِي الْإِعْطَاءِ حَرَصًا عَلَى الْأَوْلَادِ مِنَ الْجُوعِ، وَلَا فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ الْعَادِيِّ كَمَا هِيَ الْآيَةُ (٢١) مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ صَمَحَةُ ١٩٦، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْجَبُ الْعَسْرَةَ، وَأَنْشَأْنَا لَهُمْ أَيْضًا مِنَ الْأَنْعَامِ.....

حَوْلَهُ وَفَرَشَ ثُلُكُمَا بَرْقِكُمْ اللَّهُ وَلَا تَقْعُوا خُطُوتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ تَمْلِكُ أَرْوَاحَ
الْأَنْثَى وَبَيْنَ أَلْمَرِّ أَنْثَى قُلْ ءَاللهِ كَرِيمٌ حَرَّمَ أَم
الْأَنْثَى أَمَا أَشْنَعْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَى يَتَّقُونَ
يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ وَبَيْنَ الْإِبِلِ أَنْثَى وَبَيْنَ الْغَنَمِ
أَنْثَى قُلْ ءَاللهِ كَرِيمٌ حَرَّمَ أَم الْأَنْثَى أَمَا أَشْنَعْتَ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأَنْثَى أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
فَلَمَّا أَطَعْتُمْ بَغَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُبْسَلُ أَلَيْسَ بِعَمٍ
عَلِيمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٢﴾ قُلْ لَا أُجِدُ
بِهَا أَوْحَى إِلَى حَرَمًا عَلَى طَائِفَةٍ بِطَمَعِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَبْنًى أَوْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَرَضَ إِنْ شَاءَ
أَهْلُ الْبَيْتِ اللَّهُ بِهِ قُلْ أَضَلُّوا سُبُلًا وَلَا تَقْرَبُوا رِبَا

المفردات : «حمولة» : هي ما يعمل
الناس والمتاع من كبار الإبل.

«فرشا» : المراد يتخذ من وبرها
وأصوافها وشعرها فرش. انظر الآية (٨٠)
من سورة النحل صفحة ٢٥٦.

«أرواح» : يطلق الزوج في اللغة على كل
أشياء تقارنا في شيء، تقول عدى زوج فعل
مثلا، ويطلق على كل واحد من القريبين
كالدكر والأنثى من الحيوانات المتزاوجة،
فيقال للدكر زوج وللأنثى زوج وللأنثيين

زوجان، تقول عدى زوجا حمام تريد ذكرا وأنثى وهذا الاستعمال هو المراد هنا وإلا كان
المذكور أربعة لا ثمانية «شهداء» : أي شاهدين حاضرين

«رجس» : خبيث تعافه الطباع السليمة.

«فسقا» : أي سبب فسق وخروج عن طاعة الله.

«باغ ولا عاد» : تقدم في الآية (١٧٢) من سورة البقرة صفحة ٢٢ أن الباعى هو الحارج
على الإمام بالإفساد في الأرض، والعادى هو الذى تجاور حد الضرورة بأن يأكل حتى يشبع.

لعمري . وحلق لكم من الأنعام ما يحملكم ويحمل متاعكم كما هي الآية ٧ من سورة البقر
صفحة ٢٤٦، وجعل لكم منها فرشا للبيت، وقلنا لكم كلاً مما رزقكم الله من هذه الأنعام
وعيرها، ولا تتبعوا خطوات الشيطان يتحرّم ما لم يحرمه الله أو يجعلها للأصنام، إن

الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة، انظر آيتي (١٦٨، ١٦٩) من سورة البقرة صفحة ٢٢، خلق من الأنعام المذكورة ثمانية أزواج، ويثنى هذه الأزواج ليرتب عليه تبكيثهم وتجهيلهم على تحريم بعضها فقال:

من الضأن اثنين الذكر والأنثى أى الكبش والنمجة، ومن المعز اثنين أى التيس والعنز.

قل لهم أيها النبي الذكرا من الضأن والمعز حرم الله تعالى أم الأنثيين منهما أم الأجنة التي في أرحام الأنثيين ذكورا أم إناثا، والاستفهام للإنكار أى لم يحرم الله شيئا منها فأخبروني بعلم منقول عن واحد من رسل الله إن كنتم صادقين في دعوى أن الله حرمها، ومن الإبل اثنين الجمل والناقة، ومن البقر اثنين هما الثور والثورة، أما البقرة فهي واحدة البقر تطلق على الذكر والأنثى. قل لهم أيها النبي الذكرا من الضأن والمعز حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحامها أى لا، لم يحرم شيئا كما سبق، فهل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم؟ والكلام تكرير للإفهام والتبكيث، والمعنى لم يكن شيء من هذا بل هو افتراء منكم. ولا أحد أشد ظلما ممن افتري على الله كذبا فمضب إلىه تحريم ما لم يحرمه ليضل الناس بغير علم، انظر الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦: والمراد تصحيح الجمل العمام مع سوء النية، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وغيره ممن يتبعه محرم من الهداية، لأن الله لا يهدي الظالمين.

وبعد ما ألزمهم سبحانه الحجة وبكتهم وهددهم أمر رسوله ﷺ أن يبين لهم ولغيرهم ما حرمه سبحانه دون غيره ومنه يعلم شناعة افتراءهم بالريادة عليه فقال.

قل أيها النبي لا أجد فيما أوحاه الله تعالى إلى طعاما محرما على أكل يأكله من ذكر أو أنثى إلا أن يكون ذلك الطعام ميتة أو دما مسفوحا إلخ، تقدم بيانها في الآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥ فإنه أى المذكور من الثلاثة رجس أو يكون الطعام فسقا، وبين سبب كونه فسقا أنه أهل لغير الله به، والمراد ذكر غير اسم الله تعالى عند ذبحه، وتقدم مثل ذلك في الآية (١٧٢) من سورة البقرة صفحة ٢٢ والآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥، فمن أوجاهته الضرورة لأكل شيء مما ذكر بشرط أن يكون غير باع على إمامه بأن يكون مقسدا في الأرض، ولا عاديا أى متجاوزا حد دفع الضرورة إلى الشبع.....

عَمُورٌ رَحِيمٌ ① وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حُرْمًا كُلِّ ذِي طَمَرٍ
وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حُرْمًا عَلَيْهِمْ نُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَلَلَتْ
طُهُورُهُنَّ أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَائُهُمْ
بِمَعْسِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا تَصَدِّقُونَ ② فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَدَّبَّاسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ③
مَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حُرْمَتٌ مِن شَيْءٍ وَكَذَلِكَ كَتَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم
كُفْرًا فَاقْرَأْ بَلَاءُ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُنَّ
إِنْ تَقُولْنَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ أَنتُم لَآ تَحْرُصُونَ ④ قُلْ فِيهِ
الْحُجَّةُ الْبَاطِلَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ التَّحْمِيلَ ⑤ قُلْ فَلِمَ
شَهِدَآءُ كُرِّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا
فَلَا تُشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

المعردات ﴿عمور رحيم﴾ عمور لعماده
الحطأ السير هي تحديد المقدار الذي يدفع
الضرر - رحيم حيث حرم عليهم ما بصرهم.
انظر ما تقدم في الآية (١٧٢) من سورة
البقرة صفحة ٣٢. والآية (٣) من سورة
المائدة صفحة ١٢٥ ﴿الذين هادوا﴾ معنى
هاد رجع، والمراد بهم اليهود، انظر الآية
(١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧..

﴿الحوايا﴾ : جمع حوية كفصايا وقضية،
وهي المباخر جمع مَبْمَر بفتح فسكون اسم
مكان للبحر.

وهي المصرون الفليضة التي يكون فيها البحر قبل حروجه ويكون الشحم محتلتا فيه
باللحم، ويأكله المصريون معشوا بالأرز والتوابل.

﴿بأسه﴾ : عذابه وانتقامه.

﴿إن تتبعون﴾ : إن - حرف نفى بمعنى ما.

﴿الظن﴾ : المراد به هنا الوهم الذي لا سند له ﴿إن أنتم﴾ : إن - كساقتها

﴿تحرصون﴾ : الحرص التحميل ﴿هلم﴾ : أي احضروا وهاتوا.

المعنى : بعد ما بيئ سبحانه ما حرمه على جميع المكلمين شرع في بيان ما حرمه على
بنى إسرائيل خاصة عقوبة لهم كما تقدم في آيتي (١٦٠، ١٦١) من سورة النساء صفحة ١٢٠

- | | | |
|-------------|-------------|------------|
| (١) جريهاهم | (٢) لصادقون | (٣) واسمة |
| (٤) آباؤنا | (٥) الباطلة | (٦) لهداكم |
| (٧) بآياتنا | | |

فقال ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾. قال ابن عباس هو ما ليس منصرح لأصابع كالإبل والنعام والأور والبط، وحرمنا عليهم من البقر والعم شحومهما لا لحومهما، إلا الشحم الذي فوق الظهر أو الحوايا أو الشحم الذي احتلج بمظم وهو ألية الصان لاحتلاط شحمها بالعصص هذه الثلاثة حلال، فالمحرم غير ذلك هو شحم الكلية، و لشرب بالثاء يورن لَنَجْم وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والأمعاء، فالمحرم هو الشحم الذي يبرع بسهولة لعدم احتلاطه بمظم أو لحم ذلك التحريم جزيائهم به بسبب بعيمهم، وتقدم بيان لبعض في الآية (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٢٠، وإنا لصادقون في كل ما أحبرناك به من تحريم وتحليل وبغى وغير ذلك، فإن كدك المشركون الذين أرسلت إليهم لتقيم الحجج على الصواب لمحاكتهم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسمة لمن رجع إليه كما في الآية (٨٢) من سورة طه صفحة ٤١٢، أما إذا استمروا على عبادهم فأعلمهم بأنه تعالى لا يرد عدا به عن لمجرمين وبعدما أبطل سبحانه كثيرا من شبهاتهم شرع في تلقيين بيبه ﷺ رد شبهة من أحبت ما صر بمثلها كثير من الكفار قتلهم، لقها سبحانه لرسوله قبل أن يقولوها لنلا بما جا بها وليس معه جوابها فقال تعالى:

سيقول لك الذين أشركوا إلح، أي سيقول لك أيها النبي المشركون لو شاء الله أن لا يشرك به نحن ولا آباؤنا من قبلنا ما أشركنا، ولو شاء أن لا يحرم ما حرمنا شيئا من المحرث والأنعام وغيرها، أي ولكنه شاء أن يشرك وأن يحرم محرمنا، فوقع ذلك منا دليل على مشيئته تعالى، يريدون أن يرتبوا على ذلك أنه سبحانه راض بما يعملون، أي فلا دخل لك يا محمد وقد وقع ما أحبر به تعالى قبل وقوعه انظر الآية (٢٥) من سورة النحل صفحات ٣٤٩، ٣٥٠، وآيتي (٢٠، ٢١) من سورة الزحرف صفحة ٦٤٩، بل بلغ من تبجحهم أنهم أدعوا أن الله أمرهم بهذا انظر الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، ومرادهم أن يقولوا إن ما فعلناه حق مشروع لأنه بإرادة الله وكل ما أراد هو مرضى عنه منه، فهم يقصدون بما قالوا ما يبرمه في زعمهم وهو رضا سبحانه عن كل ما يريد.

ولما كان هذا التلزام باطلا لأنه لا يلزم من إرادته تعالى لشيء رضاه عنه، لأن كل ما يقع في ملكه بإرادته لا حبرا عليه ومع ذلك لا يرضى لعباده الكفر كما في الآية (٧) صفحة ٦٠٦

٦٠٧ وكذلك لا يرصى لهم المحاصى وإلا ما عذبهم عليها ولدا رد عليهم بتكديسهم هي دعوى التلارم بقوله كذلك أى مثل هذا التكذيب بالمعاطفة كذب الكفار قبلهم رسلهم عندما قالوا لهم إن الله لا يرصى لمبادء الشرك ولا المحشاء، ولا يأمر ولا يرصى إلا بالائمان والعدل أما إرادته فتابعة لحكمته تعالى هي النظام الذى ارتصاه لهذه الدار الدنيا، ومن هذا النظام انه يسهر لكل مكلف ما يعتاره بعد أن يرشده إلى الصواب قال تعالى

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صمحتى ٣٨٤، ٣٨٥ وآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صمحتى ٣٦٦ ٣٦٧ فقولكم إن شركنا مرصى عنه تكذيب لرسولكم كتكذيب الكفار قبلكم لرسولهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابا وهذا دليل على كذبهم، لأن الله تعالى لا يعذب على ما يرصيه، وبعد هذا التكذيب المقام عليه الدليل أمر الله تعالى ببيه أن يطالهم بدليل عسى عسى زعمهم فقال:

قل لهم هل عندكم من علم فتظهره لنا؟ والاستمهاهم للتوبيخ والتعجيز، ولدا أعقبه ببيان حقيقتهم فقال إن تتبعون إلا الظن أى ليس عندكم علم بل ظن باطل لا يعنى عن الحق شيئا، ولد قال وإن أنتم أى ما أنتم إلا تحمون تحمينا لا يستند إلى شيء

وبعد ما نفى عنهم أدنى مراتب العلم أثبت لنفسه سبحانه الحجة القاطعة قل أيها النبي لهؤلاء الكفار الذين يسبون أصول دينهم على التحمين إذا لم يكن عندكم علم فى أمر دينكم فلكم وحده الحجة لئلا تلهيكم القوة، فلو شاء هدايتكم لهداكم أحسنين يجبركم على الاستقامة، سيكون انعام كله ملائكة، ولكنه لم يشأ ذلك للحكمة المتقدمة فى الآية (٢٩) من هذه السورة صمحة ١٦٨. وعندما نفى عنهم العلم طلب منهم أن يحضروا من يشهد لهم على صحة ما يزعمون لثبت أنهم ليسوا على شيء لا من العلم ولا من غيره فقال قل لهم وهاؤا شهداءكم ليدلوا أن الله حرم ما حرمتهم. وهذا تعجيز لأنه ليس من البشر من يعلم عن الله عنما قطعيا كأنه مشاهد إلا الرسل، فإن فرض وأحضرنا شهداء وادعوا أنهم قاطعون بما يشهدون فلا يشهد أيها النبي معهم، أى لا تقرهم على كذبهم، ولا تتبع شهواتهم لأنهم مكذبون بآياتنا أى أدلتنا التي بيناها لهم قاطعة بصدق رسولنا .

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَكِيدُونَ ﴿١٦١﴾
 • قُلْ تَعَالَوْا أَنَا ذُنُوبٌ قَدِيرٌ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُسْأَلُونَ عَنَّا
 شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا إِيَّاكُمْ لَمِنَ الْمُتَكِبِينَ
 كُفُّوا رُفْقَكُمْ وَإِذَا قُلْتُمْ لِلنَّاسِ عِشْرًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفُّوا عِشْرَةً
 وَمَا يَلْتَمَسُ وَلَا تَقُولُوا لِلنَّاسِ حَرَمٌ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 ذِكْرٌ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
 الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِذْ عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْطِعُوا رِجْلَهُمْ وَقَدْ بَيَّنَّا الْإِسْلَامَ لِلنَّاسِ
 وَإِذَا قُلْتُمْ لِلنَّاسِ عِشْرًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفُّوا عِشْرَةً
 ذِكْرٌ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِنْ هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
 عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

المفردات : «يعيدلون» : أى يجعلون له
 تعالى عديلا، أى شريكا مماثلا، انظر أول
 هذه السورة صفحة ١٦٢ والآية (٦٠) من
 سورة النمل صفحة ٥٠١. «إملاق» : هو
 لفقر، «ما ظهر منها» : هو ما تصعله
 الجوارح كالقتل والزنا والسرقه والكذب،

«وما بطر» : هو أعمال القلوب كالحسد
 وبية السوء «أشده» : بلوغ الأشد محصور
 بين البلوغ مبلغ الرجال الذى عنده يكون
 التكليف، وبين اكتمال القوى الجسمية
 والعقلية ويكون غالبا بين العشرين والأربعين

من عمر الإنسان، فقوله تعالى فى سورة يوسف «ولما بلغ أشده أتيه حكما» الآية «بطر
 الآية (٢٢) من سورة يوسف صفحة ٢٠٥ معناه البلوغ مبلغ الرجال وعنده راودته امرأة العزيز
 عن نفسه ومنه قوله تعالى «ثم بخرجكم طملا ثم لتبلفوا أشدكم ثم لتكوبوا شيوحا» انظر
 الآية (٦٧) من سورة عاقر صفحة ٦٢٧ ويطلق «الأشد» أيضا على بلوغ لإنسان مبلغ يجعله
 صالحا للتصرهات المالية بأن يكون عاقلا حسن التصريف، وهذه الحالة عبر عنها القرآن
 بالرشد فقال فى «اليتامى» «فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم» بطر الآية (٦) من

(١) وبالوالدين

(٢) حسنا

(٣) أولادكم

(٤) إملاق

(٥) العواش

(٦، ٧) وصاكم

(٨) صراطى

(٩) وصاكم

سورة النساء صفحة ٩٨ والآية (٢٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٩ والآية (٨٢) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢. أما قوله تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما﴾ انظر الآية (١٤) من سورة القصص صفحة ٥٠٨. فإننا نجد سبحانه جمع بين بلوغ الأشد وبين الاستواء فبلوغ الأشد هو بلوغه مبلغ الرجال، واستواؤه هو اكتمال قوته الجسمية والعقلية، ويكون في المادة بعد العشرين سنة.

وأما قوله ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ فهو يريد به أقصى بلوغ الأشد، وذلك يكون عند انتهاء شباب الإنسان، ودخوله في سن الشيخوخة، وعند هذا المدى بُعث نبينا محمد ﷺ. هيؤخذ من كل ذلك أن بلوغ الأشد محصور المبدأ محصور النهاية، غير محصور ما بينهما.

﴿القسط﴾ العدل ﴿ولو كان ذا قربي﴾. الصمير في ﴿كان﴾ يعود على مفهوم من سياق الكلام والمراد ولو كان المتعلق به القول قريبا لكم، ونظير هذا الصمير تجده في ﴿عليها﴾ من قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم، ما ترك عليها من دابة﴾ انظر الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٣٥٣.

المعنى . ولا تتبع هؤلاء المكذبين الذين من صفتهم أنهم لا يؤمنون بالأخرة، ويحملون لربهم شريكا مماثلا وبعدا بين سبحانه ما حرمه وما أحله وحججه البالغة على المشركين، شرع في بيان أصول المحرمات من الأعمال والأقوال وما يقابلها من أصول الفصائل فقال:

قل أيها النبي لهؤلاء المتبعين في دينهم لمجرد التخمين والهوى فيما يحلون ويحرمون تعالوا إليّ أقرأ عليكم الكلام الدال على ما حرمه ربكم عليكم. وخص التحريم بالذكر هنا مع أن الوصايا العشر التي سيذكرها فيها خمسة محرمة منهي عنها، وخمسة واجبة مأمور بها، لأن أغلب الكلام فيما سبق كان فيما حرّموه، فكانه يقول المحرّم هو ما نهى الله تعالى عنه لا ما حرّمتم أنتم. وإلا فأصل الكلام أتى ما حرم وما أوجب. وإذا علمت أن من الأساليب العربية المصيبة أن يقول الرئيس لمرؤسه اسمع ما أمرك من فعله لا تفعل كذا ولا كذا، وإذا علمت

أيضا أن من المقرر أن الأمر بشيء بهي عن صده والنهي عن شيء أمر بصدده فإذا قلت لرجل أمرتك بالصلاة فقد نهيتك عن تركها، وإذا نهيتك عن الكذب فقد أمرته بتركه، إذ علمت كل هذا سهل عليك فهم ما يأتي وشرع سبحانه في بيان ما حرم وما أوحى به فقال

أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ «أَنْ» حرف تفسير تعيد أن ما بعدها تفسير لما قبلها، فكأنه قال أول ما أتلوه عليكم من الوصايا هو أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

والثاني مما أتلوه عليكم وأوصاكم به ربكم أَنْ تَحْسِبُوا لِلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا كَامِلًا، وهذا يستلزم ترك الإساءة وإن صغرت وكيف بالعقوق.

وقد تقدم نظير ذلك في الآية (٨٢) من سورة البقرة صفحة ١٦، والآية (٣٦) من سورة النساء صفحة ١٠٦، وسيأتي في الآية (٢٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٧.

والثالث من الوصايا أَنْ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ الصَّغَارَ مِنْ أَجْلِ فِقْرِ حُلْ بَكُمْ هَرَارًا مِنْ أَنْ يُؤْلَمَكُمْ مَشَاهِدَتُهُمْ جِيَاعًا، وهذا من تربية شياطينهم كما تقدم في الآية (١٢٧) من هذه السورة صفحة ١٨٥، نحن نررركم وإياهم أي ررركم ورررهم عليها فلا تحافوا،

والرابع من الوصايا أَنْ لَا تَقْرَبُوا الْمَعَاصِيَ الشَّدِيدَةَ الْقُبْحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا مَعَ تَفْعُلُهُ الْجَوْرَحُ كَالرِّبَا وَالسَّرْفَةِ، وما بطن كالْحَسَدِ وَنِيَةِ السُّوءِ، انظر ما تقدم في الآية (١٢٠) من هذه السورة صفحة ١٨٢.

والخامس منها أَنْ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا إِذَا كَانَ الْقَتْلُ بِوَحْيِهِ حَقٌّ كَأَنْ تَكُونَ قَاتِلَةً أَوْ رَافِيَةً بَعْدَ إِحْصَاءٍ. ذلكم ما ذكر من الأحكام الخمسة في هذه الآية وصاكم بالمحافظة عليها ربكم لإعدادكم لأن تعقلوا ما فيه الخير فتعملوه وما فيه شر فتجتنبوه.

والسادس من الوصايا أَنْ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ إِلَّا بِالْمَعْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ كَحِمْلَتِهِ وَتَمْيِيتِهِ، فحافظوا عليه إلى أن يبلغ رشده فسلموه له كما في الآية (٦) من سورة النساء صفحة ٩٨.

والسابع منها أن تجعلوا الكيل وأهيا وكذا الميزان، والمراد المكيل والموزون، ولا تكونوا من المطففين الذين توعدهم الله تعالى بالهلاك في سورة المطففين. ولما كان الأمر بالقسط قد يوقع أهل الورع في حرج لأن العدل المطلق لا يتحقق إلا بمثل موارد الذهب فقد تزيد حبة واحدة أو تنقص، لكل ذلك قال سبحانه:

﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما هي طاقتها فعله، ولا يؤاخذ بمثل هذه الأشياء، لتي لا يمكن ضبطها، بل بالعدل المعروف عند الناس.

والثامن منها أن تعدلوا إذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة ولو كان المحتاج إلى قولكم ذا قرابة منكم.

والتاسع منها أن توفوا بالعهد الذي عاهدتم الله عليه، ويدخل فيه ما شرعه على لسان رسوله وقبلتموه بدحولكم في الإسلام، ويدخل فيه ما يعاهد الناس بعضهم بعضاً فيما هو جائز شرعاً وما يلزمون به أنفسهم من بدر أو يمين، انظر الآية (٧٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٤، ومحل الوفاء بالعهد إذا كان على شيء فيه خير ومصلحة، لا في شر، ولذا عبّر عنه بعهد الله. ذلكم ما ذكر من التكاليف الأربعة وصاكم ربكم به لعلكم تذكرون دائماً ما فيها من المنافع فتحافظوا عليها ولا تعملوا عنها.

والعاشر منها أن تتبعوا الشرع لأنه صراطى المستقيم المذكور في سورة العنكبوت، وهذه الوصية العاشرة جامعة لكل خير، فهي أعم مما تقدم، ولا تتبعوا سبل الضلال الكثيرة هتتمرق أى تتشعب وتبعد بكم عن سبيله المستقيم. ذلك الأمر باتباع الطريق المستقيم وصاكم به ربكم لعلكم تتقون، وتبتعدون عما يصمركم في الدنيا والآخرة. روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ خط بيده خطاً ثم قال

هذه سبيل الله، ثم خط حطوطاً عن يمين ذلك الحط وشماله وقال

هذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ هذه الآية. ولذا أورد سبيل الحق لأن الحق واحد، والباطل طرقه كثيرة.

ثُمَّ أَنبَأَ مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحَسَّنَ
وَتَفَصَّلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّعَنَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١١٤﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْتُ مَبْرُكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَنْقَرُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١٥﴾ أَلَمْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى
طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلُ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١١٦﴾
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ لَنُحَدِّثْ بِهِمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّمَن
أَظْلَمَ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا أَفَدَّ وَصَدَفَ عَنْهَا سَخِرَ
الَّذِينَ يَصْدِقُونَ عَن آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يَصْدِقُونَ ﴿١١٧﴾ هَلْ يَسْطُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا تَسْمَعُ نَفْسٌ مِّنْهُمْ شَيْئًا إِنَّهُمْ كَانُوا

المصدرات ﴿تماما﴾ بمعنى إتماما
للسمة

﴿انزل الكتاب﴾ : العواد جنس الكتاب
الذي يشمل التوراة والإنجيل بدليل قوله
﴿طائفتين من قبلنا﴾ وهما اليهود والنصارى.
﴿دراستهم﴾ : أى قراءة ومدارسة للمهم.
﴿صدف عنها﴾ : أعرض ﴿يأتى ربك﴾ : أى
أمره بالعذاب انظر الآية (٢٢) من سورة
النحل صفحة ٢٤٩ ﴿بعض آيات ربك﴾
علامات قيام الساعة.

المعنى : بعد ما أقام سبحانه على كمار

مكة الحجج وأبطل ما يرعمون، ووصاهم بتلك الوصايا العشر التى قال عنها عبد الله بن
مسعود من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ محتومة بعاتمه فليقرأ هذه الآيات قل
تعالوا إلى لعنكم تتقون بعد كل هذا أراد سبحانه أن يقطع على الكاهن طريق الأعداء
الكاذبة التى تعللوا بها والتى سيتعللون بها، منها أن الكتب السماوية نزلت من العاصى على
أمر غيرهم وما كانوا يعرفون قراءتها، ومنها أنهم لو نزل عليهم كتاب كغيرهم لكانوا أحسن
منهم، فرد الله تعالى عليهم بأن ما أنزلنا التوراة على غيركم فقد أنزلنا على نبيكم ما هو
خير منها وبلغتكم وهو القرآن فلم لم تؤمنوا إن كنتم صادقين؟

فقال سبحانه ثم قل لهم أيها السى تعالوا أنلو عليكم ما قال ربكم أنا أنبأ موسى الكتب
وهو التوراة واقتصر على موسى والتوراة دون عيسى والإنجيل لأن بين التوراة والقرآن تشابها

فكل منهما شريعة كاملة، والإنجيل ليس كذلك، فإن أكثره عظات، ولهذا نجد أن الله تعالى قرن بين القرآن والتوراة كثيرا، انظر ما تقدم في آيات (٩١، ٩٢) من هذه السورة صفحة ١٧٧ وآيتي (٢٢، ٢٣) من سورة السجدة صفحة ٥٤٧، والآية (١٢) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧ إلى غير ذلك، إنا أعمما على الذي أحسن عمله، وبطير هذا الحراء ما في الآية (١٢٤) من سورة البقرة صفحة ٢٤، والآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥، والآية (٢٤) من سورة السجدة صفحة ٥٤٧، وممضلا لكل شيء يحتاجون إليه، وهاديا إلى طريق الحق وسببا لرحمة ربهم أتينا موسى التوراة الجامعة لهذه المراسل ليعد قومه لرحاء الإيمان بقاء ربهم في الجنة. وهذا القرآن الذي يتلى عليكم كتاب عظيم أنزلناه كثير البركة كما تقدم في الآية (٩٢) من هذه السورة صفحة ١٧٧ فاتبعوه واتقوه ما نهاكم عنه لتكون رحمته تعالى مرجوة لكم أنزلنا لكم القرآن ممنا لكم من أن تقولوا يوم القيامة معندرس عن شرككم إنا أنزل الكتاب الهادي للصواب على طائفتين من قبلنا وإنا كنا غافلين عن مدارس وقراءة كتبهم لجهلنا بلفظهم، أو تقولوا في عتداركم لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لأننا أركى عقولا وأعلى همة وأجمع لصفات الشهامة وحب الصراحة وبعدة الضعيف وعدم المبالاة بالشدة، وقد صدر منهم فعلا ما أحبر به القرآن قبل وقوعه، انظر الآية (١٢٤) من سورة طه صفحة ٤١٩ والآية (٤٢) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨ والسورتان برلتا بعد سورة الأنعام، فقد جاءكم من ربكم قرآن مبين لكل ما تحتاجون إليه في تحقق سعادتكم وهدى ورحمة، تقدمنا في الآية (١٥٤) من هذه السورة صفحة ١٩٠ السابقة، وإذا كان هذا هو حال آيات الله المشتملة على الهداية والرحمة فلا أحد أظلم لنفسه ممن كذب بها وأعرض عنها مبالغة في التكذيب. سيجري الذين يعرضون عن آياتنا أسوأ أنواع العذاب بسبب استمرارهم على الإعراض وبعد أن هددهم أكد هذا التهديد وأراد أن يعرفهم بحقيقة ما سيلاقون وأنه لا يخرج عن واحد مما سيأتى فقال

هل ينظرون أي لا ينظرون إلا أحد ثلاثة أشياء فإما أن تأتيهم ملائكة الموت لمبص أرواحهم، أو يأتي أمر ربك أيها النسي بالعداب هي الدنيا كما حلّ بكثير من الأمم قبلهم، أو تأتي بعض آيات ربك الدالة على قيام الساعة.

مِنْ قُلٍّ أَوْ كَيْتٍ فِي رِيحٍ خَبِيرَةٍ قُلٍّ اسْتَطَرُوا إِمَّا
مُسْتَطَرُونَ ﴿٢٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَانَتَهُ
يَسْتَمِ بِئِنَّهُ إِنْ أَمَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَسْتَمِ بِئِنَّهُ كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٢٨١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَقِّ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٢﴾
قُلْ إِنِّي قَدْ نَجَّيْتُ رَبِّي لَأَنْ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨٣﴾ قُلْ إِنْ
فُتِنَاقِي وَتُسْكِي وَتُخَيِّبِي وَتَمْنِي فَإِنَّ رَبِّيَ الْعَزِيزُ
لَا تُخَيِّبُكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٨٤﴾
قُلْ أَقْبَلْتُ أَنْ أَرَى رِبَاً وَهُوَ رُبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهَا وَلَا تَزِدُ وَرْدَةً وَرَدًّا أُخْرَى ثُمَّ إِنَّ
رَبَّكَ مُرْجِعُكُمْ هُنَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ بِهِ تَحْتَلُونَ ﴿٢٨٥﴾

يوم يأتي بعض آيات ربك هذه فيؤمن
الناس اصراراً كما اضطراراً فرعون في الآية
(٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠، لا ينفع
نفساً إيمانها لم تكن آمنت....

المفردات .. ﴿قيماً﴾ أصله مصدر
كالصفر والكبر وجعل وصفا للمبالغة، والمراد
دينا يقوم به أمر الناس في معاشهم ومعادهم،
انظر الآية (٥) من سورة النساء صفحة ٩٨،
والآية (٩٧) من سورة المائدة صفحات ١٥٦،
١٥٧.

﴿حنيفاً﴾ : مائلاً عن الباطل إلى الحق.

﴿تُسْكِي﴾ هو في الأصل مطلق العبادة وكثير استعماله في عبادات الحج من سعى وطواف
وذباح، انظر الآية (١٩٦) من سورة البقرة صفحات ٣٨، ٣٩، والآية (٢٠٠) من نفس السورة
صفحتي ٣٩، ٤٠، والآية (٢٤) من سورة الحج صفحة ٤٢٨، والآية (٦٧) من نفس السورة
صفحة ٤٤٣.

﴿نَزَر﴾ أصل النزر الحمل الثقيل، يقال نزر الشيء يزره كوزع يزره حمل، والمراد تعمل رب

﴿واردة﴾ أي حاملة ورراً أي ذنباً ﴿نزر واردة وزر أخرى﴾ يقول العربي ورر هلال
الشيء يزره يورن وغده يعبه ورراً، بفتح الواو وسكون الراء ووزراً بكسر الواو وسكون الراء

(١) يعبها

(٢) هداى

(٣) صراط

(٤) إبراهيم

(٥) المالين

أيضا أي حملة، وتقول أيضا وَرَّر الرجل أي حمل ما يثقل ظهره وتقول أيضا ورر هلال يور بورر وعد أيضا وَرَّأ و وَرَّأ أيضا أي ارتكب إنما فهو وَرَّرَ بعثع الواو وكسر الراء ومورور. والأشئ وزرة، والوزر بكسر الواو وسكون الراء يستعمل مصدرا كما تقدم، ويستعمل بمعنى الإثم أي الدسب، ويستعمل بمعنى الحمل الثقيل. وجمعه أوزار ومنه قوله تعالى ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ الآية (٤) من سورة محمد صفحات ٦٧٢، ٦٧٣ أي أقالها والوَرَّرَ بفتحات هو الملجأ ومنه قوله ﴿كلا لا ورر﴾ الآية (١١) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩ فمعنى ﴿لا ترر﴾ أي لا تحمل ﴿وررة﴾ أي نفس مرتكبة ﴿ورر﴾ أي إنما و ﴿ورر أخرى﴾ أي إثم نفس مرتكبة أخرى والمراد جزاء ذنبها وهو العقاب وبعد كل هذا فيحسن أن سبه لأمر مهم هنا قد تحمى على بعض البسطاء دقائقه، وطروقه التي جاء فيها ذلك أن قوله تعالى ﴿لا ترر واررة وزر أخرى﴾ لا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى وهذا ربما يوهم أن النفس غير المذنب قد تحمل ذنب نفس أخرى، والمعدل الإلهي يابى ذلك لأنه سبحانه قرر أن كل نفس سواء كانت مذنبه أو غير مذنبه لا تحمل ذنب غيرها. فقد قال تعالى ﴿واحشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جار عن والده شيئا﴾ الآية (٢٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤، وكل هذا يقتضى أن يقول سبحانه ﴿ولا ترر نفس ورر أخرى﴾ ويزول الخفاء إذا علمنا أن الكلام هنا مع قادة الكفر أصحاب الأوزار الذين يسمون في تصليل غيرهم ويقولون لهم لا تحافوا شيئا لاسما سحلم عنكم خطاياكم إن كان لكم خطايا. قال تعالى فيهم ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ الآية (١٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢ وفي هذا الأسلوب أيضا إبرار للمعدل الإلهي على أكمل وجه حتى مع هؤلاء المجرمين حيث قرر أن عذابهم إنما هو على ما ارتكبوه من الأوزار. لا بما ارتكبه غيرهم ولا يعارض هذا ما جاء في الآية (١٣) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢ مما يفيد ظاهره أن هؤلاء الكفار يحملون أثقالا مثل أثقالهم. فإنه في الحقيقة سيجعل المجرم ذنب نفسه لكنه مصاعف، عذاب على ذنبه الذي فعله في نفسه خاصة كالكفر مثلا وعذاب على إضلاله لغيره وتسببه في كفره وانحرافه عن الصواب فهو بمعنى ما هي آيات (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٨، (٦٧، ٦٨) من سورة الأحزاب صفحات ٦٠، ٦١.

المعنى . لا ينفع نصبا لم تكن آمنت من قبل مشاهدة علامة الساعة الكبرى إيمانها بعدد ولا ينفع نصبا كانت في الدنيا مؤمنة ولكنها لم تعمل حيرا وعملا صالحا ما تحاوله من توبة أو عمل حير عند مشاهدة العلامة لبطلان التكليف الذي يترتب عليه ثواب العمل الصالح. أي فلا عمل ينفع في تخفيف العذاب، ولا إيمان يجمع من الحلول في النار. والآية أي العلامة الكبرى المقصودة هنا هي طلوع الشمس من مغربها قبيل الطامة الكبرى التي تكور الشمس وتس الجبال، روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال

(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا جميعا فذلك حين لا ينفع نصبا إيمانها) إلخ فقل أيها النبي لهؤلاء الكفار المترصين بكم الدو نر انتظروا ما تنصون وقوعه لنا من الانكسار وذهاب الدين، إنا منتظرون وعد ربنا لنا بالنصر ووعده لكم بالخذلان والعذاب وهذا تهديد شديد وجهه لهم كثيرا لو كانوا يعقلون، انظر آيات (١٠٢، ١٠٣) من سورة يونس صفحة ٢٨٢، و (١٢١، ١٢٢) من سورة هود صفحة ٣٠٢ و (٢٩، ٣٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨. وبعد ما وصي سبحانه بهذه الوصايا العظيمة التي كان أحرها الأمر باتباع الصراط المستقيم والبعد عن سبل الضلال أراد سبحانه أن يبين هذه الأمة بأمر خطير هي عرصة له من التصرف في الدين والتعصب للرأى حتى تصير الأمة شيعة تتعصب كل شيعة لمدعيها فتتقطع العلاقات بين اتباع الأمة الواحدة كما حصل في أهل الكتب قبلها لما طال عليهم الزمن، فقال سبحانه معذرا :

إن الدين فرقوا بينهم وجعلوه مذاهب متعارضة محتلثة بما ابتدعوه فيه وهم اليهود والنصارى ومن يشابههم في ذلك، انظر الآية (١٠٥) من سورة آل عمران صفحة ٦٣، وكانوا شيعة أي فرقا، لست منهم هي شيء، أي أنت ترى منهم ومن عقابهم، إنما أمرهم في الدنيا إلى الله عز وجل يدبره حسب حكمته ثم ينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون في الدنيا ويجازيهم عليه وبعد ما بين سبحانه أصول المصائل التي أمر بها الإسلام وأصول الردائل التي نهى عنها، أراد سبحانه أن يبين جراءة كل منهم فقال: من جاء ربه يوم القيامة مقتربا بالصفة الحسنة التي طبعتها في نفسه الفعلة الحسنة التي عملها في الدنيا فله من الجزاء جزاء عشر أمثالها، ومن جاء بالمسيئة فلا يجري إلا جزاء مثله المقتدر بعدله تعالى وهذا من فضله سبحانه لأنه ضاعف الحسنة فوق ما يستحقه العبد، وهذا لم يصاعفها رحمة منه بحلقه حتى العاصي منهم، فصباح من سبقت رحمته غضبه. ولا يظلم أحد منهما يوم القيامة فلا ينقص من أجر المحسن شيء مما استحقه، ولا يراد جزاء المسيء فوق المثل، ثم أمر سبحانه

رسوله أن يقول لجميع المكلمين القول الجامع لحملة ما تقدم فقال قل للناس كافة إني هداني ربي وأوصلني بما أوحاه إليّ إلى طريق مستقيم، وهو الدين الذي به قيام مصالح الناس في معاشهم وآخرتهم، وهو ملة إبراهيم المبتعد عن الباطل، ولم يكن مشركا كالمرب الذين يدعون أنهم على ملته مع أنهم مشركون فهم كاذبون.

ثم أمره بأن يقول لهم بأن كل عبادته وأعماله خالصة لوجهه تعالى فقال قل أيها النبي لهم أيضا إن صلاتي وأعمالي هي الحج كلها وما أعمله في حال حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كل ذلك خالص لله رب العالمين الذي لا شريك له في الربوبية حتى يستحق أن يشارك في العبادة، وبذلك الإخلاص هي توحيده وعبادته أمرى ربي وأنا أول المقاتلين لأمره سبحانه وقل لهم أيضا منكرًا عنهم ما هم فيه أعبر الله أبني ريا إنع أي لا يصح أن أطلب ربا غير الله مع أنه هو وحده رب وحالق كل شيء وسيحاسبنا على ما كلفنا به ولا يعمد عبده إلا عملنا لأنه لا تكسب كل نفس إلا عليها، فما ترعموه من تحمل غيركم ديوبكم عنكم هي الآية ١٢ من سورة العنكبوت صفحة (٥٢٢) كذب وتصيل والمعنى لا تكسب نفس إثما إلا كان عليها وحدها جراؤه دون غيرها، ولا تحمل نفس مديونة من الديوب فوق حملها حمل نفس أخرى. فالحملة الثانية لازمة للأولى كقولك دني على وحدي، ولا يستطيع أحد أن يحمل عنى شيئا منه، ثم في النهاية ترجمون جميعا إلى ربكم فيخبركم بما كنتم تحتلون فيه من أمر أديابكم، فيظهر المحق من المبطل فيجاري كلا بما هو أهله.

المفردات: ﴿حلائف الأرض﴾. الحلائف جمع حليلة وهو من يحلف سابقه في مكان أو عمل أو ملك. ﴿نبيلوكم﴾. يختبركم أي يماثلكم معاملة المختبر لتظهر للناس حقيقتكم ﴿حرج﴾. تقدم في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. أنه شدة الصيق.

﴿لتنذر به﴾: تحوف.

﴿قليلًا ما تذكرون﴾. المراد تتذكرون تذكرًا قليلًا جدا في لحظات خاطئة ترعمكم عليه قوة الحاجة، ولكن شدة عبادكم تصرفكم عنه.

﴿بأسنا﴾: عذابنا.

﴿بيان﴾. أصله مصدر أريد به الصعة أي بائتين أي ليلا. ﴿قاتلون﴾. من القيلولة وهي النوم ظهرًا وقت شدة الحر ﴿دعواهم﴾. أي دعاؤهم واستعاشتهم انظر الآية (١٠) من سورة يونس صمحتي ٢٦٦، ٢٦٧.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ كِتَابُهُ
وَأَسْمَانُهَا سِتُّ وَأَسَاوَاتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعْصُومُ ﴿١﴾ كُنْتُ أُرْسِلُ بِالْحَقِّ فَلَا يَكْفُرُ فِي صَدْرِي
حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُشِيرَ بِهِ وَيُخَوِّعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَنْبِئُوا
مَا أُرْسِلُ بِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تُبْعَثُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بِلَاسٍ بَيْنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ لَقَدْ كَانَ دَعْوَاهُمْ

المعنى : . وهو وحده الذى مكّمكم فى
الأرض وجعلكم أممًا يحلف بكمكم بمضا
فيها لتصلحوا، انظر الآية (٣٠) من سورة
البقرة صفحتى ٧، ٨، أى لا أصابكم، وهو
سبعانه الذى رفع بعضكم فوق بعض درجات
فى الفنى والفقر والصحة والمرض والعلم
والجهل وغير ذلك ليبلوكم فيما آتاكم ليعنى
الجزاء على ما يكون منكم، فهل شكر النسي
منكم وصبر الفقير، وعلم العالم الجاهل،
وهكذا، انظر الآية (١٥٥) من سورة البقرة
صفحة ٣٠، والآية (٢٠) من سورة الفرقان
صفحة ٤٧٢.

إِنْ رَيْكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لَمَنْ كَفَرَ بِنِعْمِهِ وَإِنَّهُ سَبْعَانُهُ مَعَ سُرْعَةِ عِقَابِهِ لَمَنْ عَصَاهُ فَإِنَّهُ غَفُورٌ
لَمَنْ تَابَ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المعصوم﴾ تقدم بيان المراد من هذه الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة. هذا القرآن
كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول فلا يصيق صدرك بما ستلاقيه بسببه من المشاق المشار إليها
فى سورة المزمل ومن التهم التى توجه إليك كرميهم لك بالجنون والسحر والكذب، أى لا

بهمك هذا فإنه باطل رائل، والعاقبة لك، انظر آيات (٢٥، ٣٥، ١٠٥) من سورة الأنعام صفحات ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٠، ومن أصعب ما لاقاه ﷺ حربه على عدم إيمان أهله وعشيرته، انظر الآية (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥، والآية (٩٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤ والآية (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٢٦٣، والآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠ أي فاصر كما صبر أولو العزم من الرسل قبلك، أمرنا إليك لتدبر به وتعدر العصاة وليكون تذكيراً للمؤمنين بوجوده تعالى وفصله.

ثم حاطب جميع المكلفين بقوله اتبعوا أيها الناس هذا الكتاب الذي أرسل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه ربكم أولياء من شياطين الإيس والعن بأن تقلوا عنهم باطلهم وما يريونه لكم من الشر، انظر الآية (٢٧) الآتية صمحتي ١٩٥، ١٩٦، والآية (١٦٨) من سورة البقرة صفحة ٣٢ والآية (٢٠٨) من نفس السورة صفحة ٤١، والآية (٢٥٧) من سورة البقرة أيضا صفحة ٥٤، والآية (٦٨) من سورة آل عمران صفحات ٧٣، ٧٤، والآية (١١٩) من سورة النساء صمحتي ١٢٢، ١٢٣، فإنكم إن اتبعتموهم فيكون تذكركم قليلا جداً، أي فلا تنصمور به ثم شرع في تذكيرهم وتحذيرهم مما حصل لمن قبلهم من العذاب بسبب إعراسهم وتماديهم في اتباع أوليائهم فقال:

﴿وكم من قرية﴾ أي وكثيرا من أهل القرى أهلكتهم فجاءهم عذابنا على عرة وهم دائمون ثيلاً أو ظهراً، فما حصل منهم عند مشاهدة العذاب....

المفردات ﴿بأسنا﴾، عذابنا، ﴿معايش﴾ جمع معيشة وهي ما يعيش به الإنسان مثل الطعام والشراب انظر الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٢٢٩

﴿قليلا ما تشكرون﴾ : أي لا يصدر عنكم ما يعتبر شكراً لله تعالى على نعمه من إحسان إلى فقير أو عمل بر فهو قليل جداً لا يتماوى مع جليل نعمه سبحانه وتعالى حتى لكأنه لعدم.

إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسًا إِلَّا أَنْ قَالُوا يَا كُنَّا عَلَيْهِمْ ①
 فَلَمَّا نَظَرَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ②
 فَلَمَّا نَظَرَ عَلَيْهِمْ بَطْنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ ③
 الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ مَوْزِيَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ④
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَلْعَلُونَ ⑤
 وَحَلَّلْنَا لَهُمْ مِمَّا قَدَّسُوا لِأَنفُسِهِمْ ⑥
 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ ⑦
 قُلْ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ
 خَلْقِنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ⑧
 قُلْ قَالَ قَائِلٌ

﴿ما منعك ألا تسجد﴾ : قال الراغب المنع

يطلق على صد العطاء؛ يقال رجل مانع ومانع
 للخير أي يغيث.

ويطلق على الحماية، ومنه مكان منيع أي
 يحمي من فيه، وفلان ذو منعة أي قوى متمتع
 على من يقصده بسوء؛ أي ما الذي حماك
 وجراك على ألا تسجد، «فاهبط منها» :
 الضمير يعود على الجنة المفهومة من
 السياق.

المعنى : . فما كان تضرعهم ودعائهم حين

جامعهم المذاب إلا اعترافهم على أنفسهم

بالظلم من وقت لم يسمعهم ذلك، ويوم القيامة نسأل الأمم الذين أرسلنا إليهم رسلاً سؤال
 توبيخ، فيقال لهم لم عملتم كذا وكذا؟ ولذا قال بعدها ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ إلخ، مما يدل
 على أنه ليس سؤال استعلام، انظر سؤالهم في الآية (١٣٠) من سورة الأنعام صفحة ١٨٤،
 والآية (٦٥) من سورة القصص صفحة ٥١٦، والآية (١٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢،
 ونسائل الرسل ماذا أحانتكم أممكم، انظر الآية (١٠٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٩، أما ما
 في الآية (٧٨) من سورة القصص صفحة ٥١٨ وما في الآية (٣٩) من سورة الرحمن صفحة
 ٧١١ مما يدل على أن المجرم لا يسأل عن دنيته فالمراد لا يسأل سؤال استجلاب للرحمة بل
 للتوبيخ كما تقدم، ولنقصن على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم حال كونه عالمين

(٣) ونسألن.

(٧) مكناكم.

(١٠) صورناكم.

(٢) فلنسلن.

(٦) بأيتنا.

(٩) خلقناكم.

(١٢) الساجدين.

(١) ظالمين

(٥، ٤) مواريه.

(٨) معاش.

(١١) للملائكة.

بأحوالهم ظاهرها وباطنها لاسيما لم يكن عائبين عنهم في حياتهم الدنيا، فكل صغيرة وكسرة عبدنا علمها ولما كان الحراء على حسب الأعمال وهي متفاوتة تنصبط بالورن قال ﴿والورن﴾ إلح، أي الورن الحق لأعمال العباد كائن يوم يسأل الرسل والمرسل إليهم انظر الآية (٤٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥ ويطلق الورن على القدر والمنزلة، ومنه ليس لفلان ورن أي قدر لحبسته ومنه قوله تعالى في الآية (١٠٥) من سورة الكهف صفحة ٢٩٥ ﴿ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ أي لا اعتبار لهم.

فلا تحالفت بين الآيتين فمن ثقلت مواريه بالعسرات فأولئك هم المفلحون أي المانرون ومن حمت مواريه لعلبة السيئات فأولئك الدين خسروا أنفسهم بسبب استمرارهم على جحود آيات الله وعدم الانقياد لها، ولا يعلم المبرر وكيفية الورن يوم القيامة إلا علام الغيوب ثم شرع سبحانه في تذكيرهم بنعمه ليقبلوا دعوته فقال:

﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي أقدرناكم على التصرف فيها، وجعلنا لكم فيها ما تكون به عيشتكم من المطاعم والمشارب وغيرها، وشكركم لله قليل جداً لا يكافئ نعمه ثم شرع في بيان نعمة أخرى هي تعظيمهم في شخص أبيهم آدم وتكبر إليهم عليه مما يقتضي بعدهم عنه، انظر الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨، فقال:

﴿ولقد خلقناكم﴾ أي خلقنا أباكم آدم، ثم صورناه بصورة إنسان، ثم نفخنا فيه الروح كما في الآية (٢٩) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠، ثم قلنا للملائكة اسجدوا له إلح كما تقدم في الآية (٣٤) وما بعدها من سورة البقرة صفحة ٨. قال ما منكم أي ما الذي جراك على عدم السجود؟ قال أنا خير منه، خلقتني من نار وهي جوهر نوراني، وخلقته من طين وهو ظلامي. وقد أخطأ لأن الطين أفضل من وجوه كثيرة؛ منها ررسته ووقاره، ومنها الحلم والحياء والصبر، وهي النار الطيش والحدة، وذلك يدعو إلى الاستكبار، والنار تقنى والتراب يمو

قال تعالى فاهبط من الجنة فما يصح لك أن تتكبر فيها، وأكد الأمر بالهبوط بقوله فاخرج منها لأنك لست من أهلها.

مِنَ الصَّاعِرِينَ ١٧ قَالَ أُطِرْتُ إِلَى يَوْمٍ يُعْتَدُونَ ١٨
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْطَرِينَ ١٩ قَالَ فِيمَا أُعِزَّنِي لَا أُقْعَدَنَّ
هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ٢٠ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ٢١ قَالَ أَتُخْرِجُ مِنْهَا مَذْهُبًا مَذْهُورًا
لَنْ نَبْعَثَ فِيهِمْ لَأَمَلًا جَهَنَّمَ مَكْرًا جَمِيعًا ٢٢
وَيَتَذَكَّرُ أَنتَ وَرُوحُكَ الْجِنَّةَ فَكَلَامٍ مِنْ حَيْثُ
مِنْثَمًا وَلَا تَقْرَأْ عَلَيْهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٢٣
فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيَدِي لَهَا مَا وَهَى رَى هَبَّامٍ
سَرَّاهِمًا وَقَالَ مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْمَكْذُوبِينَ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٤ وَقَامَسَهُمَا
إِنْ لَكَائِسَ النَّاصِحِينَ ٢٥ فَعَلَّاهُمَا وَخَرُّوا قَبَا ذَاكَ

المفردات: «الصاعرين»: الصغار الهوان
والاحتقار: انظر آيتي (٢٤، ٢٥) من سورة
الحجر صفحة ٣٤٠. «انظرنى»: اى امهلى
ولا تمتنى.

«لا أقعدن لهم صراطك»: اى لا أقعدن لهم
على طريق شريعتك لأمنعهم عنها.

«مذؤما»: مذؤوما معينا

«مذؤورا»: مطرودا مبعدا عن الرحمة

«وقامسهما»: يقول العرب قاسم فلان
فلانا اى حلف له، فهما المراد حلف لهما.

«فدلاهما»: أصنل معنى دلى أنزل الشيء

إلى أسفل شيئا هشيئا على مهل، والمراد هارال يفر بهما بالحلف والترغيب حتى استقلاهما فى
المعصية

«بخرور»: هو الخداع الباطل.

المعنى .. هاحرج من الجنة لأنك من أهل الصغار والهوان ملعون على كل لسان فقال

(١) الصاعرين

(٢) صراطك

(٣) لأتبعهم

(٤) أيمانهم

(٥) شاكرين

(٦) ها آدم

(٧) الظالمين

(٨) الشيطان

(٩) مذؤورى

(١٠) مواءهما

(١١) ما نهاكما

(١٢) الخالدين

(١٣) الناصحين

(١٤) فدلاهما

إبليس متدبلاً رب أمهلني إلى يوم النعش. قال : إياك من المتظلمين ! لأن بقاءه هو المحك الذي يظهر صدق المؤمن ومقدار ثمنه بدينه، فلما اطمأن اللعين إلى أنه باق أعلن عزمه الأكيد على الانتقام من أولاد آدم الذي تسب في مكبته. فقال يارب أقسم بسبب إخوانك أي ضلالك لي لأقعد لهم على طريق الإسلام أصد كل من أراد سدوكه كما يقعد قاطع الطريق لإيداء السالك ثم لآتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم إلح أي لا أترك جهة من جهاتهم إلا هجمت عليهم منها. وستكون لنتيجة أنك لا تجد أكثرهم شاكركم لك بل يكفرون وقاله للعين طبا فأصاب كما قال سبحانه ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه﴾ الآية (٢٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٥. كذلك انظر الآية (٢٩) وما بعدها من سورة الحجر صفحات ٣٤١ - ٣٤٢ عند ذلك كرر سبحانه الأمر بطرده فقال أخرج منها مدؤماً مدحوراً. وعرضي لمن أتبعك من المكلفين لأملأ جهنم منكم. المراد من أولاد آدم ومنك ومن ذريتك المذكورين هي الآية ٥٠ من سورة كهف صفحة ٣٨٨ أما قوله تعالى أجمعين أي لا يعلت أحد منكم من عقاب الله عز وجل وبعد إخراج إبليس قلنا يا آدم اتحد أنت وروحك الجنة مسكناً. فكلاً من حيث شتتما إبخ. وقد تقدم بيان ذلك في الآية (٢٥) من سورة البقرة صفحة ٨. ولكن الشيطان قام بما توعد به وصار يوسوس لآدم وروحته ليكشف لهما ما ستر عليهما من عوراتهما. فقال هي وسوسته ما بهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين مقربين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون كما قتل في الآية (١٢٠) من سورة طه صفحة ٤١٧ وأقسم لهما أنه من الصالحين لهما فأسقطهما هي المفصية بما أعراهما به وحقيقة الجنة أو لشجرة وكيفية وسوسة إبليس كل ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى والمطلوب من كل هذا هو العبرة والاحتراز من الشيطان. ولا يتوقف شيء من ذلك على معرفة شيء مما استأثر الله تعالى بعلمه.

الممرات ﴿طمقاً﴾ يقال طمق فلان يفعل كذا أي شرع بفعل.

﴿يحصان﴾ أي يجعلان ورقة فوق أخرى كما تحصن الحمل.

﴿مستقر﴾ أي مكان استقرار.

﴿ومتاع﴾ تمتع بحبائر الأرض.

﴿أرلنا عديكم لباساً﴾ يعبر القرآن بالإبرال ويريد به الحلق الصادر من العلى الكبير.

انظر الآية (٥٩) من سورة يونس صفحة ٢٧٥، والآية (٦) من سورة الرمرر صفحة ٦٠٦، والآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢، أي حلفنا لكم ما تلبسونه

﴿وريشاً﴾ أصل لريش ما يستر الطير، وأريد به هنا لباس الرية.

﴿قبيله﴾ جنوده ودريته.

المعنى .. فلما نجحت وسوسة إبليس
وأكل آدم وروحه من الشجرة وداقاً طعم ما
فيها ظهرت لهما عورتهما لأن الله عاقبهما
باسقاط اللباس عنهما. وجعلنا يلزقان ورقة
هوق ورقة من ورق الجنة ليسترا به عورتهما.
وعاتبهما ربهما بقوله: ألم أنهكما عن هذه
الشجرة وأقل لكما احترسا من الشيطان
لأنه عدو لكما ظاهر المداوة؟. قالاً ثائبين
ياربنا إنما ظلمنا أنفسنا بهذه المعصية وإن لم
نعصرك لنا ذنباً وترحمنا بفصلك لنكونن من
الحاسرين لكل خير. قال تعالى: اهبطوا أي
استما وإبليس من قبل حال كون بعصمكم يعادى
بعضاً كما فى الآية (٥٠) من سورة الكهف

الشَّجَرَةَ يَدَّتْ لَهَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ
الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾
قَالَ رَبِّمَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّارْتِعَابَ لَنَا وَتَرْجَمْنَا لَكُمْ كُونَ
مِنَ الْحَاسِرِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَنَ الدَّرَجَاتِ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَعْتَبٌ يَوْمَ يُنْفَخُ ﴿٥٢﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٥٣﴾ يَبْنِي آدَمُ قَدْ
أُرْتَا عَلَيْكَ لَيْسَ يُوْزَى سَوْآتُكَ وَرَبُّمَا وَلَيْسَ اتَّقَوْنَ
ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكِ مِنْ تَابَتْ أَلِهَ بَعَثَهُمْ يَدَّ كُرُونَ ﴿٥٤﴾
يَبْنِي آدَمُ لَا يَبْتَسِرُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَمَرَكَ أَبُوَيْكُمْ مِنْ
الْجَنَّةِ يَمْرُغُ فِيهَا لِيَسْهَبَ لِيَرْبِيَهُمَا سَوْآتُهُمَا إِنَّهُ يَرْتَكِرُ
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

صمحة ٢٨٨. إبليس بدلکم على الهلاك. وأنتم تلعنوه، ولكم فى الأرض مكان استقرار وتمنع
بالمعیش إلى حين انقضاء أجالکم. وقال فيها تحيون جيلا بمد جيل، وفيها تموتون. ومنها
تخرجون يوم القيامة للثواب والعقاب.

ثم عدد سبحانه نعمه وإرشاده فقال: يا بنى آدم نحن الذين خلقنا لكم لباسا يستر
عوراتكم، ولباساً تتزينون به. هذا فيما يضعكم فى الدنيا، أما فى الآخرة فلباس التقوى كالورع
وكل ما يقى عذاب الله خير من كل ما فى الدنيا ذلك اللباس من آيات الله الدالة على فصله
سبحانه ورحمته على عباده لعلمهم يتذكرون عظيم فصله تعالى فلا يعصوه.

يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان أى يحددكم كما خدع أبويكما فأخرجهما من الجنة متنسبا
فى نزع لباسهما ليربهما عورتهما. ثم علل التحدير من الشيطان بأنه يرى بنى آدم وهم لا
يروونه، وشر الأعداء من يراك ولا تراه، لأنه يصعب الاحترار منه.

(١) سواتهما	(٢) وناداهما	(٣) الشيطان	(٤) الحاسرين
(٥) ومتاع	(٦) إبليس آدم	(٧) يوارى	(٨) سواتكم
(٩) آيات	(١٠) يبنى آدم	(١١) الشيطان	(١٢) سواتهما
(١٣) يراكم	(١٤) الشياطين		

أَوَيْهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا صَلُّوا صَلُّوا قَادُوا
وَجَدْنَا عَلَيْهَا آتَانَ وَاللَّهُ أَمَرَنِي بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْعَفْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ قَرِيبًا هَدَى
وَقَرِيبًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾
يَسْمِعُ دَمَ حُدُودِ رِيئِكَ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكَلَّمَ
وَأَسْرَوْا وَلَا تُسْرِعُوا لَهُمْ لَا يَجِبُ الْمُسْرِعِينَ ﴿٢١﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ رِيئَةَ اللَّهِ أَنِّي أَخْرَجَ رِيئَهُ وَالطَّيِّبِينَ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ فِي الدِّينِ مَسْرَافُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
حَالِصَةٌ يَوْمَ الْفِتْنَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

المفردات : «فاحشة» : هي الصلة
المتناهية في القبح كالطواف بالبيت عراة
قائلين : لنكون مجردين من متاع الدنيا كما
ولدتنا أمهاتنا، ولثلا نطوف بثياب عصينا الله
فيها.

«القسط» : العدل.

«واقبوا وجوهكم عند كل مسجد» أي
اجعلوا وجوهكم مستقيمة لله في عبادته،
والمعنى المراد احلصوا العبادة لله وحده قال
صاحب المسار في تفسير هذه الآية الكريمة :
قل لهم أيها النبي أمرني ربي بالقسط

هاقسطوا وقل لهم اقيموا وجوهكم... إلخ وإقامة الشئ إعطاؤه حقه وتوفيته شروطه، انظر
«يقيمون الصلاة» الآية (٢) من سورة البقرة صفحة ٢، و «اقبوا الوزن» الآية (٩) من سورة
الرحمن صفحة ٧٠٩، والوجوه جمع وجه والمراد به هنا توجه القلب انظر الآية (١٧) من
سورة النساء صفحة ١٠٨ والمعنى أعطوا توجهكم إلى الله حقه عند كل مسجد تمبدونه فيه
من صحة النية وحضور القلب والبعد عن الشواغل سواء أكانت العبادة صلاة أو طوافا أو ذكرًا
أو فكرًا، وادعوه وحده مخلصين له الدين لا تشوبوا دعاءكم له سبعا نه بأي شائبة من شرك

(١) فاحشة

(٢) أيها

(٣) الضلالة

(٤) الشياطين

(٥) يابى آدم

(٦) والطيبات

(٧) الحياة

(٨) القيامة

(٩) الآيات.

أكبر كالتوسل بالأصنام أو غيرها، أو أصغر كالرياء أو التقرب إليه عز وجل بغير ما أدرككم به كالنذور لغيره تعالى وما شابه ذلك انظر الآية (١١٢) من سورة البقرة صفحة ٢٢

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في هذا التحويل حماء يحتاج إلى تمحيص فإذا ما رجعنا إلى ما قبل في شرح الآية (٩) من سورة الحج صفحة ٤٣٤ نعلم أن المراد هنا أن زينة الدنيا وطيباتها يتمتع بها الذين آمنوا وإن كانت غير حاصلة من مكدرات دار المرور، هذه المكدرات التي لا يسلم منها حتى الأنبياء والرسل، انظر بعض ما صادف كثيراً منهم من الحرن، وضيق الصدر، والقلق، والخوف إلخ في آيات (١٥٥) من سورة البقرة صفحة ٢٠، و (١٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٩٤، و (٢٣، ٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، و (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥، و (٩٧) من سورة العنكبوت صفحة ٢٤٤، و (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٣٦٣، و (١٠، ١١) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠، هذه النعم التي هذا حالها في الدنيا يُعلم الله المؤمنين يوم القيامة علماً هو عين اليقين نظر لآية (٩٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٨ بأنها لهم حال كونها حاصلة مما كان يكدر في الدنيا، وعند ذلك تشرح صدورهم بمشاهدة الجنة قريبة منهم انظر الآية (٣١) من سورة ق صفحة ٦٩٠.

المعنى . إنه سبحانه أكد التحذير من الشيطان تأكيداً بعد تأكيد فقال تعالى

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ إِيْخًا، أَي مهلنا لهم ما سموا فيه بحسب استعدادهم السيئ من الرعية في موالاة ومناصرة الشياطين، انظر الآية (٣٠) في هذه الصفحة وآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧، و (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ ثم بيّن سبحانه بعض آثار ولايتهم للشياطين فقال وإذا فعل هؤلاء الكفار أولياء الشياطين فعلاً قبيحاً كطوافهم حول الكعبة عمرة حتى سوءاتهم ولا مهم الناس على ذلك قالوا معتذرين إن آباءهم كانوا يفعلونها، وإن الله تعالى أمرهم بها حيث أقرهم عليها ولو كرهها لمنعهم منها، انظر آيات (١٤٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، و (٢٥) من سورة النحل صفحات ٣٤٩، ٣٥٠، و (٢٠) من سورة الزحرف صفحة ٦٤٩، فرد سبحانه اقتراءهم عليه بقوله قل لهم أيها النبي كذبتم لأن الله لا يأمر بالمعشأ، فهل يصح أن تقولوا على الله ما ليس لكم به علم.

ولم يرد هنا على الأمر الأول وهو تقليد الأبناء، لأنه مقرر توبيخهم عليه هي القرآن كثيرا.
 انظر آيات (٧٤، ٧٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤ و (٢١) من سورة لقمان صفحة ٥٤٢،
 و (٢٢، ٢٥) من سورة الرحمن صفحة ٦٤٩ ثم يش سبحانه ما يصح أن يأمر به فقال

قل لهم ربى بأمر بالقسط و لعدل لا بما تقولون، وقل لهم اجعلوا وجوهكم مستقيمة لله
 وحده عند كل عبادة خصوصا في المساجد، وادعوه مخلصين له العبادة بأن لا تعجلوا هي
 دعائكم ولا عبادتكم أى شائبة من الشرك، فاحترسوا من محالمتة، لأنه كما بدأكم وأشاكم
 ابتداء يعيدكم هيجاريكم على أعمالكم حال كونكم فريقين

فريقا هداهم الله تعالى في الدنيا لإحلاصهم، وفريقا حق عليه الضلال لاتباعهم
 الشياطين وإعراصهم عن دعوة الرسل. ولذا قال إنهم اتعدوا أى استحقوا الإضلال لأنهم
 اتعدوا، الشياطين أولياء، أى أطاعوهم وعصوا الرسل، ويحسبون أنهم مهتدون لأن الشياطين
 نقتهم أن الله عظيم ولا يصح أن يعاطب العظيم مباشرة فلا بد من التوسط و لتوسل إليه
 بالأصنام ليقربوهم إليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وهي إبطون رعمهم قال سبحانه، ﴿وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا
 دعان﴾ الآية (١٨٦) من سورة البقرة صفحة ١٢٦ يا بنى آدم خذوا زينتكم أى لباس زينتكم
 المعتادة عند كل عبادة، فلا تقصوا بين يدي الله بأردأ ثيابكم وأوسعها وعندكم أنظف منها،
 وهذا رد شديد على لمشركين الذين كانوا يعلوهم عراة ولما كان بعض العرب يحرمون على
 أنفسهم إذا أحرموا بالحج لحم الشاة وشحمها ولبنها فنهاهم الله عن ذلك بقوله

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ هي هذه الثلاثة، وهي الريبة عند العبادة، والأكل، والشرب،
 لأن الله لا يحب المسرفين في أى شيء وقد جمع القرآن الطب في هذه الآية قل لهم أيها
 النبي مستذكرا تحريمهم الحلال:

من الذى حرم ربة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق؟ وقل لهم أيها النبي هذه
 الريبة والطيبات من الرزق ثابتة للدين امتوا في الحياة الدنيا وإن حالطها من شوائب الدنيا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ إِلَّا أَنَا وَالَّذِي بَيْنَ يَدَيَّ الْحَبَىٰ وَأَن يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُحَرِّمْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِن يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَعِيدُونَ ﴿٤٠﴾ يٰٓبَنِي آدَمَ إِنَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ يَسْأَلُكَ
بِقُصُورِكَ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ قَوْلًا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَمَّا أَوْفَيْنَاكَ أَنَحْنُ الْبَارِئُ مِنْهُمْ يَوْمَ يَخْلَدُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ
أَظْلَمُ مِنِّي أَنفَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
أُولَٰئِكَ يَلْعَنُ لَهُمُ اللَّهُ وَيَرْحُمُهُم مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ
رُسُلًا بِبَيِّنَاتٍ قَالُوا إِنَّا كُنَّا نَدْعُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ قَالُوا سُبُوًا مَّا يَشْهَدُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

شئء ويوم القيامة يعلمون أنها خالصة من كل
ما كان يكدرها في الدنيا. كهذا التفصيل
الدقيق المميز بين الحلال والحرام تفصيل كل
الآيات الدالة على الأحكام.

المفردات : ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ :
تقدم بيانهما في الآية (١٥١) من سورة الأنعام
صفحة ١٨٩. ﴿الإثم﴾ : اسم لكل ذنب.

﴿البني﴾ : الظلم والتعدي على الغير، انظر
الآية (٧٦) من سورة القصص صفحات ٥١٧،
٥١٨ والآية (٢٧) من سورة الشورى صفحتي
٦٤٢، ٦٤٣، والآية (٩) من سورة الحجرات

صفحتي ٦٨٥، ٦٨٦. ﴿سلطانا﴾ : حجة وبرهان. ﴿إما يأتينكم﴾ : أصلها إن ما يأتينكم وما
حرف يدل على عموم الأحوال أي في أي حال يأتينكم رسل إلخ.

﴿لا يستأخرون ساعة﴾ : يطلق العرب الساعة على جزء من الزمن قليل كما هنا، وكلفظ
﴿ساعة﴾ الثاني في قوله تعالى:

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ الآية (٥٥) من سورة
لقمان صفحة ٥٢٨. أما لفظ ﴿ساعة﴾ المستعمل في زمننا المقسم إليه مجموع الليل
والنهار إلى أربعة وعشرين جزءاً فهو عرف لم يكن معروفًا عند العرب. وجاء
لفظ الساعة في لسان الشارع لمعان أخرى. قال الراغب : أصل الساعة جزء من الزمن،

وعُيِّنَ به عن القيامة قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ الآية (١) من سورة الصمر صفحة ٧٠٤. وقال ابن الأثير في غريب الحديث وجاء في الحديث ذكر الساعة مراداً بها يوم القيامة والساعة هي الأصل جزء قليل من النهار أو الليل، ثم استعملت لاسم يوم القيامة، واستعمل العرب الساعة محاراً في نهاية أجل الفرد أو الأمة، فيقولون جاءت ساعة فلان وقامت قيامته يريدون جاء وقت موته ويسمونها الساعة الصغرى أو القيامة الصغرى. ومن ذلك في القرآن ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أعيى الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ الآية (٤٠) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ فالساعة هنا هي القيامة الصغرى، لأن الوقت لدى يعاب فيه الدعاء ويكشف فيه الضر لا يكون إلا في الدنيا وقبل حصول سكرات الموت أنظر آيات (٩٠، ٩١) من سورة يونس صفحة ٢٨٠ فالمراد أو أتتكم مقدمات الموت ولذلك قال العلماء لساعة ثلاثة إطلاقات ساعة كبرى، وصغرى، ووسطى.

فالساعة الكبرى هي ما تكون عند البصحة الأولى المذكورة في الآية (٦٨) من سورة الرمر صفحة ٦١٥ وأيضاً في الآية (١٨) من سورة محمد صفحة ٦٧٥

والساعة الصغرى هي ما تكون عند موت كل فرد، والساعة الوسطى هي ما تكون عند هلاك أمة أو دهاب سلطانها وقد يطلق على الساعة الكبرى هذه 'سم يوم القيامة أيضاً توسعاً انظر الآية (٩) من سورة الحج صفحة ٤٢٤ كما يطلقون لفظ «ساعة» على يوم البعث كالساعة الأولى في الآية (٥٥) من سورة لقمان صفحة ٥٢٨ المذكورة سابقاً «ولا يستأخرون» هذه الحملة معطوفة على كل الجملة الشرطية قبلها، لا على حرانها فقط والمعنى إذ جاء أجنهم لا يستأخرون عنه لحظة كما أنهم لا يتقدمون عليه قبل حلوله، انظر بقية شرحها في الآية (٤٩) من سورة يونس صفحة ٢٧٤. «بإلهم بصيبيهم من الكتاب» أي يصل إليهم بصيبيهم المكتوب لهم عند الله من الأوراق والأعمال.

المعنى . كهذا التمهيد يحصل سائر الأحكام لقوم يعلمون ما فيها من الحكم والأسرار. فيسارعون للعمل بها، وبعد ما أنكر سبحانه عليهم تحريم ما أحله من الرية وطيبات الأوراق، أتبع ذلك بأصول المحرمات العامة فقال قل أيها النبي لهؤلاء المشركين وغيرهم إنما حرم ربي في كنهه وعلى لسان رسله هذه الموقفات الخمس المباحش الظاهرة والباطنة، والإثم.

والبعض الذي لا يكون إلا بالباطل، وهو من ذكر الحاص بعد العام، والشرك بالله بدون حجة، وهذا تهكم بهم لأنه يستحيل أن يقام دليل على الشرك، وأن تستروا على الله في التحريم والتحليل والولد والصاحبة من كل ما تتهمون على مقامه عز وجل بدون علم. وبعد ما بين سبحانه أصول المحرمات والمفاسد المهلكة للأمم قال سبحانه .

﴿ولكل أمة أجل﴾ أي قل لهم أيها النسي أيضا لكل أمة أجل أي وقت محدد لحياتها وسعادتها لا تتعداه، تنتهي بحلول أجل حياتها، كأمم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن أهلكهم الله جميعا، وقد تنتهي بحلوله سعادتها واستقلالها فتقع في الدل تحت حكم غيرها، وذلك لا يكون إلا باجرائها عن الاستقامة وارتكابها هذه الموبقات التي حرمها الله تعالى فيما سبق، فإذا جاء أجل الأمة لا يستأخرون لحظة كما أنهم لا يتقدمون عليه، فالمعنى أنهم لا يتقدمون على الأهل المحدود وإذا جاء لا يستأخرون عنه، فتنبه وبعد ما قرر سبحانه لكل أمة أجلا لا تسبقه ولا تتعداه، أراد أن يبين ما حاطب به كل أمة على لسان رسولها مبينا لها أصول الدين الذي شرعه لهدايتها، وببها إلى أنها إن اتقت وأصلحت فلا خوف عليها في الآخرة، وإن استكبرت وكذبت الرسل كانت عاقبتها جهنم، فقال:

يا بني آدم، أي سبق أني قلت لكل أمة يا بني آدم إن جامكم في أي حال من الأحوال رسل منكم يقرمون عليكم كتبى، فمن اتقى منكم الشرك وأصلح عمله فلا يخاف من هول لقيامة، ولا يحزن لموات مرغوب والذين يكذبون منكم بآياتنا ويستكبرون عن الإيمان بها أولئك يلازمون النار حالدين فيها. وبمدا يئس سبحانه جزاء المكذب بآياته أراد أن يبين أن من أشدهم ظلما من يكذب عليه أو يكذب بآياته فقال: فمن أظلم أي لا أحد أشد ظلما ممن كذب على الله ونسب إليه الباطل، أو كذب بآياته التي أنزلها على رسله. أولئك المفسدون والمكذبون يستوفون ما كتب من الأعمال والأعمار والأوراق إلى أن تأتيهم سلاطة الموت يقبصون أرواحهم، وقالوا لهم أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله ليداهنوا عنكم؟ قالوا عابوا عنا فلا يرى لهم وجودا، وبهذا اعترفوا على أنفسهم بالكفر.

المفردات : ﴿قال ادخلوا في أمم﴾ إلخ
 ﴿قال﴾ أي الله سبحانه على لسان الملائكة،
 وإذا راجعت ما قلناه في شرح الآية (٩) من
 سورة الحج صمحة ٤٢٤ تعلم أن الله سبحانه
 يعلن هؤلاء أنه حكم عليهم حكما مقطوعا به
 حتى كأنه تحقق وحصار يحبر عنه، وذلك
 الحكم أنكم ستدخلون بعد الحساب يوم
 القيامة في جهنم معشورين مع أمم مضت
 قبلكم

﴿قد خلت﴾ : أي مضت.

﴿اداركوا فيها﴾ : أصله تداركوا، أي أدرك

كثيرين ﴿قَدْ أَدْخَلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
 مِنَ الْخَلْقِ وَالْإِنْسِ فِي الْأَرْضِ كُلُّ نَفْسٍ لَعَنَّا لَعَنَّاتُ اللَّهِ
 حَقٌّ إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِيْتُمْ لِأُولَئِهِمْ رَسًا
 هَؤُلَاءِ أُصْلَوْنَ فَقَالَتْ عَذَابٌ صَعَفٌ مِنَ الْأَلْوَانِ لِكُلِّ
 صَعَفٍ وَتَنَكَّرَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢٤﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرِيْتُمْ
 قَالَتْ لَكُنَّ غَلَبَ مِنْ قَضِيٍّ فَذُقُوا الْعَذَابَ يَوْمَ كُنْتُمْ
 تَكْسِبُونَ ﴿٤٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
 لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أَرْثُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
 الْجَحْمُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٢٦﴾
 لَمْ يَمَسَّ مِنْ جَنَّتِهِمْ مِهَادٌ وَفِي قُرْبِهِمْ عَوَاشٍ وَكَذَلِكَ
 نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

بعضهم بعضا وتلاحقوا واجتمعوا في النار.

﴿أخراهم﴾ : منزلة وهم الأتباع.

﴿أولاهم﴾ منزلة وهم القادة والرؤساء، اللام بمعنى ﴿عن﴾ أو ﴿في﴾ أي قال الاتباع في
 شأن الزعماء يا ربنا هؤلاء أضلونا.. إلخ.

﴿صعفا﴾ مصاعفا أي مثليين، لصلالهم في أنفسهم، وإصلالهم غيرهم

﴿الجميل﴾ : هو الحبل العليظ الذي تربط به السفن.

﴿سم الخياط﴾ : سم ثقب، والخياط هي الإبرة.

(١) كافرين	(٢) أخراهم	(٣) أولاهم
(٤) قاتلهم	(٥) أولاهم	(٦) أخراهم
(٧) بدياتنا	(٨) أبواب	(٩) الظالمين
(١٠) الصالحات	(١١) أصحاب	

﴿مهاد﴾ : فراش من تحتهم.

﴿عواثر﴾ : قمع عاشية وهي العطاء. انظر الآية (١٦) من سورة الرمرر صفحة ٦٠٨. والمراد أن النار محيطة بهم.

المعنى . . وشهدوا واعترفوا على أنفسهم بأنهم كانوا بدعائهم آلهة من دوز الكافرين والمراد تحدير المشركين وحملهم على التأمل فيما سيلاقينهم إذا استمروا على شركهم

وتقول لهم الملائكة بأمره تعالى ادخلوا في عداد أمم قد مضت من قبلكم من الجن والإنس وعملوا مثل عملكم. وهذا يشعر بأنه سبحانه يدخل الكافرين في جهنم أفواجا، فوجا بعد فوج لا دفعة واحدة؛ ولذا قال:

كلما دخلت أمة منهم في النار لغت أحتها في الكمر والتي سبقتها للنار انظر الآية (٢٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤ والآية (٧١) من سورة الرمرر صفحة ٦١٦ حتى إذا أدرك بعضهم بعضا واجتمعوا في النار قالت الأتباع معاطبة الرب سبحانه بخصوص القادة

ياربنا هؤلاء الرؤساء هم الذين أصلونا فجارهم بعداب مصاعف من النار، فيقول سبحانه لكل منكم ومنهم عذاب مصاعف. أما الرؤساء فلما تقدم، وأما الأتباع فبأنهم بتقليدهم الأعمى في العقيدة التي لا يحور فيها التقليد جمعوا مع صلالهم جرما آخر هو زيادة صلال للرؤساء وطغيانهم، والتقرير بالبسطاء الذين لم يقوموا في شباك الرؤساء، ولكنكم لا تعملون ما أعد لكل منكم. وانظر هذا الحدال بينهما في الآيات (١٦٥ . ١٦٧) من سورة البقرة صفحات ٢١، ٢٢ و (٢٢ . ٢١) من سورة سبأ صفحة ٥٦٧ وقالت أولاهم لأحراهم حين سمعوا جوابه تعالى فما كان لكم علينا بعد هذا البيان همل، أي لا مزية لكم علينا تقتضي تحميم العذاب عنكم دوننا بل نحن متساوون في العذاب ومصاعفته.

ويقول القادة للأتباع على سبيل التشمي هذوق العذاب المضاعف بسبب كسبكم ما استحققتموه به. ثم قال سبحانه مبينا سبب سوء خاتمة هؤلاء إن الذين كذبوا بآياتنا التي جاء بها الرسل واستكبروا عن الإيمان بها لا تمتنع لهم أبواب السماء، أي لا يقبل لهم دعاء ولا عمل، وبهذا لا يدخلون الجنة إلا إذا دخل جبل السفينة العليظ في ثقب الإبرة، والمراد أنه مستحيل وبمثل هذا الجراء العادل تجزى كل مجرم ثم فصل بعض هذا الجزء فقال لهم من جهنم فراش، ولهم منها عطاء، ومثل هذا الجزء يحرق الظالمين، والمراد أنهم جمعوا بين الشرك والإجرام والظلم. ولما ذكر حراء الكافر العاصي ناسب أن يقترن به حراء المؤمنين الطائغ كعادة القرآن، فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات، التي ما كلمناهم بها إلا وهي في طاعتهم لا صعوبة فيها. أولئك هم أصحاب الجنة حالدين فيها.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ① وَرَبَّنَا مَا فِي صُورِهِمْ مِنَّ غَلٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ② وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَفَقَدَ جَاءَتْ
رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوا أَن يُلَاقُوا أُمَّةً أَوْ تُشْرِكُوا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ③ وَتَأْتِي السَّحَابَ الْجُمُةَ أَخْمَبُ الْأَنْهَارِ
أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مَزِيدَ بَيْتِهِمُ الْآخِرُ
أَلَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ ④ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُوهَا غَوًى وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ⑤ وَيَنْهَى
حَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَرَوْنَ كَلَامَ رَبِّهِمْ
وَنَادُوا أَخْمَبَ الْجُمُةِ أُن سَنَمُ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَلَوْ مَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ⑥ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

من سورة آل عمران صفحة ٧٩.

﴿حجاب﴾ : هو السور المذكور في الآية (١٣) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠.

﴿الأعراف﴾ : جمع عرف بورى فقل وهو اسم لأعالي الأشياء ومنه عرف الديك. وعرف
الفرس والمراد به هنا أعلى الصور.

﴿سيماهم﴾ : علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم. ﴿تلقاء﴾ أي جهة.

المعنى .. ونزعنا ما كان في قلوبهم من حقد في الدنيا ليكونوا إخوانا على سرر متقابلين؛
انظر الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١. حال كونهم تجري من تحت غرفهم في الجنة

المفردات : : ﴿غِل﴾ : حقد كما في الآية
(٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١ والآية
(١٠) من سورة الحشر صفحة ٧٢١. ﴿أذن
مؤذن﴾ : أي نادى مناد.

﴿بينهم﴾ : أي موجود في مكان متوسط
بين الفريقين.

﴿يصدون﴾ : الأصل صدوا في الدنيا ولكن
عبر بالمضارع لاستحضار الصور المجيبة في
البشاعة.

﴿ييفوها عوجا﴾ : أي يطلبون لها
الاعوجاج والتفاف كما تقدم في الآية (٩٩)

(١) خالدون	(٢) الأنهار	(٣) هدانا
(٤) أصعاب	(٥) الظالمين	(٦) كافرون
(٧) سيماهم	(٨) أصعاب	(٩) سلام
(١٠) أبصارهم		

الأنهار، قائلين شكراً لله : الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لو أن أُرشدنا الله تعالى إليها بإرسال الرسل يبينون لنا ما فيه سعادتنا، فقد جاءت رسل ربنا بالحق الثابت الذى لا يخالطه باطل. وناداهم مناد بأن قال لهم: تلكم هي الجنة العالية المنرلة البعيدة المنال لغير أهلها التي أعطاهما الله تعالى لكم بفضلته جزاء عملكم الصالح. وبعد أن ذكر سبحانه أصحاب النار وأصحاب الجنة، أراد أن يبين لنا ما يكون بين الفريقين من الحوار، فقال عز وجل: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ أى نادوا، على أصحاب النار قائلين في ندائهم إنا وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقاً ثابتاً لم يتخلف، فهل وجدتم أنتم أيضاً ما وعدكم ربكم من العذاب حقاً؟ ومرادهم بهذا الاعتراف بفضلته والشماعة بالكفار. والتعبير بالوعد هي جانب العذاب معهود في القرآن وإن كان أقل من الوعيد يؤتى به للنهكم، نظير قوله تعالى: ﴿فيشرهم بمذاب الهم﴾ انظر الآية (٢٦٨) من سورة البقرة صفحة ٥٧، والآية (٦٨) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢، والآية (٧٢) من سورة الحج صفحات ٤٤٣، ٤٤٤. وهذا على أن الدارين في أرض واحدة يفصل بينهما سور لا يمنع من اطلاع أهل الجنة وهم في عليين على أهل النار وهم في سجين. وقد كان هذا بعيد التصور في المصور الأولى، أما الآن وبعد أن قدر البشر على أن يتخاطب مَنْ في أقصى الشرق مع مَنْ في أقصى الغرب مع رؤية كل منهما للآخر بواسطة (تليفزيون)، فلا يبعد على التقدير عز وجل أن يجعل أهل الآخرة يترامون ويتخاطبون مع بعد الشفة كما يتخاطب الجليس مع جلسه. وشئون الآخرة لا يعلمها إلا هو عز وجل. وعندما يعترف أهل النار بصدق وعد الله ينادى مناد من قبل الله تعالى قائلًا: لعنة الله وغضبه على الظالمين الذين كانوا في الدنيا يمنعون الناس عن دين الله، ويعملون مجتهدين على جملة في نظر الناس موجاً بتحريفه وتغييره حسب شهواتهم، وهم بالدار الآخرة كافرين. وبين الجنة والنار وأصحابهما سور قد اعتلاه رجال أى ونساء وإنما قصر الكلام على الرجال لأن الكثير أن يكون التخاطب في مثل هذه الحالة بين الرجال، وهؤلاء الواقفون على الأعراف هم مَنْ استوت حسناتهم وسيئاتهم، بعد أن اتجه مَنْ غلبت حسناته إلى الجنة، وَمَنْ غلبت سيئاته إلى جهنم. يعرف هؤلاء الرجال كلا من الفريقين : فريق الجنة، وفريق النار بعلاماتهم المذكورة في الآية (٣٨) وما بعدها لآخر سورة عبس صفحة ٧٩٢. ويظهر أن ما يحصل من أهل الأعراف من هذا النداء هنا يكون قبل دخول الفريقين الجنة والنار، إذ لو كان بعده لكانت معرفتهم بدخولهم لا بالعلامات فتتبه وتأمل وقال بعضهم: إنه بعد دخولهم الجنة وتكون الباء في ﴿بسيمهم﴾ للمصاحبة لا للسببية، أى يعرفون كلا من الفريقين وهو مصاحب ومتصف

بصفته. ونادى أهل الأعراف على أصحاب الجنة قائلين : سلام وأمان من الله عليكم، أى نهينكم بذلك، والحال أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة ولكنهم يطمعون في كرم الله ليدخلوها. وهذا ما سيحصل آخر الأمر. وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف جهة

المفردات :- «حرمهما» : أى معهما،
فالتحريم بمعنى المنع لا التحريم الشرعى،
انظر آية (٧٢) من سورة المائدة بمعنى
١٥١، ١٥٢ و (١٢) من سورة القصص صفحة
٥٠٧.

«لهوا» : اللهو ما يشغل الإنسان عن

الجد، «ولعبا» ، اللعب هو ما تقصد منه هائدة صحيحة كأعمال الأطلال، «يظنّون»
ينتظرون تأويله: عاقبة أمره وما يتول إليه ما أحبر به من الوعد والوعيد،

«سوء» . المراد تركوا العمل به انظر الآية (١١٥) من سورة طه صفحة ٤١٧.

المعنى . وإذا صرفت أبصارهم من غير رغبة منهم، بل بمقتضى سرعة تحولها من جهة إلى جهة، ولذا لم يقل وإذا صرفها أبصارهم جهة أصحاب النار، قالوا ربنا إلح، أى استعاذوا بالله وهرعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم منهم وبادى أصحاب الأعراف، كرر ذكرهم ولم يقل ونادوا، لأن الماديين هنا غير المتقدمين، والموصوع غير الموضوع، فالمراد من أصحاب الأعراف هنا قوم ممن كانوا في مكة أيام طغيان كمار قريش، والرجال المنادى عليهم هم

أَتَتْهُمْ أَنْذَارٌ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٥
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَسْمَعُ مِنْهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ خَمْرُكَ وَمَا كُنْتَ تَتَكَبَّرُونَ ١٦
أَنزَلَاهُ الَّذِينَ أَنْفَسْتُمْ لِبَاسَهُمْ اللَّهُ رَحْمَةً أَدْخَلُوا الْحَيَّةَ
لَا حَرْفَ طَبَعُكَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْمَرُونَ ١٧ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَبْصُرُوا طَبَعًا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِنْ
زَرْعِكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ١٨
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْخَيَّةُ الدُّنْيَا
فَالْبَرَمَ نَسَتْهُمْ فَمَا تَسْأَلُهُمْ يَوْمَهُمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا
يَعَايِنَتَا بِحَمْدُونَ ١٩ وَتَقَدَّ حَشَّتُهُمْ بِكَتَابٍ فَصَّلَتْهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُزَكُّونَ ٢٠ مَلَّ يَطْرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ

(٣) أصحاب

(٧) الكافرين

(١٠) بآياتنا

(١٢) فصلناه

(٢) الضالين

(٥، ٦) أصحاب

(٩) نساها

(١٢) بكتاب

(١) أصحاب

(٤) يسماهم

(٨) الحياة

(١١) جثاهم

روساء المشركين كاسى جهل والوليد بن المعيرة وغيرهما، يعرفونهم بعلامات كانوا يعرفونهم بها في الدنيا، وقالوا لهم نوبحاً وتكيتاً ما أعسى عنكم جمعكم للمال والرجال لقتال المسلمين و ستكفركم على صغماء المؤمنين الذين عدبتموهم وسحرتهم منهم هؤلاء المستضعفون كبلال وال ياسر هم الذين أقسمتم في الدنيا على أن لا يبالهم الله برحمته لأنه لم يعذبهم من الدنيا ما أعطاكم! فانظروا الآن كيف قال لهم الرحمن ادخلوا الجنة لا خوف عليكم من مكروه ولا تحزنون لصوات مرعوب، انظر ما كانوا يقولونه في هؤلاء الصغماء في الدنيا وما كان يقوله أمثالهم من كفار الأمم السابقة في الصغماء أمثالهم هي آيات (٢٧ إلى ٣١) من سورة هود صمحنى ٢٨٨، ٢٨٩، والآية (٢٨) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤، والآية (١١١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦، والآية (١١) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧ وبعد ما فرغ سبحانه من مخاطبة أصحاب الأعراف شرع في بيان ما سيكون من الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ليتنبه العاقل ويرجع الكافر فقال ونادى أصحاب النار لما اشتد بهم العطش والجوع على أصحاب الجنة قائلين أهيصوا أى أعطونا شيئاً من الماء أو مما رزقكم الله من لظمام، قالوا ردا عليهم لا نعطيكم شيئاً لأن الله منعهما عن الكافرين، وهذا انتهى كلام أهل الجنة.

ثم بيّن سبحانه بعض أسباب كفرهم فقال الذين اتحدوا دينهم الذي كان يجب أن يعترفوا لهو ولعباً فحرموا وحلوا حسب شهواتهم، واعتروا برحارف الدنيا ورستها، ثم قال تعالى تضرعاً على رد أصحاب الجنة لهذا تركهم في يوم الجزاء خالدين في العذاب لتسيبهم لقاء ربهم في يومهم هذا بإبكارهم البعث وجحودهم المستمر لآيات الله، فالكاف هنا كالكاف في الآية (١٩٨) من سورة البقرة صفحة ٣٩ للتعليل ثم تكلم سبحانه عن كمار مكة فقال ولقد حشاهم بكتاب هو القرآن فصللاً لحلاله وحرامه ومواعظه وقصصه، عالمين بحكمة كل ما فيه، حال كونه أكبر هاد للصواب، ورحمة بالعباد الذين استعدوا سلامة فطرتهم للإيمان ﴿هل ينظرون﴾ الاستمهام للإبكار المفيد للنفى، أى ليس أمامهم شيء ينتظرونه إلا حصول ما شئوا إليه أمر أحببه ووعده ووعده، وهو خذلانهم في الدنيا وحلودهم في النار في الآخرة يوم يأتى ويحصل ما أحبر به يقول الدين تركوا هذا الكتاب.

قَبْلَ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِآيَاتِنَا فَهَلْ كَانَ مِنْ
 مُّشْكِكَةٍ فَيَسْتَعِزُّوا بِمَا آوَوْا كَعَمَلِ الْآلِ الْكَافِرِ
 قَدْ حَسِبُوا أَنَّهُمْ وَعَصَلَتْ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠١﴾
 إِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ الْهَارِ يُطَلِّبُهُ
 حِثْيَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ تُسْحَرُونَ ﴿٢٠٢﴾
 الْآلَاءُ الْخَالِقِ وَالْأَمْرِ تُبَارِكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٣﴾
 أَدْعُوا رَبَّنَا تَصْرَعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُتَعَبِينَ ﴿٢٠٤﴾
 وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا وَأَذْهَبُوا خَوْفًا
 وَمُطْمَئِنَّةً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ وَهُوَ
 الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ تُنْشِئُ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَبًّ
 إِذَا أَقْلَتْ حَبًّا بَقَا لَا يُغْنِي عَنْهُ يَسْلُكُ نَهْجٌ فَأَرْسَلْنَا

المفردات : «ستة أيام» : يطلق اليوم على
 جزء من الزمن يتميز عن غيره بما يحدث فيه
 كيومنا المعروف الذي يعرف بالنور والظلمة.
 وأيام العرب هي مدة العروب التي كانت تدور
 بينهم ويطلقونها على ما فيها، انظر الآية (٥)
 من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٠ وأيام الله
 المذكورة في سورة إبراهيم هي الأحداث التي
 حلت بالأمم.

أما اليوم هنا فهو مدة من الزمن الذي حدده الله
 لانتقال المخلوقات من حال إلى حال في مبدأ الحلقة،
 ولا يعلم تعديده غيره تعالى وقد يراد به لحظة.

انظر الآية (٢٩) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠، وله أيام أحر حدها تقريبا لأذهابنا تارة
 بألف سنة كما هي الآية (٤٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٠ والآية (٥) من سورة السجدة
 صفحة ٥٤٥ وتارة بخمسين ألف سنة كما هي الآية (٤) من سورة الممارج صفحة ٧٦٥.
 «يفشى الليل النهار» : أي يقطعه به ويجعله غشاء وسترا له. «حيثيًا» : سريعًا. «تضرعا» :
 هو التذلل ومنتهى الخشوع، والمراد به هنا الصفة، أي متضرعين. «بشرا» : أصلها بشرا بصم
 أوله وثابه. جمع بشير، ككفر ونذير، وسكنت الشين لتحفيف النطق به «بين يدي» : أي أمام

- (١) السموات
- (٢) الليل
- (٣) مسطرات
- (٤) العالمين
- (٥) أصلها
- (٦) رحمة
- (٧) الرياح
- (٨) بشري
- (٩) سقاه.

﴿رحمته﴾ . المراد بها هنا المطر الذي هو من أجل نعمه ورحمته تعالى لأن جميع المياه المذبة التي بها الحياة والنبات من ماء المطر، سواء منها ما كان في الأنهار أو في جوف الأرض، انظر الآية (٢٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٢، وهذا الماء المذوب هو الذي ينقذ الخلق من الظما والتحمط.

﴿أقلت سحابا﴾ أي حملته ورفحته . ﴿بلد ميت﴾ : أي ليس بأرضه ماء ولا نبات، فهو جاف فعمل لا ينتفع به كما لا ينتفع بالميت؛ انظر الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١، والآية (٢٤) من سورة يونس صفحتي ٢٦٩، ٢٧٠ وآيات (١٩، ٢٤، ٥٠) من سورة الروم صفحات ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٧ والآية (٩) من سورة هاطر صفحة ٥٧٢، والآية (٢٣) من سورة يس صفحة ٥٨٢، وغير ذلك في القرآن كثير.

المعنى : . يوم يأتي ما وعد به القرآن عند نهاية العالم وترتفع الحجب يقول الذين تركوا القرآن كالمنسى من قبل في الدنيا : قد جاءت رسل ربنا بالحق، أي يمترون بصحة ما جاءت به الرسل في وقت لا ينفع فيه إيمان، ثم يتمنون أحد أمرين لإنقاذهم: إما شفعاء يشفعون لهم، أو رجوعهم إلى الدنيا كما هي آيات (١٠٠، ١٠١، ١٠٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦، والآية (٢٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، فكانهم يقولون : هل لنا من شفعاء أو هل نرد أي نرجع إلى الدنيا ثم شرح سبحانه حالهم بقوله: قد خسروا أنفسهم في الدنيا بتدنيسها بالشرك والمعاصي وصل أي غاب عنهم ما كانوا يمترونه من آلهة تقربهم من الله كما في الآية (٣) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٥، ٦٠٦، وتشفع لهم. وبعد ما بين سبحانه حال المشركين في الآخرة أتبع ذلك بخمسة أدلة على وحدانيته وقدرته موجبة قصر العبادة والدعاء عليه تعالى فقال.

﴿إن ربكم الله﴾ إلخ؛ أي إن الرب الحق لكم يا جميع المكلفين هو الله الذي خلق السموات والأرض أي وما فيهما كما في الآية (٤) من سورة المجدة صفحة ٥٤٥، ثم استوى على العرش، المراد أنه سبحانه بعد تكوين هذا الملك استوى على عرشه استواء يليق به، يدير

أمره ويصرف نظامه على حسب حكمته، انظر الآية ٣ من سورة يونس صفحة ٢٦٥ وأيتي (٢)،
(٢) من سورة الرعد صمعتي ٢٢٠، ٢٢١.

والعرب تكفى بالاستواء على العرش عن التملك. والعقل عاجز عن معرفة حقيقة الله عز وجل وصفاته، ويقطع بأنها ليس كمثلاثها شيء، فقدرته وعلمه وبصره وسمعه مثلاً ليست كما هي عندنا، هكذا عرشه واستواؤه، وإنما الذي نعمهم ويكلمنا الله تعالى به هو أن نعتقد أن أمر الملك والتصرف فيه إنما هو لله وحده. وقد حكم السلف على مَنْ بحث في حقيقة ذلك بأنه مبتدع يجب رجه. ثم ذكر سبحانه بعض تصرفه للكون فقال:

﴿يعشى الليل النهار﴾ أي يجعل الليل يستر ضوء النهار حال كونه يتبعه مسرعاً كالطالب له بدور تراج وحلق الشمس والقمر والنجوم حال كونها مسخرات، أي مذللات حاصصات لأمره وتصريفه. ﴿إلا﴾ كلمة يراد بها تنبيه السامع والقارئ لما بعدها ليأمله، أي تنبيهه فإن لله وحده خلق كل شيء، وله الأمر فيه بالتشريع والتدبير والتصرف.

﴿تبارك الله﴾ أي تعظمت وترايدت بركاته. وبعد ما ذكر سبحانه دليل توحيده أمر بما يجب أن يكون لأمرها وهو إفراده سبحانه بالدعاء والعبادة، فقال

ادعوا ربكم متضرعين مخضفين، لأنه أبعد عن الرياء، فلا يطلب رفع الصوت به إلا فيما شرع الله فيه الرفع لحكمة، كالأذان، وتكبير العيد، والتلبية في الحج؛ لأنه سبحانه لا يحب الممتدين في الدعاء، كما لا يحبهم في كل شيء. والاعتداء هي الدعاء المبالغة فيه بما لا ينبغي ولا يجوز. ولا تفسدوا في الأرض بالمعصية والظلم بعد إصلاح الله تعالى لها بما خلق فيها من المنافع، فلا تقلبوا النافع صاراً، وادعوه سبحانه حائمين من غضبه، فتبعدوا عن سببه، وطمعا في رحمته. ويفهم من الكلام تعليل الخوف على الرجاء ليأمن العبد الوقوع في الخطر. ادعوه ولا تحشوا رد دعاء المحلصين لأن رحمته تعالى أي إحسانه قريب من المحسنين لأعمالهم، فلا يرد لهم دعاء. ومن دلائل قدرته أنه هو الذي يرسل الرياح ميثرة المحذيين أمام المطر، ولا تكاد تجد القرآن يذكر الرياح جمعا (إلا في الخير، ولا الريح مفردة إلا في العذاب والمطر؛ حتى إذا حملت الرياح سحباً ثقلاً بالماء سقنا هذا السحاب إلى بلد ميت فجعل، انظر آية (٩) من سورة هاطر صفحة ٥٧٢، فأثرنا بسبب هذا السحاب الماء..

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّوَرِ حَكْدًا لِيُخْرِجَ
الْمَرْءَ لَعَلَّكَ تَدْرُونَ ۝ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتًا
يَذُوقُ رِيحَهُ وَالَّذِي حَتَّ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ
نَحْرِفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى
قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ تَعَالَى
فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۝ وَمَنْ يَتَّبِعْ إِلَّا
يَغْفُلْ أَفَلَا يَعْلَمُ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ۝ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي صَنْدَلٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَنْفَرُونَ
لَيْسَ فِي صَنْدَلٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝
أَتَقْلِقُونَ رَسُولًا مِنْ أَنْ يَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ۝ أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرٌّ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝
فَكَذَّبُوهُ فَأَخْرَجْنَاهُ مِنْهُمْ فِي الْغَدَاةِ وَفَرَّقَ الَّذِينَ

المفردات : «البلد الطيب» : أى الأرض
الطيبة التربة الخصبة. «خبث» : أى ردى
التربة كالتسبحة. «نكدًا» : هو مالا يخرج إلا
بمسر وصعوبة. «الملاء» : هم الأشراف
والسادة الذين يملئون العيون مهابة.

«رسالات ربي» : أراد بها ما أوحى إليه
فى الأركان الطويلة متفرقا من الأوامر
والنواهي والمواعظ وكل المعاني المختلفة
«ذكر من ربكم» : موعظة وتذكير.

«على رجل منكم» : على لسان رجل
«الملك» : العظيم من السفن.

المعنى . فأخرجنا بالسحاب بواسطة
مائه ثمرات كثيرة. كإخراج الثمرات هذه
نخرج الصوتى يوم القيامة لعلكم تدكرون

قدرتنا فتؤمنون بالبعث، إذ لا فرق بين الإخراجين، والبلد الطيب يخرج نباته بسهولة بتيسير
الله، والبلد الحبيث التربة لا يخرج نباته مع قلة إلا بمسر وصعوبة قال ابن عباس هذا مثل
ضربه الله للمؤمن والكافر والبار والعاجر، فالوعظ والإرشاد ينفع المؤمن الصالح، ولا يؤثر
فى الكافر والفاجر ومثل هذا التصريف والتوزيع نصرف الآيات ونردها لقوم يشكرون نعمه
تعالى فيتمكرون ويمتبرون. ثم شرع سبحانه فى ذكر ما حصل لبعض الأنبياء مع أممهم ليعتبر
العاقل بما حصل فيبتمد عن سبب عصب الله وعذابه فقال لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال
لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله غيره، وإذا لم تصردوه بالعبادة إلى أحاف
عليكم عذاب يوم عظيم، هو يوم نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة، فقال كبار القوم
المتبرهون . إنا لنراك يا نوح فى ضلال عن الصواب ظاهر واضح قال يا قوم ليس بى أقل
ضلال وهو الضلالة الواحدة، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلال فقال ولكنى رسول من رب
العالمين، أى لست بعيدا عن الضلال فقط بل أنا رسول إلخ، فأنا على صراط مستقيم، جئت
أبلغكم رسالة ربي فى المواضيع المحتملة وأنصح لكم بسلوك طريق الخير، لأنى أعلم من الله

مالا تعلمون، فهو رحيم غفور لمن تاب ورجع إليه، وشديد العقاب لمن كفر به وعصاه، فهل بعد هذا كذبتكم وعجبتكم من أن يحيثكم ذكر وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم ليحذركم عاقبة الكفر، ولتتقوا الله وتحافوه لعله يرحمكم. فكذبوه في دعوى الرسالة، هاجموا والذين كانوا معه وصحابه في الملك، وهم الذين آمنوا به وكابوا قهلهين؛ انظر الآية (١٠) من سورة هود صمحة ٢٩٠، وأعرضا جميع الدين كذبوا بآياتنا...

المفردات : «عمين» : جمع عم بالتوين، وأصله عمى بكسر الميم والياء مبنية، بوزن كتف وهو هافد نور البصيرة والأعمى فافد بورالعين، قال زهير

ولكنسى عن علم ما فى غد عم.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ عَمِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ يَدْعُوا
أَحَادَهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُوا أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ مَلَكًا مِنْكُمْ إِنَّكُمْ عِندَ
أَعْيُنِنَا ﴿١١﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرُّكَ فِي سَعَةِ وَإِنَّا لَنُطَلِّقُكَ مِنَ الْكَافِيينَ ﴿١٢﴾
قَالَ يَقُولُوا لَيْسَ فِي سَعَةٍ وَنَحْنُكَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ أَتَبْعُكُمْ بِمَا أَبْغَضَ رُبِّي وَأَنَا كُنْتُ بَالِغٌ
لَيْسَ ﴿١٤﴾ أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُرْدٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُجِدْكُمْ وَأَذْكَرُوا إِذْ خَلَعَكُمْ خُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَّكُمْ فِي آخِلَاتِكُمْ تَطَشَّةً مَا ذُكِّرُوا، الْآلَاءُ
اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا احْبَبْ لِنَبِيِّ اللَّهِ وَحَقِّمْ
وَنَدْرًا مَا كَانَ يُعْبَدُ آبَاءُؤُنَا قَاتِلًا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

﴿بسطة﴾ أى سعة من الملك وقوة الأبدان، فكذبوا أطول ما هي العالم أحساما وأقوى أيدى ما
﴿آلاء الله﴾ نعمه مصردها إلى يكسر فسكون كحمل وأحمال ﴿بدر﴾ أى بترك.
العمى . أحببا نوحا ومن معه وأعرضا الدين كذبوا بآياتنا فلم يؤمنوا، لأنهم كانوا عمى
القلوب.

وأرسنا إلى عاد وهي قبيلة كبيرة كانت في اليمن تعبد الأصنام، أحادهم هودا قال يا قوم
اعبدوا الله وحده مالمكم إله غيره، أهلا تتقون عدايه؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه، وهذا
بصيد أن من أشرف قوم هود من آمن به بخلاف قوم نوح فإنه لم يؤمن به من هؤلاء الأشراف
أحد إنا لمراك هي سعاة، أى حصة عقل وطيش، لأنك تأمر بترك دين قومك إلى دين آخر
وإنا لمطك من الكاذبين هي ادعائك الرسالة. قال يا قوم ليس عدى سعاة أبدا بل أنا
رسول من رب العالمين إليكم، أرسلني أبلغكم رسالات ربي، كما قال نوح، وأنا لكم ناصح فيما

ادعوكم إليه، آمين على ما أقول وعلى مصلحتكم. أعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم إلى آخر ما تقدم في قول نوح، وأراد حملهم على التوحيد بتذكيرهم بنعم الله عليهم فقال واذكروا فضل الله حين جعلكم خلفاء في الأرض من بعد ذهاب قوم نوح، وزادكم من بين الخلق بسطة، فاذكروا نعم الله بالشكر عليها لئديمها عليكم، ولا يكون ذلك إلا بعبادته وحده، لعلكم تصورون بما فيه سمادتكم قالوا في ردهم عليه: أجبنا لعبد الله وحده وترك ما كان يعبد آباؤنا؟ كلا، بل لابد من عبادتهم مع الله والتوسط بهم عنده ليكونوا شفعاء لنا عنده، فأتينا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين، انظر آيات من (١٢٢ إلى ١٢٩).

يَجْعَلُ وَيَعْبُدُ التَّجْدِلُونَ فِي أَسْمَاءِ سَمِيحُوا نَمَّ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا رَأَى اللَّهُ رِيَّاسٍ سُلْطَانٍ فَاتَّبِعُوا إِيَّاهُ
مِنَ السُّلْطَانِ (١) فَاتَّبِعْنِي وَالَّذِينَ مَعِيَ رَحْمَةً مِنَّا
وَقَطْعًا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٢)
وَلَمَّا تَوَلَّوْا خَلْفَهُمْ صُلْحًا قُلْ بِغُورٍ أَعْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَهَلْ يَكْفِيهِ
نَاقَةُ اللَّهِ تَنْكُرُ هَبْهُ قَدْ رَوَّاهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
تَمْسُوهَا يُسُوءُ فَبِأَحَدِكُمْ عُذَابٌ لِمَمَّ (٣) وَأَذْكُرُوا
إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ وَأَبَاؤُكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فُتُورًا وَتَقْتُلُونَ الْبَنَاتِ يَتُورًا
مَا ذُكِّرُوا بِالْآلَاءِ اللَّهُ وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ مُفْسِدِينَ (٤)
قُلْ أَسْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ اسْتَطَعُوا

من سورة الشعراء صمحتي ٤٨٧، ٤٨٨ قال قد وقع وبزل، أي لابد من نزوله فكانه وقع عليهم...

المصدرات، «رجس» أي عذاب، «سلطان» - برهان، «دابر القوم» : أصل الدابر حلف الشيء الذي يكون وراءه، والمراد هلكوا عن آخرهم، «آية» : أي أن أحوالها معجزة تدل على تمام قدرتها على ما نريده من كل أمر حارق للمادة، لأنها كانت تشرب كل الماء الذي يكمن القوم جميعا في يوم واحد، وقسم سبحانه الماء بينهم وبينها، فجعل لها الماء يوما خاصا بها، وجعله لهم يوما خاصا بهم، انظر الآية (١٥٥) من سورة الشعراء صمحة ٤٨٩ وآيتي (٢٧، ٢٨) من سورة القمر صمحة ٧٠٦، «فدروها» - اتركوها، «بواكم» : أي أنزلكم في مياة وهي المكان الذي ينزل فيه، «آلاء الله» : أي نعمه تعالى كما تقدم، «تعمسوا في الأرض» - يقال عمس يعمس من باب صرب وعلم، وعشى يعمس، وكلها بمعنى أفسد، فمفسدين بعدها لإفادة معنى الثبات على الفساد، انظر الآية (٨٥) من سورة هود صمحة ٢٩٧.

المعنى : قال قد تحقق وقوع العذاب والفضيب من الله ربكم الذي خلقكم وورقكم فعبدتهم معه غيره، وهل يصح أن تجادلوني في الدفاع عن أشياء ما هي إلا أسماء ليس لها معنى، لأنهم سموها الأصنام آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية، ما أنزل الله بها حجة تدل على صحتها، وهذا مستحيل لأن الباطل لا دليل له، انظر اعتراضهم بيوم القيامة في الآية (٧٤) من سورة غافر صفحة ٦٢٧، هانتظروا نزول العذاب إنا معكم منتظرون ذلك وستعلمون صدقنا، فسرل العذاب المشار إليه في الآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠، فأنجيها والدين معه من المؤمنين برحمة عظيمة منا لا يقدر عليها غيرنا، وقطعنا دابر المكذبين بآياتنا، أي أهلكناهم عن آحرهم، ولو تركوا ما كانوا ليؤمنوا أبدا، فإهلاكهم عدل، ولا فائدة في إهلاكهم، انظر الآية (١٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٧.

وأرسلنا إلى ثمود، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام. أحاهم صالحا قال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره، قد جاءكم بينة أي حجة ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى، ثم بين هذه الحجة فقال : هذه ناقه الله، سبها له تعالى تعظيما لشأنها، ولأنها كانت هي أحوالها خارقة للمعتاد! فقال لهم : هذه ناقه الله لكم أية هذروها أي اتركوها تاكل في أرض الله، أي هي ناقه الله تعالى تاكل في أرضه سبحانه فليس لكم معها، ولا تمسوها بسوء، فإن مسستموها بأذى يأخذكم عذاب شديد الألم. وتذكروا نعمه تعالى عليكم حين جعلكم خلفاء من بعد عاد، وأنزلكم من السماء من الأرض تتخذون في سهولها قصورا تصيمون فيها، وتتحتون في الجبال بيوتا تشتون فيها، فاذكروا نعم الله تعالى هذه، ولا تقسدوا في الأرض بالشرك والظفیان مداومين على الإفساد عند ذلك أهملوه هو تكبرا عليه، وتوجهوا بالكلام لمن آمن معه من المستضعفين المنكرين.

المفردات . «عتوا» يقال عتا الرجل يعتو بوزن سما يسمو إذا تمرد وتجاوز الحد في ارتكاب الجرائم حتى صار لا ينفع فيه وعظ ولا تحذير، ويقال أيضا عتا الشيخ الكبير إذا أسنَّ وهرم وييمست مفاصله وصار في حالة يصعب علاجها. وما هنا من المعنى الأول ومن الثانى ما في الآية (٨) من سورة مريم صفحات ٢٩٦، ٢٩٧.

لكم بقولها حوّه الهلاك، ولكم لم تحبوا الناصحين، فليس المراد أنه خاطبهم وسمعوا، بل المراد من قوله هو ما علمت من التحسر والترو، وتعزية نفسه بأنه لم يقصر في نصيحهم واذكر أيها النبي لقومك ليحسبوا ويحذروا عصب الله، لوطا، وهو نبي الله، وابن أخى إبراهيم عليه السلام، أسكنه عمه إبراهيم قرية سدوم بشرق الأرض قريبا من البحر الميت، أى واذكر أيها النبي لوطا الذى أرسلناه لقومه حين قال لهم مكرًا عليهم

هل يصح أن تعملوا المصلة المتناهية في المحشر؟ ومن زيادة جرمكم أنكم أنتم الذين ابتدئتموها، لأنه لم يسبقكم بها أحد من العالم كله، ثم بين هذه الفاحشة بقوله إكم لتأتون الرجال لمجرد الشهوة لا طلبا للنسل وتركتم النساء كما في آيتي (١٦٥، ١٦٦) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٠، بل تجاوزتهم الحد في كل شيء كما في الآية (٢٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤، وما كان لهم حواب إلا قولهم أخرجوهم، أى لوطا ومن آمن معه، انظر الآية (٥٦) من سورة النمل صفحة ٥٠١، والذي يتأمل جميع ما جاء في القرآن عن هذه العادة يعلم أنه لما نهاهم عليه السلام عن هذه الماحشة نهاهم أيضا عن جرائم أخرى بينها الآية (٢٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤، وأنهم ردوا عليه أولاً بالتهديد بطرده إن لم يسكت كما في الآية (١٦٧) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٠، وأنه لما لم يسكت قالوا إن كنت صادقًا فأتنا بما تعدنا من العذاب أى وإلا فاسكت كما في الآية (٢٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤ ولما كرر النهي ثالثا ورابعا كما هي عادة الواعظ المصلح، أمروا بإخراجه كما هنا وعظوا طرده هو ومن معه بأنهم أناس يحبون التطهر، وهذا صدر منهم على سبيل السحرية كما يقول المساق في مجلسهم إذا عشيهم رحل صالح أبعدها عما هذا الراهد المتقشف، فأنزلنا بهم العذاب، وأنجيئنا وأهله، والمراد بأهله من آمن معه منهم، انظر الآيات (٢٦، ٢٥، ٢٦) من سورة الداريات صمحتي ٦٩٣، ٦٩٤، إلا امرأته لم تنجها بل أهلكناها معهم كما في الآية (٨١) من سورة هود صفحة ٢٩٦.

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٠٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَاطِرًا
 كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٧﴾ وَإِنَّ مَدْيَنَ أَخْلَصَهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَنْفِرُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَمِيرَةٍ
 قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
 وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 بَعْدَ إِسْلَامِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٨﴾
 وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَنفَوْنَهُمْ عَوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
 فَكُنْزُكُمْ وَأَطْرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠٩﴾
 وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامِنًا بِاللَّهِ أَرْسَلْنَا بِهِ
 وَطَائِفَةً لَمْ يُؤْمِرُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَخْرُجَ اللَّهُ بَيِّنًا وَمَوْ
 عِدُ الْحَكِيمِينَ ﴿٢١٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اتَّكَفَرُوا

المفردات : : «الغابرين» : يقال غبر الشيء إذا بقي منقطعا عما كان معه، وإذا ذهب وهلك، ويصح هنا كل من المعنيين؛ أي من الباقين في مكان العذاب، أو الداهيين الهالكين.

«وأمطرنا عليهم مطرا» : المراد بالمطر هنا العجالة المحممة بالنار التي أرسلت عليهم من السماء بعد خسف القرية؛ انظر الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦ والآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢. ومن كل هذا تعلم أنه ليس مطر الخير المتقصد في الآية (٥٧) من هذه السورة صفحتي ٢٠١، ٢٠٢ بل مطر سوء كما في الآية (٤٠) من سورة المرقان صفحة ٤٧٥.

«مدین» : في التوراة ما يفيد أن مدین اسم ولد من نسل إبراهيم عليه السلام ثم أطلق على القبيلة التي من نسله. وأطلق أيضا على مساكنهم، وهذا الأخير هو الظاهر في الآية (٤٥) من سورة القصص صفحة ٥١٢. ويجب أن يعلم أيضا أن شعيبا أرسل أيضا إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا فأحدهم عذاب يوم الظلة انظر الآيات (١٧٦ - ١٨٩) من سورة الشعراء صفحتي ٤٩٠، ٤٩١.

(١) الغابرين

(٢) عاقبة

(٣) يا قوم

(٤) إصلاحها

(٥) صراط

(٦) عاقبة

(٧) العاكين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أى لا تقطعوا طريق الحق على سالكيه، وهسر ذلك بما بعده ﴿تَوَعَّدُونَ﴾ أى يحذرون ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَتُبْغِفُونَهَا عَوْجًا﴾ تقدم تفسيرهما في الآية (٤٥) من هذه السورة صفحة ١٩٩.

المعى . فأحبياء وأهل بيته إلا امرأته صارت من الهالكين؛ لأنها كانت من الكافرين؛ نظر الآية (١٠) من سورة التحريم صفحة ٧٥٣، وأمطرنا عليهم عذابا من السماء بعد قلب القرية عاليها على سافلها كما في الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦، والآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤٣. فانظر أيها السامع وتأمل كيف صارت عاقبة المجرمين، وابتعد عن أسبابها. قال أبو جعفر قلت لمحمد بن على هل عذب الله قوم لوط بعمل رجالهم؟ فقال: الله أعدل من ذلك، ولكنهم لما استمعى الرجال بالرجال واستغنى النساء بالنساء أهلكهم الله جميعا، انظر آيتي (١٥، ١٦) من سورة النساء صفحة ١٠١ وأرسلنا إلى أهل مدين من العرب العاربة، وكانت أرضهم تمتد ما بين طور سيناء إلى الفرات، وكانوا قد جمعوا إلى كصرهم بحس الكيل والميران، أحاهم شعيبا، سماء العلماء خطيب الأنبياء لأنه كان حسن الإقناع؛ انظر بقصا منه في الآيات من (٨٤ - ٩٥) من سورة هود صفحات ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨. قال يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله حق غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم، أى معجزة، لم يبين الله تعالى آية شعيب ولكنها لا بد أن تكون معجزة كونية حارقة للمادة؛ لأن المعروف عن تلك الأمم السابغة أنها ما كانت تدعى إلا لذلك، ولو لم تكن هذه البينة ملزمة فاطمة للألسن لما أمكنه أن يرتب عليها أمره لهم بقوله :

﴿مَأْوَاهُ الْكَيْلَ وَالْمِيرَانَ﴾ أى أنموا المكيل والمورون إذا بعتم، ولا تنقصوا حقوق الناس، ولا تفسدوا في الأرض بعدما أصلحها غيركم؛ ذلك من كل ما أمرتكم به حير لكم من كل وجه إن كنتم مؤمنين أى مصدقين بما أقول، وبعدها أمرهم بالتوحيد وما بعده نهاهم عن ثلاثة أشياء أخرى لا تقل حظورة عما قبلها إن لم تكن أفضح من بعضها فقال ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ إلح أى تفتطعوا طريق الحق على من أراد سلوكه توعدهونه وتحذوونه بالمذاب إن آمن، والجريمة الثانية أنكم تصدرون وتصرفون من آمن عن الثبات على إيمانه، أى تحاولون كمره بعد إيمانه، والثالثة طلبكم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالطعن فيها والتشكيك والتشويه، انظر بعض ذلك في الآية (٨٧) من سورة هود صفحة ٢٩٧، اتركوا ذلك واذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم قليلا مستضعفين مبارك فيكم وكثركم، وانظروا وتأملوا كيف صارت نهاية المصمدين من الشعوب المجاورة لكم فتتجنبوا أسبابها؛ انظر بعض هذه الأمم التي أشار

مِنْ قَوْمِهِ لَتُخْرِجَنَّكَ يَتَشَعِبُ وَالَّذِينَ أَسُوا مَعَكَ مِنْ
قَرِيبٍ أَوْ تَعُودُنَّ فِي يَمِينٍ ۖ قَالُوا نَتَوَكَّلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ
قُدْرَةِ اقْتِرَاسِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُنْدَنَا فِي يَمِينِكُمْ بَعْدَ إِذْ
تَجِبْنَا إِلَى اللَّهِ بِهَا وَنَدَّ يَحْكُمُونَ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لَبِئْسَ أَتَيْتُمْ شُعَبًا لَا تَكْرَهُونَ ۝
فَاخَذْتُمْ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ۝
الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانَ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا
كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ ۝ قَوْلٌ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَرُمَ لَقَدْ
أَبْلَسْنَا رُسُلَنَا رَبِّي وَصَحَّتْ لَنَا فَكَيْفَ نَسِي

إليها هنا هي الآية (٨٩) من سورة هود
صفحة ٢٩٧. ثم هددهم وطمان المؤمنين
معه بقوله: وإن كان طائفة... إلخ أي أن نصر
المؤمنين وخذلان المفسدين قريباً إن شاء
الله، وهو سبحانه خير الحاكمين؛ لأن حكمه
حق وعدل دائماً. لماذا كان بعد هذا التهديد،
الذي لا يكون إلا من واثق بما يقول؟ إن ردهم
الذي يدل على تمكن الكفر قول كبرائهم
وأصحاب الكلمة فيهم...

المفردات : «افتح بيننا وبين قومنا» :
أي احكم بما يستحقه كل منا من النصر أو
الهزيمة، انظر ما قلناه في تفسير الآية
(١١٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٧.

«رسالات ربى» : تقدم مثلها هي الآية (٦٢) من هذه السورة صفحة ٢٠٢

«الرجفة، جاثمين» : تقدمها هي الآية (٧٨) من هذه السورة صفحة ٢٠٥

«يفسوا فيها» : أي لم يقيموا في ديارهم ربما طويلاً، من قولهم عنى بالمكان بوزن رصى إذا
أقام فيه طويلاً.

«أسى» : من الأسى وهو الحزن أي أحزن.

المعنى : قال الوجهاء المتكبرون من قومه : والله لتخرجك من قريتنا أو لتعودن في
يميننا، أي لابد من أحد الأمرين فاختار لنصمك أنت ومن معك أيهما شئت، والتعبير بالعودة

(١) يا شعوب	(٢) كثرهم	(٣) نجنا
(٤) الفاتحين	(٥) الخاسرون	(٦) جاثمين
(٧) الخاسرين	(٨) يا قوم	(٩) رسالات
(١٠) أسى		

باعتبار المجموع من شعيب والمؤمنين معه، لا باعتبار كل فرد منهم حتى يفيد أن شعيباً كان على ملتهم قبل النبوة، فقال شعيب: هل نعود ولو كنا كارهين العودة! أي هذا لن يكون، لأن الإكراه لا ينال العقائد انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحات ٥٢، ٥٤، والله لقد افترينا على الله كذباً إن عدنا بعد زمن إنجاء الله لنا منها، وكانت العودة من نبي كذباً على الله لأنها تعيد وتقرر في أذهان الناس أن الله شريكاً كما كان يعتقد قومه وإلا لما فعلها الرسول، ويصح أن يكون الكلام للتعجب من قولهم، كأنه يقول ما أشد افتراءنا على الله إن عدنا في ملتكم إلخ ولا يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا، وهذا رفض أحر لطلبهم العودة في ملتهم مؤكداً ببلغ تأكيد: أي لا نعود إلا أن يشاء الله؛ لأنه وحده المتصرف بحسب حكمته، ونحن لم نفسد قطرتنا بل قد أخلصنا له سبحانه الدين فعده يأبى أن يحولنا إلى الشرك، أي فأنتم تطلبون ما يشبه المحال، والتعليق بالمشيئة يقصد به أيضاً التاديب مع الله وعدم القطع بما ليس لنا به علم، ونظيره ما تقدم في الأنعام من قول إبراهيم عليه السلام في الآية (٨٠) صفحة ١٧٥: وسع ربي كل شيء علماً، فهو يعلم أحوال عباده وما في قلوبهم ويعامل كل ما يستحق، فعليه وحده نكل أمورنا بعد قيامنا بما طلبه منا، فإيرتنا افتح بيننا وبينهم بنصر المحق منا وعقاب المفسد وأنت خير الحاكمين. ثم التفت الكفار لاتباع شعيب عليه السلام يضللونهم بعدما يشعرون منه فقالوا: لئن استمررتم على اتباع شعيب إنكم حينئذ لخاسرون أي مفبونون، لفوات ما نحن فيه من اللذات علىكم، ولترككم ما كان عليه آبائكم.

﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ تقدم بيانها في الآية (٧٨) من هذه السورة صفحة ٢٠٥ ثم ذكر ما يفيد سقمهم في قولهم ﴿لنخرجنك يا شعيب﴾ بقوله الذين كذبوا شعيباً ذهبوا وهلكوا كأن لم يكن لهم هنا ذكر؛ وما يفيد سقمهم في قولهم ﴿لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون﴾ بقوله:

الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين لا من آمن مع شعيب، ويمد ما حل بهم العذاب وتركهم جثثاً مكفنة على ركبها ووجوهاً انصرف بعيداً عنها وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، كما قال صالح في الآية (٧٩) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٢٠٥. وإذا كان الأمر ما ذكر فكيف أحزن...

عَنْ قَوْمٍ كَثِيرٍ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا
 أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ۝
 ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ الْبَيْتِ الْحَيَّةَ حَتَّىٰ عَصَا وَقَالُوا قَدْ
 مَسَّ إِلَيْنَا مِنَ الضَّرَاءِ وَالضَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ عَادُوا وَاتَّقَوْا
 لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ
 كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ أَمْ يَسْأَلُ
 الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا يُدْنِيهِمْ وَهُمْ يَأْمُرُونَ ۝
 أَوْ أَمْسِلُ الزُّهْرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَرِيًّا وَهُمْ
 يَتَّبِعُونَ ۝ أَفَأَمْسُوا سَكْرًا اللَّهُ فَلَا يَأْمُرُ سَكْرًا اللَّهُ إِلَّا
 أَنْفَرُ الْخَاسِرُونَ ۝ أَوْ لَوْ يَهْدِي الْقُدِيرَ يَرْثُونَ الْأَرْضَ
 مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَمْسِلْنَاهُمْ لَيْلًا وَقَطَّعَ

المفردات :- «قرية» : هي المدينة
 الجامعة لزعماء الأمة ورؤسائها المعبر عنها
 في عصرنا بالجامعة. «البأساء» : المصائب
 التي تصيب الشخص فيما حوله كماله وأهله.
 «الضراء» : ما يصيبه في نفسه كالمرض.
 انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحتي
 ٣٣، ٣٤.

«يضرعون» : تقدم في الآية (٥٥) من
 هذه السورة صفحة ٢٠١.

«عفا» : أي كثروا ونمت أراذلهم. يقال
 عفا الشيء إذا كثر.

«بأسنا» : عذابنا.

«بياتنا» : ليلا.

«أو لم يهد للذين يرثون الأرض» :

«يهد» أي يبين تقول العرب هدى فلانا الدليل وهدى له أي أرشده ويهين له الصواب انظر
 الآية (١٢٨) من سورة طه صفحة ٤١٨ والآية (٢٦) من سورة السجدة صفحتي ٥٤٧، ٥٤٨.
 «أن لو نشاء» : انظر آيتي (٦٦، ٦٧) من سورة يس صفحة ٥٨٥ والمعنى لو أردنا تعذيبهم
 بسبب ذنوبهم لعلنا.

«يطع» : الطبع هو الختم المتقدم في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤.

المعنى . لا تستحقون أن أحزن عليكم لأنكم كفرتم بخالقكم ورازقكم. ثم أراد سبحانه أن
 يبين أن سنته في عقاب الأمم أنه لا يعاقبهم إلا بعد تنبيههم مرة بعد أخرى، فقال: وما أرسلنا
 في قرية من نبي، أي فكذبوه، إلا ابتلينا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون إلى الله

بالتصرع إليه، كما تقدم في الآية (٤٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، ثم لما لم تتمع معهم الشدة بلوناهم بالخير وحملنا الحالة الحسنة مكان الحالة السيئة كاليسر بدل العسر والصحة بدل المرض لعل النعمة تبيهم للشكر، وإذا لم يرجعوا لا بهذا ولا بذاك أهلكناهم، انظر الآية (١٦٨) الآتية صفحة ٢٢٠، والآية (٢٥) من سورة الأنبياء ٤٢٤؛ فالمعنى غيرنا حالتهم إلى أحسن حتى كثروا ونمت أرزاقهم وقالوا قد مس أبائنا إلخ، أي لا نطمس بصيرتهم وفساد فطرتهم لم يلتفتوا إلى معنى الاختيار بل قالوا ما أصابنا هو عادة الدهر، فقد مس أبائنا من قبلنا بما يسوء وما يسر فنحن مثلهم، أي فليس الضر عقابا من الله على معاصي، ولا الخير جزاء منه على طاعة. عند ذلك أصبناهم بالمذاب فجاءتهم وهم فاقدوا الشعور بما سيحل بهم، وهذا تأكيد بمعنى البفلة، وأشد المصائب ما جاء على بعثة. ولو أن أهل القرى المهلكة آمنوا بما جاء به رسلهم، واتقوا ما حرم عليهم لمتحنا عليهم بركات إلخ، أي ليمرنا لهم الخير من كل جانب، ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا، فأخذناهم بالمذاب بسبب استمرارهم على كسب الكمر والمعاصي، وبعد ما بين سبحانه ما حل بالأمة السابقة بسبب كفرهم وعصيانهم، أراد أن ينبه أهل مكة وما حولها لخطر ما هم عليه مكررا عليهم عدم خوفهم منه تعالى فقال أها من أهل مكة والقرى التي حولها من أن يأتيهم عذابنا في الليل وهم نائمون ثم كرر الإنكار فقال: أو أمن أهل القرى أن يأتيهم عذابنا في أول النهار وهم لاهون من شدة النفلة. ثم كرر مجموع الإنكارين السابقين لزيادة التحذير فقال:

﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أي لا يصح هذا من عاقل لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الحاسرون لأنفسهم بسبب عدم التفاتهم لما حصل للأمم قبلهم، والمراد بالمكر هنا التدبير الخفي بما لا يحب المذكور به.

﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض﴾ أي أكان مجهولا لهم ما حصل لمن قبلهم ولم يبين لهؤلاء الذين يرثون الأرض من بعد أهلها جيلا بعد جيل أنهم خاضعون لمشيئتنا، ولو نشاء تمديبهم بسبب ذنوبهم كما عذبنا الماضين لفعلنا وأصبناهم بذنوبهم، أي تهلك الوارثين كما أهلكنا الموروثين، ونطبع على قلوبهم فلا ينتفعون بوعظ عقابا لهم على إصرارهم على الكفر والمعاصي كما في الآية (١٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢٦٤ فالطبع بعض العقاب، ذكر لأنه أهم وأشد.

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾ نَبَأَ الْقُرَى نَقُصُّ^١
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ^٢ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ^٣ فَمَا
 كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْعُ^٤ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ
 عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
 بَيْنِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا^٥ لَمَّا قَرَعُونَ^٦ وَهَلَاكِيَهُ أَفْطَلُوا^٧ بِهَا
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ مُوسَى
 يُنَادِيكَ رَبِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى
 أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
 رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ بَيْنِي وَبَيْنَ آلِهَتِي^٨ قَالَ إِنْ كُنْتَ
 بِحَقٍّ^٩ فَخَافَ^{١٠} فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥﴾
 قَالُوا عَصَا^{١١} فَلَمَّا بَيَّنَّ^{١٢} ثَعْلَبًا^{١٣} مِنْهُمْ وَرَجَّعَ^{١٤} بَدْرًا^{١٥}

المفردات : ﴿عَمَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ : اللام
 هي ليؤمنوا لتأكيد النفي انظر الآية (٢٢) من
 سورة الأنفال صفحة ٢٢١. ﴿من عهد﴾ :
 المراد به كل عهد ارتبطوا به، سواء ما اخذه
 الله عليهم في الآية (١٧٢) الآتية هي هذه
 السورة صفحة ٢٢١، أو ما عاهدوا الله عليه
 إذا أصابهم بسوء، من ثوبتهم وشكره تعالى
 كما هي الآية (٦٢) من سورة الأنعام صفحة
 ١٧٢، والآية (٢٢) من سورة يونس صفحة
 ٢٦٩، ومن النص على عموم نفي ما بعدها.

﴿وَأَنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَمَّاسِينَ﴾ : هي

الألوسي «إن» مخفمه وصمير الشار محذوف، وذهب الكوفيون إلى أن «إن» ماضية واللام في «لفاسقين» بمعنى «إلا» أي وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين على الطاعة.

﴿عظّموا بها﴾ : أي ظلّموا أنفسهم كافرين ومكذّبين بها، فضمن الظلم معنى الكفر والتكذيب. ﴿هإذا هي﴾ إذا العجائية هنا قال الأخفش إنها حرف يدل على سرعة حصول ما بعده عقب حصول ما قبله، والماء تؤكد هذا الربط.

المعنى :- ونطبع على قلوبهم فلا يسمعون المواعظ والأدلة سمع تدبر وتعاضد، انظر الآية ١٠١ من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

ثم شرع سبحانه في بيان عاقبة الكفر والمعاصي ليعتبر أهل مكة فقال: تلك القرى العنكرة من قرى قوم نوح و عاد و ثمود إلخ نقص عليك أيها النبي بعض أخبارها فيما سبق، ومنها تعلم

(١) بالبيئات	(٢) الكافرين	(٣) لافاسقين	(٤) مآبنا	(٥) ملئه	(٦) عاقبة
(٧) يا هرعون	(٨) العالمين	(٩) إسرائيل	(١٠) بأية	(١١) الصادقين	

أنهم ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية معجزات رسلهم بسبب إصرارهم على تكذيبهم السابق على رؤيتها. فالمراد أنهم أول ما جاءهم الرسل فاجتوهم بالتكذيب، ولما أتوا بالمعجزات أصروا على التكذيب فما بفعنتهم الآيات شيئاً كما هي الآية (١٠١) من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

وما وجدنا لأكثر هذه الأمم من محافظة على عهد. وقال - أكثرهم، لأن بعضهم كانوا لا يماهدون، فلا يقال لا يوهون. وإن وجدنا أكثرهم إلخ.

المعنى - وأن الحال والشأن الذي وجدنا عليه أكثرهم هو التمكن من السوق، وهو الخروج من كل عهد مشروع بالنكث والفسد وغير ذلك من المعاصي. ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل المتقدم ذكرهم موسى مصاحباً للمعجزات الواضحات إلى فرعون وقومه والمصاحبة رميتها واسع فيدخل فيه الآيات التي جاءت بعد، كالطوفان وغيره. انظر الآية (٥٦) من سورة طه صفحة ٤١٠؛ وإنما خص الملأ وهم الزعماء بالذكر لأنهم كانوا هم السبب في محاربة موسى هي دعوته كما سيأتي. فظلموا أنفسهم كافرين بالمعجزات فانظر أيها السامع بعين عقلك كيفية ما فعلنا بهم لأنهم مفسدون. ثم شرع سبحانه في تفصيل هذا الإجمال فقال وقال موسى يا فرعون، وفرعون لقب ملك مصر، كما أن فيمصر لقب ملك الروم، وكسرى لقب ملك المرس، فكانه قال يا ملك مصر إني رسول من رب العالمين إليكم حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق إلخ، على بمعنى الباء كقولهم سافر على اسم الله أي باسم الله، وجاء فلان على حال حسنة أي بحال حسنة. فالمعنى أنا جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق. والمراد لا يمكن أن أكذب على الله، قد جئتكم ببينة معجزة تثبت رسالتي التي أعطتها لي ربكم الذي خلقكم، فاترك بني إسرائيل لينهبوا إلى دار غير دارك يمكنهم فيها عبادة ربهم. قال فرعون

إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها إن كنت من الصادقين فيما تقول. هألقي موسى عصاه من يده على الأرض فما جاء كونها حية عظيمة ظاهر أمرها لا يشك في أنها حية، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء كما هي الآية (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥.

المفردات : «الملا» : زعماء القوم الذين لهم كلمة نافذة.

«فماذا تأمرون» : يقول العرب تأمر القوم وأتمروا بمعنى تشاوروا، ويقول أحدهم مرني أى أشر على، «ارجعه» : ارجئه واسمه ولا لتمجل بقتله أو سجنه، والعرب تخفف مثل ذلك بحذف الهمزة فيقولون أرجا فلان كذا أى أرجاء.

فهما لهجتان عربيتان، وقال بعض اللغويين إنهما لهجتان إحداهما أرجا والأخرى أرجى فيقولون أرجات الأمر وأرجيته والمعنى واحد، انظر ما قيل في الآية (١٠٦) من سورة التوبة صفحة ٢٦٠.

«حاشرين» : رجالاً يجمعون السحرة ويعشرونهم في المكان الذي تراه. «سحروا أمين الناس» : أى خيلوا لها أنها حيات حقيقية وهى فى الواقع ليست كذلك، انظر الآية (٦٦) من سورة طه صفحة ٤١١. «واسترهبوهم» : أصل معناه طلبوا إرهابهم وتخويفهم، والمراد خوفوهم وأرهبوهم إرهاباً شديداً.

«تلقف» : اللقم الأخذ بسرعة وتلقف تبتلع بسرعة.

«يا فكون» : يكذبون به على الناس ويوهمونهم أنه حقيقة.

«فوق الحق» : ثبت وتبين الحق وهو صدق موسى.

مِنْ بَيْمَاتِهِ قُطِرِينَ ١٠٩ قَالَ كَلِمَاتٍ فَرَعُونَ إِنَّ
هَذَا نَسِيعٌ عَلِيمٌ ١١٠ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
فَمَا تَأْمُرُونَ ١١١ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
خَبِيرِينَ ١١٢ يَا نُوحُ كُلْ مِنْ ثَمَرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١١٣ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
فَرَعُونَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَمْراً وَإِنْ كُنَّا عَنِ الْغَيْبِ لَنَخْبَرِينَ ١١٤
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَمِ التَّمْزِينَ ١١٥ قَالُوا بَشَرٌ مِثْلُ
أَنْ تُلْقَى وَإِنَّمَا أَنْتَ تُكْوِنُ كُنْ الْغَيْبِ ١١٦ قَالَ أَلَمْؤُا
فَلَمَّا أَنْفَرُوا صُرُوا أَعْيُنَ السَّاسِ وَأَسْرَهُوهُمْ وَجَاءُوا
بِيعْرِ قَطِيرٍ ١١٧ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٨ فَوَقَعَ الْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٩ فَصَبَّأَهُمْ بِكُلِّ صَغِيرَةٍ
وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَيْدِينَ ١٢٠ قَالُوا إِنَّمَا

﴿انقلبوا﴾ : أى رجعوا إلى المعينة.

﴿صاغرين﴾ : أذلاء. ﴿والقى السحرة ساجدين﴾ : أى ألقت سطوة الحق السحرة على وجوههم خاضعين والمراد معرفتهم للحق أحضعتهم.

المعنى . . وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء عن بقية جسمه وعن يده الأخرى بيضاء يلفت النظر حتى رأى كل الحاضرين وعرفوا أنه غير طبيعي. عند ذلك حاف فرعون والزعماء أن يذهب ملكهم فمرروا بالناس ورددوا قول فرعون إن موسى لساحر عليم بفنون السحر. انظر الآية (٥٧) من سورة طه صفحة ٤١٠، والآية (٢٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢، يريد أن يخرجكم من أرضكم مصر ليعمل معكم بنى إسرائيل. ثم قال فرعون للزعماء: هبماذا تأمرون؟ أى هبماذا تشيرون أن نعمله؟ قالوا. أمهله وأخاه هارون ولا تتعجل بقتله أو حبسه، وأرسل فى مدائن ملكك رجالا يحشرون السحرة المهرة ويجمعونهم عندك ليظهر عجزه فيفتضح أمام الناس حتى لو قتل بعد ذلك لا يشك أحد فى أنه كاذب لا رسولاً. فأرسل وجاء السحرة إلى فرعون وقالوا إن لنا لأجرا عظيما على غلبتنا موسى إن كنا نحن العالين. قال فرعون: نعم لكم أجر، ولكم ريادة عليه وهو أن أجعلكم من المقربين عدى. قال السحرة: يا موسى إما أن تلقى عصاك أولا وإما أن نكون نحن الملقين ما معنا أولا. قال لهم موسى: ألقوا أنتم أولا. فلما ألقوا حبالهم وعصيهم كما فى الآية (٤٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢: سحروا أعين الناس وخوهم خوفا شديدا لأنهم جاءوا بسحر عظيم فى التمويه والتخيل، وبلغ من شدته أن موسى خاف منه، انظر الآية (٦٧) من سورة طه صفحة ٤١١ فقد انقلبت حبالهم وعصيهم فى أعين الناس حيات صحمة. عند ذلك أدرك الله تعالى موسى وقال له. ألق عصاك على سحرهم فألقاها فإذا هى حية أعظم تبتلع كل ما كانوا يكذبون به على الناس ويوهمونهم أنه حقيقة. عند ذلك ثبت ووضح الحق، وأن موسى صادق فى أنه رسول رب العالمين، وبطل ما كانوا يميلون من السحر، فقلَّبُوا أى فرعون وقومه هالك أى فى المكان الذى جمعهم فيه وهى الزمان المشار إليه فى الآية (٥٩) من سورة طه صفحة ٤١٠. ورجعوا إلى المدينة أذلاء، وألقى السحرة ساجدين، أى أن معرفتهم للحق أرغمتهم على الخضوع لسطوة الحق، فكان الحق دعمهم دفعا إلى الخضوع والتسليم حال كونهم قائلين فى أثناء سجودهم : آمنا برب العالمين...

رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١١٢) قَالَ فِرْعَوْنُ
 قَاتِلْهُمْ يَبْءُ قُلُوبُهُمْ أَنَّ أَقْدَارَهُمْ لَكَ كَرُّهُ إِنْ هَذَا سَكْرٌ مَكْرُومُهُ
 فِي النَّبِيِّ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا قَتَلَهُمْ تَعْتَبُونَ (١١٣)
 لَا تَطْعَمُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ حَبِّ لَمْ لِأَصْلِكُمْ
 أَنْجَحِينَ (١١٤) قَالُوا إِنَّ إِلَى رَبِّكَ مُفْتُونَ (١١٥) وَمَا
 تَنفَعُ مَا إِلَّا لَدُنَّا مَا نَقَاتُ رَبِّكَ تَمَّ حَتَّى رَأَى
 أَفْرَغَ عَلَيْهِ صَبْرًا وَوَقَفَ مُلَيَّنٌ (١١٦) وَقَالَ الْعُلَا مِ
 قَوْمِ فِرْعَوْنُ أَتَذْكُرُ مَوْمِنٌ وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 وَبَذَلْكَ وَأَهْلِكَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَا هُمْ وَنَسَخِي
 بِنَاءَهُمْ وَإِنَّا قَوْمُهُمْ قَهْرُونَ (١١٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
 اتَّبِعُوا بِلَاقِي وَأَمِيرُوا إِنْ الْأَرْضُ فَتْنًا يَوْمَئِذٍ بِنَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١١٨) قَالُوا أَرَدَبَا

الممردات : ﴿من خلاف﴾ : أى يد من جهة
 ورجل من أخرى.

﴿تتقم منا﴾ : من تقم بوزن صرب بمعنى
 كره وعاب.

﴿أفرغ علينا صبراً﴾ : أى أصيب علينا
 صبراً كثيراً كما يصب الماء الكثير حتى يفرغ
 المصبوب عليه.

﴿اتذرك﴾ : أى هل تترك.

﴿وآلهتك﴾ : روى أنه كان يعتقد أن هي
 العالم العلوى آلهة هي الكواكب وهي المربية
 للعالم السفلى، وأنه هو إله العالم السفلى.

وجعل لقومه أصناماً يعبدها تقرباً إليه هو لأنه هو أسمى المعبودات التى فى الأرض كما هي
 الآية (٢٤) من سورة البازعات صفحة ٧٩٠، وليس هي الأرض إله غيره كما هي الآية (٢٨) من
 سورة القصص صفحة ٥١٢، فالمراد بآلهته هنا هي ما كانوا يتقربون به إليه، أو لجميع من
 سفلى وعلوى.

﴿يقتل أبناءهم ويستحيون نساءهم﴾ تقدم هي الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠

(١) العالمين

(٢) وهارون

(٣) دن

(٤) خلاف

(٥) بياض

(٦) وآلهتك

(٧) ويستحيين

(٨) قاهرين

(٩) والعاقبة

المعنى : . قال سحرة فرعون آمنا برب العالمين. ولما كان فيه احتمال أنه فرعون كما كان يدعى في الآية (٢٨) من سورة القصص صفحة ٥١٢. دفعوا ذلك بقولهم : رب موسى وهارون عند ذلك قال فرعون منكرا على السحرة وموينا لهم: أمنتُم برب موسى وهارون قبل أن أدن لكم؟ أي ولا يمكن أن أدن لكم، بدليل قوله إن هذا العمل منكم وعزتي لمكر وحيلة فعلتموها أنتم وموسى، انظر الآيات (٥٧، ٦٣، ٧١) من سورة طه صفحات ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، في المدينة أي مصر، لتخرجوا منها أهلها المصريين وتكون لكم ولبنى إسرائيل، ثم هدد السحرة تهديدا إجماليا بقوله: فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم. ثم فصل هذا التهديد بقوله: وعزتي لأفعلن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي اليد اليمنى والرجل اليسرى مثلا، ثم لأصلبنكم كلكم على جذوع النخل حتى تموتوا فضيحة لكم وتخويفا لغيركم، انظر الآية (٧١) من سورة طه صفحة ٤١٢، فلم يبال السحرة بهذا التهديد، بل قالوا:

إننا نحن وأنتم نرجعون إلى ربنا في الآخرة فهحكم بيننا وبينكم بالعدل. وقالوا أيضا:

ومن غريب أمرك يا فرعون أنك لا تعيب علينا شيئا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا على يد موسى، وذلك ليس فيه عيب بل هو من أكبر المحاسن والمفاخر. ويقصدون بهذا قطع أمل فرعون في رجوعهم.

ثم أعرضوا عن فرعون وتوجهوا إلى الله تعالى قائلين يا ربنا افض علينا صبرا يغمرنا حتى لا نبالي بتهديد عدوك، وتوفنا ثابتين على ما وفقنا إليه من الإسلام. وقال الملأ من قوم فرعون موجّهين الخطاب لفرعون : هل يصح أن تترك موسى وبني إسرائيل آمين ليصعدوا في أرض مصر بإدخال أهلها في دينهم ويهملوك أنت وأهلك. فرد عليهم بقوله. سنقتل إلح، سنستمر ونزيد في تقتيل الأبناء الذكور ونبقى نساهم للذل والخدمة ولا يمجربنا ذلك لانا فوقهم قاهرون. عند ذلك التفت موسى لقومه وقال لهم: استمعينوا بالله على هذا الظالم واصبروا على تهديده ولا تبالوا به، لأن الأرض كلها لله وحده لا لفرعون والله هو الذي يورثها أي يعطيها لمن يشاء من عباده، والخاتمة المحمودة لمن يتقى الله، أي لا لفرعون وجنوده. فقال قوم موسى وهم بنو إسرائيل : أودينا من جهة فرعون...

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَا وَمِنْ بَعْدِ مَا حِطْنَا قَالَ عَصَى رَبُّكَ أَنْ
يَهْلِكَ عُدُوكُمْ وَبَسَطَ لَكَ فِي الْأَرْضِ قَبْضَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبْكِ وَمَقْصُ
مِنَ النَّعْرَةِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَسَا هَٰؤُلَاءِ وَإِنْ يُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَلَعَتْ هُمْ عِدَّةَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالُوا هَٰؤُلَاءِ نَبِيَّا يَهُ، مِنْ آيَةِ لِنَسْحَرَنَا
بِهَآ قَالُوا لَنْ نَكُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْهُمَ، بَنَتْ مَفْصَلَاتٍ
فَلْيَسْكَبُوا ۖ كَانُوا قَوْمًا مُّخْرِجِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ
قَالُوا يَسُوسُ آدَمُ لَكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ لَيْسَ كُفْرًا
هَآ الرِّجْزُ لَكُمْ لَنْ تَرْسِلَ مَعَكَ نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾

المصردات :- «المسير» : جمع سدة
وأصلها الرمن المعلوم، وتطلق على الشدة
الناجية عن فحط أو غيره. «بطيروا» :
يتشاءموا.

﴿الآ﴾ حرف يدل على تسيه السامع
للعناية بما يأتي بعده.

﴿طائرههم عند الله﴾ : أى شوهمهم يأتيهم من
عد الله على عملهم لا من عند موسى وبسببه

﴿مهما﴾ : اسم شرط يدل على العموم
وبين معناه بقوله «من آية» أى معجزة وهم
يريدون ما نرعم أنه معجزة أيذك بها ربك.

﴿لننصحرنا بها﴾ : لننصحرنا بها بدقه
وحيلة عما نحن عليه من دين ومن تسخير

بنى إسرائيل هيما نريد. «بمؤمنين» أى مصدقين. «الطوفان» الأمطار المعرقة لمتمة
للزروع والشمار.

﴿لقمل﴾ واحدته قملة وهى الحشرة المعروضة شديدة الإيذاء.

﴿الضفادع﴾ : جمع ضفدع كدريهم، والأنثى ضفدعة.

﴿آيات مفصلات﴾ : أى أدنة مفصلة دالة على صدق موسى

﴿بما عهد عندك﴾ : أى بعهد عندك وهو النبوة.

﴿الرجز﴾ : أى العذاب المتقدم من الفحط وغيره.

المعنى . قال قوم موسى. أودينا من قبل أن تأتيها بالرسالة بقتل آبائنا إلح، ومن بعد ما
حجتنا بالتهديد وتشديد الجور. قال موسى تطمينا لهم: اصبروا، أرجو أن يهلك ربكم عدوكم
ويجعلكم خلفاء فى الأرض فيظفر كيف تعملون، أى ليظهر منكم ما انطوت عليه بموسكم من

شكر نعمته تعالى أو كفرها، فيجازيكم على كل. وهذا إرشاد لهم إلى الشكر، وتحذير من المعاصي ثم شرع سبحانه في تفصيل مقدمات هلاك آل هرعون الذي وعد موسى قومه به فقال وعرتي وجلالى لقد أحدا أى أصبنا آل هرعون بالفحط في البادية، ونقص ثمرات الشجر والبرق في العدائى فعلى بهم ذلك لعلمهم بتعظون فيرجعون إلى ربهم. ثم بيّن عدم تذكرهم وعدم استماعهم بالتسبيه فقال فكانوا إذا جاءتهم الحسبة أى ما يستحسنونه من رجاء وصحة قلوب، عرورا هذه النعم لنا وحدي لا يستحقها غيرنا لعلو مقامنا، وإن يصيبهم ما يسوهم كالضيق والمرص يسبون سببه لموسى وقومه. ويقولون ما أصابنا ذلك إلا بشؤمهم

فرد سبحانه قولهم الباطل فقال ألا إنما شؤمهم من عند الله اقتضته حكمته تعالى جزاء كفرهم، لا بسبب موسى. ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة تصرفه تعالى في معاملة خلقه حسب أعمالهم. انظر قول أمثالهم وردة تعالى عليهم في آيتي (١٨، ١٩) من سورة يس صفحة ٥٨٠ وقال أكثرهم لأن بعضا منهم آمن وأعلن إيمانه كالسحرة المتقدم ذكرهم، وبعضهم أحصى إيمانه كما سيأتى في الآية (٢٨) من سورة عاقر صفحة ٦٢١.

وقال هرعون ومنؤه بعد رؤية المعجزات والجذب إليك يا موسى إن حننا بكل نوع من أنواع المعجزات التي ترعمها لأجل أن تصرفنا بها بعدائك العفى عن دينا وعن استمجاد بني إسرائيل فما نحن لك بمصدقين عند ذلك أنزل الله عليهم المصائب الخمس الآتى ذكرها حال كونها أدلة واصغات على صدق موسى في دعوته وفيما نوعدهم به من الهلاك، فكانت كلما جاءت مصيبة منها لجئوا لموسى ليدعو ربه ليكشفها ليؤمنوا، فيدعو موسى فتكشف فلا يؤمنون، كرروا ذلك خمساً، وقد كانت كل واحدة تكفى لزعجرهم لو كانوا يعقلون وستأتى استماعتهم بموسى في الآية (١٢٢) في هذه الصفحة. وفصل سبحانه هذه المصائب في قوله:

فأرسلنا، أى فأرسلنا عليهم المطر ثمانية أيام بلياليها، فأهلك رعيهم وثمرهم، وأنزل الجراد فملا الأفق وأكل كل أحضر وبابس، ثم أرسل عليهم القمل يهش أجسامهم ولا يستطيعون كفه لكثرة، ثم الصماد فملأت المياه والبيوت ومواضع نومهم، ثم الدم فملا المياه حتى عجزوا عن الشرب وبعد هذه الآيات الواضحات استكبروا عن الإيمان وكانوا قوما راسخين في الإحرام، وبين سبحانه استماعتهم بقوله ولما وقع عليهم العذاب المتقدم ذكره واحدا بعد الآخر قالوا عقب كل واحد: يا موسى ادع لنا ربك متوسلا بعهدك عندك، ونعاهدك لأن كشفت عنا العذاب لصدقك ونرسل معك بني إسرائيل كما طلبت

فَلَمَّا كَثُفَ عَنْهُمْ الرِّيحَ يَكُنْ أَجَلَ هُمْ يَلْعَوْنَ إِذَا هُمْ
يَسْكُونُونَ ﴿١٢٥﴾ فَاسْتَقَمَّ سَبِيلُهُمْ فَأَعْرَضَهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْ عَذَابٍ غَلِيظِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أُولَئِكَ
بَتَرُكَائِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ
بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا هَكَّاءُ يَضَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا بِمِرْشُونَ ﴿١٢٧﴾ وَجَنُودُ مَا دَنَى إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مَوْسَى
اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالُوا لَكُمْ قَوْمٌ
يَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرُ مَا هُمْ بِهِ وَسَيُطْلَى مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ أَهْبِ اللَّهُ أَمِيرُكُمْ إِلَهِهَا وَهُوَ صَنُوكَ عَلَى
الْعَلِيِّينَ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ نُخَيِّضُكُمْ مِنَ الْإِلَهِ فِرْعَوْنَ يُسْوَئُكُمْ

المصدرات : ﴿إلى أجل هم بالموء﴾ : أى
معنا عنهم العذاب إلى مدة بلعوا بهابيتها
بسرعة بفضضهم العهد. ﴿فأعرضهم في
اليم﴾ : هو البحر.

﴿وأورثنا القوم إلح﴾ : معنى هذه الجملة
لم يحصل إلا بعد مضي زمن طويل كما
سيأتى إلى نهاية الآية (١٧١) صفحة ٢٢٠.
٢٢١ ولكنه سبحانه عجل بذكر ثمرة هلاك
فرعون وبجاءة بنى إسرائيل ثم رجع ثانية
لتمصيل ما حصل بعد هلاكهم.

﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ : المشارق
والمغارب مراد بهما هنا جميع أرض الشام
كما سيأتى.

﴿وتمت كلمة ربك﴾ : تمام الشئ وصوله

إلى آخر حده و ﴿كلمة ربك﴾ هى وعده لى إسرائيل بإهلاك عدوهم. ﴿دمربا﴾ أهكنا

﴿بميرشون﴾ أى يبنون من العرائش للجنات كما تقدم فى الآية (١٤١) صفحة ١٨٦.
﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلها﴾ القائل هذا المنكر جهلهم أما هارون وأحبارهم فحماهم
الله تعالى منه.

﴿مثير ما هم فيه﴾ من التثيير وهو الإهلاك والتدمير. فمثير أى مهلك ومحرب نظر
لآية (٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥.

﴿أبيكم﴾ أطلب لكم كما فى الآية (٤٧) من سورة التوبة صفحة ٢٤٩.

(٢) عافلين

(٣) فأعرضهم

(١) بالموء

(٥) ومغاربها

(٤) مشارق

(٧) إسرائيل

(٦) بتركها

(٩) إسرائيل

(٨) وجاورها

(١١) آلهة

(١٠) يا موسى

(١٢) العالمين.

(١٢) وباطل

(١٥) آل

(١٤) أبيكم

﴿يسومونكم﴾ أصل معنى ساء طلب، أي يطلبون لكم سوء العذاب، والمراد يعذبونكم.

المعنى : . فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة إلى أجل هم بالفؤاد أي إلى زمن محدد بلعوا نهايته أسرعوا بكث العهد في كل مرة، والمراد لا يصبرون على الوفاء بالعهد إلا زمنا قليلا حتى يسرع إليهم العذر كما هي عادتهم. ولما كرروا خيانة العهد مرارا ولم تنفعهم العبر عاقبناهم العقاب الأكبر، فأغرقناهم في البحر بسبب استمرارهم على تكذيب آياتنا واستمرارهم على الغفلة عنها، وأورثنا أي أعطينا القوم الذين كان يستذلهم فرعون بما تقدم بيانه وهم بنو إسرائيل جميع الأرض التي باركنا فيها بالخصب والحير تحقيقا لوعدنا في الآية (٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٦، وهذه الأرض هي أرض الشام وفلسطين، وكانت تحت حكم فرعون في ذلك الوقت، ولم يصف القرآن أرضا بالبركة إلا هذه، انظر الآية الأولى من سورة الإسراء صفحة ٣٦٤ وأيتي (٧١، ٨١) من سورة الأنبياء صفحات ٤٢٧، ٤٢٨، ونمذت كلمة ربك أي تحققت تامة في كل وجه بالحير على بني إسرائيل بسبب صبرهم على إيذاء فرعون، ودمرنا كل ما صنع فرعون وقومه من العمارات والقصور، وما عرشه للجنات والأعنان، وكان هذا التحريب لأسباب منها المصائب الخمسة المتقدمة في الآية (١٣٢) صفحة ٢١٢، ومنها خروج بني إسرائيل فإنه عطل أعمالا كثيرة كانوا يسخروهم فيها، ومنها كثرة من غرق مع فرعون فتلّف ما كانوا يقومون بشئونه، إلى غير ذلك.

ثم بعدما فرغ سبحانه من قصة موسى مع فرعون شرع في قصته مع قومه فقال ﴿وجدونا بيني إسرائيل البحر﴾ إلخ، أي تجاوزوه بمايتقانا كأننا كنا معهم، فأتوا عقب خروجهم من البحر ودخلهم البر على قوم يلازمون عبادة أصنام اتحدوها ألهة؛ فبدل أن يستقيعوا ذلك وينكروه بعد أن رأوا مصير المشركين، دفع ببعضهم جهلهم وغفلتهم أن يقولوا يا موسى احمل لنا إلها نتقرب به إلى الله، وهذا يدل على أنهم ألما عبادة غير الله في العدة التي قصوها في مصر، ولم يفهموا التوحيد الذي جاء به موسى كما فهمه بسرعة السحرة المصريون المتقدم ذكرهم في الآية (١٢٠) صفحة ٢١٠، وكما فهمه المصري الذي كتم إيمانه كما في الآية (٢٨) من سورة عاقر صفحة ٦٢١، فقال موسى : إنكم قوم تجهلون كل شيء، لأنكم جهلتم الصروري وهو ما يليق به تعالى الذي لا يصح لمأقل أن يجهله، لأن هؤلاء القوم الذين يعبدون أصناما مقصى على ما هم فيه بالهلاك والتحريب بسبب ظهور التوحيد الحق في هذه البلاد، وكل ما يعملونه من الأصنام وعبادة غير الله باطل ورائل، ثم تعجب موسى منكرا قولهم فقال: أغير الله، أي لا يصح أن أطلب لكم إلها غير الله وهو الذي فصلكم على العالمين في زمانكم بما جدد فيكم من التوحيد الذي جاء به إبراهيم وبقيّة أهل زمانكم مشركون عبدة أصنام انظر الآية (٢٢) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨ ثم وجه سبحانه

سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ نِسَاءَهُمْ وَيَتَحَيَّوْنَ نِسَاءَهُمْ
فِي ذِكْرِكُمْ ثَلَاثًا مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ① • وَوَعَدَ مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمَهَا بِعَشْرِ قَمَرٍ مِائَتٍ رِبْعَةٍ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْبَحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ② وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِإِسْحَاقَ وَكَتَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ
لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
فَرَأَوْهُ تَرَينِي فَلَمَّا جَاءَ رَبُّهُ لِيُحْلِلَ حَمَلَهُ دَسَّاهُ
وَوَرَّ مُوسَى صَبَقًا فَمِمَّا أَفَاقَ قَالَ سَخِرْتُ لَكَ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ ③ قَالَ يَسُوءُنِي إِلَى أَنْصَبَيْتَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِغُلْبَتِي هَذِهِ مَاءُ آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنْ
الشَّاكِرِينَ ④ وَكَتَبْتَ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

الخطاب لهؤلاء القمصة غلاظ القلوب لعلمهم
يشكرون نعمه فيستقيمون فقال: وإذا
اتجهناكم من ذل قوم فرعون حال كونهم
يذيقونكم....

المفردات ١: «سوء العذاب»: أسوأ
العذاب.

«لميعاتنا»: الميعات هو الوقت الذي
يحدد لعمل من الأعمال كمواقيت الحج،
واللام بمعنى عند، كما في قوله تعالى «أقم
الصلاة لدلوك الشمس» الآية (٧٨) من سورة
الإسراء صفحة ٣٧٥.

«دكاه»: ذلك الضغط القوي الشديد
الذي يمسوى الشيء المدكوك بالأرض، انظر
الآية (٩٨) من سورة الكهف صفحة ٣٩٤:

والمراد به هنا الشيء المدكوك وهو المراد في قراءة دكاه. «وخر موسى»: الغرور السقوط
من علو إلى أسفل كما في الآية (١٠٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٩. «صمعا»: صيغة
مبالغة من صمق الشخص بوزن نصب إذا مات من صاعقة أو أغص عليه، والمراد هنا الثاني
انظر صمق في الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ ومعاني الصاعقة في الآية (١٣) من
سورة فصلت صفحة ٦٣١. «أصطفيتك على الناس»: اخترتك مفضلا لك على الناس.
«رسالاتي»: تقدم بيانها في الآية (٦٢) من هذه السورة صفحة ٢٠٢. «وكتبنا له»: أي أمرنا
الملائكة بالكتابة انظر الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠ والآية (٨٠) من سورة الزخرف
صفحة ٦٥٥. «في الألواح»: جمع لوح، ولم يعلم على وجه القطع عددها، ولا حقيقتها، ولا
من كتبها، ولا هل كان فيها كل التوراة أو بعضها، وبقيتها نزلت تباعا بعد ذلك، والذي يجب
الإيمان به هو أنه كان فيها شيء من شرع الله الذي في التوراة الصحيحة. «من كل شيء»:
المراد بهذا التعبير هنا التفضيم لا التعميم الحقيقي يقول العرب دخلت السوق فاشتريت كل

(١) وواعدا	(٢) ثلاثين	(٣) وأتممناها	(٤) ميعات	(٥) هارون
(٦) لميعاتنا	(٧) ثلاثين	(٨) سبعمائة	(٩) يا موسى	(١٠) برسالاتي
(١٢) ويكلامي	(١٣) آتيتك	(١٤) الشاكرين		

شيء يريد أشياء كثيرة ومن ذلك هي القرآن ما هي الآية (٢٣) من سورة النمل صفحة ٤٩٧ والآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠.

المعنى - يوقعون بكم أسوأ العذاب، وبين بعضه بقوله يدبعون أبناءكم إلخ ما تقدم هي الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠ وبعد ما فرغ سبحانه من قصة موسى وقومه شرع في بيان بدء وحى الشريعة إلى موسى، وقد كان بدء وحى الرسالة في الطور عندما رأى النار وهو راجع من مدين كما هي الآيات (٩ - ١٧) من سورة طه صفحات ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩ وآيات (٢٩ - ٣٥) من سورة القصص صفحات ٥١٠، ٥١١، ٥١٢. فقال سبحانه ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ إلخ: أي واعدنا موسى بإعطائه الألواح بعد ثلاثين ليلة يقصدها بعيدا عن قومه، فلما قضاها ردها عشر ليل لحكمة يعلمها. قال ابن عباس كانت فترة السامرة لبس إسرائيل في هذه العشرة التي زدها سبحانه، انظر فترة السامرة في الآية (٨٥) من سورة طه صفحة ٤١٢، والمراد بالليل ما يشمل النهار وحده بالذكر لأن الليلة تسبق نهارها وهائدة قوله فتم الميقات أربعين دفع توهم أن تمام الثلاثين كان بالمشتر كما يقال أتممت المشرة دراهم بدرهمين تريد أنه لولا الدرهمان لم تصر عشرة وقال موسى قبل دهايه للموعد لأحييه هارون جعلتك نائباً عني في مراعاة شئون قومي، فأصلح من أمورهم ما يتطلب إصلاحاً، ولا تطع من دعائك لإفساد. ولما جاء موسى عند الموعد المحدد وكلمه ربه بلا واسطة من وراء حجاب كما هي الآية (٥١) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ تكليماً ليس كنتليماً فلا يعلم كيف كان. ولما رأى موسى أنه سبحانه كلمه مباشرة طمع في أن يراه، فقال: رب أرني ذاتك حتى أنظر إليك فأرد د شرفاً فقال سبحانه: لن تراني يا موسى أبداً. لأن العين العانية لا ترى الباقي. وهذا لا ينهي أنه يراه في الآخرة، وأراد سبحانه أن يطمعه بمعجزه عنها فقال: انظر إلى الجبل لدى هو أقوى منك فإن استقر مكانه عندما أنحلي له فسوف تراني. فلما تحلى ربه للجبل نجلىا يبين به سبحانه لا يعرف حقيقته حمله مدكوكا مستويا بالأرض. عند ذلك سقط موسى على وجهه معشياً عليه فلما أفاق قال سبحانه: أي أنزهك سريها عظيمها عن صفات لمخلوقات ثبت إليك من أن أسألك ما ليس لي به علم، وأنا أول المؤمنين بعظمتك. قال الله يا موسى إني هضمتك على الناس باختيارك لتلقى وتبليغ رسالاتي وبتكليمي لك مباشرة، فحد ما عطيتك من السوة و لشرائع، واشكر على ذلك ولا تتطلع لما ليس هي قدرتك وأمرها الملائكة بأن تكتب له في الألواح كل شيء يحتاجون إليه في دينهم وديارهم ولم يثبت من طريق مقطوع بصحته شيء يبين لنا حقيقة هذه الألواح ولا عددها ولا ما كتب فيها، هل كل التوراة أو

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَتَقْلَعُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ
بِالْعَفْوَ وَأَحْسِنَ سَبْرًا يٰ ذُرِّيَّتُكَ دَارُ الْمَقِيبِ ﴿١١٥﴾
سَلِّمْ عَنْ عَائِلَتِكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ وَخَيْرُ
الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرَّشْدِ لَا يَتَّبِعُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيَاثِ
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْتُنُهُمْ
هَلْ يَجْرُونَ إِلَّا أَمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ وَالْحَمْدُ قَوْمٌ مُّوسَى مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَمَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ
لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا الْمُنْجُوهُ وَكَانُوا غَافِلِينَ ﴿١١٨﴾
وَلَمَّا سَقَطَ مِنْ أَيْدِيهِمْ دَرَارُ الْأَثَمِ قَدْ صَلَّوْا قَوْلًا لِّى لَمْ
يَرَحْمَارَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١٩﴾

معظمها والباقي برل بعد ذلك ولا من الذى
كتبها. ذكر المنار رايا لاسن جرير فاعطاه

المفردات : «مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا» بدل
أو عطف بيان من كل شيء باعتبار محله وهو
النصب. «خُذَهَا بِقُوَّةٍ» : بجهد وعزيمة.
«بِأَحْسَنِهَا» : أى بأفضل ما فيها كالصبر
بالنسبة للة صصاص وإبراء المعصية بدل
استنظاره. انظر آيتى (١٨، ٥٥) من سورة الزمر
صفحتى ٦٠٨، ٦١٤.

«دار الماسقين» : كماد وثمود وقوم لوط
والعمالقة والجبابة بالشام.

«الرشد والهدى» : الهدى والصلال كما

تقدم فى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحتى ٥٢، ٥٤.

«هل يجررون» : هل حرف استمهام يفيد الإنكار والمعنى «حبطت» بطلت «قوم
موسى». المراد بعض قوم موسى وهم السامرى ومن اتبعه كما سيأتى فى الآية (٨٧) من
سورة طه صفحة ٤١٤.

«حليهم» : جمع حلى بفتح هـ يكون وهو ما يتزين به من ذهب أو قصة من حلى المصريين
«جسدًا» : أى مجرد جسد لا روح فيه. «خوار» : صوت النقر خاصة. «سَقَطَ مِنْ أَيْدِيهِمْ»
كناية عن الحيرة والدم، ولعل أصل الكناية أن المتحير المأدم يصرب يداً على يد كما هى الآية
(٤٢) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦، فالأصل ولما سقطت بعض أيديهم على النعص الآخر
فحذف الماعل وقام الجار والمحروون مقامه.

(١) سَأْرِيكُمْ	(٢) الْفَلَسْقِينَ	(٣) آيَاتِي
(٤) بِأَيَاتِنَا	(٥) غَافِلِينَ	(٦) بِأَيَاتِنَا
(٧) أَعْمَالِهِمْ	(٨) ظَالِمِينَ	(٩) الْعَاسِرِينَ

المعنى . بعد ما قال سبحانه كتبنا له في الألواح كل شيء، أي ما يحتاجون إليه في حياتهم وأحراهم، بين سبحانه ذلك بأنه مواعظ ترقق القلوب وتوقظ فيها الخشية منه تعالى والرغبة في ثوابه، وأنه تمصيل لكل ما أمروا به أو نهوا عنه أو أحل لهم وقال لموسى حد هذه الأحكام بعزم وحد، انظر الآية (٦٢) من سورة البقرة صفحة ١٢، وأمر قومك بعملوا بأحسن ما فيها وأحصيه سأريكم يا من نعوذ من التيه دار الخارجين على أوامر ربهم وما صارت إليه من الحراب لتعتبروا فلا تمسقوا وتحرحوا عن أمر ربكم مثلهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم من الهلاك، ويوضح المراد هنا الآية (٤٢) من سورة الروم صفحة ٥٢٦، والآية (١٠) من سورة محمد صفحة ٦٧٢ ثم حذرهم سبحانه من التكبر المؤدى إلى إهمال التفكير في آيات الله تعالى ودلائل وجوده ووحدانيته، فقال: سأصرف عن فهم آياتي القائمة في الآفاق وفي الأرض، سأصرف عن فهمها الذين يتكبرون على الخلق، ويرفضون قبول الصواب معتزّين بعير الحق وهو لباطل والصلال «عمادا بعد الحق إلا الصلال» الآية (٢٢) من سورة يونس صفحة ٢٧١، والآية (٥٢) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧، وإن يروا كل أية من آياتنا الدالة على صدق رسالنا لا يؤمنوا بها لشدة عبادهم وتحكم الشهوات في أنفسهم، وإن يروا طريق الهدى لا يسلكوه وإن يروا طريق الصلال يختاروه طريقا كل ذلك جريماهم به بسبب أنهم ثبتوا وصمموا على تكذيب آياتنا المبصرة والمعجزة، وبسبب استمرارهم على العقلة ربما طويلا حتى طبع على قلوبهم فلا يتنبهون للأدلة، انظر آيتي (٦، ٧) من سورة البقرة صفحة ٤ و لذين كذبوا بآياتنا المبصرة على رسالنا للهداية، وكذبوا بقاء ربهم يوم القيامة أي بالبعث والجزاء، بطلت كل أعمالهم التي عملوها في الدنيا وكانت مظنة بفهم كصلة الرحم وإغاثة الملهوف، لأن شرط الانتماع بها في الآخرة الإيمان، فلا يجزؤون إلا أجزاء عملهم وهو شر الجزاء، واتعد قوم موسى من بعد دهايه لميقات ربهم من حبيبهم الذي أحذوه من المصريين صورة عجل بقر صمعه السامري بحيث يخرج منه صوت كصوت البقر، وجعلوه إلها يعبّدونه تقريبا به إلى الله، انظر آيتي (٨٧، ٨٨) من سورة طه صفحة ٤١٤، ثم سمع عقولهم فقال ألم يروا حين اتحدوه إلها أنه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم إلى طريق الصواب، فهم اتحدوه إلها وكذبوا ظالمين لأنفسهم وللحق بهذا الحرم الفطيع ولما ظهر لهم خطؤهم وندموا وعلموا أنهم قد ضلوا، رجعوا إلى الله فائلين ثم لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويعذر لما خطيئتنا لنكون من الخاسرين لحبلى الدنيا والآخرة.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ قَالُوا مَا هَٰذَا بَشَرًا
 خَلَقْتُمُونِي مِن تَحْتِ الْأَرْضِ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ وَالَّذِي الْأَلْوَابِ
 وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ إِنَّهُمُ الْفَرَمِ
 اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَكُن لِّي الْآدَاءَ
 وَلَا تَكُن لِّي مَعَ الْفَرَمِ الطَّيِّبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْصِرْ
 لِي الْأَيْمِ وَأَدْخِلْنِي رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَمَلِ سَبِيلًا هُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
 وَجَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١١٧﴾
 وَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ وَأَسْرَأُوا
 رَبِّكَ مِن بَعْدِ الْعَمَلِ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن
 مُّوسَىٰ الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَيُ نَسِيتُ هَدَىٰ وَرَحْمَةً
 لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١٩﴾ وَأَخَذَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ

المفردات : «أسفا» : الأسف الحزن،
 وأسف بورن كتف شديد الأسف، وعمله أسف
 كتعب.

«عجلتم أمر ريكهم» : يقال عجله بفتح ثم
 كسر إذا سبقه.

«سكت عن موسي الغضب» : أصل
 السكوت ترك الكلام، والمراد هنا ذهب عنه
 الغضب.

«واختار موسي قومه» : الأصل اختار من
 قومه فحذف حرف الجر للعلم به.

المننى : . ولما رجع موسى من الطور مكان

المناجاة إلى قومه بني إسرائيل حال كونه غصبان على أخيه هارون لضعفه في سياسة قومه
 حزينا على ما وقع منهم، قال بش خلافة خلافتكم لي من بعد ذهابي عنكم، هبدا أن
 تحلموني بالمحافظة على تلاميذي خلفتموني بضعها، هل استعجلتم أمرا من أمور ريكهم وهو
 إعطائي التوراة، فلما لم أرجع إليكم بسرعة ظننتم موتى ففترتم كما تعبر الأمم بعد أنبيائها.

ثم طرح موسى الألواح من يده ليمسك بشعر رأس أخيه هارون ولحيته كما تعيد الآية (٩٤)
 من سورة طه صفحات ٤١٤، ٤١٥، يجره إليه عتابا له وتألما من لينة مع طيش بمصهم، وقال
 له ما معك إذ رأيتم ضلوا ألا تتبينوني؟ انظر الآية (٩٢) من سورة طه صفحة ٤١٤، قال هارون
 لموسى: يا ابن أمي لا تعجل بتميمي فإني لم أفرط في نصحتهم، انظر الآية (٩٠) من سورة
 طه صفحة ٤١٤، ولكنهم استضعفوني فلم يسمعوا بصحي ولم يعتزلوا أمري بل قاربوا أن

يقتلوني لما نهيتهم، فلا تشمت بي أعدائي الذين عبدوا العجل فإنهم يتمنون إهانتى. ولا تجعلنى معهم وقريبا لهم فى غضبك مع أنهم هم وحدهم الظالمون. وكان هارون شقيق موسى، وإنما ناداه بالأم فقط ليعمله على العطف بتذكره لها وما قاسته فى المحافظة عليه عند ولادته من الشدائد والتمرض لفتك فرعون بها، انظر الآيات من (٧ . ١٣) من سورة القصص صفحات ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨.

فلما تبين لموسى عذر أخيه قال يا رب اعمل لى ما أغلظت من قول وعمل مع أخى. واعمر لأخى ما عساه قصير فيه من منع القوم من الكفر لما هددوه بالقتل، واشمئنا برحمتك التى وسعت كل شيء لأنك أنت أرحم الراحمين.

ولما فرغ سبحانه من حكاية ما حصل بين موسى وأخيه شرع فى بيان ما استعفه قومه من جزاء كفرهم فقال

إن الذين اتحدوا العجل إلها سيأثمهم عصب من ربهم. ومن أثار هذا العصب أن لا تقبل توبة أحدهم إلا بقتل نفسه كما فى الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، ودلة فى الحياة الدنيا تقدم بيانها فى الآية (٦١) من سورة البقرة صفحة ١٢، منها للسامرى خصوصا ما فى الآية (٩٧) من سورة طه صفحة ٤١٥ وكهذا الجراء الرادع نجري كل من يفترى الكذب على الله بجملة يقبل وساطة آلهة تعبد من دونه. ومن هذا وما سيأتى بعده مباشرة وفى الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨ يظهر أن قوم موسى كانوا ثلاثة أقسام:

قسم كمر وصمم كالسامرى وشيعته، وقسم تنيه وتاب. وقسم لم يشترك فى الحرم وأبكره وهم من فى الآية (١٥٩) الآتية صفحة ٢١٨ وفتح سبحانه باب التوبة لكل مدب مهما كان ذنبه حتى يقطع على الشيطان أمه. فقال والذين عملوا الحسنىات ثم تابوا من بعدها وآمنوا أى اخلصوا فيه وثبتوا عليه يقبلهم سبحانه لأن ربك أيها النبى كثير المغفرة واسع الرحمة، فلا يرفض توبة تائب. ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه عاد إلى الألواح فأحدها، وهما نسخ وكتب فيها هدى وإرشاد وسبب رحمة للذين يخافون غضب ربهم. ولما أراد موسى أن تكون التوبة من قومه عامة اختار من قومه سبعين رجلا....

سَمِعِينَ رَجُلًا وَمِيقَاتًا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَفْهَكُنَّهْم مِّن قَبْلِ وَلَئِنِّي أَنتَبِكُمْ بِمَا عَمِلَ السَّعَاءُ يَا إِنْ مِّنْ إِلَّا قَسْدٌ تُبْدِلُ بِهِمَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيًّا فَاغْفِرْكَ وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ۝ وَاصْكُتُوا فِي عِلِّيِّهِ الَّذِينَ هَبَّ فِيهِ الْأَبْرَةُ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ قَالِ عَالِيْنَ أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَمَا كُنتُمْ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْذُونَ الرُّكُودَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَالِيْنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٧﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي السَّحَابِ وَإِلَيْهِ يُجْعَلُونَ يَوْمَهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْحَبِيبَ وَيُجِزُّهُمْ عَلَيْهِمْ أَنْطَبَتْ وَيَقْضُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

المعمرات : . ﴿لميقاتنا﴾ : الميقات هنا تعرض غير ما تقدم هي الآية (١٤٦) من هذه السورة صفحة ٢١٤. هالأهل كان لتلقى الأنواح وهذا للاعتدال والنوبة من اتحاد العمل. وقد تقدم معنى الميقات هناك.

﴿الرجمة﴾ : الصاعقة كما تقدم هي الآية (٩١) من هذه السورة صفحة ٢٠٠
﴿فتتلك﴾ : أي ابتلاؤك واختبارك.

﴿هدنا إليك﴾ : رجسبنا وتبنا
﴿فساكنبها﴾ : الصمير يعود على الرحمة بمعنى آخر لأن الأولى هي الرحمة العامة

كما سيأتي وما مرجع الصمير هي الرحمة الخاصة وهذا يسمى في لغة العرب ﴿استعدم﴾ وهو ذكر شيء بمعنى وإعادة الصمير عليه بمعنى آخر ومنه أنزلت السماء ماء فروعته الإبل. أي فروعته ما نبت على الأرض لما نزل عليها الماء.

﴿لأمي﴾ : أصله "تمسوب لأمه وأريد به من لا يقرب ولا يكتب لأنه كيوم ولدته أمه
﴿إصْرهم﴾ : التكاليف الشاقة كما تقدم هي آخر سورة البقرة.

﴿لأغلال﴾ : جمع غل بصم أوله وهو في الأصل الحديد الذي يجمع يده إلى عقه. والمراد به تصوير ما كانوا فيه من المشقة بصورة حمية.

المعنى : واختار موسى سبعة رجال من حيار قومه. فلما وصلوا جبل الطور علتهم عظمة الطبع كما هي عادتهم التي أيرربها الآيات من (٤٠ إلى ١٤٦) من سورة البقرة صفحات

(١) لميقات	(٢) وإبلى	(٣) الماعزين	(٤) الركاء
(٥) بياتنا	(٦) القوراة	(٧) وبهائم	(٨) الطيبات
(٩) لحيات	(١٠) والأغلال		

من ٩ إلى ٢٧، فطلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة، انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة
صفحة ١١، فأخذهم الرجعة فماتوا جميعاً ثم أحياهم كما هي الآية (٥٦) من سورة البقرة
صفحة ١١ ويكون الترتيب بـ (ثُمَّ) هي الآية (١٥٣) من سورة النساء صفحة ١٢٩ ترتيب منزلة
الحرية لا ترتيب زمانها، ولا شك أن عبادة العجل أمطع من سؤال الرؤية، ويؤيد ذلك آيتنا
(٥٥، ٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، ويكون الجزء الذي وقع على بني إسرائيل متماوتا
بعضه بالرحمة وهو ما حصل للسبعين، وبعضه بقتل الشخص نفسه وهو لمن ساءروا
السامري في عبادة العجل ثم أرادوا التوبة وبعضهم لم يقتلوا أنفسهم ولم تأخذهم الرجعة ولم
يتوبوا وهم السامري وأشياعه وقال موسى يارب لو شئت إلخ، يعنى يارب لو أردت لأهلكهم
قبل ذلك بإعراقهم في البحر وتركهم لمرعون يقتلهم، ولو شئت أهلكتى حين طلبت منك
الرؤية، أهلكنا الآن بما فعل السفهاء منا من سوء الأدب والجرأة على الله، ما هذا إلا
ابتلاؤك وامتحانك سبحانه الذي أحترق به انظر الآية (٨٥) من سورة طه صفحة ٤١٢،
تصل بسببه من تشاء، أى ما تلك المعلة التي كانت سببا لأخذ الرجعة لهم إلا امتحاناً منك
جعلته سبباً لظهور استعداد بني إسرائيل وما انطوت عليه سرائر كل فرد منهم من صلال
وهداية، وما استحقوا من ثواب أو عقاب، هميرت بها المؤمنين الثابتين كالدين سيأتى ذكرهم
هي الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨ وغيرهم ممن كفروا وتابوا، وغيرهما ممن لم
يتب كالسامري ومن معه، وإذا كان الأمر كذلك فاعمر لنا وارحمنا لأنه لا مولى لنا سواه،
وانت خير العاهرين حلماً وكرماً فلا يعظم على منغصرتك نسب، واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة أى حياة طيبة وتوفيقاً للطاعة، واكتب لنا في الآخرة أيضاً حسنة هي الجنة لأننا تبنا
ورجعنا إليك، فما هنا كما هي الآية (٢٠١) من سورة البقرة صفحة ٤٠ قال سبحانه، عذابى
أصيب به من أشاء لحكمة تقتضى رجاء أو دفع ضرر عن الناس، وهو قليل ما يصيب بالنسبة
لسمعة رحمتى العامة لكل المخلوقات حتى الكافر منهم، انظر الآية (٦١) من سورة النحل
صفحة ٢٥٢ والآية (٤٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨، أما رحمتى الخاصة وهي السعادة في
الدنيا والآخرة فسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصى والتمرد على رسلهم، ويؤتون ما طلب

منهم من الزكاة، والذين هم بآياتنا المعجزة والمنزلة يؤمنون إيماناً مستمراً من غير إخلال بشيء منها، ولا يصرقون بين نبي ونبي، الذين يتبعون الرسول الذي أرسله الله للهداية، النبي العنبي للمكلفين ما شرعه الله، الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب في حياته، وتلك معجزة كبرى له، وليس هذا إلا خاتم الأنبياء الأعظم، عليه ألف صلاة وألف سلام. هذا الرسول الكريم يجده أهل الكتاب مكتوباً عندهم بصفاته التي لا تنطبق إلا عليه كما تقدم في الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨، ومن صفاته عندهم في التوراة والإنجيل الصحيحين أنه يأمر بكل خير وينهى عن كل شر تنكره العقول السليمة، ويحل لهم الطيبات كلها حتى ما كان محرماً عليهم في التوراة، انظر الآية (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٣٠، والآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، ويحرم عليهم الخبائث كالهيئة والدم ولحم الغنير وكل ما في الآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥، والآية (١٦١) من سورة النساء صفحة ١٣٠، ويصنع عنهم إصرهم أي يحفف عنهم التكاليف الشاقة كعدم قبول توبة مرتكب الكبيرة إلا بقتل نفسه كما في الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، وعدم طهارة الثوب إلا بقطع موضع النجاسة، وعدم قبول الدية في القتل العمد والخطأ بل لابد من القصاص، وتحريم صيد السمك يوم السبت كما سيأتي في الآية (١٦٣) من هذه السورة صفحة ٢١٩ والآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢، وهذا الأمر كان يصايقهم كما يصايق الغل رقبة الأسير، فالمراد تصوير حال بني إسرائيل فيما مضى بحال الشخص الذي يحمل أثقالاً توضع ظهره، وهو مع ذلك موثق بالسلاسل والأغلال في عنقه ويديه ورجليه، متمكنة منه كما يتمكن المستعلى من المستعلى عليه

المفردات - (وعرروه). أصل العزر المنع، والمراد منعوه وحموه من عدوه بحماس حتى لا يناله بسوء، انظر الآية (٩) من سورة المتح صفحة ٦٧٩

﴿وكلماته﴾: المراد بها كل الكتب المفردة كما في الآية (١٢٦) من سورة البقرة صفحة ٢٦.

﴿يهدون بالحق﴾: أي يرشدون الناس حال كونهم متمسكين بالحق والذي يرشد وهو بهدء الحال لا يرشد إلا إلى الصواب.

﴿وبه يعدلون﴾: يعدلون في أحكامهم بسبب وقوفهم عنده. ﴿وقطعناهم﴾: أي فرقناهم فرقاً.

﴿أسباطا﴾ : قبيلة كما تقدم في آيتي (١٣٦، ١٤٠) من سورة البقرة صمحتي ٢٦، ٢٧ ﴿استسقاء قومه﴾ : أى طلبوا منه الشرب مطلب من ربه كما تقدم في الآية (٦٠) من سورة البقرة صمحة ١٢. ﴿انجست﴾ انصهرت كما في الآية السابقة صمحة ١٢ ﴿شربهم﴾

مكان شربهم. ﴿المن والسلوى﴾. تقدم في الآية (٥٧) من سورة البقرة صمحة ١١.

المعنى : . هالدين آمنوا بهذا الرسول عبد مجيئه وتقاتلوا في حمايته من كل من يعاديه. ونصروه إذا حارب، واتبعوا المور الذي أنزل معه وهو القرآن؛ أولئك الدين يفعلون كل ذلك هم وحدهم المائزون برضوان الله وجنته. قل

أيها النبي : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا لا فرق بين عري وعجمي وأبيض وأسود. لله الذي وحده ملك السموات والأرض يتصرف فيهما ويدير أمرهما حسب حكمته. لا إله إلا هو يحيى ويميت لا غير، فعاقبوه، وآمنوا به وبرسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله، أى بما يدعوكم إليه وبكل كتبه المنزلة. واتبعوه في كل ما يعمل ويقول لترحى لكم الهداية إلى الخير ثم بعد ذلك بين سبحانه حال بعض أتباع موسى وأتباعهم ليصموا كلهم محطتين، فقال ومن قومه جماعة عظيمة يهدون الناس بالحق الذي جاء به نبينهم من عند ربه ويعملون إذا حكموا بسبب ملاحظة هذا الحق وهذا المدح يدل على أنهم لم يقوموا فيما وقع فيه غيرهم من أكل الربا والسحت أى الرشوة وكل محرم، وهرقنا قوم موسى اثنتي عشرة عرقة تمتاز كل عرقة بنظام خاص حتى في مكان شربهم كما سيأتى. فضوله ﴿أمما﴾ بيان لـ ﴿أسباطا﴾ قبله، وأوحيدا إلى موسى إذ استسقاء قومه أن اصرب أى قلنا له اصرب بمصاك الحجر فضررب فاصجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط. قد علم كل سبط مكان شربه. وقد تقدم في الآية (٦٠) من سورة البقرة صمحة ١٢ بيان ذلك.

قَالَهُنَّ كَاتِبُوا بِهِ ۖ وَغَرُّوهٖ وَصَرُّوهٖ وَاتَّبِعُوا وَطَرَ الَّذِي
أُتِيَ مَعَهُ ۚ وَاتَّبِعُوا هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بَنَاتِ النَّاسِ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِحَبِطِ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَتَابِعُوا بِآيَةِ
قَدْسِهِ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَقْبَلُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَاحِيَةً
أَمَّا وَارْتَبِطَ إِلَهُ مُوسَىٰ إِذْ أَسْقَاهُ قَوْمَهُ ۖ إِبْرَاصُ
بِمَصَاكِ الْحَجَرِ ۚ فَاصْبَحَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
ظَلِمَ كُلُّ أَنَاثٍ مَّشْرِبَهُمْ ۚ وَظَلَمْنَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ ۚ وَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ النَّارَ وَالْقُلُوبَ حَكُومًا ۖ فَتَبَيَّنَ مَا رَزَقَكُمُ
وَمَا ظَلَمْتُمْ ۚ وَنَبِّئْ كَاتِبَاتِنَا أَنفُسَهُنَّ يَهْدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ نِيلَ

لَهُمْ أَشْكُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ حُدُودًا نَعْرِفَ لَكُمْ حَيْثُ مِنْكُمْ
مَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ قَدْ أَفْلَحَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ الْحَقِّ يَقُولُ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مِنْ أَسْمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١١﴾ وَتَعْلَمُهُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاصِرَةً الْبَحْرَ إِذْ يَمْشُونَ فِي النَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَابُهُمْ
يَوْمَ سَيُجِيبُ شَرًّا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ حَكْدَ لَكَ
نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُنثَىٰ تَبِعْتُمْ
لِمَ تَحْكُمُونَ قَوْمًا لَّهُمْ هَلِكَةٌ أَوْ تَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا أَتَعْلَمُونَ إِنَّكَ رَئِيسٌ قَدِ افْتَرَقْنَا قُلُوبَنَا
مَا نَحْكُمُوهَا إِلَّا فَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَتَّبَعْنَا أَتَّبَعْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنَىٰ وَأَخْلَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنَىٰ وَأَخْلَا

ومن نعمنا عليهم أيضا أننا ظللنا عليهم
الضمام حفظا لهم من حر التيه، وأنزلنا عليهم
المن والسلوى، انظر ذلك كله في الآية (٥٧)
من سورة البقرة صفحة ١١، وقلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا بكفرهم
بهذه النعم، ولكن ظلمهم قاصر عليهم ضرره
لا يتعداهم إلى غيره.

المفردات : : « هذه القرية » : هي
أريحاء.

« حطة » : أي استقامت لعطايانا.

« سجدا » : أي متواضعين.

« فبذل الذين ظلموا » : أي قالوا بدل
حطة حطة باليون.

« رجزا » أي عذابا. « القرية التي كانت حاصرة البحر » : عن ابن عباس أنها أيلة،
وكانت بين مدين والطور، مشرفة على شاطئ البحر. « إذ يمشون في السبب » أي حين
يتجاورون حدود الله بصيد السمك في يوم السبت وكان محرما عليهم ذلك. « حيثابهم » جمع
حوت، والمراد به السمك مطلقا كبيرا أو صغيرا. « يوم سبتهم » : قال الراغب أصل معنى
السبت القطع، تقول العرب سببت على الجلد يسبته بكسر الباء أو صمها سبتا أي قطعه،
وسمى اليوم الذي يقع بين الجمعة والأحد بالمصدر « السبت » لأن الله تعالى شرع لليهود
قطع العمل فيه والتفرغ للعبادة، وهذا الاسم مما اتخذ العرب من إسرائيل الذين اختلطوا بهم
في المدينة وما حولها. وقبل ذلك كان اسمه عند العرب (شيان) بكسر الشين، والمراد من يوم
« سبتهم » يوم قطع العمل للعبادة انظر الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢، والآية (٤٧)
من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (١٥٤) من سورة النساء صفحة ١٢٩. « شرعا » أي
ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل جمع شارع كركع وراكع وسجد وساجد. « ويوم لا
يسبتون » : أي يوم لا يقطعون العمل. « نبلوهم » أي نحتبرهم، والمراد تعاملهم معاملة

المتحزن الذي يريد أن يظهر للناس التمييز بين من حَكَّم عقله في نفسه وشهواتها وبين من جعل عقله عبداً لشهوات نفسه، وعلى ذلك يترتب الجزاء العادل قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليمنس الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ انظر آيتي (٢، ٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٠ و ﴿الذي خلق الموتى والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ الآية (٢) من سورة الملك صفحة ٧٥٤.

﴿أمة منهم﴾ : أي طائفة.

﴿معذرة إلى ربكم﴾ : أي عذرا نعتذر به إلى ربكم. ﴿بئس﴾ : من البأس وهو الشدة، أي شديد.

المعنى : . واذكر أيها النبي إذ قال ربك لئن لم يكن إسرائيلي أمكنوا قرية أريحا من بلاد الشام، وكلوا من خيراتها في أي جهة من نواحيها شئتكم لا يزاحمكم أحد، وقولوا عند دخول بابها كما هي الآية (٥٨) من سورة البقرة صفحة ١١ مَلَبُّنَا منك يارب هو إسقاط خطايانا، وادخلوا باب القرية خاشعين لله منكسي ربوسكم تواضعا له تعالى، إذا فعلتم ذلك نفخر لكم خطاياكم، ونزيد المحسنين ثوابا. فماذا كان من بني إسرائيل بعد هذه الأوامر والترغيب؟ كان منهم أنهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم كما يفعل المستهزئ، والمراد خالفوا مخالفة تامة، فأنزلنا عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد. قيل أن ما نزل بهم في هذه الحالة كان طاعونا شديدا فترك بهم. واسأل أيها النبي أيضا اليهود المماصرين لك تقريرا لهم بما فعل أبجداهم لأنهم ماضون على طريقتهم وتحذيرا لهم من أن يعمل بهم ما حل بأجدادهم إذا استمروا على ما هم عليه، اسألهم عن خبر القرية القريبة من البحر وما حل بأهلها حين تجاوزوا حدود الله بالصيد في يوم السبت الممنوع فيه العمل، حين كانت تأتيهم الحيتان فيه ظاهرة، وحين لا يكون في يوم السبت حيث يمكنهم العمل لا تأتيهم وكان الله سبحانه حرم العمل عليهم يوم السبت امتحانا لهم لعلمهم بتمرنون على الطاعة فيتغلبون على طباعهم الشرسة فتستقيم أحوالهم وأيضا لتمييز الخبيث من الطيب؛ وورد أن اليهود لما رأوا السمك يكثر يوم السبت المحرم عليهم الصيد فيه احتالوا على صيده برمي الشباك وراء السمك أو إقامة سدود بعيدا عن الشاطئ في داخل الماء، فعلوا ذلك يوم السبت والسمك كثير قريب من

الشاطئ، حتى إذا دخل الليل وأراد السمك الرجوع إلى داخل البحر منعه السدود أو الشياك، فيصيدونه يوم الأحد ظانين أنهم بذلك أطاعوا الله وقاؤوا ما صدنا يوم السبت ولما كانت هذه الحيل لا تحمي على الله عز وجل كان جزاؤهم ما ستعلمه. كهذا السلاء والامتناع العظيم يظهر السمك بكثرة يوم السبت نبئني ويمتنع هؤلاء اليهود بأشياء كثيرة بسبب فسقهم المستمر وحروجهم عن طاعة ربهم وكان اليهود في هذه القرية عدد هذا الامتناع على ثلاث ملوائف:

طائفة تعدت وعصت، وطائفة تقية نهتهم وحدرتهم سوء العاقبة ولم تكف عن النهي مهما أعرض عنها المحالسون، وطائفة صالحة أيضا نهت أول الأمر ولما يشتت سكتت لاعتقادها أنهم بلغوا من المجور حالة جعلتهم غير قابلين للنصيحة، وذكر القرآن أن الله عذب العاصين، ونجى العاصمين، وسكت عن الطائفة الثالثة، والجمهور على أنها نجت أيضا، لأن أسلوب كلامها يدل على أنها كانت مستقبحة لعمل المحالسين وأنها كانت مؤمنة بأن الله سبحانه سيهديهم، ولذلك قال عكرمة، لما سمع رجلاً يقول إنها غير ناجية كيف هذا؟ ونحن نرى أنهم أنكروا، وكرهوا ما عمله العاصون. فإذا قلتم إن الله سبحانه وتعالى لم يقل فتجيبناهم جديماً نقول إنه سبحانه لم يقل أيضا فأهلكنا هذه الطائفة، ولعله سبحانه إنما حص بالدكر الدين استمروا على النهي لأنهم أعلى درجة، حيث حملهم الخوف من الله تعالى على مداومة النهي عن المنكر ومن هذا تعلم أن كل قرية ظهر فيها منكر إن لم يقم بمصها بالنهي عنه عم جميعهم المذاب، وإن نهت طائفة منهم وحل العذاب نجت هي منه.

في ذلك كله قال سبحانه. وإذا قالت أمة منهم أي طائفة من أهل هذه القرية تناقش الطائفة التي قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لم تعظون قوما الله مهلكهم بإفنائهم كما أهدى عاداً وثمود، أو معذبهم عذاباً شديداً في الدنيا كما عذب آل فرعون بالقمح والمكدرات، أي لم تحاولوا هذا وهو لا ينفع فيهم، لأن الله حكم بإهلاكهم أو تعذيبهم. قال الباقون عن المنكر: إما فعلنا ذلك ليكون عذراً لنا نعمتر به إلى ربكم إذا سألنا يوم القيامة عن وقوع هذا المنكر في قريتنا. ورجاء في استغاثهم بالموعظة فيتقون الله، أي أننا لم نياس منهم كما يتستهم. فلما ترك العاصون ما ذكرهم به اتقواهم كأنهم نسوء، أحياناً الذين ظلموا بسبب تعدى الحدود بعذاب شديد وهو اليأس وهو الشقاء في المعيشة بسبب استمرارهم على الفسق وتعودهم الاستهانة بأوامر الله.

عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥٥﴾
 وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ آلَ لُوطٍ آيَةً مِنَ الْبَاقِيَةِ مِنَ
 بَشَرِهِمْ سِوَى الْعَذَابِ إِذْ يَبْعَثُ الرَّسُولُ الْعِقَابَ
 وَإِنَّهُ لَفُصُّوهُمُ رِجِيمٌ ﴿١٥٦﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا
 مِمَّنْ الصَّالِحِينَ وَبَنَيْنَا لَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَلُوكُهُمُ بِالْحَسَنَةِ
 وَأَتَيْنَاهُمُ لَعْنَةً بِرَحْمَتٍ ﴿١٥٧﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَاقِيهِمْ
 خَلَفٌ وَرَرُوا الْكِتَابَ يَافُكُونَ قَرَأَ مِنْ هَذَا الْأَدْنِ
 وَيَقُولُونَ سَخِرَ لَنَا وَإِذْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ بَشَرٌ يَأْخُذُهُ
 أَلَمُؤُهُمْ فَهُمْ يَهْتَفُونَ بِالْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
 الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْأَذْرُ الْآيَةُ خَيْرٌ لَدَيْنَ يَتَّقُونَ
 أَمَلًا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٨﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقْسَرُوا
 الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُبْعَثُ أَبْرَارًا مُصْلِحِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِذْ تَقَرَّبَا

المفردات : «عتوا» : العتو التجبر في
 التكبر انظر ما سبق في الآية (٧٧) من هذا
 السورة صفحة ٢٠٥.

«خاسئين» : أي اذلاء مبغضين عن كل
 خير. «تأذن ربك» : أي أعلم إعلاما مؤكدا.

«يسومهم» : يلحق ويوقع عليهم.

«وقطعناهم في الأرض» : أي فرقنا
 اليهود في أنحاء الأرض.

«أمما» : أي فرقنا.

«ويلوئاهم» : أي عاملناهم معاملة

المحتبر ليظهر للناس ما في طبائعهم فإذا وقع الجزاء آمن الجميع بأنه عدل منه تعالى.

«فخلف من بعدهم خلف» : أصل الخلف مصدر خلفه أي جاء بعده، جعل وصفا بمعنى

خليفة لمن قبله؛ فالمعنى جاء من بعدهم خلفاء لهم.

«ورثوا الكتاب» : المراد به التوراة.

(١) خاسئين

(٢) القيامة

(٣) وقطعناهم

(٤) الصالحون

(٥) ويلوئاهم

(٦) بالعصاة

(٧) الكتاب

(٨) ميثاق

(٩) الكتاب

(١٠) بالكتاب

(١١) الصلاة

﴿عرص هذا الأدنى﴾ العرص مالا ثياب له، والمراد به هما حطام الدنيا الرثل، والأدنى صفة لمقدر، والأصل متاع هذا الشيء الأدنى، والمراد بالشيء الحياة الدنيا
﴿ميثاق الكتاب﴾. أي العهد الذي جاء به كتابهم.

﴿ودرسوا ما فيه﴾ أي قرعوا ما في الكتاب وهموه. ﴿يمسكون بالكتاب﴾ أي يتمسكون بما فيه، يقال مسك بالشيء وتمسك به والمعنى واحد.

﴿ننقنا﴾. أي رفعنا كما في الآية (٦٣) من سورة البقرة صفحة ١٢.

المعنى : . فلما لم يزجرهم العذاب الشديد وطعوا في تكبرهم عن ترك ما نهاهم عنه الواعظون، قلنا لهم كوبوا قردة حاسئين، أي ثعلقت إرادتنا بجعلهم قردة، انظر الآية (١١٧) من سورة البقرة صفحة ٢٢ والآية (٤٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٠ والآية (٨٢) من سورة يس صفحة ٥٨٦. قيل أنهم مسخوا قردة وحارير حقيقة وماتوا سريعا، وقال مجاهد : هو مسخ مصوى، أي مسخت قلوبهم فصارت لا تقبل نصحا وأصبعوا كالقردة في الاحتقار والطيئش والإفساد.

ثم شرع سبحانه في بيان سننه في عقاب الأمة كلها بعد بيان عقاب طائفة منها فقال وإذ تأذن أي أعلم إعلاما مؤكدا بالقسم الذي دلت عليه اللام في ﴿ليبعث﴾ الآتية والمسمى وذكر أيها النبي حين أحبر الله مقسما بعمرته أنه ليعث ويسلطن على هؤلاء اليهود إلى يوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع العذاب وأشد عقابا لهم على ظلمهم وعسفهم وفسادهم وإفسادهم. انظر بعضا من ذلك في أول سورة الإسراء، وإن أردت تفصيلا لما حل بهم من البكال على يد أكثر الأمم الكبيرة إلى وقتنا هذا فارجع إلى شرح حديث ٤٠٥ من كتابنا صموة الدجاري، وإبه سجل ما قرر لويس اليهودي الإنكليزي في كتابه (المسألة اليهودية) وستتحلى لك معجزة القرآن وصدق الرسول على أروع صورة.

إن ربك أيها النبي لمريح العقاب في الدنيا للأمة التي يعلب عليها المساد، وإبه لعصور رحيم لمن رجع إليه وتاب، ومما عاقبناهم به أننا قطعناهم في الأرض حال كوبهم جماعات

جماعات كل جماعة في فطر حتى لا يكاد يحلو منهم قطر، لا شوكة لهم إلا الدس والوقيمة بين الدول، منهم الصالحون وهم الذين استقاموا وآمنوا بأنبياء الله بعد موسى إلى زمنه ﷺ، ومنهم أناس دون وصف الصلاح وهم درجات بعضها كافر أو قريب منه، ويمصها أقرب إلى الصلاح، واحترباهم بالحسنات كالحصب والعافية هل يشكرون عليها أم يكفرون، وبالسينات كالجذب والمرض هل يصبرون عليها ليرجعوا إلى ربهم بالتوبة من ذنوبهم ويشكروا في السراء ويصبروا في الضراء، انظر الآية (١١٠) من سورة النحل صفحة ٢٦١ والآية (١٢١) من سورة طه صفحة ٤١٩ والآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤ والآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢. فحلف من بعد أنقيائهم ذرية ورثوا عن آبائهم التوراة ولكنهم لم يعملوا بها؛ لأنهم يأخذون متاع هذه الحياة الدنيا الرائل المحرم عليهم أخذها كالربا والرشوة، ويقولون في أنفسهم إن الله سيعصر لنا ذلك ولا يحاسبنا عليه، يرجون هذه المعصرة والحال أنهم إن يأتهم عرش حرام مثله يأخذوه، أي فهم مصرون على الدنوب عارمون على المود إليه، ومع ذلك يرجون المعصرة، ألم يؤخذ على هؤلاء الحلف عهد الله في التوراة بأن لا يقولوا على الله إلا الحق، والحال أنهم درسوا هذا الكتاب وهموا ما فيه، وعلموا أنه ليس فيه حل لأخذ الحرام، ولا جواز معصرة الذئب مع الإصرار عليه. ولو تنبه هؤلاء قليلا لعلموا أن الدار الآخرة وما أعده الله فيها للمتقين الذين يتقون المعاصي كالرشوة والسحت خير من هذا المتاع الماسي، انظر الآية (٤٢) من سورة المائدة صمحتي ١٤٤، ١٤٥. أيمد ذلك تستمرون على عصيانكم فلا تمقلون وترجحون الحير على الشر، والنعيم الدائم على الزائل والذين يتمسكون بكتاب الله وحبله المتين من أهل الكتاب كمعبد الله بن سلام وأصحابه، وأقاموا الصلاة المفروضة في التوراة وفي القرآن بعد الإسلام، لا يصيب الله تعالى أجرهم لأنهم مصلحون، انظر الآية (٣٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٥.

ثم حتم سبحانه قصة بني إسرائيل بالتذكير ببدء حالهم عند إنزال الكتاب عليهم، عقب بيان عاقبة أمرهم في محالمتهم لهذا الكتاب والخروج على تعاليمه، ليربط مبدئهم ونهايتهم، ليظهر للناس أن طبعهم هو طبعهم إلى قيام الساعة، فقال: وإد نتقنا، أي واذكر أيها النبي إذ رفعنا فوق ريوس هؤلاء الجبل...

أَجَلٌ مُّوَقَّعٌ لَّهُمْ ظُلَّةٌ وَظَرُّهُمُ الْقَحْلُ وَاقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ خُزُوءٌ
مَّا أَتَتْكُمْ مُّوْتَةٌ وَأَدْرَأَكُمْ عَنِ الْمَوْتِ فَتَقُونَ ﴿٢١٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا
فَإِذْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٢١١﴾
أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ
بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢١٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ
الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنزِلْ عَلَيْنَا نَبَأَ الَّذِي
أَخْبَرْتَهُ إِتْيَانًا فَأَنشَأْ مِنَّا قَابِضَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢١٤﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَرَفَعْنَاهَا وَلَكِنَّهُ إِخْلَافُ لِّى
الْأَرْضِ وَأَنشَأَ مَوْتَهُ قَتْلُهُ فَتُحْمَلُ الْكَلْبُ إِنْ تَحْمِلُ
عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

المفردات : : ﴿ظُلَّةٌ﴾ : أى غمامة، انظر
الآية (٢١٠) من سورة البقرة صفحة ٤١
والآية (١٨٩) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١.
﴿أشهدهم على أنفسهم﴾ : المراد
أوجدتهم شاهدين على أنفسهم بذلك بلسان
حالهم، وقالوا إن شهادة الحال أصدق من
شهادة اللسان، وهذا كثير فى القرآن وفى
كلام العرب يقال

امتلا الحوض وقال كمى ويقولون فى حال
السارق، عيه تنطق بأنه سارق وفى القرآن
الآية (١٧) من سورة التوبة صفحة ٢٤٢.

والآية (٢٩) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤، والآية (٧) من سورة العاديات صفحة ٨١٨ وهذا
يدل صراحة على أن الحجة قامت على بنى آدم بهذا الميثاق على أن رب العالمين هو الله
وحدده، وبعد قيام هذه الحجة فلا حاجة إلى إرسال رسول فى موضوعها وإنما تاتى الرسل
بالشرائع فقط ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. الهمزة هى ﴿أَلَسْتُ﴾ أصل معناها الاستفهام وهو طلب
المتكلم من السامع أن يمهه شيئا خفى عليه علمه، واستعملت هنا فى الإنكار الذى معناه
النفى، وبما أن ما بعدها هنا وهو (ليس) تفيد النفى أيضا، ومن المقرر أن نعى النفى إثبات
فإن مصموم الكلام بصير ثابتا، ويكون قصد المتكلم بهذا التركيب هو حمل المخاطب على
الاعتراف بما يفيد النفيين، ويكون المعنى حينئذ اعترفوا أيها المخاطبون بأنى أنا الله ربكم.

(١) أتيتكم	(٢) بنى آدم	(٣) القيامة
(٤) عافلين	(٥) الآيات	(٦) آتينا
(٧) أنياتنا	(٨) الشيطان	(٩) لرفعتنا
(١٠) هوأ		

﴿بلى﴾ اعلم أيها المثقف المنتهى أن الراجح مما قرره علماء العربية أن حرف (بلى) لا يأتي في أكثر استعمالاته إلا بعد كلام فيه نفى، نحو قوله تعالى ﴿رعم الدين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن﴾ الآية (٧) من سورة التباين صفحة ٧٤٦، ويكون مراد المتكلم بها في هذه الحالة هو إبطال النفي وإثبات ما بعده، وإن ذكر قبل النفي السابق على حرف (بلى) حرف استفهام، فإن كان استفهامنا مراد به التوبيخ فحرف (بلى) باق على معناه من إبطال النفي أيضا كما سبق، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا﴾ الآية (٢٤) من سورة الأحقاف، وتظهر ذلك ما تقدم في الآية ٢٠ من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، وإن كان الاستفهام للإكثار أي النفي كما هنا ويكون مضمون الكلام ثابتا يكون معنى بلى تقرير المعنى المتحصل من النفيين وهو الثبوت.

وقال سيبويه إمام العربية إنه يصح في هذه الحال أن يجاب بحرف (بلى) وبحرف (نعم)، فبحرف (بلى) نظراً لظاهر لفظ النفي، وبحرف (نعم) نظراً لأن مضمون الكلام صار إثباتاً، ونعم يجاب بها الإثبات، فنحو (هل جاء زيد)؟ إذا أردت الإثبات تقول في جوابه نعم، وإن أردت النفي تقول لا، وقد جاء في الحديث الصحيح الجواب بـ (نعم) بدل (بلى) بعد نفي مسبوق باستفهام إكباري، وذلك في قوله ﷺ للأنصار يوماً في الحديث عن المهاجرين أستم ترون بهم ذلك؟ قالوا: نعم.

وقد جاء قليلا الجواب بـ (بلى) بعد كلام ليس فيه نفي، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من قوله ﷺ لأصحابه (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا بلى) أي نعم رضى. فاعلم ذلك واستصعبه معك في كل ما يأتي من حرف (بلى). وإنما أهضت في هذا لأن أكثر المفسرين اضطربت أقوالهم في هذه الآية، وسبوا لابن عباس رأيا ثم نسلّمه العلماء، ولم يرعه إمام العربية سيبويه.

﴿فانسح منها﴾ - أي أهملها وتركها وراء ظهره كما تسليخ الحية من ثوبها وتطرّحه وراءها - ﴿فأتبعه الشيطان﴾ - فلحقه وتمكن من إغوائه بعد أن كان بعيدا عنه بسبب طاعته.

﴿القاوين﴾ - القاسدين المفسدين، انظر الآية (٢٩) من سورة الحجر صفحات ٢٤٠، ٢٤١ والآية (٦٢) من سورة القصص صفحة ٥١٦ والآية (٢٢) من سورة الصافات صفحة ٥٨٩. ﴿أخذ إلى الأرض﴾ أي ركن ومال إلى التمسك المناق في للرفعة بميله إلى ما على الأرض من زينة زائلة كما في الآية (٧) من سورة الكهف صفحات ٢٨٠، ٢٨١.

﴿تحمل عليه﴾ . أى تشتد عليه بالطرد والزجر وإبقاعه فيما يتعبه . ﴿يلهث﴾ الالهث بهتج فسكون . التنفس الشديد مع إحراج اللسان . ويكون فى غير الكلب من شدة التعب أو العطش . وفعله لهث كمنع .

المعنى . . واذكر حين رفعنا جبل الطور فوق ربوسهم لحملهم على الاهتمام بما فى التوراة وعدم التمرد عليها ، لأن القادر على ذلك قادر على محققهم إذا حالفوا ، وقلنا لهم فى حال رفع الجبل حذرو ، ما أعطيناكم مما فى التوراة بقوة وعزم على احتمال مشاقه ، وتذكروا دائما ما فيه من الأحكام واعملوا بها ليعدكم ذلك لتقوى الله . ثم بدأ سبحانه كلاما جديدا فى شئون البشر عامة من جهة ما أودعه فى بطونهم وعقولهم من الاستعداد للإيمان بوجود خالق حكيم ، بعد بيان هدايته سبحانه للبشر عن طريق الرسل والكتب إلى كل ما لا تصل إليه عقولهم من الخير فى الدارين ، فقال : ﴿وإد أحد ربك من بنى آدم﴾ إلخ ، أى واذكر أيها النبى لأمتك حين أخذ ربك من بنى آدم أى استخرج منهم دريتهم بطننا بعد بطن ، وطرهم على الإيمان ، وجعل عقولهم تدرك بالضرورة أن كل عمل لابد له من فاعل ، وكل حادث لابد له من مُحدث ، وهذا هو المراد من قوله : وأشهدهم على أنفسهم قائلًا لهم ألسنت بريكم ، قالوا : نعم أنت ربنا ، فهو قول بلسان الحال ، كما فى قول السموات والأرض اتينا طائمين ، انظر الآية (١١) من سورة فصلت صمحتى ٦٣٠ ، ٦٣١ : ثم بين سبحانه حكمة هذا الإشهاد فقال : ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ والمعنى فعلنا هذا منعا لاعتذاركم يوم القيامة بأن تقولوا إذا شاهدتم عذاب المشركين إنا كنا عن علم وجود إله واحد غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبلنا ووجدنا نحن ذرية من بعدهم جاهلين بطلان شركهم فاقتردينا بهم ، أهتلكنا يارب بما فعل المبطلون من آياتنا وجرونا إليه ونجعل عذابنا كعذابهم فالمراد أن الله تعالى لا يقبل الاعتذار بالجهل بوجوده ، ولا بتقليد الآباء فى ذلك ، وكهذا التفصيل البديع بفصل لبتى آدم الدلائل على وجود إله لهم يرجعون إذا تأملوا فيها عن جهلهم وتقليدهم الآباء . فالآيات تدل على أن من لم تبلفه بعثة رسول لا يعذر يوم القيامة فى الشرك به تعالى ، وإنما يعذر بمخالفة ما جاء به الرسل من الميبيات والشرائع التى لا يصل إليها العقل . هذا ما رآه المحققون فى معنى الآية ، واختاره القاضى البيضاوى ويؤيده قوله تعالى ﴿من بنى آدم﴾ ولم يقل (من آدم) وكذلك جمع الصمائر فى قوله عز وحل ﴿طهورهم﴾ ولم يقل من ظهره وكذا فى قوله سبحانه ﴿ذريتهم﴾ ولم يقل (ذريته) لو كان المأخوذ منه هو آدم كما يقول بعض المفسرين فتأمل وبالله

التوهيق وعلى ذلك يكون قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦ معناه معذبين على ترك الشرائع وعلى جهل الغيبيات إلا بعد مجيء رسول يبلغها. ولو كان المراد ما كنا معذبين حتى في عدم اعتقاد وجود إله لقال وما كنا معذبين حتى نشهد المكلف على نفسه كما في هذه الآية التي معنا. فمحصل المعنى أنه لا ينصهم الاعتذار بما ذكر لأنه سبحانه نبيههم بإقامة الأدلة، وجعلهم مستعدين لمعرفة الحق من وجود إله صانع حكيم.

ثم أراد سبحانه أن يصرب مثلاً للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله ﷺ مع تأييدها بالأدلة العقلية فقال واتل أي اقرا على الناس ومنهم مشركو العرب واليهود خبر الرجل الذي أتينا آياتنا المنزلة على رسولنا ومكناه من علمها فأهملها ولم يلتفت إلى الاهتداء بها أي فترتب على اختياره هذا الإهمال خصوعاً لشهوة نفسه، أن لحقه الشيطان فأدركه وأحاط به من كل جانب حتى لا يفلت من سيطرته بعد أن فقد نور العلم والبصيرة، فأعقب ذلك أن صار من العاوين الماسدين المصمدين ولو أردنا أن نرفعه بتلك الآيات إلى درجات الكمال التي توجب قرن العلم بالعمل كما في الآية (١١) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٧ لرفعناه بأن نجبره على الهداية كالملائكة، ولكننا لم نفعل لمخالفة ذلك لنظامنا في هذه الحياة الدنيا من جعل الإنسان مختاراً، وعلى حسب اختياره نسهل له ما يريد من خير وشر كما في الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٦، ٣٦٧، ولو اختار الرحمة لرفعناه، لكل هذا تركنا هذا الرجل وشأنه، فاختار لنفسه التسفل وأبى الرحمة، واتبع هواه في الملاذ الزائلة، انظر الآية ٢٣ من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢، فنصار حاله كحال الكلب يلهث دائماً، حملت عليه أو تركته، فإنه مكروب بصيق الشمس، فالكلام تمثيل لحال المحروم من الانتفاع بعلمه بحال الكلب في سوء الحال وقلق القلب واضطرابه وعدم راحته، فهو في هم دائم مشغول بعسائس الشهوات، لا يرمى بما قسم له من الحظوظ، بل يريد طعمه كلما نال مأرباً، فهو فاقد رصا القلب وراحة الصمير برصا الله عنه. ذلك المثل القريب هو مثل كل مكذب بآيات الله من كفار مكة أو يهود الجريفة، انظر ﴿ومن يرد أن يصله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، واعلم أن هذا الرجل الذي آتاه الله آياته فأهملها لم يبيبه القرآن، ولم يتفق عليه العلماء قديماً وحديثاً، ولم يصح حديث يبين اسمه ولا جسمه ولا وطنه؛ لأن هذا كله ليس له دخل في مكان العبرة في الموضوع، فلا تشغل نفسك بما لا يفيد والله أعلم.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣٦﴾
 سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَانفُسُهُمْ كَانُوا
 بِطُغْيَانٍ ﴿١٣٧﴾ مَن يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْغَيْبُ وَمَن يُضِلِّ
 فَذَلِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
 مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ ﴿١٣٩﴾
 وَفِي الْأَنْعَامِ لَلْحِكْمَةِ فَادْعُوهُنَّ بِهَا وَذَرُوا آلِ الْبَيْتِ
 يُحَدِّثُونَ فِي الْأُصْحَابِ سَجَرُونَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٠﴾
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْتِلُونَ ﴿١٤١﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٢﴾ وَأَمَّا لَهُمْ فَالْكَذْبُ مِنِّي

المفردات . «سَاءَ مثلاً» المثل الحال
 والصفة، وساء أى قبح، والمعنى قبح حالاً
 حال هؤلاء المكذبين . «ذرائنا» : أصل معنى
 الذرة بث الأشياء وتكثيرها، والمراد خلقنا
 بتقدير ونظام، انظر الآية (١١) من سورة
 الشورى صفحة ٦٣٩.

«وذروا» : أى اتركوا

«يلحدون فى اسمائه» : ألحد أى مال
 عن الصواب.

«يهدون بالحق وبه يعدلون»

تقدم بهاها فى الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨ «سنستدرجهم» أى بأحدهم
 درجة بعد درجة حتى يصلوا إلى ما فيه هلاكهم . «وأملى لهم» : أى أمهلهم.

«كيدى متين» . الكيد كالمكر هو التدبير الخفى بما يسوء الممكور به

المعنى . ذلك الحال هو حال المكذبين بآياتنا بعد ما جاءتهم واضحة قاطعة بصدق
 رسولنا فأعرضوا عنها، سواء فى ذلك المشركون واليهود، فأقصص أيها النبى عليهم قصص
 مثل ذلك الرجل المشابه حاله حال المكذبين بما جئت به رجاء أن يتفكروا فى هذه الحال
 فينزعجوا عما هم عليه . فبعت صفة هؤلاء المكذبين فى عداد الصمات، وما ظلموا أحداً
 بعملهم هذا وإنما ظلموا أنفسهم فقط . ثم أراد سبحانه أن يقرر ويؤكد مصموم القصة
 السابقة من أن من تسبب فى الهدى أو الضلال لا بد أن ينتهى إلى العاية التى جعلها الله لكل

منهما؛ فمن استعمل ما وهبه الله من عقل وسمع وبصر في التدبر لغرض الوصول للحق هداه الله إليه، ومن أهملها وأفسد فطرته التي خلقها الله سليمة أضله. وقد تقدم تحقيق ذلك في الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، وسيأتى نظيرها في الآية (٣) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١، وقد أجمل سبحانه هذا المعنى في الآية الأولى هنا، وفصله في التي تليها؛ فمعنى الأولى : مَنْ يوفقه الله لسلوك سبيل الهداية بسبب حسن استعداده واستعماله لحواسه فهو المهتدى حقا الفائز بالسعادتين، انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٦٦، والآية (٢٧) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥، والآية (٦٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٣٠، والآية (١١) من سورة التغابن صفحتي ٧٤٦، ٧٤٧، ومن يضلله ويحرمه من هذا التوفيق لنقص فيه كفسق أو كبر أو كثرة كذب أو غير ذلك فهذا الفريق من الناس هم الخاسرون لخيري الدنيا والآخرة، انظر آيتي (٢٥٨ ، ٢٦) من سورة البقرة صفحات ٦ ، ٧ ، ٥٤، والآية (١٠٨) من سورة المائدة صفحة ١٥٩، والآية (٥٢) من سورة يوسف صفحة ٢١١، والآية (٣) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٥، ٦٠٦، والآية (٢٨) من سورة غافر صفحة ٦٢١ .

ثم فصل سبحانه هذا الإجمال فقال:

ولقد ذرأنا وأعددنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس؛ لأنهم أهملوا عقولهم ومواهبهم فأصبحت عقولهم لا تفهم النافع من الضار، ولا يوجهون أبصارهم إلى التأمل في آيات الله ودقيق صنعه، ولا آذانهم إلى سماع الحق سماع فهم وتدبر. وقد كرر القرآن هذا المعنى في مواضع كثيرة، منها الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، والآية (١٠٨) من سورة النحل صفحة ٣٦١، وآيتا (٢٦، ٢٧) من سورة السجدة صفحتا ٥٤٧، ٥٤٨، والآية (٢٣) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٣، والآية (٢٦) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠. أولئك الماهلون لمواهبهم كالأنعام من إبل وبقر وغنم في كونهم لا ينتفعون بحواسهم إلا فيما يعود على متعة أجسامهم الفانية، بل هم أضل من الأنعام لأنها لا تفعل إلا ما فيه مصلحتها، أما هم فلا يفعلون إلا ما فيه

هلاكم وعدايهم الدائم في الآخرة، والأنعام لا تعدب وأولئك هم الكاملون في العفة عما فيه سعادتهم في الدارين. وبعد هذا أراد سبحانه أن يرشد عباده المحلصين إلى تذكره سبحانه وعدم العلة عن مراقبته مع البعد عن التلاعب بأسمائه وصفاته وتحريمها إلى معنى لا يليق به، فقال

﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ والمراد بالأسماء الألفاظ الدالة على الذات كلفظ الله، أو الدت والصفة كالرحمن، وبقية المذكور في الآية (٢٢) من سورة الحشر وما بعدها صمحتي ٧٢٣. ٧٢٤ والحسنى مؤنث الأحسن. والمعنى : ولله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات فاذكروه وسموه ونادوه بها، وابتمدوا عن الذين يلحدون أسمائه بالميل بالمعاني أو معانيها عن الحق من تحريفها أو تأويلها بما يفيد التشبيه بالمخلوقات ويساوي الكمال، كتفسير علمه وقدرته وبصره وكلامه تعالى بأنها ككلامنا وقدرتنا وبصرنا إلخ، وكقول بعضهم لما سمع ﴿تبارك وجه ربك﴾ إن لله وجهاً أبيض يحيط به شعر أبيض. تعالى الله عن ذلك وعد بعضهم من الإلحاد هيها إدخال مائيس منها هيها بتسميته سبحانه بما لم يسم به نفسه مما لا يليق بكماه وجلاله، كأن يقول المستهتر:

الله خادم خلقه، يريد راعي مصالحهم. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وكقول الملاسمة الله هو العقل المدبر الأعظم.

استعدوا عن مثل هؤلاء هسيلقون جزاء أعمالهم قريباً وبعد ما ذكر سبحانه صفات أهل جهنم وحذر ممن يلحدون في أسمائه قال: وممن يلحدون في أسمائه قال وممن خلقنا طائفة من الناس يهدون غيرهم إلى الصواب بسبب حبهم الحق وبه يعدلون إذا حكموا، وهذه الصفات ظاهرة في أمة محمد ﷺ المألكة في طريقه. أما الذين كذبوا بآياتنا المعرلة والموحودة في الكون فسفتركهم في غيهم وضلالهم شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعرون حتى يقعوا في المهالك، وسأهلهم وأمد لهم في الحياة كيذا لهم ومكرأ بهم، وكهيدى متين يقصم الظهور، انظر آيات من (٥٤ إلى ٥٦) من سورة المؤمنون صمحتي ٤٥٠، ٤٥١.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِفْظٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
 مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا حَقَّقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَوْا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ
 أَجْلَهُمْ قِيَاسِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُزْمَنُونَ ﴿٢٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
 فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٦﴾
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِنْدَ
 عِزِّ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ يُفَتِّحُ السُّورَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَا تَأْخُذُكَ إِلَّا نَفْسٌ يَسْفُوتُكَ فَكَذَّبْتَ
 عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَنْ يَكُنَ لَكُمُ الْآخِرَةُ
 إِلَّا بَعَثُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا
 مَا شَاءَ اللَّهُ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا تَكْذِبْ مَنْ
 الْخَبِيرُ وَمَا مَسَى السَّوَاءُ إِنْ أَتَى إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ

المفردات :- ﴿حِفْظٌ﴾ : حِوَرٌ كَمَا فِي
 الآيَةِ (٢٥) مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ صَفَحَتِي ٤٤٧ ،
 ٤٤٨ ، والآيَةِ (٨) مِنْ سُورَةِ سَبَأٍ صَفْحَةُ ٥٦٣ .
 ﴿مَلَكُوتٌ﴾ : هُوَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي
 الآيَةِ (٧٥) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةُ ١٧٤

﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ : يَتْرَكُهُمْ

﴿يَعْمَهُونَ﴾ : يَتَحَيَّرُونَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ
 (١٥) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةُ ٥ .

﴿السَّاعَةُ﴾ : أَصْلُهَا مَعْنَى السَّاعَةِ عِنْدَ
 الْعَرَبِ لِحِظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَالْمُرَادُ هِيَ الْقِيَامَةُ ،
 أَيْ قِيَامُ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ عِنْدَ الْمُنْفَعَةِ الثَّابِتَةِ ،
 وَالْعَرَبُ تَطْلُقُ اللَّفْظَ الدَّالَّ عَلَى الزَّمَنِ وَتُرِيدُ
 الْحَدِيثَ الْوَاقِعَ فِيهِ ، انْظُرْ تَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي
 شَرْحِ الْآيَةِ (٩) مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ صَفْحَةُ ٤٢٤ .

عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى لَفْظِ ﴿الْيَوْمَ﴾ ، وَانْظُرْ مَعَانِيَ السَّاعَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَفِي الْقُرْآنِ فِي شَرْحِ الْآيَةِ
 (٢٤) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ صَفْحَةُ ١٩٧ .

﴿أَيَّانَ﴾ : مَتَى . ﴿مُرْسَاهَا﴾ : أَصْلُهُ مَصْدَرٌ مَعْنَاهُ الْإِرْسَاءُ أَيْ الْإِثْبَاتُ ، يُقَالُ رَسَا الشَّيْءُ
 يَرْسُو أَيْ ثَبَتَ كَمَا فِي الْآيَةِ (٤١) مِنْ سُورَةِ هُودٍ صَفْحَةُ ٢٩٠ ، وَارْسَاءٌ غَيْرُهُ أَثْبَتَهُ ، وَلِإِمْرَادِهَا
 حَصُولُهَا وَوُقُوعُهَا .

﴿لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا﴾ : لَا يَطْهَرُ أَمْرُهَا وَلَا يَكْتَسِفُ حِمَاهُ وَوُقُوعُهَا فِي وَقْتِهَا ، هَذَا لَمَّا فِي
 ﴿لَوْفَهَا﴾ تَسْمَى لَامُ التَّوْقِيتِ كَقَوْلِهِ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ وَكُتِبَ الْخَطَّابُ لِعَشْرِ بَقِيْنَ
 فِي رَمَضَانَ .

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ : أَيْ ثَقُلَ عَلَيْهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَوْصُولَ
 إِلَيْهِ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمِيَ عَنْهَا﴾ : أَصْلُ مَادَّةِ حُمِيَ تَقْيِيدُ الْمِبَالَةِ فِيمَا تَعَلَّقَتْ بِهِ كَمَا فِي الْآيَةِ (٤٧) مِنْ
 سُورَةِ مَرْيَمَ صَفَحَتِي ٤٠٠ ، ٤٠١ ، وَمَعْنَى التَّرْكِيبِ كَأَنَّكَ مِبَالِغٌ فِي سَوْأَلِ رَبِّكَ عَنْهَا حَتَّى بُوَصِّدَتْ
 إِلَى عِلْمِهَا ، يُقَالُ فَلَانِ حَفِيَ عَنِ الْأَمْرِ أَيْ مِبَالِغٌ فِي السَّحْثِ عَنْهُ ، وَتَعْرِفُ حَالَهُ ، وَيَطْلُقُ لَفْظُ

﴿حَفِيٍّ﴾ أيضا على شديد البر واللفظ بغيره، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا﴾.

المعنى :- كذب هؤلاء الكفار رسولهم محمدا ﷺ، ولم يتفكروا فى حاله من أول نشأته وفى أدلة نبوته، لو تفكرتم لعلمتم أنه ليس بصاحبكم محمد جنون، وما هو إلا نذير لمن عصى، واضح الإنذار. وبعد أن بيّن أنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد طلب منهم النظر والاستدلال العقلى فقال : أو لم ينظروا؛ أى هل كذبوا الرسول المعروف بينهم بالأمانة واتهموه بالجنون وهو المعروف عندهم بالعقل الراجح، ولم يتأملوا فى الملك العظيم وكل ما خلقه فيه شيء صغير أو كبير ظاهر أو باطن، فكل ذلك يدل على حكمة مدبر قدير لا يخلق هذا العالم عبثا، ولا يترك الناس سدى بدون مرشد، كما فى الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، ولم يتفكروا فيما عسى أن يكون عليه الشأن من اقتراب أجلهم وقدمهم على الله بسوء أعمالهم. فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المملوء بالعبر والبراهين فبأى حديث بعد يؤمنون؟ أى ليس هناك ما هو مثله ولا قريب منه ينتظرون الإيمان به، انظر مثل ذلك فى الآية (٦) من سورة الجاثية صفحة ٦٦١، وآخر سورة المرسلات صفحة ٧٨٦.

مَنْ يضل الله لاستحقاقه ذلك فلا يستطيع مخلوق أن يهديه. ثم أشار إلى سبب إضلاله بقوله: ويذرهم فى طغيانهم أى تجاوزهم الحد بالكفر والعصيان يتحIRON لا يستطيعون خلاصا وقد تقدم قريبا سنة الله فى الضلال والهداية فلا تغفل.

ولما سأله ﷺ عن موعد قيام الساعة، وأصل الساعة الجزء من الزمن، والمراد بها هنا ساعة خراب هذا العالم الذى يبدأ بالنفخة الأولى كما فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ فقال سبحانه : يسألونك أيها النبى عن موعد قيام الساعة قائلين متى وقوعها وحصولها؟ قل لهم علم وقتها عند ربى وحده كما فى الآية (٣٤) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤، لا يظهرها فى وقتها سواء سبحانه، ثقل وغمض علمها على كل مخلوق، فلا تأتيكم إلا بغتة بدون سبق شعور يسألونك هذا السؤال ويلحون فيه كأنك عالم بها، فإذا كرروا السؤال فكرر الجواب وقل لهم: علمها عند الله وحده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون اختصاصه سبحانه بعلمها.

ثم لما كان سؤالهم عن الساعة يشعر بأن بعضهم قد يخالجه ظن أنه ﷺ قد يقدر على ما لا يقدر عليه قدرة البشر من النفع والضرر، أراد سبحانه أن يبطل ذلك فقال: قل لهم أيها النبى إئتى بشر مثلكم لا أملك لنفسى جلب نفع ولا دفع ضرر إلا ما شاء الله من نفع يعيننى على جلبه أو ضرر يساعدننى على دفعه، ولو كنت أعلم الغيب كما ظن بعضكم لا ستكثر من

فتقربوا إليهم كما يتقربون إليه، وسمعوا إليهم مالا يكون إلا منه سبحانه فأشرك بعضهم أصناما، وبعضهم يطلب حمطا ولده وماله من غيره تعالى، ويقدم لهم الدور التي لا تقدم إلا له تعالى، بل بلغ من جهل الإنسان بقدر ربه أنه يشرك حتى بالشجر والحجر، تعالى الله وارتفع شأنه عن شركهم، لأنه هو وحده صاحب الفصل في كل ما ينال الإنسان من نعم

فالمراد من الآية بيان حال البشر فيما طرأ عليهم من برعات الشرك الحمي والجلى فمن الأول تقديم مصلحة الولد على مصلحة الدين فيدحر له ولا ينفقه في سبيل الله، انظر الآية (١٥) من سورة التاعاب صفحة ٧٤٧، أما الشرك الظاهر فلا يحصر، وقد تسرب بعضه إلى كثير من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، فكانه سبحانه يقول، هذا هو شأن الإنسان إذا خاف شيئا لجأ لله، وإذا اطمأن نسي ربه وأشرك، انظر الآية (٦٥) من سورة المكيوت صمحتي ٥٢٩، ٥٣٠، إنما نسب الشرك لجنس الإنسان مع أن عيهم مؤمنين لأن الأحكام دائما تقاط بالأعلب، وأغلب البشر كافر كما هي الآية (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٣١٨، فيكون الحكم بالنسبة للكثرة، والقلة مستثناة لمظا أو تقديرا، لمظا كما هي الآية ١٩ من سورة المearج وما بعدها صفحة ٧٦٥ والآية (٢) من سورة العصر صفحة ٨٢٠، تقديرا كما هي الآية (١٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٧، والآية (٩) من سورة هود صفحة ٢٨٥، والآية (٢٤) من سورة إبراهيم ٢٣٥، والآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٢، والآية (٦٦) من سورة مريم صفحة ٤٠٢ وغير ذلك كثير ثم أنكر سبحانه عليهم هذا الشرك ووبخهم عليه فقال أيشركون إلخ؛ أي هل يصح أن يشركوا معه سبحانه وهو الخالق لهم ولأولادهم مالا يخلق شيئا من الأشياء مهما يكر حقيقا كما هي الآية (٧٢) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، بل هؤلاء الشركاء يخلقهم وقتا بعد وقت أمام أبصارهم، ولكنهم لا يفقهون فيسبون بين من يخلق ومن لا يخلق، بل هو مخلوق مثلهم، انظر الآية (١٧) من سورة النحل صفحة ٢٤٧، وهؤلاء الشركاء مع كونهم مخلوقين لا يستطيعون بصرا لمن يعبدتهم على أعدائه بل ولا يتصرون أنفسهم إذا تعدى عليهم العير بإهانة أو أخذ شيء من حولهم كما هي الآية المتقدمة من سورة الحج وإن تدعوا أيها المشركون هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله ليرشدوكم إلى ما تحبون لا تتبعوكم إلى مرادكم، أي لا يجيبونكم كما يجيبكم الله إذا لحأتم إليه، فمستو عندكم دعاؤكم لهم ويقاؤكم على صممتكم وسكوتكم أي لا فائدة من دعائكم، ثم علل هذا سبحانه فقال هي تحدى

رسولنا ﷺ، لقومه من كمار العرب أجمعين، بهذا التحدى بعينه، في الوقت الذي كان فيه ﷺ، بمكة، ولم يؤمن به إلا عدد قليل، معظمهم من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في هذا الوقت المصيب، والكمار كثرة وقوة يرهبها الأقوياء، يتحداهم خاتم الرسل ﷺ، هذا التحدى المستمر للحبان، فضلا عن يدعوهم أنهم أشجع الشجعان من رعماء قريش والعرب أجمع ليسوا هم القانونين.

إذا بلغ الوليد لنا طعاما تخزله الجبابر ساجديننا.

تحداهم ﷺ تحديا مستترا مثيرا لمصيدهم. مصعبونا بالاستحفاف بأنهم التي بعدونها من دون الله، والمداة بفجرها على رموس الأشهاد. قال سبحانه في ذلك ﴿إن الدين تدعون من دون الله عباد أمثالكم هادعوهم فليستحيوا لكم إن كنتم صادقين. ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين ينصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي برل الكتاب وهو يثولي الصالحين﴾ آيات (١٩٤-١٩٥، ١٩٦) من هذه السورة صمحتي ٢٢٤، ٢٢٥ ﴿الدين تدعوهم﴾ هم ما كانوا يدعونهم في الشدة من دون الله، ويتقربون إليهم بالدبائح وغيرها. ﴿عباد أمثالكم﴾ أي مخلوقات خاصة لإرادة الله سبحانه يفعل بها ما يشاء، لا تملك لكم ضرا ولا نفعا. ﴿شركاءكم﴾ المراد بالشركاء هم هذه المخلوقات التي جعلوها شريكة لله تعالى في استحقاق النصوص لها والتقرب إليها.

﴿فلا تنظرون﴾ أي فلا تمهلوني لحظة، وممى هذا التحدى المصعوب بالتسميه لعقولهم، إن هذه الأشياء التي تدعو بها لقضاء حاجاتكم خصوصا التي لا يقدر عليها إلا الله، هم عباد لله حاصمون لإرادته وقدرته، كما أنكم حاضمون أيضا له تعالى، فكيف تفصلونهم عليكم وتضعون أنفسكم دونهم في المنزلة فتحضعون لهم، ثم ترقى في تسفيهم فقال هادعوهم وانظروا هل يجيبونكم لما تريدونه منهم. وإبكم إن كنتم صادقين في أنهم يستحقون العبادة وإبهم يجيبونكم لما تريدون، فإذا لم يجيبوا فاعلموا أنكم واهمون، واحذروا السير في هذا الطريق الموصل للعذاب، واحذروا السير في هذا الطريق الموصل للعذاب المقيم. ثم ترقى في تسميهم درجة أخرى لعل من فيه بقية من صمير منهم يتبته فقال سبحانه ﴿ألهم أرجل﴾

إلح، أى هل هذه المعبودات من الأصنام التى اتحدثموها شمعاء لكم عند الله لتقريبكم إليه سبحانه كما فى الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨ والآية (٢) من سورة الرمر صمحتى ٦٠٥، ٦٠٦، هل هذه لها أرجل تمشى بها أو لها أيد تبطش بها على من يحاول التعدى عليها، أم لها أعين تبصر بها الأشياء حتى ترى الصار فتجتنبه، والنامع فتعتمه، أم لها آذان تسمع بها، فتسمع صوت المحذر من الشر فتبتعد عنه، أو صوت الداعى إلى الخير فتسرع إليه، والمراد أن هؤلاء المشركين فاقبون لكل هذه المرايا التى انتفع بها كثير من المخلوقات حتى الحيوان الأعجم الذى لا يطق، إذا فالحيوان بما فيه الحمير خير من الهتك، وهل سمع الإنسان تسميها لعقل الكافر أبشع من هذا؟ ثم أمر سبحانه نبيه أن يلقمهم الحجر الذى يخرصهم، ويعرفهم فى الحج من الحيرة لا يستطيعون منها خلاصاً، فقال ﴿ادعوا شركاءكم﴾ إلح أى إذا لم يكفكم كل هذا زحراً عن المي فادعوا هؤلاء الذين اشركتموهم مع الله ليمساعدوكم على الكيد لى وإيدائى بكل ما تستطيعونه حتى القتل، وبغدوا كيدكم بسرعة، ولا تمهلونى طرفة عين، فإنكم لن تستطيعوا لأن مولاي الذى تولى حمطى وانتصاري عليكم هو الله الذى نزل على هذا الكتاب الذى أتلوه عليكم واتحداكم كل يوم أن تأتوا بمثله وعجبرتم وشأنه سبحانه وتعالى أنه بتولى بتأييده الصالحين من عباده الذين يخلصون له العبادة ولا يعملون إلا ما فيه مصلحة العباد.

ولا تعجب أيها القارئ الكريم من سفة مشركى العرب بعد هذه العجج التى تهز القلوب هراً عيماً، أقول لا تعجب فإن عجبك هنا يتصامل إذا علمت أنهم هم الذين رصوا لأنفسهم أن يعبدوا أصناماً يتحدثونها بأيديهم من الحجر، وفى الوقت نفسه ينكرون أن يكون لله رسلا من البشر، اقرأ فى هذا قولهم منكبين على بيها ﷺ أن يكون رسولا ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم افقتان السحر وأنتم تبصرون﴾ الآية (٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠ وهم فى هذا يصاهئون الكمار قبلهم الذين قالوا فى رسلهم مثل هذا القول كما فى آية أبعث الله بشراً رسولا ﴿الآية (٩١) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، وما جاء فى الآية (١٥) من سورة يس صفحة ٥٨٠.

«إِذَا نَ سَمِعُوا رِيَاءً قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْفُونَ
فَلَا تَنْظُرُونَ ﴿١﴾ إِنْ وَلِيَ شَىْءَ اللَّهِ الَّذِي رَزَقَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْتَجِيبُونَ صَرَكًا وَلَا أَمْسَهُمْ يَصْعَدُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤﴾ خُذِ الْعَمْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأْمُرْ مِنَ عَمِ الْجَاهِلِينَ ﴿٥﴾ وَإِنَّا بِرَفْعِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ إِنْ الْبَرِ
أَنْقَرُوا إِذَا مَسَّهُمْ مُلْكٌ مِنْ أَنْشِيطِنِ تَدْعُوا قَرَدًا
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ وَإِنْهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْهَوَىٰ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا تَرْتَانِهِمْ يَقْتَرُونَ لَوْلَا أَجْنِبَتْنَا
قُلِ إِنَّمَا أُنْشِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي فَتَفَاصَّلُ

المصردات :- ﴿فلا تنظرون﴾ اي لا
تنظروا ولا تؤخروا كيديكم.

﴿وليس الله﴾ : اي متولى امرى وباصرى.
﴿العمو﴾ تقدم معنى العمو هي الآية (٢١٩)
من سورة البقرة صمحة ٤٢ وقال عبدالله ابن
الزبير وعائشة ومجاهد المراد هنا اقبل
السهل من احلاق الناس، وقال الرمحمشرى
العمو ضد المشقة اي خذ ما سهل من احلاق
الناس واعمالهم وما اتوك به بسهولة من غير
مشقة، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم لئلا
ينفروا، قال ﴿١﴾ : ﴿يسروا ولا تعسروا﴾ قال

صاحب المنار والمراد من الآية أن من اداب هذا الدين وقواعد شرعه اليسر وتحبب الحرج
وما يشق على الناس. ﴿بالعرف﴾ هو ضد المكبر، اي ما تعارف عليه الناس من الخير.
﴿الجاهلين﴾ : المراد بهم هنا السفهاء الحمقى.

(١) ادان

(٢) وليس

(٣) الكتاب

(٤) الصالحين

(٥) وتراهم

(٦) الجاهلين

(٧) الشيطان

(٨) طائف

(٩) الشيطان

(١٠) احوالهم

(١١) بية

﴿يَنرَغُثْكَ﴾ : أصل النزغ النخس، يقال نرغه إذا طعمه ونحسه، فكأن الشيطان ينحس الإنسان ليحثه على المعاصي، فالمراد وسوسته، انظر الآية (١٠٠) من سورة يوسف صمحة ٢١٨.

﴿مَاسْتَعِدْ بِالله﴾ : أطلب منه أن يعيذك ويبعدك منه.

﴿طَائِف﴾ : الطائف هو من يدور على الشيء كما هي الآية (١٩) من سورة القم صمحة ٧٥٨، والمراد هنا الوسوسة.

﴿يَعْمَدُونَهُمْ﴾ : أى يعاونونهم.

﴿هِيَ الْفَى﴾ : المراد به الضلال.

﴿لَا يَقْصِرُونَ﴾ : أى لا يكفون ولا يتباطئون، فهو بمعنى يقصرون بتشديد الصاد المكسورة.

﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ : لو حرف يدل على الحث على فعل ما بعده واجتبيتها أى احترتها وجئت بها أنت من عندك.

﴿بَصَائِر﴾ : تقدم هي الآية (١٠٤) من سورة الأنعام صمحة ١٨٠ أن البصائر للقلوب كالبحر للعيون، فالعيون تدرك بالبصر، والقلوب بالبصائر.

المعنى . وليس لهم ادان يسمعون بها طلباتكم فكيف تعبدون من هو دؤكم؟ هقل أيها الرسول لهؤلاء المصابيين هي عقولهم نادوا من جعلتموهم شركاء لله ثم تعاووا معهم على كيدى ولا تتأخروا فإنى لا أبالى بكم حميما، لأن متولى أمرى وباصرى هو الله الذى يرل على هذا الكتاب، أى القرآن المبطل لشرككم، وهو وحده الذى يبصر الصالحين من عباده، هذا هو إلهى الذى أعبدته، أما الذين تدعونهم لنصركم ولما فيه معكم فهم عاجزون لا يستطيعون نصركم، بل ولا نصر أنفسهم فصلا عنكم، كما تقدم.

وكررنا لزيادة توبييحهم وإن تدعوهم إلى أن يدلوكم على ما ينصركم لا يسمعوا دعاءكم مطلقا.

وكان المشركون اتقنوا صنع آلهتهم حتى يدخلوا الرهبة في قلوب مَنْ يقف أمامها فوضعوا لها أعينا صناعية بها حدق من الزجاج والجواهر تتجه جهة الداخل عليها كأنها تنظر إليه، لذا قال سبحانه محقرا أمرها:

وترى أيها المؤمن الناظر إليها أنها تنظر إليك، وفي الحقيقة هي لا تبصر.

ويعد ما فرغ سبحانه من بيان أصول العقيدة المبنية على التوحيد، شرع في بيان أصول الفضائل فقال حاثا على ثلاثة أصول منها: الأول :

خذ أيها المؤمن من الناس السهل، أي تقبل منهم سهل الأمور ولا تشق عليهم إذا ما طلبت من أحدهم شيئا، وأمر غيرك بكل خير وابتعد عن معاشرته ومجادلة السفهاء شديدي الحق، وإن شعرت بوسوسة الشيطان فسارع بالاستمادة منه إلى الله، وأطلب منه حفظك فإنه سميع لدعاء عبده، علم بإخلاصه فيطرده عنه. وبهذا تكون من خيار المتقين الذين من صفتهم أنهم إذا شعروا بوسوسة الشيطان في معصية، تذكروا عداوته لهم وإنجاء الله لمن يلجأ إليه سبحانه، فإذا بصيرتهم تضيء، وإذا بعزمهم يقوى فيهزم الشيطان.

أما إخوان الشياطين الحاضرون لهم فإن الشياطين تشجعهم على الضلال والفساد، ثم لا يسكتون عنهم حتى يهلكوهم وقد بلغ من تبجح كفار قريش واستهتارهم الذي أوقعتهم فيه شياطينهم أنهم كانوا إذا فتر الوحي وتراخى نزوله زمنا، يتندرون سفاهة ويقولون اختر يا محمد آية من عند نفسك واخترعها كما اخترعت غيرها زاعما أنها من عند الله.

قاتلهم الله أنى يؤفكون، فأمر سبحانه نبيه أن يقول لهم في أدب ووقار:

قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي وأست بمبتدع شيئا من القرآن من عندي لأنى، عاجز عن ذلك مثلكم، وهذا القرآن الذى أوحاه ربي إلى حجج نضىء القلوب كالبصائر لها، وهو نورها الذى يهديها للحق.

المفردات: ﴿استمعوا﴾: الاستماع أبلغ من السماع لأنه لا يكون إلا بقصد وتوجيه السمع إلى الكلام لإدراكه، أما السمع فقد يحصل من غير قصد.

﴿انصتوا﴾: الإنصات السمكوت لأجل الاستماع لا يشغل بغيره.

﴿تضرعاً﴾: التضرع هو إظهار الضراعة وهي التذلل له سبحانه والمبالغة في العصور.

﴿خيفة﴾: هي حالة الخوف والخشية.

﴿العدو﴾ أصله مصدر عدا يعدو بوزن نما إذا ذهب في وقت الفدوة وهي ما بين المجر وطلوع الشمس، ثم توسعوا في العدو

حتى صار يستعمل في مطلق الذهاب، انظر الآية (١٢) من سورة سبأ صفحة (٥٦٤)، والمراد به هنا وقته وهو العدو مصم أوله، كما يقال اتيك طلوع الشمس، أي وقت طلوعها، ﴿والأصائل﴾ جمع أصيل وهو ما بين المصير والغروب، انظر الآية (١٢) من سورة الأحرار صفحة ٥٥٦، والآية (٢٥) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٢.

﴿الذين عند ربك﴾ المراد بهم الملائكة.

﴿الأنمال﴾ جمع نمل بفتحتين كسبب وأسباب وهو الزيادة ولد قيل لصلاة التطوع نافلة، والمراد به هنا العنيفة لأنها من زيادة فضل الله.

﴿دات بيبكم﴾ ذات بمعنى صاحب، صفة لمحذوف، والبي من أسماء الأصداد، ما يطلق على الوصل والعرفقة، ومنه قولهم:

من الحير السقى في إصلاح دات البين، والمراد هنا المرققة.

مِنْ رَبِّكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَإِنَّا فَرَقْنَا
الْفُرْقَةَ أَنْ فَاتَمَّعُوا اللَّهَ وَأَصْبَحُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٢﴾
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْأَصْدَادِ وَلَا تُكَلِّمِ الْغَافِلِينَ ﴿١٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَصْدُرُكَ لَا يَتَّبِعُونَكَ مِنْ حَيْدَتِهِ
وَيَتَّبِعُونَكَ وَلَهُ يَرْجِعُونَ ﴿١٤﴾

(٨) سُورَةُ الْأَنْعَامِ الْكَافِرَاتِ
وَأَسْمَاءُ حَبْرَةَ سَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَنْعَامِ قُلِ الْأَنْعَامُ لِلَّهِ وَالرُّسُلُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا بِرَبِّكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

المعنى هذا القرآن بصائر، وكامل الهداية حتى كأنه هو نفسها، وسبب قوى لرحمة ربكم في الدنيا والآخرة للذين يؤمنون به، انظر ما تقدم في الآيات من (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة الأنعام صفحة ١٩٠. ثم بيّن سبحانه الطريق الموصل للرحمة بسبب القرآن، والموصل للتحصن من نزعات الشيطان، فقال : وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له بعناية، وأصغتوا لنعلموا معانيه لترجى لكم رحمة الله، واذكر أيها المؤمن ربك الذي خلقك وربك برفقه وعيانيته هي نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وفصله عليك وحاجتك إليه، حال كونك متضرعا له، وخائفا من عقابه، واذكره أيضا بلسانك ذكرا أقل من الجهر الذي هو رفع الصوت، وهو في السر بأن يكون ذكرا وسطا كما في الآية (١١٠) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٩، واذكره سبحانه في طرفي النهار، لأن من افتتح نهاره بذكر الله واحتتمه به كان حديدا بمراقبته تعالى طول يومه، ولا تكن من العاقلين عن ذكره هي سائر الأوقات هبسو قلبك ويستولى عليك الشيطان.

ثم أكد سبحانه هذا الأمر بالإشارة إلى أنه تشبه بملائكة الرحمن فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الخ: عندي مكانة ومنزلة لا عندي مكان ومنزل، وهم الملائكة المقربون المشار إليهم في الآية (١٧٢) من سورة النساء صفحات ١٢٢، ١٢٣، لا يستكبرون كما يستكبر المشركون، ويسبغونه أي ينزهونه عن كل ما لا يليق به وله وحده يسجدون فلا يشكون مهمه أحدا.

سورة الأنفال

لما كانت واقعة بدر هي أول عروة غم فيها المسلمون، وكان في الجيش رجال هي المقدمة يقاتلون وآخرون يحمون ظهورهم سأل بعض الصعابة النبي ﷺ كيف تقسم هذه العناثم وهي من قاتل فعلا ومن اقتصر عمله على حماية المقاتلين، ولما الحكم في قسمتها ليعطى كلاحقه؟ فسر قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ إلى الآية (٤١) الآية صمحتي ٢٢٢-٢٢٣، أي يسألونك عن كيفية قسمتها وعن مستحقها، فقل لهم - أمرها متروك لله بحكم فيها بما يشاء حسب حكمته، ورسوله ينمذ ما أمره الله تعالى، فاتقوا الله في الاختلاف على حطام الدنيا، وأصلحوا الحالة المصاحبة لتصرفكم في هذا وفي غيره، فعالجوا أسبابها حتى تزول وتعل محلها المودة والإحاء والإيثار، وأطيعوا الله ورسوله في كل ما يأمركم به، ولما سمع المؤمنون هذا التوجيه الكريم أصبحوا أخوة متراحمين يقدم أحدهم آخا على نفسه، انظر آخر سورة الفتح صمحتي ٦٨٣، ٦٨٤ والآية (٩) من سورة العنكبوت صمحة ٧٢١.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
 اللَّهُ وَرِثَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ رَأْسِهِمْ
 إِذْمَنُوا وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 آلِ الرَّسُولِ سَعْيُونَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَنَاصِبٌ ۚ وَذُرِّيَّةُ كَرِيمٍ ۖ
 لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۚ إِنَّ بَيْتَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
 الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ۚ يُخَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ
 مَا تَبَيَّنَ لَكُم مَّا كَانُوا يَقُولُونَ ۚ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْزَنُونَ ۚ
 وَإِذْ يَدْعُرُكُمْ إِلَهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ نَكُرُ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
 هُمُ كَذِبُ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَبُرْدُ اللَّهِ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ
 بِكُلِّ شَيْءٍ ۚ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۚ لِيُحِقَّ الْحَقُّ
 وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۚ إِذْ تَسْتَهِرُونَ

المعردات: ﴿وَحِلَّتْ﴾ : أى شعرت بالخوف
 شعورًا يحملها على العمل لدفع أسباب ما
 يحيف صاحبها، وورنه عرج، انظر الآية (٥٢)
 من سورة الحجر صفحة ٢٤١ والآية (٦٠) من
 سورة المؤمنين صفحة ٤٥١.

﴿مِن بَيْتِكَ﴾ : المراد المدينة المنورة.

﴿ذُرِّيَّةُ كَرِيمٍ﴾ : الكريم اسم جامع لكل ما
 بحمد ويستحسن في بابه، يقال رب كريم،
 وكتاب كريم، والمراد هنا خالي من الكدر.

﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ : هما المير والمير
 كما سيأتى .

﴿وَتَوَدُّونَ﴾ : أى تحبون.

﴿ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ : صاحبة القوة والملاح.

﴿يَحِقُّ الْحَقُّ﴾ : أى يثبت الحق ويعطيه.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ : المنزلة على رسوله بوعد بالظفر بإحدى الطائفتين.

﴿دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ : الدابر اسم فاعل من دبر بمعنى مدبر، والكلام كناية

عن قتلهم جميعا حتى احرهم.

(١) آياته

(٢) إيمان

(٣) الصلاة

(٤) رؤسهم

(٥) درجات

(٦) لكاهون

(٧) يجادلونك

(٨) بكلماته

(٩) الكافرين

(١٠) الباطل

﴿تستغيثون﴾ : أي تطلبون الموت والنصر منه تعالى.

المعنى إن كنتم مؤمنين اطيعوا. لأن من صفات المؤمنين أنهم إذا ذكر الله وحب فتوبهم من حلاله سبحانه فأسرعوا إلى طاعته، وإذا نلت عليهم آيات العزاز إردأوا بها يقينا وطمانينة، خصوصا إذا كانت آياته لم يسمعوها من قبل، فإن إيمانهم بها زيادة على إيمانهم بما سبقها ومن صفاتهم أنهم لا يوصون أمورهم إلا إلى ربهم ولا يعتمدون إلا عليه ومن صفاتهم أنهم يؤدون صلاتهم على أحسن وجوها ومن صفاتهم أنهم يسمعون بعض ما رزقهم الله في وجوه الخير هذه خمس صفات الدين يجمعونها هم المؤمنون إيمانا حقيقيا لا شك فيه هجراؤهم أن لهم درجات ومنازل عند ربهم هي دار الكرامة على قدر أعمالهم ولهم معصرة أي تجاور عما صدر عنهم من سيئات، ولهم رزق كريم سهل لا كدر معه، انظر آيتي (٩٥ - ٩٦) من سورة النساء صفحة ١١٨، والآية (٢) من سورة التوبة صفحة ٢٤٢ ثم أراد سبحانه أن يبين لمن كرهوا تقسيم العناثم على ما لا يحبون أن ما يكرهونه قد يكون هو الخير فذكرهم بكرامتهم لحرب فريش هي بدر مع أنها كانت فائحة الخير والنصر

وكان سببها أن المسلمين بينهم أن أنا سميان من حرب حرج من الشام ومعه غير كثيرة محملة بالأقوات لأهل مكة، فرغبوا في قطع الطريق عليه والاستيلاء عليها، نظير ما صادره المشركون من أموالهم بمكة لما هاجروا إلى المدينة، فعلم بذلك حواسيس أبي سميان فأرسلوا إليه من بلعه، فأرسل لمكة يستجد بهم، فمر نحو ألف مقاتل على رأسهم أبو جهل وهي الوقت نفسه حول أبو سميان طريقه إلى جهة البحر ليخرج من حصار المسلمين ولما خرج ﷺ من مكة لأحد العير، وكان من معه نحو ثلثمائة رجل، وقاربوا وادي بدر، علموا أن العير قد نجت، وأن بصير فريش وصل وادي بدر من الجهة الأخرى، فقال ﷺ

إن الله أوحى إليّ بأنه سيمكنني من إحدى الطائفتين العير أو البصير، وبما أن العير قد نجت فنجح العالبون إذا حاربوا هؤلاء فكره ذلك بعض المسلمين وأعلنوا أنهم لم يستعدوا للحرب، فمارال ﷺ برعبهم ويطمئئنتهم حتى التقى الجمعان، وتمت العلة للمسلمين ومن أراد معرفة تفصيل ما حدث في هذه العروة فليرجع إلى شرح حديث رقم (٤٧٦) من كتابنا صفوه

البيخارى. فقوله سبحانه ﴿كما أخرجك﴾ الخ، معناه أن أمر قسمة الغنائم موكول لله ورسوله وإن كره بعض الراغبين في النصيب الأولى كراهة ككراهة إخراج ريك لك من المدينة لعنات النفير إخراجاً مقترناً بالحق والصواب، والحال أن كثيراً من المؤمنين لكارهون لعدم استعدادهم.

ويلاحظ أن مد هذه الحال متسعة، ويسمى العلماء بالحال المقدرة، لأن الكراهة بما حدث بعد الخروج واليأس من الاستيلاء على العير كما علمت، بجادلوك في الحق وهو قتال الذي ثبت وتمين لهم بعد ما فاتتهم العير أي فلا معنى لحوقهم من الحرب كالذين يسافون إلى الموت وهم يظنون أسبابه لا يشكون فيها، مع أن الأولى بهم أن يقدموا على الحرب وهم موقنون بصدق وعد الله تعالى، ثم فصل سبحانه هذا الإجمال قال

وذكروا حين وعدكم سبحانه بأن إحدى الطائفتين العير أو النفير، ستكون لكم أي تطعمون بها وكنتم تحبون أن العير هي التي ستلاقيكم، لأنها محردة من قوة المدد والسلاح، وكان عدد رجالها لا يتجاوز الأربعين، أنتم تحبون ذلك ونكر الله تعالى العليم بما لا تعلمون يريد لأخرى ليهرم الشرك ويثبت الحق وبعليه، هضوى قلوبكم بكلماته التي أوحاها إلى رسوله بآيكم ستطعمون بما تلاقونه من الطائفتين، وبكلماته التي قصى بها قتلهم على أيديكم والتي أصدرها للملائكة بمساعدتكم ويريد سبحانه أيضاً أن يهلك صناديد الشرك حميفاً يثبت الحق وهو الإسلام، ويطل الكفر ولو كره المشركون المجرمون وذكروا أيضاً حين دخلتم المعركة وطلبتم الموت والمساعدة من ريك.

الممرات : ﴿فاستجاب لكم﴾ : أي أجاب دعائكم .

﴿ممدكم﴾ : أي ناصركم ومعينكم بتكثير جمعكم .

﴿مردفين﴾ قال الرابع المردف هو المتقدم على غيره بحيث يجعله حمله فالمراد

متقدمين على صفوف الحيش ليلقوا الرعب في قلوب الأعداء

﴿بعثيكم النعاس﴾ أصل العشاء العطاء كما تقدم في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤

والمراد إلقاء النعاس عليهم.

رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْمَلَأِكَةِ مَبْرُورِينَ ① وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُرْئًا وَنَجَاتٍ لَّكُمْ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَمِيرُ الْحَكِيمِ ② إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُفَسُ أَسَافَةً وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ③ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَلِيَّ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا لِلدِّينِ أَمْثَلُ مَا أَنَّى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ قَاضِرُونَ فَرَّقَ الْأَحْيَاءِ وَأَصْرَبُوا يَنْهَمُ كُلُّ بَنَدٍ ④ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَمَنْ يُلَاقِ اللَّهَ وَرُسُلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑤ ذَلِكَ فَذُوْقُوهُ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ طَابَ النَّارُ ⑥ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَمْثَلُوا إِذَا لَمِمْ الَّذِينَ

﴿أمة﴾ هي الأمن، وقد تقدم تسميها وتفسير التماس هي الآية (١٥٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٨.

﴿رجس الشيطان﴾ الرجز والرجس والركس كلها بمعنى الشيء المستقدر حسا أو معص، والمراد هنا وسوسة الشيطان.

﴿وليربط على قلوبكم﴾ : المراد بثبتها ويملؤها صبرا ، انظر الآية (١٠) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

﴿بنار﴾ يطلق على الأصابع وعلى أطرافها

﴿شاقوا الله ورسوله﴾ المراد عادوهم، فكانهم وضعوا أنفسهم في شق غير الذي فيه الرسول.

المعنى واذكروا حين كنتم تستغيثون ربكم إلخ، روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يوم بدر نظر ﷺ إلى أصحابه وهم نحو ثلثمائة رجل لا يكاد يوحد معهم حيل ولا سلاح وينظر إلى المشركين وهم نحو ألف معهم الحيل والسلاح، فاستقبل القبلة ومد يديه وقال اللهم أنحر لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يردد دعاءه وتصصره لربه حتى سقط رداؤه من فوق كتفيه ، فعاء أبو بكر رضي الله عنه هرع رداؤه فوق مكبيه ثم صمعه إلى صدره وقال يا نبي الله كهالك مشدتك ربك فإنه منحر لك وعده وهذا ما قال سبحانه فيه ﴿إد تستغيثون ربكم﴾ إلخ ، فأجاب دعاءه بقوله إني ممدكم ومضوى عنكمكم بألف إلخ ، وإنما استغاث ﷺ مع علمه بصدق وعده سبحانه لتقوية قلوب أصحابه، ولحوه أن يكون وعده سبحانه مشروطا بشرط حصي عليهم فمروطوا فيه، نظير ما تقدم هي أحد ، انظر آيتي (١٢٠ ، ١٢٥) من سورة آل عمران صفحاتي ٨٢ ، ٨٣. أي إني سأكثر عددكم كعدد أعدائكم من الملائكة الذين أمدمكم بهم متقدمين صغوفكم ثم بين سبحانه أن

هذا لإمداد كان روحانيا لتعوية قلوبهم فقط فقال وما حمل به هذا الإمداد إلا يشير لكم بالبصر ، ولتطمئن به قلوبكم فلا تحذف ، وما البصر في الحقيقه إلا من عند الله لا من ملك ولا غيره ، لأنه سبحانه عزيز عاين لا يغالى لا يعلمه شيء حكيم يعطى بصره لمن يستحقه كل هذا يدل على أنه مدد معنوي فقط وقد رأى بعضكم أن الملائكة قاتلت ، ولكن لمحمدين على أنهم كانوا للتبشير ولإطمئنان فقط وبقي هذا أنه لو قاتلت الملائكة لما بقي من المشركين أحد ، ولما كان هناك حاجة إلى هذا العدد منهم بل ملك واحد يكفي لأفناء أعظم منهم ولما كان هناك حاجة أيضا إلى إلقاء النعاس ليتفروا كما سيأتي ولا لئلا يطر لثقت أقد مهم ولما كان لأهل بدر هذا المصل العظيم ، ولذهب معنى الاقضاء بالصائرين على القتال في سبيل الله ولصاع أيضا معنى ابتلاء الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ليظهر المحلص الصابر وغيره انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صمحتي ٢٢ ٢٤ والآية (٤) من سورة محمد صمحتي ٦٧٢ ٦٧٣ ولما صبح الحصر في قوله ﴿وما جعله الله إلا شري﴾ ولأن كل قتيل من المشركين كان ممنوعا من قتله من المسلمين ، وقتل أبي جهل على الأحص معروف بالتوتر ، فإذا لم تقتل الملائكة أنا جهل فمن تقتل إذا؟ هذا هو الحق فلا يعتر بكثرة ما يروى من أحاديث وأثار غير ذلك ، فيها ما بين ضعيف أو مرسل لا يقوى على الوهوف في وجه الدليل القطعي والله أعلم . وأذكروا إذا بعثيكم ربكم النعاس تأمينا لكم ، وانظر بيان النعاس في سورة كونه كذلك هي الآية (١٥٤) من سورة آل عمران صمحة ٨٨ . وكان وادي بدر على سبعة أشهر الرمال السبعة لا يكاد يوجد فيه ماء ، فمن فيه يحتاج للماء لوجوه عدة خصوصا المسلم الذي يريد الطهارة للصلاة من كل حدث فذكرهم الله بإبرال المطر قبيل المعركة ، ليتطهروا ولتثبت أقد امهم في أثناء المعركة فلا تعوض في الرمال ، وبذهب عنهم وسوسة الشيطان بما يحربهم من عدم الصلاة لعدم الطهارة وثم يكن التيمم شرع في هذا الوقت ، وبذهب وسوسة الشيطان تقوى قلوبهم وقوة القلوب أقوى عامل في الأسصار وثبت أقد مكم في الوقت الذي يوحى فيه ربك للملائكة بأني معكم بالعون ، فثبتوا الدين آمنوا بالنطمين والتبشير سألقي في قلوب الكاهرين الرعب وهو الخوف الذي يملأ القلب وهذا حكاية لكلامه سبحانه الذي أخبر به رسوله ليحذر به أصحابه ليطمئنهم . ثم حكى سبحانه ما كان وجهه من الأمر للنبي ﷺ ليوجهه إلى أصحابه فقال فاصبروا الكفار في رعوسهم أي في المعاتل ، أو عطلوهم إن لم تستطيعوا قتلهم لأن من قطعت أصابعه لا يعساك سيما ذلك المتقدم كله إبرلاه بهم بسبب أنهم عادوا الله ورسوله ومن بعد الله تعالى ورسوله حل به العذاب الشديد ، لأنه سبحانه

كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ ⑤ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ
دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ قَدَّ بَاءٌ
بِمَقْصَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَتُ جَهَنَّمَ ⑥ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑦
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَيَسِّرَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَغْلَبَاتٍ خَسَنًا يَدْ
أَلَّهُمْ جَمِيعُ طَلِبِهِمْ ⑧ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْجِدُ مَكِيدِ
الْكَافِرِينَ ⑨ إِذْ تَسْتَعْجِلُونَ الْقِتَالَ بَاءٌ ذِكْرُ الْمَتَحِّ ⑩ وَإِنْ
تَدَبَّرُوا فَهُوَ غَيْرُ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدَّوْا نَعْدُ وَلَنْ تُنْفِيَ عَنْكُمْ
لِقَاتُكَ شَيْعًا وَلَوْ كَذَّبْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ⑪
يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ⑫ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
وَعَمْ لَا يُسْمَعُونَ ⑬ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عَذَابَ اللَّهِ

شديد العقاب. ثم خاطب من بقي من
المشركين بقوله: ذلكم أي هي الذي قدره الله
هو ذلك الذي رأيتموه من الانكسار، فتوقفوا
هذا المذاب الشديد هي الدنيا، وإن لكم هي
الآخرة عذاب النار إذا أصبرتم على كفركم.
ثم أراد سبحانه أن يعلم المسلمين كيف
يعاربون الكفار بعد هذه الواقعة فقال:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ﴾ إلخ.

المفردات: ﴿زحفا﴾: هو مصدر زحف إذا
مشى على بطنه كالحيات، ويشبه به مشى
الجيش الكثير الذي يراه الناظر إليه لكثرة
كانه يزحف، والمراد زاحفين.

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾. لا تعطوهم ظهوركم، والمراد لا تهزموا. ﴿متحرفا لقتال﴾:
المتحرف هو الصعرف من جانب إلى آخر. ﴿أو متحيزا إلى فئة﴾ المتحيز المنتقل من حيز
إلى حيز، والحيز المكان، والفئة الجماعة كما في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صمحتي ٥١،
٥٢. ﴿باء مقضب﴾ أي رجع مقترنا بفضب. ﴿وماواه جهنم﴾: أي مسكه جهنم. ﴿بئس﴾ فيج
﴿المصير﴾. النهاية التي صاروا إليها. ﴿وليبلو المؤمنين﴾. أي يمتحنهم. انظر الآية (١٦٨)
من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠. ﴿موهن﴾. مصعب، والمراد هنا مطل. ﴿تستعجلوا﴾. أي
تطلبوا من الله المتح والنصر. ﴿المتح﴾. النصر. ﴿فئلكم﴾. جماعتكم. ﴿الدواب﴾: كل ما دب
على وجه الأرض.

المعنى: إذا لقيتم الكفار حال كونهم زاحفين لقتالكم زحفا لكثرتهم فلا تفروا، ومن يفر
منكم، وقت القتال غير متهيئ لنوع من أنواعه ليظفر بعذوه كأن يوهم حصمه أنه منهزم ليفريه
باتباعه حتى يتعد عن جيشه فيكر عليه فيقتله، أو غير منحا إلى جماعة من إخوانه رأى

تكاثر العدو عليهم فصاروا أحوج إليه من الجهة التي كان فيها، فمن يصر لغير ذلك أو يحوه فقد استحق عصب الله ومكانه الذي يأوي إليه في الآخرة هو جهنم، وقبعت مصيرا ثم نيه سبحانه المؤمنين إلى أن طاعه سبحانه هي سبب نصرهم فلم تقتلوهم مع قتلكم لولا تأييد الله لكم، ولكنه سبحانه قتلهم بنصركم عليهم. ثم وجه سبحانه الخطاب لسيده ﷺ فقال وما رميت إذا رميت يا محمد التراب في وجوههم ولكن الله هو الذي رمى، أي أوصله إلى عيوبهم فشعروا عنكم هزمتهم وبيان ذلك على ما روى أنه ﷺ لما بدأت المعركة أحد قبضة من تراب ثم رماها في جهة العدو قائلا شأنت الوجوه! أي قبعت، فأوصل الله عز وجل التراب إلى عيوبهم وصح أن يكون المعنى فما رميت أيها المؤمن بسهمك وقوسك ولكن الله تعالى هو الذي سدد رميك ووقفك. والعرض من هذا هو تمويدهم بعد أحد الأسباب على الرجوع إليه سبحانه أنظر الآية (١٤) من سورة التوبة صفحة ٢٤٢

فهل سبحانه ذلك ليؤيد رسوله. ويمحق الكافرين، ويختبر المؤمنين بالعسائات من النصر والعيمة، ليظهر شكرهم له، فيريد نعمه عليهم إنه سبحانه سميع لدعائهم، عليم بصديق بيئاتهم، (دلكم) إلخ، أي أن مراد الله هو ذلكم الذي حصل من البلاء ومن التوهمين، أي إبطال كيد الكافرين به ﷺ ومحاولتهم القضاء على دعوته، وكان أبو جهل عند خروجه من مكة قال اللهم إن دينا قديم ودين محمد حديد فأى الدينين أحب إليك فأنصر صاحبه، فمى هذا حاطب سبحانه المشركين بقوله إن تستمتعوا أي تطلبوا النصر فقد جاءكم النصر لأحق الطرفين به فبعد هذا إن تنتهوا عن كمركم فانتهاؤكم حير لكم، وإن تعودوا لمحاربته بعد لنصره عليكم، ولن تعنى عنكم جماعتكم شيئا ولو كثرت عُدَّة وعددا، لأن الله مع المؤمنين بالنصر، ومن كان الله معه لابد أن يتنصر. وبعد المراع من عروة بدر انتقل سبحانه إلى إرشاد المؤمنين إلى طريق النجاح، وإلى عدم الطمع في حطام الدنيا كما كان بعضهم ظالما في العنائم، فقال يأيها الدين امنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عن الرسول وتعرضوا عن أوامره، والحال انكم تسمعون منه كلام الله القاطع بوجوب طاعته، ثم قرر سبحانه هذا المعنى بقوله ولا تكونوا كالذين ادعوا السماع والمهم وهم المنافقون وأهل الكتاب، أنظر الآية (٤٦) من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (١٦) من سورة محمد صفحات ٦٧٤، ٦٧٥، والحقيقة أنهم لا يسمعون سماع قبول. ثم أراد سبحانه أنه بين شاعة حال هؤلاء الكفار الذي يهاكم عن التشبه بهم نعتيرا للمسلمين منهم فقال إن شر الدواب في حكم الله

الْصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ ۖ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ يَنْتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَهُ الْغُيُوثِ ۚ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الْيَهُودِ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَهْدِكُمْ عَاقِبَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ وَادْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُتَضَاعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تُحَاذِرُونَ أَنَّ يُفْطَمَكُمُ النَّاسُ فَعَلَوْا نَكَرًا وَأَيدُّوا بِكُمْ بَعْضُهُمْ ۚ وَذَرَفْتُمْ مِّنَ الطُّبَيِّثِ لَمَلَكُمْ فَسَكْرُونَ ۚ يَنْتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاقُوا اللَّهَ وَارْسُولَ النَّبِيِّاتِ ۚ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُمُورُنَا وَأَمْرُكَ وَآوَلَدُكَ زِينَةٌ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ جِنْدُهُ وَأَبْرَ عَظِيمٌ ۚ يَنْتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا

المعردات ﴿الصم﴾ الذين لا يسمعون
﴿الكم﴾ الذين لا يكلمون
﴿استجيبوا لله﴾ أي اجيبوا دعوته
بالطاعة والامتثال مع المسابة
﴿لما يحييكم﴾ أي لكل ما يعمل لحياتكم
قيمة كالعلم النافع والجهاد في سبيل الله من
الأمر التي تحقق العزة والكرامة
﴿وتحاربوا أمماتكم﴾ هي كل ما انتم
عليه الإنسان من الحقوق العامة والخاصة
﴿وأولادكم فتنة﴾ أي سبب احتساب
وامتناع يظهر به الطائع وغيره.

المعنى إن شر ما يدب على وجه الأرض هم الأشرار من البشر الذين أصموا، يدبهم عن سماع القرآن حوفا من تأثيره عليهم، كما هي الآية (٢٦) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢، و الذين يسمعون ولكن لا يريدون فهمه كالصافقين هي الآية (١٦) من سورة محمد صفحة ٦٧٤ و الذين يستمعون للبحث عن شبهة يطعمون بها عليه كاليهود هي الآية (٤١) من سورة المائدة صفحة ١٤٤، ومنهم من يسمع للنعم والطرب لا للمهم والاعتبار هؤلاء كالأنعام بل هم أصل، انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، وإذا تأملت ما تقدم في آيتي (٨١) (١٧١) من سورة البقرة صفحات ١٦، ٢٠، ٢٣ وهي الآيات (٤٢، ٤٣، ٤٤) من سورة يونس صفحة ٢٧٢، والآية (١٢) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧، تعالى لك عدل الله هي معاملة هؤلاء الكافرين ومن يليهم من العصاة، وهم بكم لا يقولون، ولا يعقلون المرق بين الحير والشر، ولو علم الله فيهم استعداد للهداية وبقية من نور المطرة لأسمعهم سماع قبول وتدبر، ولو أسمعهم بعد علمه أن لا حير فيهم لتولوا عن الضبول والحال أنهم معرضون قبل ذلك

بقلوبهم. أي لجمعوا إلى الإعراف السابق الانصراف اللاحق عن قبول الحق وبعدما هيا سبحانه المؤمنين للاقبال على سماع الخبر حتى لا يكونوا كشر الدوب قال يا أيها الذين آمنوا استحيوا لله وللرسول إذا دعاكم الرسول المصلحة عن الله تعالى لما فيه حياتكم وعزركم واعلموا أن الله يحول بين المرء وبين ما ينمناه بقلبه من طول الحياة ومسيح الأمل. بأن بعينه فحياة أو قبل. لتمكن من الحصول على ما يشتهي فالمراد لا تتأخروا عن عمل الخير لحظة فقد يعاجلكم الموت. فهذا أبلغ من قوله (اعمل لأحرتك كأنك تموت غد) واعلموا أنكم إلى الله تحشرون يوم القيامة فيجاربكم على قدر أعمالكم واتقوا أيها المؤمنون وقوع حسنة بينكم بالتقارع ولتعاينهم على الدنيا. فقاوموها ونجسوا أسبابها. بأن ينهي بعضكم بعض عما يؤدي إليها لأنها إن وقعت فسيعم عذابها الظالم والمرء قال ﷺ (إن الله لا يمدب العامة بفعل لحصة حتى يروا المكر بينهم وهم قادرون على أن يكرهه فلم يكرهه. هذا همدوا ذلك عذب الله العاصية و العامة). واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وادكروا أيها المؤمنون حين كنتم قلة ضعفاء هي مكة وهي المدينة تعاهون أن يتحطمكم الكفار من عرب أو فارس وروم. فأواكم سبحانه إليه أي حماكم من عدو أصبح عددا وقوة وأيدكم بصره هي بدر وسيؤيدكم على لمرس والروم إذا اتقيتم. وورقكم من الطيبات كالعمائم التي لم تحل لأحد قبلكم لعلكم تشكرون نعمه بطاعة أوامره.

يا أيها الذين آمنوا لا تحبوا الله بترك فرائضه وارتكاب معاصيه. ولا تحبوا الرسول بإهمال تعاليمه وإرشاداته ولا تحبوا أمانات المسلمين وهي كل ما كان بينكم وبين قاداتكم من شئون الدولة خصوصاً الحربى منها. وما كان بين الأفراد بعضهم مع بعض. أي لا تجور أن يحصل منكم ذلك خصوصاً وأنتم تعلمون مفاسد الحياة هي الدنيا والآخرة واعلموا أنما أموالكم وولادكم أعطاه الله تعالى لكم ليعاملكم معاملة المحتبر الممتحن ليظهر من يقدم رصوا الله ومصلحة نفسه وولده. ومن ذلك أن يجعل الرجل بالمال يبدله في سبيل الله ليدخره لولده أو يحاف على ولده من الموت إذا دعى للجهاد. أما من بدل ماله وولده في سبيل الله فهو الذي يحج في الاحتبار فاسحق الجنة والأجر العظيم. انظر آيتي ٢٤، ١١١ من سورة

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْعَرْشِ الْعَظِيمُ ① وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرُورِينَ ② وَإِذْ تُنزلُ عَلَيْهِمْ
هَازِغًا قَالُوا قَدْ جَاءَنَا لَوْحٌ مِثْلُ هَذَا إِن كُنَّا مِنْهَا
إِلَّا أَنْظِيرُ الْأُولَى ③ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَلْنُظِرْ عَلَيْنا جَنَّةً مِّنَ السَّاءِ أَوْ إِنَّا
بِعَذَابِ الْآلِمْ ④ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ لَيْسَ
بِمَعْلُومٍ ⑤ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ⑥ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُمْ إِلَّا الضَّالُّونَ وَلَنْ يُكْرِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْتَرُونَ ⑦ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عَنِ الْبَيْتِ إِلَّا

المفردات: ﴿فرقاناً﴾: صيغة مبالغة من
مادة الفرق وهو الفصل بين شيتين أو أشياء،
والمراد بالمرقان هنا كل ما يصرق بين الحق
والباطل، من علم نافع، ونور بصيرة، ونصر
على أعداء.. ويطلق على القرآن باعتباره
اشتماله على ذلك.

﴿ليثبتوك﴾: أى يمنعوك عن الحركة
بريطك بوثائق كالمبين فى الآية (١) من سورة
محمد صفحتى ٦٧٢ ، ٦٧٣ أو يعبسوك.

﴿اساطير﴾: جمع أسطورة ، والمراد بها
هنا الأكاذوبة، انظر الآية (٢٥) من سورة
الأنعام صفحتى ١٦٥ ، ١٦٦ .

﴿فماطر علينا.. إلخ﴾. أى كما تقول يا محمد أنه حصل لقوم لوط فى الآية (٨٢) من سورة
هود صفحة ٢٩٦.

﴿أو اثنتا بعذاب اليم﴾: من عطف العام على الخاص. ﴿ليمذبهم﴾: اللام تفيد تأكيد النص
قبلها، المفهوم من (ما) وهى متعلقة بخبر كان المقدر أى وما كان الله مريدا لعذابهم..

﴿أولياءهم﴾: أى ولاية أمره المحافظين عليه. ﴿إن أولياؤهم إلا المتقون﴾. إن حرف نفى أى ما
أولياؤهم إلا المتقون.

﴿البيت﴾: إذا أطلق البيت فى القرآن فالمراد به الكعبة..

المعنى: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله فيما أمر به ونهى عنه يجعل لكم نورا تفرقون به
بين الحق كما فى الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآية (٢٨) من سورة الحديد

صفحتي ٧٢٢، ٧٢٤، وينصركم، ويكفر عنكم الصفائر، ويعفر لكم الكاثر، وليس هذا بعير عليه بأنه صاحب الفضل العظيم، ثم أراد سبحانه أن يذكر نبيه ببعض فضله عليه فذكر له حاله مع قومه بمكة وكيف نجاه منهم، وحسن هذا التذكير محبته عقب بصره له على الظالمين العائنين الصادين عن بيت الله فقال ﴿وإذا يمكر بك﴾ إلخ، وكان الذي حصل منهم أنهم لما مات عمه ﷺ أبو طالب وكان هو المدافع عنه، طمع كمار قريش في الخلاص منه، فاجتمع صناديدهم في بدوتهم يحقق التخلص منه ﷺ لأنه سفه عقولهم وحقر آلهتهم، فقال قوم نحبه حتى يموت، وقال آخرون لا بل نخرج من مكة وقال آخرون غيرهم لا بل يقتله على أيدي فتيان من القبائل كلها فيتغرق دمه في القبائل ويمحز أهله عن القصاص له، عند ذلك أحبره جبريل عليه السلام بما دبروه، وبلغه أن الله سبحانه أدب له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وحبب الله مكرهم فالمعنى: وأذكر أيها النبي فضل ربك عليك حين مكر بك الكافرون من قومك وهي وطنك مكة، وفكروا في ربطك بالسلاسل، أو سجنك حتى تموت، أو قتلك أو بغيك بإخراجك بعيدا عن الأوساط العربية. ولعل الحكمة هي تأخير سبحانه الإخراج في الذكر مع أنهم قدموه في تفكيرهم وأعرضوا عنه وعن الحبس وأختاروا القتل، للإشعار بأن الإخراج هو الذي حصل فعلا كما في الآية (١٩١) من سورة البقرة صفحة ٢٧، والآية (٤٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٧، والآية (١٢) من سورة محمد صفحة ٦٧٤، والآية (٩) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٦، ولكن لا كما كانوا يريدون من طردة تحت سطوة عصبيتهم، بل خرج تحت رعاية ربه، وليس إلى مكان تموت فيه دعوته كما كانوا يتمنون بل إلى مكان تمت فيه وترعرعت وكانت نكبة عليهم دكت حصون شركهم فما هنا أشبه بما في الآية (٨) من سورة المائدة صفحة ٧٤٤، ويمكرون أي أن هذا حالهم دائما معكم أيها المؤمنون، ويمكر الله بهم لكم ليحمضكم من كيدهم، والله خير الماكرين، لأن مكره نصر للحق وخذلان للباطل، وقد تقدم معنى المكر في الآية (٥٤) من سورة آل عمران صفحة ٧١، والآية (٩٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨، ثم ذكر سبحانه بعض مكابرتهم وعيادهم فقال: وإذا تتلى عليهم آياتنا

المرلة في القرآن قال بعضهم ووافقه الآخرون لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ثم عللوا دعاءهم الناطل بما هو أشد منه بطلانا حيث قالوا ليس هذا الكلام الذي يقوله محمد إلا احاديث سطرت قديما في كتب الأولين فكتبت له وصار يرددها، أنظر الآية (٥) من سورة المرقان صفحات ٤٧٠ ، ٤٧١، ورد سبحانه على هذا الافتراء في مواضع أخرى من القرآن مثل ما جاء في آيتي (٢٧ ، ٢٨) من سورة يونس صفحة ٢٧٢.

والآية (١٣) من سورة هود صفحة ٢٨٥. ثم ذكر سبحانه نوعا عجيبا من عنادهم فقال ﴿وَإِذَا قَالُوا لِلَّهِ﴾ روى أن أبا جهل وجماعة قالوا يارب إن كان ما يقوله محمد هو الحق فإنا نعصل أن نزل علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو ترسل لنا عذابا آخر مؤلما، فإنا لا نتبع إلا رجلا عظيما لا نرى صغيرا كمحمد. أنظر الآية (٢١) من سورة الرحرف صفحة ٦٥٠، وروى أن معاوية بن أبي سفيان قال لرجل من سبأ بلد بليقيس ما أحهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال الرجل قومك أحهل من قومي حين قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، وكان الواجب أن يقولوا هاهنا إليه، ثم رد سبحانه بقوله وما كان الله مريدا، لعذابهم عذاب إفتاء وأنت هيهم والمراد بقوله وأنت فيهم أي وأنت رسولهم أيها النبي، وما كان معذبهم وهم المستضعفون من المسلمين الذين عجزوا عن لهجرة، أما ما دون عذاب المناء فإنه يقع بهم إذا استمروا على حالهم.

وهذا معنى قوله وما لهم ألا يعذبهم الخ، أي أي شيء من القوة ثبت لهم حتى يمنع عنهم عذابنا والحال أنهم يستحقونه بمنعهم المسلمين من دخول المسجد الحرام وقد عذبهم فعلا بقتلهم وأسرههم وهزيمتهم في بدر، وهم حين منعوا الناس عن المسجد الحرام لم يكونوا أصحاب الولاية عليه لشركهم بالله صاحب البيت، ولا يصح أن يتولى بيت الله إلا الأنقياء الصالحون، ولكن أكثر الكفار لا يعلون، أي لاحق لهم في الولاية على البيت، وقليل منهم يعلم ويعاند ورأى بعضهم أن ضمير أولياء وأولياء يعود إليه سبحانه وتعالى ثم بين سبحانه بعض ما يمنع ولايتهم على المسجد فقال: وما كان صلاتهم أي عبادتهم عند البيت الحرام إلا مكاء إلخ..

مَكَاةً وَتَصَدِيقَةً فَلْيُؤْثِرُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُعَذِّبُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 فَسَيُعَذِّبُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُعَذِّبُونَ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنَّ جَهَنَّمَ بُحْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
 الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُمْ
 جَمِيعًا مَجْجَلَةً فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٧﴾
 قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
 يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ وَفَتَنَلَهُمْ حَتَّى
 لَا تَكُونَ دِينًا وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ أَهْلًا
 اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بِهِنَّ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هِيَ
 تَوَلَّتْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنِجْمَ الْعَصِيرِ ﴿٦٠﴾ وَأَعْلَوْا
 أَعْمَاءَ غَيْثٍ مِنْ شَيْءٍ وَمَا لِلَّهِ عَمَّا تُرْسِلُونَ وَلِلَّهِ

المفردات: ﴿البيت﴾ إذا أطلق البيت في القرآن فالمراد به الكعبة.

﴿مكة﴾ هو الصمير.

﴿تصدية﴾: هو التصفيق.

﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ - انظر الآية (٥٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٠.

﴿فيركبه﴾: يقال ركبه إذا جمع بعضه إلى بعض، ومنه سحباً مركوم انظر الآية (٤٤) من سورة الطور صفحة ٦٩٩.

﴿مضت سنة الأولين﴾ أي طريقة الله في معاقبة الأولين. ﴿لا تكون فتنة﴾ المراد بها

تعذيب المسلمين بمكة وغيرها كما هي الآية (١٩١) من سورة النقرة صفحة ٣٧. ﴿ما غنمتم﴾ ما استوليتم عليه من العنائم. والعزيمة هي عرف الشرع ما استولى عليه المسلمون من المنقولات في حرب الكفار عنوة، أما ما استولوا عليه من الأرض التي تمنح عبوة فإنه لا يجب قسمتها كالعنائم بل يتصرف فيها الإمام بما هو المصلحة

المعنى: أراد سبحانه أن يبين عدم صحة ولا يهتم على المسجد الحرام فقال ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ إلخ، روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت رجالاً ونساءً متشاكين بالأدراع وهم يصفرون ويصفقون، ولعلها عادة تسربت إليهم من مزامير بني إسرائيل، فالمراد: وما كانت عبادتهم عند البيت الذي كرمه الله إلا لهواً ولعباً، فقلنا لهم دوقوا العذاب الذي استحققتموه بسبب كفركم المتأصل، ومن هذا العذاب ما حل بهم في بدر من قتل وأسر وهزيمة، ثم بين سبحانه ما كان من استعداد قريش لما حصل في بدر وما سيكون منهم لغيرها فقال ﴿إن

الذين كفروا يصفون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو الإسلام، فمبهمقوبها هي سبيل الشيطان ثم تكون عليهم حصرة ويدما لدهابها عبثا مع انكسارهم المرة بعد المرة، وهي الآخرة يساقون إلى جهنم فقط لا يرون غيرها، وسيعمل سبحانه ذلك ليميز أي يفصل الحبيث من الطيب فلا يجعلهما سواء كما في الآية (١٠٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٧، وآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة السجدة صفحات ٥٤٦، ٥٤٧ ويحمل سبحانه المريق الحبيث بعصه منصبا فوق بعض فيجعله في جهنم كما يجمع الحطب حرما في النار، وهذا إشعار بمتى الإهانة أولئك المجرمون هم وحدهم الحاسرون لكل خير. ثم فتح سبحانه باب الأمل في رحمته فقال قل أيها النبي للذين كفروا إن ينتهوا عما هم عليه ويسلموا بامر الله لهم جميع ما سبق منهم من الكفر والمعاصي، وأن يعودوا إلى معادتك والصد عن الإسلام فإن الله يمضي فيهم سبته وطريقته التي يمدها في أمثالهم من الإهلاك كقوم نوح وعاد وثمود وقرعون، عاد عادوا فقاتلوهم أيها المؤمنون حتى لا يقع منهم إبداء لمن يسلم، ويصير الدين كله لله لا يستطيع أحد أن يعذب ويكره أحدا على ترك دينه انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحة ٥٢، ٥٤، فإن انتهوا عن الكفر وقاتلكم جميعا ربهم الله حيرا لأنه يصير بما يفعلون، وإن تولوا وأعرضوا ولم ينتهوا فلا تبالوا بهم وأعلموا أن الله تعالى متولى أموركم، وهو نعم المولى ونعم النصير، فلا يحاف من يتولاه، ولا يعلب من يصبره، وبعد ما نبه سبحانه المسلمين إلى ضرر التراحم على الدنيا وأعلمهم أن الأمر في تقسيم الأنفال التي هي غنائم الحرب موكل إلى الله ورسوله، أراد هنا أن يبين هذا الحكم فقال وأعلموا أن ما غنمتموه من شيء ولو كان قليلا، فالواجب أن يقسم إلى خمسة أقسام خمس لله يصرف فيما يرضيه من مصالح المسلمين العامة، وللرسول يأخذ كفايته وكفاية نسائه.

المفردات «يوم العرقان». تقدم أصل معناه في الآية (٢٩) من هذه السورة صفحة ٢٢٠، ٢٢١. وقد أطلق على القرآن وما فيه من الآيات (١٨٥) من سورة البقرة صفحة ٢٥ و ٢٦ و (٤) من سورة آل عمران صفحة ٦٢ و (١) من سورة العرقان صفحة ٤٧٠ ويوم العرقان هو يوم ١٧ من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وهذا اليوم حصل فيه أول نزول القرآن

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآتَى السَّبِيلَ إِنْ كُنْتُمْ
 آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقُرْآنِ يَوْمَ النَّارِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَدِيرٌ ① إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ
 الدَّنِيَّةِ وَأَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الْنُفُورَى وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ
 وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَمْتُمْ فِي الْعَهْدِ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمَنْعَهُمُ اللَّهَ
 أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ
 حَيَّ مِنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ② إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ
 فِي سَبْعِ نَفَسٍ قَبْلَهُمْ وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفِطَنَّاكُمْ وَلَتَسْتَخِفَّنَّ
 فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ③
 فَلَاذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِدَاتِ الْعَذَابِ فِي أَمْرِكُمْ قَبْلَهُ وَيَقْلِلَنَّ
 فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْسِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِنَّ اللَّهَ
 لَرْجُوعُ الْأُمُورِ ④ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

وموقعة بدر. وقال بعض العلماء أن العادة جرت على أن يجعل اليوم المعين بالمعد محلاً لما وقع فيه من الحوادث وإن كانت في سبب متعددة، فيقولون: في يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم بجى الله نوحاً، وفيه بجى موسى إلخ، فالיום واحد وهو ١٧ من شهر رمضان حصل فيه حادثان عظيمان نزل أول القرآن في ليلته، وقد عهد نسبة ما في الليلة إليها تارة وإلى يومها أخرى، ووقع فيه أول قتال مع المشركين في بدر، ولا شك أن أعظم نعمة هي نعمة نزول القرآن العارق بين الحق والباطل إلى قيام الساعة، فهو الأولى

أن يسمى عرفانا. أما انتصار المسلمين في موقعة أعقبها انكسارهم في أخرى وهي أحد كما تقدم في آل عمران فليس له من المنزلة مثل ما لسرول القرآن.

﴿الجمعان﴾: جمع المسلمين وجمع المشركين.

﴿العدوة﴾: جانب الوادى وناحيته والمراد وادى بدر.

﴿الدنيا﴾ مؤنث الأدنى بمعنى الأقرب، والمعنى الناحية القريبة من المدينة المنورة.

﴿الركب﴾ المراد به ركب أبى سفيان المشار إليه في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٢٢٧.

﴿أسفل منكم﴾ المراد في مكان أسفل مما أنتم فيه وهو ساحل البحر كما تقدم

﴿ولو تواعدتم لاختلفتم﴾. أى ولو اتفقتم على الموعد الذى تقابلتم فيه لاختلفتم فسبق

أحدكما الآخر.

﴿ليهلك﴾: المراد بالهلاك هنا الكفر لأنه سببه.

﴿ويحيى﴾ يؤمن . فالإيمان حياة من موت الكفر كما تقدم في الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢

﴿فته﴾ أصل المئة الجماعة . واستعملها المراد في الجماعة الممثلة . انظر الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحات ٥١ ، ٥٢ والآية (١٢) من سورة آل عمران صفحة ٦٤ .

لعمري ويعطى من هذا الخمس الأول أقرب أهله عليه السلام وعشيرته نسبا وولاء وبصره في الدين . ويسهم عليه السلام بأنهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب المسلمون منهم ويعطى منه أيضا المحتاجون من سائر المسلمين وهم اليتامى المضرء والمساكين وابن السبيل . انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحات ٢٣ ، ٢٤ وذكر اليتيم مع دخوله في المساكين دهما لنوهم أن العزيمة لا يستحقها . لا المحامد وهو صغير لا يحامد . والأربعة الأحماس الباقية تقسم على الجنود الذين حصروا المعركة وقد سقط سهمه عليه السلام وسهم قرأته بعد موته

قسموا أيها المؤمنون العنائم كما امرتم إن كنتم أمتتم بالله إيمانا صحيحا يوجب عليكم طاعته ، وأمتتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات ، وأمتتم بما أنزلنا عليكم عند النقاء جمعكم وجمع المشركين سدر من الملائكة والمطر والنعاس وكل أسباب القوة والبصر وكل هذا يسير عليه تعالى لأنه سبحانه قدير على كل شيء . واذكروا أيضا حين كنتم بناحية من وادي بدر قريبة من المدينة والأعداء هي العباب الأبعد منه . والحال أن ركب أبي سفيان الذي كنتم تريدونه في مكان أسفل مما أنتم فيه وهو ساحل البحر بعيدا عنكم . وكان فرار أبي سفيان إلى الساحل وترك الطريق الأصلي هو السبب في التفانكم مع المشركين ببدر بدون تواعد ولذا قال ولو تواعدتم أنتم وبغير أبي جهل على اللقاء في هذا المكان في ذلك الوقت لأمكن احتلافكم هي المععاد لتهييكم الحرب بدون استعداد كما تقدم . ولحصر عرصكم في أحد العير . ولأن عرص أكثر المشركين كان إيقاد العير بدون قتال . ولكن جمعكم الله على غير موعد ولا رغبة ليقضى أمر كان مقررا في علمه أنه يفعل وهو قتالهم وهزيمتهم . ليهلك باستمراره على الكفر من أراد ذلك بعد وضوح الحق حتى لا يكون له عند الله يوم القيامة حجة . ويؤمن من آمن عن يقين بأن الإسلام حق . وأن محمدا رسول الله صدقا . وأن الله السميع لأقوال الطرفين . فليعلم بما هي صدورهم . وسيجاري كلاهما يسحق . واذكر أيها النبي

حين أراك الله في منامك قلة عدد الكفار وقد كان ﷺ رأى في منامه قبل المعركة رؤيا تمثل المشركين قليلا عددهم جدا، فأحبر بها أصحابه ليطمئنوا، لأنها تفيد ضعف العدو وحذابه مهما كثر عدده، ولو أراكم في المنام كثيرا لخفتم، والخوف يورث الجبن والتراجع، لأنكم لستم في قوة الإيمان سواء، بل كان هيكم من يجادل في القتال كما تقدم في الآية (٦) من هذه السورة صفحة ٢٢٧، ولكن الله تعالى سلمكم من عواقب الفشل وتفرق الكلمة، لأنه عليم بما في قلوبكم من الإخلاص وما في قلوبهم من الجحود والكفر فسلمكم وأهلكهم، لأنه سبحانه قال: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ الآية (٤٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٧، ثم خاطب المؤمنين كافة بما يؤيد الرؤيا فقال واذكروا إذ بريكموهم الله حين قاربتم الالتقاء بهم قليلا في نظر العين تصديقا لرؤياه ﷺ ليزداد يقينكم وتشجعوا وأيضا إذا انضم إلى ذلك يقينكم بأن لكم إحدى الحسنيتين الظفر والعنيفة أو الجعة اشتد إقبالكم على القتال بروح عالية وهذا من أقوى أسباب الغلبة، ويقللكم في أعينهم حتى عن الواقع ليقدّموا على القتال ولا يجنبوا وأيضا ليفتروا بكثرتهم فيستهيئوا بكم، واستهانة المقاتل بخصمه من أسباب هزيمته، ولكن لما بدأ القتال فعلا وقع في نظر المشركين أن عدد المسلمين يبلغ ألفين كم تقدم في الآية (١٢) من سورة آل عمران صفحة ٦٤، فضعفوا واستولى عليهم الرعب، فالتقليل والتكثير كانا في وقتين فلا تعارض، فهو نظير ما في الآية (٢٤) من سورة الصافات صفحة ٥٨٨ من سؤال الكافر يوم القيامة مع ما في الآية (٣٩) من سورة الرحمن صفحة ٧١١ من عدم السؤال في أن كلا في وقت غير وقت الآخر. فعل ذلك سبحانه ليقتضي أمرا لا بد من حصوله، وكرر ذلك لتأكيد أن ما أراد لا بد من تفاعله لأنه إليه هو وحده مرجع الأمور كلها، ثم أرشد سبحانه المؤمنين إلى أسباب القوة المعنوية لكل مقاتل فقال: أيها الذين آمنوا إذا لقيتم في الحرب جماعة كافرة.

المفردات «تذهب ريحكم»: أصل الريح الهواء المتحرك؛ وتستعار للقوة والغلبة لأنه ليس في الأجسام أقوى منها، فإذا اشتدت هيجت البحار واقتطعت الأشجار وهدمت الدور «بطرا»: هو مصدر بطر كصرح، وهو حالة تعثر الإنسان عند كثرة النعمة فتشغله عن شكرها. «رثاء الناس»: الرثاء هو الرياء..

﴿تراءت الفئتان﴾ أي قرئت كل منهما من
الأخرى بحيث تراهما.
﴿يكس على عقبيه﴾ كناية عن معارفته
لهم وفراره.

المعنى: إذا لقيتم فئة من أعدائكم هي
قتال فاثبتوا في مقاومتهم ولا تصروا ، إلا
منحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة كما
تقدم في الآية (١٦) المتقدمة صفحة ٢٢٩ ،
وإنما كرر الأمر بالثبات بعدما تقدم في الآية
(١٦) ، لتأكيدهم ، وليرتب عليه ما بعده وهو
قوله: واذكروا الله كثيرا، أي استحضروا
بقلوبكم أثناء القتال قدرة الله تعالى ووعد
بنصر المؤمنين وغضبه على من لم يثبت،

فَاقْبِتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا الْقِتْلَ وَأَطِيعُوا رِجَالَكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
تَرْجِعُوا مِنَ دِينِهِمْ بَكَرًا وِرْعَاءَ الشَّيْءِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمُوتُ بِمَا يَعْمَلُونَ يُحِيطُ ﴿١٨﴾ وَإِذْ رِثَ
قَسْمُ الشَّيْطَانِ أَغْنَتْهُمْ وَقَالَ لَا غَلَبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
مَنْ عَقِبَهُ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا أَكُنْتُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُرَضُّ قُرْآنًا لَا يَهْدِيهِمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ تَرَى
إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَالَّتِجْتُمْ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ويلسانكم بصوت منكمض ، فقد ورد في الحديث (إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند قراءة
القرآن ، والحناثر ، والتقاء الصفوف في القتال) . فإذا ثبتتم وذكرتم ربكم يرجى لكم الملاح
والفور ، وأطيعوا الله في كل ما أمر به ، ومنه ما تقدم هنا ، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من
شئون الحرب وغيرها ، ولا تقارعوا وتحاملوا ، هتفطلوا وتذهب قوتكم ، فيظمر بكم عدوكم ،
واصبروا على كل شدة تلاقيكم تصوروا بموه تعالى ، لأنه مع الصابرين بالعون والمساعدة ،
وإياكم أن تكونوا كمار مكة الذين خربوا من ديارهم وقد أبطرتهم نعمة القوة وكان همهم مراعاة
الناس ليمدحهم ، والحال أنهم يخرجهم هذا يصعدون عن سبيل الله وهو الإسلام . وبيان ذلك
أن أنا سفيان لما نجا بالعمير أرسل إلى أبي جهل يطلب منه العودة إلى مكة ، فابى أبو جهل وقال
لا يرجع حتى نصل بدرا ونشرب بها الخمر وننحر الحزور وتعنى لنا الحوارى وتعلم بذلك
العرب وكان عادة العرب أن يجتمعا في بدر كل عام يقيمون بها سوقا يتبايعون ويتباحرون فأراد

(١) الشيطان..

(٢) ديارهم..

(٣) الصابرين..

(٤) تقارعوا..

(٥) الملائكة..

(٦) المسافقون..

(٧) أعمالهم..

الله عز وجل أن يستقيهم هذا العام كؤوس المنيا بدل الحمر، وتتوح عليهم النائحات بدل المعصيات، وذلك لأن الله تعالى محيط بكل أعمالهم وطعياهم، فلا يفلت منه ظالم، واذكر أيها النبي لقومك حين رين الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم الإحرامية، ومنها البطر والرياء، وقال لهم بوسوسته الحمية لن يفلبكم اليوم أحد من الناس كافة فصلا عن أتباع محمد الصمصاء، فأنتم أعر العرب بضرا، وإنى مع هذا حار لكم أساعدكم قال البيضاوى أوهمهم بوسوسته أن أعمالهم التي رينها لهم من عبادة الأصنام والتقرب إليها بالذور وغيرها نافعتهم ومغيرة لهم من الشدائد فلما ترامت المثان وقرب كل منهم من الآخر رجع الشيطان إلى الوراء، والكلام تمثيل لانقطاع وسوسته. ثم راد ما يدل على برامته منهم حوها من أن يناله ما ينالههم فقال في نفسه إني برىء منك لاني أرى ما لا ترون من مدد الملائكة وقوة المؤمنين المعنوية، إني أخاف الله أي قال في نفسه أيضا إني أخاف أن يهلكني الله بأن يسلط على ملكا يحرقني ويكون هذا اليوم هو يوم الوقت المعلوم الذي أدرى به في الآية (٢٨) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠، ومثل هذا التمثيل سيأتي في الآية (١٦) من سورة الحشر صفحة ٧٢٢. واذكر أيها النبي لأمتك أيضا وقت قول المنافقين في المدينة وهم الذين في قلوبهم مرض النفاق كما هي الآية (١٠) من سورة البقرة صفحة ٤١، فالعطف للتفسير، قال هؤلاء لما جاءهم العبر بكثرة المشركين واستعدادهم وعزم المسلمين على قتالهم ما جعل أتباع محمد يجارهم وهم قلة إلا غرورهم بدينهم الذي يقول لهم إن القليل منهم يغلب الكثير من غيرهم كما هي الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحات ٥١، ٥٢، فرد سبحانه عليهم بقوله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ إلخ، أي فهو العالب لأن الله عزيز أي عالب لا يغلب من يتوكل عليه، حكيم لا ينصر إلا صاحب الحق، ثم أراد سبحانه أن يبين كونه شديد العقاب فقال ولو ترى، أي لو رأيت يا من يصح منك الرؤية حين قبضت الملائكة أرواح قتلى بدر، وهم بصريون وجوههم إلخ، وجواب لو محذوف، أي لرأيت أمرا عظيما تقشعر منه الأبدان، وصرب الملائكة هنا من عالم العيب لا يراه أحد، نظير ما تقدم في الآية (٢٧) من سورة الأعراف صفحات ١٩٧، ١٩٨.

المعردات. ﴿عذاب الحريق﴾. أي المحرق، وهو عذاب النار كما في الآية (١٨١) من سورة آل عمران صفحة ٩٢

﴿بظلام للبيد﴾ أي ليس بصاحب ظلم كما تقدم في (١٨٢) من سورة آل عمران صفحة ٩٢.

﴿كذاب﴾ أي عادتهم التي دأبوا عليها كما تقدم في الآية (١١) من سورة آل عمران صفحة ٦٤

وَأَذِبرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ⑤ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ⑥ كَذَّبَ هَلْ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَخَلَعْنَاهُمْ
اللَّهُ وَنُفِّرُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑦ ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ لَدَيْكَ مُفِرًّا نِعْمَةً أَنْصَحًا عَلَى قَوْمٍ سَخِيٍّ يُخَيِّرُوا
مَا رَأَوْا مِنْهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ طَائِفًا ⑧ كَذَّابٍ هَلْ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ وَنُفِّرُهُمْ وَأَغْرَقْنَا هَلْ فِرْعَوْنُ وَكُلُّ كَاذِبٍ
عَلِيلٍ ⑨ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑩ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقْضُونَ
عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ⑪ فَمَا تَقْضِيهِمْ
فِي الْحَرْبِ فَتَرِدْهُمْ مِنْ خَلْعِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ⑫

﴿إِذَا تَثَقَعَتْ فِي الْحَرْبِ﴾: إما هي (أ) وما زيدت لتأكيد ربط الشرط بالجزاء ، يقال يثقه بوزن سمعه يسمعه معناه ظمر به ﴿شَرَّدَ بِهِمْ مِنْ حِلْمِهِمْ﴾: التثريد والتفريق، والمراد بمن حلمهم كمار مكة وأعوانهم.

المعنى: ويضربون ظهورهم واقعيتههم ويقولون لهم ذوقوا مقدمات عذاب النار التي ستدخلونها يوم القيامة. وهذا الصرب والقول من العبيات لا يطلع عليه ولا نسمعه كما لا نرى ولا نسمع ما يحصل للنائم من شذات: ذلك العذاب، بسبب ما قدمته أيديكم في الدنيا، وبسبب أن الله ليس بمصاحب ظلم لعبد من عباده، بل هو عادل في حكمه لا

يعدل بالعدل إلا ما يستحقه، حكيم في أعماله لا يسوي بين المؤمن والعاصي كما هي الآية (١٨) من سورة السجدة صمحتي ٥١٦، ٥١٧ والآية (٢٨) من سورة من صمحة ٦٠٠، وآيتي (٣٥)، (٣٦) من سورة القلم صمحة ٧٥٩.

وعادة هؤلاء الكفار التي داوموا عليها كمادة فرعون وقومه والذين من قبلهم من الأمم السابقة والملوك الظلمة، ثم عسر هذه العادة بقوله ﴿كُفِّرُوا بآيَاتِ اللَّهِ﴾ فأحدهم الله بسبب ذنوبهم، ولم يظلم أحدا منهم شيئا، وبصر رسله والمؤمنين إن الله شديد العقاب لمن يستحقه ذلك الذي ذكر من عقاب كمار مكة بسبب كفرهم بنعمة الله عليهم بإرسال حام رسله منهم، وعقاب الأمم قبلهم بمثل ذنوبهم، كل هذا حصل بسبب أن الله عادل حكيم، فلا يصح في حكمه أن يعير نعمة أعطاهم لقوم حتى يعيروا ما كانوا عليه من استقامة استحقوا بها النعمة، وكمار مكة كانوا قبل بعثة محمد ﷺ ينتظرون أن يرسل الله منهم رسولا كما أرسل

(١) وأذبرهم. (٢) بظلام. (٣) آل. (٤) بآيات. (٥) آل (٦) بآيات (٧) فأهلكناهم. (٨) آل. (٩) ظالمين. (١٠) عاهدت

من غيرهم كما في الآية (٤٢) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨، فلما جاءهم حسدوه وحاربوه وهموا بقتله إلى آخر ما حصل منهم فسلط عليهم المؤمنون أعملوا فيهم القتل والأسر حتى هلوا شوكتهم وأرغموا أبوههم، وبسبب أن الله سمع لأقوالهم السابقة واللاحقة، علم بأحوالهم فرتب عليها ما تستحقه، ﴿كذاب ال فرعون﴾ إلخ.. أعاد سبحانه هذه الجملة ليبين أن الأولى كانت في تعديهم بكفرهم بما يتعلق به سبحانه وحده من إنكار وحدانيته ووجوب إفراده بالعبادة، ولذلك عبر فيها بلطف الجلالة (الله) وأيضا لم يبين فيها شيئا مما حل بهم. أما هذه فليبين تعديهم بسبب جحودهم لآيات ربهم الذي رباهم بنعمه، ومن أجلها إرسال الرسل لهدايتهم، فتراء ذكر فيها بدل لفظ الجلالة (الله) ذكر (الرب) والرب هو المصمم كأنهم جمعوا في كفرهم بين جريمتين في حقه سبحانه وتعالى، جريمة إنكار وحدانيته وجريمة جحود نعمه عليهم، وبين فيها أيضا العذاب الذي حل بجمعهم وهو عرق آل فرعون ليشرح بأن ما حل بتلك الأمم لم يكن من نوع واحد، وقد جاء مفصلا في الآية (٤٠) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦. ثم أراد سبحانه أن يبين حال هريق من الكفار عاهدوه ﷺ ثم نقصوا العهد وهم يهود المدينة، فذكر في ذلك ثلاثة آيات فقال (إن شر الدواب) إلخ، وقد تقدم معنى هذا في الآية (٢٢) من هذه السورة صفحتي ٢٢٩ ، ٢٣٠: أي إن شر ما يدب على وجه الأرض هم الذين جمعوا بين الكفر والإصرار عليه، فهؤلاء لا يؤمنون أبدا لشدة عداوتهم وحسدهم. ثم بين نقص العهد المرة بعد المرة أي وهم الذين عاهدت منهم رعاياهم نيابة عنهم ثم ينقصون عهدهم في كل مرة، والحال أنهم لا يتقون ولا يحافون عاقبة عهدهم وكان ﷺ عقد مع يهود المدينة عقب هجرته عهدا أقرهم فيه على دينهم وأمنهم على أموالهم على ألا يعميوا عليه المشركين، فنقصوا، ثم اعتذروا، ثم نقصوا فأمر سبحانه رسوله بقوله ﴿فإما تنقصهم﴾ إلخ، أي إن ظفرت بهم في حرب فكل بهم تكيلا شديدا يكون سببا لقتلتهم وتفريق من وراهم من كفار مكة وغيرهم والمراد أحملهم عبدة لعل من وراهم يتعظون ويعتدرون.

المفردات: ﴿فأبدا إليهم على سواء﴾ أي فاطرح لهم عهدهم حال كونك أنت وهم على سواء في العلم بذلك، والمراد أندهم بأنك قطعته ولا تأخذهم على غرة. هما أروع هذه المبادئ.

﴿رباط الحيل﴾ الرباط في الأصل الحبل الذي تربط به الدابة، وأريد به ربط الخيل وحبسها للجهاد.

﴿واحرين من دونهم﴾. (دون) هنا بمعنى غير وهو كثير في القرآن ومنه ما في الآية (٢٨) من سورة آل عمران صفحة ٦٧، والمراد هنا غير مشركي مكة واليهود.

﴿جنحوا﴾ أى مالوا ، يقال جنح للشئ

واليه : مال ورغب فيه .

﴿للسلم﴾ أى الصلح ، وهو يذكر ويؤث ،

فيقال السلم رغبت فيها .

﴿حسبك الله﴾ : أى كافيك شرهم .

المعنى : بعدما بين سبحانه أحكام

الناقضين للعهد بالصلح ، أراد أن يبين أحكام

العازمين على نقضه ، والمعنى : إن توقع

أيها النبي من قومك معاهدين خيانة بأن

ظهر لك من الدلائل ما يثبت سوء نيتهم وأيد

ذلك عندك تعودهم بنقض العهد وعدم

العبالة بها . فاقطع عليهم طريق حياتهم بإعلامهم فسحك للعهد ولا تفاجتهم بحرب قبل ذلك

بل تكون أنت وهم في العلم بنقص العهد مستويان أما الذين بقصوه فعلا فيجوز لك حربهم

فعلا بدون إخطار سابق ، إن الله لا يحب الخائنين مطلقا ، خصوصا في العهد ، وما لا يحبه

الله فلا تبال به أيها النبي ، ولا يحسب الدين كصروا أنهم يسبقون عقابا ويهجون من جرم

الخيانة ، لأنهم لا يعجزونا إذا أردنا الانتقام منهم . فالمراد قطع أطماعهم في إيذاء المؤمنين

وأعدوا أيها المؤمنون لدفع شر أعدائكم ما تستطيعونه من أسباب القوة ، وهي تختلف

باختلاف العصور ، وأعدوا لهم الحيل المربطة في الثغور لمنع تسرب الأعداء إلى بلادكم .

وخص الحيل بالذكر مع أنها داخلة فيما قبلها لأهميتها في ذلك الوقت .

ترهبون وتحيمون بما ذكر عدو الله الكافر به وعدوكم الدين يتربصون بكم المصائب ،

وترهبون قوما آخرين من غيرهم لا تعلمونهم الآن ولكن الله تعالى يعلمهم وقد ظهر منهم أول

الأمر الروم والعمرس ، وأخيرا حموع النصارى في الحروب الصليبية ، ولا يزال كثير منهم يتربص

بالإسلام وأهله إلى اليوم. فها ويلهم إن عملوا عن إرشاد ربهم ولما كان الاستعداد للحرب يحتاج إلى مال قال وما تتعقوا من شيء قل أو كثر هي سبيل الله يؤد إليكم حراؤه واهيا يوم القيامة، وأنتم لا تظلمون منه شيئا. وإن مآلوا للصلح همل إليه أيها النبي لأن دينك دين سلام وهو من أمرك إلى الله ولا تحف كيدهم. لأنه هو السميع لكل ما يدبرون. العليم بسياتهم وإن يريدوا أن يحدعوك بإظهار رعتهم هي الصلح لياحدوكم على عرة فإن الله كافيك كيدهم. لأنه هو الذي سبق أن أيديكم ببصره هي بدر. وبالأبصار الذين لم يكونوا من بلدك ولا من قومك. ولما كان بين قبائل الأنصار هي الحاهلية عداوات وحروب كما هي الآية (١٠٢) من سورة آل عمران صفحات ٧٩ ، ٨٠ وكان هذا من أهم المواقف لبصره . قال سبحانه ﴿والف بين قلوبهم﴾ أي بصرك بهم بعد أن ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد حروب استمرت ١٢٠ عاما، وبلغ من شدتها أنك لو أنفقت ما في الأرض جميعه لتصلح بينهم ما استطعت أن تجمعهم. ولكن بعمه الله عليهم بالإيمان الذي هو أقوى هي المودة والمحبة من روابط الأسباب والأوطان جمعهم. لأن الله عزير أي غالب لا يعجزه شيء. حكيم في أفعاله فلا يبصر الباطل على الحق وبعدما أمر سبحانه نبيه بالاستعداد والميل للصلح إذا رعب هيه أعداؤه وطمأنه بالتأييد. أمره بالتحريض على القتال عند الحاجة إليه كبدء العدو بالحرب أو الخيانة هي. الصلح فقال ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ إلخ أي كافيك وكاهي من اتعك من المؤمنين شر أعدائكم هي الحرب أو الخيانة. فالكفاية الأولى كانت خاصة به ﷺ هي حال الحياة فقط وهذه عامة له ولأصحابه هي كل حال. ولما سمع المؤمنون هذا الوعد العظيم صاروا يرددونه عند كل شدة انظر ما حصل في أحد هي الآية (١٧٢) من سورة آل عمران صفحة ٩١.

الممردات ﴿حرم المؤمنين﴾ أصل حرم من حرص حرصا بورن تعب إذا قارب على الهلاك والوصف منه حرم بمنحتين على وزن المصدر، يقال رجل حرص أي قريب من الهلاك كما هي الآية (٨٥) من سورة يوسف صفحة ٢١٦ وصيغة حرص بتشديد الراء تميد إرالة الحرص الذي هو القرب من الهلاك، كما يقال مرصت المحموم، أي أرلت مرضه. وقشرت الشجر أي أرلت قشره، ثم استعمل التحريض في الحث الشديد على ما يمنع الهلاك من أول الأمر.

﴿أسرى﴾ جمع أسير وهو ما يقع حيا من الحصد في يد الأعداء في حرب.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ بِنَآئِهَا أَلَىٰ حَرِيصٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْفِتْلِ
 إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِي وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكَ وَعَمِّدَ إِلَيْكَ
 صَعْقًا فَلَمَّا يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ مَّيِّمَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَتَرَىٰ حَتَّىٰ
 يُلْقَيْنَا فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الذُّلَىٰ وَاللَّهُ يُرِيدُ
 الْآيَةَ وَاللَّهُ غَيْرُ حَكِيمٍ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ
 سَبَقَ لَكُمْ بِهِمَا آعَظُكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَكُلُوا مِنْهَا
 مِمَّنْ مَتَلَا حَيْثُ وَأَنْقَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَفِيزٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾
 بِنَآئِهَا أَلَىٰ قُلُوبِ الْيَسْرِ يَدِينَكُمْ مِنَ الْأَتَرَىٰ إِنْ يَغْلِبْ

﴿يشحن في الأرض﴾: أصله من شحن
 الشيء المسائل غلط ولم يسئل واستقر في
 مكانه، ثم استعير للثبات الشئ من القوة
 والتفوق على الغير، يقال شحن بورى كرم بكرم
 بضم الراء، واثخنه إذا بالغ فيه.

ومنه ﴿حتى إذا اتحنتموهم﴾ الآية (٤) من
 سورة محمد صفحتي ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، والمراد
 هنا حتى ثبت أمره ويستقر ملكه في الأرض،
 وتفسير الإثخان بالمبالغة في القتل تفسير
 بسببه.

المعنى: يأيها ألى حرص المؤمنين على

القتال ورغبتهم فيه لدفع تعدى الكفار وإعلاء كلمة الحق والعدل على الباطل والظلم ثم أمرهم
 سبعانه بأمر جاء في صورة الخبر ليكون كالبيشارة لهم فقال ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ
 صَابِرُونَ﴾ إلخ أى يجب عليكم في حال قوتكم وظهور دولتكم أن يقف المقاتل منكم في وجه
 عشرة من الكافرين، وذلك لأنهم لا يتعمقون في علم الحقائق كما تعلمون، ولا يعلمون إلا
 ظاهرا من الحياة الدنيا كما في الآية (٧) من سورة الروم صفحة ٥٢١، فلا يدركون مرضاة
 الله في دفع الظلم وإقرار السلام والحرية، والفوز بإحدى الحسنيين النصر والعترة، أو الموت
 شهداء والمور بعيم الآخرة. وكان هذا حال المؤمنين في قوتهم.. وقد تواتر في كل التواريخ أن
 جيوش المسلمين كانت في حرب الروم ٢٤ ألفا وكان جيش هرقل ٢٠٠ ألف ومع ذلك غلبهم
 المؤمنون، ولكن لما فسدوا وأهملوا دينهم انقلب الحال، ولن يرجع إليهم عرهم إلا إذا اتبعوا
 تعاليم دينهم وبما أكرم الآن أيها المؤمنون ما رلتم لم تستكملوا قوتكم التي ترهبون بها كل من
 يريد بكم سواء لضعف عدوكم وعدتكم فإن الله يخفف عنكم ويجعل الحكم أنه يحب على

الواحد منكم الثبات أمام اثنين من الأعداء. فإنه يعلمهما بعون الله إذا أن بالصبر، لأن الله مع الصابرين بالمعونة والمساعدة، وكرر ذكر الصبر ليسهم إلى ترزع الصبر من أقوى أسباب النصر، حتى قال بعضهم إنه إذا وجد في أعدائهم وفقد ظفر فيهم بهم أعداءهم ثم نبههم إلى عدم التساهل مع الأعداء وهم عارالوا محتاجين للقوة همال ﴿ما كان لبي أن يكون له أسرى﴾ إلخ. وسبب ذلك أنه لما وقع جمع من المشركين في الأسر استشار ﷺ أصحابه فيما يفعل بالأسرى، فقال أبو بكر وكثيرون بأحد منهم هدية تتقوى بها على القتال، وقال عمر هؤلاء أئمة الكفر وأرى قتلهم حتى يرجر غيرهم. فقال ﷺ لراي الكثرة وأحد المدا. فعلى هذا نزلت الآية.

والمعنى ما كان يصح لبي أن يكون له أسرى بماديهم إلا بعد أن يتم له السلطان والقوة هي الأرض التي يحكمها بحيث يحافظه كل من تحدثه نفسه بسوء تريدون أيها المسلمون بأحد العداء متاع الدنيا الرائل بينما يريد الله لكم ثواب الآخرة بما شرعه لكم من الأحكام الموصلة إليه، وفيها تمام الاستعداد لدفع العدو وكسر شوكته، والله عزيز يحب للمؤمنين العزة كما في الآية (٨) من سورة المنافقون، صفحة ٧٤٤، حكيم يحب للمؤمن أن يصنع كل شيء في موضعه، وليس من الحكمة أن تتساهلوا مع عدوكم وأنتم مازلتم قليلين لولا وعد من الله مكتوب في الأزل بأن لا يهديكم عذاب ابناء لمسكم بسبب ما أحدثتم عذاب عظيم، روى أنه لما نزل هذا العذاب الشديد جلس النبي ﷺ وأبو بكر بيكيان فحاهما عمر بن الخطاب فقال ما بيكيكما يا نبي لله؟ فقال ﷺ يبكي على قول المدا. وقد عرص على عذاب أصحابي أقرب من هذه الشجرة وأشار إلى شجرة قريبة منه، ولو نزل عذاب من السماء ما دعا منه غيرك يا عمر، وإذا كان الله قد أحل لكم العائم وفيها كفائكم فكلوا منها حلال طيبا، أي مستطابا لذيذا، واتقوا الله فلا تعودوا لما نهاكم عنه، إن الله غفور لذنوب التائبين رحيم فلا يعجل بالمغفرة. ثم أمر سبحانه رسوله أن يرعب الأسرى الذين دفعوا المدا في الإسلام وما منه من حبر عظيم في الدنيا والآخرة وأن يهددهم بمناقبة بقائهم على الكفر وحياته ﷺ، فقال ﴿بأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله﴾ إلخ

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَنْتَظِرُ
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكُرْ بِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَجَرُوا وَجْهَهُمْ ءَامَنُوا هُمْ وَأَنْصِبِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَجَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ
وَلَدَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ أَنْصَرْتُمْ فِي
الَّذِينَ قَتَلْتُمْ أَنْصَرُوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَكْفُرُونَ بِهِمْ إِنَّنِي
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَقْدَ
كَبِيرٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَجَرُوا وَجْهَهُمْ ءَامَنُوا هُمْ وَأَنْصِبِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَجَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

المفردات: ﴿أمكن منهم﴾ أي أمكنكم
منهم ونصركم عليهم.

﴿الذين آووا ونصروا﴾ هم الأنصار من
أهل المدينة، آووا المهاجرين في بيوتهم
ونصروهم على أعدائهم.. انظر آيتي (٨ ، ٩)
من سورة العنكبوت صفحة ٧٢١.

﴿مالكم من ولايتهم من شيء﴾: أي ليس
بينكم وبينهم موالاة في شيء.

﴿استنصروكم في الدين﴾: أي طلبوا منكم
أن تنصروهم في المحافظة على دينهم بمنع
اضطهاد الكفار لهم.

﴿ميثاق﴾، أي عهد.

﴿إلا تفعلوه﴾: أصله إن لا تفعلوه.

المعنى، إن يعلم الله في قلوبكم حيرا من حسن نية واستعداد للإيمان الصحيح يؤتكم حيرا
وأفضل مما أخذ منكم من العدا إذا آمنتم بإخلاص، فيعطى عليكم في الدنيا أصنافه،
ويجزل لكم ثواب الآخرة، ويغفر لكم كل ما سبق من معاصيكم حتى الكفر؛ لأنه سبحانه واسع
المعرة، رحيم بعباده المؤمنين كما في الآية (٤٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦، ثم حذرهم
سبعائه وطمأن نبيه بقوله وإن يريدوا خيانتك بما يظهرونه من الميل للإسلام وعدم العودة
لقتالك فلا تخش بأسهم لأنهم قد خانوا الله من قبل حيانتهم لكم حيث أشركوا به غيره بعد
ما أخذ عليهم العهد كما في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١، ومع ذلك أمكنكم من
رقابهم بنصركم عليهم في سر مع تصوقهم في العدد والعدة، فإذا خانوا فسيمكنك منهم، والله

(١) وحاهدوا	(٢) بأموالهم	(٣) آووا	(٤) ولايتهم
(٥) ميثاق	(٦) وحاهدوا	(٧) آووا	

عليم بما في صدورهم، حكيم يعامل كلا بما يستحق ولما فرغ سبحانه من بيان قواعد سياسة الحرب والمسلم والأسرى والعنائم، ختم ذلك بما يناسبها من قواعد ولاية المؤمنين بعضهم لبعض بسبب الإيمان والهجرة واختلاف ذلك باختلاف الأحوال، فقال ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ وَهَاجِرٌ وَجَاهِدُوا...﴾ إلخ. وليبين ذلك يحسن أن يعلم أن المؤمنين كانوا في عصره ﷺ وهو بالمدينة على أربعة أنواع النوع الأول هم المهاجرون السابقون قبل برول هذه السورة، والثاني الأنصار وهم من أسلم من أهل المدينة، والنوع الثالث المؤمنون من أهل مكة الذين لم يهاجروا، والرابع المؤمنون الذين هاجروا بعد ذلك. وقد بينت هذه الآيات حكم كل منها، فانقسم الأول والثاني بعضهم أولياء بعض، أي يتولى كل منهم من أمر الآخر ما يتولاه لنفسه، فأصبحت مصالحهم مشتركة بينهم كأسرة واحدة، حتى أن المهاجر كان يرث الأنصاري الذي لا وارث له من أقاربه وبالعكس، واستمر هذا التوارث إلى أن برلت آيات المواريث في أول سورة النساء فتعير الحكم، والقسم الثالث وهم الذين لم يهاجروا وبقوا بأرض المشركين مالكم من ولايتهم من شيء أي ليس بين المسلمين في المدينة وبينهم موالاة كالصابقة إلى أن يهاجروا فيكون لهم ما لإخوانهم، ولكن لهم عليكم شيء واحد هو أنه إذا تعدى عليهم المشركون لأجل دينهم وطلبوا منكم أن تنصروهم يجب عليكم نصرهم إلا في حالة واحدة هي حالة ما إذا كان المعتدي المقيم بدار الكفر كمارا ببيكم وبينهم معاهدة ولم تنقص مدتها، فإنه في هذه الحالة يحب تقديم حفظ المهد على نصرتهم؛ وذلك لأن الإسلام شديد في المحافظة على المهد وعاب على اليهود كثرة نقصهم له واستهانتهم به. والله بما تعملون بصير فحافوا محالمتهم، وهل رأيت أيها القارئ أنبل من هذه الأحلاق الإسلامية في المحافظة على المعاهدات، والذين كفروا بعضهم يوالى بعضا في التعاون ضد المسلمين، فيجب أن تحذروهم جميعا بالمحافظة على كل ما أمرتكم به، فإنكم إن لم تفعلوا ما أمرتم به من المحافظة على المهد تحصل فتنة شديدة في الأرض، وهما كبير بإنتشار الموضي وسعك الدماء. ثم بين سبحانه فضل القسمين الأولين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم وحدهم المؤمنون إيماناً حقيقياً. وأعاد ذكر أوصافهم السابقة للإشارة إلى أنها هي سبب استحقاقهم لما بعدها.

المضردات ﴿رزق كريم﴾ هو الجامع لكل صفات العسن كما تقدم في الآية (٤) من هذه السورة صفحة ٢٢٧، ولذا فسرهم بعضهم بالجنة.

﴿اولو الارحام﴾: اصحاب القرابة الذين يجمعهم رحم واحد غالبا.

﴿في كتاب الله﴾: أى حكمه الذى كتبه وفرضه على عباده.

سورة التوبة

﴿براعة من الله﴾: أى تبرؤ

﴿الذين عاهدتم﴾ أى كنتم عقدتم معهم معاهدة.

﴿فسيحوا في الأرض﴾: أصل السباحة جريان الماء، ثم استعمل في السير الاختياري، أى سيروا في انحاء الأرض حيث شئتم أربعة أشهر تبتدى من يوم ١٠ من دى الحجة كما سيأتى، فهي غير الأربعة الأشهر الآتية في الآية (٣٦) من هذه السورة صفحة ٢٤٦.

﴿غير معجزى الله﴾: أى لا تعجزونه بالهرب منه أو التحصن إذا أراد عقابكم.

﴿واذان من الله﴾: أى إعلام.

﴿يوم الحج الأكبر﴾، هو يوم عيد الأضحي، لأن فيه تمام أعمال الحج، ووضع بالأكبر لأن العمرة

تسمى حجاً أصغر، لأنه يزيد عليها ركناً كما تقدم في الآية (١٥٨) من سورة البقرة صفحة ٢٠.

لَهُمْ ثَمَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ بِكُمْ أُولَٰؤُا الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِحَكْمٍ تَعْلِيمٍ ۝

(١) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
وَأَنبَأْنَاهُنَّ فِي عَشْرِينَ وَارِسًا

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْتَمُوا أُنُكْرَ عَيْدٍ مُبْعَرٍ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخَيَّرُ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۝ فَإِنْ تُنْتَمِمْ لَهُمْ

(١) وجاهدوا.

(٢) كتاب.

(٣) عاهدتم.

(٤) الكافرين.

(٥) أذان.

المعنى: لهم معفرة تامة ماحية لكل ذنب، ولهم هي الأجرة رزق كريم من رب كريم، والصنف الرابع هم الذين آمنوا بعد نزول هذه الآية وهاجروا وجاهدوا، فالمراد وهاجروا ويجاهدوا معكم. فحكم هؤلاء أنهم منكم أيها السابقون يستحقون ما استحققتهم. وسياق الكلام يفيد أنهم أقل درجة عند الله، لأنه جعلهم قسما مستقلا تابعا، وقد صرح بهذا التفصيل في الآية (١٠٠) من سورة التوبة التالية صفحتي ٢٥٨، ٢٥٩، والآية (١٠) من سورة الحديد صفحتي ٧١٩، ٧٢٠، والآيات (٨، ٩، ١٠) من سورة العنكبوت صفحة (٧٢١)، وقد جاءت مزية السابق مطلقة في الآيات من (١٠ إلى ٢٦) من سورة الواقعة صفحتي ٧١٢، ٧١٤، وجاء تقدير جرائمهم على قدر أعمالهم في الآية (١٩٥) من سورة آل عمران صفحتي ٩٥، ٩٦، وعندما فرغ سبحانه من ولاية الإيمان والهجرة فقط أراد أن يبين ولاية القرابة بين أصحاب الولاية السابقة فقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي بعضهم أحق بالإرث من المهاجرين والأنصار الأجانب، وهذه الأحقية كتبها الله تعالى وفرضها على عباده، أي فولاية الرحم مقدمة على ما هم أعم منها وهي ولاية الإيمان والهجرة، فإذا استوى رجلان في نسبتهم إلى الميت من حيث الإيمان والهجرة وامتاز أحدهما بقرب النسب قدم على الآخر، وهذا الحكم انتهى بنزول آيات المواريث أول سورة النساء. ثم ختم سبحانه السورة بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ ليفيد أن ما شرعه من الأحكام في هذه السورة صادر عن علم محيط بكل ما يتعلق بمصالح المؤمنين، انظر الآية (٥٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠.

وتسمى براءة. أما تسميتها بالتوبة فلأن قصة توبة كعب بن مالك الآتية في الآيات (١١٧، ١١٨، ١١٩) صفحتي ٢٦٢، ٢٦٣، أهم توبة شهدتها المسلمون في عصره ﷺ انظر شرح صفحة ٢٤٧ وفيها إمام المتفلمين عن هذه الغزوة، وأما تسميتها براءة فظاهر من افتتاحيتها. ولم تفتح بالبسملة كغيرها لأنه ﷺ لم يأمر بها، فظن بعضهم أنها مكملة للأفعال وعدها سورة واحدة مكملة للسبع الطوال، وفهم بعضهم أنها سورة مستقلة وتركت البسملة لما قاله ابن عباس أن البسملة فيها رحمة وأمان وهذه نزلت لرفع الرحمة والأمان عن المشركين. وسبب نزولها أنه ﷺ لما خرج لغزوة تبوك التي نزل أغلب السورة فيها من أول الآية (٢٨) إلى

فقبل آخرها، وكانت مساحتها طويلة شاقة، برز يعاق المفاقين ودمائهم مما سيأتي الحديث عنه في أغلب السورة، عند ذلك بدأ المشركون يتعمرون ويترصدون في سرائرهم بالمسلمين، فكان من الحكمة وقد ثبت بالبحرنة أنهم لا عهد لهم كما هي الآية (٧) التالية صفحة ٢٤٠ ولا يمكن الاطمئنان إلى معاشرتهم في ظل معاهدات يُسهل لهم شركهم العذر بها، كان من الحكمة أن يؤمن الله الدعوة من شرهم، فأمر سبحانه أولاً بقطع ما كان معهم من عهود مطلقة لم تقيد بوقت معين، ومن كان منهم له عهد بأقل من أربعة أشهر يكمل له إلى نهاية أربعة أشهر من هذا التاريخ، ومن كان له مدة فوق الأربعة أشهر يكمل له هذه إلى آخر مدته مهما طالّت، وأمر ثانياً بتطهير حريرة العرب من المشركين حتي لا يبقى فيها ديان انظر الآية (٥) وما بعدها صفحة ٢٤٠، والآية (١٢٣) من هذه السورة أيضا صمحتي ٢٦٢، ٢٦٤، فأرسل سبحانه من أول السورة إلى الآية (٢٨) سنة ٩ هي موسم الحج، وقد كان على رأس الحجاج المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، فأرسل ﷺ بما ررل عليا بن أبي طالب ليقرأ على الناس يوم العيد في مي، فقرأ عليهم جميعاً، وكانوا حليطاً من مسلمين ومشركين وقال بعده لا يقرب النيت بعد اليوم مشرك ولما سمع المشركون في الحريرة ذلك وكانت مكة فتحت هي رمضان سنة ٨ هجرية قالوا بلغ محمداً أننا قد نبدا عهداً وأنه ليس بيننا وبينه سوى السيف، ومعنى آيات هذه براءة من الله ورسوله إلى كل معاهد من المشركين، فقولوا لهم سيروا في الأرض حيث شئتم مطمئين مدة أربعة أشهر فقط، وفكروا فيها، فإن رجعتن عن شرككن منها وإلا هما أنتم بقادريين على أن تعجروا الله تعالى إذا طلب إهلاككم، وأنه سيحرككم بالقتل والدل هي الدنيا، وبالعداب هي الآخرة، وبعدما قرر سبحانه الحكم أمر بإعلانه فقال وأدان هي الناس يوم الحج.. إلخ، أي هذا إعلان صادر من الله ورسوله إلى جميع الناس يوم الحج الأكبر، وهو اليوم لعشر من ذي الحجة الذي يجتمع فيه الناس بمعنى، بأن الله يرى من المشركين، وكذا رسوله يرى منهم ومن عهودهم، وقولوا لهم إن تنتم عن الشرك والعدر فمملككم وهو التوبة خير إلح

المعردات ﴿توليتن﴾ أي شيتن على التولي والإعراض عن التوبة.

خَيْرَ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلُوا أَسْرَ عَمْرٍو عَمْرٍو
وَقِيلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ① إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَا يُمْنُوا
طَبَقَ اللَّهُ أَمْرًا قَائِمًا إِلَى يَوْمِ عَهْدِهِمْ لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ②
يَحِبُّ الشُّفْعَةَ ③ فَإِذَا انْطَلَعَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَأَقْلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُنُوهُمْ وَأَحْصَرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ④ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَوَدَّوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ⑤ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو جُنْدٍ
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَوَلِمَهُ أَلَمَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ⑥
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالُوا نَتَّقُوا

﴿لَمْ يَنْقُصُوا عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ - من شروط العهد
وحافظوا عليها تامة.

﴿وَلَمْ يَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: أي لم
يمازوا عليكم عدوا.

﴿فَإِذَا انْطَلَعَ﴾: أصل السِّلْخ الكَشْح، يقال
سَلَخَ الجِلْدَ عن الشَّاةِ أي كَشَطْتَهُ وفَصَلْتَهُ
منها. ولما كان الرمان محيطا بكل ما فيه،
عَبِّرَ عن دهابه بالسِّلْخ، فالمراد انفصلت
واقضت مدة الأشهر.

﴿الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ﴾: الممهودة المتقدمة في
قوله ﴿فَمَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾

وليست هي الأشهر الحرم المعرمة على الدوام الآتي ذكرها في الآية ٢٦ صفحة (٢٤٦).

﴿وَأَحْصَرُوهُمْ﴾ في المكان الذي يتحصنون فيه وأمنوهم من الخروج منه.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ المرصد المكان الذي يرصد فيه العدو، والمراد مراقبة
مساكنهم حتى لا يفلتوا.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: أي فاتركوا لهم طريق حريتهم.

(١) عاهدتم.

(٢) يظاهروا.

(٣) الصلاة.

(٤) توابوا.

(٥) الزكاة.

(٦) كلام.

(٧) عاهدتم.

(٨) استقاموا.

﴿استجارك﴾ أصل معنى استجار طلب الجوار، والمراد استأمنك وطلب منك أن تؤمسه

﴿مأمنه﴾: المكان الذي يأمن فيه بين أهله.

﴿فما استقاموا﴾، ما اسم شرط يدل على الرمن، والمراد أي رماى استقاموا لكم فيه

المعنى فالتوبة خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن داومت على إعراصكم فاعلموا أنكم لا سنجزون الله إذا أراد تعذيبكم.

ثم ذكر سبحانه بعضا من هذا العذاب في أسلوب تهكم بهم فقال وبشر الكافرين أيها المبى بعذاب شديد الألم فكأنه يقول إذا تولوا فأحسن خبر يسمعون هو إيدارهم بالعذاب، ثم استثنى سبحانه من الدين تبرأ من عهودهم وهددهم بالعذاب فقال ﴿إلا الدين عاهدتم من المشركين﴾ ولم ينقصوا شيئا من عهودكم، ولم يساعدوا عليكم عدوا، هؤلاء حافظوا على عهدهم تاما إلى آخر مدتهم، ولا تسووهم بالخائنين إن الله يحب المتقين لمعاصيه ومنها نقض عهد من حافظ عليه، فإذا انقضت مدة الأشهر الأربعة المحرم عليكم القتال فيها هاقتلوا من تشاءون من المشركين الخائنين للعهد في أى مكان وجدتموهم فيه، وحدوا من تشاءون منهم أسرى وحاصروهم إذا احتما في حصن، ولا تمكثوهم من الخروج حتى يسلموا أو يموتوا، واقعدوا لهم في كل مكان ترصدون فيه حركاتهم، وليس المراد الحصر في هذه الثلاث، بل المراد افعلوا بهم كل ما ترونه مناسبا للمصلحة ولتدبير شئون الحرب، وإنما أحر الأسر هنا وقد كان معه في غزوة بدر في الآية (٦٧) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٧، لأن سورة التوبة نزلت سنة ٩ هجرية وقد قوى المسلمون وأصبحوا لا يخشون الأسر، فالحالة هنا تغيّرت فإن تابوا عن الشرك ودخلوا في الإسلام، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فتركوهم وشأنهم، لأن الله واسع المنفرة فيعذر لهم كل ما سبق، رحيم بعباده المؤمنين.

وبعد أن بين سبحانه حكم التائبين بالعمل أراد أن يبين حكم من يظهر استعداده للتوبة فقال سبحانه ﴿وإن أحد من المشركين﴾ إلخ، فهذا تخصيص لقوله السابق ﴿هاقتلوا المشركين﴾ إلخ، فيفيد أن المشركين الذين ملقوا نبذ عهودهم أو انتهت مدتها هم على ثلاثة

اقسام قسم مصر على الشرك ومصمم على الحيانة. وهذا يقاتل في أى مكان وجد فيه، وقسم تاب وأمن، وقسم يطلب سماع القرآن ليتدبره فالمعنى وإن طلب منك أيها النبي أحد من المشركين الأمان ليسمع كلام الله ليعلم حقيقة الإسلام فيجب عليك أن تؤمنه، ثم بعد ما يسمع القرآن أبلعه هي أمان إلى دار قومه التي يأمن فيه على نفسه ويكون حراً فيما يختار؛ وذلك الأمر الذي أمرك به من تمكينه من سماع القرآن بسبب جهلهم حقيقة الإسلام وإنما دفعهم لحربك عصبيتهم الحاملية، فإذا بدر منهم استعداد للنظر والتدبر في القرآن فمكنتهم، ثم رجع سبحانه إلى بيان الحكمة في التبرؤ من المشركين وقطع عهودهم فقال كيف يكون للمشركين المستهينين بالمهود المحترمين على نقضها عهد محترم عند الله وعند رسوله؟ والاستغناء للإلحاد والتعجب والمعنى بأية صفة يثبت للمشركين عهد يقره الله ورسوله. وسيأتى تفصيل أسباب عدم احترام عهودهم في الآيات (٨، ٩، ١٠) الآتية في هذه السورة صفحة ٢٤١، وقبل ذكر هذه الأسباب استثنى سبحانه منهم من حافظ على عهده وهم المشار إليهم في الآية (٤) هنا، وهم حتى من بنى بكر من كنانة كما تقدم.

وبيان ذلك أن الدين عاهدوه عام الحديبية سنة ٦ هجرية الأتي ذكرها في الآية (١٨) من سورة المتع صفحة ٦٨١، كانوا كفار قريش وقبائل العرب حول مكة، وقد بقض قريش وكثير من العرب العهد، وكان ذلك سبباً لغزوة المتع سنة ٨ هـ، وحافظ على عهده حتى من بنى بكر من كنانة، هم المقصودون هنا بقوله ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ أى قريبا منه ويجواره في الحديبية، وأعاد استثنائهم ليبين تأكيد الوفاء بالعهد مع شرطه الموجب للوفاء وهو الاستقامة فقال سبحانه ﴿فما استقاموا﴾. ولما فتح ﷺ مكة سنة ٨ هجرية دخل جميع أهلها من قريش من الإسلام، وبقي قبائل من العرب المشركين حول مكة لم يسلموا، وهم الذين أمر الله سبحانه بقتل عهودهم وحريهم ما عدا من حافظ منهم على العهد.

الممردات ﴿يظهروا عليكم﴾ - المراد يتفوقون عليكم في القوة ويظلمون بكم

﴿لا يرهبوا فيكم﴾: أى لا يراعون في معاملتكم.

لَكَرَّ فَاسْتَجِيرُوا لَهُمْ إِنْ أَفَّحِبَّ النَّبِيُّ ① كَيْفَ
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَقْرَبُوا بِعِصْمِكُمْ إِلَّا ذِمَّةُ
يُرْسُوكُمْ بِالَّذِينَ هُمْ وَتَأْنِ قُلُوبِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ②
أَشْرَوْا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ قَلِيلًا قَلِيلًا فَفَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ
لَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ③ لَا يَقْرَبُونَ فِي مَوَاقِفٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ④ فَإِنْ تَلَاَوْا وَانْقَرَضَتِ
الصَّلَاةُ وَانْتَوَا الزَّكَاةَ فَخَرَسُوا فِي الْاِثْنِ وَتَمِصُّ
الْأَيْتِ يَقْرَأُ يَمْتَلُونَ ⑤ وَإِنْ سَكَنُوا أَيْمَانُهُمْ مِنْ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفْرِ
لَهُمْ لَا أَيْمَانُ لَهُمْ لَعْنُهُمْ يَنْهَوْنَ ⑥ إِلَّا تَقَاتِلُوا قَوْمًا
سَكَنُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرُّسُلِ وَهُمْ بِمَا وَكَّرُوا
مَرَّةً الْخَشَوْهُمْ فَلَمْ يَخْشَوْا أَنْ يَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑦

﴿الآ﴾: الإل الرحمة والقراية.

﴿ولا ذمة﴾: أي عهدا.

﴿فصعدوا عن سبيله﴾: صد فعل يستعمل

لازما بمعنى أعرض ومتعديا بمعنى منع غيره
والكل هنا صحيح.

﴿سأء﴾: أي قبح.

﴿سكنوا أيمانهم﴾: أي استصروا على نقص

عهودهم التي أكدوها بأيمانهم المعطاة.

﴿وطعنوا في دينكم﴾: عطف لبيان نوع من

أنواع نقض العهد، وليس المراد به تقييد حال

قتالهم بالجمع بين الأمرين الحرب مع الطعن

في الدين، وإنما المراد أن الحرب نقض للعهد.

والطعن في الدين نقض للعهد، وهو كما قال الألوسي هو من عطف الحامض على العام لأن

الفعل الواقع بعد شرطه يصيد العموم في مصدره فكانه قال إن حصل منهم نقض للعهد ومن

أفراد النقص للعهد الطعن في الدين.

(١) باقواهم

(٢) فاسقون.

(٣) بآيات

(٤) الصلاة

(٥) واتوا.

(٦) الزكاة

(٧) الآيات

(٨) أيمانهم

(٩) فقاتلو

(١٠) إيمان.

(١١) تقاتلون

(١٢) أيمانهم.

﴿أثمة الكفر﴾: صناديده ورعماؤه.

﴿لا أيمان لهم﴾: المراد ليس لهم أيمان يوثق بها.

﴿ألا﴾ كلمة مركبة من همزة استنهام استنكارى تميد النعى، ومن اللام النافية ومجموعهما يفيد الحث والتعريض على ما بعدهما.

﴿تقاتلون قوما﴾ المراد بهم الذين كانوا حول مكة ولم يدخلوا في الإسلام بعد وكانوا نبيعا لقريش فيما يأترون به ويعادون النبي ﷺ قد جاء ما يؤيد ذلك في المزار جزء ١٠ صفحات ١٥٠، ١٥١، ١٨٣، ٢٢٥ ﴿هموا بإحراج الرسول﴾ عندما تأمروا على حبسه أو إحراجه أو قتله، كما تقدم في الآية (٢٠) من سورة الأنعام صفحة ٢٣١.

المعنى فاستقيموا لهم محافظين على العهد ماداموا مستقيمين عليه، إن الله يحب المتقين لكل محبة ومنها العذر، ثم شرع سبحانه في بيان أسباب عدم احترام عهدهم المشار إليه سابقا فقال ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ إلخ، أي كيف يكون لهم عهد محترم وهم إن يظهروا بكم لا يراعون في معاملتكم حقوق قرابة ولا عهد، وفي حالة ضعفهم يرضونكم بكلام عذب فيه إظهار محبتكم وحب الحير لكم، وهذا الكلام مجرد المأخذ تخرج من أهوائهم فقط ولا صلة لها بما في قلوبهم، لأن قلوبهم المملوءة بالحق والحمد تأبى أن توافق أهوائهم كما قال سبحانه في موضع آخر ﴿يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ الآية (١١) من سورة المتح صمحتي ٦٧٩، ٦٨٠، وأكثرهم فاسقون أي خارجون على قيود العهد والطاعة.

ثم تبيّن سبحانه بعضا من أسباب فسقهم فقال ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا﴾ أي استبدلوا بآيات الله التي تأمر بالاستقامة والمحافظة على العهد ثمنا قليلا من حطام الدنيا والانعماس في الشهوات، فأعرضوا عن الحق بسبب هذا الاستبدال الحسيس وصرفوا غيرهم عنه. إنهم قبيح عملهم الذي استمروا عليه حتى صار طبعاً لهم فهم بسبب ذلك لا يقتصرون في عدم احترام القرابة والعهد عليكم فقط، بل هذا هو طبيعتهم مع كل مؤمن، أولئك

هم وحدهم المعتدون على حدود الله. ثم بيّن سبحانه ما سيكون منهم في المستقبل وأبه لا يتعدى أحد أمرين فقال: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فهم حينئذ إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وبهذه الأحوه يسقط كل ما سبق من عداوة. ﴿ونعصل الآيات﴾ أي تأتي بها معصلة ومبينة للحق والباطل، والفصيحة والرديلة، ينتفع بها الذين يعلمون العلم النافع فيصلون لمعرفة الحق، وإن استمروا على نقص إيمانهم التي أكدوا بها عهودهم لكم وطعنوا في دينكم كما دأبهم فقاتلوهم لأنهم صناديد الكفر وقواده، كما أنهم هي الحقيقة لا إيمان لهم محترمة، فقاتلوهم راجين بذلك أن ينتهوا عن الكفر والمساد. ولما كان بعض المسلمين يظن أنه لو أهل هؤلاء الكافرين لأموا، كما تقدم في الآية (٢١٦) من سورة البقرة صفحة ٤٢، قطع سبحانه هذا الظن بالحث على قتالهم فقال ﴿ألا تقاتلون﴾ أي كيف لا تقاتلون ﴿قوما يكتفوا بإيمانهم﴾ التي أكدوا بها العهد المرة تلو المرة، وقد سبق منهم بمكة أنهم تبعوا قريشا فيما مضى وهموا بإخراج الرسول على الوجه الذي كانوا يريدونه كما تقدم في الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، وهناك بيما سبب ذكر الخروج فقط، وهم الذين بدءوكم بالإبداء والعنة بمكة، ويتصميمهم على القتال في بدر بعد علمهم بنجاة المير كما تقدم في أسياح الحرب في بدر في سورة الأنفال، وبموجبهم لأحد كما تقدم في الآية (١٢١) من سورة آل عمران صفحة ٨٢، وانظر آيات (٣، ٢، ١) من سورة الممتحنة صفحة ٧٣٤، ٧٣٥. فهل مع كل هذا تخافونهم؟ لا تخشوهم فإله وحده هو الذي أحق أن تخشوه، لأنه يصير ويضع وهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، إن كنتم مؤمنين حقاً، وهذا تحريض شديد على كف شر هؤلاء المشركين الذين بقوا حول مكة متمسكين بشركهم، وكانوا يشاركون قريشا قبل فتح مكة وإسلام أهلها في كل تدبيرهم ومكائدهم للنبي ﷺ ومتضامين معهم في حروبهم للمسلمين، فكل ما كان يسبب لقريش قبل إسلامها فهو ينسب إليهم.

المفردات: ﴿أم﴾: تقدمت في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ إنها تعيد الاستفهام

﴿وليجه﴾. هي ما يولج أى يدخل فى القوم وليس منهم يطلق على الواحد والكثير والمراد هنا بطانة العدو من المنافقين والمشركين أى شاهدين على أنفسهم بلسان الحال لا بلسان المقال كما فى الآية (٧) من سورة العاديات صفحة ٨١٨.

﴿حبطت أعمالهم﴾. أى بطلت.

﴿يعمروا مساجد الله﴾: عمارة المسجد تشمل العبادة فيه وترميمه وتنظيفه وخدمته وغير ذلك. «سقاية الحاج»: السقاية اسم للمكان الذى يوضع فيه الماء لسقى الناس، ويطلق أيضا على الإناء الذى يشرب به.

فَقَاتِلُوهُمْ بِحَبْلِهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَصْرُكُهُمْ عَلَيْهِمْ
وَيُثَبِّتُ صُدُورَ قُرَى الْمُؤْمِنِينَ ① وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيُثَرِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يُنَافِقُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ② أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ خَفَعُوا صُفُوفَكُمْ
وَلَمْ يُخَذِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَهَةٌ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ③ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ④
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ⑤ هَ أَهْمَنَّتُمْ سِقَاةَ
الْحَاجِّ وَحِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَقَسْنَ عَالَسَ وَاللَّهُ

كما فى الآية (٧٠) من سورة يوسف صفحات ٣١٢، ٣١٤ وسماها صواعا فى الآية (٧٢) من السورة بمسها صفحة ٣١٤ لأنه كان يكال بها أيضا كالصاع، وصارت السقاية تستعمل بمعنى الحرفة كالنجارة والحدادة، وهذا المعنى هو الظاهر هنا.

المعنى: بعد أن بين سبحانه دواعى قتال المشركين ووبخ على تركه، جدد الأمر بقتالهم، ووعد المؤمنين بتعذيب أعدائهم تشجيعا لهم على القتال، فقال: ﴿قاتلوهم يمدبهم الله﴾ على

- (١) قاتلوهم
- (٢) جاهلوا
- (٣) مساجد
- (٤) شاهدين
- (٥) أعمالهم
- (٦) خالدين
- (٧) مساجد
- (٨) الصلاة
- (٩) أتى
- (١٠) الركعة

أبديكم بالقتل، ويمينكم عليهم، ويحرقهم بالأسر، ويصبركم عليهم أم يصبر، يجعل عليه
النهائية لكم ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ هم الذين كانوا في مكة وعبروا عن الهجرة حتى
أنقدهم النبي ﷺ حين فتح مكة سنة ٨ هجرية، وكان المشركون من أهل مكة وما حولها
يعذبونهم، فشفي صدورهم بعمرة الإسلام، وبدهاب ما كان في قلوبهم من العيظ على الكفار
بإذلال من بقى من المشركين على الشرك وقهرهم انظر الآية (٧٥) من سورة النساء صفحة
١١٢ ويتوب الله على من يشاء منهم، وهم الذين نبهت عقولهم العسرة فأرالت غشاوة المصيبة
الجاهلية

والله عليهم بمن يستحق قبول توبته لحسن استعداده، حكيم فلا يصع الشيء إلا في
موضعه ولما سبق على بعض المسلمين قتال قومهم كما تقدمت الإشارة إليه في الآية ٢١٦ من
سورة البقرة صفحة ٤٢، وتضمن بعضهم أن يمهلوا حتى يهديهم الله، وكان سبحانه يعلم من
أمرهم ما لا يعلمون، قال: ﴿أم حسبكم﴾ أي هل طستم أيها المسلمون أن يترككم الله على ما
أنتم عليه من احتلال الصادق الإيمان بالضعيف ولا يأمركم بالجهاد فتمتحنوا بما يميز
المخلص من غيره، والعال أن الله لم يعلم علم وقوع المجاهد المخلص ولم يتحد من غير الله
ولا رسوله ولا المؤمنين أحصاء يطلعهم على أسرار دولته، وفي علمه تعالى كناية عن عدم
حصول هذا التمييز، فعلم الله إما قديم قبل وقوع الحوادث أو منجر يتصل بالأحداث حين
تقع، والمراد هنا الثاني أي لما يكشف ما كان في علم الله من قديم ولا يكشفه إلا الامتحان
الذي يميز الحبيب من الخليل، فالمراد أتظنون أن تتركوا بدون تمييز أمام الناس، والله حبير
بكل ما تعملون من خير وشر ويجاريكم عليه.

انظر مثل هذا النهي عن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين في الآية (١١٨) من سورة آل
عمران صفحة ٨٢، وبعد أن زالت ولاية المشركين عن المسجد الحرام سنة ٨ يفتح مكة،
ودخول أهلها في الإسلام، وأزال ﷺ ما كان فوق الكعبة من الأصنام، أراد أن يبلغ جميع
المشركين في كل مكان أنه لا يقرب البيت الحرام بعد هذا العام وهو سنة ٩ هجرية غير

المؤمن، أما المشرك فلا يصح له أن يدنو منه، وذلك تحقيقاً لأمره تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام المتقدم في الآية (١٢٥) من سورة البقرة صفحة ٢٤ فقال سبحانه ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله... الح﴾، أي لا ينبغي ولا يصح للمشركين أن يعمروا مساجد الله مطلقاً، فضلاً عن أشرفها وهو المسجد الحرام، حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر باعترافيهم بعبادة الأصنام، أي فلا ينبغي أن يجمعوا بين التقيصين عمارة بيت الله و تكمر به سبحانه، أولئك المشركون بطلت أعمالهم التي يطلبونها تقربهم إلى الله لما حالطها من الشرك به سبحانه، وسيدخلون نار جهنم حالدين فيها أبداً

إنما الذي يصح له أن يعمر مساجد الله هو من آمن بالله، والإيمان به إيمان برسله، وأمن باليوم الآخر، وأقام الصلاة، وأتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، فيعمل ما يأمره به، ولا ينأى بمن يحاول منه من طاعة ربه، فهؤلاء المتصمون بما تقدم ترجى لهم الهداية إلى الجنة، ولما كان حصل بين بعض أصحابه ﷺ حوار في أي الأعمال أفضل كما في رواية مسلم عن النعمان بن بشير،

فقال بعضهم:

سقى حجاج بيت الله الحرام لشدة حاجتهم إلى الماء ولصعوبة حمله المسافات الطويلة بعلاف الزاد.

وقال آخر:

بل عمارة المسجد الحرام، وقال ثالث: بل الجهاد في سبيل الله، لما كان هذا أراد سبحانه أن يبين الصواب بما فيه توبيخ المشركين على ظنهم أنهم يتقربون إلى الله بعمارة المسجد الحرام مع بقائهم على الشرك فقال سبحانه محاطباً المؤمنين معرضاً بالمشركين أحملتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أي مع الإيمان كما يفهم من المقام حتى تصح المماصلة الآتية كمن آمن بالله.... إلخ.

المفردات: ﴿رصوان﴾: الرصوان الرضا التام الكامل من كل وجه، فهو فوق بعيم الجبة كله، انظر الآية (٧٢) من هذه السورة صفحة ٢٥٢، والآية (١٥) من سورة آل عمران صفحة ٦٥.

﴿مقيم﴾: أي خالد لا يزول.

الحكم، لأنه وصع للشئ في غير محله. ثم بين سبحانه الحكم الصحيح على أبلغ وجه فقال ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ من غيرهم ممن عمل صالحا غير عملهم، فضلا عما لا عمل له من الحير إلا السقاية والعمارة، وهم المشركون الذين يظنون ذلك. وأولئك هم الفائزون بالنعيم الممتاز الذي بيته بعد ذلك بأنه نعيمان أحدهما روحاني وهو أعلاهما، والآخر جسماني، فقال، يبشرهم ربهم على لسان ملائكته عند الموت برحمة عظيمة خاصة بهم فوق الرحمة العامة الشاملة لكل مخلوق كما في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صمعة ٢١٧، وبرصوا من أكبر لا يعالطه ولا يقبضه سقط، فالنعيم الروحاني قسما، عطف وإحسان خاص، ورضا لا يقدر قدره أحد، والنعيم الجسماني جنات تجري من تحت غرفها الأنهار لهم فيها نعم من كل ما تشتهيها الألبس وتلد الأعين فوق نعيم من لم يعمل عملهم من السبق إلى الإيمان والهجرة والجهاد، انظر من الآية (١٠ إلى الآية ٢٦) من سورة الواقعة صمعتي (٧١٣، ٧١٤) مقبهم أي لا يرول حال كوبهم حالدين في تلك الجنات أبدا، وكل هذا ليس بمعبدا عليه تعالى، لأن له أجر عظيم لا يعرف قدره غيره سبحانه، ولما كانت علاقات القرابة والنسب وتشابك المصالح مارلت قائمة بين المؤمنين وبين بعض المشركين المقيمين حول مكة وهي أبعاء الجريرة، وكان بعض المسلمين يجول في بصره النور من قتالهم لظنه أنه أصبح آمنا من تفوقهم، ولرجاء إيمانهم كما تقدم، والله يعلم أنهم حينئذ لا يصلح معهم إرشاد، حذر المسلمين من اضطماء أحد منهم فقال لا تتحدوا أبائكم وإخوانكم أصمياء تطلعوبهم على أسرار أمتكم ما داموا يستحقون الكفر ويقدمونه على الإيمان بالله ورسوله، وبعد هذا التحذير من يتولهم منكم فهو الظالم لنفسه بتعريضها لمضب الله وسخطه. ثم حدد سبحانه بما هو أقوى في منعهم فقال قل لهم أيها النبي إن كان آبائكم الذين تفاخروا بهم وتعذبون بالنسبة إليهم كما تقدم في الآية (٢٠٠) من سورة البقرة صمعتي ٣٩، ٤٠ وأبائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اكتسبتموها بمجهودكم هي عزيزة عليكم وتجارة تحاقون بوارها ومساكن ترصوبها، إن كان كل هذا مما تركتموه ورأيكم أحب إليكم من الله ورسوله إلخ.

وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ فَمَن صُورًا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ١١ فَقَدْ صَرَّحَ اللَّهُ بِتَوَلَّيْنِ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حَتَّى إِذْ أَجْمَعْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تَحْشَ عَكْرَ شَيْعًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذْرِبِينَ ١٢ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ سَيِّئَتَكُمْ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْسَلَ حُودَادًا تَرَوْنَهَا وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ حَرَامٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ١٣ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤ بَنَاءُ الْفَرِيقِ أَمْرًا إِذَا الْفَتْرُونَ تَجَسَّسَ فَلَا يَتَقَرَّبُوا السَّجْدَ الْحَرَامَ بِمَقْدَمِهِمْ هَذَا وَإِنْ حَتَمَ عَلَيْهِمْ مَقْرَفٌ يَتَمَكَّرُ اللَّهُ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ شَأْنٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

المفردات: ﴿تريصوا﴾: انتظروا.

﴿يأتى الله بأمره﴾: أى بعذاب يأمُر

بإبراله بكم.

﴿مواطن﴾: جمع موطن، والمراد به هنا

المكان الذى وقعت فيه حرب.

﴿يوم حين﴾ هو يوم السبت ١٦ من شوال من

السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة مباشرة.

﴿كثرتكم﴾: فكانوا اثني عشر ألفا

... ١٢، وهو عديد لم يبلغه جيش

المسلمين قبل ذلك.

﴿وصافت عليكم الأرض بما رحبت﴾

الرحب السعة، والباء بمعنى مع و(ما) تجعل ما بعدها مصدرا، فالمعنى صافت عليكم الأرض مع سمعتها.

﴿أرسل الله سكينته﴾ السكينة اسم للحالة النفسية الحاصلة من طمأنينة القلب وعدم الاضطراب

﴿تجسس﴾ أصل التجسس بالفتح مصدر تجسس الشيء من باب تعب، قال شيء تجسس يكسر

الحيم، وأريد بالمصدر هنا الشخص التجسس بالكسر مبالغة، ومعناه شريك حبيث النفس يصير

من يتصل به. ﴿عامهم هذا﴾: هو سنة تسع هجرية.

﴿عيلة﴾: فقرا.

المعنى إذا كان واحد مما ذكر من الآباء وما بعدهم أحب إليكم من الله ورسوله ومن

الجهاد في سبيل الله فأنتم ضعفاء الإيمان أو مضعفون، ومن كان هذا شأنهم فليتنظروا ما

(١) الماسفين.

(٢) لكاهرين

(٣) قاتلوا

يأمر الله به لهم من العذاب والبعد عن هدايته، لأن الله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته المفصلين غيره عليه.

ثم أراد سبحانه أن يبين للمسلمين أن العير ليس في ولاية الأقرباء غير المسلمين بل في طاعة الله، لأنه هو الذي يصبر ويصنع، فقال مخاطباً المؤمنين: ولقد نصركم الله في مواضع كثيرة من مواضع القتال مع قلة عددكم وعدتكم كيوم بدر وخيبر والأحزاب وفتح مكة وقتال يهود قريظة والنضير إلى غير ذلك، وحين يوم حنين لما فيه من المعبر الكثيرة فقال (ويوم حنين) أي واذكروا يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم وكانت الحرب فيه بين المسلمين وبين هوازن وثقيف وكان جيش الكفار نحو ثلاثين ألفاً، وكان في جيش المسلمين عشرة آلاف ممن جاءوا من المدينة لفتح مكة والمان من أهل مكة الذين أسلموا حديثاً، وكان فيهم صناديد الإيمان الذين تسببوا في الهزيمة أول الأمر، ولما رأى بعض المسلمين كثرة جيشه قال لن مطلب اليوم، فسممها ﷺ فلم تمجبه، لأنها تدل على المرور وعلى اعتماد الشعب على كثرة العدد، والعملة عن الله سبحانه وقد كان ما حشيه ﷺ؛ فلما التقى الجمعان وهُزم المشركون سارع أهل مكة لجمع المائتات وتركوا الحرب، هارتقى جنود المشركين أعلى الجبال من حلف المسلمين واشتدوا في صربهم، فدعر المسلمون واحتلظ الأمر، و أشيع أنه ﷺ قتل، هضر جيش المسلمين مسرعاً في الإديار، وعند ذلك أنزل الله سكينته على رسوله وعلى نحو ثمانين (٨٠) من المؤمنين معه، وأمر جنوداً روحانية من الملائكة لم تشاهدوها بأعينكم ولكن وجدتم أثرها في قلوبكم من الشببات بعد الانهزام، وسيأتي توضيح ذلك في الآية (٤٠)، وقد بقي ﷺ راكباً بغلته كالطود الراسخ يقول صادياً (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب)، فسمعه بعض المسلمين فنادى في المنهرمين أن رسول الله لم يصب بسوء، هرجعوا وسيوفهم تلعب كأنها المشهب، فظن المشركون أن هذا مدد جديد أدرك المسلمين، فوقع في قلوبهم الرعب، فانهرموا وتركوا وراءهم نساءهم وأطفالهم وجميع أموالهم من إبل وبقر وعصم، وكان ذلك جراً الكافرين في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، ثم يتوب الله من بعد ذلك على

مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وهم الذين أيقظتهم الحوادث، وكشفت غشاوة قلوبهم من المؤمنين الصارين. والله كثير المنفرة لمن رجع إليه، رحيم لا يجعل العقوبة. ومن أراد تفصيل ما حدث في هذه الفقرة وسبب انكسار المسلمين أولاً واستنصارهم ثانياً، والعبر الكثيرة في ذلك، فليرجع إلى شرح حديث رقم ٤٠١ من كتابنا صفة البحارى.

وبعد ما بين سبحانه ما كان من شأن المشركين مما تقدم في الآية (١٧) المتقدمة صفحة ٢٤٢، وغيرها أمر بإبعادهم عن المسجد الحرام فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا لِمُشْرِكُونَ أَشْرَارُ حَبِثَاءُ، فَلَا تَجْعَلُوهُمْ يَتْرِبُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا. ولما كان أهل مكة يتعمقون بكثرة الحجاج والمعتمرين، وكان المشركون يعجبون ويعتمرون على طريقتهم المشوبة بالشرك، طمأن سبحانه أهل مكة بقوله ﴿وإن خفتم جملة فسوف يفتيكم الله من فضله﴾ من العائث ولكثرة الحجاج من المسلمين وغير ذلك، وقوله (إن شاء) ليطمئننا أن نرجع كل الأمور إليه سبحانه ونقطع النظر عن غيره، إن الله عليم بالمخلص منكم. حكيم فيما يعطي ويمنع، وبعد أن فرغ سبحانه من الكلام على مشركي العرب أراد أن يظهر الجريئة من أهل الكتاب أيضاً إذا لم يستقيموا ويحسموا لحكم الإسلام، وهذا تمهيد للكلام في غزوة تبوك مع الروم وهم أهل كتاب وما فيها من نصيحة المنافقين كما سيأتى، فقال

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلخ' أى قاتلوا من اجتمعت فيهم أربع صفات سلبية هي سبب عداوتهم للإسلام، الأولى: أنهم لا يؤمنون بالله على الوجه الحق لأنهم عدوه، فبعض اليهود قال المريز ابن لله، والنصارى جعلوا المسيح إلهاً أو ابناً له، والجميع اتحدوا من أحبارهم ورهباؤهم أرباباً لهم كما سيأتى والثانية عدم إيمانهم باليوم الآخر على الوجه الصحيح لأنهم يقولون إن الحياة فيه روحية فقط يكون الناس فيها كالملائكة، والصحيح أن الإنسان فيها هو الإنسان بجسمه وروحه، ويقول اليهود لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة كما هي الآية (٨٠) من سورة البقرة صفحتى ١٥، ١٦، إلى غير ذلك ما يصعب قيمة الإيمان باليوم الآخر، انظر الآية (١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠، ولا يحرمون أى يحلون ما حرم الله.

مَأْحَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَا يَدْعُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
مُسْتَعِفُونَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزُّنَا ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَمْثَلِهِمْ
يُصْهِرُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَطَهُمْ أَنَّ
يُؤْتَوْنَ ۖ ﴿١١﴾ أَلَمْ نَكُنْ نُبَيِّنْ لَكُمْ آيَاتِنَا أَنْتُمْ أَتَىٰ
فُؤَادَ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَمْثَلِهِمْ وَيَبَيِّنَ اللَّهُ
أَنَّ نُورَهُ قَدْ أَتَىٰ وَرُوحَهُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهَقِّ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

المضردات: ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾: هم
اليهود والنصارى ومن في حكمهم كالصابئين
المتقدم ذكرهم في الآية (٦٢) من سورة البقرة
صصحتي ١٢، ١٣، والمراد بالكتاب جنسه
فيشمل التوراة والإنجيل والربور وغيرها.

﴿الجزية﴾: هي مقدار من المال يدفعه
الكتابي على قدر طاقته مجازاة عن تكفل
الدولة بحماية نفسه وماله وعرضه ودينه،
والا يكلف بحرب إلا إذا تلوغ.

﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون﴾: ﴿عن يد﴾ تطلق اليد على القدرة

فيقال ليس لي بكدا يد، أي لا أقدر عليه، فالمراد ألا يرهق بما يشق عليه.

﴿وهم صاغرون﴾ أي خاضعون لحكم الدولة غير متمردين. وقيل هي المنار عند هذه الآية

اليد السعة والقدرة، فلا يظلمون ولا يرهقون، وهذا القيد لصالحهم، والقيد الثاني لصالح
المؤمنين، وذلك بحصوعهم لسيادة المسلمين، وبهذا يكون قد مهد السبيل لهدايتهم للإسلام.

(١) الكتاب

(٢) صاغرون

(٣) النصارى

(٤) بأموالهم

(٥) يضلعتون

(٦) قائلهم

(٧) ورهبانهم

(٨) واحدا

(٩) سيئاته

(١٠) يطعنوا

(١١) بأموالهم

(١٢) الكاهن

بما يرونه من عدلهم، وفصائلهم، التي يشاهدونها في معاملتهم، ويدركون أنها أقرب إلى هداية أنبيائهم، كأنه يقول، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.. إلى أن قال ولا يديون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب، أي قاتلوا من ذكر عند وجود مقتضى القتال، كاعتداء عليكم، ومساعدة عدوكم، وتهديد أمنكم بأي صورة من الصورة، حتى تأمنوا عدوأنهم. بحصوهم لدولتكم، ودفع الحزبة، لتكون مقابل ما يدفعه المسلم من الزكاة، ليصرف من الجميع في مصالح الدولة.

﴿عزير﴾: من يسميه أهل الكتاب عزرا.

﴿بأهواهم﴾ أي قولا وكلاما لا يتعدى الفم إلى العقل، لأنه باطل لا يستند إلى دليل، انظر الآية (٥) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، والآية (٤) من سورة الأحزاب صفحة ٥٤٩.

﴿بصاهئون﴾ يشابهون ويحاكون به ﴿أنى﴾: أي كيف.

﴿يؤفكون﴾: يصرفون عن الحق. ﴿أخبارهم﴾ جمع خبر بفتح الحاء وكسرهما وهو العالم من أهل الكتاب.

﴿رهباهم﴾: جمع راهب، وأصله عند النصارى المنقطع للعبادة، والمراد به هنا ما يشمل المتعبد عند الجميع، ﴿نور الله﴾. المراد به القرآن وما فيه من الهداية، انظر الآية (١٦٢) من سورة النساء صفحات (١٣٠، ١٣١)، والآية (٨) من سورة التباين صفحة ٧٤٦.

﴿يظهروه﴾ يعليه بقوة البرهان ووضوح تعاليمه وموافقته للعقول السليمة ولمصلحة الناس كافة، انظر ما تقدم في شرح الآية (١٩٢) من سورة البقرة صفحات ٣٧، ٣٨.

المعنى. قاتلوا الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله فأكلوا السحت والربا ولحم الخنزير، وقاتل بعضهم بعضا كما هي الآية (٨٤) من سورة البقرة صفحة ١٦، وانظر آيتي (٦٢، ٦٣) من سورة المائدة صفحة ١٤٩، ولا يتدينون بدين الحق الذي في كتبهم بل حرقوه ويدأوه ثم نبى سبحانه هؤلاء الذين جمعوا بين كل هذه الجرائم فقال ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ فقاتلوهم عند وجود مقتضى للقتال كإظهار المداوة لكم والاتصال بعدوكم أو فعل أي شيء مما يهدد

أممكم حتى يعطوا الجزية كل بحسب قدرته وهم حاصصون لحكمكم ومحافظون على نظام دولتكم. ثم بيّن سبحانه بعض ما تقدم مجملًا فقال وقالت اليهود أى بعضهم عرير ابن الله، ويقال إن هؤلاء قد انقروا وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك القول الذى قالوه عن العرير والمسيح قول صادر من المم فقط ليس له فى الوجود حقيقة، إن هو إلا محض افتراء يضافون به قول الكفار قبلهم من مشركى العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، سبحانه عما يصحون انظر شرح الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحة ٢٢، وبراهمة الهدى والبوديون والصينيون الذين يقولون بحلول الإله فى بعض المخلوقات سبحانه ربنا عما يصحون. فالمراد تصفيه الكتابيين بأن عقيدتهم تمسيت إلههم من المشركين قبلهم، فهم لهذا يستحقون أن يدعى عليهم بالهلاك، و يقال فيهم قاتلهم الله. كيف يصرفون أنفسهم عن معرفة الحق الواضح.. ثم أراد سبحانه أن يبين شيئًا من هذه المصاهاة فقال اتحدوا رجال دينهم وعبادهم أربابا أى أرسلوهم منزلة الرب فى تحليل الحرام وتحريم الحلال، ورد فى الحديث الصحيح أن بعض من أسلم من أهل الكتاب لما سمع هذه الآية قال يا رسول الله ما كنا نجعلهم أربابًا، فقال ﷺ اليسوا كانوا يعرمون لكم ويعلون وتتبعونهم؟ قال، نعم فقال ﷺ هو ذلك، لأن هذا لا يكون إلا من الرب سبحانه وقد اتحد النصارى فوق ذلك المسيح بن مريم ربنا لهم حيث جعلوه ابن الرب سبحانه ربنا عما يشركون، والحال أنهم حميما ما أمروا فى كتبهم وعلى لسان رسلهم إلا ليعبدوا الله إلها واحدا، لأنه لا إله إلا هو سبحانه، أى تربيها له تعالى عن شركهم له غيره فى الألوهية والربوبية يريد هؤلاء الكتابيون أن يطمئنا نور الله الذى أفاضه على الخلق فأصبح ساطعا كالشمس بأهواهم الهريفة، والكلام تصفيه لقولهم وإطهار لطيفتهم بمظهر من يظن أن ضوء الشمس فى علاها كصوء فتيلة الزيت يطمئه نفس الطفل الحافى أى فى محاولة عاشلة، لأن الله لا يريد إلا أن يتم نوره ببعثه خاتم النبيين والرسل إلى الخلق أجمعين ولو كره الكافرون. ثم أراد سبحانه أن يبين كيف يتم نوره فقال هو الذى أرسل رسوله محمداً بالهدى الأكمل وبين الحق الثابت الذى لا يسحبه دين بعده، بجعله مستعليا على كل دين، لما فيه من حجج قاطعة وعلم صحيح، ووضوح عقائده، ولمواظبة شرعه لمصالح الناس كافة، ولو كره المشركون هذا التوفيق.

كثيراً من الأتجار والرهبان لها تكون أموال الناس
بالسبل ويصدون عن سبيل الله والذين يكفرون
الذهب والفضة ولا يعفون في سبيل الله فيترهم
وعذاب الأبد ① يوم يحسن علياً في نار جهنم تكفى
بها جنتهم وجناتهم وظهورهم فلما ما صكرتم
لأنفسكم فلو قرأ ما كنتم تكفرون ② إن عدة الشهور
حده الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق
السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم
فلا تظلموا فيه أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما
يقتلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين ③
إنما الدين أمانة في الأئمة يصل إليهم الذين كفروا
يحلونهم كما ويحرمونهم كما ليواطعوا عدة ما حرم الله

المفردات: ﴿في كتاب الله﴾: فيما كتبه
وقدره في الأزل.

﴿أربعة حرم﴾: مفرداتها حرام كسحب
مفرداتها معاتب، وسميت بذلك لأن الله حرم
فيها القتال على لسان إبراهيم وإسماعيل.

﴿القيم﴾: المستقيم.

﴿النسب﴾: مصدر كالعريق والصهيل، من
نسب الشيء نسباً أي آخره، والمراد هنا تاحير
حرمة شهر إلى آخر.

﴿ليواطعوا﴾: ليواضعوا.

﴿عدة ما حرم﴾ أي عدد الشهور المحرمة بقطع النظر عن تعيينها

المعنى بعد أن بين سبحانه سوء حال اتباع الأتجار والرهبان في اتعابهم لهم أرباباً، أراد
أن يبين بعضاً من حال هؤلاء الأتجار والرهبان في تصليبهم لأنواعهم، فيحذر المؤمنين من
الوقوع فيما وقعوا فيه فقال مؤكداً ما حصل منهم ﴿بأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأتجار
والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل﴾ من المسحت والرشاوى لتعميم أحكام التوراة كما
تقدمت الإشارة إليه في الآية (٩١) من سورة الأنعام صمعة ١٧٣، والآية (١٦٩) من سورة

(١) أموال

(٢) بالباطل

(٣) كتاب،

(٤) السموات

(٥) فانتلوا..

(٦) يقتلونكم

(٧) ليواطعوا..

الأعراف صفحة ٢٢٠، ومن استحللهم أموال غير اليهود كما هي الآية (٧٥) من سورة آل عمران صفحات ٧٤، ٧٥، وما يأخذ رجال الكنيسة ليعصروا الذنوب ويدخلوا الجنة، إلى غير ذلك، والمراد بالأكل مطلق الأخذ كما تقدم مكررا في أول سورة النساء صفحة ٩٧ ويصدون الناس عن سبيل الله ودينه الحق الموصل إلى الجنة محافظة على رئاستهم ثم حذر المسلمين من المبالغة في حب المال حتى لا يكونوا مثلهم فقال:

﴿والذين يكتزون الذهب والمصنة﴾ بمنع حقوق الله فيهما وحقوق الفقراء، ولذا قال ﴿ولا يعمقونها في سبيل الله﴾ وهو طريق الخير للمسلمين ﴿هم شرهم بعذاب أليم﴾ يلاقى يوم يحصى على هذه الأموال في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجيوبهم وظهرهم أي محيطة بهم من كل جانب، ويقال لهم إن هذا الذي تكتزون به هو ما كنتموه ولم تعملوا منه حقوق الله والناس، هدوؤوا اليوم وبال كنركم وعبر عن الخير السيئ بالتبشير وهو لا يكون إلا بحير للسحرة بهم كما تقدم مرارا، وتخصيص الذهب والمصنة بالذكر لأنهما الغالبان في أساس المعاملة في ذلك الوقت لا لخصوصيهما ودائهما، فالمراد كل ما يعتبره الناس أساس تعامل بينهم، والله قادر على أن يجعل غير الذهب أشد في الإحراق منه، هذا إذا لم نقل إن الكلام كناية عما سبيل الذين يكتزون الأموال ولا ينمقونها في سبيل الله من العذاب الشديد في الآخرة، ثم رجع سبحانه إلى الكلام عن أحوال المشركين وما يطلب في معاملتهم بعد الصلح، بعد أن ذكر شيئا من أعمال أهل الكتاب التي اشتركوا فيها مع المشركين.

فقال ﴿إن عدة الشهور﴾ الخ، المراد أن عدد شهور السنة اثنا عشر شهرا فيما قدره الله لنظام خلقه ليعملوا به في عباداتهم كالحج والصوم، ومعاملاتهم كالإجارة والبيع، انظر الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٥، ٣٦٦، وهذه الأشهر الاثنا عشر كتبها الله وقدرها على هذا النظام من يوم أن خلق السموات والأرض وجعل منها على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام أربعة أشهر يحرم القتال فيها، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكانت العرب تحترم ذلك التحريم حتى أن الرجل منهم يلقي قاتل أبيه فيها فلا يمسه سوء، إلى أن

تلاعب بعض رؤسائهم كما سيأتى وذلك التحريم لهذه الأشهر الأربعة هو دين الله المستقيم الذى لا عوج فيه، فلا تظلموا أنفسكم فى هذه الأشهر بانتهاك حرمتها والقتال فيها، وقاتلوا المشركين جميعا كما يقاتلونكم جميعا، واعلموا ان الله مع المتقين لما يعصيه، معهم نصره وتأييده، ثم بيّن الله بعض جرائم المشركين فى هذا الموضوع فقال

إنما السعى الذى يفعله مشركو العرب كفر يضاف إلى كفرهم الأساسى، لأن تحليل ما حرم الله كفر كما أن شركهم به تعالى كفر. وبيان ذلك أن المرء، كانوا لا يقطعون عن العرو ولحرب فيهب القادر منهم الضعيف، فإذا ما اشتبكت قبيلتان فى حرب ودخل شهر من هذه الأشهر الأربعة أو طال عليهم انتظار الشهر الحلال وحاصلة فى مدة الثلاثة شهور الحرم المتوالية، ذو القعدة ودو الحجة والمحرم، فإن القوى منهم يعلن فى قومه أنه أحل لهم شهر المحرم مثلا، وينقل حرمة إلى شهر صفر، فإذا جاء العام التالى ووجد أن الحالة تستدعى القتال فى صفر فإنه ينقل التحريم إلى شهر ربيع وهكذا، وكان أول من فعل ذلك زعيم منهم يسمى (القلمس) بفتح القاف واللام وتشديد وهج الميم فهذا السعى يصل به رعماء المشركين اتباعهم حيث يوجهونهم أن الله أجاز لهم حق نقل الحرمة من شهر إلى آخر، فكانوا إذا أحلوا شهرا حرموا الآخر مكتفين بأنهم وافقوا عدد الأشهر التى حرم الله القتال فيها

ولكن هذا تحليل منهم، لأن الله حرم أشهرا معينة فطاعته تقتضى المحافظة على الحرمة، وعلى الأشهر التى عيىها سبحانه على لسان أنبيائه إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم السلام فمثلهم فى باطلهم كمثل من يصوم بدل شهر رمضان شهر شوال مثلا، فإذا ما سئل يقول إن الله أوجب على صوم شهر وقد صمته مع أن الله أوجب عليه صيام شهر معين لا مطلق شهر، فالتلاعب به كفر صريح.

المفردات ﴿مالككم﴾ الاستمهام للإنكار والتوبيخ، والخطاب للمسلمين.

﴿أنفروا﴾ أسرعوا فى الذهاب إلى ما يرضى الله.

﴿أناقاتم﴾ أصلها تناقاتم أى تبايأتكم

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾:

قال القرطبي (من الآخرة) أي بدلا من نعيم الآخرة، فمن تتصمن معنى البدلية كما هي الآية (٦٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٣.

﴿إِلَّا تَتَصَرَّوْا﴾: أصلها إن لا تتصروا، وكذلك

(إلا تتصروه).

﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تصبوا في إذن

الله له بالخروج

﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾: واحد من اثنين.

﴿فِي الْفَارِ﴾: هو فحوة في أعلى جبل ثور

على مسافة ساعة من مكة.

﴿لصاحبه﴾: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿سَكِينَتُهُ﴾: تقدم بيانها في الآية (٢٦) من هذه السورة صفحة ٢٤٤، وستأتي في الآية (٤)

من سورة المتح صفحة ٦٧٨.

﴿بِجَبُودٍ لَمْ تَرْوَاهَا﴾: هم الملائكة، وقد تقدم أن للملائكة تأييدا روحانيا باتصالها بنفس

المؤمن، كاتصال الشيطان ونفسه في نفس الفاسق بدون أن يراه، انظر الآية (٢٧) من

سورة الأعراف صفحات ١٩٥، ١٩٦ والآية (٣١) من سورة المدثر صفحات ٧٧٦، ٧٧٧.

(١) أعمالهم.

(٢) الكافرين.

(٣) بالعبادة.

(٤) متاع.

(٥) النسيان.

(٦) لصاحبه.

(٧) وجاهدوا.

(٨) بأموالكم.

فَعَمِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زِينَةً لَهُمْ سَوَاءٌ أَتَمَّ إِلَهُمْ وَأَنَّهُ لَا يَبْدَى
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ يَتَأَيَّسُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ
إِنَّا نَهَلْ لَكُمْ أَنْتُمْ رَأَيْ سَهْلَ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ قَدْ مَتَّعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٥١﴾ إِنْ أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ بِعَلْبِكُمْ
مَذَابًا إِلَهُمَا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَصْرُوهُ شَيْعًا
وَأَنَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ إِنْ أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّ
إِنَّا نَخْرُجُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَدَى أَنْتُمْ إِنْ عَمَّا فِي الْغَايِ
إِنْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ قَدْ رَلَّ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَجْمَرُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ تَرْوَاهَا وَجَمَلُ كَلِمَةٍ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْفُلُ وَكَلِمَةُ اللَّهِ مِنَ الْعُلْيَا وَأَنَّ هَرِيْدُ
حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ أَمِيرُوا إِحْسَادًا يُقَاتِلُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

﴿حمافا﴾. جمع حصيف، وتكون الحمة بسبب الصحة والحافة والشباب والبشاط وعدم الشواغل،

﴿ثقالا﴾ جمع ثقيل، ويكون الثقل بسبب مرض أو سمن أو كبر أو كسل أو شواغل.

﴿كلمة الدين كمروا﴾ هي كلمتهم التي اتفقوا فيها على قتله ﷺ، وكانوا محتتمعين في دار لدوة فنجاء الله سبحانه من كيدهم، انظر الآية (٢٠) من سورة الأنعام صفحة ٢٢١
﴿وكلمة الله﴾ هي كلمته التي وعد فيها أنبياءه بالنصر، انظر الآية (١١٥) من سورة الأنعام صفحات ١٨١، ١٨٢، والآية (٥١) من سورة عاقر صفحة ٦٢٤.

المعنى فهم لم يحفظوا إلا على العدد، ولكن أهملوا عين الأشهر المحرمة فأحلوا ما حرم لله، أي وحرّموا ما أحل، وقد رين لهم الشيطان سوء أعمالهم فظنوا القبيح منها حسنا، والله لا يهدي الكافرين الذين اتبعوا تزيين الشيطان، انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٢٦، وما تقدم هي الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. وبعد أن أمر سبحانه بتطهير حريرة العرب من المشركين وأذنابهم، أراد أن يؤمن المسلمين من غدر جيرانهم نصارى الروم ومن قد يضم إليهم ممن هم تحت سلطان المسلمين من نصارى العرب وكذا يؤمنهم شر المنافقين وهم أحبب خلق الله، ومن تحت سلطانهم من نصارى العرب، وكان نصارى الروم قد شرعوا في إعداد جيش لمهاجمته ﷺ في المدينة، وقد علم بذلك الرسول ﷺ من تجار قادمين من الشام، فحرم على مهاجمتهم في دارهم قبل أن يهاجموه في داره، فأمر بالاستعداد لسمر طويل، وكان ذلك في رجب عام ٩ هجرية، وكان الحر شديدا، والمسلمون في عسرة من الراد وتركائب، وبعد أن سار ﷺ وصل الخبر للروم، فخافوا وأرسلوا وفدا لمصالحته فلقبه في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق في مكان يقال له (تبوك) بفتح التاء وصم البناء محفمة، ومصالحوه على أن يدهموا له الجزية، فرجع ﷺ بعد أن مكث في تبوك بصنع عشرة ليلة، وتسمى هذه الغزوة غزوة تبوك أو غزوة المعصرة، لما سيأتى في الآية (١١٧) من هذه السورة

صفحة ٢٦٢ مما سبقت إليه الإشارة، وكانت هذه العزوة سببا في تطهير المسلمين من أحقر عدو بين جنبيهم وهم المنافقون فقد فصّحهم الله في هذه السورة بما لم يسبق مثله، همارال يقول حتى كشف سترهم وستر أخبث رجالهم، ونزل في شأن هذه العزوة من أول الآية (٣٨) حتى آخر السورة.. ولتسهيل فهم ما يأتي يحسن أن تعلم أن المسلمين كانوا بالنسبة لهذه العزوة على أربعة أقسام:

القادرون على العزو وعدته وسارعوا إلى إجابته ﷺ، وهؤلاء أكثر الصحابة وبرلت فيهم الآيات (٤٤، ٨٨، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٧) من هذه السورة صفحات ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢ والقسم الثاني: وهؤلاء هم القادرون كسابقهم ولكنهم تأقلوا أولا بتأثير المنافقين، ولكن أدركهم لطف الله فأسرعوا بالسمير. ومما نزل فيهم آيتا (٣٨، ١١٧) هما وصفة ٢٦٢. القسم الثالث وهم 'الماجزون عن السفر أو عن عدته. وبرلت فيهم آيتا (٩١، ٩٢) وصفة ٢٥٧. القسم الرابع وهم المنحلّمون مع القدرة من كل وجه وهم أربعة أنواع الأول من نخلت كسلا ولم يعتذر للمبى ﷺ قبل السمير، ولما رجع ﷺ وسأله اعترف بحطئه وبرل فيهم آيتا (١٠٦، ١١٨) صفحتا ٢٦٠، ٢٦٢. والنوع الثاني من استأذن قبل السمير واعتذر بأعذار باطلة فأذن لهم الرسول وهو لا يعلم حقيقتهم، وهؤلاء هم عبد الله بن أبي بن سبيل رأس المنافقين وجماعة من قومه، ونزل فيهم كثير من آيات السورة من أول الآية (٤٢) وما بعدها وبرل فيهم أثناء السفر قبل رجوعه ﷺ إلى المدينة آيات (٨٣، ٩٤، ٩٥) صفحات ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨. والثالث بقية منافقي المدينة والمنافقين من الأعراب المقيمون حول المدينة وهؤلاء تحلموا بدون عذر، ولما رجع ﷺ 'اعتذروا بأعذار كاذبة، فصدقهم وقيل أعذارهم، ونزل فيهم الآية (١٢٠) من هذه السورة صفحة ٢٦٢ والرابع المنافقون الذين سافروا معه ﷺ تورطا وهؤلاء هموا بارتكاب أشنع جريمة، وبرل فيهم الآية (٧٤) من هذه السورة صفحة ٢٥٤ ومن أراد تمصيل ما حدث فليرجع إلى مقدمة شرح حديثي (٤٩٤، ٤٩٥) من كتابنا صموة البخاري.

والمعنى أى شيء حصل لكم أيها المسلمون حتى ملتم إلى راحة الأرض ونعيمها وتباطأتم عن نصرة الله عندما قال لكم النبي انصروا في سبيل الله؟ هل رضيتم براحة الدنيا ولداتها الرائلة بدلا عن نعيم الآخرة الباقي؟ إن كان الأمر كذلك فقد استبدلتم الأذى بالأعلى، لأن متاع الدنيا إذا قيس بمتاع الآخرة قليل جدا، حتى يكاد أن يكون لا شيء فإن لم تنفروا للجهاد عندما يطلب منكم الرسول ذلك فإن الله بعذبكم عذابا ألهما، ويمتبدل بكم قوما غيركم أحسن منكم، ولا تصروه بامتناعكم شيئا لأنه على كل شيء قدير، فإن لم تصروا الرسول على أعداء الحق سيصبره الله بقدرته وتأنيده كما صبره حين تسبب الكافرون في إخراجهم من مكة. انظر بيان ذلك في الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، حال كونه ﷺ أحد رجلين حين كانا في العار ورأى صاحبه أقدام الكفار عند باب الفار، فقال له ﷺ

لا تحرر لأن الله مما يصبره وحمانيته، فأمر الله العثمانيه والأمن على رسوله، فشملت صاحبه، وأيده الله بجيود من عنده سبحانه لم تروها يا من كنتم تطاردونه، وجعل سبحانه بسجادة رسوله كلمة الدين كمروا التي أجمعوا فيها على قتله، جعل كلمتهم هي السملى حيث أحبطها وأرجمهم حائسين، والحال أن كلمة الله وهي وعده رسله بالنصر وإعلاء كلمة التوحيد هي العليا، أى الغالبة، والله عزير غالب حكيم لا ينصر إلا المؤمنين. ثم جدد سبحانه الأمر بالجهاد بعد التوبيخ على تركه فقال: انصروا إذا دعيتم للجهاد على أى حال كنتم عليها من صحة أو مرض أو غنى أو فقر... إلخ، وجاهدوا بأموالكم.

المفردات: «عرضا»: ما يمرض للإنسان من متاع الدنيا. انظر الآية (١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠.

«قاصدا»: معتدلا بلا مشقة.

«الشقة»: المسافة التي تقطع بمشقة. «عما الله عنك»: أى تجاوز عن مواخذتك على اجتهدك، فهي كلمة عتاب رقيقة.

«أنبيائهم»: الأنبياء هو التوجه إلى الشيء بشاغل.

«فثبطهم»: التثبيط التعويق عن الشيء وإقامة المراقيل في سبيله..

المعنى: جاهدوا أيها المؤمنون بأنفسكم
 في سبيل الله فذلكم خير لكم في الدنيا
 والآخرة إن كنتم تعلمون ما ينفعكم. ثم تكلم
 سبحانه عن بعض من تحلف من المنافقين
 فقال: (لو كان عرضا...) إلخ، أى لو كان ما
 تدعو إليه أيها السبي متاعا للنفس قريب
 المال لا مشقة في الحصول عليه أو سفرا
 قريبا لا تبعوك، ولكن بعدت عليهم المصاحبة
 الشاقة، وسيعلف لك هؤلاء المنافقون بعد
 رجوعك قائلين: لو استعلمنا من جهة الصحة
 أو العدة لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم
 بوقوعهم في جرمين كبيرين: الجرم الأول

وَأَنْفُسُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
 لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ عَذَابُ اللَّهِ عَمَّا يُرِيدُ هُمْ
 حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾
 لَا يَسْتَفِيدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا آيَاتِهِ أَنْ
 يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عِلِيمُ الْغُثِّ الْيَسِينِ ﴿١٤﴾
 إِنَّمَا يَسْتَفِيدُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا آيَاتِهِ
 وَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا لَأَعْدُوا لَكَ عَدُوًّا وَلَكِنَّ عِزَّهُ بِاللَّهِ
 أَنْ يَأْتِيَهُمْ مَنَظَرُهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٥﴾

حلفهم بالله كذبا، والثاني تحلصهم عن بصرة رسول الله، فمصحبهم الله وشهر بهم، والله يعلم
 أنهم لكاذبون في قولهم إنهم لو استطاعوا لخرجوا، ولما كان ^{يخرجون} قد صدقهم وأدى لهم كما
 تقدم عاتبه سبحانه بقوله ﴿عفا الله عنك لم أدت لهم﴾ أى لاى شيء أدت لهم؟ وهذا تريث
 بالإذن حتى يبين لك الصادقون في الاعتذار من الكاذبين فيه؟ وذلك لأن الكاذبين لن يخرجوا
 سواء أدت أم لم تأد لهم، فكان ينبغي عليك أن تتنبه إلى أن استنذاهم مع لحالة التي هم
 عليها من صحتهم وغناهم إنما هو دليل نفاقهم لأنه لا يستأذك الدين يؤمنون بالله واليوم
 الآخر في أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم إن قدروا عليهما أو بأحدهما، والله عليم بالدين
 يتقون عصبه فيجاريهم أحسن الجزاء. ﴿إنما يستأذك الدين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾
 والحال أن الباعث لهم على ذلك أن الشك تمكن من قلوبهم، فهم يترددون أيذهبون أم يرجعون،
 هم في شكهم مذبذبون ولا يخرجون منه إلى اليقين أبدا لتمكن مرض الصاق من قلوبهم.

(١) يجاهدوا.

(٢) يستأذك.

(٣) الكاذبين

(٤) لكاذبون.

(٥) القاعدتين

(٦) يستأذك.

(٧) بأموالهم.

ولو أرادوا الخروج عن صديق نية لأعدوا له
عدة كاملة من زاد وراحة وكل ما يحتاج إليه
المجاهد ولكن لحكمة ستأتي بعد ذلك كره الله
أنيمالهم فثبطهم وسلط عليهم الشيطان يقول
لهم بوسوسته أقعدوا مع القاعدين.

المفردات: «خبالا»: هو مرض يؤثر في
العقل والتفكير.

«ولا وضعوا»: أصل الإيضاع نوع من سحر
الإبل فوق المعتاد، والمراد هنا أسرعوا ولم
يتمهلوا.

«خلالكم»: جمع خلل بوزن جبل وجبال.

لَوْ تَرَجُّعُوا فِيكُمْ مَا زِدُّوكُمْ إِلَّا عَذَابًا وَلَا تَضَعُوا خَلْطَكُمْ
بِيعُونَكُمْ الْيَتَمَ وَبِكُرْ سَمْعُونَ ثُمَّ وَأَهَّ طَيْمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ أَسْعَوْا إِلَيْ قَيْدِ قَبْلِ وَقُلُّوا أَفَكَّ
الْأَمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿١٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَلْنَدِينُ وَلَا تَعْقِبُنَا إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنْ جِئْتُمْ لِنُجِطَهُ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ
تُسْوِّمُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ
قَبْلُ وَبَدَّلُوا أَمْرًا فَرِحُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ مَلَبَتُنَا كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾
قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدٍ الْحَسَنَةِ وَتَحْسَبُنَا نَرْتَضِ
بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ هَبِيدَةٍ أَوْ يَأْتِيَكُمُ
الْفَقْرُ بَعَثْنَا إِيَّاكُمْ مَرَّةً بَصُرَتْ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَعْيَقُوا طَرِيقًا

و أصله الضجوة بين الشيثيين، والمراد هنا أسرعوا في الدخول فيما بينكم لتفريق كلمتكم.

«يبيعونكم الفتنة»: أي يطلبون لكم الفتنة قال الراغب: أصل معنى الفتنة إدخال الذهب في
النار لتظهر جودته من ردامته.. واستعمل في إدخال الإنسان النار قال تعالى: «يوم هم على
النار يفتنون ذوقوا فتنتكم» أي عذابكم. وقارة تستعمل الفتنة في العمل الذي يستوجب العذاب
ومنه «إلا في الفتنة سقطوا» ومنه قوله تعالى «فتنتم أنفسكم» أي أوقعتموها في بلية
وعذاب وقوله «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة». والمراد هنا يبيعونكم الفتنة
أي البلية والعذاب.

- (١) خلالكم.
- (٢) سماعون.
- (٣) بالظالمين.
- (٤) كارهون.
- (٥) بالكافرين.
- (٦) مولانا.

﴿وقلبوا تلك الأمور﴾ أي قلبوا آرائهم على كل وجه ليختاروا ما فيه صرك.

﴿جاء الحق﴾: هو النصر الذي وعد به الله.

﴿وظهر أمر الله﴾. أي غلب دينه وعلا شرعه بدخول الناس فيه أهواجا.

﴿ولا تفتس﴾: أي توقعنى في الفتنة قالها بعضهم لما علم أن السفر سيكون لبلاد الروم. يريد أنى قد افتتس بجمال نساء الروم فاقع في المعصية.

﴿هي الفتنة سقطوا﴾ أي وقعوا في المعصية العظمى وهي النفاق.

﴿قد احدا أمرنا من قبل﴾. أي احترسنا وابتعدنا عن الخطر.

﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾. الأصل هي الشدائد أن يقال: كتب عليه. كما قال سبحانه ﴿ليرر الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ الآية ١٥٤ من سورة آل عمران صفحة ٨٨، وما في الآية (٧٧) من سورة النساء صفحات ١١٢، ١١٤ وفي الحير أن يقال: كتب له. قال تعالى: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧ ولكنه سبحانه هنا ببه المؤمنين إلى أن يفيظوا المنافقين بأن يقولوا لهم: كل ما يصيبنا من ربنا فنحن نعمة نعمة يحفف بها عنا ذنوبنا أو يرفع بها درجاتنا عنده، وبذلك لا تكون نقمة كالدين يحصل لكم.

﴿هل تريصون﴾: أي تنتظرون.

﴿إحدى الحسنيين﴾ هما النصر والفتنة أو الاستشهاد في سبيل الله.

﴿من عنده﴾ كالصيحة والصاعقة مما حل بمن قبلكم.

﴿أو بأيدينا﴾: أي بقتلكم وأسركم.

المعنى بين سبحانه حكمة كراهة انبعاثهم بقوله ﴿لو خرجوا فيكم﴾ أي لو خرج هؤلاء المنافقون المستأذنون في جماعتكم أيها المؤمنون مازادوكم شيئا إلا شرا واضطرابا وضعفا في القتال إذا قاتلتم وخطلا في النظام، حال كونهم بمملهم هذا يطلبون لكم الفتنة بتخويفكم

من العدو، والحال أن هيكم أناسا ضعاف العقول والمزيمه يسممون كثيرا لدسهم، والله عليهم بالظالمين منهم وبما هم مستعدون له، وسيجازيهم، وعزتي لقد طلب هؤلاء فتنتكم من قبل هذه الغزوة كما سبق في غزوة أحد، انظر الآية (١٢٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٣، وقد قلبوا الأمور على كل وجه، وأعملوا فكرهم ليؤدوك ويبطلوا دعوتك حتى جاء الحق الذي وعدك به الله من نصرك وإعلاء كلمته، وظهر أمر الله وعلا شرعه بفتح مكة وكثرة الداخلين في الإسلام.

ثم أخذ سبحانه في بيان نوع آخر من المنافقين فقال: ومنهم فريق يقول ائذن لي في القعود يا رسول الله ولا توقمسي في الفتنة أي المصيبة، وذلك أن بعض هؤلاء ادعى أنه إذا رأى جمال نساء الروم لا يصيب نفسه، وبعضهم ادعى أن له أطفالا يحشى إذا تركهم أن يصبح قلبه مورعا وفكره مشتتا فيقصر في القتال. فرد الله عليهم بقوله ألا إنهم بمملوم هذا قد عصوا وسقطوا في هاوية الهلاك، وإن نار جهنم لمحيطه بهم في الآخرة لكرهم.

ثم بين سبحانه حالة خبيثة من حالاتهم فقال، إن تصيبك أيها النبي حسنة كنصر أو غنيمة تسوهم وإن تصيبك مصيبة كما وقع في غزوة أحد يقولوا قد تبهنا للأمر وأخذنا عدتنا بالحد من قبل الوقوع في هذه المصيبة وينصرفون عن مكان اجتماعهم الذي تجمعوا فيه بهذا القول إلى بيوتهم وهم شديدو الفرح لما أصابكم وليس هناك عدو أقسى منهم، هيأها النبي قل لهم لن يصيبنا إلا ماكتبه الله لنا وقدره عليها حسب حكمته، وهو وحده متولى أمورنا ونحن عبيده راضون بما يفعل فيها، وعلى الله فليتوكل المؤمنون حقا، فلا يجرعون لما يصيبهم، وقل لهم أيضا ماذا تنتظرون لنا من الشر بينما ليس هناك شيء يمكن انتظاره لنا إلا واحدة من نهايتين حسنتين إما النصر والنعمة، وإما الاستشهاد في سبيل الله الذي وراءهم لهم بعده نعم. ولكن نحن ننتظر لكم أن يصيبكم الله بعذاب من عبده يعقكم كما حل بعصاة الأمم السابقة، أو بعذاب بأيدينا من أسر وقتل، وما دام الأمر كذلك هانتظروا إنا معكم منتظرون، ثم بين سبحانه بعضا مما سيلاقىهم مما سيحزنهم حزنا شديدا فقال قل لهم أيضا: أنفقوا ما شئتم في الجهاد وفي الزكاة طائعين لتستروا بفاقكم.

المفردات: ﴿تزهق أنفسهم﴾: أصل
الزهوق الخروج بصعوبة.

والمراد هنا الموت تعذيب كما هي الآية
(٥٠) من سورة الأنعام صفحات ٢٣٤، ٢٣٥.

﴿يفرقون﴾: أى يعاقرن خوفها شديداً.

﴿ملجأ﴾: حصنا يلجئون إليه.

﴿أو مفارات﴾: جمع معارة وهي مكان فى
داخل جبل، وتسمى غاراً.

﴿أو مدخلا﴾: أى سرىا فى الأرض يدخله
الإنسان بمشققة كجحر الثعلب..

﴿بجمعون﴾: أى يصرعون فى اضطراب.

ماحوذ من جموح الدابة..

﴿يلسرك فى الصدقات﴾: أى يعيبك فى توزيع الصدقات.

أَوْ كَرِهَ أَلِىُّ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا قَوْمًا فَلَيَقِينَ ٢٣٤
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يَطَّاعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا يَأْتُوا الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ وَلَا يُعْقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ ٢٣٥ وَلَا تُصَلِّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ
وَهُمْ كَاثِرُونَ ٢٣٦ وَيُطَهِّرُونَ بِاللَّهِ أَنْهُمْ لَيْسَ لَهُمْ
بِسُكْرٍ وَنَكَيْثٍ قَوْمٌ يُفَرِّقُونَ ٢٣٧ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً
أَوْ مَخْرَجًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْتَحِرُونَ ٢٣٨
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ٢٣٩ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ٢٤٠

(١) فاسقين.

(٢) نفاقهم.

(٣) الصلاة

(٤) كارهون

(٥) أموالهم

(٦) أولادهم.

(٧) الحياة

(٨) كاهرون.

(٩) معارات.

(١٠) الصدقات.

(١١) آتاهم.

(١٢) راعيون

المعنى، وأيقنوا كارهين خوف عقوبة الرسول لكم إذا امتنعتم، فمهما أيقنتم في الحالين فلن يقبل منكم ما أيقنتموه مادمتم حارجين عن الإيمان وما منعهم من قبول بمقاتتهم شيء إلا كسرهم بالله ورسوله، وعدم إثبات الصلاة إلا في حال كسلهم وعدم إيقانهم إلا وهم كارهون لهذا الإيقان في سرائرهم، وإن كانوا في الظاهر يوهمون أنهم راضون، وإذا كان هذا حالهم في تحلمهم عن الجهاد حفظاً لأنفسهم ولأولادهم من القتل فيه، ولأموالهم من أن تصرف فيما لا يريدون، فلا تعجبك أيها السامع أموالهم التي تعبوا في جمعها، وحرصوا على حفظها، ولا أولادهم الذين تعبوا في تربيتهم والحرص على صحتهم، لأن الله تعالى ما أعطاهم ذلك إلا لأنه أراد أن يعذبهم في الدنيا يأخذ الأموال في الزكاة والجهاد مع اعتقادهم أن لا هائدة لهم في ذلك، ويقتل الأولاد في الجهاد، فيقتلهم الحزن في نهاية الأمر ويموتون وهم كافرون فيحسدون في جهنم، ومن عصائهم أنهم يحلفون بالله أنهم لميكم في الدين، أي مؤمنون مثلكم ليستروا أنفسهم، وليصوا في الحقيقة بكم ولكنهم يفعلون ذلك لشدة حوهم منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين من القتل والأسر وأخذ الأموال، وقد بلغ الضيق بهم أنهم أمسوا في حالة لو يجدون معها مكاناً في أي جهة ولو هي منتهى الضيق لاحتسوا به، وليس هناك أتمس من أصحاب هذه المعيشة.

ومن قبائحهم التي يقصدون بها الصد عن الإسلام بالظمن في بيه أن منهم فريقاً يظمن عليك في توزيع الصدقات، وذلك أنه ﷺ كان يعطي المؤلفات قلوبهم كما سيأتي. قال بعض المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.

فإن أعطوا من الصدقات ولو بدون استحقاق رضوا، وإن لم يعطوا منها لعدم استحقاقهم يسخطوا بسرعة. ولو أنهم رضوا بما آتاهم الله وقالوا حسبنا الله أي كافينا فإذا لم نأخذ ما نريد هذه المرة فسيؤتينا من فضله قريباً ما يرضينا ويعطينا رسوله مما يرد عليه من العنايم ونحن لا نرغب إلى غير الله في شيء لأنه سبحانه مالك كل شيء، لو فعلوا وقالوا ذلك لكان حيراً لهم.

• إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَرَسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيصَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّاسَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحَّةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا
يَنْكُرُ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
يَخْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِيُؤْذَنَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن
يَرْمَوْهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي مَحَادِدِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ قُلْ لَّهِنَّ جَهَنَّمُ أَخْلَافُ ذَلِكَ أَنْ يُحَرِّقَ
الْأَكْبَامُ ﴿١٣﴾ تَحْتَرُ السُّيُوفُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تَنْبِئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَعِزُّ بِاللَّهِ هُوَ مَخْرُجُ
مَا تَحْكُمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

المفردات: ﴿الفقراء والمساكين﴾: لم
يجمع القرآن بينهما إلا في هذه الآية ويرى
بعض العلماء أنهما إذا اجتماعا كما هنا كانا
صنفين متمايزين كل منهما محتاج لكن
أحدهما أشد حاجة.

وقد جاء الفقير مقابلاً للفنى في الآية
(٦) من سورة النساء صفحة ٩٨، والآية (٢٢)
من سورة النور صفحة ٤٦٢. ورأى بعضهم
أنهما صنف واحد يختلف بالوصف لا
بالذات، فالفقير مأخوذ من الفاقة وهي
الداهية في الآية (٢٥) من سورة القهامة
صفحة ٧٨٠، والمساكين مأخوذ من المسكون

وهو عدم الحركة للمعجز والقناعة، فهما كقولك في الشخص الواحد أنه عالم وتاجر.

﴿العاملين عليها﴾: هم من يوظفهم الإمام على جبايتها.

﴿المؤلفة قلوبهم﴾: هم جماعة يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة للإسلام، أو كف شرهم عن
المسلمين أو رجاء نفهم في الدفاع.

﴿وهي الرقاب﴾: أي فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم.

﴿والفارسين﴾: هم الذين استدانوا في غير معصية ولا سفه وعجزوا عن السداد.

(١) والمساكين

(٢) والعاملين.

(٣) والعارمين

(٤) حائدا.

(٥) المفاقون.

﴿وهي سبيل الله﴾. هو كل طريق يوصل لعرضاة الله فيشمل الجهاد وغيره، انظر الآية (٢١٧) من سورة البقرة صفحة ٤٢، والآية (٩٩) من سورة آل عمران صفحة ٧٩ وغير ذلك
 ﴿وابن السيل﴾ هو المسافر المنقطع عن بلده واحتاج إلى ما يوصله.

﴿أذن﴾ أي يصدق كل ما يسمع. فسموه لعنهم الله باسم آلة السمع مبالغة كما يسمى الجاسوس عينا.

﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ أي لا يصدق إلا المؤمنين لصدقهم، فالتعبير كما في الآية (١٧) من سورة يوسف صفحات ٣٠٤، ٣٠٥.

﴿يعادد الله﴾ أي يعاديه بأن يصنع بعينه في حد أي جاب والله سبحانه في جاب كالمشافة.

﴿يحذر المنافقون﴾ عجب أمر هؤلاء المنافقين، إن خوفهم من أن ينزل الله تعالى ما يصححهم يدل على إيمانهم بأن الرسول ﷺ يتلقى عن الله ما يقول، ولكن مرض النفاق متمكن منهم لا يمكنهم من إدراك طريق النجاة.

﴿بخوض﴾ أي تدخل في أحاديث للتسلية واللعب لا تقصد جدًا.

المعنى: كما تولى سبحانه تقسيم الفرائض ليدفع عن رسوله الشبهة كما في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحات ٢٣٢، ٢٣٣، أراد سبحانه أن تقطع دسائس المنافقين فقسّم ركاة الأموال بعينه فقال إنما الصدقات، أي الركاة تعطى للمذكورين فقط لا تتعدها إلى غيرهم، وللإمام حق التعميم والتخصيص حسب المصلحة.

عرض الله هذا التقسيم فريضة فليس لأحد نقضه، وقد أسقط عمر رضي الله عنه سهم لمؤلفة قلوبهم لأن الإسلام قوى ولبس في حاجة إليهم، والله واسع العلم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرع لهم.

ثم بين سبحانه نوعا آخر من قبائح المنافقين وهو أن بعضهم يجروا على الطعن فيه ﷺ فإذا قيل له قد يبلغ ما تقول محمدا، فيقول لا تحافوا فإن محمدا أذن، أي يصدق كل ما يقال

له. وسأحلف له ما قلت فيصدقني، يريدون أحرامهم الله أنه ﷺ حماه الله يخدع ويسهل عشه فرد سبحانه عليهم قل لهم أيها النبي محمد أدن خير لكم، أي لا يسمع الميعة والشر، ومن كان كذلك فهو خير صرف لكم لو كنتم تعقلون وتكفون عن نفاقكم.

ثم بين المراد بكونه أدن خير بقوله يؤمن بالله أي يصدق بما يوحيه الله، ويصدق المؤمنين الصادقين هي إيمانهم لأنه يمنعهم من الكذب، وهو رحمة للدين أموا منكم إيماناً صحيحاً لأنه كان سبب هدايتهم. والذين يؤدون رسول الله بمثل ما يقولون لهم عذاب شديد الألم، ومن شأن هؤلاء المنافقين أنهم يعتمدون في ستر عيوبهم على الحلف ليرضوكم عنهم وتصرهوا عن دسهم كما هي آيتي (١٢، ٥٦) من هذه السورة صمحتي ٢٤٨، ٢٥٠، وسيأتي هي آيات (٧٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٧) من هذه السورة صفحات ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠. والآية (٣) من سورة الماعقون صفحة ٧٤٣، والله ورسوله أحق أن يرضوه بطاعته إن كانوا مؤمنين حقاً بالله الذي يحلفون به، ألم يعلم هؤلاء أنهم بعملهم هذا قد عادوا الله ورسوله، ومن يماذبهما فإن له نار جهنم حالداً فيها. وذلك هو العرى العظيم. ولما كان الماعقون في اضطراب فكري كما هي الآية (٢٠) من سورة البقرة صمحتي ٥، ٦، والآية (١٤٣) من سورة النساء صفحة ١٢٧ والآية (٤) من سورة الماعقون صفحة ٧٤٣، كانوا بينما هم يسمغرون فيما بينهم بالنبي ﷺ سرا يحافون أن يصحبوا ومن ذلك أن بعض من كان منهم في غروة تبوك قالوا فيما بينهم هل يظن محمد أنه سيمتدح قصور الشام وحصوننها راعما أنهم كقبائل العرب ويتغلب عليها بسهولة؟ كلا. كلا. فقال بعضهم: كموا لئلا يعلم ما نقول فقال الله فيهم يحذر الماعقون أن تنزل على المؤمنين سورة أي مجموع آيات تخبرهم بما في قلوب الماعقين. قل لهم أيها النبي استهزئوا ما شئتم فإن الله سيظهر ما تعاقون من إظهاره، ولئن سألتهم عما قالوا وكيف قالوه ليقولن اعتذار أقبح من الذنب إنما كنا نحوض في حديث للتسلية لا نقصد جداً.

المفردات. «ويقبضون أيديهم» أصله ضم أصابع اليد إلى باطن الكف، وكنى به عن الامتناع

- ﴿يسموا الله﴾ المراد نسوا إطاعة أوامر الله فكانهم نسوه.
- ﴿نسيهم﴾: المراد عاملهم بالمثل، فترك رحمتهم وجعلهم كالشيء المنسى المهمل.
- ﴿ماستمتعوا﴾: أى اردادوا هى التمتع.
- ﴿بخلاقهم﴾: أى نسيهم من حظوظ الدنيا، انظر الآية (٢٠٠) من سورة البقرة صمحتى ٢٩، ٤٠.
- ﴿وخضتم﴾: أى دخلتم هى الباطل.
- ﴿حبطت﴾: بطلت.

وَلَعَبٌ قُلُوبُ آبَائِهِمْ وَآيَاتِهِمْ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٠﴾
لَا تَعْتَدُوا أَنْتُمْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفْ عَنَّا مَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَنُعَذِّبُكَ بِآيَاتِهِمْ كَأَنزِلِ تَجْرِمِينَ ﴿٥١﴾ السَّاعِقُونَ
وَالسَّاعِقُونَ نَعُفُهُمْ مِّنْ نَّعْصٍ يَأْمُرُونَ بِالنَّهْيِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ أَسْوَآءَ
فَعْلَةٍ إِنْ أَلْمَعِينَ هُمُ الْمَلِيقُونَ ﴿٥٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
السَّاعِقِينَ وَالسَّاعِقِينَ وَالْكَافِرِينَ بَارِجَهُمْ حُلِيِّ
مِثْلًا مِّنْ حُسْنِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٥٣﴾
كَأَنَّهُمْ مِّنْ قَبْلِكَ كَانُوا أَشَدَّ مِرْكًا قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِحُلِيِّهِمْ مَا اسْتَغْنَوْا بِحُلِيِّكَ
كَأَنَّهُمْ مِّنْ قَبْلِكَ بِحُلِيِّهِمْ وَخُضُّهُمْ كَأَنَّهُمْ
خَاصِرًا أَوْ كَأَنَّهُمْ حَبْطٌ أَقْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

المعنى كما نلعب وننتهى لنسهل قطع الطريق بالمداعبة، ولما كان قولهم هذا يتضمن استهزاء قال قل لهم هل صاقت عليكم سبل التسلية فلم تجدوا إلا التسلية والاستهزاء بالله

- (١) وآياته،
- (٢) إيمانكم
- (٣) الماعقون
- (٤) والماعقات
- (٥) لماعين
- (٦) لماعقون
- (٧) الماعقين
- (٨) والمماعقات،
- (٩) حالدين
- (١٠) أموالاً،
- (١١) وأولاداً
- (١٢) بخلاقهم،
- (١٣) بخلاقكم
- (١٤) بخلاقهم،
- (١٥) أعمالهم،

وآياته المنزلة الدالة على نصرته للمؤمنين وبالرسول في أعماله ؟ وقل لهم أيها النبي إن الله يقول لكم لا تشتعلوا بالاعتذارات الباطلة فإنها لا تنفعكم بعد أن أظهرتم الكفر بالظلم في الرسول وفي وعد الله له بعد أن كنتم تظهرون الإيمان، فإن نفع عن طائفة منكم بسبب إخلاصها في التوبة فإننا سمعنا من لم يتب منكم بسبب إصرارهم على الجرائم.

ولما تقدم أنه سبحانه كذبهم في حلفهم أنهم منكم بين سبب أنهم ليسوا من المسلمين فقال: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم...﴾ [الخ: أي أن أهل النفاق رجالاً ونساءً متشابهون فيه كشابه أعضائهم أي أجزاء الشيء الواحد، ثم بين وجه هذا التشابه بقوله، يأمرؤن بالمنكر كالكدب والحيانة والحلف زورا والفدر وكل ما تنكره العقول السليمة، ويسهون عن المعروف كالجهاد والصدق والإخلاص لله وغير ذلك من كل ما تعارف الناس على حسنه، ويقبضون أيديهم عن البذل في وجوه الخير لأنهم نسوا أوامر الله، فمما يقبضون جعلهم كالمنسيين الذين لا ينظر إليهم بمطف ولا رحمة؛ وذلك لأن المنافقين هم وحدهم الخارجون على أوامر الله بمكر وخداع حتى كأنه لا فاسق سواهم.

ثم بين سبحانه عاقبتهم فقال قارنا لهم مع الكفار المجاهدين: ﴿وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها﴾ وهي كافيتهم في العذاب الشديد، وقرن ذلك بلعنته التي لا يرجى معها رحمة، ولهم بعد نار جهنم عذاب دائم آخر من زمهرير، أو ماء يشوى النوحه، أو أكل من شجرة الرقوم كما في الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٤، ٣٨٥، والآية (٦٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩١. ثم خاطب المنافقين مباشرة فقال: ﴿كالذين من قبلكم﴾ [الخ: أي أنتم مثل من قبلكم من الأمم المهلكة الذين كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فتمتعوا تمتعاً كاملاً بكل نصيبهم من ملاذ الدنيا، فاستمتعتم أنتم أيضاً مثلهم ولم تفضلوا عنهم بشيء، وحصتم في الباطل كالخوض الذي خاضوه، أولئك بطلت كل أعمالهم التي كانوا يظنونها تنفعهم في الدنيا، لأن ضررها كان أكثر من نفعها ودهبت عليهم عبثاً، وفي الآخرة لأنها لم تمنع عنهم العذاب الأليم، أي سيكون جزاؤكم مثلهم لأنكم أقل منهم في كل ما ذكر من قوة وغيرها.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكْسِرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ بَأْسُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَرَمَوْهُم نُوحٌ وَعَادٌ وَنَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ مَدِينٍ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أُنْثَاهُمْ رُسُلُهُمْ وَالنَّبِيُّنَ لَمَّا كَانُ اللَّهُ لِيُظْهِرَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَكْثَرَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمَرْءِ الْمَكْرُوفِ وَالْمَرْءِ مِنَ السُّكْرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَمِيرُ فَخْرِكُمْ ﴿٥٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ كَثِيرَةٍ فِي جَنَّاتٍ قَدْ رِزِقُوا مِنْ اللَّهِ أَكْثَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٤﴾ بَنَاتُ النَّبِيِّ جَنَّاتُ الْكُفَّارِ وَالنَّاسِيفِينَ وَأَعْطَى قَلِيلٌ وَمَا وَهُمْ مِنْهُمْ جَهَنَّمَ وَرِثَ

المصدرات: ﴿قوم نوح﴾. إلخ: تقدم بعض ما حل بهم في الآية (٥١) وما بعدها من سورة الأعراف صفحة ٢٥٢ وما بعدها وبعضه في غير الأعراف.

﴿المؤتفكات﴾ جمع مؤتفكة كما هي الالة (٥٢) من سورة النجم صفحة ٤١٧. وهي قري قوم لوط عليه السلام، والكلمة من الائتفاك وهو الانقلاب الذي حدث بالحسب

﴿البيئات﴾: البراهين والمعجزات الواضحات.

﴿عدن﴾: أصل معنى عدن هي اللغة

لإقامة يقال عدن في المكان على وزن ضرب وقعد أي أقام واستقر فيه فالمراد هنا حبات خلود. وهو اسم لقسم من أقسام الجنة كالمردوس.

المعنى وأولئك المتكسرون هي لدة الدنيا العاقلون عن الأحرار، هم وحدهم الحاسرون لكل خير وحسارتهم ليس بعدها حسارة، ثم وبخ سبحانه من برئت فيهم هذه الآيات السابقة من الكفار و المنافقين في عهد بتقريبهم وتذكيرهم بمن صل قبلهم من الأقبام وما حل بهم سيعة صلالهم فقال ألم يأتهم بآ الدين من قبلهم قوم نوح وقد أعرقناهم، وعاد الدين أحدثهم

(٢) وإبراهيم.

(٦) والمؤمنات.

(٩) والمؤمنات.

(١٢) خالدين.

(١٥) ورشوان.

(٢) إبراهيم.

(٥) بالبيئات.

(٨) الزكاة.

(١١) الأنهار.

(١٤) جنات.

(١٧) ومناهم

(١) الحاسرون

(٤) والمؤتفكات

(٧) الصلاة

(١) حبات

(١٢) ومساكن

(١٦) حاهد

الريح المقيم، ولمود وقد اخنتهم الصيحة، وقوم إبراهيم الذين اهلكوا هم وزعيمهم نصرود، وأصحاب مدين الذين اخنتهم الرجفة، والمؤتقات وقد جعل قريتهم عاليها سافلها، فعلى بهم كل هذا بعد أن جاءتهم رسلهم بالبينات فأعرضوا عنها، وما كان الله ليظلمهم، فقد حذرهم ولكنهم أصرروا على ظلم أنفسهم بعبودتهم وعنادهم، فأنتم إذا أصررتم على كفركم وعنادكم ستكونون في الشقاء مثلهم، لأن سنة الله وعدله لا يتغيران.

وكما أن المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض فكذلك المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالمحبة والنصرة والمودة، فكلهم يأمرؤن بكل خير وينهون عن كل مكسر، ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله فهما أمر به في كتابه والرسول فهما أرشد إليه في سنته فأولئك سيرحمهم الله برحمته الخاصة المبينة في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، فيوقفهم للحير في الدنيا، ويجزل لهم المطاء في الآخرة، لأنه سبحانه عزيز أي قوي غالب لا يعجزه شيء أراد، حكيم في قضائه وحكمه وتصرفاته ثم بين سبحانه شيئاً مما سيرحمهم به فقال: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حالدين فيها ومساكن﴾ أي قصورا وغرفا من فوقها غرف كما في الآية (٢٠) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٨، ٦٠٩ تطيب الإقامة فيها.

هذه المساكن في جنات العلد. كما أن لهم فيها نعمها روحانيا هو رضا عظيم من الله، وليس هنا أسعد عند النفوس من نعم تشمر معه أن المنعم به سبحانه راض عنها وفسره بعضهم بأنه النظر إلى وجهه الكريم، وذلك النعم بقصصيه الجسماني والروحاني الممد للمؤمنين والمؤمنات هو العوز العظيم الذي لا فور بعده، ثم حدد المنافقين وأبذرهم بالجهاد كالكافرين المجاهرين إذا استعزوا على تفاقم فقال: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين، أي ابذل جهدك في مقاومة شر الفريقتين اللذين يخالطون المؤمنين ولا تؤمن غائلتهم فعاملهم بالمظة والشدة المناسبة لمود حالهم. وجهاد الكفار بالسيف أي الحرب، وجهاد المنافقين بإقامة حدود الله عليهم إذا ظهر منهم أسبابها بدون قبول غير منهم، وفصحهم، وعدم الصلاة على من يموت منهم، ومنعهم من الخروج مع المسلمين في الجهاد، إلى غير ذلك مما يؤلم النفس ويحز فيها، ويجعلها ذليلة بين قومها، وفي الآخرة مأواها جهنم، وقبحت جهنم مصيرا.

الْمَعِيرُ ﴿٥٨﴾ يَخْفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكُفْرًا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُوا بِمَا لَمْ يَبَالُوا وَمَا نَقَمُوا
إِلَّا أَنْ أَعْتَنَهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَمِنْ ثَوْرٍ بِكَ
خَعِيرًا لَمْ يَدْعُوا بِهِمْ اللهُ عَذَابُ الْإِيمَانِ الْإِيمَانُ
وَالْآيَةُ وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دُونِ وَلَا يَصِيرُ ﴿٥٩﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهُ لَنْ لَا تُشَاسِرَ فَضْلُهُ لَصَلَفٌ
وَلَسَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
يَخْلَعُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُرْسَوْنَ ﴿٦١﴾ فَغَضِبْنَا بِمَا قَالُوا
فِي غُلُوِّهِمْ إِنَّ يَوْمَ يُلْقَوْنَ إِلَى الْيَمِّ تُطْفَأُ اللهُ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

المفردات: ﴿قالوا كلمة الكفر﴾: هي
قول بعضهم لئن كان محمد صادقاً فيما يقول
عنا فتنن شر من الحمير.

﴿وهموا بما لم يبالوا﴾: هو همهم بقتله
﴿كما صباهي بيانه﴾.

﴿وما نقموا﴾: أي كرهوا وعابوا من نقم
ينقم من باب ضرب بضرب.

﴿يلمزون﴾: اللمز الطعن مع الاستخفاف
كما تقدم في الآية (٥٨) من هذه السورة
صفحة ٢٥٠.

﴿في الصدقات﴾: أي يلمزون المتطوعين
من المؤمنين في أمر صدقاتهم

المنمى: أراد سبحانه بيان سبب الأمر بجهادهم، وهو أنهم يقولون الكلمة الدالة على الكفر
هكذا سنلو أنكروا وحلفوا ما قالوا: وأنهم أظهروا الكفر بعد أن كانوا لا يظهرون إلا الإسلام
وأنهم هموا بما لا يمكن أن يبالوه وهو اعتياله ﴿٥٨﴾ في أثناء رجوعه من تبوك، وذلك أن الطريق
كان به ممر قصير المسافة ولكنه صيق ووق جبل عال، فلما وصل إليه ﴿٥٩﴾ أراد أن يختصر
الطريق ويترك بقية الحيش يسير ببطن الوادي وهو طريق واسع لكنه طويل، فبينما هو ﴿٦٠﴾
في وسط هذا الممر و الليل مظلم وإذا برجال يسرعون يابلهم يريدون مراحمته بافته ﴿٦١﴾ حتى
تقع من سمع الجبل، فأعلمه الله تعالى أمرهم قبل أن يصلوا إليه، ولم يكن معه سوى حديمة
ابن اليمان وعمار بن ياسر، فأمر ﴿٦٢﴾ حديمة أن يردهم عنه، فرجع بعصاه وصار يصوب وجوه

(١) إسلامهم.	(٢) أقسامهم.	(٣) عامد.
(٤) آتانا.	(٥) الصالحين.	(٦) أتاهم.
(٧) وجواهرهم.	(٨) علام.	(٩) الصفات.

الآن وكنت نحو عشرة. همرعوا وطلبوا أن مكرهم قد اقتصر. فأسرعوا حتى احتلظوا بالناس فقال ﷺ: لحديمة هل عرفتكم؟ فقال لا، لأنهم كانوا ملثمين والليل مظلم، ولكني عرفت بينهم. وهي باقة هلال وباقه هلال. فقال ﷺ: ما كانوا يريدون؟ إنهم كانوا يريدون قتلى. وسمّاهم له. فقال ألا تأذن لنا يا سي الله فمضرب أعناقهم؟ فقال ﷺ لا تعملوا لئلا يتحدث الناس أن محمداً شرع يقتل أصحابه. وأمره ألا يبوح بأسمائهم لأحد، ومنه سعى حديمة صاحب السر. وما بقم هؤلاء المنافقون على الإسلام لشيء إلا لأن الله أعانهم بسببه من فضله، والرسول أعانهم من المصائب، والكلام من قبيل قولك مالي عند هلال دنب إلا أنني أحسنت إليه، أي ليس نكرهيتهم سبب، بل الأسباب متوهرة لحبه. فإن يتربوا عن المصائب والجرائم يكر ذلك المتاب حيرا لهم. وإن يتولوا ويعرضوا عما دعوا إليه من التوبة يمدبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة. كما تقدم في الآية (٥٥) من هذه السورة صفحة ٢٥٠ وما سيأتى في آيتي (٨٥، ١٠١) من هذه السورة أيضاً صمحتي ٢٥٦، ٢٥٩. ومالهم في الأرض كلها أقل ولي يتولى أمورهم ويحكم عنهم، ولا نصير بدفع العذاب عنهم. ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله تعالى وأقسم لئن آتاهم الله من فضله مالا كثيراً ليشكرن نعمته بالصدقة والأعمال الصالحة، فلما آتاهم الله من فضله ما طلبوا بحلوا به وانصرفوا عن طاعته والحال أنهم مصممون على الإعراض مبالعون فيه على عادتهم، فجعل الله عاقبة أمرهم بما قاما راسخا في قلوبهم لا يمارقها إلى يوم لقائه في الآخرة وذلك بسببين: الأول أنهم أحلموا الله ما وعدوه. والثاني أنهم كانوا مستمرين على الكذب حتى استحال عليهم تركه. وأقبح أنواع الكذب حال المنافق لأن باطنه يكذب طاهره ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم سرهم الكامن في نفوسهم وما يحتاجون به فيما بينهم من الإثم والعدوان ومعصية الرسول كما في الآية (٩) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٦، لأنه سبحانه واسع العلم بكل عيب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ومن فطائع هؤلاء المنافقين أنهم لا يكتفون بحلهم بل تمدوه إلى ذم المؤمنين المتطوعين في أمر صدقاتهم وذلك إن النبي ﷺ حث أصحابه يوماً على الصدقة فجاء رجال بأموال كثيرة، فقال المنافقون فيما بينهم والله ما جاء هؤلاء إلا رياء، وجاء رجال فقراء بقدر ضئيل على قدر طاقتهم. فقال المنافقون إن الله عن صدقة هؤلاء لفتى.

المصدرات: ﴿جهدهم﴾: طاقتهم.

﴿سحر الله منهم﴾: أي جارا هم على مغريرتهم بما تستحق.

إِلَّا جَهْدَهُمْ يَسْحَرُونَ مِنْهُمْ يَخِرُّ اللَّهُ بِهِمْ وَلَهُمْ طَلَبُ
 الْيَمِّ ❶ ۝ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ
 لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ❷
 ۝ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ حِينَ نَبَتْ رَسُولُ اللَّهِ وَقَرَّبُوا
 أَنْ يَجْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا
 تَعْبُرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كُنْتُمْ
 تَعْقِلُونَ ❸ ۝ فَتَصَحَّكُوا قَلِيلًا وَلَيْسَ كُنْتُمْ بِأَجْرَاءَ
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ❹ ۝ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
 مِنْهُمْ فَاسْتَفْدَوْكَ لِلخُرُوجِ قُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مِنِّي أَبَدًا
 وَلَنْ تُغْنِيَنَّ مِنِّي غَدَاةٌ إِنْ كُنْتُمْ رَضِيتُمْ بِالْعُقُودِ أُولَئِكَ مَرَّةٌ
 فَاغْتَدُوا مَعَ الْخَلِيلِينَ ❺ ۝ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ

﴿المخلفون﴾: الذين خلفهم الشيطان
 وكسلهم. ﴿بمقعدهم﴾: أي قعودهم..
 ﴿خلاف رسول الله﴾: أصل خلاف مصدر
 خالف واستعمل ظرعا بمعنى بعد، كما في
 الآية (٧٦) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٥.
 ويصح المصيان هنا على أن يكون المصدر
 حالا بمعنى مخالف. ﴿لا تنفروا﴾: أي لا
 تسرعوا في الخروج مع محمد. ﴿رجعك
 الله﴾: رجع يستعمل لازما بمعنى عاد كما في
 الآية (١٥٠) من سورة الأعراف صفحة
 (٢١٦). ومتعديا بمعنى أرجع كما في الآية ٤٠
 من سورة طه صفحتي (٤٠٨، ٤٠٩)، وما هنا
 من الثاني.

﴿الخالصين﴾: الخالف هو المتخلف عن غيره.

المعنى ويسحرون من المؤمنين المقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا المال القليل
 فجباراهم الله تعالى بأن جعلهم سخرية للمؤمنين والناس أجمعين بمصيبة لهم في هذه
 السورة بما لم يسبق له مثيل، حتى قال بعض الصحابة إن من أسماء السورة (الماصحة)
 ولهم في الآخرة عذاب شديد الألم، وكان لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ولد صالح
 مخلص في إيمانه هو عبد الله بن عبد الله بن أبي ومرص ابن سلول فجاء ولده عبد الله يطلب
 من النبي صلوات الله عليه أن يستعمر له، وكان رقيق القلب رحيمًا كما وصفه ربه في آخر
 هذه السورة، وكان كلما اشتد به إيذاء قومه يقول اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. فلما
 استعمر ربه لعبد الله بن سلول، والله وحده هو الذي يعلم أنه سبب كل بلية، وأن لقبول
 الاستعفار شروطا بينها الآية (٦٤) من سورة النساء صفحة ١١١، والآية (٨٢) من سورة طه
 صفحة ٤١٣، قال سبحانه استعمر لهم أو لا تستعمر إلخ، أي استغفارك وعدمه سواء، فمعها

أكثر منه فلن أعمر لهم، فالتعبير بصيغتين مرة كناية عن الكثرة بدون حد، ثم يبين سبحانه عدم المعصية بقوله ذلك بأنهم أي بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله، والله تعالى لا يهدي الكافر الحارج عن الإيمان به تعالى المصمم على ما هو عليه.

ثم شرع سبحانه في بيان حال هريق من المنافقين وهم المتحلّمون عن العروة كما تقدم وبيان ما يجب أن يعاملوا به بعد الرجوع إلى المدينة، وبرت هذه الآيات في أثناء السمر فقال فرح الدين منهم الشيطان عن السمر بقعودهم في بيوتهم بعد سمر رسول الله أو حال كونهم محالفين رسول الله بقعودهم هذا، وكرهوا أن يحاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله لا اعتقادهم أنه لا مصلحة لهم في ذلك ولبعد شمة السمر، وقالوا تشيطا لمن أراد الخروج لا تخرجوا مع محمد في الحر الشديد، قل لهم أيها النبي إذا حصم من حر الدنيا فثار جهنم أشد حرا، فكيف لا نحافون منها لو كنتم تعلمون حقيقة الأمر، فالأولى بهم أن يصحبوا قليلا وسيكون كثيرا، فهو أمر بمعنى الخبر، أي أن صحبكم وفرحهم بتحلفهم قليل جدا بالنسبة ليكاثهم مما أعد لهم من العذاب حرا ما استعزوا على اكتسابه من الحياث فمن أرحمك الله إلى طائفة من المنافقين المتحلّمين، وإنما قال طائفة لأن من المتحلّمين من كان صادق العذر، ومنهم من تاب كالثلاثة الآتي ذكرهم في الآية (١١٨) من هذه السورة صمحة ٢٦٢، فاستأدبوا أيها النبي للعروج إلى عروة أخرى يظنونها سهلة كثيرة المعانم، أو إلى غير العروة كحج مثلا كما قال أمثالهم في الآية (١٥) من سورة النج صمحة ٦٨٠، فقل لهم أيها النبي لن تخرجوا معي أبدا، لأن الله تعالى يهني لحظركم في الآية ٤٧ المتقدمة صمحة ٢٤٩، ولن تقاوتوا معي عدوا ولو هجم علينا في ديارنا كما حصل في عروة الحندق الآتي ذكرها في سورة الأحزاب، ولأنكم رصيتكم لأنفسكم بمار القعود أول مرة دعيتم فيها دعوة خاصة لعروة شاقة كما تقدمت الإشارة إليه وكما سيأتي في الآية (١١٧) من هذه السورة صمحة ٢٦٢، فاقعدوا مع المتحلّمين من المعجرة والنساء والصبيان الذين لا يكلمون شرف الدعا ولما مات بن سلول المتقدم الحديث عنه طلب ابنه عبد الله من النبي ﷺ أن يصلي عليه طائفا أن ذلك بيع والد، وليتقى بذلك احتقار الناس لأبيه، فأراد ﷺ أن يصلي عليه، فسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال ﷺ: دعني يا عمر فقد يكون ذلك سبباً في إيمان كثير من قومه، فأنزل الله سبحانه ولا تصل أيها النبي على أحد من المنافقين مات أبداً إلح، وكان ذلك من الموضع

التي وافق عليها الوحي رأى عمر كما تقدم في
أمرى بدر، انظر الآية (٦٧) من سورة الأنفال
صفحة ٢٢٧.

المفردات: «أولو الطول»: أي أصحاب
القدرة على الجهاد باليمن والمال.

«مع الحوالب»: جمع حائلة، وهي المرأة
لأنها تتحلف عما من شأنه أن يعص الرجال
من الأعمال الشاقة، كما قال في النعماء
الكبيرات: قواعد، انظر الآية (٦٠) من سورة
النور صفحة ٤٦٨.

«وطبع على قلوبهم»: أي املتت عن
قبول الصواب.

«المعدرون»: أي المعتدرون، والمرد هنا بعدد صحيح يدلل المقابلة «من الأعراب» هم
سكان البادية وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه، ويسبب إليه الواحد فيقال أعرابي، «وقعد
الذين كذبوا» هم قوم من منافق الأعراب لم يسافروا ولم يعتدروا.

ثُمَّ أَجِبُوا وَلَا تَقُمْ عَلَى قِيَرَتِهِمْ لِيَسْمَعُوا بِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَا تَأْتُوا بِهِمْ فَلْيَسْقُوا ① وَلَا تُجِيبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ② وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ يَنْسُؤُوا بِأَمْرِ اللَّهِ
وَيَحْذَرُوا رَسُولَهُ اسْتَفْتَدَكَ أُولُوا الطُّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا
قَدْ تَنَاكَرَ مَعَ الْعَصِيِّينَ ③ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ
الْعَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ④ لَكِنِ
الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤
أَمَّا اللَّهُ فَهُوَ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِفِينَ فِيهَا
ذَلِكَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ ⑥ وَجَاءَ الْمُحَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤَدَّ لَهُمْ وَقْعَةَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فُصِّبَ

(١) فاسقون

(٢) أموالهم

(٣) وأولادهم

(٤) كاهرون

(٥) وجاهدوا

(٦) استأذنتك

(٧) القاعدون

(٨) جاهدوا

(٩) بأموالهم

(١٠) انحرافات

(١١) جنات

(١٢) الأنهار

(١٣) حالدين

المعنى ولا تقم على قبر واحد منهم للدفن أو للدعاء له، لأنهم كفروا بالله ورسوله، واستمروا على كفرهم حتى ماتوا وهم خارجون عن حظيرة الإيمان ولما كان من البواعث على تحلف المنافقين هو الحرص على أولادهم من القتل في الجهاد، وعلى أموالهم أن تضيع فيه قال سبحانه ولا تعبك أيها السامع أموالهم ولا أولادهم إلخ، وأعاد سبحانه ما تقدم في الآية (٥٥) من هذه السورة صفحة ٢٥٠، لأن المنافقين هما نوع غير المتقدم هناك.

ثم بيّن سبحانه حالهم التي تؤيد ما تقدم وما يقابلها من حال المؤمنين الصادقين، فقال وإذا أنزلت سورة أي جملة آيات من القرآن مبادية بأن أخلصوا إيمانكم أيها المهاجرون وجاهدوا مع رسوله بأنفسكم وأموالكم استأذك في التحلف عن إجابة الدعوة أصحاب القدرة منهم وقالوا لك أيها النبي ذرنا أي أتركنا مع القاعدين أرباب الأعداء كالنساء والعجزة والصبيان رصوا لأنفسهم أن يكونوا في حكم النساء وطبع على قلوبهم، هم بسبب ذلك لا يفقهون ما يصر وما ينفق، وما يشرف وما يحرق، لكن الرسول والذين آمنوا معه بإخلاص قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الحيرات كلها في الدنيا كالنصر على الأعداء والعمر والميعة، وهي الأحرة كالحبة وما هيها، وأولئك هم وحدهم المائثرون بهذه الآية وما قبلها من قبيل الآية (٨٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٦ ثم بين سبحانه بعض هذه الحيرات فقال أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار الخ ما تقدم في الآية (٧٢) من هذه السورة صفحة ٢٥٢

وبعد ما بين سبحانه حال منافقي الحصر شرع في بيان حال رجال البادية فقال وجاء المعدرون إلخ، أي وجاء قوم من الأعراب يمتدرون عن عروة تبوك ليأتوا لهم ﷺ، وقعد المهاجرون منهم الذين كذبوا الله ورسوله فلم يسافروا ولم يعتذروا، سيصيب الكافرين من هؤلاء الأعراب وهم القسم الثامن عذاب شديد الإيلام.

المعرد ت ﴿الصمغاء﴾ هم الشيوخ الذين أعجزهم الكبر والصبيان والنساء.

﴿حرج﴾: أي إثم وذنوب.

﴿بصحووا لله﴾: أي أخلصوا في إيمانهم وهي طاعتهم، بصحووا غيرهم بالجهاد ومحاربة

شائعات العدو.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠ تَبَسَّ عَلَى الصُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَبْتَغُونَ حَرْجٌ
إِذَا نَصَحُوا فِيهِ وَرَسُولُهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١١ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِيَتَحِيلَ عَلَيْهِمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَخْبُكُمُ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَاعْبُدُوا
تَمِيزُ مِنَ الذَّمِّ حَرَامٌ إِلَّا يَجِدُوهَا يُبْفِقُونَ ١٢
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي الْأَنْبِيَاءِ
رُصُودًا لِيُكُونُوا مَعَ الْغَوَالِفِ وَطَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣ يَتَذَكَّرُونَ لَكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
قُلْ لَا تَعْلَمُونَ أَلَمَنْ لَكُمْ كَذِبًا قَدْ تَبَيَّنَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَرِكُمْ
وَسَبَّحُ لِلَّهِ الْمُلْكُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ ١٤ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْأَنْبِيَاءِ
وَالشَّاهِدَةِ لُبُكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ سَبِّحُونَ

﴿ما على المحسنين﴾ المراد بالإحسان
هنا هو النصيحة لله ولرسوله والإخلاص في
العمل.

﴿من سبيل﴾: من هنا لتأكيد النفي،
وأصل معنى التبركيب ليس هناك طريق
للعتاب يمر عليهم والمراد لا عتاب عليهم ولا
مواحدة.

﴿قلت لا أحد﴾: هذه الجملة حال منتظر
بتقدير حرف (قد) قبل قلت ليصح الحال
والمعنى إذا ما أتوك في الحال الذي قلت لا
أجد تولوا (فتولوا) هو جواب إذا، ومثل حال

المنتظرة في القرآن في قوله تعالى:

﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾.

فحالدين حال يسمونها حالا مقدرة وتقدير حرف قد كثير في كلام العرب المعنى أراد
سبحانه أن يبين الأعداء المقصولة بالتفصيل ليعلم منها بطلان غيرها، وخص بالذكر شر غيرها
وهو اعتذار الأغنياء.

فقال: ليس على الصعفاء ولا على المرضى ولا على الفقراء الذين لا يجدون ما يبتغون على
الجهاد ولا على عيالهم إذا خرجوا وتركوهم بلا زاد حرج ولا مسئولية في عدم الجهاد، إذا
أخلصوا لله في الإيمان، وللرسول في الطاعة والأمانة، لأنه ليس على من أحسن النصيحة لله
والإخلاص لرسوله لوم ولا عتاب؛ لأن إخلاصه يمنعه من التقصير. والله تعالى عفور رحيم

(١) يستأنسوك

(٢) عالم

(٣) والشهادة.

قصر لا عن تعمد، رحيم بعباده المخلصين ثم ذكر سبحانه بعض هؤلاء المحسنين لما امتازوا به من علامات الإخلاص.

فقال: ﴿ولا على الذين﴾ إلخ، أى ولا لوم فى التخلف على الذين إذا أتوك لتحملهم، أى لتعطيتهم ما يحملهم من الإبل أو غيرها ليسافروا معكم للجهاد، وقلت لهم لا أجد ما أحملكم عليه من الركائب، انصرفوا عن مجلسك وأعينهم تفيض دمعاً حزناً على عدم قدرتهم على شراء ما يحملهم، وكان عدد هؤلاء سبعة رجال أطلق عليهم الصحابة بعد نزول هذه الآية ﴿البكاءون﴾ وهذا أجل مظهر للفرق بين المنافق والمؤمن الصادق، فهؤلاء لا لوم عليهم، إنما اللوم على الذين يستأذنونك فى التخلف وهم أغنياء قادرون على ما يلزم المجاهد، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا مع الخوالف، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون، تقدم شرحها فى الآية (٨٧) من هذه السورة صفحة ٢٥٦، وإنما أعادها لزيادة توبيخهم وإبرازهم فى صورة النساء، وهذا أشد من الصاعقة على نفس العربى.

ثم أراد سبحانه أن يبين ما سيكون من هؤلاء المنافقين المتخلفين بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة فقال: ﴿يعتذرون إليكم﴾ أى سيقدم إليكم هؤلاء الأغنياء المتخلفون بلا عذر أعذاراً كاذبة إذا رجعت من سفركم، قل لهم أيها النبى : لا تعتذروا بالباطل فإننا لن نؤمن لكم، أى لن نصدقكم، انظر الآية (١٧) من سورة يوسف صفحات ٢٠٤، ٢٠٥، قد نبأنا الله تعالى بعض أخباركم التى فيها كلام صدر منكم، وإنكم منافقون كاذبون فى اعتذاركم، وسيرى الله تعالى ورسوله بعد الآن أعمالكم وهل تتوبون أم تصرون على نفاقكم، فاحترسوا لأنكم ستردون فى الآخرة إلى الله الذى يستوى فى علمه ما خفى وما ظهر، فينبئكم بما استمررتم على عمله فى الدنيا ويجازيكم عليه.

المفردات: ﴿انقلبتم إليهم﴾: أصل معنى انقلب تحول من جهة إلى أخرى، والمراد رجعتم.

﴿رجس﴾: أى قدر معنوى كما تقدم فى الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥.

﴿مأواهم جهنم﴾: أى مكانهم الذى يأوون إليه.

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَضَتْ إِلَيْهِمْ تَعْرُصُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ وَأَنْتُمْ رَجَسٌ وَمَا مِنْهُمْ جَهَنَّمُ حَرَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ بِخَيْرٍ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِقَافٍ وَاجْتَدُوا لَا يَعْطُوا حُدُودَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَبِالنَّاسِ الْأَعْرَابِ مَنْ يُخْلِدُ مَا يَبِيعُ مَقْرَمًا وَيَتَرَفُّ بِكُمْ اللَّهُ وَأَمَّا عَلَيْهِمْ ذَا بَرَةٍ أَسْوَدُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ وَالْأَعْرَابُ مِنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخْلِدُ مَا يَبِيعُ قُرْبَتِ عِندَ اللَّهِ وَصَلَّوْا الرُّسُولَ إِلَّا إِنَّا قَرِيبٌ لِمُتَّبِعِيهِمْ أَنَّ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَالْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

﴿واجدر﴾. أى احق وأولى.

﴿حدود ما أنزل الله﴾: هى أحكامه من أوامر ونواهي، انظر الآية (١٢) من سورة النساء صفحة ١٠٠، والآية الأولى من سورة الطلاق صفحة ٧٤٨.

﴿معرما﴾ أى غرما وهو ما يكره المرء دعه ويعتبره عرامة له. ﴿ويتربص﴾ أى ينتظر.

﴿الدوائر﴾: جمع دائرة، وهى ما يدور به الرمان من المصائب التى تعيط بالإنسان فيشتد لها ألمه ﴿السوء﴾ هو كل ما يسوء، من الشر. انظر الآية (٢٨) من سورة مريم صفحة ٢٩٩.

﴿قربات﴾ جمع قربة، والمراد بها التقرب إلى الله. ﴿وصلوات الرسول﴾ أى دعاؤه.

﴿إلا إنها﴾ ألا كلمة تنبه السامع لأهمية ما بعدها، والهاء ضمير يعود على المقة المأخوذة من (يبيع).

المعنى سيؤكدون لكم أعمارهم بالآيمان الكاذبة عند رجوعكم من السفر لأجل أن تعرضوا عن توبيخهم، فأعرضوا عنهم إعراس إهانة واحتقار لا إعراس صفح كما كانوا يطلبون لأنهم رجس، فيحب السعد عنهم لاستحالة إحلاصهم ماداموا مصممين على النفاق، وملجؤهم فى الآخرة جهنم جزاء ما استمروا على عملة فى الدنيا، ثم يثن سبحانه غرضاً آخر لحلمهم غير مجرد الاعتذار فقال يحلمون لكم لتعرضوا عنهم فتديموا معاملتهم السابقة بظاهر إسلامهم ليستروا فضيحتهم وينتقموا بما يستحق به المؤمنون، فإن تعرضوا عنهم عرضاً بعد علمكم بحالهم

فلن ينفعهم ذلك، لأن النافع هو رضا الله تعالى، والله لا يرضى عن الفاسقين، ثم شرح سبحانه في بيان حال الأعراب المنافق منهم، والكافر المحاهر، والمؤمن، فقال ﴿الأعراب أشد كرا﴾ إلخ، أى كافرهم أشد فى الكفر من كافر الحضر، لأنهم أعظم طغيان وأقسى قلباً، والمنافق منهم أشد نفاقاً من منافق الحضر لصمائه أدهانهم وقوة بياضهم، وهذه صفات تساعد على إتقان المعاق.

وجميع الأعراب أولى من أهل الحضر بالجهل بحدود ما أمر الله على رسوله لبعدهم عن أهل العلم ورواة السنة، والله عليم بأحوال أهل الحضر والبادية، حكيم فى محاربة كل بقدر ذنبه، ولما تقدم فى الآية (٩٠) من هذه السورة صمحتى ٢٥٦، ٢٥٧ بين حال المعتدلين من الأعراب أراد أن يبين حال من أبقى منهم فى الجهاد خوفاً من اهتصاح مرة، فقال ﴿ومن الأعراب من يتعد﴾ إلخ، أى يعتبر ما ينفقه خوفاً من المؤمنين عرامة ثقيلة عليه دفعها، وينتظر أن تحل بكم المصائب ليتخلص منكم، إلا قليلاً هؤلاء أن المصائب التى تسوء وتؤدى ستحل بهم وحدهم، لأن الله تعالى سميع لأقوالهم المنكرة، عليهم بحيث قلوبهم الذى يستوجب حلول المصائب.

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعتبر ما ينفقه فى سبيل الله، وسببة لأمرين عظيمين الأول التقرب عند الله والثانى دعاء الرسول المستجاب له بالبركة والمعصرة، ألا إن نفقتهم ستكون قريبة لهم. وهذا وعد منه تعالى بقبوله قربانهم، وهو يتضمن إجابة دعاء الرسول لهم ثم سر سبحانه ما وعد به فقال سيدخلهم الله فى مكان رحمته وهى الجنة، إنه سبحانه عمور لمن يخلص فى أعماله ما قد يقع منه من تقصير، رحيم بهم فيهديهم إلى الصراط المستقيم، ثم شرع سبحانه فى تقسيم المؤمنين الصادقين والمنافقين من أهل الحضر والبادية فقال ﴿والسائقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ وهم الذين آمنوا قبل الهجرة.

وكان المسلمون صفاقاً، ويلحق بهم فى الحكم كل من حاهد بإخلاص لبصرة دين الله فى أوقات محنته، وباله ما بالهم من أشد أنواع السلاء، انظر الآية (١٠) وما بعدها من سورة الواقعة صمحتى ٧١٣، ٧١٤.

اتَّبِعُوهُمْ بِحَسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ وَمَنْ حَوَّنَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
مُشْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ أَلْقَعِهِمْ لَا تُعْنِبُكُمْ
عَنْ تَعْنِبُهُمْ سَمْعِيهِمْ مَرِيضٌ لَمْ يَرْدُّوا إِلَىٰ عَذَابِ
عَظِيمٍ ﴿١١﴾ وَآخَرُونَ أَخَذُوا بِأَعْقَابِهِمْ خَطَرًا عَمَلًا
صَنِيعًا وَآخَرِينَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ خُلِّفَ مِنْ أَمْرِهِمْ سَدَقَةٌ تَطْلِيهِمْ
وَتَرْكِيهِمْ بِمَا رَضِيَ عَلَيْهِمْ إِنَّ مَنَازِلَكَ سَكْرٌ لَهُمْ
وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَقْرَبُ
الْأَرْحَمِ ﴿١٤﴾ وَقُلْ أَغْنَوْا صَبْرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

المفردات: ﴿مردوا﴾: مرد على الشيء
بوزن نصر مروداً إذا مرن عليه واعتاده حتى
يتعذر عليه تركه.

﴿سمعدهم مرتين﴾: إحداهما بالمصائب
والفضائح، والثانية عند الموت، انظر ما
تقدم في الآيات (٥٥، ٥٧، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٣)
من هذه الصورة صفحات ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤،
٢٥٥، والآية ٥٠ من سورة الأنفال صفحات
٢٢٤، ٢٢٥. ﴿تطهيرهم﴾: من دنس البخل
والذنوب.

﴿وتركهم﴾: تقي في نفوسهم فعل العير.

﴿وصل عليهم﴾: أي ادع لهم.

﴿سكن لهم﴾: أصل السكن سكون النفس واطمئنانها وأطلق على الصلاة مبالة كأنها هي
نفس الاطمئنان، والمراد أنها سبب اطمئنان.

المعنى: إن بعد السابقين في المنزلة هؤلاء الذين اتبعوهم متحليين بإحسان إيمانهم
وأعمالهم وأقوالهم بأن تكون جميعها كاملة هؤلاء جميعاً رضي الله عنهم بسبب إحسان
أعمالهم، ورضوا عنه بما أنعم عليهم في الدنيا والآخرة، وهياً لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً، وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.. وعندما يكُن سبحانه حال
كامل الإيمان أراد أن يبين أصدادهم ومردة المنافقين من أهل الحضر والبادية فقال: ﴿وممن
حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة﴾ منافقون مثهم، الجميع بلغوا غاية النفاق، لا

نمرفهم أيها النبي لشدة حرصهم. فهم أنقذ للنفاق معن في آيتي (٢٩، ٣٠) من سورة محمد
صفحة ٦٧٦، نحن نمرفهم. سمعديهم مرتين في الدنيا بالعذاب الظاهر والباطن. ثم يردون في
الأخرة إلى عذاب عظيم وهو الدرك الأسفل في جهنم كما في الآية (١٤٥) من سورة النساء
صفحة ١٢٨ وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة قوم آخرون ليسوا من المنافقين ولا
من السابقين الأولين ولا من الدين اتبعوهم بإحسان بل من المؤمنين المدنيين. وكانوا سبعة.
فلما رجع ﷺ أعلنوا عن توبتهم يربطهم أنفسهم في أعمدة المسجد وأقسموا أن لا يمكنهم
أحد غيره ﷺ.

فلما رأهم النبي ﷺ قال لا تعمل حتى يأتني لي الله فيهم، فانزل الله تعالى هذه الآية.
فاطلق سراحهم، هؤلاء اعترفوا بذنوبهم التي منها التحلف عن العروة بدون عذر، ولم يكذبوا
كالمنافقين، وحلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أي جمعوا بينهما، لكنهم خائفون من ربهم.
وليسوا مصرين على معصيتهم، لذلك كانوا محل رجاء قبول توبتهم، لأن الله تعالى غفور لمن
تاب، رحيم بمن يحسن توبته. انظر الآية (٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١. و(٨٢) من
سورة طه صفحة ٤١٢. و(٧) من سورة غافر صفحة ٦١٨. حد أيها النبي من أموال هؤلاء
المعترفين بذنوبهم ومن سائر المؤمنين صدقة من الزكاة الواجبة أو التطوع لتكون سبباً في
تطهيرهم من النقائص وتركيتهم في فعل الحيرات، واسأل الله تعالى لهم دوام التوفيق والبركة،
لأن دعاءك مطمئن لقلوبهم في أن الله تعالى قبلهم، والله سبحانه سميع لدعائك عليهم بما
فيه مصلحتهم فيجيبه لهم، ألم يعلم أولئك التائبون والمؤمنون كافة أن الله تعالى هو يقبل
التوبة متجاوزاً عن ذنوب عباده المخلصين في توبتهم؟ وهذا تحريض لهم على التوبة النصوح.
ويتقبل الصدقات ويثيب عليها، وأنه سبحانه كثير قبول التوبة بعد التوبة مهما تكررت بتكرار
الدب، الرحيم بفتح باب الأمل وإغلاق باب اليأس. فخذ منهم الصدقة وقل لهم اعملوا
لديناكم وأحرتكم كل ما تستطيعون من الخير، فإن الله يرى عملكم حيراً كان أو شراً، هراقبوه،
وسيراه رسوله فيشهد لكم أو عليكم، كما في الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧.

المصدرات: «الغيب والشهادة» يطلق المغيب على كل ما غاب عما، والشهادة على ما حصر
 «مرجون لأمر الله» - أي مؤخرون إلى أن
 يظهر أمر الله في شأنهم.
 «مسجدا ضرازا»: هو المسجد الذي يناء
 المناهضون في ضواحي المدينة ليدبروا فيه
 الكيد للمسلمين والإصرار بهم.
 «إرصادا»: أي انتظارا وترقبًا لقدم
 الكافر أبي عامر الراهب كما سيأتي.
 «لمسجد أسس على التقوى»: هو مسجد
 قباء الذي يناء رسول الله ﷺ أول يوم دخل
 فيه المدينة مهاجرا.

وَالْمُزْمِنُونَ وَسُودُونَ إِلَى عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَبَيْنَكُمْ يَمَاسِكُمْ تَحْمِلُونَ (١٥) وَالْأَعْرَافُ مَرْجُوتٌ
 لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّا بَعْدُهُمْ وَإِنَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ (١٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَجِدُوا صِرَاطًا وَكَفَرًا
 وَتَحْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَرَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 مِنْ قَبْلُ وَبِخَلِصٍ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
 لَهُمْ لَكَذِبُونَ (١٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ
 عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ مِنْ رِجَالٍ
 يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ (١٨)
 أَلَمْ تَأْسَسْ بَنِيَّةً عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ
 أَمْ مِنْ أُنْثَىٰ سُبُحَنَّا عَلَىٰ شَعَابٍ حَرْبٍ هَرِيقًا تَهَارِبُهُ
 فِي تَارِكِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٩)

«أن يتطهروا»: يبالغون في الطهارة المصوبة والحسنية وربما كانوا يحافظون على
 لاستنجاء بالماء..

«بنيانه»: أصل البيان مصدرا كالعمران وأريد به هنا الشيء المبني، وهو المسجد.

«شعاب»: أي طرف كما في الآية (١٠٢) من سورة آل عمران صمحتي ٧٩، ٨٠

«جرف»: هو البشر غير المبني أو العمرة.

«هار»: أي متصدع آيل للسقوط

- (١) عالم.
- (٢) والشهادة
- (٣) و حروب
- (٤) لكاذبون
- (٥) بنيانه
- (٦) ورضوان
- (٧) بنيانه
- (٨) الظالمين

المعنى ويرى عملكم المؤمنون ايضا فيشهدون لكم ويعاملونكم بحسبها، وفي النهاية
متردون بالبحث إلى الله الذى يستوفى في علما العائب والحاصر فيحرككم بما كنتم تعملون
ويجاريكم عليه ومن تأخروا عن العروة آخرون احمر الله البت في امرهم إلى ان يظهره
سبحانه في وقته المناسب.

وكان هؤلاء ثلاثة كما سيأتى في الآية (١١٨) من هذه السورة صفحة ٢٦٢ وهم كعب بن
مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية، وكانوا تحلموا بلا عذر ولا اعتذار على بية اللحاق
به ﷺ، ولكنهم انصرفوا عن هذا لا عن نفاق فلما رجع ﷺ وكان ما كان من كذب المنافقين
وتوبة النائبين الذين ربطوا انفسهم في اعمدة المسجد كما في الآية (١٠٢) السابقة من هذه
السورة صفحة ٢٥٩، ولم يكذب هؤلاء ولم يربطوا انفسهم، أمر الله تعالى فيهم هذه الآية
التي أبهت امرهم، فأصبحوا لا يدرون هل يعدبهم كما فعل بالمنافقين أو يتوب عليهم
كالمعتزين وظهرت حكمة هذا الإبهام في مقاطعة المؤمنين لهم حتى روجانهم في كل شيء
حتى في الكلام كما سيأتى في الآية (١١٨) من هذه السورة صفحة ٢٦٢، والله عليم بحال
عباده، حكيم في تربيته، وفيما يشرعه لهم، وتركهم على هذا الحال خمسين يوما كما سيأتى
ثم شرع سبحانه في بيان مكيدة خطيرة من مكائد المنافقين كان بعض سطاء المسلمين
سايرهم فيها ليحدر من الوقوع في مثلها، فقال (والذين اتحدوا مسلحاً) إلح

ومن المنافقين رجال من الحرج، وحاصل قصتهم ان رجلا منهم يدعى أبا عامر الراهب
كان تنصر في الجاهلية ولما انتشر الإسلام في المدينة عصب الراهب وصار يساعد قريش
في أحد وكل حروبهم، ولما يثس سافر إلى بلاد الروم ليستعين بقيصر، وأوعز إلى اثني عشر
رجلا من اتباعه المنافقين أن يسوا مسلحاً بعيداً عن مسجده ﷺ الكبير ليعمدوا فيه من
بمساعده عند قدومه بحيش الروم، فلما فرغوا من بنائه أرادوا تقرير المسلمين حتى يكثرو
الصلاة فيه فيجدهونهم، فقالوا للنبي ﷺ يا رسول الله إنا في أطراف المدينة وعسا مرصى
وعجرة ومن نحول بينهم المطر وبين مسجدهك، وقد سينا مسلحاً لتسهل الصلاة فيه على مثل

هؤلاء، ويريد أن تصلى لنا فيه، فوعدهم ﷺ بعد رجوعه من تبوك، فلما رجع أنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات.

فأمر ﷺ بحرقه فحرق وجعل مكانه مريلة، فهذا ما قال الله فيه اتحدوا مسجدا لأعراس أربع الإصرار بالمؤمنين وتقوية الكفر بالتأمر فيه بعيدا عن أعين المؤمنين، والتمريق بين المؤمنين حيث يصلون في أماكن محتلة فيسهل عليهم الدس وتمريق الوحدة، واستطارا لقدوم من حارب الله ورسوله من قبل في أحد وغيرها.

وإذ سألت هؤلاء المنافقين عن سبب بناء هذا المسجد فسيحلطون ما أردنا إلا الأعراس الحسنى التى سبق أن قالوها، والله يشهد إنهم لكاذبون في أيمانهم لا تقم أيها النبى للصلاة فيه أبدا، وعرتى لمسجد أسس على التقوى أى قصد بيانه عند وضع أساسه من أول يوم تقوى لله وهو مسجد قباء الذى بناه المسلمون خارج المدينة يوم دخوله ﷺ، أحق أن تقوم فيه، لأن فيه رجال يحيون أن يبالغوا في تطهير أنفسهم بكثرة العبادة فيه، وبما يلزم ذلك من طهارة أبدانهم وثيابهم، والله تعالى يحب المطهرين بالطهارة المصوية والحسية، ومن أحبه الله رضى عنه، وبأل كل خير.

ثم أبرر سبحانه العرق بين أهل المسجدين مسجد النفاق، ومسجد الايمان، فقال أهمس أسس بنيانه على قصد تقوى الله وطلب رصائه خير أم من أسس بنيانه على طرف بشر متصدع هابهار وسقط به في نار جهنم، لأنهم ظالمون، والله لا يهدى الظالمين ومعنى التمشين هل يستوى من أسس ديه على قاعدة محكمة هي تقوى الله وطلب رصاء، بمن أسسه على اصعب القواعد وهي الباطل والنفاق الذى لا يثبت، فأوقعه الباطل في نار جهنم.

المعردات «ريبة هي قلوبهم» هي الاضطراب المكروى والحيرة.

«ومن أوهى عهد» من اسم استقهام مشوب بمعنى النسي، أى لا أحد أوهى.

«السائحون» تطلق السباحة على مجرد السير في الأرض كما هي الآية (٢) من سورة

التوبة صسحة ٢٢٩، وعلى السير للنظر والاعتبار كما هي الآية (١٢٧) من سورة ل عمران

لَا يَرَالْ بِبَسْمِهِمُ الَّذِي بَسْمًا رِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْلَعَ
 قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ① • إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَقَدْ أَعْلَنَ حَقَّاقِ
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أُولَى بِعَهْدِهِ مِنَ
 اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ الَّذِي بَيْنَكُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ
 الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ② الشُّبُهَاتُ الْعَبِيدُونَ الْحَنِيتُونَ
 الشُّبُهَاتُ أَلْزَمُونَ الشُّبُهَاتُ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّهْيِ هِيَ الْأَنْسَاءُ وَالْحَنِيتُونَ يُحْسِنُونَ اللَّهُ وَيَتَّبِعُونَ
 الْمُؤْمِنِينَ ③ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْرِقُوا
 الْقُسْطَ كَيْفَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قَرْنٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
 أَنَّهُمْ أُخْتُبُوا بِالْحَقِّ ④ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

صفحة ٨٥، والآية (٢٠) من سورة المائدة
 صفحة ٥٢٣، وتطلق مجازاً على جولان الفكر
 في ملكوت الله تعالى للعبارة ولو كان الشخص
 متقياً كما هي الآية (١٩١) من سورة آل
 عمران صفحة ٩٥، والآية (١٨٥) من سورة
 الأعراف صفحة ٢٢٣، والآية (٦) من سورة ق
 صفحة ٦٨٨، وعلى الصيام لأن كلا من
 السائح والصائم يترك كثيراً من شهواته.

ولما وصفت النساء بها هي الآية (٥) من
 سورة التحريم صفحة ٧٥٢ رأى البعض أن
 يكون المراد منها ما يشترك فيه الرجال
 والنساء وهو الصيام والتفكير.

﴿ما كان للنبي﴾. (ما كان) تأتي في القرآن بمعنىين الأول النفي نحو (ما كان لكم أن تنبتوا
 شجرها) الآية (٦٠) من سورة النمل صفحة ٥٠١، والثاني النهي نحو ما هنا وما هي قوله تعالى
 (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٨، ٥٥٩.

المعنى سيستمر بناؤهم الذي يموت لأعراض حبيطة مثار شك واضطراب وخوف مستقر هي
 قلوبهم حتى بعد هدمه من أن يصيبهم المؤمنون بسوء، ولا يقدحهم منه إلا أن تقطع قلوبهم
 بالموت، وفي الآية (٦٤) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٢٥١، و(٤) من سورة المائدة
 صفحة ٧٤٢ تصوير لبعض هذا الخوف، والله عليم بأسرار خلقه، حكيم فيما يعمل بهم وبعد

- (٣) يقاتلون.
- (٦) التائبون.
- (٩) السائحون.
- (١٢) الأمرون.
- (١٥) إبراهيم.

- (١) يبيعهم.
- (٤) التوراة.
- (٧) العائدين.
- (١٠) الراكعون.
- (١٣) الحافظون.
- (٢) أموالهم.
- (٥) القرآن.
- (٨) العائدون.
- (١١) الساجدون.
- (١٤) أصحاب.

ما بين سبحانه حال فريق من المنافقين بلغ الغاية فى الشر، أراد أن يبين فريقا من المؤمنين بلغ الغاية فى الإيمان الكامل فقال (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) إلخ؛ مثل سبحانه بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله ومنعهم نظير ذلك نعيم الجنة، بالبيع والشراء، والحقيقة أنه لا بيع ولا شراء؛ لأن الأنفس هو خالقها، والأموال هو رارقها، فالإعطاء منه فضل وكرم، ثم بين سبحانه كيف باع ويبيع المؤمنون أنفسهم فقال يقاتلون فى سبيل الله، فيقتلون العدو تارة، ويقتلهم العدو أخرى، فهم مثابون على العالين، وعد بذلك وعدا حقا أثبتته فى الكتب المنزلة الصحيحة، فكل من قتل فى الدفاع عن سبيل الله فله الجنة، ولا أحد أشد وفاء بالعهود من الله، وإذا كان الأمر كذلك فاستبشروا أيها المجاهدون ببيعكم الذى بايعتم به ربكم لأبكم بعتهم فانها بنعيم دائم، ذلك البيع الرابع هو العوز العظيم الذى لا فوز بعده.

ثم بين سبحانه أصحاب هذا البيع فقال: «الثابون» إلخ، أى هم الكاملون فى التوبة، «المابون» أى البالغون النهاية فى العبودية لله تعالى، «الحامدون» هى السراء والضراء، «السائحون» بالصيام والجلول الفكرى فى ملكوت الله لزيادة الاعتبار (الراكون، الساجدون) أى المصلون الفرض والنفل، «الأمرون» بكل معروف يقره الشرع ويرضاه العقل السليم، «والناهون عن المنكر» وهو ما لا يقره شرع، ثم وصفهم فى النهاية بصفة جامعة وهى «الحافظون» لكل حد من حدود الله وهى شرائعه التى فصلت بين الحلال والحرام كما تقدم فى الآية (٩٧) من هذه السورة صفحة ٢٥٨. ويشر إليها النبى هؤلاء المؤمنين الموصوفين بما تقدم بنعيم لا يحيط به البيان، ولما كانت عاطفة حب الآباء قوية إلى حد جعلت عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول يطلب منه ﷺ أن يستغفر لأبيه كما تقدم فى الآية (٨٠) من هذه السورة صفحة ٢٥٥، وكان ﷺ كلما تذكر دفاع عمه أبى طالب عنه فى مكة ناقت نغمه الشريفة أن يطلب من الله تعالى التخفيف عنه، وكان بعض الصحابة يستغفرون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك، لما كان كل هذا، منعه سبحانه بقوله (ما كان للنبي) إلخ أى ما صح ولا جاز للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين البعيدين، بل ولو كانوا أصحاب قرابة، من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا مشركين، فاستحقوا عذاب الحميم .. ولما كان مما شجعهم أنهم كانوا يعلمون أن إبراهيم خليل الله استغفر لأبيه، بين سبحانه وجه خطئهم، فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) إلخ.

الصفردات: ﴿لأواه﴾. هو كثير التأوه
والنالم.

﴿إد هداهم﴾ أى بعد أن هداهم

﴿ساعة﴾ المراد بالساعة هنا مطلق
الرمز.

﴿المصرة﴾ هى الشدة والضيق الذى
كانوا فيه وقت الشروع فى العزو من شدة
العز وقلة الطعام والماء، حتى أكلوا التمر
المبدود، والشعير المسوم، وعصروا كرش
البعير ليشربوا مائه، كما تقدم عند الآية
(٢٨) من هذه السورة صفحة ٢٤٧.

إِلَّا عَنْ مَوْجِدَةٍ وَعَدَّهَا إِلَيْهِ فَلَسَاتِي لَّهُ: أَمْرٌ طَوِيلٌ
تَمَّ أَمْرُهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِمُجِيبِ
قَوْلِهِمْ إِذْ هَدَيْتُهُمْ عَنْ بَيْتِهِمْ فَهُمْ يَعْبَهُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِعَمَلِهِمْ لَشَدِيدٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَلَّ مَلَكِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ نَجْيًا رَبِّمُوتٌ وَمَاتَكُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلِمَنِ
وَلَا يَصْرِفُ ﴿٣٣﴾ لَقَدْ نَبَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَصْلَافِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النُّصْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
يُورِثُ قُلُوبُ قَوْمِهِمْ بِئْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَجْرُ الْحَرَمِ
وَأَوْفَ رَحِيمِ ﴿٣٤﴾ وَقُلِ الْفُلُوكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى
إِذَا صَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَالَتْ عَلَيْهِمْ
السَّمَاءُ وَظَلَمُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ تَنْبَأْ عَلَيْهِمْ
لِيُتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الشَّارِقُ الرَّحِيمُ ﴿٣٥﴾ بَنَاتِيَا الَّذِينَ

﴿ثم ناب عليهم﴾ الصمير هنا راحع للمصريق الذين كادت قلوبهم أن تبيع وللمراد به
أحسن نوبتهم لأنهم قاوموا الشدائد فحالوا بذلك بين قلوبهم وبين لرب

﴿رهوف رحيم﴾ انراة الرهق بالصميم خاصة والرحمة أعم

﴿الثلاثة﴾ هم كعب بن مالك وصاحبائه المضار إليهما هى الآية (١٠٦) من هذه سورة
صفحة ٢٦٠.

﴿الذين ظلموا﴾ أى تركهم الله ولم يبت فى أمرهم كما بت فى أمر المعتصمين

(١) إبراهيم

(٢) لأواه

(٣) هداهم

(٤) السموات

(٥) والمهاجرين

(٦) الثلاثة

﴿صاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ تقدم فى الآية (٢٥) من هذه السورة صفحة ٢٤٤.
 ﴿وصاقت عليهم أنفسهم﴾: معنى النفس فى الأصل الدات وأريد بها هنا القلب لأنه به حياة الدات، والمعنى صاقت قلوبهم على سرورهم فلا يدخلها منه شيء وليس فيها إلا العم والحزن.

﴿ملجأ من الله﴾: هو المأوى الذى يلجأ إليه الشخص ليقىه ما يمتبه.

﴿ثم تاب عليهم﴾: أى وفقهم لإحلال التوبة..

﴿ليتوبوا﴾: أى ليستبدموا التوبة عند كل ذنب.

المعنى، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه مما يدخل فى عموم الأمر باتباعكم له، لأنه لم يكن لسبب من الأسباب إلا لسبب واحد هو أنه كان وعد أباه بأن يستعمر له ربه، انظر الآية (١٧) من سورة مريم صفحات ٤٠٠، ٤٠١، و(٤) من سورة الممتحنة صفحة ٧٣٥.

فلما ثبت له أنه عدو له حين مات على الشرك ثبرا منه، إن إبراهيم لكثير التأوه حوها من ربه ونحسرا على قومه، قوى العلم الموجب للثبات على ما يرضى الله. ثم أراد سبحانه وتعالى أن يطعن الذين استعصموا لأبائهم الكفار قبل علمهم باللهى عنه، وأن يحذر من الوقوع فى معصية بعد العلم بحرمتها فقال: ﴿وما كان الله﴾ إلخ، وما كان من طلف الله بعباده أن يحكم على قوم بالصلال ويجرى عليهم أحكامه بعد أن هداهم للإسلام حتى يبين لهم بالوحي بياننا صريحا ما يتقوه ويحرم عليهم، إن الله بكل شيء عليم، فيعلم من يحالف عن جهل أو من علم، فيجارى كلا بما يستحق، ولا يمجز من المجازاة، لأن له وحده التصرف فى السموات والأرض وما فيها، بهي من يشاء ويميت من يشاء، وليس لكم من دونه من يتولى أموركم وينفمكم، ولا من ينصركم يدفع المذاب عنكم إن حالتم.

ثم رجع سبحانه لتتميم الكلام على التائبين من ذنب التحلف مع تمصيل ما حل بهمصهم ليرتب عليه ما ينبغي أن يعمل مع من أصر على المفاق ولم يصارع إلى التوبة، فقال لقد تاب الله على السي من بعد ما صدر عنه من الإذن للمنافقين كما تقدم فى الآية (٤٢) من هذه السورة صفحة ٢٤٨، وعلى المهاجرين والأنصار الذين اتيموه فى وقت الشدة من كل هفواتهم،

ومنها ما حصل من بعضهم من التثاقل كما تقدم في الآية (٢٨) من هذه السورة صفحة ٢٤٧، ومنها سماع بعضهم للمنافقين كما في الآية (٤٨) من هذه السورة صفحة ٢٤٩، من بعد ما كاد يريخ قلوب فريق منهم لتتأهى الشدة حتى تثاقل في الخروج وتعلق بعضهم بفير عذر وهم المذكورون في الآية (١٠٢) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٢٥٩، ثم تاب سبحانه عليهم لأنه بهم كثير الرافة بضميرهم، واسع الرحمة بهم جميعا، وتاب أيضا على الثلاثة الذين خلفهم الكميل وآخر الرسول البت في أمرهم، وأبهم الله تعالى أمرهم حتى شمروا بأن الأرض ضاقت عليهم مع سميتها، فكانهم لا يجدون فيها مكانا لشدة قلقهم من مقاطعة المؤمنين لهم وخوفهم من سوء العاقبة، وضاقت قلوبهم عن قبول السرور لامتلأها بالخم والهم، أي أن الضيق لاحقهم في الأرض وفي القلوب حتى ظنوا أي تيقنوا كما في الآية (٤٦) من سورة البقرة صفحة ١٠ أن لا ملجأ لهم بغيرهم من سخط الله إلا الرجوع إليه بالتوبة ثم وقفهم سبحانه لإخلاص التوبة لهداؤهم على التوبة ولا يجعلوا لليأس من رحمة الله عليهم سهيلا، إن الله كثير قبول توبة التوابين واسع الرحمة بالمصممين وقد حكى كعب بن مالك قصته وما حصل له ولزميليه في حديث طويل فذكر فيه كيف قاطعه جميع الناس حتى أمرأته وقد كان الإمام أحمد رحمته إذا قرأ هذا الحديث غلبه البكاء، والحديث رواه البخاري وهو رقم ٤٩٥ من كتابها صفوة صحيح البخاري..

المفردات: ﴿ولا يرضوا بأسمهم عن نفسه﴾: يقال رغب في الشيء إذا أحبه، ورضب عنه إذا كرهه وأعرض عنه، فالمراد ولا يرغبون بإيثار حب أنفسهم عن حفظ نفسه الشريفة.

﴿ظلماء﴾: لقلة الماء كما تقدم.

﴿يصب﴾: أي تمب ليمد المسافة وقلة الركائب.

﴿مخمصة﴾: أي مجاعة لقلة الزاد.

﴿ولا يظنون موطنًا﴾: أصل الوطن الدوس بالقدم.. والموطن مكان الوطن..

﴿يسألون من عدو﴾: أي يأخذون.

اسْمُوا الْقُرْآنَ وَكُتُبًا مَعَ الصِّدِّيقِينَ ۝ مَا كَذَبَ لَأَعْلَى
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ لَنْ يَنْظُرُوا عَنِ
رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْفَعُوا رَأْسَهُمْ عَنِ تَقِيَّةٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ غَمٌّ وَلَا نَقَبٌ وَلَا غَنَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْفُرُونَ تَرْطُقًا يَحِيطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَسْأَلُونَ مِنْ غَيْرِ
نَبَلٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ قَتْلَ صَالِحٍ ۝ إِذَا اللَّهُ لَا يُصِيبُ أَحَدًا
السَّخِيَّةَ ۝ وَلَا يَمُوتُونَ نَفْسَ صَغِيرَةٍ وَلَا كَبِيرَةٍ
وَلَا يَمُوتُونَ وَإِدْبَارًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لِيَهْرَبَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَحْتَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ الْمُتَزَمِّتُونَ لِيَهْرَبُوا كَأَنَّهُ
قَاتِلُوا تَقَرُّسٍ كَوَيْفَتِهِمْ طَائِفَةٌ لِيَمُوتُوا فِي الدُّنْيَا
وَلِيُخْرِجُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ نَعْلَمُهُمْ يُحْلِلُونَ ۝
يُنَادِيهَا الَّذِينَ اسْمُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

﴿نبلا﴾: اصل النيل مصدر نال، والمراد
به هنا الشيء المأخوذ.
﴿وادي﴾: الوادي هو المكان المنعرج بين
الفلل والجبال يشق السير فيه.
﴿لولا﴾: حرف يدل على التحريض على
فعل ما بعده.

المعنى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله باتباع
ما أمر والبعد عما نهى، وكونوا دائما مع
الجماعة الصادقين في جهادهم وإخلاصهم
في توبتهم وغير ذلك، ثم أراد سبحانه أن
يؤكد وجوب الجهاد معه ۝ وحرمة التحلف

عنه إلا بإذنه فقال (ما كان لأهل المدينة) إلخ، أى ما جاز وما صح لأهل المدينة التى هى
عاصمة الإسلام ومن حولهم من الأعراب المسلمين أن يتعلموا عن رسول الله إذا خرج
مجهدا كما حصل فى تبوك ولا يفصلون محبة أنفسهم بالمحافظة عليها على نمطه الشريعة
بأن يمرضوها للخطر وهم آمنون، ذلك النهى عن التحلف لما فيه من مصلحتهم الحقة لأن كل
ما يصيبهم فى جهادهم من أذى وإن كان قليلا ومن إيذاء للعدو وإن كان صغيرا إنما يكتب الله
فى صحف أعمالهم بكل واحد مما ذكر ثواب عمل صالح لأن الله تعالى لا يصيب أحدا
المحسين لأعمالهم بالإخلاص فيها.. ولا يمتقون فى الجهاد نفقه صغيرة ولو تمرة، ولا
كبيرة، ولا يقطعون فى سيرهم للجهاد واديا يصعب السير فيه إلا كتبه الله تعالى فى صحفهم

(١) الصادقين

(٢) يطنون

(٣) صالح

(٤) قاتلوا

ليحريهم عليه يوم القيامة أحسن جزاء، ثم أراد سبحانه أن يبين أن الخروج العام لا يكون إلا إذا وجد سببه، كأن يخرج ﷺ بنفسه لفزوة مهمة.

فقال ﴿وما كان المؤمنون﴾ إلخ، فمعنى هذه الآية كما قال ابن عباس وقتادة وغيرهما أن المؤمنين بعدما برل من الآيات هي توبيح المتحلفين عن عروة تبوك كما جاء في الآيات (٢٨) وما بعدها من هذه السورة صفحة ٢٤٧ كانوا إذا بعث ﷺ بعثا تسابقوا عن أحدهم إلى الصير وتركوا النبي ﷺ وحده مع قلة قليلة واقطعوا عن التمسك به الدين، فأمرؤا في هذه الآية أن يصبر للجهاد من كل فرقة طائفة ويبقى سائرهم مع النبي ﷺ بالمدينة ليتفقوا فيما يحد من أحكام الدين وما يرل من القرآن عليه ﷺ في تلك المنرة فالصمير هي قوله ﴿ليتفقوا﴾ و﴿ليبدروا قومهم﴾ هو للمركة الباقية مع النبي ﷺ بعد الفرق التي بعثت للجهاد والصمير هي رجعوا للمجاهدين.

والمعنى ليدبر المرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم، يبدروهم بما حصلوا عليه في أيام عيبة هؤلاء المسافرين من العلوم التي سمعوها من النبي ﷺ وهم مقيمون معه بالمدينة فالتمسك به الدين لا يكون إلا ممن هو مع النبي ﷺ الذي هو مصدر الشريعة، والمسافر للحرب ليس امامه ما يتفق به. فتوزيع الصمائر هنا مفهوم من سياق الكلام..

والمعنى أي وما كان من شأن المؤمنين ولا مما يجب عليهم أن يصبروا جميعا لأمر سهل، فهلا صبر للقتال في هذه الحال من كل فرقة كبيرة منهم كالقبيلة وأهل المدينة طائفة أي جماعة بقدر الحاجة ليتأتى لحملة المؤمنين التمسك به الدين بأن يقوم الباقون في المدينة معه ﷺ بحفظ ما يتحدد بروله من الوحي، وليعلموا قومهم الدين يصبروا للعدو إذا رجعوا إليهم رجاء أن يحدروا محالمة ما برل من الوحي وهم عائشون. وبهذا يكون مجموع المؤمنين قد حافظوا على المصلحتين.

ولما كان القتال شرع لتأمين القائمين بالدعوة، كان الواجب أن يحمي طهرهم ببطهير الوسط الذي يعيشون فيه من كل ما يحشى منه عليها، فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوككم من الكفار﴾ أي الأقرب فالأقرب، فطهروا المدينة أولا ثم ما حولها، ثم مكة ثم ما حولها، ثم حريرة العرب، وهكذا، لأن قتال الأعداء مع ترك العدو الأقرب لا يحمي خطرهم خصوصا مع قوم لا أمان لهم.

وَلْيَجِدُوا فِيكَ غُلْظَةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٧﴾
 وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْحُكُم زَادَتْ
 عَلَيْهِ إِيمَانًا ۖ فَلَمَّا أَتَيْنَ أَتَوْا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
 يَسْتَفْشِرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
 رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٩﴾ أَوْ لَا يَرْوْنَ
 أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
 وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
 إِلَىٰ بَعْضٍ مَّا يَرَىٰ بَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي قَوْمٍ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٤١﴾ لَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ
 مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٣﴾

المفردات: ﴿غُلْظَةً﴾: المراد بها هنا
 الشدة في حال القتال وعدم التساهل،
 فتشمل الجراءة والصبر.

﴿رجسا﴾: أصل الرجس الشيء القذر،
 والمراد هنا القذارة الممنوية، وهي الكفر
 والنفاق.

﴿يفتشرون﴾: أي يختبرون حتى يظهر
 حائهم للناس.

﴿عزيز عليه﴾: أي شديد وشاق على
 نفسه.

﴿ما عنتكم﴾: أي عنتكم والعنت بفتح الحاء مفتحة كل مكروه يثقل على النفوس احتماله.

﴿العرش﴾: يراد به مركز تدبير أمور الخلق ولا تعلم حقيقته، انظر الآية (٢) من سورة

يونس صفحة ٢٦٥.

المعنى: ولتكونوا في حال الحرب أشداء بعيدين عن التهاون مع الأعداء حتى يشعروا
 بقوتكم فينزعجوا عن حرككم، واعلموا أن الله مع المتقين لمخالفته بالعون والتأييد، وما تقدم
 في الآية ٧٢ من هذه السورة صفحتي ٢٥٢، ٢٥٤ يدل على دخول المنافقين في الكفار المأمور
 بالشدة معهم، كل بحسبه. ولذا ذكر بعد الأمر بالشدة هنا بعض جرائم المنافقين لتبرير
 القسوة معهم فقال ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ إلخ: أي ومن أحوال المنافقين الشنيعة أنهم كانوا

(١) إيماناً.

(٢) كافرين.

(٣) يراكم.

إذا أنزلت سورة من القرآن عليه ﷺ فمن هؤلاء المنافقين خبيثاء يقولون مستهزئين لضعفاء الإيمان للتشكيك وإخوانهم المنافقين ليثبتوا على النفاق. يقولون مستهزئين: من فيكم زادته هذه السورة إيماناً؟

وأجاب سبحانه عن سؤالهم ليحزنهم بقوله: فأما الذين آمنوا إيماناً صادقاً فزادتهم السورة يقيناً وأطمئنان قلب، وهم يستبشرون بنزولها، لأنه سبب لزيادة درجاتهم وأما الذين فى قلوبهم مرض النفاق فزادتهم كفراً ونفاقاً مضموماً إلى كفرهم السابق. واستمروا عليه حتى ماتوا وهم كافرون.

ثم وبخهم على غفلتهم بقوله «أو لا يرون» إلخ: أى أجهلوا ولا يعلمون أنهم يفتنون بالجهاد معه ﷺ، ويمأينون انتصاره فى كل عام مرة أو مرتين، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا يمتدرون بأن ما حصل لم يكن إلا بتأييد الله تعالى. ولما فرغ من حالهم عند نزول السورة وهم بعيدون عن مجلسه ﷺ، أراد أن يبين حالهم وهم بمجلسه الشريف.

فقال: وإذا ما أنزلت سورة تبين بعض جرائمهم أو تطلب الجهاد كما فى الآية (٢٠) من سورة محمد صفحة ٦٧٥، نظر بعضهم إلى بعض ليتفقوا على الهرب كراهة سماعها قائلين: هل يراكم إذا انصرفتم أحداً ثم انصرفوا من مجلسه ﷺ عند وجود الفرصة، صرف الله قلوبهم عن الإيمان لإصرارهم على النفاق بسبب عدم فهمهم الصحيح!

ثم خاطب سبحانه العرب جميعاً ليوبخ من حاربه ﷺ منهم فقال «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» أى عربى مثلكم شديد على نفسه مشقتكم وما ينالكم من سوء العاقبة، انظر أول سورة الكهف صفحة ٢٨٠، حريص على إيمانكم وصلاح حالكم، بالمؤمنين منكم ومن غيركم، رعوف رحيم. تقدم بيانهما فى الآية (١١٧) من هذه السورة صفحة ٢٦٢.

ثم وجه سبحانه الخطاب له ﷺ تسلية له وتطمينا فقال: «فإن تولوا» إلخ: أى فإن أعرضوا عن الإيمان بك فقل لهم حسبى الله، أى كافينى كل شر، فهو خير لى منكم، لا إله إلا هو عليه وحده توكلت فلا أعول على غيره، وهو رب العرش العظيم، لا يعلم مقدار عظيمته غيره سبحانه.

هـ مقدمة الطبعة الأولى
ط مقدمة الطبعة الثانية
م بعض مبادئ مهمة لمرض لها القرآن
١ مقدمة الطبعة الثالثة
٢ سورة الفاتحة
٣ سورة البقرة
١٣٢ سورة آل عمران
١٩٩ سورة النساء
٣٧٧ سورة المائدة
٣٣٦ سورة الأنعام
٤١٤ سورة الأعراف
٤٩٠ سورة الأنفال
٥١٩ سورة التوبة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٢٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رئيس

WWW.egyptianbook.org.eg

E - mail : info@egyptianbook.org.eg